سيرة

عنترة بن شداد

فارس الطراد وحبيبة بطن الواد
الأمير عنتر ابن شداد

المجلد الثالث

التزام مكتبة الجمهورية العربية

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور سيد الشجعان وقاهر الاقران عنترة ابن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة وأعزهم نفسا وأفراهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التى ضربت بها الامثال بين العربكة سهل الاخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفى سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتسوم سيرته ما دامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحروب معارك مسترسلة فى ميادين القتال .

﴿ الجزء الثالث عشر ﴾

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) فقال الربيع وقد تبسم من مقالها يا جمانة وحق ذمة العرب ما كان نيتى أن أرد الدرع على أبيك ولا ألقى الأعداء إلا به ولكن لاخيب رجاك وأنا ألقى خالدا وبنى عامر فى الدرع وأرده بعد ذلك اليه إذا انفصل الحرب وأخذنا بالثار ، فلما سمعت جمانة مقاله عرفت مكره واحتياله وقد علمت أنه لايرد الدرع وأن الغدر بينهم سيقع وأن سؤالها ما نفع وباتت تلك الليلة عند جدها فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قامت مسرعة وركبت ناقتها وأخذت عبيدها وسارت وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

أبى لايرى أن يسلب اليوم درعه	وجدى يرى أن يسلب الدرع من أبى
فرأى أبى رأى الضنين برأيه	وسيمة جدى سيمة الظالم الغبى
فلا ابن زهير تارك درعه له	ولا ابن زياد أن رأى الصلح يعيب
فياقيس ترك الدرع أو فى مروءة	عليك من الحرب المشيب الصبى
ويا ابن زياد أن ردها أن حبستها	ستجليها حرب عقبها لكم وبى
فانى أخاف اليوم عنترة الذى	يريد أقتناص الحرب من كل سبسب
وأن يتولى الحرب يوما بنفسه	وأبطال عبس حوله لم يخيب

(قال الاصمعى) رحمة الله عليه ولما وصلت الجمانة ابنه قيس إلى عبس دخلت على أبيها وأخبرته بما جرى بينها وبين الربيع وقالت له بالله عليك يا أبى أن أمكنك أن تترك له الدرع تركه فإنه بعد أن ردنى ما بقى يقبل سؤال أحد وان لاجته وأن قاقلته قاتلك وينغص عليك حياتك ويكدر عليك عيشك فقال قيس وقد زاد به الحنق وتمنى أنه لم يخلق يا جمانة وحق ذمة العرب والرب الذى عن عيون خلقه قد احتجب لابد ان أقاتل جدك الربيع أشد المقاتله وأعامله أشد المعامله (قال الراوى) وقد شاع الخبر فى الحلة وقد استعجز واقيسا بالجمله وتحدث الناس مع بعضهم بالأمور الردية فى حق الملك قيس (قال الراوى) وكان عنتر قد أتى ميه فى أول قدومه وهناه بالسلامة وأبصر السلاح الذى اشتراه ولكنه ما أطلعه على ما جرى بينه وبين الربيع من الأمر الشنيع (قال) الراوى ثم بعد

قليل من الزمان بلغ الحديث إلى عنتر من عروة بن الورد فصعب ذلك الأمر عليه واشتد غيظه وكبر لديه وأتى إلى الملك قيس وعتب عليه وقال إذا صبرت على الذل ونحن بين يديك فوحق ذمة العرب لو كنت علمت بهذا الأمر أول النهار لكنت استخلصته لك في أسرع وقت وقد كنت أخذتها منه غصبا وأثرت من أجلها حربا وضربا وتركت وادي اليعمورية خرابا (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام قال أني قد رأيت يا ابن العم أن من الصواب السكوت عن هذا حتى ننظر حالنا مع خالد جعفر وتدبر لنا أمرا يكون الفوز والنصر (قال الراوي) فصعب هذا الأمر على عنتر واستعجز قيسا وعاوهو يذمه ولما صار في معضربه أحضر أخاه شيبوبا الأغبر وقص عليه هذا الخبر وشاوره في هذا الأمر وقال له والله يا ابن الام مابي من أخذ الدرع مثل مابي من قول عمارة لقيس قل لحاميتك عنتر يخلص لك هذا الدرع لأنك اتكلت عليه وصار حاميتك وأتاوالله ياأخي لولا قلب الملك قيس ابن الملك زهير ما تركت النهار يتضاحى وفي وادي اليعمورية من يخبر بخبر ويأتي بأثر كنت أشفي غليلي من بني زياد وعمارة الفؤاد والربيع الكياد وأريد منك ياأخي أن تعارفني ببعض التدبير لعل بنطفي مابقي من نار السعير فقال شيبوب ياأخي إن شاء الله أدبر أحسن التدبير فامض معي هذه الليلة إذا أهل الحي نامت الاماء والعبيد وخمدت النيران من وادي اليعمورية وأنا أكمن بك في بعض نواحية وارصد بني زياد فان ظفر بأحد منهم قلنا المراد وياخذ الذي تمسكه منهم ونخفيه في مضاربنا وندعه في العذاب الشديد على الدوام ونسلكه في سلك حديد ولا نزال بالعذاب النكيد حتى يفدي نفسه منا بالدروع ولا أننا نقتل وبعد نأخذه لانبالي بنفس غيره وتكون أنت قد بلغت المراد وشفيت غليل الفؤاد وقيس إذا رآنا وقد رددنا درعه اليه فما يتعبنا ولو أننا قتلنا الذي أخذ الدرع منه فقال عنتر والله ياأخي قلت الصواب وأتيت بشيء لا يعاب فلا عدمتك ياأبا رياح ولازلت بشيرا الأفراح خاليا من الهم والاتراح افعل هذه العبارة هل يقع في يدنا الربيع أو أخوه عمارة وتكون سفرتنا ربحا بلا خسارة صلح لي هذا الأمر وملكنا الربيع بهذا السبب شفيت غليلي منه ويخف بعذابه بعض مابي من الهيب والكرب وأنا أرجو ذلك أمر الله ربي وأن يبلغني اربي (قال الراوي) ثم صبر عنتر حتى دخل الليل وطلع نجم سهيل وخرج هو وأخوه شيبوب وهم في زي العبيد ومامعهم إلا السيوف والخناجر وهم يطلبون الوادي المتقدم ذكره وينتخبون للطريق وشيبوب يدب به في ظلام الليل وما زالوا على ذلك حتى نصف الليل الحالك وتوسطوا الطريق

والرمال وكان شيبوب سائرا وعينيه يمينا وشمالا وهو يتحدث مع أخته عنتر بن شداد وإذا قد رأى خيال جواد وهو ينهش مع هشيم البر وبين يديه انسان نايم وعليه ثياب جميلة وعمامة كبيرة وقد ثقل نومه وعلا غطيطه فقال شيبوب يا ابن الأم هذا رجل لاشك أنه غريب من هذه الأرض وقد أمسى عليه المساء فنام ثم تقدم اليه ووقف على عجل بخلاف الليالى الأول قنعت من عبله بنظرة وقضيت منها وطرا لاوقعت عليك عين بشر وخفت على نفسك من الخطر فقال له شيبوب وقد خفق قلبه لما سمع ذكره لعبله وهو وأخوه عنتر وقد هزم الحسام فى يديهما حتى دب الموت من فرنده ما هذا الخبر ويلك يا ابن اللئام من تعنى بهذا الكلام ومن أنت من العرب اللئام ومن هى عبلة التى تذكرها بهذا الكلام ومن هو مولاك الذى تذكره فى هذا الظلام فقد قال العبد وقد طار من عينيه المنام لما أبصر بريق السيوف فى جنح الظلام ياهذا تلطف وأوفق بى فما أنا أمير ولا فارس خطير بل ما أنا إلا عبد حقير ومولاى رجل طنجير لاسلمه الله بير العباد يقال له عمارة ابن زيادو هذه ثيابه التى تراها وعمامته التى على رأسى وهذا سيفه وجواده فقال شيبوب وإلى اين مضى مولاك من الاماكن وتركك هنا كامن فقال له وقد ظن أنه من بعض العرب الغرباء والله ياسيدى ومولاى أنه مضى إلى بنى عبس ليفوز بالنظر إلى وجه عبله بنت مالك بن قراد بلاه الله هو وإيانا بالضر والانكاد فقد أوعبتنى رغبة تقطع منى الاولاد ولاتزول من قلبى إلى يوم الميعاد وهكذا كل قليل يأتى ولا يصيبه غير العناد التعذيب ويأخذنى ويسير من وادى العمورية وأنا يختفى عن عنتر إلى أن يأتى إلى هذا المكان والسوء أنه إذا دخل الخيام والإضارب تنكر عليه القوم عليه وتقبض عليه فقال العبد لا يامولاى لأن هناك أغراضا كثيرة يرشيهم بالمال والكساوى فيخفوه بينهم إذا دخل ويعاونوه على بلوغ الامل فقال شيبوب هذا حديث ما تعرفه ولاتدريه انما أنت من فزعك تخترعه أخلع الآن ثيابك التى عليك وسلم إلى الجواد الذى معك وبين يديك واغد إلى حال سبيلك وإلا طار ياهذا رأسك فى البر الافقر من بين كتفيك وتحل بك الخسارة ولا ينفعك الربيع ولا أخوه عمارة فقال له العبد يامولاى من تكون أنت من الناس فقال له شيبوب ما أنا إلا من بعض العفاريت الطيارة أخلع بما عليك الآن والحق باهلك ياهذا قبل أن تهلك وتجلل من الدنيا مرتحلك فلما سمع العبد هذا الكلام لاح له وجه الحمام فتجرد له من ثيابه وخطى خطوة برجله والثانية سبقتها رأسه . قال وكان عنتر

أدكه عنه انصرافه وضربه ضربة رجل جبار وإذا برأسه عن جسده قد طار فقال له شيبوب ويلك يا أخى وأى شىء ذنب هذا المسكين فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وأى ذنب أعظم من هذا أما تعلم أن ذنبه معاونته لعمارة على نظره عبله فاريد أن أحرم أحدا يعدد أن يتبع عمارة ويعاونه على بلوغ آماله والآن هذا أمر قد سهل وقد تيسر أخذ مولاه عماره الصقيع وقد تخلص الدرع للملك قيس من عند الربيع بعد أن اشتقى أنا من عمارة بالضرب الوجيع والرأى عندى أننا نقوده على أثره وأينما وجدناه قبضنا عليه فقال شيبوب لا يا أخى ماهذا صواب لانى أخاف أن تخالفة فى الطريق لأنه ماهو من أهل الشجاعة والبراعة حتى أنه يمسك الطريق الواضحة ويمشى على الجادة من الخوف والحذر بل يأتى على غير طريق الحذر حتى يفوز بالسلامة وحسن الظفر والرأى عندى أننا نقيم فى هذا المكان وإذا عاد نأخذه بأمان ونسير من هذا المكان ولا تكون فعلنا شيئا ثم أفسدناه (قال الراوى) أن شيبوبا فى الحال قلع ثيابه ولبس ثياب العبد وانطرح مثل ما كان العبد وسار عنتر إلى البر وابعزال وما زال كذلك حتى بقى من الليل الثلث الأخير وإذا بالأمير عمارة قد أقبل يهرول على عجل فلما أبصره جواده صهر فقال له جئتك يا صهال بعد أن شفيت ما بقلبى بنظر عبله من الأمراض والاعلال ثم تقدم إلى شيبوب وركزه بالعصا وقال له يا ابن الملعونة فى ما أكثر قومك لعن قومك واخلع يا ويلك ثيابى قبل أن يدركنا الصباح قال ومن عجلة عماره وهجته قلع ثيابه التى هى للعبد وبقى عريانا الحال فوثب اليه وثبت الاسد الغضنفر والسيف يمينة مجهر وقال له أدركياك ياقرنان يا غدار يا مكار فخل عنك ذكر معبيد الاحرار فقد وقعت النار أبشر بالقتل والبوار واعلم أنك وقعت فى قبضة بنى طيار من عمار تلك القفار وساحر عك الموت بهذا البتار وإذا بالامير عنتر قد جاءه وقبض على عظم قفاه وكيس عليه فخرجت عيناه ومن عظم ما تصايق من يده سيب على نفسه خراه وبقى عبر لمن يراه فعند ذلك تقدم اليه شيبوب وقال له ويلك ما أترب خراك لعن الله أنا لحاك ثم وشجه بالسوط الذى فى يده فعند ذلك قال لهم عمارة يا وحوة العرب اطلبوا منى الفدا فانا سيد كبير أحكم على جمع كثير ويكون فى علمكم أنى أنا عمارة بن زياد وأخى الربيع الجواد وإذا لم تقبلوا عن نفسى الفداء بال والا انخلصت منكم بلا نرق ولا جمال ويهلككم أخى الربيع ولو كنتم فى أقصى الجبال فقال عنتر وقد اوجعه بالسوط على جلدة الناعم لا خير فيك ولا فى الربيع أخيك ولا أسكنتكم فوحق ذمة العرب لا بد لى أن أقطع جلدك بالضرب واشفى بعذابك قلبى وأحرمك أن تذكر عبله مع الذاكرين أو تزورها فى زى العبيد المنافقين واخلص بك الدرع الذى أخذه

أخوك من قيس وقلت أنت له قال لحامية عنتر يخلصها لك ويلك أن كنت لا تعرفني أنا أعرفك بنفسي يا ابن الاوعاد أنا عنتر بن شداد كما أنت عمارة بن زياد وأنا إذا ذكر اسمي تضع له الآساد وتذل له الرجال الاجلاد قال الراوي فلما سمع عمارة بذكر عنتر خرس لسانه وانهدت أركانه وأيقن بالموت بين اخوته وعلم أن زمانه خانه وضحك عليه بعد أمانه فذل بعد العز وقال يغنج وفتور وكلام كلام النسوان يا ابن العم لا تؤاخذني بعثرات اللسان فان صنيعك عم سايرٍ الفرسان ابشر بكل ما تريد وأنا اسلم اليك هذا الدرع المشوم فقال عنتر أنا لا أقبل كلام حتى أشفي منك غليل قلبي بضرب السيوط والآلام (قال) فما وصلوا إلى الديار حتى فاشى عمارة شدة لا ينساها ما بقي الحياة ولما أن وصلوا الديار ووجدها خامدة دخلوا إلى مضاربهم وأخفى عنتر عاره في بيت امه زبيبه وأصلح في الحي وكانه ماذهب منه وما مضى ذلك اليوم حتى علم الربيع بفقد عمارة واحترق قلب أمه بناره وكذلك اخوته وما فيهم الا من يقول قتله عنتر فقال الربيع أنا قلبي يحدثني بغير هذا وأنا أقول ان قيس بن زهير طرح عليه العيون والارصاد وغتاله وأخذه لأجل الدرع الذي أخذته منه ويأمل مني أن أفديه وهذا شيء ما أفعله أبدا الا أن كان رغما عني ويؤخذ غصبا وان كان قد فعل ذلك فانه أطرح الورصاد على أخيه مالك وكل من وقعت به من أخوته أخذته وانخته بالجراح وأعذبه مساء وصباح حتى يفدي روحه مني بأخي الذي اخذوه والا أمرت أخوتي أن يصلبوه وأصيرها عداوة أصليه حتى تصير مثلا بين سايرٍ البرية ولا يخرج الدرع من يدي بالكلية ويعلم قيس من منا على الشر أقدر ومن اشد في الحيل وامكر فقالت امه يا ولدي انقطع ما بينك وبين قيس من القرابة والنسب وتصيروا مثلا بين العرب فقال نعم يا اماه لأنه درع من الدروع الجياد لأجل ميله لعنتر بن شداد فوالله لادبرن هلاكه وهلاك بني جزيمة وسايرٍ الاجناد واعمل على وقوعهم في العطب حتى يعلموا ان مثل ما يضيع حقه ولو صبرت العرب زمان كان عنتر قتل اخي واسقاه كاس المنية وصح عندي موته بالكلية فاما اطلب ثاري الا من الملك قيس بنفسه والا فعبد شداد ما له قيمة بين العباد حتى اعاديه واطلب معه الشر والعناد قال الراوي ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والفساد اقام يدبر فيما يصنع من المكر والكياد ووضع على اولاد الملك زهير العيون والارصاد قال وفي اسرع ما يكون شاع الخبر بفقد عمارة بين النساء والرجال في البدو والحضر وسمع الملك قيس الخبر وانهم يموته الملك قيس وعنتر فقال قيس والله لقد كذب الربيع واهتدى وهذا شيء ما خطر ببال عنتر ابدا ولا غاب عن الحلة ولا اقول انه يقتل عمارة

لانه وقع به غير مرة وخلصه من الأسر أكثر من كره ولا له عنده دين ولا مال ولو اشتهى قتله كان من مدة زمان طويل وهذا أمر لا يخفى ولابد له ان يظهر وتقابل الربيع على ماقاله وسوق افعاله وأنا أعلم أن يطرح العيون والارصاد على من يخرج فى حاله الأنفراد فالصواب أننا نحترز على أنفسنا من مكره وشره ثم أنه أوصى أخوته من الرجال والاده منا الربيع المحتال أخوه مالك لايضيق ياأخى من هذا صدرك ولا يشتغل فكرك وإن كنت فزعا من هذا الحال فانا أنفذ خليلى عنتر فارس الرجال وأكلفه حفظ النوق والجمال وآخذه وأخرج كل يوم إلى المرعى والعبيد قدامنا تسعى وان تعرض لنا من أحد بنى زياد أو من جميع العباد قلت لعنتر يقطع أعمار الرجال الجميع (ياسادة ياكرام) فعند ذلك قال الملك قيس لأخيه مالك هذا التدبير يؤول إلى المهالك لأن عنتر إذا وقع بيننى تجد علينا وظهر حتى ننفصل نوبتنا مع خالد بن جعفر وبعد ذلك أقابله على جميع افعاله هالك واخلص الدرع منه بغير اختيار فاجابه مالك إلى ذى الحال وقد أغاظه صبر اخيه على الآذلال وصار يخرج كل يوم مع الأموال فى جماعة الأبطال وأما عنتر فانه علم بذلك التدبير وأوصى اخويه شيبوب وجرير وقال لهم الملك قيس قد فزع من الربيع بن زياد وقد ألان له جانبه أن يخرج واحد منكم كل يوم إلى المرعى مع النوق الجمال ويحفظ أولاد الملك زهير المفضال ويقعد فهم ديدبان على رؤس الروابى والكثبان وهم يعلمون الحال وإذا رأو الربيع دهمهم على غفلة ومعه الرجال يعود إلى ويعلمنى بالأخبار فى الحال وأنا أريهم كيف يكون القتال فعند ذلك قال شيبوب السمع والطاعة فهذا ما كان من شيبوب وجرير ثم بعد الحديث الذى قد طول عليه قال له عنتر يا أمير مالك لايضيق صدرك ولا يشتغل سرك ودع أخاك كيف يشتهى فان أخاك يراعى بنو زياد لانهم جنوده وانصاره وأما عبدك عنتر فانه قضى الحاجة من غير علم قيس بن الأجواد واشفيت غليل بنى زياد (قال الراوى) فلما سمع مالك بن الملك زهير هذا الكلام لم يدر ما معناه وبقى حائرا وفكره قد تاه وقال له كيف ذلك يا ابن العم يامزيل الهم والغم فاخبره بقصة عمارة وكيف انه قبضه وانزل به الخسارة وانه عندهم فى الأثر والهوان يقاسى من العذاب ألوان فتعجب مالك من الأمر وقال والله يا أبا الفوارس لقد أشفيت الغليل من هذا الوغد الذليل والصواب أنك تقتله مادام أمره غير معلوم وحاله مكتوم فقال عنتر يامولاى نحن

ماقتلنا أحد من بنى زياد وجرى على قلب أخيك هذه الانكاد فكيف لو قتلت منهم أحد أو بذلت سيفى فيهم فما كان أخوك قيس يرجع يجاورنى ابدا ولكن الرأى السديد والأمر الحميد أن نبلغ ما تريد بتطويل الروح والمدارة بحسن الاسباب فنصير محمودين العاقبة عند الأقارب والأصحاب لأن عمارة وما بقى له فرح إلا بالدرع الذى أخذه من أخيك لأنه قد ضمن لى هذا من مد طويلة من الزمان وأنا إلى الآن ما اشتفيت من عذابه والهوان (قال الراوى) وبعد أيام من قبض عمارة وقع الصياح فى أطراف البيوت ودخل شيبوب على أخيه عنتر واعلمه بذلك الخبر وقال لهم قم والحق صديقك مالك بن الملك زهير قبل ان تلحقه إلا وهو هالك لأنه اليوم كانت نوبته لحفظ الاموال فشن عليه الغار الربيع بن الأندال وقتل من رجاله خمسة رجال وما أتيت اليك إلا وقد تركتهم فى أشد القتال فقال عنتر أى وابيك اليوم أريك قتالا تقر به عيناك ويعجبك ويرضيك ثم ركب فى الحال على ظهر جواده الابجر الذى قوائمه اقوى من الحجر ثم أنه بحسامه النظامى الأبتر الذى فى فرنده الموت الأحمر واعتقل برمحه الأسمر الذى يبقى ولا يذر وخرج من البيوت والخيام كانه أسد الآجام وحرك الجواد حتى وصل إلى الوادى الذى خرجت منه الرجال وفعلت هذه الافعال فمد عينيه فرأى الربيع بن زياد واقفا فى خمسة فوارس من رجاله والأقارب الباقى احتاطوا بمالك بن زهير من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب وعبيد الربيع تسوق النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الآمال ويأمل ان الرجال والأبطال تأسر مالك بن الملك زهير وتتجز فى هذا الحال (قال الراوى) فلما رأى عنتر هذا الأمر المنكر طار من عينيه الشرر وهدم وزمجر وشتم برمر وصارت عيناه مثل الجمر الأحمر وزعق على العبيد زعقة الأسد القسور فاقشعرت من هول صرخته الأبدان وتأخرت فكانه كان مختفيا بين الشعاب كانه حاسب هذا الحساب والدليل على ذلك أنه أتلفا وحده ما معه أحد من جنده فاريد منكم المعاونة لعل ان يبلغ قلبى مناه وأنال منه ما أتمنا الربيع الغبار وزعق زعقة الحمار وقد أراد أن يبارز عنتر الفارس الكرار والفرصة فى ذلك النهار وإذا باخيه ظهر من تحت الغبار وعقله وقد انسلب هو ينادى يا للعرب والله اضلاعى هذا العبد الزنيم الراعى . قال عنتر لما رآه باللعين طعنته قصف له ضلعين فلما سمع الربيع ذلك ذاب جسمه وزاد به الغضب والحناق وتمنى انه لم يخلق فى نفسه

الخبال وأيقن بخيبة الآمال وصاح فى عبيده وقال ويلكم يا بنى الأنذال سوقوا هذا الأموال حتى أخرج أنا إلى هؤلاء الأنذال وأنزل إلى هذا العبد المخذول وأقاتله قتال الفحول لعلى آخذ لاخى عمارة بالثار ونعود كلنا إلى الديار ثم أنه صاح فى فرسانه واطاق لجواده عنانه وإذا بالرجال قد ظهرت من تحت الغبار وهى طالبة الهرب والفرار هذا وعنتر قد فرق الفرسان يمينا وشمالا وهو يطعن فى أعقابهم طعن قتال الربيع يالله من يوم ما أبشعه ووقت ما كان أعظمه فيه أهلك هبا العبد فرساننا وأباد أبطالنا وأن كان يلحقه من بنى عبس النفير لا يترك من فرساننا لا قليلا ولا كثيرا ثم أنه التفت فرأى جميع الفرسان الذين معه هاربة وإلى النجاة طالبة فعاد للآخر يطلبه النجاة طالبة وطاب عرض البر والفلاة وايقن بحلول الوغا فعند ذلك نظر عنتر اليه ودرع الملك درع قيس عليه فاسودت الدنيا فى عينيه وأنقض عليه انقضاض الكوكب وجعله قصده والمطلب وضيق عليه البر والسبسب وطعنه بعقب الرمح فانقلب فنادى الربيع بالويل والثبور وعظائم الامور وقام على قدميه وقد أثقله الدرع الذى هليه فانقطعت منه حمائل حسامه فوثب كانه جمل انكسر عظم سامه وكان من خوفه أن يتقيأ ما شرب من أمه من اللبن وصاح باعلى صوته يا أبن العم لا تفعل وأنا فى جيرتك يا ابن الكرام الصنيعه الصنيعه أيها المقدام فصاح فيه عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام الآن فات الصنيعة يا ابن اللئام أخلع الدرع عنك وارجع بالارغام والاوحق الملك العلام خالق الضيا والظلام ومنشىء الاغم وجميع الانام ضربت عنقك بهذا الحسام وجعلت يومك أنحس الأيام فقال له السمع والطاعة يا العم يا مزيل الهم والغم اصبر حتى أخرج كمى منها ثم قلعها وسلمها اليه وظن أن روحه خارجة من بين جنبيه فعند ذلك تسلمها عنتر وعاد وقد بلغ المراد واشتفى غليله من بنى زياد من بعدما كان محزون وجاش الشعر فى خاطره فانشد وقال

إلا يا عبلة ضيعت العهودا ... وأمسى وصلك الماضى صدودا
ولا زالت صوارمنا حداد ... تقد بها أناملنا الحديد
وخلينا نساهم حيارى ... قبل الصبح يلطمن الخدودا
ملانا سائر الأقطار خوفا ... فاضحى العالمون لنا عبيدا
إذا بلغ الفطام لنا صبى ... تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد يداهيه الينا ... يرى منا جبابرة أسودا

تدير الطعن بالسمر العوالى إذا ما الحرب أنضجت الكبودا
وتضرم نارنا فى كل أرض تذيب العظم منهم والجلودا
ويوم البذل نعطى ما ملكنا ونملا الأرض أحساناً وجودا
أنا العبد الذى يلقى المنايا حقيقى فارس الهيجا بجيدا
وفى الآفاق ذكرى شاع جهرا وفعلى فى الوادى أضحى سديدا
ولى نجم سعيد من إله قديم قادر خلق العبيدا

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذا الشعر إلا وخيل بنى عبس طالعة من وسط الآكام وهم لبعضهم تابعين والملك قيس فى أوائلهم مثل الأسد العرين وما صدق أن يرى أخاه ومن معه سالمين فلما رآه هذا وعنتر قال له يا مولاى أتعبت سرك تخل عنك وعبدك عنتر يهلك عدوك ولقد خلصت لك درعك الذى كنت بسببه حزينا وقد أشفيت قلبك من أعداك وسأبلغك منهم مناك قال الراوى ففرح الملك قيس فرحا شديدا ما عليه من مزيد قال وكان السبب فى مجيئهم إلى هذه الفرسان الذين كانوا مع الأمير مالك أنهم كانوا خرجوا على عبيد الربيع المحتال فقتلوهم جميعاً وخلصوا منهم الأموال والنوق والمجال ولما رأوا عنتر فعل هذه الفعال رجع بعضهم إلى الملك قيس واعلمه بالحال فخرج على الأثر حتى التقى أبى الفوارس عنتر وجرى ما جرى وأما الربيع المحتال فانه رجع وهو خائب من كل جانب موجع الظهر من شدة الوقعة وما حصل له تلك الفجعة وأنه حين أمن على روحه من القتال جمع من معه من الرجال الذين هربوا فى الجبال وتركوه ممدودا على الرمال وكان أكثرهم ما خرج من وادى اليعمورية ولا حضر وقعة حربا ولا قتالا بالكلية فعتب عليهم الربيع ولامهم وقال لهم يا بنى عمى ما هذه الفعلة التى فعلتموها وما سضر تم هذه الوقعة ولا شاهد تموها ووقت الحاجة اليكم تخليتم عنى وخذلتمونى عن الرجال وقتال الأبطال فقالوا له وما تريد منا يا ربيع أتحب أن يقاتل معك ملوكنا ونشاقق بالعداوة ساداتنا وتثير الدماء ونبقى العداوة بيننا وأكثرهم أقاربنا وأزواجنا وما كذاك أننا جئنا معك إلى هذا المكان وتركنا لاجلك الأرطان قال الراوى فلما سمع الربيع ذلك المقال علم أنه ما ينال بهم غرض ولا يشفى بهم مرض فقال لهم يا بنى عمى إذا كانت هذه النية نيتكم وقد عقد تموها بينكم فارحلوا إلى ساداتكم فانى غنى عنكم ومن نصرتكم ولا حاجة لى بمجاورتكم فقالوا له نعمت مرافقتك وفى إستئمالك لى أمر الدتك ها نحن راحلين وإلى قومنا واصلين قال الراوى ثم انهم

عادوا إلى بنى عبس وكان وصولهم عند طلوع الشمس وقد اعتذروا من أفعالهم إلى بنى عمهم ونزلوا فى أماكنهم وأطلالهم وأما الربيع بن زياد فانه ارتحل إلى بنى فزارة الطائفة الغدارة فعلم عنتر برحيلهم فاطلق عمارة أخاهم بعد ما جازاه على أفعاله وقطع بالضرب أوصاله وكان قال له يا مذلول السبال وحق الملك المتعال لاتركنك طول العمر فى الاعتقال فلما قضى عنترا إربه قال له بعد ما قضيت الحاجة ما بقى فى اعتقالك من إرادة فسر إلى أخيك القرنان وذميم الافعال أفعل ما عندك فلا رحم الله أباك ولا جدك وأن فعلت شيئا فه أجازيك ثم أطلقه وهو لا يصدق بالنجاه لأنه كان آيس من السلامة والحياة (قال الراوى) وكان أخوه نزل على

التآمر على قتل عنتر من بنى فزاره

بنى فزارة معدن الخبث الطائفة الغدارة وأعاد على حذيفة جميع قصته وأطلعه على بليته وأخبره بفقد عمارة وما ناله من الذل والخسارة فقال له حذيفة ما كان يحتاج إلى نزولك فى وادى اليعمورية بل كنت تأتى إلى هاهنا ونحن كنا شدينا معك وحيناك وبكل ما تملك من أموالنا فديناك فقال يا حذيفة أنك غاية الآمال وعنتر سباله مذلول ولا تترك

تلك الفعلة لذلك الزربون الغدار الخؤون فعند ذلك قال حذيفة أما عمارة فما فات عنتر بن الانذال وما هو إلا عنده فى الاعتقال أو قتله وأخفاه بين آكام الرمال فقال الربيع والله يا السيد الكريم مالنا غيره خصيم لكن وحق الالة القديم وزمزم والحطيم لابد من التدبير على هلاكه ولو فنى جميع اخوتى ومن يلوذ بى من أهلى وعشيرتى فبيناهم فى تلك العبارة إذ قد وصل اليهم الأمير شرف الدين عمارة وهو على تلك الحالة التى وصفناها والقصة التى عرفناكم إياها فصعب ذلك على الربيع وعلى أخوته وبكوا حين رأوا تغير صورته وسألوه بعد ذلك عن قصته وما جرى له فى غيبته فاخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة إفادة فصعب ذلك الربيع وعلى بنى فزارة الجميع فقالت أمه فاطمه أنت يا ولدى ما فرغت معارضتك لعنتر وما كفاك هذه المصائب والعبر فقال لها عمارة ياأماه والله ان القتل اهون على مما لاقيت من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن وحق ذمة العرب لابد لى أن أهلكه وآخذ عبلة وأبلغ منها ما أريد فقال الربيع بالله ياأخى اقصر عن هذا الكلام فقد افتح لى باب أبلغ به كل الارب وبعد ذلك تشتت بنى عبس عند كل العرب ثم أنه وقف قائما على الاقدام واخذ يدبر الحيل ويتقن العمل وسيكون له معنا كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه وأما ما كان من بنى عبس فانه قد أتاهم خبر من السفار ان خالد بن جعفر جمع عليهم عرب البرارى والقفار وأنه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمة فارسل معهم أخاه عبدالله فى جيش كبير من بنى خشعم وهوزان وجمع لهم أربعين ألف عنان وهم الجميع طالبون اليكم وقادمون عليكم فخذوا اهبتكم للحرب والقتال والا أرجلوا إلى أعلى الجبال يحمى لكم الحريم والعيال وأيضا وصل الخبر إلى بنى فزارة فانفذ حذيفة إلى الحارث ابن ظالم يطلب منه النصرة بنى على عامر واخبره بما جمع خالد بن جعفر فى هذه المرة . وقد طلب حذيفة الربيع لان يساوره أن كان يرحل أو يقيم فى أرضه فلم يجده فسأل عنه من أخوته ومن فرسان قبيلته فقالوا أنه من منذ أيام أخذ أخاه عمارة وطلب هلاك عنتر بن شداد وإلى الآن ما عاد فقال حذيفة نحن فى شىء الربيع فى غيره ثم أنه أمر قومه أن ياخذوا أهبة الحرب والطعن وبقى منتظرا من قيس رسولا يقول له كيف يدبروا وماذا يفعل وفعل قيس مثل ما فعل حذيفة لما ابلغه ما جمع خالد بن جعفر وكيف أنهم انقسموا قسمين كل قسم عشر بن الف فارس أقال قيس كذب فعله وخزى شيطانه ولعن سباله ثم أنه جمع بنى عبس وفرق عليهم الزرد والدروع والسلاح وآلة الحرب والكفاح وبعدها طلب عنتر ليأخذ معه فى المشاورة فما وجده ولا سمع له خبر ولا جلية اثر فقلق لذلك وتحير

وأخذه لاجل ذلك الفكر والضجر فاحضر أخاه جريرو سأله عن حاله فقال له يا مولاى من مدة ليال صاح به صائح فى غسق الظلام طلب منه النجدة والذمام فركب يا مولاى وأخذ معه أخاه شيبوب وإلى الآن ما عاد قال الراوى فعند ذلك صعب على قيس ودق يدا على يد وقال والله لقد فقدناه فى أضيق الاوقات ثم أنه أشار على أخوته وأعمامه فيما يفعل وقال قد رأيت انى أرسل إلى بنى فزاره تاتى إلى ههنا بالمال والعيال وتكون على الاعداء عصبه مساعده فقالوا له ما رأيت الا الرأى السديد فقال الامير مالك لاخيه يا أخى لا نرسل إلى بنى فزارة مادام الربيع فيهم فقال جماعة الملك قيس هذا الرأى الذى قاله أخوك هو الصواب ثم بعد ذلك أشاروا على قيس بارسال الرسول فارسل من يومه إلى بنى فزارة يامرهم بالمجىء قال الراوى وكان حذيفة بن بدر قلبه على الربيع ملان فزعا فما عاد ولا وصل الا فى اليوم الذى أتى فيه رسول قيس وكان وصوله هو وأخوه عمازه بالليل وكان سار معهم أربعين عبدا فما رجع الجميع واحد من الغد بلغ الامير حذيفة مجيئه وسأله عن حاله فقال له بلغت المقصود من عنتر بن شداد واهلكته بحيلتى وهلك معه أربعون عبدا من عبيدى وعبيد أخوتى لاننا ملكناه وعولنا على قتله أخذنا خيل غائرة وفرسان سائرة وكانت أكثر من مائتى فارس فاهلكوا باقى عبيد اخوتى وعبيدى واخذه معهم طلبوا به عرض الفلاة وقد عمنا أنه مقتول وايقنا بقلوغ المأمول والمنا بلا أطاله فلما سمع حذيفة بن بدر مقالهم قال وحق البيت الحرام أن بلوغ الانسان فمناه يساوى الدنيا ومافيها قال الراوى ثم أنه اطلعه بالاخبار التى سمعها عن خالد بن جعفر ثم استشاره فيما بعد وهل يقيم فى داره ام إلى بنى عبس يرحل واعلمه برسالة قيس بن زهير المفضل فقال له الربيع يا ابن العم لا نفعل دعنا ههنا نحمى حريمنا وعيالنا وأطفالنا ودع فيسا يدبر امرة كما يريد لاننا اظهر منه وأقوى لاسيما إذا وصل الينا الحارث بن ظالم فى جنى مرة الملك قيس قد علم بعدم عنتر فى هذه المرة فاسمع منى ودفع قيسا ينفصل بنفسه حتى يرى بعينه المدلة ويعلم اننا كما نحميه وتحفظ له أرضه ومراعيه وانه لا يقدر ان يلقى اعداء ويقيم فى أرضه ومرباه فقبل حذيفة ما قاله الربيع بن زياد وسمع رأيه واعتمد عليه ثم انهم اتفقوا على أن يردوا رسول الملك قيس خائبا فرده وكان الجواب لرسول قيس من الربيع أن قال له ويلك قل للملك قيس يحمى نفسه ويحفظ مراعيه كيف أوادهو وعنتر بن شداد الذى يقول أنه حاميته ويدع بنى فزارة تدبر أمرها وهى تعاونه على بعض أعداء وأنه لولا عنتر لكان بينهم وبين بنى فزارة معاملة ولا كانت صحت عداوة خالد بن جعفر

وبنى عامر الاكابر قال الراوى فلما وصل رسول الملك قيس بهذا الجواب وفهم هذا الخطاب استصوب الجماعة وقيس رأى مالك فى الأول وقوله لا ترسل إليهم رسولا فقال الملك قيس لعن الله الرباع بن زياد لأنه ماخلع لباس الكبر من رجليه ولا نزول بعضنا من قلبه حتى تدور الدوائر عليه وما زالوا على ذلك الأمر حتى وصلت اليهم بنو عطفان قال الراوى فلما وصلوا ترحب بهم الملك قيس أنزلهم فى أعز مكان وشاوروا حسان فى أمر القتال فقال له يا ملك الصواب رحيلنا إلى اعدائنا لأن ذلك أجود لنا فقال قيس هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم جعلوا يدبرون أمورهم حتى سمعوا أن الأعداء قد قاربت أرضهم فرحلوا فى ثمانية آلاف فارس ما منهم الأكل ولابس الزرد والعدد متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين على خيول العربية إلا أن الجميع مستوحشين لغيبة عنتر بن شداد لاسيما أسيد بنى جذيمة وعروة بن الورد ومن كان يحب عنتر صار يتعصب عليه قال الراوى ثم ساروا الناس فى ذلك اليوم حتى أمسى المساء ونزل بهم الملك قيس وقال يا بنى عمى خذوا اهبتكم من هنا للحرب والقتال فما يمكننا أن نبعد عن الحريم والعيال أكثر من هذا الحال قال فعند الصباح طلعت عليهم نواصى الخيل وثار عليهم الغبار حتى بقى النهار مثل الليل وصاح خالد بن جعفر فى بنى عامر وقد وصلت الجيوش والعساكر وظهروا من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب واهتزت الأرض من ركب الجنائب وتزاحمت الصافنات واهتزت الجبال من كثرة الصياحات والزعقات ونادى خالد بن جعفر الاما اباركه من صباح وحمل ملاعب الاسنة وطلبت فرسان العرب الحرب والكفاح ونادت بنو عبس بانسابها المتصلة وتلقت جميع الفرسان المقبلة واشتبكت الرماح مثل آجام القصب وكثر الركب والخبب حتى كادت الجبال بهم تنقلب وفتكت الاسياف فى الدروع واللبب وجرى الدم والكعب وعظم الويل والحرب واشتد الغيظ والغضب وهان المال والمكسب وافتخرت سادات العرب ودنا الاجل واقترب وزادت الوسواس والكرب قال الراوى واصطفت الخيل فى الصدور وبان صبر الصبور وقطعت الايادى والنحور وسفكت الدماء على الأرض وهتكت الستور وحامت على القتلى الجوارح والطيور وتقابضوا باللحا والشعور وظنوا أنه يوم البعث والنشور وقد بعث الله من فى القبور فسبحان العزيز الغفور وصاح خالد بن جعفر الثار الثار وأظهر ملاعب الاسنة منعته بضرب البتار وصدمت القبائل بنى عبس تحت الغبار واندفقت عليهم مثل موج البحار واندهش الشجاع وحار وهربت الاشرار وقدمت الاخيار وماصدقوا

بانسدال الليل ومضى النهار حتى نزلوا وقد أبصروا ما حيرهم فقال قيس يا بنى عمى ما كان رحيلنا عن الحريم بصواب لأن بين أيدينا خلق كثير ولو سار أحد منهم إلى حللنا تركها قاعا صفصفا وما فى الأمر إلا أننا نعود إلى العيال ونقاتل دونهم بعد فقد حاميتنا عنتر وصعب علينا ماجرى لنا قال ثم أقاموا حتى رقد من الليل هجمة وركبوا فصاح خالد وسار فى آثارهم إلى الصباح وقد زاد طمعه فيهم فلما رأوهم قد أقتفوا آثارهم وقع بهم شدة الفزع لما رؤوا الاعدا ثم انتشب الحرب بين الفريقين ووقعت المقاتلة بين الطائفتين وصارت طائفة بنى عبس تقاتل عن أنفسها وتدفع وصارت الجماجم تتطاير وسيوف المنايا تقطع وكادت الخيل من تحتهم أن تقع وانقطع طريق الطمع وسال الدم وهمع والنساء تنادى باسم حاميتهم عنتر ويصحن صياحا منكرا ويصرخن صراخ من فجع بحاميته هذا وعبلة قد وكفت دمعها وهمع وقطعت شعورها من الحزن والجزع وتهتكت من حولها النساء وكشفن كلهن الشعور بما داهم من عظائم الامور ونادوا يا بنى الأعمام أين البطل الغيور أين من كان يستر الحريم فى مثل هذا اليوم المشهور وقالوا يا بنى الاعمام ولا تتركونا فى قبائل العرب حوارا خدام واسبياه وافضيحتاه واغربتاه هذا القتال بعمل والدم ببذل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل والبلاء على بنى عبس قد نزل وغشم بن مالك قد حمل وقتل الشجعان وما أمهل قال الراوى وعند آخر النهار كشف الملك قيس رأسه والقى ما كان عليه من لباسه ونادى فى بنى عمه وأخوته ياويلكم يا بنى جذيمة تختاروا الحياة والهرب وتخلوا نساكم سبايا مع العرب ثم أنه حمل واستقتل وفعل أخوته مثل ما فعل وحمل عروة بن الورد ورجاله ودام السيف يعمل والدم يبذل حتى دخل الليل فأفرقوا عن بعضهم البعض وقد انكسر بنو عبس إلى الخيام وكذلك بنو غطفان وقد أسروا منهم مائتى وخمسين فارس على يد ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل قال ولما هدا الليل زاد بكاء الاطفال والنساء وكان أعظم حرقه وأكثرهم مشقة عبله بنت مالك بن فراد لفقد حاميتها عنتر بن شداد قال الراوى وكان أكثر الرجال آيسوا من قيس وبنى جذيمة جميعا لان ملكهم بعد عنتر قد زال وانهدم وعلموا أنه أشرف على الهلاك وبعدم وقال قيس وحق ذمة العرب ما كانت هيبتنا الا بعنتر فياليت شعرى أين هو من آثار القضاء والقدر وما أصابه من الأمر المنكر ويا هل ترى يعلم ما وقع فيه بنو عمه من هذا الضرر وما حل بعبلة من الخدر والقضاء والقدر لهذا ما جرى لهؤلاء من الخبر وأما ما كان من بنى فزارة الغرر فانه دهمهم عبدالله بن الصمة اخو دريد فى عشرين الف فارس من العرب وكانوا قد تبعوه فى طلب المال والمكتسب

فقاتل بنو يزارة أول يوم والثانى ونزل عليهم التعس والنكس وكانت مصيبتهم أعظم من بنى عبس وما كانوا مستظهرين إلا بالحارث بن ظالم لأن الفارس الجيد إذا كان فى طائفة حماها وكان الربيع بن زياد قد نصح فى هذه الوقعة هو واخوته فى القتال وكان فى فرحتهم بفقد عنتر بن شداد ووقوعه فى الشدائد والانكار قال الراوى فهذا ماجرى لهم واسمع ما كان من أمر عنتر وذلك أنه بعد أخذه الدرع من الربيع الصقيع وجرى لهم ماجرى وأطلق عمارة الربيع فبينما هو ذات ليلة من بعض الليالى أراد أن ينام وإذا هو بصائح فى جنح الظلام هل من مجير من نصير أين أصحاب النخوات أين أصحاب العزمات أين من يغار على البنات العربيات يا أبا الفوارس ألحقنا ومن هذه البلية خلصنا فانا بك مستجيرا ياذا البأس الشديد بأن الأعداء سبوا حريمى وعجزت عن لقاء غريمى قال فلما سمع عنتر ذلك الصوت فى الليل الهادى ألم قلبه نداء هذا المنادى فعند ذلك صاح على أخيه شيبوب وقال له قدم إلى الجواد يا ابن الأم فقام شيبوب وشد عليه عدته فوثب على صهوته وسار مع الرجل المستجير به لأن العرب فى ذلك الزمان كانه كما قيل فى حقهم هذه الأبيات :

قوم إذا نادى اليهم خائف ... لبوه قبل سؤالهم عن حاله

وحموه من أعدائه حتى يرى ... شهما عزيزا عندهم بعياله

قال الراوى ومازال يركض خلف ذلك الرجل حتى مضى أكثر الليل فعندها ناداه عنتر ياوجه العرب قف الآن واخبرنى بحالك ومن هو الذى أخذ مالك فعند ذلك بكى الرجل وقال أنا رجل من بنى شيبان ولى اتصال بالامير بسهام وكان معى بنت عمى وابنتى وكنا سائرين إلى بنى مرة لاختى شقيقتى فلما وصلت إلى ها هنا طلع على عشرون فارس فحرمونى وأخذوا حريمى ورجعوا فهذه شكواى وأنا قد سمعت بذكرك وأنك كثير الغيرة فقصدتك وأنا مستجير بك أيها البطل الكريم وأريد منك أن تبلغنى المراد كما سميت عنتر بن شداد قال وكان هذا الأمر قد دبره الربيع ابن الأوغاد وأرسل هذا الرجل واعلمه أن يقول هذا المقال وسار هو وأخوه عمارة فى أربعين عبدا شداد وكمنوا إلى أن يأتى مع الرجل الذى سار اليه حتى يطعموه بالاحجار الثقال ويقيموا فى وجهه الحصا والرمال فلما وصل عنتر عندهم وصار فى وسطهم صاحوا عليه من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب فصاح يا بنى الروانى والله لاسلمت لكم روحى أبدا حتى أشفى فؤادى منكم بالردا ثم قفز بالجواد فتعثر فعرف شيبوب أنها حيلة فاراد أن يرمى

بنبال فدهمته الرجال ودابة من اليمين والشمال فسل الخنجر وهجم عليهم فقتل منهم خمسة عبيد وقاتل قتالا شديدا حتى جرح وتكاثرت على عنتر الرجال وكان بعضهم معلقا فى الجبال ومعهم الاحبال فقدموها أقدام جواد عنتر فتعثر ورموه بالاحجار واخذ الانهار ثم أنه ترجل عن الابجر خوفا عليه وسل حسامه وغاص فيهم فى سواد الليل والغسق وضرب فيهم ضربا يورث البرار والقلق حتى كثر عليه رمى الحجار مع الصخور الكبار وأشرف على الهلاك والاخطار وهو صابر صبر كرام من جال حتى قتل عشرة من العبيد اللئام ولكن مع القضاء والقدر أتاه حجر من الاحجار الكبار فرماه على وجهه فى القفار فعند ذلك ركبت العبيد عدره وملكت فياده وأسره وأتاهم الربيع وعمارة وأعانوهم عبيدهم على هذه العبارة وشدوه على ظهر الجواد وخرجوا به من فم ذلك الوادى وكان الفجر قد طلع والصبح قد أسفر فعند ذلك قال الربيع الزنديق اعلوا بنا إلى رأس هذا الطريق حتى نلعب فى جسده بالسيوف والمزاريق (قال الراوى) ثم أن عماره وشجه بالسوط على اكتافه وزاد بالضرب عليه حتى انغاظ عنتر واحمرت حمالق عينيه فانقلب على صفحة قفاه وناول عمارة بالكعب فحكم فى عين ثقبته فوقع إلى الارض وصار على أعلى ما فيه رجلاه وبقى حاله عبرة لمن يعتبر وبعد ذلك قام على حاله والبول يتقاطر من ذيله فصاح عليه عنتر صيحة أرجف بها فؤاده وقال له ويلك يا طنجير هذا الضرب لا يصلح لمثلى وانما يصلح لمثلك أنت لانك طنجير وأما انا فيصلح لى ضرب الحسام من يد فارس همام فى مثل هذا البر والآكام فو الله ما تركت العرب منكم أحدا من بعدى فقال عمارة يا أخى أنا عولت أن أقطع يديه ورجليه لاذيقنه التنكيد وأخليه فى هذا البر يقاسى العذاب الشديد فقال الربيع لاخيه عمارة افعل به ما بدا لك وعد من قريب (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الحال وإذا هم بعشر فوارس قد طلعت عليهم من صدر البر فتأملوها وإذا بعشرين أخرى وهى من وراءهم تركض وإذا بثلاثين وفرقة أخرى خمسين ومن خلف الجميع غبارا زائدا يدل على جيش كبير يبلغ مقداره الفا وماتين فقال عمارة يا أخى هذه وقعه مثل الطين قال الطين قال الربيع ويلك يا عمارة أقتل هذا المذلول عنتر وارجع بنا إلى أهلنا قبل أن يأتينا من يشغل قلوبنا فعتدها شال عمارة يده بالسيف وهم أن يضرب به عنتر فصهل جواده الابجر ومر مر السحاب إذا انحدر وطلب الخيل المقبلة فى البر الافقر لانه كان معودا من صاحبه بطلب الفرسان إذا أبصرها وكان الفجر قد طلع وابصرته

الخيل هؤلاء فى ذلك البر حائرين فطلبوهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل السلاهب وقد موا نحوهم الرماح واكثروا من حولهم الصياح ثم أن الربيع لوى عنان جواده وطلب الأهل والديار وكان قد بقى معه عشرون عبدا من الذين كانوا معه فشالوهم الفرسان على اسنة الاشطان وتقدم مقدم القوم إلى عنتر ونظر إليه فعرفه وعرف أخاه شيبوب وقد كان رقبته فى حبل طويل وهو مع العبيد الذين هم الربيع وهو مغلول اليدين ولما أن ملكته العبيد كانت الفرسان به دائرة فما قدر على الهرب لاسيما وأخوه مشرف على العطب بل صبر وأراد أن يبصر ما يجرى عليه من هؤلاء الفرسان الذين داروا حواليه بعد أن كانوا أعداء أو أصدقاء ومن أى العرب هم بين العربان (قال الراوى) وكانت هذه العربان من بنى خولان وقد أتوا من أرض بارق فى طلب المعاش والمكسب فلما أن سمعوا بان أرض بنى عبس وقبائلها قد اخثغت وأن العرب طلبوهم مع خالد بن جعفر من كل جانب أتوا إلى ذلك المكان لعل أن يكسبوا شيئا من المال فوقعوا بالربيع وعمارة هؤلاء العبيد وعنتر وشيبوب ففرح المقدم الذى عليهم وقال لقومه أبشروا يا بنى الأعمام ببلوغ المنا بلا تعب ولا عنا واعلموا أن هذا الفارس حامية بنى عبس عنتر بن شداد واعلموا أن الملك صفوان صاحب أرضنا فى قلبه منه حرارات واحقاد لأنه قتل له ثلاثة أولاد وإذ سلمناه اليه بلغنا منه المراد فعندها أخذوا عنتر وشيبوب وقصدوا بهم أرض بارق . قال وكان الربيع وعمارة فى ذلك اليوم يأكلان كفيهما ندما الا أنها أيقنا أن الذين أخذوا عنتر ما بقوا يبقوا عليه واستمروا سائرين إلى أن وصلا إلى بنى فزارة واخبرا حذيفة بما جرى فامضى الأيام قلائل حتى وصلت اليهم قبائل العرب مع عبدالله أخى دريد وجرى لهم ما جرى . هذا وقد جدت بنو خولان بعنتر حتى وصلوا إلى أرضهم وشدوا الأمير عنتر فى اربع سكك من حديد وكلوا به جماعة من العبيد ثم أخذ مشاجع معه جماعة من ساداتهم (قال الراوى) لهذا الكلام المعتبر وبعد ذلك تسامعت نساء الحى بقصة عنتر وتواصفوا عظيم خلقته وهول صورته فصاروا يأتون اليه جماعة بعد جماعة وينظروا ولعظم هيكله هيئته ويتعجبوا كل العجب لأن الشجاعة لائحة بين عينيه وقد شاعت فروسيته فى جميع الأقطار واخباره قد سمعت بها العبيد والاحرار وكل آحر من دخل عليه عجوز كبيرة وهى غريبة من ذلك الحى وهى عند هؤلاء القوم نازلة ولما أ دخلت عليه ونظرته وعرفته فعند ذلك انكبت عليه وصارت تقبل اسافل قدميه وتقول له عز على يا أبا الفوارس أن أراك فى الحالة وقد طرقتك طوارق الزمان وصابك هذا الحدثان فقال لها

الحى ونساء الأمير مشاجع يا عجوز من أين لك بهذا العبد معرفة وما الذى بدا لك من الجميل حتى انك تبكين عليه وتقبلى قدمه فقالت يا حرائر العرب لا تقولوا عبد فوحق الرب العظيم رب موسى وعيسى وابراهيم ما على وجه الأرض أفرس منه ولا أشجع من هذا الفارس ولا أكرم منه فقالت زوجة الأمير مشاجع يا عجوز أما شجاعته فقد سمعنا عنها وهى مشاهدة على أعطافه ولكن أعلمينا أنت بالذى رأيت من كرمه فقالت لها أما كرمه ومروءته فأوفى من شجاعته وأنا أعلمك بما وصل إلينا من إحسانه وأذكره ملك وهو أزولدى انتم تعرفون حسنه وجماله وأنا مالى غيرهم وأنه لما أراد أن يتزوج بابنة عمه طلب عمه منه المهر فأخذ معه جماعة من بنى عمه وسار فى طلب المعاش والمكسب لأجل العروس والوليمة ولما أن سار أغار على مال هذا الفتى وساق من حماله قطعة واراد أن يسير فلحقه هذا الفتى فاستخلص منه الأموال وأخذه أسيرا فى حالة الذل والسكال فبكى ولدى بين يديه وقد شكا ما يجده من محبة بنت عمه اليه وعشقه لها وأعلمه أنا ما أتى بخاطر بنفسه الا بذلك فلما سمع هذا الفتى كلام ولدى وشكواه رحمه لبكاه وحل عقاله وأعطاه الجمال التى قد غار عليها وزاده فوقها مائة ناقة وقال له خذها وارجع إلى أمك واهلك وتزوج ببنت عمك ومتى أتاك الفقر فعد إلينا سريعاً ونحن نعطيك ما تطلبه ثم إنه ودعه ورده بجميل منه فعاد ولدى بالمال الذى اعطاه له هذا الفتى وقد دخل على بنت عمه وإلى الآن ونحن نعيش فى فضلة وخيره وإحسانه وأعلموا أنه ما فى قبائل العرب من هو مثله فى الحرب ولا الشجاعة (قال الراوى) فلما سمع النساء منها ذلك المقال تعجزا من مرارة عنتر وصاروا يتقربون إليه بالطعام ويرفقون به عند الكلام وقد نفسوا له ذلك الشد والرباط وصاروا يفرشون له الفراش ويخدمونه إلى أن ينام وقد اجتمع عنده اكثر النساء يسألنه عن عمله وهو يشكو اليهن محبتها وقد باتوا عنده تلك الليلة (قال الراوى) ولما كان عند الصباح طلعت على القوم نواصى الخيل العادية ولمعت اسنة الرماح وبريق الصفاح وفى أوائل الخيل فارس جبار واسد مغوار لا تخمد له نار وهو ينادى بأعلى صوته يا مارية لمثل هذا اليوم كنت له فى الانتظار حتى ابلغ منك ما تختار ثم أنه بعد صياحه وصرخ وصدم الرجال والذين كانوا معه ودخلوا الخيام وداسوا الأطناب وقد وقع السبى فى الكواعب الاتراب وقد اشتد عند ذلك المصاب ونشرن الشعور ولطمن الخدود ودقوا على الصدور وقد فزعوا من عواقب هذه الأمور (قال الراوى) وكانت هذه الخيل التى كبستهم مع رجل وهو من شياطين العرب الكبار يقال له مبادر ابن جارح الأسود وكان يهوى مارية بنت الأمير مشاجع الذى عنتر فى اسره لانها ذات حسن وجمال وقد واعتدل وفصاحة مقال وقد وصل وصف حسنها فى مبادر فارسل إلى

أيها خاطب فرده خائب أخبره بتلك المصائب قال ومن شده ما جرى عليه احضر أمه بين يديه وشكا اليها خيانته فقالت أنا أعلمك بشيء وهو أنك تحتال على البنية إلى أن تراها فان أعجبتك فاجمع العساكر وقاتل أهلها وأباها وإن لم تقع بخاطرك فاتركها وأرسلها وخذ من بنات أعمامك أحسن منها وذلك يغنيك على اتصالك ببني خولان واعلم أن البنات كثير لمثلك قال فلما أن سمع مبازر الكلام قبل ما أبدته أنه له من المرام وسمع مشورتها وقد رأى أن كلامها له صواب فمن يومه قلع ما كان عليه من الثياب ولبس غيرها وسار في القوم في زي فقير من فقراء العراب وقد تحايل على الجارية حتى رآها وأبصرها بعد أن قعد ثلاثة أيام وهو بين خيامها فارتعدت فرائصه فراجع وقد شرع في جمع الفرسان من قومه وهو يطلب النصر من رب السماء وقد صار يطرح نفسه على جميع الحلماء والأصدقاء إلى أن اجتمع له هذا الجمع فارسل بعض عبيده إلى حي بنو خولان ليكشف له هذا الخبر فغاب برهة من الزمان ثم عادوا واعلمه أن الحي من الفرسان وان مشاجع غائب في أطراف أرض بني بارق في جمع بنو خولان فاجمع رأيه على اغتنام الفرصة وسبي مارية وأخذها غصبا قال الراوي ولما أن وصل إلى الحي هجم حتى وقع الهم في البيوت وقد علا الصباح من سائر الجنبات وما قدر أحد يرده من الفرسان فخافت البنات والنسوان السبي والانتهاك وكان أكثر البلاء والهوان والمصائب في أبيات الأمير مشاجع لأنهم قد علموا بالقضية التي جرت وأنه من تحت رأس مارية فخافوا من العار والفضيحة والشقار وصارت مارية تنادي وهي مكشوفة مهدرلة الذوايب وتقول واذلاة واقلة ناصراه رفضيحناه اليوم تحكم فينا الأعداء ونلبس العار ونبلى بالردا ونبلى قال الراوي فلما أبصرت العجوز المقدم ذكرها التي عرفت أنزل الحي بعنتر وذكرت لهم ما جرى لولدها على يديه من الميكرمات وما جرى على القوم علمت أنهن مسبيات فانت اليهن وقالت ياحرايرالعرب ما بقى لكن إلى الخلاص من سبيل ولا لكن مهرب ولا ينجيكي أحد من العرب لا رأ أهلكن ورجا لكن الجميع غياب وما في الاعتال فا لكن إلى أن تدخلوا على هذا الفارس المنتسب الذي هو أفضل من ساير العرب في الفروسية والحسب والنسب وتستجيروا به وترموا أنفسكم عليه وتخضعوا بين يديه ثم تسألوه النصر والمعونة وتطلبوا منه الذمام فان انتصر لكن فهو قادر والله على هلاك هذه الأعالاء ولو أنهم بقدر عدد رمل البيداء لأن فيه النخوة والحمية والمروة والغيرة على الحريم (قال الراوي) فما أنمت العجوز هذا الكلام حتى صارت الخيل العادية معهم في الخيام وخرجت البنات الكواعب الأتراب بالشعور والذرايب وندبت النوادب

وعظمت المصائب وخرجت النساء هاربات ودخلن على عنتر فى الأبيات وصرن يقبلن يديه ويترحمن عليه ويقلن له يا حامية عبس وعدنان ارحم ما ترى من حال النسوان وأجرنا من غدرات الزمان ثم أن مارية قالت يا أبا الفوارس أجرنى بمادهانى وساعدنى على به الزمان رمانى ثم أجرت دموعها وزاد نحيبها فاغتم عنتر عليها وعلى ما نالها وقد سألها عن حالها فاعادت عليه جميع ما جرى لها فلما سمع عنتر ذلك الكلام من الحريم صعب عليه فعال هذا اللئيم فقال عنتر أطلقونى وأنا أردعنكن هؤلاء العدا وأسقيهم كؤس الردا فقالت النساء نحن خائفون من الجانبين أن نحن أطرقناك نقصد أهلك ومرباك وان نحن خليناك تسبنا الأعداء عن آخرنا فقال عنتر يا بنات وحق من أوسع الفلوات العالم بما مضى وما هو آت الذى فجر الانهار واجرى البحار وخلق الليل والنهار وزين السماء بالفلك الدوار المعبود إن اطلقتمونى من الأغلال والقيود لا أتركم حتى يفعر بى ما يشاء الملك المعبود فلما سمعت النساء كلامه ومقاله وقد صح عندهن أعماله تقدمن اليه وخلصن الحديد من يديه ورجليه واحضرن له عدته وسيفه وجحفته وقلن له أما جوادك فانه أول ما سمع صهيل الخيل فما أمكن أحد أن يتقدم اليه إلا ويقتله برجليه فقال عنتر صدقتم لأنه معتاد من صاحبه إنه إذا نظر الخيل نزل فيها نزول السيلى ولكن اطلقوا أخى شيبوب فانه يأتى به فعند ذلك اطلقت النساء شيبوب فقام إلى الأبجر ومسح ناصيته وأتى به مسحوبا وكان عنتر غارفانى لامته ولا يساعده فقفز من الارض حتى بقى على صهوته ونظر إلى الخيل وتبسم تبسم الكرام إلى الاحباب وصاح صيحة الأسد إذا خرج من الغاب ودمدم كانه الرعد فى السحاب ونادى يا أوغاد غير اجواد أنا عنتر بن شداد شجاع المعامع والطراد ثم أنه حمل وارتمى كانه صاعقة من السما فابلى الاعداد بالويل والعمى وأبا الفرسان واستخلص منهم النسوان واخرج الابطال إلى خارج الخيام وقتل أحد عشر بطلا هام وصال وجال وأنشد وقال .

إذا ما كنت فى قوم نزيلا ... وامسوا خائفين من الأعادى
فلا قبضت كعوب الرمح كفى ... ولا كحلت جفونى بالوقاد
أسرت بحيلة وقضاء رب ... له بطش شديد فى العباد
يسوق العبد رغما فى زمام ... إلى طرق الهلاك أو الرشاد

(قال الراوى) وهذه الأبيات مما استدل بها على أن العرب أصحاب المفاخر والرتب فرسان الجاهلية قديما يعرفون ان لهم خالق يحاسبهم على الدقائق ولذا أشار زهير بن أبى سلمى فى قصيدته المعلقة على البيت الحرام حيث يقول هذا الكلام .

ولا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفى فمهما تكتموا والله يعلم

(قال الراوى) وقد ذكرت علماء المسلمين دائرة الدين أن سائر من تقدم من الأمم زمن أبى البشر آدم يعتقدون أن الله هو الواحد الديان عظيم السلطان رازق قديم معروف من القدم واجب الوجود غافر الزلات ومحرك الحركات أبرز الخلق من العدم لكنهم أختلفوا فى طريق عبادته فاعترفوا بالتقصير لما كلفوا أنفسهم معرفة قدره فيتبعوا فيما كلفوا وما زالوا سايحين فى بحر الضلالة وهم تائهون فى ظلمات الجهار حتى بعث النبى ﷺ باوضح الرسالة وأصدق المقالة الهادى إلى الطريق الأقوم بكلامه الأحكم الصادق المصدوق فى أحكامه الذى وعد المؤمنين بالشفاعة يوم القيامة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة وسلاما يرجو بهما الكاتب والقارىء والمستمع من أمته السلامة ما عنت فى الأيك حمامة وما تناسب الأمم يوم القيامة وهو الذى يقوم من قبره وينداه على حشا ويزعج أهل الموقف بنداه ورجاه وينادى يارباه أرحم من أمتى العصى ولا تشمت بهم الطغاة البغاء فان كانوا عصوك فقد وحدوك وما عصوك إلا طمعا فى كرمك لما عرفوك ثم يسجد ﷺ تحت ساق العرش فلا يرفع راسه حتى يغفر الله لأصحاب الكبائر من أمته فيسمع النداء من العلى الأعلى يا محمد ارفع رأسك فقد شفعناك فى كل من نبعك وصلى عليك وعرفك حق معرفتك وهو الرسول المكرم والنبى المعظم اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله وأصحاب الكرام إلى يوم الدين آمين (قال الراوى) ثم أن عنترة لما أخرج الفرسان والأبطال من الخيام وبذل فيهم وحمه والحسام ورأى مبادر عنترا قد قتل وفعل يا بطاله مافعله فانقض عليه أنقضاض الموت المعجل وناداه ويلك من تكون من الفرسان وإلى من تنسب من الشجعان من قبل أن أقطع رأسك وأخمد أنفاسك فلما سمع عنتر ذلك المقال صاح فيه يا أبن الأندال أنا فارس عبس وعدنان وحامى الحريم والنسوان ويلك اترك الغنيمة وأرجع إلى ديارك والأوطان قبل أن تشرب من العذاب ألوان فتبسم مبادر من كلامه وزاد به عظيم اهتمامه وقال له ويلك أنت تدعى الكرام والفتوة والفخر والمروءة وتأتى من أقصى البلاد تأخذ من يدى غنيمة فارجع إلى ديارك تعجيل بوارك فقال عنتر صدقت يا نسل الأشرار ان البعى مصرع ولا يجلب لصاحبه منفعة وهذا من جملة بغيك لأنك عالبت من الرجل ابنته فارضيت أن تكون لها أهلا لخنثت تسبيها فى عيبته وتحرق جرمته فهذا يا نسل الحرام فعل اللئام ثم أنه حمل وجال وصال وأنشد وقال

ألا أيها المغرور بين العـــوالم ... أتتك كؤس الموت فى حد صارمى
أنا عنتر العبسى قسورة الوغا ... مبيد الأعادى عربها والأعاجم
فابشر فهذا اليوم تبقى بجندل ... وتبقى طريحا للنسور القشاعم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه عمد مبادر شعره ونظامه قوى عزمه وجنانه وأطلق عنان حصانه وقوم سنانه وحمل عليه وصال وجال وأشار برد أبياته عليه يقول

أتاك همام فاق كل العوالم ... خبير بطعن الرمح ثم الصوارم
أيا وغد عبس لاتكون مقاتلى ... فتصبح نهبا للنسور القشاعم
فسوف تذوق الموت من حد صارمى ... وطعنات رمح ماله من مقاوم

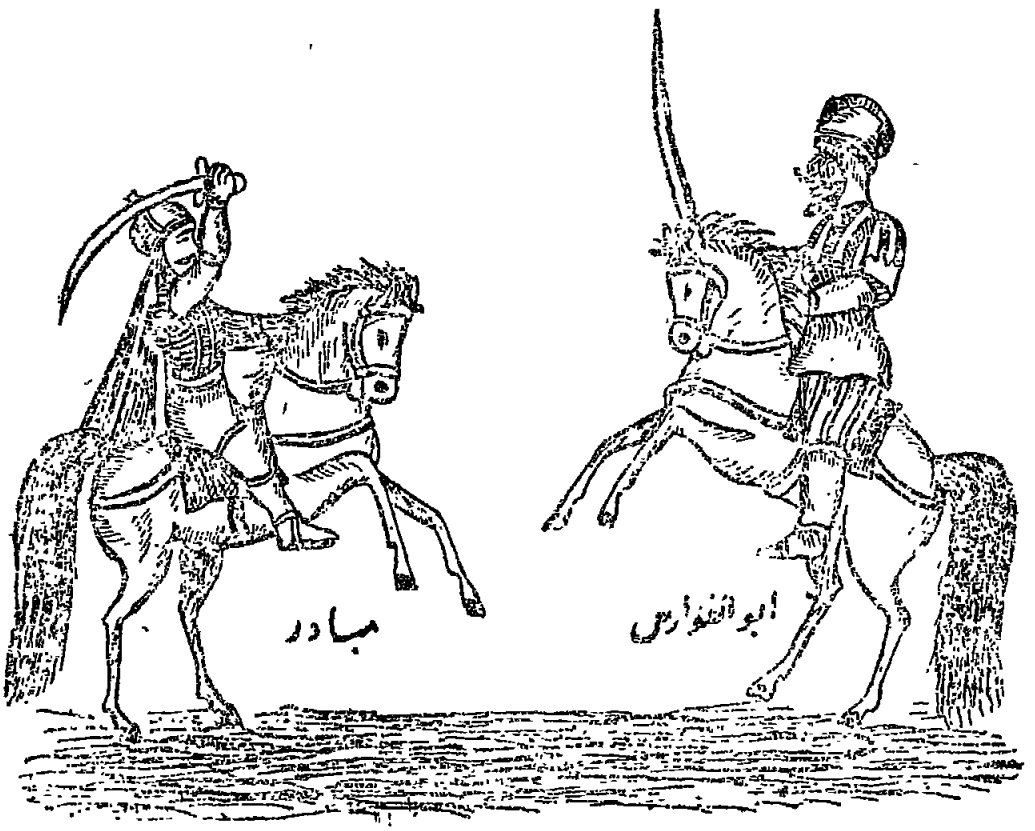

(قال الراوى) ثم حمل هو وعنتر بعد هذا الكلام وأخذ فى الضرب والاصطدام ورفع مبادر يده وطعن عنتر بالسنان فمال عنتر عن سنانه وصبر عليه حتى أوسع فى ميدانه وطعنه بالرمح بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه وبعد ذلك طلب رجاله ففرقها ونزل عليهم نزول السيل إذا هطل وسقاهم كاسا أمر من الحنظل فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وصار عبيد الحى يجمعون الخيل الشاردة والعدد المبددة ورجع عنتر وترحل عن ظهر جوادة الابجر وعاد إلى البيت الذى كان فيه مجلس عنتر فى البيت وقدم القيد إلى رجليه وقال لهم أعيدوا القيود إلى حالها فقال له شيبوب وبلك يا ابن الاماجد ما هذه الفعال الرأى الفاسد وما الذى دخل فى عقلك انك تعود إلى

الاغلال والقيود وتنتظر من يرمى رقبتك ويلك وقم وارجع إلى ظهر جوادك وخلنا نطلب أرضنا والبلاد هذا عنتر لا يلتفت اليه ثم أن النسوان تراموا وعلى رجليه صاروا يقبلونها وقالوا والله لا توضع فى رجليك القيود لأنك أبدتنا بعد العدم الوجود فلما سمع عنتر كلامهم قال لاخيه شيبوب بحياتى عليك يا أخى ردنى إلى ما كنت عليه ولا تحلفنى باليمين وتجعل الكذب لى قرين فقال شيبوب على الأقدام وقال له يا ولد الزنا ما بقيت تقدر على أكل لقمة حرام ثم أنه شدة شدا وثيقا وقرط عليه من غيظة منه هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وعدنان فان بنى عامر أدخلوهم الابيات وأسروا مائة وخمسين فارسا وقتلوا أكثر من ذلك لعدم الحامى والنصير وملكوا منهم المهل والغدير ☆ هذا وقد ألقت الرجال أنفسها فى المهالك وضيقوا عليهم جميع المسالك وقدمت عليهم الأعداء من جميع الأقطار فاخرجتهم من البيوت قوة واقتدار وتحصنوا فى العلم السعدى وقد تركوا الأماء والاحرار فقال الملك قيس يا بنى عمى ذلك طاولوا القوم بالبراز لعل أن تأتينا نجدة على فرسان الحجاز فلما سمع بنو عمه ذلك الكلام وطنوا أنفسهم على شرب كاس الحمام وتولى براز هم ملاعب الأسنة وكان آخر من برز اليه شداد أبو عنتر وهو على فرس نجدية يقوة عبسية إلى أن صار فى وسط الميدان فتذكر ولده عنتر وفاض دمعه اتحد وفزاد به الدل والهوان واحترق قلبه بالنيران فاشار يرثى ولده بهذه الابيات

ترى أى سهم من سهام المصائب ... أصابك يابن الأكرمين الاطايب
وأى شجاع مد نحـــوك باعه ... وباعك فى الفرسان أمضى المضارب
ترى أنت حى يفى فارتجى ... لقاك كما يرجى لقاء كل غائب
وإلا فقتيل فى الفلاة مجندل ... ينوشك وحش البر من كل جانب
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا ... بعد بجيش حاقل وكتائب
وكنت ترد الخيل عند مغيرة ... خلاة الهوادى داويات الجوانب
أيا ولدى مذ غبت عنا تبادرت ... خيول الاعادى نحوها كالسلاهب
ودلرت بنا الأعداء من كل جانب ... يرومون أن يسبوا ذوات الكواعب
ودار بنا بحر يموج عبابه ... بسمر القنا والمرهفات القواضب
وقد أصبحت أبناؤنا فى يد العدا ... وازواجنا يندبن بين المضارب
ونحن حيارى والنساء حواسر ... يقدن إلى بيت العدا بالذوائب
وعبلة تبكى بن فؤاد مقرح ... اليك وتهمى بالدموع السواكب

وهانذ خرجت اليوم أبذل مهجتى والقى شجاعا عارقا بالنوائب
املاك تأتينا وفينا بقيسة بعزمك ياحامى حريم الحبايب

(قال الراوى) فلما فرغ شداد من كلامه وشعره ونظامه نظره بنو قرادو هو منحن على ظهر الجواد كانه النسر المعمر إلا أنه فى الحرب أسد قسور وارتفع ضياح بنى عبس من بعيد وقريب هذا وملاعب الأسنة صبر حتى قاربه شداد فنظر الشجاعة لائحة عليه فصاح فيه من تكون أيها الساعى إلى حتفه بقدميه الجانى على نفسه بيديه فقال له ويلك أنا فارس الطراد الامير شداد دونك والحرب والجلاد أن كنت من الفرسان الشداد فتبسم غشم وقال والله أنك بطل غشمشم ثم حملا على بعضهما وأوسعا ميدانا وأجادضربا وطعانا ودار بينهما المجولان حتى غابا عن الاعيان وتصادما وتهاجما ولم يزالا فى قتال وجدال حتى وقع التعب بشداد وأخذه الانبهار من خصمه الجبار فلما علم ذلك ملاعب الاسنة هجم عليه وأخذه أسيرا وسلمه إلى عربه وعاد طالبا الحرب والجلاد ونادى يابنى عبس ابسروا بالتعس فلما سمع منه قيس هذا المقال زادت به نار الاشتعال فعول أن يحمل على ملاعب الاسنه وأراد نازح أن يحمل عليه ويخاطر بنفسه فسبقه عروه إلى الميدان وتذكر أيام عنتر ففاض دمعه وانحدر وقال لا أبعد الله ركابك ياأبا الفوارس ولا أعدمك أحبابك وأنشد يقول :

تحكمت الأندال يا أبا الفوارس لبعدك عن ربع الظباء الأوانس
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا يلاقى عداها ضاحكا غير عابس
وكنت لنا يا ظهر عبس محاميا إذا نام عنا كل حام وحارس
فبعدك قد أوهى قوانا وهاننا وأطمع فى أعراضنا كل جالس
فكم سيد منا أسير مقيد وكم من قتيل فى الفلاة الدوارس
وكم حرة تبكى عليك بمقلة مسهدة من ناظر غير عابس
وشداد قد أضحى به الذل موثقا لبعدك عنا يامبيد الفوارس
ترى من يحامى عن عبلة وقومها إذا ماغبت عنهم يامبيد القناعس
ومن بك يحميها إذا أكثر العدا ويجلى صداها يوم جدع المعاطس
سقى الله قبرا أنت فيه موصد سحاب غمام غيثه غير حابس
عليك سلام الله يانكبة العدا ويا أفخر الفرسان عار ولابس
وجادت عليك المزن فى كل ساعة وحى ترمى مسواك بين الدوارس

قال الراوى ثم أن عروة بعد أن فرغ من نظامه حمل على ملاعب الاسنة وأخذ فى حربه وخصامه وضاق بهما الخناق وهما على ظهور الخيل العتاق وكان عروة فارسا جبارا وبطلا مغوارا إلا أنه لم يكن من طبقة ملاعب الأسنة ولا من أنداده فمال عليه غشم فاخذه أسيرا فالقى الملك قيس البيضة من على رأسه وصاح يا بنى عمى هذا يوم بذل الأرواح فبيعوا أنفسكم بيع السماح وموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما فهذه نساؤكم قد هتكت ودماء رجالكم قد سفكت وفوسانكم الأجواد أسرت ثم وضع يده فى قربوس سرجه وحمل وحملت خلفه اخوته وعلا خلفهم صياح النسوان وكثر عليهم الهم والاحزان وصاح خالد بن جعفر فى الرجال الذين جمعهم الأبطال دونكم هذه العصابة اليسيرة والطائفة الحقيرة التى كرهت الحياة وبذلت الأرواح إلى السماء وابشروا بسبى النساء الملاح وأخذ المال المباح فعند ذلك حملت المراكب وتدوقت الكتايب فى طلب بنى عبس من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وسد فى وجوههم جميع المذاهب فتبددت الأجسام على التراب وهلك للشيوخ والشباب فاستغاث الحريم إلى رب السماء لما رأوا الدما وهول الحرب فبينما هم فى تلك المصائب إذا طلع عليهم غبار سد جميع الأقطار وارتفع وعلا فظهر من تحته سيوف تلمع ورماح تلمع وتتدفق مثل السحاب إذا همع فلما رأى بنو عامر ذلك الغبار والقنام فكفوا عن ضرب الحسام ووقفوا ينظرون إلى تلك السيوف اللامعة وإذا هم بخمسمائة فارس كرار مغوار يقدمهم فارس كأنه ليث عابس أدهم فرس أدهم أغر ملثم وهو ينادى بصوت ملأ السهل والجبل ويلكم يا أوغاد غير أمجاد كفوا عن الحريم والاولاد فقد أتاكم عنتر ابن شداد مبيد الفراعنة الشداد ثم حمل وحمل معه من الفرسان خلفه واشتد الطعن واتصل وحمى الحرب والكرب بالأعداء نزل وتباشرت بنو عبس بالأفراح وترك نساؤكم البكاء والصياح وتحقق لهم النصر ولاح ونادى الملك قيس فى تلك البطاح ابشروا يا بنى عمى بالنصر فقد أتى الفارس الجحجاح أسد الحرب والكفاح فقووا العزم والهمم ومكنوا السيوف فى القمم فعند ما سمعت بنو عبس الكرام هذا الكلام زالت غمومهم وقويت عزائمهم وحملوا حملة واحدة فصارت منها جمرة والأعداء خامدة فلما رأى بنو عامر قوة بنى عبس وشدة طعنهم تحقق عندهم قدوم عنتر بن شداد فشاوروا واضربا نه وهى تهوى إلى الإقبال تقطع منهم الآجال أما خالد بن جعفر فانه صاح فى قومه ومن معه الأبطال عودوا إلى المنزل الذى كنا به والخيام حتى نبذل فى الأسارى الحسام أو ننتقم منهم غاية الانتقام فانى علمت أن الأمر

آيل إلى الانهزام حيث وصل إلى هذا الأسود الشيطان الذى كأنه ماردمن مردة الجان لأنه فارس لايلتفت ولايبالى بحرب ولاشقاشم أن خالد بعد هذا الكلام قصد البر وتبعته الشجعان وترادفت خلفه الأقران إلى أن وصل إلى المكان الذى به الأسارى وأراد أن يذيقهم كاس الحمام وإذا هو بضجه من وسط الخيام قد علت وصيحة زادت وارتفعت والأسارى قد أقبلت كأنها رسل الحمام وشعلة نار لها اضرام (قال الراوى) وكان خلاصهم من الكرب على يد الأمير شيبوب لأنه وصل اليهم وفرسان بنى عامر مشتغلة بقتال عنتر فخلصهم من الأسر والضرر وأحضر لهم آله الحرب والكفاح فى لمح البصر فكانت عدتهم مائتين وخمسين فارسا شداد يقدمهم عروة بن الورد والأمير شداد فلما نظرهم خالد بن جعفر أيقن بمن معه بالموت الأحمر فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقال لقومه أقصدوا بنا بنى فزارة حتى ننظر ماجرى لهم مع عبد الله أخى دريد بن الصمة وبنى هوازن اصحاب العزيمة والهمة واعلمهم ان الجيش الذى كان معنا انهزم فطلب البر والأكم ثم قصد عرض البر وسار وجلت بهم الهموم والافكار وبعد مسيرة دام القتال وقوى ضرب السيف الفصال ساعة من النهار فولى بقيه الفرسان الأدبار وركنوا إلى الفرار * هذا وملاعب الاسنة لما رأى رايات خالد ولت أبطاله انفلت هو أيضا بالفرار يريد النجاة من خوفه من عنتر أن يعدمه الحياة لأنه نظر من حربه الهول العظيم ثم دار بنو عبس بعنتر يهنوه من كل جانب بعودته سالما من المعاطب وصار عنتر يحكى لذلك قيس على قصته وماتم له مع مشاجع لما خلصه من الربيع واخوته والملك قيس يتعجب من ذلك قال الراوى وكان السبب فى خلاص عنتر أنه لما قتل مبادر أعاد إلى القيود كما تقدم وجعل النساء يدعون له ويحترمنه مدة ثلاثة أيام ثم بعدها أتت رجال بنى خولان الذين ذهبوا الاجل أن يبشروا صفوان بن مراد بوقوع عنتر بن شداد ففرح وضمن لهم المال الكثير من النوق والدنانير وعادوا طالبين أهلهم والأطلال فلما وصلوا رأوا أهلهم فى مغانى وأفراح فسال كل واحد أهل بيته عن هذا الجال فاخبروه بما جرى لهم مع مبادر من الحرب والقتال ولما رأى مشاجع رأس عبادر على بيته فوق رمح عال سأل عن ذلك فاخبره أهل بيته أيضا عن فعل عنتر به ورده السبى وقتله لمبادر وكيف حمى الحريم ورجع إلى القيد بعد دفع الغريم فقال مشاجع والله ماهو إلا رجل كريم وأسد عظيم ومثل هذا يجب أن نتخذه صديقا لكل شدة وضيق ثم اجتمع سادات الحى مع مشاجع ودخلوا على عنتر وقبلوا رأسه وبين عينيه وخلعوا عليه جميل الخلع وصاروا

يتقربون اليه بالاحسان إلا أنه كان فى بنى خولان رجل يقال له منير يتمنى قتل عنتر لأنه قتل له أربعة أولاد فقال لمشاجع يا أمير أنت سرت إلى صفوان وبشرته بوقوع عنتر فارس بنى عبس وعدنان فضمن لك المال الكبير والاحسان الغزير وها أنت عولت على أطلاقه من شدة بعد مار بطت لسانك معه وهو ملك هذه الديار وحاكم هذه الأمصار فما جوابك له إذا أرسل يطلب منك خصمه فقال له مشاجع والله لم يكن أكبر مما فعله عنتر حيث أننا أسرناه وأردنا ذله فنا بلناه بكرمه وشجاعة الرجال وقاتل أعداءنا وحمى حريمنا وحفظ أعراضنا والله مابقى لى يد اليه بسوء تمد (قال الراوى) فلما سمع النساء كلام منير فمن اليه وفى أيديهن أعمدة البيوت وصرن يضربنه حتى أشرف على الممات ثم أن النساء قلن وحق الملك الديان لو أنى لهذا الرجل كسرى أو النعمان خرجنا اليهم فى الفلاه وردد ناعنه أعداه فوحق ذمة العرب وشهر رجب إن لم تسر رجالنا فى خدمته إلى أهله وعشيرته لانصاحبهم أبدا ولو سقينا كؤس الردا فقال لهن مشاجع أرجعن إلى بيوتكن فقد قبلنا كلامكن ثم اختار من قومه مائة فارس فلبسوا للسلاح وعزموا على الرواح فشكر عنتر القوم وأراد أن يحلف عليهم ويردهم فقال شيبوب دعهم يسيروا فانى أظن أن الأعداء خربوا ديارنا ونهبوا أموالنا وأطلاره فاذا ساروا معنا أعانونا على لقاء الاقران فاستصوب عنتر رأيه ثم إنهم ركبوا وخرجوا من الديار وساروا يقطعون البرارى والقفار وعنتر سائر بجانب مشاجع وهو يتذكر فى نفسه ما فعل معه الربيع بن زياد ونجاه من ذلك الشر والفساد وسخر لخدمته تلك السادات الأجواد ثم تمايل وأنشد يقول :

من لى برد الصبا والله والغزل ... هيهات ما فات من أيامنا الأول
طوى الجديدان ماقد كنت أنشره ... وأنكرتنى ذوات الأعين النجل
وماثنى الدهر عزمى من مهاجمة ... والأسد تحذرنى فى السهل والجبل
وقد نهانى النهى عنها وأذبنى ... فلست أبكى على رسم ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حورى ... ضنى فؤادى بما فى اللحظ من كحل
تصيد أسد الشرى باللحظ أن نظرت ... والصمت فى سقم منها وفى وجل
يا بنت عمى ليس العشق من شيمى ... فى حلة الحرب بل فيه انتهاأملى
بالصافنات وبالهندى لى شغل ... وما الصبابة والصهباء من شغلى
ذرينى لفرى وكرى فى معامعها ... كالليث أمشى كمشى الشارب الثمل
سلى الابجر عنى يوم يحملنى ... هل فاتنى بطل أوحلت عن بطل

كم من جيوش أبادت همتى فزعا ... وكان أبطالها كالعارض الهطل
وغمرة خضت أعلاها وأسفلها ... بالضرب والطعن من بيض ومن أسل
مالى أرى عدالى يستقطرون دمى ... الست أولا هموا بالقول والعمل
لا يرعوا بالملام الدهر عن أسد ... بالليل مشتمل بالجر مكتحل
من الربيع ومن ندل يعارضنى ... فى عبلتى وهواها وحدها شغلى
فانما أنا من قوم مفاخرهم ... مشهورة أبدا فى السهل والجبل
أريد أفنك فيهم ثم يمنعنى ... حلمى وعفوى وأقدامى ومحتملى
فمن أراد فخار مثل مفخرتى ... فليقطعن العدا كالفارس البطل

(قال الراوى) فلما سمع بنو خولان من عنترة هذه الأبيات تمايلوا طربا واهتزوا عجبا ثم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على الديار وشاهدوا الضرب بالبتار فحمل عنتر وبنو خولان قد فرقوا بنى عامر وأبلوهم بالبلاء العامر وجرى وسمع قيس آخر الحديث من عنتر ابن شداد فزاد تعجبه وفرحه وطربه وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان حديثك طرب فرسان عرب اليمن والحجاز ولابد أن نجازى هذه الفرسان بما تقدر عليه من الاحسان أن أسعفنا بذلك الزمان ونحن انتجز امرنا وانطفا عنه الشر والضرر والبؤس والحذر ولا فكرة لنا إلا فى خالد بن جعفر لأننا ياحية عبس إن لم نهلكه لا يطيب لنا عيش من الديار ثم أنه أحبره بقضية بنى زياد وما أخلطيهم من القبائل وقال له يا أبا الفوارس كنت قبل أن تقدم علينا اما عداء انفذت اليهم أطلب مجيئهم الينا لنكون يدا واحدة على لقاء الأعداء تحصل لنا بهم الساعدة فافعلوا رما تركهم الربيع يقاتلوا معنا بل انفضلوا منا ومن علينا حذيفة بالمعونة التى بها عاونا وقال أنا لولاك ياقيس ما كان بينى وبين خالد معاملة وأنا خائف أن يجرى عليهم أمر من الأمور أو يقتل منهم أمير مشهور والصواب أن نسير اليهم عند الصباح ونساعدهم على الحرب والكفاح ونخلى لهم أدنى مقال ولا حالا من الأحوال فقال عنتر يا ملك الزمان والله أنها غيبة زائدة كيف اسير وأساعد الربيع وحذيفة وهم لو تمكنوا منى ما أبقوا لى طرفة عين بل يسقونى كؤس البين ولكن لأجل خاطرك اسير اليهم واساعد الربيع وحذيفة بعد أن تودع هؤلاء الأقوام الكرام ونسير جميعنا اليهم بالتمام قال فلما سمع مشاجع الكلام قال والله يا أبا الفوارس وبازين المجالس لو طارت رؤسنا بين يديك حتى تقتضى أشغالكم وتأمنوا فى دياركم قال الملك قيس جزاك الله خيرا ولا لفاك بؤسا

ولا ضير ثم انهم صبروا حتى استراحت الناس وذهب عنهم الوسواس وأقاموا حتى ولى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك ورجل قيس بالفرسان طافبانى بنى فزارة ورحلوا معهم بنو خولان وبنو غطفان وعنترة سائر وعروة بجانبه وهو يقول والله يا أبا الأبيض أنها مصيبة عظيمة كيف أسير إلى أعدائى وأنفذهم من الشدايد والنوائب ثم أنه تنفس من فؤاد مصدوع وقلب موجوع فزاد عليه الهم والغم لانه قد تنفس كمدا وأبدى لوعة وصبا وأنشد يقـــول

أسير إلى الربيع وقومه ... ولست إذا ثار العجاج بجالس
ولولاك ياقيس لما كنت سايرا ... اليهم ولكن أنت عزى وحارس
فزاره تبغى كل يوم حروبنا ... ولكنهم فى الحرب رغم المغاطس
لأن ملوك الأرض تخشى مضاربى ... وطعنة وحى فى صدور الفوارس
ولى همة فوق السماكين رفعة ... وفى النقع اسطوا كالهزبر المداعس
وإن كان لونى أسود فعايلى ... صباح وخوفى فى قلوب القناعس
وقد علمت كل القبائل أننى ... همام كمى ليس جدى بناكس
لأنى بجيد الطعن فى كل معرك ... واصرخ فى الهيجا هل من منافس
تذل ملوك الأرض من خوف سطوتى ... وفى الحرب افنى الكماة الأوشاس
وسيفى بنادينى إذا ثار قسطل ... ألا فاسقنى صرفاء دماء الفوارس
ورمحى فى يوم الكريهة عابس ... عليه سنان مثل لمعة قابس
وقد وكلت الأبطال من عظم هيبتى ... وهابت لقائى الأسد من كل عابس
وأنى قد ذللت يابنت مالك ... بحبك يازين النسا فى المجالس
أيا عبلة لو شاهدت فعلى وموقفى ... إذا ثار نقع فى الفلا كالحنادس
هنالك ترينى أصطليها بهمه ... بقصر عنا كل عار ولابس
أنا عنتر العبس فارس قومه ... ولى همة فى الحرب تردى القوابس

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت بها السادات وقال له الأمير مشاجع أنت سيد بنى خولان والملك قيس سيد بنى عبس وعدنان لارد الله فاك ولا كان من يشناك ثم أنهم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على فزارة فرأوهم فى الذل والخسارة لانها قاست من بنى عامر حربا بفطر المرائر وكان من حالهم مثل ما كان من حال بنى عبس أعظم لانهم غمروهم بكثرة العدد وزيادة المدد وفاضت عليهم مثل ما يفيض البحر الزاخر إلا أن الحادث ظالم

قاتل قتالا لا تعجز عنه الفرسان الشدادو الأبطال الأمجاد حتى زاد عليه الجمال فصبر إلى آخر النهار وأخذ قطعة من الأموال حذيفه وأخذ جماعته وقتل جماعة من فرسان بنى فزارة وقصد عرض البر الأقفر وباتت بنو فزارة حتى أصبح الصباح وقامت الفرسان لطلب الحرب والكفاح وافتقدوا الحارث بن ظالم فما وجدوه وافتقدوا حذيفة أمواله فوجدها قد فقدت منها قطعة جيدة فقال قاتل الله الحارث بن ظالم وقتله ما أخبثه وأجهله فبينما هم فى ذلك الحال وإذا بالاعداء وقعوا فيهم بالحسام والرمح والعسال ولعب السيف فى بنى فزاره وقد أيقنوا بالذل والخسارة واحتاج الربيع أن يبذل نفسه هو وأخوته لاطراف القنا وطئوا أنفسهم على الموت والقنا وحلت بهم الاتراح وبقوا أشباحا بلا أرواح حتى أقبل الليل وأنزلوا بهم الذل والويل ودافعوا عن أنفسهم حتى قرب الصباح وإذا هم باسنة الرماح الماء الزلال على كبد الظمآن وكان عبدالله بن الصمة قد وصل اليه خالد جعفر فسأله فقال عبدالله وكيف تم عليك هذا الحال وشتت أبطالك فى الجبال ونحن قد أتتنا الاخبار أنك انتصرت على بنى عبس الاخيار وحصرتهم وطال عليهم الحصار فكيف تم هذا عليك ووصل شرهم اليك فاخبروه بخبر عنتر وكيف كان غائبا وحضر فكسرنا وشتتنا فى القيعان لأنه قد أتى وصحبه بنو خلان ومالوا علينا بالضرب والطعان والصواب أنك تقاتل بنى فزارة بالليل حتى تبيد أقصاهم وأدناهم قبل أن يأتى عنتر وينجدهم فبينما هم على ذلك الحال إذ طلعت عليهم نواصى خيل بنى عبس العاديات ومقدمهم عنتر صاحب الهامات وطلبوا الحرب والطعان وحملت الأقران وقصدوا الفرسان ونكسوا الشجعان وصار عنتر يقصد الاعلام ويخوض القتام وهو يطعن فى صدور الرجال ويبيد الأبطال حتى اتسع عليه المجال وبنو خولان تحمل من خلفه كجملانه وتتفرج على طعانه وتتمنى أن يعود معها إلى الديار ويعطوه الأمرية عليهم ليحكم فى الأشرار منهم الاخيار هذا وقد اشتد من نيران الحرب الوقود وعملت الاسنة فى الصدور والكبود وغابت الابطال عن الوجود وعلا الغبار حتى صار مثل الرواق الممدود ومالت الأعلام والبنود وعادت الوجوه البيض سودوكانوا بين ناقص الحظ ومسعود وحاضر ومفقود وقاصد ومنصود إلى أن هلت النفوس ولعبت حوافر الخيل بالرؤوس ووصل إلى بنى هوازن الضرر والبؤس وقضوا يوما عبوس وطعنا يشيب النواصى والرؤس فنفرت مثل ما ينفر النعام وتفرقت بين الروابى والآكام وأما عبدالله أخو دريد بن الصمة فانه لما علم بانخلال العرب ودارت العطيات فطلبوا الروابى

والفلوات ونجا خالدا بنفسه وقد خمد حسه ثم تفرقت المواكب والجيوش وتركوا قتالهم رزقا للوحوش ولما انفصل الحرب والقتال وبطل الطعن والنزال عاد عنتر يطلب أرض بني عبس قبل معيب الشمس ومعه أبطال بني خولان وأبوه شداد وعروة بن الورد وفرسانه الاجود وعارضى أن يقابل الربيع بن زياد ولاحذيفة بن الاوغاد بل أنه رجع وهو ينشد ويقول

سلى السيف فى يوم الوغا عن فعايلى ... وضربى به بين الكلى والمفاصل
وعن رمحى العسال فى النقع كم به ... طعنت لسادات كرام أفاضل
وكم قسطل قد خضخته فوق أبجر ... أنادى باعلا الصوت هل من منازل
إذا مارآنى القرن يرمى سلاحه ... مخافة سيفى الهندوانى ذابلى
وكم بطل أودينه يمهند ... يمج نجيعا من حتوف الفواصل
وشردت فى البيداء أبناء عامر ... على صهوات العانيات الصواهل
يتهون فى البر القفار تعسفا ... مخافة باسى رهبة من فعائلى
الافاعلمى يا عبله كم من فوارس ... قتلت فاضحى مثله فى المنازل
وكم بطل يوم النزال أسرته ... فمات وخانته جميع الوسائل
تركت جديلا خالد بن محارب ... على الأرض ما أواه غير الجنادل
وحزت لاموال العراق جميعها ... وقد صان كسرى حائرا من فعايلى
كذا الخسروان القرن فرقت جيشه ... وأرديته فى الحرب بين الاماثل
وأرديت هذا البدر موطوء بضربتى ... وقد عجزت عنه ليوث الحجافل
جلبت عصافير النياق لاجلك ... وتاحا لكسرى ماله مماثل
أنا عنتر العبسى حامى قبيلتى ... كريم شجاع حالك اللون باسلى
أنا البطل المغوار فى كل معرك ... أنا أسد الهيجا كمى الحلائل
فان كان جلدى أسود اللون فاحما ... فبيض فعالى زائدات المباهل
ولى همة السماكين قد علت ... وأقبال سعد بالسعادة شامل
ولى كرم اسنى وحسن ومودة ... وبيتى مأوى للضيوف النوازل
وكل ملوك الأرض يخشون سطوتى ... وقد شاع ذكرى فى جميع المفاصل
ويسبق طعنى الحتوف مع الردا ... إذا الروح وافى من جميع المفاصل
ويخشى مراسى الموت حتى لوانه ... يريد قرار عاجلته أنامل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا النظام ترنحت له الفرسان وطربت أبطال بنى خولان حتى وصلوا إلى الأوطان فمهل عنتر لهم الولائم وبذل المجهود للرجال الأكارم مده سبعة أيام وفى اليوم الثامن قدم عنتر إلى الفرسان الخيول الحسان وخلع على مشاجع سيد بنى خولان خلعة من ملابس الملك النعمان وقدم لهم حجرة عربية وخمسين فصيلا من النوق العصافيرية وخمسين ناقة من نوق جبل الدخان فسار القوم وهم شاكرون لانعام عنتر وكذا شكروا الملك قيسا وساروا قاصدين ديارهم ورجع عنتر من ورائهم ثم أن قيسا جعل يأخذ بخاطر عنتر ويقول له لاتحزن ياأبا الفوارس على مافعل معك الربيع ابن زيادة ومن سل سيف البغى قتل فطاب خاطر عنتر بهذا الكلام ولم يزلوا هم فى حديث وكلام حتى وصلوا إلى المضارب والخيام واستقر قرارهم وبقى الملك قيس منتظر أخبار خالد بن جعفر واتفادت له الفرسان بهيبة عنتر وكان إذا حضر معه على الطعام وابصر بقصيره فى الطعام بطيب قلبه ويقول له يا فارس يبس وعدنان مابقى فكر الا فى قتل خالد بن جعفر لانى اشتهيت أن أزف عبلة اليك لكى تكون رأس خالد على رمح عال لانه مادام خالد سالما ماأقدر أن اغصب عمك على مالا يريد وأفرق شمل العشيرة ومن خلفى ذلك الشيطان المريد فكان عنتر إذا سمع هذا الكلام يتسلى على كل حال ويتعلق قلبه بأذيال المحال فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من خالد بن جعفر فانه لما انهزم من الوقعة الثانية سار حتى وصل إلى حلته فرآها منقلبة بالبكاء فجمع أكابر قبيلته ومن جملتهم أخوه الأخوص بن جعفر واجمعوا أمرهم على المسير إلى أرض العراق فى عشر فوارس من الرفاق وقال الأخوص على أن أدخل على صهرى الملك الأسود لانى أعلم أن أخبارنا وصلت اليه وهو كل حال صهر بنى عبس ولا بد أن نذهب اليه ونسأله فى اصلاح الشأن وإلافما يترك منا إنسان ثم قصد أرض العراق فهذا ماكان من أمر هؤلاء (وأما ماكان) من الحارث بن ظالم فانه لما انهزم من أرض بنى فزارة وانحدر إلى العراق فى عشرة من الرفاق وأراد أن يعلم الملك النعمان حتى أنه يفصل بين الطوائف وكانت له أخت متزوجة فى الحيرة برجل يقال له سنان بن أبى حارثة وكانت تسمى سلمى وكانت داية لأولاد الملك النعمان وكان للنعمان معها ولد قد ربته يسمى شرحبيل وكان الملك النعمان يحبه وروحه معلقة به وكان من زوجته القديمة ضرا المتجردة ولما نزل الحارث إلى العراق قصد زيارة اخته وعول أن يحدث النعمان بما جرى على بنى عبس

وعدنان ويطلب منه أن ينفذه اليهم بأن يكون هو المقدم عليهم حتى أنه يزداد عند العرب قدرا إلا أنه اقام أكثر من ثلاثة أيام حتى وصل خالد وأخوه والقوم الذين صحبوهم من بنى عامر ودخلوا على الملك وبكوا بضجة وانتحاب وشكوا اليه حالهم فقال الملك قد وصلنا الخبر انك قد جمعت على بنى عبس جميع عرب البر الاقفر وبذلت فيهم السيف الابتر واسرت أقرنهم وقتلت ملكهم زهير وقتل ثعلبة بن الاعرج الصياد وولده شاس والحارث بن ظالم حدث اخى النعمان بفعلك وقبيح عملك وعول أخى أن ينفذ معه عسكرا إلى قتالك وافناء رجالك واراك تشكو منهم وتجعل الذنب منهم فكيف هذا الحال فلما سمع خالد هذا المقال اظهر البكاء والعويل وقال يامولاى أن الحارث حدث بما سمع وما علم بعده مما جرى علينا لاننا ياسيدى من أول حدثنا إلى آخره مظلومين لان الملك زهيرا فى حاله حياته وشدة اليأس اتهمنا فى ولده شاس وما كان عندنا منه خبر ولا نعلم من قتله من البشر لانهم ذكروا أن الذى قتله هو ثعلبه وقتل فرساننا بسببه ولولا هلال الشهر الحرام ما فارقناه ولما قابلته فى مكه حكى لى أنه يريد قطع قبيلتنا من بين الانام وفى الوقعه الثانية التى صارت بيننا قتل منا الفا ومائتين بطل وعندهم عنتر يشد بأنهم قتلوا منا فى غير هذه الوقعة وانزلوا بنا الذل والفجيعة ولما أبصرنا باعيننا الهوان خفنا من الهلاك وخفض الشأن فطرحنا أنفسنا على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة فانجدنا بالجيوش والفرسان وسرنا إلى بنى عبس وعدنان قصدناهم وكنا رابحين ولكن انجدهم عبدهم الهجين لانه كان غائب فاقبل وشتت جمعنا والكتائب ولم يقبل راجلا ولا راكب وقتل الفرسان وأباد الاقران وأورثنا الذل والهوان ولو رأيت أيها الملك حلتنا ونظرت حالتنا كنت رحمتنا والنسوان حاسرات والبنات لاطمات والبيوت من اهلها خاليات ثم انه بكى واظهر الحسرات وأطلق دموعه مسلسلات وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

جمعنا فى البنين وفى العيال ... وحل الذل فى أرض الدلال
وراح العز عنا فى انهزام ... وأبيات لنا عادت خوالى
فلو شاهدتنا لبكت حزنا ... على حزن البنات ذوى الجمال
واصبح جمعنا فى افتراق ... وامسى حالنا فى سوء حال
وصرنا خائفين من الأعادى ... وعدنا نندب الطلل الخوالى
ديار الأمن عادت دار خوف ... وقد شان الزمان بالانتقال

فلما سمع الملك الاسود من خاله هذه الأبيات فاضت دموعه بالعبرات وترك العتب واللوم وضمن لهم إصلاح الحال وأنزلهم وأكرمهم ومن الغد دخل على أخيه النعمان وكان قد وصل إليه خبر قتل زهير ولبست عليه المتجردة السواد ولزمت البكاء والتعداد وكانت كلما سألته أن ينصر قومها ويساعد قيسا أخاها فيقول لها أن جاءنى منهم رسل يطلبون النجدة أنجدتهم ولكن أنا أعرف أنهم قادرون على أخذ ثأرهم ولو أن أعدائهم بعدد الجراد وكان الملك مراد أن يذل بنى عبس بكل سبب حتى أنها تدخل تحت طاعته مثل جميع العرب إلى أن دخل عليه أخوه الاسود وأخبره بكل ما جرى وتجدد فتعجبت من ذلك وقال لا أرى الصواب الا أصلح بين الأعراب والتقب إلى أخيه وقال له احضر إلى الحارث بن عمالم فلما حضر قدامه قال له أصلح بينه وبين بنى عامر وحلفوا أنهم لا يخافون بعضهم البعض وكان يومهم أحسن الأيام حتى أمسى المسا وهجم الظلام وصاروا يعيدون عليه الوقعات وما جرى عليهم من عبس من بنى عبس من الكربات حتى تمزق شمل من كان هناك من الناس وذهب عنهم الايناس وعاد كل واحد منهم إلى خيامه وأما الحارث فانه أخذه الحقد لما سمع مدحة عنتر وتفتت كبده وانفطر وقال فى نفسه أن كان عنتر نال هذه المرتبة بشجاعته واقتداره وشاعت بذلك محاسن أخباره فانا الآخر أفعل سيئا أفتخر به على سائر الفرسان ويظهر لى به أمر وشان وأقوم قتل لله لدا فى حرم النعمان وأخون العهد والايمان ثم أنه قام من وقته وقوى عزمه على ذلك الامر والشأن وذو الحيات فى يمينه حتى وصل إلى الخيمة ودخل على خالد وهو راقد وضربه فقطع رأسه من جسده وطلع وهو يظن أنه قد بلغ المراد ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... ومايركب المكروه إلا الخاطر
فضلت به لما قتلت لخالد ... لان حسامى ما حوته الأكاسر

ثم أنه حدثه سكره أنه قتله ووضع ذبابة السيف على صدره واتكا عليه حتى نفذ من ظهره إلى الأرض شبرا وسار وهو لا يدرى أى الطرقات يسلك وعلم أنه لا ينجيه الهرب فتلبد فى بعض الأماكن حتى الصباح فلما قام الاخرص ورأى أخاه على تلك الحالة صاح من شدة مصابه ومزق لباسه وحثا التراب على رأسه وصاح بالويل والحرب وسوء المنقلب وعاد من وقته إلى الملك الأسود وحوله رجاله وأعلمه بما قد أصابه وأن الحارث بن ظالم قتل أخاه خالد بن جعفر تركه بدمائه معفر فجرى على الملك الأسود مالم يجر على أحد قال لعن الله الحارث

وأخرجا ثم قال كل من أتاني بالحارث أعطيته أجود العطيات وأزيده من الخيرات فاتوني به لاجل أن أصلبه على باب المدينة وأرسل النعمان في طلبه الخيل إلى أن كان في الغداة فعادت الخيل خائبة بما سارت له طالبة ولم يقع والة على خبر ولاجليه أثر فزاد بالنعمان التهابه وعظم مصابه وعول على قتل أصحابه من شدة ما قد أصابه فقال له أخوه الأسود أيها الملك الكريم لا تأخذ البرئ بالسقيم لانهم لو رصوا بفعل الحارث كانوا هربوا معه والصواب أنك تدعهم في الاعتقال حتى يظهر خبر هذا القران ونجازيه بالصلب والهوان (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما الحارث الغدار فانه لما قتل خالدا وهج على وجهه في القفار ولم يزل سائرا حتى أصبح الصباح وأفاق من شرب الراح فواقعه الندم وعلم أن النعمان لا بد أن يطلبه ويحل به العدم وعلم أنه ما أحد يجيره من قبائل العربان فضاق صدره وأيقن بهلاكه فزاد عليه مصابه وما هان عليه أصحابه فتأسف عليهم كيف يهلكوا في يد النعمان بغير ذنب ولا سبب فعاد من حرقته طالبا الحيرة وهو في هموم فصبر حتى أقبل الليل فدخل بين الخيام وجعل يدور بينها والناس نيام فرآهم حول مضربه الأخوص بن جعفر وعندهم خمسة من العبيد فدنا منهم وذبحهم ودخل أصحابه وحلهم من الكناف وقال لهم انجوا بأنفسكم من التلاف فاذا أمنتم على أرواحكم اقصدوا ديار بني عبس وعيشوا عندهم في أمان وأما أنا فما يجيرني أحد من العربان لأجل خاطر النعمان وقد عولت على أمر وأريد أن أفعله قبل هلاكي حتى أكون قد أخذت بثأر نفسي وأترك لي حديثا يذكر من بعدي ثم أنه فارق القوم وقد هانت عليه نفسه وقصد بيت أخته سلمى وقت السحر فلما دخل عليها ورأته حارت من فعله وقالت له يا أخي ما أقدمك وما الذي أعادك إلى أرض النعمان بعد ما سلمت من الهوان والله يا حارس أن وقعت في يده فما يتركك ساعة من الساعات حتى يوردك الهلاكات فقال الحارث أين أمضي وبمن احتمي والنعمان غريمي فما لقيت خلاصا من هذه الأمور إلا بما خطر حتى أنك تنجو من الهلاك فقال لها تسلمي لي ولد النعمان فآخذه على كتفي والتقي به أباه وأقول له أنا في جيرة هذا الصبي فيعفوا عن ذنبي ويسمح عن خطيئتي فاذا انصلح حالي مع النعمان نجوت من نوائب الزمان ولا أبالي بأحد من بني عامر ولا من جميع العشائر فقالت هذا رأي مليح وبه تنجو من كل قبيح ثم أنها من شفقتها عليه سلمت ذلك الطفل اليه فاخذه على كتفه وأتى إلى باب الحيرة فرآه مفتوحا والناس خارجة لقضاء اشغالهم وافتقاد احوالهم وكان عسكر النعمان خارجا قدام الملك يريد الصيد والفنص واغتنام اللهو مع الفرص

فصرخ الحارث صوتا أوقف الجميع وحذف الصبي إلى الهواء والتقاه بسيفه ذي الحيات فحكم بين رجليه فشقه نصفين فضجت العساكر من سائر الجهات وقصدوه بالمرهفات تقصد عرض البر والقفار فجدت وراء القوم على الآثار حتى لحقوه وأدركوه فعاد اليهم وهجم عليهم ومال فيهم وصال رجال ففرق جمعهم وصيرهم في خيال ثم رجع الحارث فاصدا الجبال فتبعوه وصرخوا عليه فرجع اليهم وقاتلهم إلى قريب المساء فعند ذلك ضعف قوه او قلت همته واضمحلت عزيمته وكان العسكر بعيدا عنه فتأسف على سيفه على ذي الحيات كيف يملكه غيره من السادات فاتى إلى صخرة عظيمة هي قطعة من جبل وأقام يده الحسام وضربه على تلك الصخرة لاجل أن يكسره فنزل بحده فقد الصخرة شطرين فانبهر وأخذ الحسام وسار قاصدا البر والآكام وكان قاصدا بها ملاكه فكان فيها نجاته لأن العساكر لم يزالوا خلفه يجدون المسير حتى أتوا إلى الصخرة فرأوها نصفين كانوا رأوه وهو يضربها فوقفوا عند حدها وقالوا لبعضهم البعض الذي فيه عزم بقدا الاحجار كيف تتبعه وهذه القفار ثم أنهم وقفوا حتى أتى النعمان واعلموه بالذي جرى وكان فلما نظرها النعمان رجع وهو يقول لعن الله الحارث ما اقواه ثم أنه كتب لجميع القبائل كل من وقع بالحارث يقبضه ويأتي به اليه وله جميع ما يكون عليه ثم أنه بعد ذلك أحضر سنان بن أبي حارثه وقال له أنا ما أعرف وإلا منك لأن الحارث صهرك وأخذ ولدي من بيتك فبكى سنان وقال له لا تظلمني يا ملك فانا وحيات رأسك ما كنت البارحة عندزوجتي لاعلمتك أو كنت قبضت عليه حتى تقتله وتظهر فيه نقمتك لاجل أنه حرق حرمتك فقال النعمان أنا لا أسمع هذا الكلام ولا أطلقك يا نسل الحرام حتى تقيم لك ضمينا وتشهد على نفسك أنك تسير وتقتفي أثره حتى أنك تقع على خبره وأن لم تفعل ذلك تكون خامرتني وتكون أنت عوضه لأني ما أطلب ولدي إلا منك ولا أعفو عنك فقال سنان افعل ما بدالك فما أخالفك في أقوالك وأنا أقسم وحق الملك العلام لا أخامرك بل أنا الضامن له أينما كان فانا أطلع أدور عليه في قبائل العربان وأنا ضامن لكل ما طلبته فاطلقه النعمان وصبر عليه حتى يصبح الصباح ويقصد عرض الربا والبطاح فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان من) أصحاب الحارث فانهم جدوا في قطع القيعان حتى وصلوا إلى بني عبس وعدنان ودخلوا على الملك قيس وأخبره بما فعل الحارث وكيف قتل خالد في حرم النعمان وكيف أنه خلصنا وقال لنا اقصدوا الملك قيس فما يجيركم أحد سواه من العربان وها نحن قدمنا عليك وصرنا بين يديك ربشرناك بأخذ ثارك وكشف عارك فلما سمع قيس بذلك فرح واتسع صدره وانشرح وخلع عليهم وحياهم وأكرم مثواهم وضمن لهم الذمام وقال والله لقد فاز الحارث بهذه المكرمة وسمع عنتر بما فعل الحارث من قتل خالد وهو نائم

فقال لعن الله الحارث لأنه ماقتله الا وهو سكران عادم فلوكان قتله فى الصدام كان أقوى فخرا وكان عنتر يتمنى قتل خالد على يديه أما الملك فانه خلا قلبه وخف همه فاكثر من الولائم والافراح وابصر أخوته فضاق صدوه واحترق قلب عنتر فقال مالك لأخيه قيس لم تشيد أركان دولتك وتبذل مجهودك وتتجزأ من حامية العشيرة وتدخله على زوجته حتى تزول عنا كروبنا ونبلغ مقصودنا فقال له ياأخى أفعل مابدا لك بلغك الله مطالبك ثم أن قيس اعمل وليمة عظيمة وجمع سائر أخوته وأعمامه واكابر دولته وفرسان عشيرته وقدم لهم الطعام حتى أكتفوا ودار عليهم كاسات المدام ثم أنه دعا بمالك بن قراد وعظمه بين السادات الأجواد وقال أعلمنى لماذا منعت ابن أختك أن يلم بابياتك وضيعت حقه عليك وأمرت ابنته بالاستتار منه أماهى زوجته وقبضت مهرها منه وأشهدتنا عليك فقال مالك أعلم أيها الملك السعيد أنا مامنعتها عنه إلا من كلام الأعداء من قريب وبعيد وقولهم أن عنتر خلابها قبل أن تزف عليه ولكن ياملك الزمان هى زوجته وقبضت مهرها منه ولو طلبها فى تلك الساعة أخذها ولو لاشغل قلوبنا فى مثل هذه الأيام كان معه منها عشرة أولاد كرام ولكن مادام قد هدأ بالك فافعل ما بدا لك فقال قيس يكون ذلك بعد ثلاثة أيام فقال مالك سمعا وطاعة فلما سمع عنتر كلام عمه قام إليه وقبل يديه وانقضى الأمر وذهب الشر وعاد مالك إلى أبياته وأختلى بزوجته وشكا اليها حالته وماألزمه قيس من تزويج ابنته فقالت له ابن العم إلى كم هذه المشاجرة ومضت مشهور والأعوام وانقضت الأوقات والأيام ولم تزوجته تلين قلبه وهو مايزداد إلا قساوة ولم يقبل لها كلام وأما عنتر فان الملك قيس اعتدعاه وطيب قلبه ووعده بكل سرور فخرج من عنده وهو فرحان وبات وهو يشكر الملك قيس على مافعل من الفعال وماألزم به عمه من المقال ولم يزل فى أشد الأفراح حتى أصبح الصباح وأراد عنتر أن يركب إذا باخيه شيبوب قد أقبل له ياابن الام أختك مزوة قد وصلت بنى غطفان وهى طالبة اليك ولاشك أنها حردابة أو نزلت عليها نائبة ماطاقت حملها فلما سمع عنتر كلام أخيه قام وقصد إلى بيت أمه لينظر ماحل باخته وكانت مروة هذه أول أولاد شداد وكانت عزيزة عنده ويحبها محبة شديدة وكانت متزوجة برجل من بنى غطفان وهو جليل القدر والشان وكان عندها ولد مليح صاحب وجه صبيح وقدر رجيح تعلم الفروسية وكان يأتى اليه خاله عنتر يزوره ويقيم عنده فيطلع إلى البرية ويعلمه الشجاعة والفروسية ويقول له أطعنى ولا تشفق على فطلع نارا محرقة وصاعقة

سيرقة وصار إذا رأى خيلا وفرسانا يحمل ويشابه خاله عنتر إلى أن بقى من الشجعان وبلغ من العمر أثنى عشر عاما وكان عنتر إذا سال أخته أن تترك له الهطال عندة لا ترضى لأنه وحيدها فلما أتى شيبوب وأعلم أخاه عنتر بقدومها قام اليها وقال لها ما الذى قد جرى لك فقالت وهى تبكى أعلم ياأخى أن أولاد بنى غطفان أمروا ولدى عليهم وسازوا فى طلب غنيمة ومضى لهم ايام ولم يرجعوا وقد أحترق فؤادى وأخذنى الوسواس وأحرمت جميع من حولى من الناس المنام وفى ليلة من الليالى رأيت ولدى فى المنام ومن معه من الاولاد فى دخلة عظيمة ورابط لهم على باب الدخلة أسد وهو يهددهم بالأكل فانتبهت وقد اشتعل قلبى بالنار وبقيت كذلك حتى طلع النهار وإذا بعبد واقف على باب المضرب وهو يلبس زى سائل فخرجت اليه ومعى قعب من اللبن وشىء من القديد وقلت له خذ ياغريب وادع لولدى الغائب بالرجوع فابتسم وقال ومن هو ولدك الغائب لعله الهطال الغطافانى قلت نعم أهل عندك منه أخبار فقال نعم لأنى مررت على حلة بنى تميم ودارم فرايته فى أسر اللقيط بن زرارة وهو مشبوح فاخذتنى به الشفقة وسألته ما الذى تم عليه فقال لى عن حسبه ونسبه وقبيلته وحلفنى أن مررت على بنى غطفان أن تعلم أمى لأجل أن تعلم خالى عنتر وأوعدنى مالا كثيرا إذا تشلف من الاسر وهذا ماتم لى من القضية وها أنا قد أتيتك ووقفت بين يديك فلما سمع عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وتعجب من نوائب الزمان وكيف يحدث قبل الفرج أحزان لأنه قد تعلق قلبه بزفاف عبلة وانحلت عقدته فحدث عليه هذا الحادث فما بقى ينظر ما بين يديه فقال لأخته قللى من أحزانك وسيرى إلى مكانك ثم أنه طيب قلبها ونفس عنها كربها ثم أنفذ أخاه شيبوب إلى عروة يعلمه أن يجهز نفسه هو ورجاله ويلاقيه على أرض المريقب إذا أسدلت جيوش الغيهب وأخذ من بنى قرا دمائة فارس أجاد وأوصى أباه شداد بكتمان الحال وانه لا يبدى لاحد مقال وصار فى صحبته أخوة شيبوب وجرير واما عمهما لك فانه انكشف عنا هموم لأنه وزالت غمومه لأنه كان عول ان يجتمع من الربيع بن زيادة ويستشيرة فى امر من الفساد واظهر انه يقطع الآفاق قردة عنتر وقال ياعماه لم يكن قدامنا امر يوجب عنائك فلا خيب الرب القدير مسعاك فارجع انت واصلح حال ابنتك وارعى حالها فقال والله لقد تنغص عيشنا واشغلنا هم الهطام عن افراحنا فقال عنتر ياعماه من طلب الشىء قبل اوانه عوقب بحرمانه وان لكل شىء وقتا معلوم وما احد يتعدى حكم مسير النجوم وهو الحى القيوم وانا ياعم طول عمرى اعاون الغرباء

فكيف اتخلى عن الأقربا لاسيما وهو ابن أختى كيف أتركه فى الاعتقال فان غفلت عنه فلا أكون ولد خلال ثم أنه ردوا إلى الديار وسار بقطع البر والقفار فوجد عروة فى تل المرقب هو ورجاله وهم له فى الانتظار فأخذهم وساروا يقطعون البرارى وأنشد يقول

إلى كم أدارى صروف الردا ... ومن شأن الدهر أن يغـــدرا
فيقصد حربى نهـــاراً إذا ... وتارة بالليل إذ يعسكرا
أيا دهر إنى قوى الجنان ... مثـــير العجاج أنا قسورا
وعندى احتمال لحمل الاسا ... وأخفى الأسية لا أظهرا
تيقن لقيط بقتـــل اخيه ... ويمنى لقيط غـــدا تقصرا
أنا عنتر القوم يوم اللقا ... أقيم الحروب ولا أفكرا

(قال الراوى) ثم أنه بعد جد المسير يأتى له كلام وأما ما كان من أمر هذا اللقيط بن زراره الذى هم قاصدون اليه فانه كان فارسا جبارا تبطلى عنده الشجاعة وتقر له الأقيال بالفروسية والبراعة وكانت الفرسان من العرب تسميه عقاب الحرب وفارس الطعن والضرب وأما أسره للابطال فانه كان له سبب عجيب وأمر غريب لأن اللقيط بن زراره كان له إخوة أمارة تشهد لهم الرجال وكانوا ثمانية عشر أخ من أب وأم واحدة وأمهم يقال لها مارية بنت عبد اللات وكانت من المجملات وما كان أحدة منهم إلا من ينادى بالأمير والسيد فمنهم الأمير حاجب زرارة الذى رهن قوسه عند الملك كسرى على الوفاء لأنه كان منعزلا عن أبيه بعرنه وكانوا فرقة وحدهم فاقحطت أرضهم ومنع المطر عنهم فرحل بقومه إلى بعض الأراضى فرمتهم الطرقات وعلى مدائن كسرى فاخذ هدية سنية وطلع الديوان وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أنا اليوم فى جوارك ونريد فى هذا العام أن نكون تحت نظرك ونؤن لك الخراج مثل ما كنا نؤن للملك النعمان فقال له كسرى أنا أقمت عليكم نائبا من تحت يدى يعرفكم وأما أنتم إذا نزلتم عندى تمتازوا إلى آخر السنة فان رحلتم فلا أعرف لكم مكان مكانا وإن كنتم تقيموا عندى نخلوا رماين رحالى مستقيم فتبسم كسرى من جوابه وقبل خطابه فصار ذلك فخرا لبنى تميم فهم يفتخرون على العرب بذلك إلى زمن أبى تمام الطائى لما كانوا يقدمون إلى سوق عكاظ فتأتى كل قبيلة وشاعرها بين أيديها ينشدهم أبياتا من الشعر يخبر فيها عن مكارم صفاتهم وأخلاقهم وما فعله اجدادهم من الشجاعة والفروسية فتقدم فى زمان أبى تمام فلما سمع

شاعر بنى تميم ينشد بين أيديهم ويفتخر برهن القوس على الوفاء فقال أبو تمام قدام بنى طى وبنى شيبان وأشار يقول صلوا على طه الرسول :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... فخارا على ما أو طرت من مناقب

فأنتم عريب قد أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(قال الراوى) وكان قوس حاجب قد اشتهر فخره حتى ترنمت به الشعراء وافتخرت به الأمراء وقد قال فيه شعرا

وكل وفاء كان فى قوس حاجب ... وأنت جمعت الغدر فى قوس حاجب

وأقام القوس فى خزائن الملك إلى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب لما فتح المدائن وكان فى العسكر عطارد بن حاجب فدخل الخزائن فوجد قوس أبيه فأخذه إلى عمر وقال له يا أمير المؤمنين هذا قوس أبى الذى رهنه على الوفاء فتعجب الصحابة منه لأنه لم يكن أحد يقدر يوفيه فى العرب غيره وشاع اسمه وذكره فى القبائل منهم مالك الحامى ومنهم علقمة مأوى الصعاليك ومنهم هذا اللقيط بن زرارة الفارس الشجاع والقرن المناع وكان أبوهم أفخر نسبا وأجلهم أماوأبا فبينما الأمير زرارة مقيم يوما من الأيام وإذا باولاده السبعة عشرة أقبلوا عليه وهم يشكون من أخيهم اللقيط وتجبره عليهم وأذيته الواصلة اليهم فأنقد أبوه خلفه فحضر فقال له أبوه ياولد قل من قباهيك وماهذا الافتخار على أهلك وعلى الأعراب فوحق ذمة العرب لو أن مرعاك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك النعمان أن تكون زوج بدر اليمن بنت الأمير جابر بن قاع العظيم الشان ماهشيت هذه المشية لااهتززت هذا الاهتزاز أو تكون أسرت عنتر بن شداد فى البراز فلما سمع اللقيط هذا من أبيه كبح عيظه وهملت فيه نخوة العرب ومازح اخوته وقال يا أبتاه بهذه الخصال الثلاث ينال الانسان درجة الكمال فقال أبوه وأى فخر أعظم من زواج بدر اليمن ونياق النعمان وبراز عنتر فقال اللقيط وحق مالك الممالك لم أرجع إلى وطنى حتى أنال هذه الثلاث خصال الحسان ثم قام على الأقدام وسار إلى بيته ونام حتى ذهب الظلام وشكا حاله إلى خاله وطلب منه المعونة على بلواة فوجده بلوغ مناه ومن قومهم ركبوا جوادين وأخذوا ناقة لحمل المال والزاد وعبدين من العبيد الأجلاد وتصدوا عرض البرارى الوهاد حتى بعدوا عن الديار ودعسوا البر والقفار وتشاوروا أى الأماكن يقصدون وأى الأقطار يطلبون وكان خاله من أصحاب العقول الزكية وكان اسمه عبد مناف فقال له يا ابن أختى نصيحتى ومشورتى واقصد بنا فى الأول إلى الملك جابر ابن رفاع صاحب

المجد والارتفاع فان أنعم بابنيه فنسير بعدها للملك النعمان فان ملكت النياق ملكت عنتر ويشيع اسمك فى جميع الاقطار فمال اللقيط إلى كلامه وشد عزمه وجدا المسير فى طى القفار وكان طلوعهم من أرضهم فى طالع سعيد وكان الملك الذين يقصدونه ملكا مطاع وكانت بلاده فى أطراف معادن النحاس وقد شيد فيها حصنا متين الأركان لا يقدر عليه انسان وكان راغلا فى عبادة الأصنام حتى أنه اصطنع له صنما من ذهب وبنى له بيتا على صفات البيت الحرام ووضعه على باب البيت وسماه الجبار وكان عنده بنت بديعة الجمال فوهبها لهذا الصنم ورد عنها الخطاب وقال أنا ما أزوج ابنتى إلا لمن يأمرنى به صنمى ولو خطبها منى ملوك الأقطار ثم أنه أقام على هذه الحال (وأما اللقيط وحاله فانهم جدوا المسير إلى أن قربوا من الديار فابصروا أرضا واسعة وعينا نابعة وغدرانا سائحة ووحوشا سارحة وطيورا ساجعة وطيورا وأشجارا لسائر الثمرات جامعة ورياضا وحياضا وماء فائضة وخياما ومضارب وخيولا وجنائب وملكا لا يقدر عليه إلا رب المشارق والمغارب فقال اللقيط لخاله والله ماهذا إلا ملك عظيم وفى هذا الوقت يريد الإنسان قبل إطلاق اللسان ثبات الجبان ثم أنهم نزلوا على بعض الغدران وخلع اللقيط ماعليه من ثياب السفر ولبس ثياب الحضر وتعمم بعمامة مطرزة الأطراف بالذهب وهى فى رؤيتها عجب وكان جواده من أفخر خيول العرب وأرخى أطراف العمامة على كتفيه وضيق اللثام وكان حسن القوام مليح الابتسام وسار هـــو وخاله وقد فعل مثل فعاله وساروا إلى أن وصلوا إلى القصر فرأوا كثرة العساكر والدخام الدساكر فعندها قوى اللقيط جنانه وأجرى لسانه وأجهر صوته وسلم وسأل الحجاب أن يأخذوا له الاذن بالدخول على الملك فردوا عليه السلام وبجلوا قدره بالاكرام والاحترام وقالوا له أخبرنا ماحاجتك حتى تقضيا وننجز لك أشغالك فقال لهم حاجتى لا أذكرها لأحد غير الملك فلما سمعوا كلامه زادت هيبته فى قلوبهم لأنهم رأوا الشجاعة ظاهرة عليه تشهد له ولا تشهد عليه فأوقفوه ودخلوا على الملك وأخبروه بالخبر بما رأوا من اللقيط وأوصافه قال الراوى فلما سمع الملك كلامهم فرح فرحا شديدا وقال لهم عودوا واسألوه عن اسمه فان قال لكم أنا اللقيط بن زوارة من بنى تميم وبنى درام فأكرموه وإلى عندى احضروه وإن قال لكم غير هذا الاسم فاحملوه إلى دار الضيافة حتى نتفرغ وننظر ما معنى هذا الكلام فقال له الحجاب أيها الملك الهمام ومن يكون هذا اللقيط بن زوارة فضحك الملك وأبدى الابتسام وقال لهم إن قصتى عجيبة وأحوالى غريبة اعموا أن لى اليوم

عند صنمي قيمة ومقدار لاني ثقلت وزنه وزدته من الذهب قنطارا فبقيت صورته عجيبة وقلت له بعد ذلك أسألك أن ترزق بنتي بزوج يكون شجاعا صاحب حسب ونسب وسيد من سادات العرب إلى أن كان في هذه الليلة رأيت صنمي مقبل علي في حلل الرضا قائلا أبشر قد سمعت كلامك وبلغتك من أمرك وقد اخترت لابنتك بعلا صاحب قوة وشطارة ويسمى اللقيط بن زرارة وهو فارس همام وقد رضيته لابنتك بعلا ورأيت كذلك في الليلة الثانية وفي هذه الليلة إن أصبح الصباح فدخلتم علي وأعلمتوني بذلك فقلت لكم على السبب (قال الراوي) وكان هذا المنام من الشيطان لاجل وسوسته بابنته ولسعد اللقيط فرجعت الحجاب اليه وسألوه عن اسمه فانبأهم بحسبه ونسبه فاخذوه ودخلوا به على الملك الذي أخذه بالترحاب وسأله من أنت ياوجه الامارة فقال أنا الذي شهدت بفخاره الكواكب السيارة وقد أتيت خاطبا ابنتك زينة البغات العوالي فاوصل حبالها بحبالي ولا تضيع سعي اليك أنا وخالي فاعجب الملك بهذا الكلام وقال قد انقضت حاجتك قبل وصولك بأيام وأجلسه إلى جانبه وأكل معه الطعام وقدم له ماراق من المدام وفي ثاني الايام أمر الملك باصطناع الولائم ودق الطبول وانقلب الحي بالافراح وتزينت البنات الملاح ورقصت الاماء والمولدات والبنات العربيات ودارت باللقيط السادات وصاروا يهنونه بزوجته ويهنوا الملك به وبعد ذلك مد الملك يده اليه مصافحا وعاقده وناكحه وشرط على نفسه أنه قبض المهر والصداق وبعد ذلك ضربت قبة الزفاف فحمد اللقيط زمانه وذهبت عنه أحزانه ودخل على زوجته فوجدها مثل الشمس الضاحية السماء الصاحبة فتفكر في هذا الحال وكيف أنه يدخل عليها بلا مهر ولا مال فخاف أن يبقى معيرة طول الزمان وتضرب به الامثال جميع الفرسان فاعطاها ظهره ونام ساعة من الليل فابصر الجارية نائمة فقام من عندها وخرج إلى خانه وأعلمه بحاله وماخطر ببالله لقد نظرت موضع النظر ومن الصواب أن تقصدبنا إلى أرض العراق ونسأل الملك النعمان في المهر والصداق فعسى أن نأخذ شيئاً من الدنانير وقطعة من النياق العصافير ونرجع مجبورا عند الكبير والصغير ثم أنهم شدوا على خيالهم وصاروا يقطعون القفار إلى أن طلع عليهم الغبار فهذا ماجرى وما كان من أمر هؤلاء (وأما الجارية) فانها انتبهت وقت السحر فما رأت لزوجها خبر ولاجلية أثر فزادت بها الافكار وإذا هي بالنسوان دخلن عليها يهنوها بزوجها فرأوها وحدها فسألوها عن حالها وماتم عليها وماجرى لها فقالت لهم أنه مادنا مني يل لفت ظهره ونام عني وها أنا قمت وقت السحر فما رأيته فقلن لها النسوان والله أن أباك فعل فعال

الحال ورد عنك الخطاب من كل أمير وزوجك لرجل فقير وباعت الناس واشترت فيها وفي أبيها
إلى أن بلغه ذلك فقال لهم أنا ما فعلت إلا ما أمرني به صنمي وإن كان أخطأ أو أصاب فهو وأخير
بالصواب فقالوا صدقت أيها الملك المهاب فهذا ما كان من هؤلاء. وأما اللقيط وخاله فانهم ساروا
سائرين يريدون الملك النعمان وفي نية اللقيط أن يلقي كل من عنده من الفرسان وبما اتفق أنه التقى
بالحارث وهو تائة في الوديان والبراري والقيعان وهو خائف من الملك النعمان لأنه عرف أن
الملك كانت فيه جميع العربان وكان اللقيط وصل اليه كتاب النعمان فلما رآه نادى رافرحاه بلغت
المنى والهنا وانحلت عقدتي وقضيت حاجتي ثم أنه أعلم خاله بتلك الأسباب وانقض على الحارث
مثل العقاب وانطبق كل واحد على صاحبه وجد في طعانه مضاربته وأخذ في الهزل والجد والصد
والرد وكان الحارث يقاتل عن روحه قال مغلوب وقد جلت به الكروب وهذا واللقيط طامع في
أخذه أسيرا حتى يباع المال والاحسان ودام بينهما القتال حتى تصرم النهار ومل الحارث من
الطعان لأنه تعبان جيعان ولهان وقيصر جوادة في الجولان وانكسر الرمح وأراد أن
يجذب سيفه ذا الحيات فلم يمكنه اللقيط من ذلك بل هجم عليه الليث إذ انذعر
فنادة الحارث ترفق بي ياسيد بني دارم ولا تظلم رجلا قد أضربه البر من مقاسات البرد
والحر فاحسر أيها الأمير لمن يقي في يدك أسير ثم وقف واسبل يديه وسالت دموعه على
خديه فقال اللقيط أدركتنا نك وإلا أوردك تلافك فقال الحارث سمعا وطاعة ياسيد العرب
الاعيان لكن بحق الملك الديان لا تشارك في دمي الملك النعمان وأن كنت تعفو عني ساعطيك مالا
كثيرا ونوقا وجمالا ثم غافله وهجم عليه وجذب سيفه ذا الحيات فضربه على رأسه فقطع البيضة
والرفادة ونزل إلى نصف جبهته فجرحه جرحا شنيعا ولو أن الحارث ضعيف القوى حرمه أن يشم
نسيم الهوى هذا واللقيط ندم على فعاله واستعجز نفسه على سماع مقاله وأسودت الدنيا في عينيه
فنظر خاله إلى ذلك فايان بالمالك وحمل على الحارث لأنه بطل من الأبطال وقيلا من الأقيال
فقاتل الحارث إلى أن أفاق اللقيط وعاد على الحارث عودة الأسد الربيال وطعنه
طعنة ألقاه من على ظهر جواده ونزل اليه وشدة من الكتاف وقوى منه الأطراف وهو
لا يعقل من الجوع والعطش وزاد به الرعش والدهش واقبل على اللقيط خاله وقطبه
وأقاموا في هذا الأرض إلى ثاني الأيام وقاموا رشدوا الحارث على ظهر جودة وجدا المسير
وأمنوا من التعسير وصاروا يجدون في البراري والآفاق مدة من الأيام إلى أن أشرفوا
على أرض العراق ومن سعادة اللقيط أن دخوله وافق في يوم النعيم لأننا ذكرنا

فى أول السيرة تاصيل هذين اليومين وهم يوم النعيم ويوم البؤس فلما نظرت طائفة النعمان إلى اللقيط تجارا واليه وخلعوا جميع من منهم عليه ونثروا عليه الفضة والذهب وصاحوا عليه صياح الفرح والطرب حتى وقف جواده عن السير فنادى على العبيد والغلمان وقال ياقوم أصبروا قليلا فقد غمرتمونى بالاحسان حتى أصل هذا الملك العظيم الشان سيد ملوك الزمان وخليفة كسرى صاحب الايوان لأن معى عدواه الحارث بن ظالم وأريد منه العطاء والمكارم فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم والانبهال وعادوا إلى النعمان ثم أخبروه بما جرى من الأحوال ففرح النعمان رمال وزاد به الفرح والانبهال وأنس من هذا المقال وقال خذوه وفى بعض المطامير أرموه وركلوا به جماعة من العبيد وصبوا عليه العذاب الشديد حتى تنقضى أيام النعيم والعيد لأنى أن وقعت عينى عليه بدلت النعيم بالبؤس وبقد مايكون سعودا ينقلب نحوس فعند ذلك صارت الغلمان وأخذت الحارث من اللقيط وفى بعض المطامير سجنوه وبعد ذلك ترجل اللقيط عن الجواد وتمنى وسلم فابصر النعمان إلى حسن خطابه وجميل أثوابه فترحب به وزاد فى أكرامه وسأله عن حسبه ونسبه وقومه وعربه فقال يامولاى أنا من بنى دارم أصحاب المنازل والمعالم والخيول القوادم والسيوف اللهازم الذين نارهم فى الحرب لاتخمد ولهم من النجيع دم مزيد وانا اللقيط بن زرارة الذى شهدت بفخارة الكواكب السيارة الفارس الوثاب والليث المهاب المسمى فى الحرب بالعقاب قال الراوى فتعجب الملك النعمان من سرعة جوابه وحدة خطابه وقال له يابن السادة الأماجيد تمن على وأطلب ماتريد فى هذه النهار السعيد فثبت اللقيط جنانه وقال له أيها الملك الهمام اريد منك شىء وهو منى قلبى وبغيتى من الزمن وهو مهرزوجتى فقال له الملك النعمان يالقيط وحق النور والنار لوكنت طلبت ملكى لسلمته اليك ومادام انك قنعت منا بذلك الامر والشان فسوف يصل اليك الخدم والغلمان أتم وماخرج معكم فى هذا اليوم اليوم من مال ونوال وأوانى فضه وذهب خلع وجنايب وأثواب الحرير فانه يكون لهذا الغلام وقليلة الكثير وإذا قضينا حق ضيافتة ثلاثة أيام وصلناه إلى مايتمنى من الأنعام ثم أنه ضرب له المضارب والخيام ورتب لخدمته والأوانى تضحك لراقى المدام فعند ذلك اغتنموا الاوقات وانتهبوا اللذات مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر الملك النعمان بالف ناقة من النوق العصافير وخمسماية من غيرها وحمل على أكثرها حرير وطيبا وزادا وسيرة من عنده فى زى الملوك الكبار أصحاب الأقاليم والأمصار بجمال وأحمال وخيول وبغال

وعبيد وأماه ومال وأراد أن يسير معه خيلا تغفره فأبى اللقيط ذلك لعزة نفسه وسار هو وخاله بقطع البر والدنيا لا تسعه من شدة الفرح لأنه كان فى نار لفراق زوجته بدر اليمن حتى ظن أن ما بقى يجتمع بها بقية الزمن وكان أبو الجاريه من حين ما فارقه اللقيط قد اشتدت بليته وعظمت رزيته وأكلة بنو عمه بالكلام وأوجعوا قلبه بالملام وهو يظهر الجلد ويخفى الوجد والكمد وكلما يسمع العذال يقول أنا ما أسمع فى صهرى كلام ولا شك فيما أمرنى به صنمى فى المنام وما زال على مثل ذلك حتى وصل اللقيط أيها الملك أنت فعلت معى عند قدومى عليك ما لا يفعله أحد ورضيتنى لا نتك بدر اليمن وحملتنى فوق طاقتى من وأنا ما أريت أن املك بنات الملوك بلا صداق ولا مهر وأعاير بذلك على طول الدهر فى أنا ادعى بسيد الفرسان فى العصر فضيت فى طلب المعاش والمكسب فسبب لى القديم من حيث لا أحتسب ثم أنه حدثه بحديثه من حين فارقه إلى حين رجع ثم أمر العبيد فقادت بين يديه الجنائب المزينة بسروج الذهب والنوق العصافير به وأظهر ما معها من الأموال والجواهر والثياب العوال والفضة والذهب فحار الملك بما رأى من العجايب وفرح لا بنه بهذا البعل العال المناقب ثم أنهم جددوا الولائم والدعوات وعموا الفرح والمسرات ثلاثة أيام متواليات وزفها على اللقيط زفا ثانى وزاد فرحه بذلك الحظ والمعانى والتقى اللقيط مع زوجته وبات فرحانا معانقا لها وقضى ليلة معها إلى الصباح ولم يزالوا كذلك فى أطيب عيش وأنعم مدة من الأيام بعد ذلك اشتاق إلى الأوطان وأراد أن يعلم أباه وأخوته بما وصل اليه من الملك النعمان فاستأذن أبا الجارية فى المسير إلى أهله بالتمام وحدثه بما جرى له مع أبيه الأقاويل والكلام فان له فى ذلك بعد ما علم أنه له كفو لا بنته وأعطاه شيئا كثيرا من ماله ونعمته وودعت بدر اليمن أباها وجميع بنات عمها بعد ما ودعت امها ومن الغد حلف عليه اللقيط ورده إلى ديار والأوطان وبعد ذلك سار اللقيط هو وخاله يقطعون السهول والوديان وهم يتناشدون الأشعار ويروون الأخبار فلما تمادى بهم المسير وجدوا فى التشمير ففند ذلك أنشد اللقيط يقول صلوا على طه الرسول

بلغت كل المنا والسؤال فى زمنى ... لما ملكت بسيفى بدرة اليمن
بدر إذا بدرت من حول مضربها ... بوادر الناق صار كالخلق فى محن
كأنما الحسن وأخاها وصاحبها ... كما تصاحب روح الحى للبدن
لو نادت الميت يوما فى مقابره ... لقام يسعى ولهاما من الكفن

ملكتها بحسامى بعد ما انقطعت قلوب خطابها من شدة المحن
وقد تعجبت الابطال من همتى إذا سحبت ذيول الفخر فى وطنى
وكلما جد سيفى فى الوغا خضعت له الفوارس من صنعا إلى عدن

(قال الراوى) ولما فرغ اللقيط من شعره ونظامه ونقضه وابرامه استوى على سرجة وطلب الطريق الواضحة وشار بهمه فالحقه وجدوا فى قطع الربا والآكام فبينما هم سائرون يقطعون البر والوهاد إذا قد طلع عليهم الهطال بن أخت عنتر بن شداد فى عشرين فارسا من فوارس بنى غطفان الاجواد ونظروا إلى ما معه من النوق والجمال والخيل والاموال وهو وحده فى تلك الربا والتلال فطمعوا فيه وطلبوه بما معه من ذلك المال وأن ينجو بنفسه سالما فلم يلتفت اليهم بل حمل عليهم وصلوا عليه ولم يزل القتال يعمل بينهم إلى أن قتل اللقيط ثلاثة من جماعة الهطال واسر منهم اثنى عشرة فارسا ربيال وبعد ذلك حمل على الهطال ولم يكن الهطال من رجاله ولا يعد من أشكاله ولم يطل بينهم الهطال حتى أخذ الهطال أسيرا بحالة الذل والتعسير وبعد ذلك أقبل على الهطال وقال من أى العرب أنت ومن تكون تكون من الفرسان ولمن تنسب بين العربان فقال له أنا من بنى غطفان أصحاب الاكاليل والنيجان ولهم اتصال ببنى عبس وعدنان وخالى عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ولو لا ضعفت منا كبى واوصال ما قدرت على فى مجيلى فلما سمع اللقيط كلامه تعجب من أقدامه وقال لخاله يا لخال ما رأيت أبرك منها طريق فقال له خاله وكيف ذلك يا لقيط فقال له أنت تعلم بقصتى وكيف خروجى من الحى وذاك لما شكانى اخوتى إلى أبى ورآنى وقد أتيت أسحب أذيال عجبى وقال لى لو أن فى مراعيك ألف ناقة من النوق العصافيرية أو أنت زوج بدر اليمن بنت صاحب السرادق الكبير أو تكون لاقيت فى البراز عنتر إلا أنه قد علم أنها غاية التحف وأعلا درجات الثالثة هذا الفلام الغطفانى لأنه أين أخت عنتر بن شداد ولا بد لنا له أن يأتى لخلاصه وألقاه قدام أبى ورايه ما افعل به فى حومة الميدان وأن لم يأت فانا أسير اليه بجماعة من أصحاب عشيرتى الاعيان وأقلع بنى عبس جميعا ولا اخل لهم آثار وآخذ لبنى عامر منهم بالثار ولا اترك العرب تعايرهم فى جميع الأقطار لأن من يقتل خالدين جعفر فأنا خصمه طول الزمان وإذا أهلكت بنى عبس وعبدها لا يشوجه على ملام ثم أنه سار بمن معه وهو فرحان حتى وصل إلى ديار ه والأوطان وقال لهم أنه قد فرح بى الملك النعمان وصار لى عنده اليد البيضاء واليه سبقت المبشرون بالأخبار ونال منزلة عالية وفخار وكان ابوه مستغل الخطب عليه وقد ندم على ذلك المقال الذى قال اليه وما زال على ذلك الحال حتى اخبروه

بقدومه فخرج إلى لقائه من يومه هو وسائر اخوته وجميع قبيلته ولما رأى مامعه من الأموال والنعم فرح بذلك وسأله عن حاله فاخبره بكل ماجرى له وكيف ساعدته الأقدار وصرف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن فزاد سرور أبيه لعظيم همته وعلم أنه أقوى من سائر اخوته هذا وقد شد الهطال مع رفقته وعمل الولائم لفرسان عشيرته ونحن وعقر لسلامته ومن شدة عجبه بنفسه وشوقه إلى لقاء عنتر بن شداد أنفذ ذلك العبد إلى بنى غطان وأخبره عن لسان الهطال بالخبر الذى ذكرناه وأعلمه أنه يقول لامه على لسان ولدها اقصدى خالى عنتر واعلميه بالخبر وماأنا فيه من الاسر والضرر فانى فى عذاب شديد وهوان ماعليه من مزيد فمضى العبد وأعلم أمه بذلك الخبر فتغص عيشها وتكدر وأعلمت بذلك أخاها عنتر فتنهد وتحسر فى اليوم الثانى تجهز للمسير وسار عنتر وهو متعجب ومتفكر فى حوادث الأيام وماتبديه الشهور والأعوام وهو ينشد ويقول صلوا عل طه الرسول

وجدى بكم وغرامى كيف استره ... وفى فؤادى نار الحرب تسعره
فكيف استر حالى وهو مشتهر ... وكيف أنكره والدمع يظهره
وكلما قلت دهرى قد صفا وعفا ... عادت ليالى هجران تكدره
وأننى طالب الهطال أطلقه ... من الوثاق وبما كان يحذره
اردى اللقيط على الغبرا بجندلا ... أو ينثنى فى أسر تخاطره

(قال الراوى) فقالت الفرسان لارد الله فاك ولا كان من يشناك وساروا إلى أن قربوا من ديار بنى دارم وشارفوا أرضهم والمعالم وبقى بينهم وبين حلتهم يوم واحد فنزلوا على بعض الغدران وتشاوروا فيما يفعلون من الأمر والشأن فقال لهم شيبوب الرأى عندى أنكم تأخذوا فى عرض البر وإذا صبرتم خلفهم تكمنوا إلى أن أعود اليكم وأقول لكم كيف تكسبون القوم وأنا أن شاء الله تعالى اتركهم تغنموهم وتملكوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وتخلصوا الهطال وتأخذوا أموال بنى دارم وتستعينوا بها على الأفراح والولايم لئلا ترجع تتغير عليك عمك مالك ويرتعد عما كان عازما عليه من ذلك فقال عنتر والله ياأخى لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب لأننا أن تم لنا هذا الحال افتخرنا وبلغنا الآمال من خلاص الهطال فقال شيبوب هذا يتم أن شاء الله الكبير المتعال فدبروا كما ذكرت لكم وانظروا كيف الحال ثم أندرحل بهم وأخذ بهم فى عرض البر الاقفر حتى علم أنه قرب لهم منازل اللقيط وحلة بنى دارم وقال لهم دوموا أنتم على سيركم إلى وادى الرملة وتلك المعالم

وكمنوا هناك حتى أعود اليكم سالم ثم إن شيبوبا أخذ معه أخاه جرير فخرج يطلب الاحياء والخيام وقد ليس ثوبا خام قصير الاكام ثم تعمم بعمامة كبيرة وأوسع هو وأخوه جرير في المسير على الأقدام حتى وصلوا إلى ديار بني دارم قبل الظلام فلما تاربوا المضارب تواثبت اليهم العبيد من كل جانب وسألوهم عن حالهم فقال شيبوب نحن رسل من بني عامر إلى الأمير اللقيط من عند الأمير الاخلاص بن جعفر وملاعب الاسنة غشم بن مالك أين نجد الأمير يافتيان فقال العبيد اقصدوا هذا السرادق الكبير فتقدم شيبوب وجرير فوجدوا اللقيط جالسا على باب المضرب وملوك العرب كلها حوله والخيول والنوق تعرض عليه فلما رأى شيبوب ذلك قوى جنانه وأطلق لسانه وشق الكل قبل أن يسأل اللقيط عن حاله فدنا اليه وتقدم بين يديه وقبل الارض وقال حيا الله الامير المحتشم والفارس الغشمشم سيد بني دارم ونسل السادات الاكارم سيد هذه الديار وحاميها فقال اللقيط وقد استخر به فناداه يا غلام من أين أنت يا مولد العرب ومن الناس أنت يا ابن الكرام فقال يا مولاى من بني عامر وقد اتيت اليك لان سيدى الاخوص بن جعفر أرسلني لك من شفقته عليك وقال لي سر إلى أخي اللقيط وأخبره أن عنتر بن شداد قاصد خلاص ابن أختنا الهطال وأنا يا أمير خايف عليك من شره فان وجدت منه غفلة فجرعة كاس المنات وأريد إذا بلغت الرسالة تقول له أن يجعل باله من الحارث بن ظالم الذى قتل أخي في حرم النعمان فان وقع به يمن علينا بانفاذه حتى نشكره وإن كان الهطال عنده في الاسر يرسله لأذيقة الوبال وان كان قتله يمن علينا برأسه ويجعلها تهنئني له بزوجته بدر اليمن فلما سمع اللقيط هذا الكلام تعجب عن حلاوة لفظه فقال وحق ذمة العرب ما هذا العبد إلا فصيح اللسان فلله در قبيد عبيدها تشابه ساداتها ثم قال يا غلام أن الحاجة الاولى التي طلبها صاحبك قضيت وإني سلمت الحارث إلى من يسفك دمه ثم انه حدث شيبوب بما جرى مع الحارث وكيف أخذ عوضه النوق والجمال وبعض ما تيسر من المال واما الهطال فهو إلى الآن في الاعتقال إلى أن يأتي خاله إلى خلاصه من وثاقه فاذا أعجل عطبه وعاقه وإلى فخاشا لمثلي أن يبيع عدوا لصديق بماو أو ياخذ حقة نوفا وجمال وقد أقسمت برب الخلق والبشر وانني لا أترك من بني عبس من يخبر بخبر ولا أبقي منهم كبير أو صغير ولا آخذ منهم فدية الاسير ولو حمل ذهب وقد عملت عند الصباح أن أسير إلى هذا العبد بخواص عسكري وأجنادي ولا أدعه

يصل إلى أرضى وبلادى لأننى أنا الذى أنفذت إلى أم الهطال واخبرتها انه عندى فى الأسر والاعتقال وقد علمت أنها تمضى إلى بنى عبس وتطرح نفسها إلى أخيها حتى يأتى بجماعة من فرسان عشيرته ويأتى وحده بحرقته ويطلب خلاص الهطال من يدى ولم يعلم أنى حريص عليه بكل طاقتى وجهدى وهاقد بلغنى أن ذلك العبد الزنيم نسل الأوغاد أتى قاصدا إلى هذه البلاد والذى أعلم اللقيط بالخبر هو العبد الذى أرسله إلى أم الهطال وقال له يا مولاى ما برحت حتى وصلت إلى الهطال إلى بنى عبس فى جماعة من الفرسان وعلمت أنها تقصد عنتر من دون الفرسان وتطلب منه خلاص ولدها فقال اللقيط يا ويلك قد عجلت بعودتك وكان الصواب مسيرك خلف الفرسان وتظرك ونظرك إلى عنتر كيف يدبر وفى كم يسير من الفرسان ثم صار يتأهب للقتال وعنتر ينتظر شيبوب وجرى ما جرى من التبيين وشد عزمه على المسير فلما نظر شيبوب إلى ذلك الجمال علم أنه انخدع بالمحال فقال له يا مولاى إذا كنت تكرمت علينا بهؤلاء الابدال فانا أريد أن أتولى غذابهم مادام موانى الاعتقال إلى أن تعود أنت مؤيد ومعك أسرى بنى عبس ومعهم عنتر ما رجع أنا إلى سيدى الأخوص بن جعفر وينقطع من بنى عبس الاثر لأنى ما أتيت من عند مولاى إلا وملاعب الاسنة معول على غزوهم والمسير إلى ديارهم فى الأبطال بنى عامر لعل أن يفرق شملهم مادام عبدهم غائبا عنهم لأن لنا فيهم عيونا وأرصياد من وقت ما عادينا هم ولو لا ذلك ما كنا علمنا بمسير عنتر بن شداد لما سار وطلبك بفرساناته الاشرار فلما سمع اللقيط ذلك الكلام قال لشيبوب وما معكم خبر فى كم سار هذا العبد من الفرسان فقال يلى يا مولاى أخبرنا أنه سار فى الف فارس أعيان من فرسان بنى عبس وعدنان إلا انهم كلهم أبطال فقال اللقيط لما سمع هذا الكلام أذل الله ذلك العبد ولد الزنا وفى الف فارس يريد أن يلقى مثلى أنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاريته ضربا وطعان تتحدث به السفار والركبان ثم أمر عبيده أن يسلموا الهطال ومن معه إلى شيبوب حتى تتفرج عنه الكروب ثم قام هو إلى أن أصبح الصباح وأخذ من قومه ثلاثة آلاف فارس ليوثا عوابس وترك فى الخيام خمسمائة فارس تحفظها من الوساوس وسار من شدة حنقه من عنتر يحلف أنه لا يرجع حتى ينزل به العبر وقد أعجب بنفسه وتكبر على أبناء جنسه ولما سار ركب الطريق الواضحة التى تنتهى إلى بنى عبس وما علم أن الذى جاء له جاسوس وقد أراد له التعس والنكس ولما خف الحى من ذلك الأمر الخطير أرسل شيبوب أخاه جريرا إلى أخيه عنتر يعلمه بذلك الخبر فلما وصل اليه زالت من قلبه وأفكاره وسأله عن حقيقة حال فاخبره كيف

سار اللقيط بثلاثة آلاف فارس من قومه الأبطال إلى ديار بنى عبس والأطلال وأخلى الحى من الفرسان والرجال ففرح عنتر بهذا المقال وأقام إلى وقت السحر ورحل عند الصباح برجاله والفرسان وقد تأهب للضرب والطعان وركب على بنى داوم فى الصباح ومازال وافقا برجاله فى البيطاح حتى رأى السرج قد أتسع فى المراح فطلب ذلك لوقت الجمال والنوق الملاح ودخل فيها وساقها بالرماح وساقوا معهم العبيد والأموال وطرحوا فى أفقية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ومددوا أكثرهم على الرمال الرعادا الباقين ينادون بالويل والوبال حتى وصلوا إلى المضارب والخيام فركب أخوة اللقيط فطلبوا البر والآكام وظلبوا القاره وهم مثل الطيور الطيارة والكل بالدروع الحديد والزرد النضيد وكان عنتر أمر خمسين فارسا أن تسوق الجمال ولما وصلت الشجعان إلى مقام الضرب والطعان تصايحوا أشد صياح ومد بعضهم إلى بعض عوامل الرماح وتطاعنوا طعنا يخطف الأرواح وتصادموا بشفار الصفاح حتى أهريق الدم وساح وكان عنتر علم أنه ما فى الحلة أكثر من العسكر الذين ظهروا فسطا عليهم بقوته وتجبر عليهم بفروسيته ومالت الفرسان من الضراب وتنافر واتحت الغبار والضباب فدفعتها أبطال بنى عبس حتى قاربت المضارب ووقع الصياح من كل جانب فخرجت العبيد والاماء يطلبون المدافعه والحما وقطرت الاسنة دما فكان شيبوب قد عرف نفسه للبطال وطيب قلبه وقلب من معه من الأبطال وأعلمهم أن عنتر يغير على الاحياء عند الصباح ويطلق لهم السراح ففرحوا بذلك وأنفرجت عن قلوبهم الهموم والأفراح وتباشروا بالخلاص والفلاح حين ثم من الحديث ماتموا بصر شيبوب المضارب قد خلت من الأبطال والعبيد وأمكنه الفرصة لحل القوم من الوثاق وأتى لكل واحد منهم بجواد من الخيل الجياد وأتاهم من السلاح بما كفاهم وقال لهم الحقوا بنى عمكم واعينوهم على القتال فقال الهطال جزاك الله خيرا يا شيبوب لأنك لم تزل أنت وأخوك مفرجين الكروب ثم حمل يطلب خاله برجاله فلما قاربوا المعمعة صاحوا كلهم فحملوا وبذلوا ما معهم من العدد وقاتلوا وكانت رجال الحى على الهرب قد عولوا وما بقى ثابتا منهم الا أخوة اللقيط بن زرارة لانهم خافوا أن ينهزموا وهى مائة فارس وهم خمسمائة من الأبطال وهم كلهم عصبة وأعاصب وأقارب فصبروا حتى أمسى المساء وأقبل الظلام فالهبهم عنتر بالطعن حتى أدخلهم إلى المضارب والخيام والجأهم إلى النساء والعيال فتركوا الأرض ملانة بالقتلى وطرحهم على الرمال فى جنات الفلا وعاد عنتر يقول لعروة ورجاله يا بنى عمى ما دام رجالنا تخلصوا من الاسر

والاعتقال وأصحابنا الآخرين قد أبعدوا بالنوق والجمال فما نحن ممن يستحسن سبي العيال في غيبة الرجال والأبطال والصواب عودتنا من هذه البلاد وترك البغي والفساد ثم هنى المطال بالسلامة والخلاص من الندامة وساروا في عرض البراري والقفار طالبين الاهل والديار فقال لهم سيبوب سيروا على أثري فساروا خلفه بالاموال وتأخر عنتر في خمسين فارسا من الابطال وسار على أثرهم حاميتهم حتى يعدوا عن ديار الاعداء وأنقض أكثر الظلام الدجا ولحقوا أصحابهم وهم على حالهم حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فنزل بهم شيبوب على ماء يعرفه يقال ماء العوام ونام القوم هناك وارتاحوا بالنام فلما عولوا على المسير قال عنتر لشيبوب ويلك على أي أرض أنت سائر يا ابن السوداء فقال على ديار بني عامر يا ابن البيضاء ولكن لا أدخل عليهم إلا الليل حتى لا يسمع الأخوص بن جعفر باخبارنا فقال عنتر سربنا على أي أرض أردت ثم وحلوا فسار بهم شيبوب على غير طريق معرفة وما زال يقطع بهم الطريق والمنازل حتى أشرفوا على ديار بني عامر فنزل بهم شيبوب دونها ورحلوا من أول الليل وحدوا المسير إلى أن أصبح الله الصباح فحاز بهم ديار القوم فلم يعلم أخاه بذلك ولم يزل سائرا بهم حتى تنصف النهار وأمرهم بالنزول وهاهم بالسلامة في تلك الساحة فقال عنتر ويلك يا ابن الملعونة وإيش كان خلصنا من الخطر حتى تهنينا بالسلامة وهي لم تزل معنا مادمنا مالكين سيوفنا ورماحنا فقال يا ابن الأم أنت تعلم ما بيننا وبين بني عامر والأخوص بن جعفر من العداوة ولولاهم ما كنا حرمناكم في هذه الليلة من الراحة إلا أني خفت أن يعلموا بنا فيعوقونا عن مسيرنا فقال عنتر يا ابن الأندال لعن الله أباك وأمك وحق ذمة العرب يا ابن الزانية لو علمت ذلك ما كنت عبرته وتركت بني عامر في عافية ثم نزلوا في ذلك المكان فرحلوا طالبين أرضهم وهم متشاقون إلى حريمهم وأولادهم وما زالوا يقطعون البراري حتى لاحت لهم غرة الصباح فنها شيبوب نظره فرأى غبارا قد ثار واغتم منه ضوء النهار وهو غبار وعجاج وزوابع ملات العجاج فعند ذلك وقف شيبوب وقال لأخيه عنتر هذا غبار بين أيدينا قد ظهر وأقبل من ناحية أرضنا وأنا خايف أن يكون اللقيط بن زرارة ولا شك أنه سار لما رحلته أنا بالمحال ودخلت عليه بالاحتيال وأقول أنه طلبك في الطريق فما وجدك فوصل إلى بني عبس وقطع الطريق ودهاهم بداهيه وعاد أو يكون بنو عامر بلغهم الخبر أنك سرت إلى بني دازم فساروا إلى أرضنا وجعوا بالغنائم ولا تخلوا القضية عن هذه

الأحوال والصواب أن نتأهب للقتال ولا نزال فى هذا المكان حتى ننظر الصدق من المحال ثم ردوا النوق والجمال وما ساقوا شيئا من الأموال وتركوا الكل وراء ظهورهم وتقدموا إلى غبار الذى لهم الذى لاح وهز وافى أيديهم قطع الرماح وأشهروا البيض والصفاح ولما أن قاربوا الغبار ظهر من تحته جيوش مثل الزمل السيار وفرسان كلهم الجبال وكلهم بالدروع الثقال ومعهم خيول وجمال ونياق وأموال ونساء وأطفال وعويل قد قلب السهول والجبال فقال شيبوب لاخيه عنتر الآن ظهر الأمر وبان الخبر والغريم قد اشتهر ودهنيا فى المال والعيال واركان حذرى قد أصاب فلا شك أن هذا جيوش بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب فقال عنتر والله لقد صدقت ياشيبوب وهذا صوت عبله قد قلب البر والمهاد وكذا أصوت نساء بنى عبس وبنى قرا قال الراوى وكان الحساب الذى حسبه شيبوب وعنتر صحيح لان الأخوص ابن جعفر لما قتل الحارث بن ظالم أخيه فى حرم النعمان ودبر من التدبير وعاد وهو إلى بنى عامر وفى قلبه من بنى عبس نار تسعير ومن شدة احنقه عليهم وما عنده لهم من الاحقاد ترك عليهم العيون والارصاد وصارت تأتى اليه الاخبار من تلك العوالم والديا إلى أن بلغه الخبر أن عنتر قد سار إلى بنى دارم ومن صحبته جماعة والفرسان المقادم من سادات بنى عبس الذين عليهم المعتمد وكان قد علم الربيع بالأمر الذى فى بنى فزارة تجدد وأن معهم طائفة كثيرة من الشجعان أصحاب الضرب والطعان فالتفت غشم بن مالك قال أى شىء تقول فى غزو وعدونا ثانيا وأخذ ثارنا منهم حيث غاب عنهم غنمهم الذى لولاه ما تركنا لهم ذكر فقال لهم الأخواص مذاهو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنه جمع سادات بنى عامر وعنى وكلاب فكان الحاضر منهم ستة آلاف فارس من كل شديد شجاع مافيهم يخاف الموت ولا يراعى فترك منهم الف فارس لحفظ القبائل والأموال وسار فى خمسة آلاف فارس ريبال ولما ترت من ديار بنى عبس فرقهم ثلاث فرق كسر الحى فى أذيال الغسق وكانت أكثر الناس نيام وبعضهم سكارى من شرب المدام فانتقم منهم غاية الانتقام ولما أصبح ملك الخيول والجنائب والبيوت واضارب وانهزم قيس مع أخوته من تبعهم من فرسان عصيرته وطلبوا ديار بنى غطفان على ظهور الجنائب ومنهم من طلب أرض بنى فزارة وخسرت بنو عبس غاية الخسارة ورجعوا بنى عامر عند الصباح وهم فى منى واطمئنان وطلبوا أرضهم والطلول وهم سائرون على عجل ولهم صياح وزجل والاخوص بن جعفر صار لانسعه الدنيا من فرحة بأخذ الثار وبلوغ الآمال (قال الأصمعى وأبو عبيدة) وكانت عودة ملاعب الاسنة واستعجاله خوفا من ان

يعود الملك قيس فى أبطال بنى غطفان وشجعان بنى ذبيان فساروا وهو فرحان ببلوغ الآمال. وما زال يقطع الربا والتلال والبرارى الخوال حتى التقى بعنتر وأبصرت كل طائفة غبار الأخرى فصحت عندهم الأخبار وكان عنتر قد صدق كلام أخيه شيبوب وعلم أنه فى حسابه دروب وسمع عنتر صياح النسوان والصبيان وصوت عبلة قد علا على الجميع فاعتراهم كلهم البلاء وأصاب عنتر غم وحميه لما سمع صوت عبلة فحطمهم بالحملة وانحط عليهم انحطاط القضاء واتبعته فرسان الانجاب وأرادوا أن يخلصوا الاسارى من شدة العذاب فعرفته فرسان بنى عامر وأبطال بنى كلاب ونادى ملاعب الاسنة ما أبرك هذا الصباح من صباح وافرحا بهذا الانفاق الذى يسطر ويكتب فى الأوراق يا بنى عمى بادروا هذا العبد ولد الزنا المهان قطعوه بمضارب السيوف وطعن السنان حتى نقطع فى هذه النوبة آثار بنى عبس إلى آخر الزمان ثم أنه حمل يطلبه وحمل الجيش كله لحمتك فعند ذلك حمل عنتر وأصحابه وأبطاله وأقرانه وأفياله وهم طالبون معونته فى قتاله وكانت جملة فرسان عنتر مائتين فارس. إلا أنهم فرسان عوابس تفترس الأسود والغابات وتتلقى فى صدورها الرماح السمهريات. وقلوبهم أقوى من الجبال الراسيات هذا وقد زعق عنتر فى وجوههم وصاح وسمعت النساء صياح عنتر فزاد بهن الافراح ونادت الاما أبركة من صباح فيه قد أتانا بشير الافراح وقابض الأرواح ثم دعوا له بالنصر من الملك الفتاح ثم أن الجيش قد اختلط وامتزج والوحوش فى أقطار البر نفر وانزعج والبر بين يدى الهارب ضاق وخرج حتى صار ضياء الشمس فى سوداء الليل مندرج وأقبل الظلام بوجهه الحالك السمج وصارت أسود بنى عبس الاكابر تفترس فى محاليها بنى عامر * هذا وقد اندهشت النواظر وحارت الخواطر وتمدد من بنى عامر سبعمائة فارس من بين جريح وهالك وقتل من بنى عبس عشرون فارسا وعادت وهى مثل سباع الاغتيال والرجال تحفظ ما فى أيديهما من الاموال ومن ورائها حاميتها عنتر بن شداد الأسد الريبال وابن أخيه الحطال وعررة وأبو شداد المفضال وهؤلاء الأربع فوارس هم الذين قضوا الأشغال لاسيما عنتر الريبال وحامية الأبطال ولولا كثرة العدد كانوا خلصوا النساء والأطفال والأهل والعيال (قال الراوى) ولما نزلوا للراحة أخذوا فى المشورة والتدبير وكيف يخلصوا منهم الحريم وكيف يقاتلوا هذه الخلائق واللئيم فقال عنتر والله يا أخى لو طال النهار ودام الحرب والقتال واجتمعت علينا كل الحلل والأبطال ما أبرح حيى أخلص نساءنا من العدا وأشرب شرب الردا على اننى وحق زمزم

والمقام والرب الباقى على الدوام ما أخلى فى خمسة أيام من هذه الخمسة آلاف لا شيخا ولا غلام وفى غداة غدا تولى براذمهم واهلك أبطالهم وفرسانهم ثم أن عنتر بات يحرسهم ويطيب قلوبهم ويقوى هممهم على الحرب والنزال فهذا ما جرى لهؤلاء وأما بنو عامر فانها رجعت إلى خيامها وهى متعجبة مما جرى لها لانهم صبروا من قتالهم مالم يروه من غيرهم من جميع العرب فشكوا حالهم إلى الاخوص فشكا اليهم أكثر من شكواهم وقال لهم يا بنى الأعمام إذا داهم هذا العبد لا يخلى منا أحد او قد سمع أن عبلة معنا وأباها وأخاها فقالوا له صدقت فى هذا الكلام وحق البيت الحرام وأن لم نصدمهم غدا يجمعنا ويكون ملاعب الاسنة أمامنا والا فما نبلغ منهم الآمال فقال الاخوص والله لولا انى خائف من الهطال وعروة أن يأخذهم شيبوب ويسير بهم فى عرض الوهاد ويخلصوا حريمهم من بين أيدينا ويعود شرهم علينا والا كنت أشغلتهم عنكم بالبراز إلى أن أفنى من معهم ولكننى أخاف أن يلزمنا معهم البراز ويطول علينا المطال ويدركنا قيس بن زهير فى جميع حرب الحجاز وتعظم الفضية وربما جاءنا ما لا طاقة لنا به ولكن يا بنى عمى إذا كان الأمر على هذا يتم فانا أسير السبى تحت ستور الظلام مع مائة فارس يسير به فى عرض البرارى ويقصدوا أرضنا والديار وإذا صبح الصباح على هذا الحساب تتسبب فى هلاك عنتر وإذا أتانا مالا طاقه لنا به على الهزيمة ونكون قد ربحنا المال والمكسب فقال له ملاعب الأسنة هذا هو الصواب لأن عنتر أن علم بهم هذه الليلة وسار اليهم بكل الأسباب وطلب خلاصهم من الوبال حملنا نحن على أصحابه ونفرقهم وأن هو أقام فان قلبه على عبلة يشتعل بالنار فينحل عزمه ويضعف منه الجنان فندور به ونبلغ منه الاردب لأنه لا يقاتل ويرمى نفسه إلى الاهوال المتكاثرة إلا إذا كانت عبلة حاضرة ثم إنهم أجمعوا أمرهم على أنفاذ السبى مع مائة فارس من الرجال فعند ذلك ساروا بالنوق والجمال والغنيمة والاموال وأضاف اليهم رجلا دليلا يسير بهم تحت الدجا فى ذلك البر الطويل ولما أصبح الصباح وأضاء نوره ولاح كان أول من ثار إلى عنتر القتال الأمير عنتر وما عنده مما جرى خبر وتواثبت قدامه فرسان بنى عامر وماحت كما تموج البحار الزواخر وصاح فيها الاخوص بن جعفر وقد أيقن بهلاك عنتر لانهم قد أصبحوا فى دون أربعة آلاف وهؤلاء مائة وخمسين فارسا غير مجروحين الا أنهم نالنصر موقنين بهيبة حاميتهم عنتر بن شداد فارس بنى عبس يوم الجلاد هذا وقد التقى الأعداء بهذه النبات وطعنوا فيهم بالرماح الخارقات وأشتدت المصائب والآفات وإذا استغل الإنسان يقاتل وإذا طابت له المنيه هانت عليه المصائب

والنوازل فلله در عنتر وما فعل فكم من همام أردى وكم دم بحسامه بذل وكم من شجاع أورثه بعد صولته الخجل وما يزال عنتر يمانع عن أصحابه حتى مضي نصف النهار ولما رأى ملاعب الأسنة قد بذل في أصحابه الحسام انقض عليه وزعق وقاربه وأظهر ما عنده من فروسية وفي دون ساعة أتعبه ومديده إلى درعه وأراد أن ينزله عن مركبه وإذا بغبار قد ثار وقتام تزوبع وتحته صياح عظيم قد ارتفع وخيل سائرة كالسحاب إذا همع وحديد يلمع ورماح تشرع ورجال لا تخاف ولا تفزع ولكن ينادون بالمشاجع بالدارم وفي أوائلهم اللقيط ابن زرارة وأخوته من حوله مثل الكواكب السيارة ولما قاربوا المعمعة وأبصروا دوائر الحرب دائرة حملوا على بني عبس بالكفاح وقد سموا النداء واستدلوا بالصياح وعرفوا به الأصدقاء من الأعداء وعرف عنتر حقيقة الحال وأبصر المواكب كلها قاصدة اليه فخلى ملاعب الأسنة من يده وأراد أن يكتفه فاطلقه وصار عن نفسه يدافع ولعبت في جسمه السيوف وقاتلت بنو عبس قتال من ليس له من الموت فكاك ووقع بينهم المحاق والفنا ولو لم تكن العناية من رب السماء ما فصل منهم من يشرب الماء الا أنهم ما فرق بينهم الا الظلام وقد قتل من بني عبس عشرون غلام وجرح عنتر وأبوه شداد وأسروا عروة وجماعة من قراد وأحاطت بهم الاعداء من كل جانب وسدت عليهم الطرقات والمذاهب وخلص اللقيط منهم الأموال وفرح ببلوغ الآمال ثم التقى بالأخوص وسادات بني عامر وهي تشكر اللقيط على فعاله ويسألوه عن سبب مجيئه مع رجاله فحدثهم بالقصة كيف أتى شيبوب برسالته وسيره عن أهله في طلب عنتر وعازم على مقاتلته ثم احتال على أنني أبعدت أخماتي وخلص الخطال من قبضي وساق أخوه أموالنا بعد الطلاق الرجال وقتل من عشيرتي جماعة من الابطال وذلك أن شيبوبا لما احتال عليه ورحله من بلاده ذلك اليوم في ضحوة النهار وإذا قد ظهر من بين يديه مائة فارس طالبين أهله والديار وهم من ناحية بني عبس وبني فزارة فقال اللقيط لا شك أن هذه طليعة عنتر الذي أتاله طالب ثم سار في كتائبه المواكب ودار وا بهم من كل جانب وبذلوا فيهم الفنا والقواضب فقتلوا أكثرهم وهرب منهم جماعة كثير وما هرب منهم الا من كان في أجله تاخير ولما أحضروا والاسارى قدام اللقيط قال لهم يا ويلكم أين خليتم عنتر عبد بني وفيكم فارس قد سار الينا فقالوا له ما وراءنا أحد وما من عنتر خبر وما جئنا من هذه الطريق الا لنتقي منه الاثر وندبر على هلاكه وعدمه فقال اللقيط تكذبون ابا أولاد الزنا ما أنتم الا بنو عمه عليكم زي بني عبس وبني فزارة فكيف تنكرون خباركم أو الاخوص بن جعفر قد قد أرسل عبدا من عبيدة

وأخبرني بمسيركم ومسير اسودكم وما أنا سائر إلا في طلبكم حتى أبلغ منكم الوطن واقلع منكم الاثر فقال له الاسارى يا أمير وحق الكعبة الحرام ما عندنا من هذا الحديث خبر وأما قولك أننا من بني عبس وبني فزارة فقد صدقت وأننا ما ننكر أحسابنا وما أتينا إلا من سبب ذلك العبيد لنقتله قال الراوى وكان هؤلاء الأوعاد الربيع بن زياد لان عنتر لما سار إلى خلاص الهطال أرسل عمه مالك إلى اشبيع بن زياد وأغلمه بمسير عنتر وقال له أعلم أن الملك قيس ألح على في عبلة المتى وزفافها على عنتر وقد أنفقوا على وتجهزوا وكنت قد عولت أن أهرب بها إلى العراق وأستجير بالملك النعمان فاتى للقوم مه أشغلهم عنا وعن غيرنا من القتال وقد سار عنتر إلى بني دارم والمراد يا ابن العم أنك تتخلى عنا وتسعى في هلاكه وتنسب في أرتباكه فلما وصلت الرسالة إلى الربيع بن زياد أعلم حذيفة بن بدر بذلك التدبير إلا أن اللقيط لما علم حقيقة الحال أراد أن يفرق الموا كب في سائر الاطلال فاتت النجاية من بني دارم وأخبروه بما أنزل عليهم عنتر من البلاء المتراكم وأنه خلص الهطال هو ومن معه من الرجال وملك ما كان لنا ولك جميع الاموال وقتل من بني عمك فوق الثلثمائة من الابطال والذى أتى اليك وقال أنه عبيد الاخوص بن جعفر هو شيبوب أخو عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت فجد له في الطلب فانهم ساروا في البر الغامر وتقول أن طريقهم على بني عامر فلما سمع اللقيط ذلك الخبر تأسف وتحير على ما جرى لأهل حلته وتحسر وعض على كفيه ندما لاجل ما تم عليه شيبوب المحال وقال وحق الكبير المتعال الحميد المجيد لارجعت عن هؤلاء العبيد حتى ابلغ منهم ما أريد ثم أنه قال للفرسان خذوا في عرض البر واطلبوا ابنا الطريق الواضحة التي ترمينا على ديار بني عبس لعلي أدرك هذا الاسود اللئيم واصرم عمر وعمر من معه من الشياطين فعند ذلك ساروا في البر الغامر والقفار وكانوا إذا أداروا النزول فما يدعهم يتزلوا بل يحثهم على المسير في البر من حرقته عنتر حتى وصل إلى بني عامر وهم في القتال مع بني عبس وجرى ما جرى مما ذكرنا في كلامنا وأظلم الظلام ورجع كل منهم إلى الخيام ونزل اللقيط بن زراة وأخوته عند الاخوص بن جعفر وفرق الثلاثة آلاف التي أتى بها حول عنتر وكان قد خلص له وبلغ آماله وحدثه الاخوص بما فعل في بني عبس وكيف كسبهم وقتل رجالهم ونهب أموالهم فقال له اللقيط يا سيد بني عامر هذا امر قد شر علنا فيه وما نرجع حتى نتممه وما بقينا نقعد عن هذه القبيلة العبسية حتى نقطع من الدنيا فروعها بالكلية ثم باتوا لا يصدقون أن الصباح يصبح من فرحتهم بوحدة عنتر وكان عنتر قد بات وهو حامل هم اصحابه ورجاله اكثر مما هو حامل هم نفسه وقد علم بمسير عمه له وسبا يا بني عبس

وأموالهم إلى بنى عامر فجرى عليه مالا يجرى على قلب بشر وكادت مرارته تنفطر فقال لرجاله أنا أعلم يا بنى عمى أنه لم يبق من عمرى أكثر من هذه الليلة أو غدا إلى آخر النهار لأنى عند الصباح أبرز إلى المواكب وأرمى روحى فى وسط هذه الكتائب التى قد دارت بنا من كل جانب وأعايرها بالكثرة وأطلب منها المبارزة مائة مائة فان فعلوا ذلك بلغت منهم ما أريد ولو أنهم بعدد الرمال وأن أبو ذلك شققت فداهما هذه المراكب وخلصتم من السيوف والرماح البواتر وحميتكم حتى تغيبوا على العين وتطلبوا أرض الشربة والعلم السعدى وأرجع إلى القوم وأقاتلهم ولو مزقت أسنة الرماح جلدى ويصير لى ولهم حديث يذكر من بعدى ولا أترك العرب تلعن أبى وجدى فقال له أبوه والله يا ولد ما فينا أحد يتخلى عنك حتى نلاقى ما تلاقى ولو بلغت أرواحنا التراقى وكذلك قال ابن أخته المطل وكل معه من الأبطال وباتت تلك الطوائف تحت مشيئة الرحيم الرحمن يعلم ما يكون وما قد كان ولما أصبح الصباح وثارت فرسان بنى عبس إلى الحرب والكفاح وقد ودعت فى تلك الساعة الأرواح من الأعداء ويفعل شيئا يذكر به دائما أبدا فترنح على سرجه شوقا إلى القتال والحرب والنزال وأنشد وقال

وأنا القوم ما تروعنا القنـــا ولا تتوفى عاقبات النوائب
وكيف لنا والموت يستحب ذيله فنلقاه منا بالنفوس الأطايب
وما أحد منا إلى الموت كاره لأن القنا حتم على كل ذاهب

قال الراوى إلا أنه لما فرغ من هذا المقال أراد أن طلب البراز للابطال فطلع من ناحية بنى عامر غبار أسود مظلم وقتام مقتم إذا نظره الإنسان انذرعت فهتت البه الأبصار وصار النهار مثل الاصفرار وحسب كل واحد حساب وما فيهم من وقف عو صواب وهمت الفرسان أن تدلق الأعنة وتبصر ما تحته من المحنة وإذا بغبار آخر قد طلع وبان من ناحية أرض بنى عبس وعدنان وكان أكثر سواد وأعظم جهاد وكان تحت ذلك الغبار قيس ابن زهير وفرسانه إلا أن الغبار الذى قد أقبل على ناحية أرض بنى عامر له اتفاق أحسن وأعجب حديث يكتب ويسطر فى الأوراق لأنه قد انكشفت عن سبى بنى عبس وأموالهم وبناتهم إذا حل من عقال وهو ينادى يا آل مرة أبا الحارث بن ظالم الريال أبشر يا أبا الفوارس بالنصر والظفر وهلاك الأعداء بالصارم الذكر وكان السبب فى ذلك أمرا عجيبا لا نناذكرنا أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده شرحبيل ظلما وعدوانا

وذكرنا أن اللقيط أتى به وأخذ عوضا عنه الف ناقة من النوق العصافير وحبس النعمان الحارث في الحديد وأوثقه لكن يقتله بعد أن يقضى أيام النعيم فسمعت بذلك المجردة بنت زهير فتألمت وزاد جواها لأنه قتل الذى قتل أباها فخافت عليه من المهالك وأرسلت اليه خمسة من العبيد وقالت لهم انظروا كيف تخلصوه واعطوه فرسه وسلاحه وقولوا له يلحق ببنى عبس وينزل على أخى قيس وعنتر ويستجير بهم يجيرك وينجدوك من سائر البشر فقالوا لها سمعا وطاعة ثم صبروا إلى أن لاحت لهم فرصة طيبة لخلاص الحارث فاتوا فى الليل وما زالو سائرين حتى وصلوا اليه فلما هموا بالدخول عليه وإذا يتقلقل من الكتاف وهو مشرف على التلاف فاسرعوا فسمعوه ينشد ويقـــول صلوا على طه الرسول

يا قومى أضنى لجسمى الوثاق ... ما بقى لى من أسره اطلاق
يا درونى قبل الصباح والا ... نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يا بنى عبس هل أرى من مجير ... ليزول العنا وهـذا الوثاق

(قال الراوى) فلما سمعوا حسن نظمه رقت قلوبهم لشعره وقاموا وقتلوا الرجال الذى حواليه وخلصوه وأعطوه سلاحه وأركبوه جواده وقالوا له اطلب أرض الشربة والعلم السعدى واستجير بقيس وعنتر فانهم يحوك من سائر البشر فسار الحارث وهو لا يصدق بالنجاة فجعل يكمن فى النار ويسير فى الليل حتى عبر أرض بنى عامر وأمن على نفسه وجد يطلب أرض الشربة والعلم السعدى فوقع بسبى بنى عبس وأموالهم وهى سائرة مع المائة فارس الذين أسلمهم الأخلاص بن جعفر فلما رأى ذلك الملك وأبصر من معه من الرجال عرج عنهم فى لبر الاقفر من أجل أنه قتل سيدهم خالد بن جعفر وإذا ببنى عامر قد راوه عرج عنهم فطلبوه فلما راهم قد فعلوا هذا المعانى ناداهم يا أولاد الزنا طمعتم فى لوحدتى وجهلتم مكانى وصولتى وأنا قتلت سيدكم خالد بن جعفر فلما سمعوا منه هذا المقال قال بعضهم لبعض هذا الحارث وحق من أرسى الجبال دونكم وإياه حتى نأخذ بثأر سيدنا خالد وتكسب المجد عند كل قائم وقاعد حمل عليه المائة فارس حمله رجل واحد واوسدوا رأس الطريق وغرهم الطمع وعلموا أن قوته أشد من الف فارس صميدع لان الحارث كان بطلا كرار وفى الحرب ماله عيار فخرق منهم بطعناته الصدور وأجرى دمائهم من أنابيب النحور بما ثبتوا بين يديه غير ساعه من النهار حتى انهم ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار بعد ما هلك منهم سبعين فارسا كرار وأما الثلاثون فانهم لما

طلبوا الهزيمة أحاطت بهم بنو عبس وانزلوا بهم التعس والنكس لان عبيدهم حلوهم من حبال الهدان وساعدتهم فى حلهم النسوان حتى اطلقت جميع الشجعان وتبادرت إلى بنى عامر فقتلوا الباقين وما سلم منهم انسان ودارا بالحارث بن ظالم وزادوا له فى الشكر والثناء وهنوه بالسلامة وسالوه عن حاله فاخبرهم بما جرى وكيف أن المتجرده خلصته من شرب كاس المنون ومن حبس الملك وقالت له الحق بنى عبس وعدنان ثم أنه اعلمهم بذهابه اليهم يستجير بهم وبملكهم قيس ويقيم عندهم فى أمان إلى أن تنصلح نوبته مع النعمان فقال له مالك ابا عبلة والله الذى جرى على قيس فى هذه النوبه مالم يجر على بشر ثم حكى له ما جرى عليهم من بنى عامر من الاثر وكيف كبسوهم فى الليل واخبروه أن عنتر فى قتالهم وأنه قد التقاهم وهو راجع من بنى ذرام واعاقهم عن المسير واراد خلاص السبى والاموال فلما سمع الحارث ذلك المقال قال لهم أرجوا بنا حتى نلحق عنتر فى القتال ثم على أنى أقول اننا لا نلحقه الا ويكون قد قضى الاشغال وفرق بنى عامر فى التلال ثم عادوا اراجعين وفى سيرهم مجدين حتى اشرفوا على عنتر عندما ناهب للقتال والحرب وعول على الطعن والضرب (وأما) الغبار الثانى الذى ظهر من ناحية ديار بنى عبس فانه غبار الملك قيس وقد أتى فى ثلاثة آلاف فارس ليرث عوابس من ابطال بنى غطفان وطلب بهم خلاص الاموال والنسوان ليأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم لان بنى فزارة تخلت عن قيس فى هذه النوبه لاجل الربيع بن زياده وحذيفه بن بدر معدن الخبث والغدر ولما أن أرسلوا المائة فارس الذين ارسلوهم لهلاك عنتر وأمروهم أن يخلوا به العير حلت بهم الخسارة وعندما رأى قيس ذلك كشف رأسه وحمل وفعلت اصحابه مثل مفعل ونادى عليهم وسمع عنتر ذلك النداء فاطمان فؤاده وهدأ فعندها هدر وزمجر وما أخفاه فى ذلك الوقت ظهر فنادى يا له من صباح ما أشامه على الاعدا فاليوم اجرعهم كؤوس الردى ثم حمل عليهم وكر وقد انشرح للقتال وخفت عنه الهموم والاثقال أما اللقيط فاخبر الاخوص وسادات بنى عامر بمانع له مع الحارث وكيف سلمه إلى النعمان وتركه مشرفا على الهلاك والحرمان فلما رآه فى هذه النوبة قد عاد سالما تعجب من خلاصه وخاف من بنى عامر ان يشكوا فى قوله فعند ذلك حمل وصاح فى بنى ذرام وقصد عنتر والحارث بن ظالم ومن معهم من الرجال الاجاود وهذا وقيس بن زهير ومواكبه قد انطبقت على بنى عامر وما انقضت ساعة حتى اختلطت العشائر فثارت العبرات فتحملت البواتر فدارت الدوائر فرقعت الاسنة فى الحواجر فجرت الدماء من أنابيب المناخر فلعبت بجماجم الابطال

الحوافر وفعل عنتر بن شداد والحارث بن ظالم فعالا تحير الخواطر وتبهت النواظر وكان الحارث قلبه ملان على اللقيط لأجل ماجرى له معه فصار يطلبه من سائر أقطار الفلا ويضرب بسيفه الاعناق والطلى حتى ملا الأرض بالقتلى وأراد عنتر أن يحمل عنه الأثقال فاشعل نار الحرب ولها واصطلى ودام الطعن والضرب حتى عاد النهار مرتحلا وأقبل الليل منسدلا وقد صار القوم مثلا وأنفصلت الطوائف عن بعضها البعض وقد امتلأت من القتلى والأرض ورجع كل فريق إلى قومه بعدما عرفت الاصحاب وعاد كل فريق إلى جانب وخسرت صفقة بنى عامر وبنى دارم ورجع اللقيط وهو خاسر نام وقد هلك من أصحابه ستمائة فارس مصادم وأما بنو عامر فقد هلك من عددهم أوفى أوفى من ثلثهم حتى اجتمع عنتر بالحارث وسأله عن أمره فقال له عنتر وحق مكون الاكوان ومن ارسل الغيث إلى كل مكان تكرما منه واحسان وشكره على فعله فاخبره بما جرى له مع الملك النعمان وأنه قد أتى يطلب الذمام والامان العالم بما يكون ماكان لوطار رأسى بين يديك لا اتركك ولو ان خصمك كسرى أبو شروان أوقيصر ملك عباد الصلبان أو الحارث بن غسان وقد أعطيتك الذمام وأنا لك من جملة العبيد والخدام فشكره الحارث بن ظالم على ذلك وعاد عنتر إلى الملك قيس وهناه بالسلامة من الرداو النصر على الأعداء فدعا له بطول العمر والبقاء على مر الزمان والمدا ثم باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا برد الحريم والأموال وخلاص الفرسان الذين كانوا فى الاعتقال وما فيهم من شكر الحـــارث وأثنى عليه وحدث صاحبه بما لقى وما جرى عليه وأراد الحارث أن يمدح الملك قيس ويميل اليه فاشار يقول صلوا على طه الرسول

ألا حييت طلالكم وخيام ... عليهن منى ما حييت سلام
سلام امرىء يقرى اليكم تحية ... وقد مسه مما عراه سقام
لقد خضت أهوالا وجئت مبادرا ... إلى ملك أفنى العـــدا وهمام
أقيس فانت السيد الملك الذى ... له حسن رأى ما عليه مرام
وقد خلصتنى اختك الآن عنوة ... من السجن لما كنت فيه اصام
اونبيك انى قد قتلت ابن جعفر ... وقد ناله بعد الهوان حمـــام

أخذت لكم بالثأر منه بصارم ... له لمعان والقتام ظـــلام
قطعت الفيافى وصلت إلى لقا ... بنى عامر والسبى فيه قتام
رأيتهموا فى الذى يبدو تأسفا ... عليهم من الحزن الشديد قتام
وعيلة قد أضحت لديهم مهانة ... وأدمعها فوق الخدود سجام
تنادى بذل أين عنتر كى يرى ... هونى ومع هذا الهوان أضام
فخلصت كل السبى منهم بهمه ... وفى كبدى منهم جوى وغرام
وقد جئت من أرض العراق مصمما ... اليك رجائى من علاك ذمام
وأنت شجاع الحرب يا عنتر الذى ... له الأشد تخشى وهى منه رغام
أفارس عبس لى اليك شكاية ... لهم وسقم ليس فيه مـــلام
فكن لى معينا يا فتى عبس وأنظر ... لحالى فمن وافاك ليس يضام
أجرنى من النعمان مالى سواك من ... يحامى عنى والخطوب عظام
لانك قد أصبحت تخشى وتتقى ... وعزمك من كل الأمور برام
وكم قد تركت الخيل سلبا عواريا ... وفرسها فوق الصعيد نيام
إذا سمعوا مزماك فى كل معرك ترى ... الرعب فى كل القلب يقام
وقد علمت كل القبائل أن من ... تكون له حصنا فليس يضام
وملوك الأرض تخشاك فى الورى ... لأنك فرد فى الأنام همام
فلا زلت للقصاد كهفا وملجأ ... وأنت حمى للنائبات حسام
علوت على السبع الشداد بهمة ... وعزم له فوق السماك مقام

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس شعره تعجب من نظمه ونثره وقال له وحق ذمة العرب لو طلبك كل من فى الأرض طولها والعرض ما مكنتهم منك هذا وقديات عند بنى عبس من الأفراح مثل ما عند أعدائهم من الافراح ولما طلع ضوء النهار وأصبح الصباح عادوا للحرب والكفاح وبذلوا الاجساد والارواح للسيوف والرماح وقد كانت وقعة تشيب رؤس الاطفال ولمـــا عبر نصف النهار وقعت الخسارة فى بنى عامر وبنى دارم ونثر عنتر فرسانهم بالطعن الدائم ورمى بحسامه القلل والجماجم طير الفحوف والمعاصم والتقى بملاعب الاسنة الحارث بن ظالم فاصطدما ودمدما

وغابت عنهم الأرض والسما وجرت من الاحداق الدما وما زالوا كذلك آخر النهار وأقبل الليل بالاغتكار وولت القبائل قدام بنى عبس وعدنان واختارت الهزيمة وكانت نجاتها أوفى غنيمة ورجعت بنو عبس بالاسلاب والغنائم وقد بنت لها المعالى بيتا مشيد الاركان ثم نزلوا للراحة فى ذلك المكان وكل منهم يهنى بالسلامة صاحبه ويسلم على الذى بجانبه ويحدث بما لقى من قتاله وعجائبه ولما أصبح الله تعالى بالصباح رحلوا بالحريم والاموال وقد سلم عنتر الغنيمة الذى معه من بنى دارم إلى عمه مالك وقال له ياعم هذه الغنيمة قد تركتها للعروس والوليمة فقال مالك بخبثه ودهاه يا إبن أخى ابشر بكل ماتريد فعيله أمتك وأنا وأخوها من جملة خدمك ولكن ياابن أخى نريد أن نصبر حتى يهدأ روعك وتم أفراحنا ما دام أن القلب قد بلغ المنا وهزمنا عدونا. فطاب بذلك الحديث قلب عنتر بن شداد وتسلى بذلك الميعاد وأنطلى عليه مكر عمه والكيادوكان قوله كله زور ومحال. فلما سمع المالك قيس ذلك الكلام قال والله ما تقيم فى الديار أكثر من ثلاثة أيام نزف عبلة على حاميتنا عنتر قبل أن يجد علينا عارض آخر لان أعدائنا كثيرة وهمومنا غزيرة ثم أنهم جدوا يطلون الديار وعنتر يجانب الحارث وهو يطيب قلبه ويوعده بالامان وحسن الحالات وهو ينشد هذه الابيات

أعادى صروف دهر لا يعادى ... واحتمل للتطيعة والبعاد
وأظهر نصح قوم ضيعونى ... أزالوا من قلوبهم الودادا
أعلل بالمنا قلبا عليلا ... وبالصبر الجميل وأن تمادى
يعيبونى العدا بسواد جلدى ... وبعض خصائلى تمحوا السوادا
سلى يا عبلة قومك عن فعال ... ومن حضر الوقائع والجلادا
رددت الخيل والأبطال حولى ... تهز أكفها السمر الصمادا
وخضت بمهجتى بحر المنايا ... ونار الحرب تتقد أتقادا
وعدت مخضبا بدم الأعادى ... وكر الحرب قد بل الجوادا
وكم خفلت من بكر رداح ... بمهج حسنها تحيمى الفؤادا
بسيف مرهف الحدين ماض ... يقد بحده الصخر الجمادا
ورمحى ما طعنت به لقوم ... وعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمى وسنان رمحى ... لما رفعت لها عبس عمادا

قال الراوى فلما الحارث شعر عنتر فى عينيه وصفا قلبه اليه ومدحه وأثنى عليه وكان الحارب خبيثا لا يصفو قلبه لاحد من الابطال ما كان لفارس قط عنده هيبة من الفرسان والرجال ولولا فزعه من النعمان كان أذله وقهره وإلا كان مكر بعنتر وغدره ولكن علم أن العرب كلها لا تقدر أن تجيره من النعمان ولا أحد يقدر يقاومه من ملوك الزمان فلاجل هذا أذل بنى عبس وعنتر واعتمد عليه من دون البشر وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ديار وانقطع يأس مالك أبى عبلة من سائر العرضيات وعلم أن أبنته تخرج من يده ويأخذها عنتر بغير اختياره فالتهب قلبه وزاد توارد أفكاره وخلا بولده عمرو أطلعه على أسرار فقال عمرو والله يا أبتاه يا أبتاه أن أضعاف ما عندك وها أنا منتظر أنى أرى تمام هذا الامر وكانه محقق وأهج على وجهى فى القفار وأبكى على فضيحتنا ليلا ونهارا ولكن الصواب يا أبتاه أننا نرحل إلى بنى فزارة ونعلم حذيفة بن بدر أو الحارث بن ظالم عندنا وأنه استجار بملكنا قيس وجل معتمده عليه لعله يرسل إلى النعمان ويخبره بذلك الامر والشان فلعله يرسل إلى قيس ويشغله عنا ونبلغ نحن ما نتمنى فلما سمع مالك كلام ولده زال عنه بعض ما يجده وفى الحال أنفذ الى الربيع بن زياد يشكو اليه ما هو فيه من العناء والعناد ويعرفه بجميع ما جرى من قيس عنتر ابن شداد وأنهم لما وصلوا إلى الديار وقربهم القرار أنزل الحارث عنتر فى أبيانه وصار يقضى معه أكثر الاوقات بالفرح والمسرات وهم فى شرب وتناول لذات وهو منتظر وعد عمه وانجاز الميعاد من الملك قيس بالمعاونة والاسعاد قال الراوى وبعد خمسة أيام جاءته الامة خميسة وهو فى بيت امه زبيبة وقد أصبح ذلك اليوم تعبان مخمودا مكمردا مكروب وقد امتنع عن الركوب فقالت له يا مولاى احفظ نفسك من عمك مالك ولا تغتر بوعده فانه قد غدر عهده وقد أتى اليه رسول من الربيع بن زياد وهو يقول له اخرج بعنتر إلى غدير ذات الاصاد وأظهر له أنك تريد الخلوة به والمشورة فى أمر أبنتك عبله حتى ندهمكم على غفلة ونخفى أمره ونجرحكم جراحات خفيفة غير قاتلة حتى إذا رجعتم إلى اك حياء وسألكم الملك قيس تقولوا له نحن ما ندرى الا وخيل غائره فدهمتنا وهجمت علينا ونحن فى فرحنا ومسرتنا فجرحونا ونحن سكارى وما ندرى ما جرى وما تعرفهم عن الاعداد من الاصدقاء وتستريحوا انتم من الهتيكه والفضيحة فى ابنتكم لانه لما سار إلى بنى دارام أرسلنا سرية من الخيل خلفه لتقتله فاهلكها اللقيط بن زرارة وكانت مائة من الفرسان الامارة فهلك منها سبعون ونحن من أجلها حزانى منكسرون

﴿ تم الجزء الثالث عشر ويليه الرابع عشر ﴾

الجزء الرابع عشر

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وهذا الحديث ياأبا الفوارس ماعلمت به مولاتى عبلة ولاسمعه إلا مولاى مالك وولدة عمرو لان الذى أتاهم يقال له مكتوم وهو من خواص عبيد الربيع وهو يحبق محبة زائدة ولولا هذا ما كان أطلعنى من هذا الحديث على لفظه واحدة ثم عادت الأمة من عند عنتر وقد أوصته أن يأخذ الحذر وتركته كأنه فى نار سقر ومن شدة ماجرى عليه شك فى منال الجارية خميسه وماظن أن عمه يغدر به حتى سمع مامعه وماسمع وأراد بذلك صحة الخبر وكان السبب فى ذلك أن الربيع بن زياد لما وصل اليه الرسول وسمع أن عنتر عاد سالما ومعه أموال بنى داحس وذلك بعد ماأهلك الفرسان وخاص السبايا هو والحارث بن ظالم وقد اجاره من جميع المآثم وهو عنده فى أعظم الجوار وقال له أبشر بكل ماتحب وان يعرض لك كسرى هدمت ايوانه أو قيصر ذبحت فساقته ورهبانه فعند ذلك أعلم الربيع حديقة بهذا الخبر وأطلعه على ذلك الأمر المنكر وقال له والله ياأحا حجار مابقى لنا رأس تشال اذا لم ندبر على هلاك هذا العبد نسل الاندال ثم لهما اتفقا على المعاونه وأنفذوا رسولا من يومهم الى الملك النعمان وهم يقولون الذى نعرف به الملك العظيم الشأن ملك العربان ان عدوك الحارث الذى قتل ولدك شرحبيل وقتل خالد وجعفر فى حرمك وهرب من حبسك فهو الآن فى بنى عبس وقد أجاره قيس وعنتر وقال قيس هذا الذى قتل قاتل أبى وأخذ ثارنا وأريد أن أبذل نفسى دونه ولو طلبه النعمان أو كسرى أنو شروان ماسلمته لهم الا بعد ضرب يهدو طعن يقدو أما عنتر بن شداد فما أقدر أن أواجه الحضرة النعمانية بالأبداء من الكلام لان ملك العرب أخبر بجهالته ومايخفى على الملك تكرة ووقاحته وبعد انفاذ الرسالة إلى الملك النعمان أرسل إلى مالك ابى عبله يامره أن يفعل بعنتر كماذكرنا وجرى من القصة ماجرى وعلم عنتر بذلك الخبر فبقى بين المكذب والمصدق فتارة يسمى الظن بعمه مالك أن يكون أضمر له الشر والمهالك وتارة يظن أن الربيع بن زياد دبر هذه التدبير لما علم ان عمى قد رضى على واتصلح حالى معه فاتخذ العبد الى خميسة واخبرها بذلك الحال وماتدبر من الاحتيال حتى يمنعنى عن بلوغ الآمال وانا وربه

الكعبة ما اطلع على حالى احدا حتى ابصر آخر هذا القصة كيف تكون وا كشف عنى هذه الغبون لانى اخاف أن يدعونى عمى بغير اتفاق ويكون هذا الحديث خداعا ونفاق ونرجع إلى ما كنا عليه من العناد وينفسد ماتقرر مع عمى من الصلاح والوداد ثم أقام عنتر على ماهو عليه من الهم والافتكار حتى انبسطت الشمس وتعالى النهار وإذا بابن عمه عمر وقد أقبل وقال يا ايا الفوارس ان أبى انفذنى اليك هو يسلم عليك وقال لى خذ ابن عمك عنتر ثم امضى به إلى غديرات الاالصاد حتى اننا نخلوا به اليوم ونشاوره فى امورنا وننظر مافى نيته ان يفعله فى حق عبلة زوجته ونعيد معه المشورة والرأى على مانحب ونختار ولم يعلم بحالنا احدا فقال له عنتر السمع والطاعه لاى شى ملم ترسل بعض عبيدك ولا كنت تعبت نفسك لانى انا المسعود فى هذه العبارة ثم انه صار إلى مضربه ولبس الفراثو لبه بعد ماليس ثوبا من الزرد مضاعف العدد لا يعمل فيها الصارم المهند وهى حرز لمن عليها اعتمد وكل ذلك احترز منه على نفسه من الحديث الذى سمعه من خمسه وقدم له شيبوب فى ركابه وتقلد بسيفه الظامى الابتر وسار مع ابن عمه عمرو واخوه جرير وشيبوب فى ركابه وقد اطلعهم على ذلك الحال فلما وصلوا إلى غديرذات الارصاد وجد عمه فى الانتظار والعبيد بين يديه وهم يروقون المدام ويصلحوا قدور الطعام فلما اقبل عنتر قام له مالك على الاقدام وبجله وقال له اهلا وسهلا بضيفى وترسى ثم شكره واثنى عليه وما استقر بهم المقام حى قدموا له الطعام فلما اكتفوا من الطعام دارت عليهم اقداح المدام واخذوا بعد ذلك فى المشورة والكلام وطابت لهم الخلوة وعملت فيهم النشوة وقال له عمه يا ابا الفوارس انا ما خلوت معك فى هذا اليوم الا حتى يذهب التعب واللون لان حبلى بحبلك قد اتصل ومرادى بك قد حصل فانفذ غدا إلى اصدقاك وادع من تشاء من رفقاك حتى تشرع فى أمر عرسك وتبلغ مناك وانا فى نيتى أن اجمع كل من فى الحى من النساء والرجال والعبيد والاحرار ولا اترك كبيرولا صغيرولا عبد ولا اميرولا غنيا ولا فقير إلا واجعله يحضر فى الوليمة وأدع جميع الناس يرتعوا فى الطعام ويشربوا المدام واكسو الأمل والايتام ونحن إسمنا كبير وخيرنا كثير فافعل انت ماتشاء من التدبير فعندها طاب قلب عنتر بهذا الكلام وحقق أن قول خميسة الذى سمعه منها عن الربيع زور محال ومن خمدة سروره وافراحه وقف قائما على الاقدام وقال والله ياعماه ما انا إلا عبد لك على مدى الازمان وانى قد فوضت امرى اليك ياسيد العربان وتركت زمام قيادى بيدك واتكالى على الله وعليك فافعل ماشئت ودبر ماهو يت وابذل جميع ماعندك من المال وإذا خرج شىء من يدك فالرب القديم يخلفه

عليك لانى ياعماه أموال العرب كلها بيدى وهى تصير كلها اليك وأنت تكون الحاكم والأمير وأنا ما أريد من الدنيا إلا سيفى ورمحى وجوادى بعد بلوغ آمالى ومرادى وأنا أسعى فى عمل الوليمة وتحصيل الخلع والخمر ونبادر فى هذا الأمر ثم أنهم بعد مادار بينهم الكلام وامتلأوا من الطعام أخذوا فى تناول كاسات المدام ودارت عليهم الكاسات والأباريق والخمر الصافى العتيق وعنت لهم الاماء والمولدات وطابت لهم الأوقات حتى نسوا المصائب والآفات ولم يزالوا على ذلك الغبار إلى آخر النهار وقد لبست الشمس حلة الأصفران وطال على مالك أبى عبله الانتظار وكذلك ولده عمرو زاد به الاشتعال وهم ينظروا إلى تلك البرارى والتلال ويرتقبون الخيل تطلع من ناحية بنى فزازة وعليها الأبطال قبل قدوم الظلال وصار مالك أبو عبله يشرب المدام ويسقى عنتر على ذكر عبله بالكبار والصغار وقد أكثر وعلى عنتر بالشرب لأجل أن يسكروه ولعلهم أن يبلعوا منه مايؤملوه هذا وعنتر يأخذ منهم ويشرب وهو على قلب غافل ولاغم عنه بل هو فى طرب وكان مالك أبو عبله قد أعلم العبيد بما يفعلون من المكر والتنكيد فصاروا يتغامزون عليه بالعيون والأحداق وقلوبهم تغلى بالمكر والنفاق فعند ذلك فاق عنتر وصح عنده كلام الأمة خميسة وكان أخوه شيبوب واقفا فى الخدمة وشكيمة الابحر بيده وهو تارة يشرف عليهم وتارة يدور حولهم ويقول لجرير أخيه ويلك ياأخى راقب التلال وأخاليف ورمال مخافة أن يكون قد كمن لاخيك رجال يطلبون هلاكه والوبال هذا وشيبوب يرقب البركان السرحان وكلما أبصر أخاه بينهم وهو على ذلك الحال وهم دائرون به من اليمين والشمال ويزيد به الهم والبلبال ونظر إلى عمر واخى عبلة وهو منتظر من أبيه أن يأمره بضربه وهم منتظرون الرجال فعند ذلك صاح شيبوب على أخيه وقال له قم يا ولد الزنا من بين هؤلاء الاندلال فعند ذلك وثب عنتر وسل حسامه الظامى الابتر وعول أن يبذله فى الجميع إذا هو بخيل بنى فزازة قد طلعت وفرسانها قد أسرعت وفى أوائلها الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن المكر والكيادو الكل ينادن جاءك البلاء يابن شداد ثم أنهم افترقوا ودار وا حوله من كل جانب وأقبلوا اليه بالقنا والقواضب وبأن ذلك الوقت الصادق من الكاذب فتقدم عنتر ليركب على ظهر الجواد ليلتقى الخيل التى أتت اليه مع الربيع بن زياد فعند ذلك صاح مالك على ولده عمرو وقد لعبت به نشوات الخمر وقال له ويلك ياجبان اضربه بسيفك الصقيل أو اطعنه بزحك الطويل فما بقى له بعد قدوم هؤلاء الفرسال إلى الهرب من سبيل فعندها سل عمرو حسامه وضرب به عنتر الا أنها ضربة ذليل مهان فلم يبال بها عنتر ولا

اوهت لهجنار بل أنها قطعت أثوابه وردها عنه الدرع المقدم ذكره فلم يتالم لها ففزحتى بقى عند ظهر جواده الابجر واستلب الرمح المكعوب الأسمر وتقلد بسيفة الظامى الابتر وقفز إلى الخيل المقبلة كانها القضاء والقدر وطلبها قبل ماتطلبه وهو يشتم ويدمدم ونوى لعمه مالك الشر والمهالك وهو يقول له يا غدار يا مكار رحق الملك الجبار لابد أن أعابلك على هذه الافعال بالوباء والوبال ولاحرمتك شرب الماء الزلازل ثم أنه استقل الأطال وطلب منهم الشر والقتال وشيوب بين يديه يهمز مثل همزات الغزل ويرمى بنباله فيصيب بها مقاتل اجال وصار هذا يطعن بالرمح فى الصدور وهذا يرمى بنباله فى النحور وجرير ينادى خاب والله ظنكم يا بنى الزوانى من صيد هذا الاسد الكسور وكان النهار كما ذكرنا قد انقضى أكثره وبقى أيسره الا أنه ماأقبل الليل والا وقد تمددت الفرسان مثل العمد وضاق عليهم البر والفدفد وضربهم ضربا يقد الزرد وطعنا إذا سمع وقعة على حذيفة وأراد أن يطعنه ويسقيه كاس المنيه ويفقده روحة بالكلية وإذا بشيوب قد استقبله وضرب جواده بنبلة فقلبه ووقع حذيفة من مركبه فادركه عنتر وضربه بقوة خيله فوصل السيف إلى عاتقه فحله وتركه مرميا تحت أرجل الخيل وطلب الربيع بن زياد وزعق فيه فولى هاربا لانه لما أبصر حملاته أهاله وراى ضرباته من تكون منيته قد قربت وروحة على قد هانت ثم انه أدار رأس جواده وطلب أرض بنى فزارة ومن بقى بين يدى عنتر أنزل به الذل والخسارة وحل به الويل والعدم وتركهم ممدودين على الرواى والاكم ولما نظر حمل إلى أخيه حذيفة وهو على الارض ممدد فى دهشته ربطة على بعض الخيول وهو غائب عن الدنيا وتبع الربيع بن زياد ولحق عنتر بسيفة فيمن بقى من الرجال وقد ساقهم اليه مقدر الارزاق والآجال ومن حكم عليه بالمحاق والربال أن عنتر عاد عنهم بعد هذه الفعال وأنشد وقال

ترى علمت عبلة بانى مظفر ... على كل أعدائى اللئام بلا كذب
ولى صارم كالبرق يلمع نورة ... لذا هزة كفى تلالا مع الشهب
فمن شاء إلى فليقدم فانتى ... أرى الموت سهلا والحياة بها كربى
يريدون قتلى والحسام محكم ... بكفى وجن الارض تهرب من حربى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من ابياته عاد وهو من شدة حنقه على عمه مالك وولده عمرو يطلبهما على الغدير حتى يشفى منهما عليل صدره وما عنده من الزفير وكان قد عول إذا لقاهم أو ثقهم بالجراح ويسمى عبلة ويطلب البعد عنهما والانزاح فما رأى لهم أثر

فقال لأخيه شيبوب أنهم قد عادوا يطلبون الخيام وعند الصباح تقع المشافة والكلام ثم أنه سار يطلب أبياته فما وصل إلا والليل قد مدر رواقه بالظلام فترجل عنتر وأوصى أخوته ونام وكان أبوه شداد وعمه زخمة الجواد والحارث بن ظالم وعروة بن الورد ذلك اليوم فى دعوة الملك قيس بن زهير وقد عادوا من عنده سكارى وناملى ولما كان عند الصباح انتبه عنتر من المنام ثم عرض مما جرى له على قلبة وكان ظن أنه رأى ذلك المنام فأحضر أخاه شيبوب عنده وقال له ياأخى رأيت رؤيا شنيعة وأريد أن أقصها عليك ثم ابتدأ يحدث شيبوب بما جرى له من تلك الأحكام فقال شيبوب يا ولدا الحرام هذا يقظة لا منام ثم أعاد الحديث من أوله إلى آخره وأخبره كيف قاتل بنى فزاره وكيف قتلهم وما أنشد من الشعر الرقيق ثم قدم الرزديه التى كانت عليه وهى مخضبة بالدماء وكذلك سيفه وقال والله يا ابن الأم ماظننت أنك ترجع سالم وما صدقت أنى أراك فى بيتك نائم ولكن سلم الله العزيز الدائم فقال عنتر لأخوته والله لقد سلمنا يا بنى الاركام ولكن أين أنه قال لولده عمرو واضرب عنتر بسيفك الصقيل لاترك دمه على الأرض يسيل قبل أن يذهب هذا العبد الذليل ويخلص من أشراك الوبال لأنهم خافوا عليك بالشراب وخدعوك بزخارف المحال ولما قدمت الخيل عليك وجرحت حذيفة بن بدر وانهزمت الفرسان بين يديك هرب الربيع بن زياد وهو خائف منك وصار يلتفت اليك وأنت تخب بالجواد وتطلب غدير ذات الأرصاد وأنت تقسم أنك لاتبقى من الأعداء أحدا وصرت أنا أردك وأنت لاترد وتسمع منى بل تزعق على وترمى بالسيف إلى وأنا خائف أن تقع ضربة منك ودرنا عليهم فما وقعنا بهم ولا رأينا أحدا كبيرا ولا صغيرا فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الخبر قلق لذلك وتحير وحمل أثقالا من الهم والفكر وعول أنه فى ذلك اليوم لايظهر فبينما هو كذلك إذا الأمة خميسة أقبلت اليه وقالت له ياأبا الفوارس ومولاتى عبلة تسلم عليك وتعلمك أن أباها وأخاها رحلا على وجوههما فى القفار بين يديك وحلفا لايسكنان الحى وأنت حى فقال له عنتر عند ذلك أما كفاهم ما فعل بى الغدر والردا وقد نسانى إلى الظلم والاعتدا وهم أساس البلا فحدثينى بما جرى قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن أبا عبلة هلك من نبال شيبوب وضربات عنتر استحى مالك وولده عمر وأن يرجعا إلى الخيام فقلق مالك لذلك وهام وقال لولده عمرو والله يا ولدى مابقى لنا فى هذه الديار مقام لأن الناس غدا الصباح يعلموا بصفقتنا ويأكلوا لحومنا بالملا والكلام سيما الملك قيس

وأخوته وأخي شداد زوجته وأنا عولت على أني أسير إلى الملك النعمان أحكي له على قصتي وأستجير به من بلوتي وأدخل تحت ذمامه من هذا العبد الزنيم الذي عائدني في ابنتي على أن النعمان بعد ما علم الحارث عندهم وانهم أجاروه لابد أن يسير اليهم بسائر الفرسان العرب ويقطع ما بين القبيلتين من النسب ويكون هذا لقلع آثارهم سبب وان قتلنا عنتر بلغنا والله الارب وتزوج اختك لمن تكون في نعمته ونعثر نهيبته فقال عمرو الصواب يا ابتاه اننا ناخذ عبله معنا ونبعد عن هذه الديار فقال أبوه لا يا ربي ما هذا صواب لاننا أردنا أخذها معنا ما طاوعتنا على هذه الأحوال ثم قال مالك للعبيد الذين كانوا معه ارجعوا أنتم إلى الأوطان والعيال واحفظوا المرعى والانعام والاموال حتى نبصر آخر هذه القصة وكيف تكون الأحوال وقولا لابنتي عبلة انني ما بج على وجهي في الجبال خوفا عليها فان كانت هي تختار عنتر علينا وتطاوعه على ما يريد فدعها تفعل ما يختار وإن أرادت أن تصرن عرضها وتستر نفسها فتضي تستجير ياخي شداد وعمها زخمة الجواد فان عنتر لا يهتك حرمتها ولا يخفر لاجلها ذمتها ولا يؤذيها قال الراوي ثم سار مالك وولده عمرو في الليل وجدوا المسير على ظهور الخيل ورجعت العبيد إلى المضارب والخيام وأعادوا على عبلة ما قال أبوها من الكلام فتجددت عليها المصائب والأحزان وقالت عبلة وحق البيت الحرام ما رأيت على وجه الأرض بغية أشقى مني فيا ليت أمي لم تلدني وأما قول أبي أني أستجير بعمي شداد من عنتر فانا لا ابرح من هذا البيت ولا أظن في ابن عمي هذا الظن لانه طول عمره بطلب نصرتي وتسبيني العدا ويخلصني من النوايب والردا ثم انها باتت متفكرة في امرها إلى أن طلع النهار انفذت الأمة خميسة إلى عنتر تعلمه بهذه الأخبار وقالت امضي إلى عنتر واعلميه بهذا المعنى فمضت اليه الأمة خميسة وعلمته كما ذكرنا فلما سمع عنتر هذا الحديث ما بقي يدري كيف يفعل وهو متفكر فيما جرى عليه من تلك الأخبار والأسباب إذ قد دخل عروة خليله والحارث مجاورة ومافهم إلا من هو مستوحش لعنتر وسأله عن كل حاله فتحسر وقال والله لقد كان يومي اشأم الأيام واسرها لا يجعل الله مثله لصديق ثم جعل يحدثهم بالحيلة التي دبرها عمه مالك وما جرى له من بني فزارة وكيف عاد بهم إلى الخسارة ثم قال لهم وانا اعلم ان عمي في هذه النوبة ما يخطى الملك النعمان بل لابد أن يصل اليه ويحدثه بحديث الحارث ابن ظالم ولابد أن يصير بيننا وبينه العداوة والقتال واحتاج أن القي روحي إلى الأهوال إلى ان أبلغ الآمال أو أن تلعب الختل برأسي في المجال ولابد ان ينفذ الملك النعمان بطلب

الحارث من الملك قيس فقالوا له صدقت يا أبا الفوارس وأما عمك فإنه يطلب ابنته والربيع ابن زياد يأخذ أخاه عمارة ويزوجه عبله ويضيع كل ما عملته ولا تبلغ منها ما أملته فقال عنتر وحق ذمة العرب من معد بن عدنان لو أتانا النعمان بنفسه وسائر العربان أو أتانا كسرى أنو شروان وطلب من ذوايب عبلة شعرة واحدة لما قدر إلا بعد طعن يعمى البصر وضرب لا يبقى ولا يذر فقال الحارث يا أمير عنتر أما النعمان فلا تحمل همة فانا إذا سمعت أنه ساير ميك آخذ معي عشرة فوارس وأسير اليك واهلك عساكره وادرى كتائبه وأبيد عشائره وأما عمك مالك فواجب عليك أنك تسير اليه وتأخذ الملك قيس ابن زهير وتلحقه في الطريق وترضاه وتترفق به وترده إلى الحلة لاجل محبوبتك عبله لأن المحب يذل المحبوبة ولو كان الجفاء والهجر من نصيبه كما قال الشاعر

إذا ذل المحب وبات يشكوا ... إلى عـــواده شكوى السقيم
يؤمل أن يزيل الله عنـــه ... لهيب توقد الشوق القـــديم
ولا سيما إذا كان التشاكي ... من البـــلوى إلى قلب رحيم

(قال الراوي) فلما سمع عنتر هذه الأبيات من الحارث بن ظالم دمعت عيناه وزاده جواه وكثر جنونه وزاد شكوته وقال أما عمي مالك فانا أركب وأسير وراءه وارتضاه وإن لم أجده سيكون بيني وبينه حديث يذكر ويروى قال فبينما هم في الحديث والكلام إذ دخل عليهم من عبد عند الملك قيس الهمام وقال يا أبا الفوارس كلم مولاي قيس فان رسول حذيفة قد أتى اليه على سبيل الشكوى ويذكر ان له عليك دعوى وقد ذكر أنك جرحته وبغيت عليه وأوصلت الاذية اليه وما هكذا ينبغي أن تكون الرجال الاجواد المعروفين لانهم طول عمرهم طالبون قتلى في السفر والحضر ولا يدلى معهم من يوم اسود أغبر من ضرب الحسام الذكر والاماكون فا أنا بن شداد عنتر لاسيما حذيفة والربيع بن زياد القرنان الكثير الكياد الخوان وإن سلم اليوم فما يسلم غدا ثم أنه ركب وسار إلى حضرة الملك قيس فلما حضر قام له كل من في المجلس وسأل عن الخبر والحال فقال له قيس يا أبا الفوارس أي شيء أوجب هذه الفعال وما سبب هذا القتال ولماذا تسرف في شرب الخمر الميشوم حتى جرى منك هذا الأمر المذموم فقال عنتر وما الذي فعلت من الفعال حتى استوجب هذا المقال أنا وحق رب الأرباب قط ما شربت وغاب لي الصواب فقال الملك قيس هذا رسول حذيفة جاءني يشكو لي ويقول لي على لسان الرجل يا قيس أنا ركبت في مائة فارس أنا والربيع بن زياد وكنا قد جئنا نهنيك بالسلامة ونعتذر في التقصير من

قلة المسير اليك لأننا كان لنا سربه فى بلاد اليمن وهلكت وماعاد منها إلا القليل وذكر لنا بعض المنهزمين أن الأعداء وراءهم طالبين وقد قصدت خوفا على الحريم ولما سمعنا أنك قد عدت سالما أتينا نهنيك بالسلامة فثار علينا عند شداد عند غدير ذات الأرصاد وهو سكران لا يعقل إنسان فقتل رجالنا وأهلك أبطالنا ومازالت الرجال ترد عن أنفسها وأنا أقول يابنى عمى لا تثيروا بيننا الدماء ولا تحاربوا هذا الرجل واحذروه فانه سكران ولم يزل إلى أن وصل إلى وأنا أقول هذا المقال ولا أدافع ولا أدفع بل صرت أقول إذا رآنى يستحى منى ويرعانى فما هو إلا أنه لما لحقنى مد يده وضربنى فقلت أنه قتلنى وقلت أن أناها جمعته ولم أرعكم يثور الحرب بيننا وبينكم وما كفاه حتى صار يقول لنا ياأولاد الزنا ونتيجة الخنا أنتم تطلبون قتلى ولو أن عمه مالك كان يرده عنا لكان قد تعبنا إلى الديار فنحن ياقيس بقينا أولاد زنا وعنتر عريق النسب وأصل الحسب فان كان فعل هذا عن إذنك فاعلم حتى نعلم انك حردان علينا فنحترز على أنفسنا ونعلم انك ناقم علينا لأجل إنعادنا عن نصرتك وان ماعندك من ذلك خبر فلا تستحسن البغى لعنتر ولا تستحسن هذه الفعال التى بها تنكدنى وأنت بالأمس كنت راعيا فيها ومراعينا جانبنا فان كنت على ماتعهد فانب عنتر ودعه يرحل عنك ويطلب ارضنا غير هذه الأرض حتى تعلم انك غضبت لغضبنا ورضيت لرضانا ثم قال قيس ياعنتر وحق البيت الحرام لقد ضاق صدرى لاجل سماع هذا الكلام لان عندى من كثرة ادانا وزيادة همنا ما يشغلنا عن مناداة عمنا فقال عنتر يامالك وحق من ارسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ان هذا الحديث زور ومحال ثم اخبره بما جرى له مع عمه على الحقيقة واعلمه ان عمه ووالده قد هربوا خوفا منه وبعدهما فما بقيت اقع بأحد من الأعداء وإلا واسفك مه وبقى قلبه على بدواهيه ومعانيه واما قولهم انهم كان لهم فى بلاد اليمن فرسان وهلك اكثرهم قصدوا فى هذا المقال لانهم ياملك قد علموا بمسيرى لاجل خلاص بن اختى الهطال وجال فانفذ والمنك السرية لتتلى فوقع بهم اللقيط وفعل هذه الفعال وكل هذا يا ملك يجرى وانا اخفيه وفى آخر الامر يقولون ان عنتر بغى على ساير العالم والحال انى مظلوم وهدونى ظالم فانا اريهم اليوم عاقبة الظلم والبغى على من تعود قال الراوى فلما سمع الملك قيس هذه المقالة عرف بباطنه صدقه من محاله لان طريق الحق واضحة واشواهدها على من تكلم بها لائحة فقال قيس الرسول عليه لوا يح فقل له ان كان كل من أشار على بنفى عنتر عن

الاوطان فما يكون إلا قدأرا دلى الهلاك والقلعان لانى كثير الاعداء قليل الاخوان وإن فعلت هذا فلا آمن من نوائب الزمان فكم من مرة خلص عنتر حريمنا والنسوان وانقذهم من الذل والهوان وبعد هذا أنا أدخل بين عنتر وبين فزارة لأن الاختبار قد بين لهم الربح من الخسارة وهم قد جربوه مراوا وعرفوه بأن أراد الناصفة فانصبوه ثم أنه رد الرسول وعلم ما فى قلبه ووعده أن يعينه على عمه ورجع عنتر إلى مضاربه وامواج الهموم تلعب فى فؤاده وجرابه وكان أكثر همه أوغمه لاجل غيبة عمه لأنه لا يعلم أحد علم أن عبله ينغص عيشها لغيبته وبقى عنتر مدة خمسة أيام لا يلتذ بطعام ولا تهنى بمنام وبعد ذلك طلبته أم عبلة وقالت له اعلم يا ولدى أنه قد خرب بيتى من الرجال ويخاف على ما عندى من الأموال وخراب البيت ما هو صواب وتشمت بنا سائر الأعداء لاسيما الأهل والأصحاب وتلقى بعدهم الذل والأسا فى الصباح والمساء والصواب انك تجد المسير خلفهم وتكشف اخبارهم ولا تؤاخذهم بفعالهم لأن كل ما جرى من تدبير الربيع بن زياد بتلاوة الله بالنصر والانكاد ثم قالت له أم عبلة اعلم انهم إذا وقعوا وتم عليهم أمرا من الضير فانك تلقى بعدهم سروراً ولاخير ولاسيما من كلام الناس فان العرب كلها تقول تركب أباها وأخاها واعتمدت على عنتر فى شدتها ورخاها وأنت أخير بهذا الأمر فدبر تدبيرا يكون فيه الصلاح فقال لها عنتر يا مولاتى أنت تعلمى أن الذى جرى على هذه النوبة من يده كان وهو ما طلب إلا هلاكى والقلعان لأنه كان يظهر لى خلاف ما كان منه فى الفؤاد ويلقانى بالرحيب والوداد ويرجع يدبر على هلاكى هو والربيع بن زياد عاقبه الله بهذا اللجاج والعناد لأنه فعل هذا الف مرة ثم يعود ذلك عليه وبالا ومضرة ويلتقى عاقبة بغية وأنا رحق البيت الحرام وزمزم والمقام لو كان يا عنتر أنا ما أريدك لا بنتى عبله ولا أريد أيضا تقيم عندنا فى الحلة ما كنت فيها اقمت بل كنت رحلت وعلى الله توكلت فعند ذلك كلمت عبله وقالت له يا ابن العم كيف يكون لك جلد أن تبعد عنى وتقنع بالتمنى فان هذا ما هو إلا زور ومحال فدع عنك هذا المقال ربحياتى عليك تمضى وتكشف خبر أبى واخى ويكون عندك الاحتمال ولا تؤاخذهم بما فعلوا من سوء الفعال واعلم إنه إذا كان العبد يريد مولاته يحسن مداراته فقال يا سيدتاه وهذه المداراة كيف تكون وإنا والله لقد كرهت الحياة وضجرت حيث أنى اعمل جميلا ويجازينى عليه بالقبيح ولكن كل هذا يهون على قلب عبدك إذا كنت راضية عنه وأنت مقيمة على عهدك وأبوك فما عليه خوف إلا من بنى عامر لأن حواشيهم بين ابياتنا يدورون الليل والنهار قرب حلنا ويبصرون من ينفرد

من رجالنا وأبوك إذا وصل إلى النعمان فما يكون إلا في الأمان وأنا وحق هوالك في هذه الليلة قفو اخلافه الأثر ولا أعود حتى انكشف الخبر وأرده إلى الديار والأوطان وأجازى قبيحه بالاحسان حتى يعرف قدري كما عرفه كل إنسان أو يشتفي من إذا رآني ملحقا تحت أرجل الخيل وجميع الفرسان تنعاني في النهار والليل فقالت أم عبله وحياة ولدي عمرلا إن حقك عندي واجب معروف بالكعبة أجل الاقسام وبحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اتركنه يزف ابنتي عليك ولو قطعني بالحسام فطاب قلب عنتر بهذا الكلام ودعا لها وقد زال ما بقلبه من الجوى والغرام ولما وصل إلى خيامه دعا بعروة بن الورد والحارث بن ظالم وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد وقص عليهم ما جرى له ولعبله وقال لهم أنا ما أحضرتكم إلا لاجلي أوصيكم بعبله وربما تطول سفرتي ويأتي عمي ماهنا ويأخذ أهله وعبله في غيبتي ان كان وصل سالما إلى النعمان وأريد منكم أن تمر له ما لا طاقة لكم به خذها يا ابا هانيء وارحل بها وانزل على بني شيبان وأقم عند أخي بسطام إلى حين قدومي فان بيني وبينه عهد لا يضيعه لأنه كريم من نسل قوم كرام واريد في غداة يا ابتاه تنقلها إلى ابياتك وتجعلها من جملة بناتك فقال له شداد يا ولدي لا تخف أما عبله فاتبرح من أبياتي وأما أنت فوحق ذمة العرب ما أعدك تسير وأنت هكذا في البر وحيد ولا بد أن تصحب معك جماعة من الفرسان الصناديد فقال عنتر والله يا أبتاه ما أدعك تنتقل من الحي خطوة واحدة لا انت ولا عمي زخمة الجواد لأن مالي غيركم أتكل عليه في حفظ الأمير عبله وأنا أسأل رب السماء أن يصرف عنكم شر الاعداء لان اتكالي في هذا الأمر عليكم وهو الصواب الذي خطر ببالي فقال الحارث إذا كان الأمر على ما ذكرت فاسير أنا وأنت إلى ما اردت ونترك هؤلاء هاهنا يحفظون ابنة عمك كما أمرت لتكون مطمئن القلب ونحن فينا كفاية لاهل الشرق والغرب فقال عروة أنا وحق ذمة العرب أسير معكما ولا أقعد عنكما لان عنترة إذا كان غائبا عن الديار تظلم في عيني الافطار ويتساوى الليل والنهار فشكره عنتر على هذا الكلام ثم تاهبوا لمثل هذه الاحكام حتى أقبل الليل الحالك بالظلام ثم ركبوا بعد ما غاصوا في الحديد وتذرعوا بالضرر النضيد وتقلدوا بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح الملداد ثم أنهم خرجوا من الخيام وأهل الحي نيام وساروا وشيبوب بين أيديهم مثل ذكر النعام وأراد راجز المسير فامكنه من ذلك عنتر بل أمره بمراعاة عبلة وحفظها ولما توسطوا

البرقال شيبوب لأخيه أعلمنى يا أبا الفوارس أى طريق تريد أن تذهب فقال له أقصد أرض بنى عامر لكن طريقا لا يلقانا فيها أحد يعيقنا لكى يخفى خبرنا على كل أحد من كل مقيم ومسافر وإن كان عمى قد وقع به بغية فمن هناك تأخذ خبره فقال شيبوب اتبعنى يا ابن الأم لترى العجب منى وإذا خرجنا من الأرض وقربنا من ديار بنى عامر وبقى بيننا وبينهم دون اليوم أخفيكم فى البرارى والقفار وأخرج التمس لكم الأخبار ثم انهم ساروا يقطعون البيداء وكان أكثر مسيرهم فى الليل اليهم ولما قاربوا أرض بنى عامر أخفاهم شيبوب فى مكان عظيم وقال له عنتر سروا نظر هل تسمع لنا على عمى من خبر وانظر القوم هل أمنوا وسرحوه فى الجبال وارجع الينا وأرجع وأعلمنا بالحال لاجل أن تخرج على الاموال ونسوقها ونقتل حماتها ولا تترك طريقنا تعمى خائبة فقال لهم شيبوب سمعا وطاعة فسار شيبوب وقد لبس زى فقراء العرب من المماليك والصعاليك وأقاموا ينظروه بذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح وخاف عليه عنتر أن يكون قد هلك أو وقع به بعض الأعداء وألقى فى الشرك فهم أن يسير فى طلبه ويكشف خبرة وإذا به قد طلع عليهم من كبد البر مثل ذكر النعام ومعه عبد أسود وهو رابطه بحبل وكلما وقع وصاح عليه وسحبه فتعجب عنتر من ذلك وتوائبوا اليه حتى قاربوه وقالوا له ما هذا العبد يا شيبوب فقال هذا عبد رابح بن الصباح سيد بنى جبهان ومنه قد أخذت الخبر عن عمك وولده عمرو وقد ذكر أنهما عند سيده رابح بن الصباح وأنه يهددهما بالقتل مساء وصباح ويعذبهما بعذاب ما عذب به أحد من الرجال والنساء وأدخل ديار بنى عامر أول النهار وا كشف لكم الأخبار وإذا بهذا الشيطان قد اعترضنى وعن قضاء حاجتى أعاقنى وكان مقبلا من ناحية أرض وادى زرود فقاطع على وقال لى أنت من عبيد بنى عامر يا وجه الخير فقلت وما الذى تريد يا ابن الخالة فقال لى أنا من عبيد بنى جبهان من عند رابح بن الصباح اطلب الأخوين بن جعفر وملاعب الأسنة لان سيدى قد أنقذنى اليهم أبشرهم بوقوع مالك وولده عمرو وأقول لهم يسيروا الينا على عجل ويحضروا قتل الاثنين وبلوغ الأمل لاجل ما بينهما من العداوة ولما حققت ذلك منه طار عقلى وقلت انقضت حاجتى التى أتيت اليها ثم قلت له يا وجه العرب سر معى حتى أوصلك إلى مضارب الأخوين بن جعفر لانه مولاى ثم قصر فى المسير وصرت اسأله كيف وقع عمك وولده حتى انتشرت اجنحة الظلام وخفيت عنا البرارى والآكام قد نوت منه وضربته بالخنجر اشغلته عما هو فيه بنفسه وعدت على أثرى وقد اردت حضوره بين يديك فإنه أراد أن يهرب من يدى فقاسيت الشدائد حتى أوصلته اليك فلما علم عنتر بذلك زاد همه وغمه واقبل على العبد الذى أتى به شيبوب فلما رأى ذلك العبد عنتر انهدمت قوته. وتعجب من عنتر وهول صورته

ومن شيبوب وخسارته فقال له عنتر ما اسمك يا غلام فقال أسمى بشير يا مولاى فقال وأين أنتم نازلون قال فى أرض العنز فقال وكيف وقع هذا ان الأسير ان العبسيان فى أيديكم فقال له كان سيدى عائد من وليمة قد دعى اليها هو وزوجته دعد العامرية وكان قد أقام فيها سبعة أيام وعاد ومعه فارس واحد يقال له مناة وهو فارس أرضنا وليث عشيرتنا ولما قاربنا الديار التقيا بهؤلاء العبسيين فاخذهما سيدى ولما وصل إلى دياره عذبهما أشد العذاب وربطهما مع الكلاب وكان السبب فى ذلك أن مالك أبا عبلة وولده لما جرى لهما جرى وهجا عد وجوههما فى الصحرا وهما يتململان غيظا وقهرا فانهما لم يزالا ساترين ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وقد وقفا وأمنا على أنفسهما من طلب عنتر البطل الجحجاح كان مالك قد عول أن يسير إلى الحيرة يدخل هو وولده على الملك النعمان ويلقيا الشر بينه وبين بنى عبس وعنتر وبقيما تحت ظله وينفذ مالك بأخذ عبلة من بنى عبس ويزوجها بالأمير عمارة بن زياد ويبلغ من النعمان وما أراد ولم يزالا ساترين ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح إلى أن وصلا إلى قوم يقال لهم بنو صالح وفيها التقوا بالأمير رابح ومعه الهوادج والسكال فقال عمرو لابيه مالك يا أبتاه هذه عروس سائرة إلى بعلها أو امرأة طالبة أهلها ومعها فارسان وثلاثة عبيد وأريد أن أحمل على الجميع والتقطهم بالسنان وآخذ به هذا الهوادج المنصان مسبيه بما عليها من الحلل والأموال ونسير بها الطريق إلى أن نصل إلى العراق ونجتمع بالملك فقال له أبوه عليك يا ولدى دعنا من معاداة العربان ومن ذكر النسوان فان لنا شغلا بهجاجنا من الأربطان ومفارقة الأهل والخلان هذا ومالك صاح وقال ويلكم خلوا عن الهوادج والأموال وأطلبوا النجاة قبل الوبال فقال عبد مناة من أنتم أيها الاندال ثم انه حمل على عمرو ورجال معه حتى عرف منه الشجاعة ثم بعد ذلك قاربه ورمى الرمح من يده أو همه أنه يضربه بالسيف على رأسه وضرب رأس الجواد اماه فوقع على ظهره وأيس من الحياة وغاب عن دنياه وأبصر أبوه هذه الحال فاحتاج أن يقاتل ويخلصه من الذل والخبال إلا أنه ما حمل حتى أشتد لعمرو ولده وقد ذاب كبده وقل صبره وجلده ونادى واوتاه ما بدل مع عبد مناة المجهود تكالفا مكالفة الأسود لان مالك بن قراد كان من فرسان بنى عبس لا جواد فجالد خصمه أشد جلاد وما زال معه فى طراد وعناد حتى صار بياض النهار إلى سراد وزادت بعبد مناة الأحقاد فصاح بمالك بن قراد صيحة الأسود وزعقة عظيمة أدهلته وطعنه قتلته فشك السنان فى درعه ونخسه فى ضلعه فوقع وقد أيقن بالهلاك وحل به الارتباك وانقلب من فوق المركوب مرأم الجراح وشده رابح بن الصباح فزادت به الافراح واستخبر من عمرو عن نسبه وعن عربه وعن الشيخ الذى معه وقد جدفى طلبه

فقال له نحن من بنى عبس وهذا الشيخ أبى ثم أخبره باسمائهم وكناهم فامهل عليهم وساقهم بعد ذلك واراد هلاكهم ثم قال وبحق الرب المعبود والرب الموجود لا أفيلكم حتى أعذبكم أشد العذاب وأذيقكم الذل والخسارة وأشفى بكم قلب الأخوص بن جعفر واللقيط بن زرارة زنكم قد جمعتمونى فى أخى ثم جال عليهم بالسوط حتى شفى قلبه وقال لعبيده سوقوه ورجاله إلى الأحياء وأنفذوا إلى اللقيط بن زوارة عبدا يعلمه بذلك ويأمره بالحضور وكذلك أنفذ الى بنى عامر الذى لقاه شيبوب واستفاد منه الخبر فدنا اليه الحارث ابن ظالم وضربه بذى الحيات طير رأسه عن جثته وقال يا أبا الفوارس أن الصواب إننا نلحق عمك ونخلصه من العذاب قبل أن يهلك وأنا أعلم أنه فى هذه المرة يصير لك أذل من العبيد فقال عنترة يا أخى وكم من مرة خلصته ويزداد عناداً وفساداً ولكن عندى شفيع قوى هى عبله ابنة التى كروحى التى بين الجنبين ولاجل عين تكرم الف عين ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

لو أن قلبك لى يرق ويرحم ... مابت فى ألم الهوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى ... من ناظريك وفى فؤادى أسهم
مع إننى أرضى بما رضيهمو ... ولاجل عين الف عين تكرم

ثم أنه أمر أخاه شيبوب أن يعدل بهم عن الطريق التى لبنى عامر حتى لا يعيقهم عائق ثم سار فى البارى يطلب أرض العبرتين لتقومنه بفيل قصده العين وعنترة يتذكر مالاقاه ومن ألم الهوى وما يقاسيه من البلوى ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

عذابك إلى عبلة ذاك سهل ... وجور أبيك أنصاف وعدل
فجورى وأطلبى قتلى وظلمى ... وتعذبنى فانى لا أمل
ولا أسلو ولا أشفى الا عادى ... فسادانى لهم فخر وفل
أناس أنزلونا فى محل ... من العلياء فوق النجم يعلو
إذا جاروا عدلنا فى هواهم ... وأن حكموا لحكمهمو تذل
وعبلة فى هواها قل عزمى ... وصبرى غير إنى لا أمل
فكيف يكون لى عزم وجسمى ... فنى حتى بقى منه لأقل
فياطير الاراك بحق رب ... يراك هالا تعلم أين حلوا
فلو أن الهوى رجل شجاع ... طعنت أهابة والسيف يعلو
فقد جارى الهوى من أجل قوم ... أحلوا من دمى مالا يحل

ينادونى وخيل الموت تجرى ... محلك لا يقاومه محـــل
وقد أمسو يعيبـــونى بأمى ... ولونى كليا عقدوا وحـــلوا
لقد هانت صروف الدهر عندى ... وهانوا أهله عنـــدى وقلوا
ولى فى كل معركة حديث ... إذا سمعوا به الابطال ذلوا
أثير عجاجها والخيل تجوى ... أثقالا بالفوارس لا تمـــل
وأرجع وهى قد ولت خفافا ... تســـل الطعن وهى به تفل
وأفعل فعل ذى عزم قوى ... لدى الأبطال لو فعلوه ملوا
واضرم نار حربى كل يوم ... على الأعداء أن رحلوا وحلوا
وأرضى بالاهانة من أناس ... أراعيهم ولو قتلى أحـــلوا
وصبر للحبيب وأن جفانى ... ولم أترك هواه ولست أسلوا
عسى الأيام تنعم لى بوصل ... ويعد الهجر مر العيش يحـــلو
وإنى عنترة العبسى وذكرى ... مدى الازمان فوق الشهب يعلو

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الأبيات والحارث يطرب لفصاحته ويتعجب من مروءته فقال والله يا أبا الفوارس لو جرى على بعض ماجرى عليك كنت قتلت عمى وكل من يلوذ به فقال والله ياحارث لا كان هذا أبداً ولو أنهم سقونى كاس الردا تم انهم جدوا المسير سبعة أيام فوصلوا إلى غابة الأسد وكان يزولهم وقت المساء فقال شيبوب لا تقطعوا بينكم الحديث حتى أدخل إلى الخيام وأعود اليكم بالخبر اليقين فقال عنتر ياشيبوب أما قولدت كم يخرج من الحى الشجعان فنحن لا نبالى بالشجعان ونحن هاهنا ثلاث رجال تريد ثلاثة آلاف فارس من الأبطال وأمار خولك إلى الحلة وحدك فوحق ذمة العرب لايدخل المضارب إلا أنا وأنت لانى اشتهيت أن أبصر عمى فى هذه النوبة وهو يقاسى الذل والعذاب فقال شيبوب ويلك يا ابن الأم كنف ذلك ومالك بهذا الأمر عادة ولا سابقة قبل هذا ميوم فانا لا اطاوعك على هذا أبدا لأنى أخاف عليك أن تقع علينا عين فاهلك أنت ويكون آخر متابعتك لعمك الهلاك وعدم تمام عشقك وهواك على إنى إذا وقعت على العين همزت همزات الغزال بين المضارب والخيام فقال عنتر ويلك إيش هذا الحديث والكلام قانا وحق من خلق الانس والجان ولو أن أهل الحى بعدد الرمل والكوا كب لا إترك منهم ماشيا ولا راكب فقال شيبوب إن كان ولا بد من هذا فاخلع عنك السلاح وآلة الحرب والكفاح ثم البس مثل لباس العبيد حتى يتم لك ماتريد نم أنه لبس لباسا

يصلح لمثل هذه الأشياء وكان معه ما يلبسه وقت احتياجه اليه ودخلا إلى غابة الأسد وأحتطبا حزمتين من حطب وكانت حزمة عنتر كبيرة فمشيا حتى دخلا إلى الحي وقد أقبل الظلام فدخل شيبوب قدام واختبى فى الخيام أمام عنتر لأنه بهذه الأمور أخبر ومازال بين المضارب والخيام حتى وصل إلى مضارب رابح بن الصباح ومد شيبوب عينية فنظر مالكا وولده عمراً من بوطين مع الكلاب وهم فى غاية الضر والأتعاب وقد تغيرت أحوالها من العذاب وهما مربوطان فى حبال الأوصاب فقال شيبوب لاخية هذا يا ابن الام عمك وولده فانظر اليهم فحظ عنتر حزمة الحطب عن أكتافه وأظهر أنه يستر من التعب وفعل شيبوب كذلك إلا انهما ما أقاما إلا بقدر لأخرج رابح بن الصباح وكان حوله جماعة من العبيد وأخذ فى الحديث مع رعاته وصار يسأل عن العشب والكلا إلى أن قال له بعض العبيد يا مولاى رأيت اليوم عجبا وهو أنى كنت فى وادى البرحال وجرت عند المساء والإبل بين يدى تسعى فى البيداء فلما ضرت فى الطريق التى تأتى إلى أرضنا من ناحية العلم السعدى رأيت فارسا أخذ يطرد غزاله وبين يديه رجل كأنه النمر والفارس على فرس كأنها الليل إذا أظلم والرجل معه قوس عربية وكنانه بالنبل ممتلئه فوقفت أنظر اليهما وإذا بالرجل قد سبق الفارس ومسك بالغزاله مر قرتيها وأتى بها إلى الفارس وسلمها اليه فلما صارت فى يده بكى بكاء شديدا ثم باسها بين عينيها وأطلقها ولم يكدر عليها ووقف وأنشد يقول

إذهبى فى الأمان من كل سر ما تولت بسيرها الايام
لك من عبلة التكحل فى العين وجيد بنور منه الغرام
ورقيق القوم يحكى قواما فوق خصر كأنه الاوهام

(قال الراوى) فلما سمع رابح بن الصباح من العبد هذه الأبيات تعجب وقال ويلك يا ولد الزنا ومتى كان هذا فقال يا مولاى آخر النهار فقال هذه صفات أسود بنى عبس وأن كان قد غره الطمع وأتى إلى هذه الاماكن فى طلب هدين الأسيرين فانا أقوده غدا أسير ويكون لنا الفرح التام كل هذا يجرى وعنتر يسمع كلام العبد ويتعجب من هذا العبد حيث حيث حفظ شعره وقد كان تم له هذا الحديث مع أخيه شيبوب وقال هذا المقال فلما سمع عمه وولده صفات عنتر عرفوه وعلموا أنه قد أتى لخلاصهم فقال مالك وحق الكعبة أن كان هذا الكلام صحيحا ونجوت من هذا العذاب الاليم على يد عنتر بن شداد لا أضمر له بعدها أبدا عناد ولا أسمع فيه كلام الاعداء والحساد لان البغى عاقبته نحس وهذا ورابح يقول لعبيده

لقد أبطأ علينا خبر عبدنا بشير الذى أنفذناه إلى الاخوض وكذلك العبد نارج الذى أنفذناه إلى اللقيط وأنا أريد أن أقتل هذين العبسين وأرتاح من التوكيل عليهم فقالوا له ماهذا صواب لأنك قد أرسلت خلف سادات القبائل فاصبر حتى يحضروا ويقتل هؤلاء الكلاب يشتفوا فان أنت فعلت هذه الفعال ضاع تعب الاثنين ولامك الأبطال فقال رابح إذا كان الأمر على هذا فانا انتظر تمام هذه الليلة وغداً فإن أتى أحد من الذين أنفذنا اليهم كان وإلا ضربت رقاب الاثنين واهدنا إلى بنى عامر وإلى اللقيط فراسين * هذا كله يجرى ومالك وابنه يتحسران على أنفسهما وعنتر واخيه قائمين فى جملة العبيد كأنهم منتظرين وكل واحد منهم متكىء على حولاته ولما انتهى رابح من كلامه دخل خيامه فقد عبر على مالك بن قراد وابنه فضربهما بالسوط وقال لعن الله قبيلة أنتم منها لانكم قوم كثيرون الجاج قليلون المروءة لاتغيرون عدلا ولاتعطون عطاء ولا بذلا بل الطمع لكم لباس وما أنتم مشايخ بنى عبس الكبار وقد فضل عليكم عبد لاقيمة له ولا مقدار وأحسن اليكم الف مرة وخلصك وابنك كم مرة هو عنترين شداد وقد سمعت أنك أخذت منه بنتك منه شيئاً جزيلا من المال فجازيته بقبيح الفعال وكذبت فى المقال فلعن الله وجهك الكالح وفعلك الكثير القبائح ثم أوصى العبيد بحفظهم ودخل إلى المضرب للمنام وقد فرق الظلام بين القعود والقيام فقال شيبوب لعنتر احمل بنا الحطب لنذهب قبل الانكار فقال عنتر لا وحق الواحد القهار ومن أعشب القفار وأجرى الأنهار وادار الفلك الدوار فقال شيبوب وماتريد أن تفعل فقال عنتر اطرح هذه الأحطاب على الدار التى قدام مضرب رابح واهجم على هؤلاء العبيد الذين توكلوا بعمى واضع فيهم الحسام واطلق الاثنين قبل أن يذهب الظلام حتى لاكون خاطرت بنفسى وأعود خائبا فزعان فقال شيبوب أن فعلت هذه الفعال لاتصل إلى الديار ولاتخلص من هذه الخيام فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء أنا اخلصك ولو أن اهل الحى عدد رمل البيداء لانهم إذا سمعوا الصياح يطلبوا النار الشديدة الإضرام والاشتعال واكون أنا قد خلصت عمى وولده من الاعتقال. فهم أنت ودعنى أنا اللقاء الرجال فقال شيبوب افعل ياأخى ماتريد وماعليه عزمت. ولكن لاتلومنى إذا رأيت الغلبة وانهزمت فقال ياأخى قف قدامى وانظر أنت العجب. وإذا رأيت الغلبة فانج بنفسك واطلب الهرب ودعنى أنا احد خلف القوم فى الطلب ثم حمل عنتر جزمة فوضعها على النار وسل سيفه واخرجه من تحت أثوابه وطلب البيت الذى فيه عمه وفعل شيبوب مثل فعاله وكان الموكلون بعمه مالك وولده ثلاث رجال وقد انطرحوا

على الأرض وعولوا على المنام فعبر عليهم عنتر ووضع فيهم الحسام فما ثار أحد منهم ولا قام إلا وقد طار منه الهام وأما شيبوب فانه جرد خنجره ودنا من مالك ووالده وقطع

مقتل رابح بن الصباح على باب خيمته

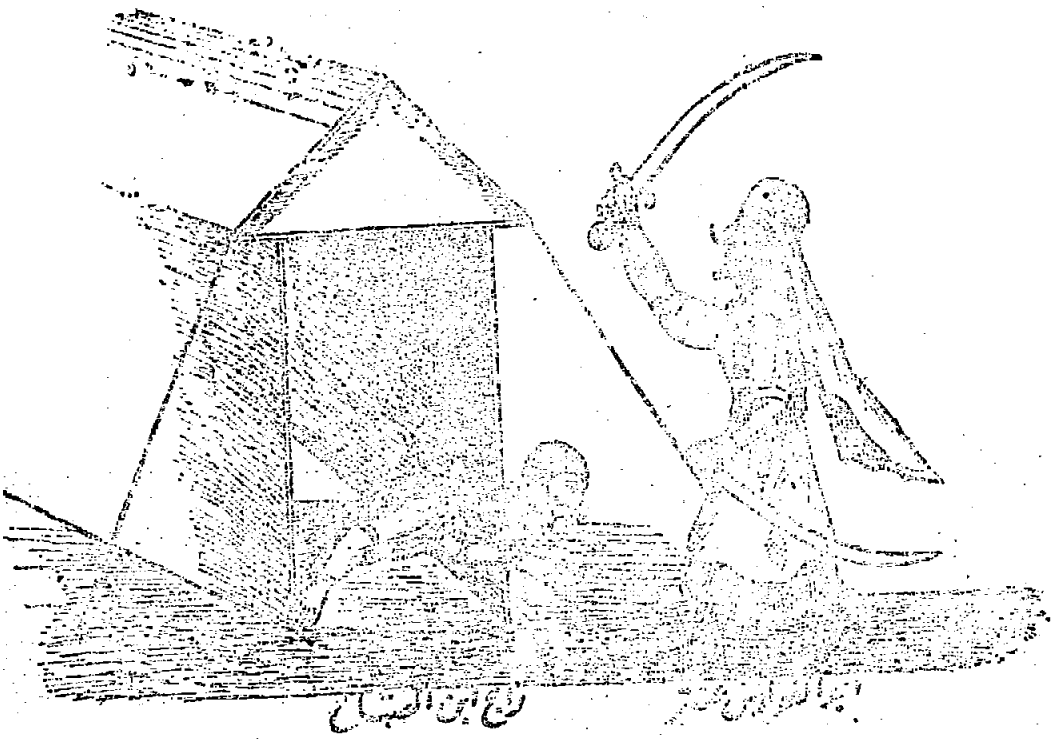

كتافهم وقال لهم قوموا وخذوا من سيوف القتلى ما تحتاجون اليه وهرولوا مع أخي وهو يحميكم واعرفوا له قدر هذه القصة فيكم (قال الراوي) فساروا عند ذلك وهم لا يصدقون بالنجاة من المهالك ✪ هذا وعنتر واقف على باب رابح بن الصباح وامهله إلى أن خرج على حس الصباح ثم ضربه طير راسه مع هبوب الرياح وسار على أثر أخيه خوفا عليه مما يلتقيه واوقدت الاحطاب وعملت نار الالتهاب بين الأطناب وتنابحت الكلاب وضج الحي من كل جانب وتجاري كل من سمع الصياح وحمل سيفه وطلب مضارب رابح بن الصباح وأراد كشف الأخبار وعاد الليل مثل النهار وذلك من وهيج النار ✪ هذا وعنتر يصيح في مالك وبعد أن أهلكوا خلقا كثيرا ركب عنتر على ظهر جواده الأبحر وقال لهم سيروا بنا مادامت بنى جبهان مشغوله بقتل سيدهم رابح بن الصباح ولم يزالوا سائرين والحارث يهتي

عنترة بالسلامة ويقول لمالك أبي عبلة من يكون له مثل هذا الاسد الذي تهابه السباع في المذاب يبغيه ويهرب منه فقال مالك يا حارث دعني ولا تعذلني فانا رجل كانت على عيني غشاوة وقد زالت لما راد الرب القديم زوالها ثم أنه أعتنق وعنتر واعتذر اليه وقال له أعم يا ابن أخي أني كنت أقول بلساني خلاف ما في قلبي واليوم وحرمة البيت العتيق أن قلبي من شكر ما لا يصفه الواصفون وإن أنا خنتك بعد هذه التوبة فما أنا إنسان لانك من العذاب أنقذتنا فطيب قلبك وأقطع بنا هذه الارض وربما لها فانا نصلح عبلة لك ولا تصلح الا لها فلما سمع عنتر كلامه زال ما في قلبه من هيامه وأعتنقه وقال له يا مولاي لو أنك فعلت معي أضعاف ما فعلت ما قصرت في خدمتك ولا مللت لان العبد ماله أن يتعرض على مولاه ثم شكره وأثنى عليه ودعا له وساروا يقطعون الارض وحين لاح الصباح وأشرقت الشمس في البطاح لحقتهم الخيل من من بني جبهان لان الفارس منهم كان يقصد النار التي أوقدها عنتر ويسأل عن حقيقة الخبر فاخبره النساء بما جرى على رابح بن الصباح وأنهن في غاية الحزن والافتضاح من كثرة الدم الذي قد ساح فعاد الفارس منهم إلى خيامه ولبس السلاح وكانت من جملة من فعل هذا الفعال عبدمناة لانه لما أخبره النساء بالخبر وأبصر تلك الضربة عرف المعنى فركب وسار يطلب بني عدنان يقطع الارض رقعا وخفض ونظر عنتر إلى الخيل فلما أدركهم وقف وقال لعروة وقد ألوى عنانه وانعطف يا أبا الابيض خذ مملك عمي وولده والحارث وسر على ما أنتم عليه وأنا أرد عنكم الاعدا والحقكم في المساء فقال عروة لا يا أبا الفوارس ما نترك ورثنا شاغلا بل نرجع كلنا لبلوغ المرام وإذا خفت ظهور ناسرنا إلى حبل سبيلنا وقال الحارث أيضا مثل ذلك فقال لهم عنتر ياقوم الأمر لا يستحق ذلك وإذ كنتم لا تسمعوا لما أقول فافعلوا فكل فعلكم غير معقول هذا وعمه مالك أبصر الخيل متلاحقة به من كل جانب فايقن بالبلاء والمصائب وخاف أفه ثاني مرة يقع والكاس الموت يحرغ فقال يا أبا الفوارس أنت اليوم العدة لنا والعمدة وكل يوم ندفع عنا نائبة وشدة فدونك اليوم والاعداء فدتك عبس من الردا فبينما هم في ذلك الكلام إذا طلع عليهم غبار أخر من ناحية بني دام وارتفع حتى أسودت منه الاقطار والمعالم وانكشف وبان من تحته مائة فارس من كل قوم مداعس ويطل ممارس وفي أكفهم الرماح الذوابل وعلى عواتقهم القواصل وفي أرائلهم الطويل الركاب المسمى في الحرب بالعقاب اللقيط بن زرارة وقد أتى يشتفي من امالك بن قراد ولما رأته بنو جبهان

عرفته ومالت اليه بالحال وأخبرته ورفعت أصواتها اليه بالصياح وأعلمته بما جرى على زايح بن الصباح وبان عنتر خلص عمه مالك وولده فقال اللقيط وقد فعل عنتر ولد الزنا هو وأخيه شيبوب هذه الفعال لكن لا يستغرب ذلك لأنهما كثير الاحتيال جسوران على لقاء الأهوال وبمثل هذا خلصوا من يدى الهطال وأهلكوا رجالنا والأبطال ولكن ما بقى لهم من يدنا خلاص بعد ما وقعت العين وأنا لا بد اليوم أن أستوفى منهم الدين فاحملوا بنا كلكم ولا تحقروهم لأجل قلتهم فينهبوكم بالرماح والصوارم والصفاح ولاسيما ان كان الحارث بن ظالم ثم أنهم حملوا وهو فى أوائلهم وأضاء البريق الأسنة وأطلقو للخيل الاعنه وعلت الضجة والرقة ٭ هذا وقد اشتد الأمر على مالك وولده عمرو ونادوا باسم عنتر الأسد الكاسرا وأكثروا من الشكر باطنا وظاهر ٭ هذا وعنتر قد زادية الفرح وعلم أن سعده قد حصل وحالة قد أنصلح فقال لعروة يا أبا الأبيض أيما أحب اليك الميمنة أم الميسرة أو تلقى أنت اللقيط وحدك وأنا أرد الخيل كلها فقال الحارث وهل أقف أنا هكذا بلا شغل ولا سبب لا وحق ذمة العرب أنت تعلم أن اللقيط خصمى وبينى وبينة عداوة وهو الذى سلمنى فى الملك النعمان ولا بد لى من ملاقاته فى هذا المكان فاقصد أنت وعروه عمك وولده ما تريدون وقاتلوه من تشتهر ثم أن الحارث همز بجوادة بعد تلك العبارة وقصد إلى ناحية اللقيط بن زراره ولم يلتفت إلى أحد ولما أبصر عنتر بعقله وهو بدمدم دمدمة الأسد فرح بكثرة العدد وزاد سروره وزال عنه الكمد فانشد يقول صلوا على طه الرسول

مضى الحقد من قلب عمى وزالا ولما رأى الحق خلى المجالا
وقد سرى قلبى بما قاله فكيف إذا ما رأيت الفعالا
وإن أخلف الوعد سلمته إلى من يرانا وارسى الجبالا
وحسبك من رجل كلما خضعت له فعلى استطالا
أنا عندهم يوم طعن القنا أجل الفوارس عما وخالا
وإن صار فى أهله آمناً فامى . زبيبة أرعى الجمالا
فيا سيف كن حاكما بيننا إذا ما حضرنا جميعا قتالا
وما قد مضى قد مضى أمره . ومن قاتل اليوم حاز الجمالا

(قال الراوى) وكان عروة بن الورد حمل لحملته وسمع حسن ابياته وتعجب من انشاداته وكذلك عمه مالك وولده عمرو واحتاجا أن يقاتلا عن أنفسهما فعند ذلك حمل واتصل الطعن وقطع الضرب للاكباد وصارت الشجاعة مثلا بين الاقران وشربت الاسنة من ماء الفرسان واشتبكت الرماح فى الكبود والكلا وقد اكتست الأرض من الدماء خللا

وجرى بين اللقيط الحارث حرب ماجرى مثله للجبابرة العلا وملا عنتر الأرض بالقتلى واسكن فى القلوب خوفا ووجلا وابصر عنه مالك منه نارا لاتصطلى فحار عقله وصار منذهلا وأمن على نفسه من الاعدا وقرفؤاده وهذا وفى آخر النهار قصرت الفرسان عن عنتر وتأخرت الذئاب من خفيفة الأسد وقل منها العدد وتبددت بنو جيهان فى الفدفد وعاد إلى الحارث بن ظالم فوجده مع اللقيط بن زرارة وبنى دارم وقد طمع فى جانبه فعند ذلك حمل عنتر لما رأى ذلك وحطم القوم فباد الرجال وأهلك الأبطال وطلب اللقيط أشد الطلب ونثر من حوله المواكب بالسيف المطت فبينما هم كذلك وإذا بعروة بن الورد قد اعترض اللقيط وجد له فى الطلب وطعنه فى جنب جواده فانقلب وتكركب عن مركبه وكان مشتغلا بالفرسان وبالحارث بن ظالم فاشتغل عنه بنفسه وانكمت عنه الفرسان ووقف عروة على الحارث حتى ركب على جواد من الخيل الشاردة وصاح اللقيط يا بنى عمى اكشفوا عنى العار ولا تولوا الأدبار وتطلبوا الهرب والفرار فانى سوف أشد جرحى وأعود اليكم فعندها صبرت الرجال على العطب واختارت الموت على الهرب وكانت لهم ساعة تشيب لها الأطفال إلى أن أقيل الليل بالانسدال ومد على الخافقين ذيلا وسربال وولت فوارس بنى دارم وقد ألهبها عنتر بالطعن الدائم وماراح منهم سالما الا من كان فى أجله تاخير وكان اللقيط قد أظهر الجلد وأراد الثبات فاقدر من أثم الجراح ونظر أصحابه قد هلك أكثرهم وبقى أيسرهم فنجا بنفسه وفى قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخمى حيث جرى عليه ماجرى من خمس فوارس وعاد عنتر والدماء تقطر من جوانبه رغمه لا يغفل عن الشكر والثناء عليه فقال عروة لمالك ابن فراد يا ملك دع شكرك وذكر القيل والقال ومن حين تصل إلى الاحياء سالما فزوجه بعبله ذات الدلال فانحدها كفؤا مثله فقال مالك والله لقد صدقت يا أبا الأبيض وأنا أقسم بمن لا تعتريه الأوهام ولا يخشى من معارض فى ملكه إذا عرض ولا يخفى عليه لفظ الإنسان ولو كنت الليلة فى أرضنا لزففتها عليه عند الصباح وتركت جمالها له مباح فجازته اللات والعزى عنى خيرا وإنى قد عجزت دن شكره وكل لسانى فاعفيانى من اللوم واتركانى فقال عنتر وقد زاد فرحه يا ابن العم خل عمى يفعل مايشاء فان عبده أن احسن أو اساء ثم ساروا يطلبون البيداء تحت اذيال الدجا وشيبوب بين ايديهم يسير إلى أن لاح ضياء الفجر حتى يصل من ساعته إلى الديار وينظر وعد عمه وما يصنع من الجميل والآثار وهو لا يصدق بتلك الأخبار وهل يصدق فى وعده ويفعل ويوصل القول بالعمل وكانوا أى حلة عبروا عليها نهبوا أموالها وقتلوا من يخرج اليهم من رجالها إلى أن قاربوا أرض الشربة

والعلم السعدى وقد صار معهم مال عظيم وأرادوا أن ينفذوا شيبوب قدامهم بشيرا وإذا هم قد طلع اليهم رجل أعرابى وهو سائر بينهم بين الروابى ولما أبصروه صار اليهم قاصداً صار ينادى يا للعرب ما أقربها من طريق وما أحسن أوقات السعادة فلما سمع عنتر هذا الكلام تعجب كل العجب ونظر إلى الأعرابى وإذا به من عند الملك قيس فقال له عنتر ويلك إلى أين فقال له اليك لاخذن خبرك فقال عنتر ولم ذلك فقال له يا مولاى أن الملك قيس قد أطلقه الندكار لبعدك وسأل أباك عنك فذكر له أنك قد سرت فى طلب عمك وأنه مايعلم أى الطريق سلكت فضاق صدره ودعا على عمك بالهلاك وصار ينفذ فى البيداء جماعة بعد جماعة وكل أصحابى عادوا خائبين إلا أنا لانى أمس خرجت من الأحياء وضمنت على نفسى انى لااعود إلا بخبرك فبلغنى الله تعالى ذلك وازال عنى التعب فقال عنتر يش عندك من الأخبار من جهة أبى شداد وفريق آل قراد وكان قصد عنتر ان استمع اخبار عبله فقال العبد والله يامولاى ما الناس إلا على شرف المهالك والفتن وخراب الديار والدمن فخفق فؤاد عنتر على بنى عبس وقال ويلك يانسل اللئام ولم ذلك فقال لأن حذيفة بن بدر رجل باغى وأنت تعرف مافى رأسه من الحماقة وأنه مايشتهى أحدا من بنى عبس لاسيما الربيع بن زياد عنده وهو يغويه لاجلى مافى قلبه منك ومن مولاى ومن جميع أولاد الملك زهير وفى هذه الأيام جرى بينه وبين مولاى الملك قيس ملاججه وكلام من جهة سباق الخيل والناس اليوم كلهم خائفون من الحرب والويلى قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن الملك قيسا لما ضاق صدره لغيبة عنتر انفذ العبيد كما ذكرنا فى طلبه وعادوا اليه وقالوا له ماعرفنا له خبر ولا وجدنا له أثر ثم تقدم اليه العبد من العبيد وقال يامولاى أنا اتيت اليك بخبر احب الناس اليك من سائر البدو والحضر فقال له وماهو قال انى لما دومت على عنتر ما وقعت له على أثر فعبرت على حى بنى نبيم ربيت فى بطن من بطونهم يقال له بنو رباح ولهم مقدم يقال له جابر بن عرف ورايت فيها يامولاى مهرا محجل الاربع يقال له داحس وهو الرجال يقال له مكرم حق البيت الحرام والحجر الأسود والرب العظيم الباقى على الدوام ما نظرت عيني صورة مثل صورته ولا اسرع منه فى المجال ثم لحظ العبد فى صفته فاشتغل به قلب الملك قيس واعجب بحالته وكان هذا المهر عجوبة من العجايب مارات العرب أحسن منه لأنه كان أوفى الخيل حسبا ونسبا وأن العرب كانت تسمى هذا المهر داحس وأبوه العقاب وأمه يقال لها حوا يحسدها البرق على سرعتها وتكل الخيل عن ادراكها والقمر يستحى من غيرتها والغزالة يستعير من بهجتها وبهذه والجصان

كان يفتخر بنو رياح على سائر العربان وكان الحصان لرجل أسمه كريم ويقال إن فى بعض الأيام كانت الحجرة مع عبد من العبيد والحصان مع أبنه كريم وهما على الغدير فادلى الحصان ولعب بارجله وسحب مقوده فضج صبيان الحى منه فاستحب الجويرة وأطلقت المقود من يدها ودخلت إلى بعض المضارب من شدة الحياء والخجل وكانت الحجرة طالبة فلحقها الحصان وقفز عليها ولما نزل عنها خرجت البنية من المضرب فربطته على معلفه ولما أتى أبوها وتنظر عين إلى عين جواده فعرف أنه قفز فاغتاظ من ذلك الغيظ وقال ايش الذى جرى على جوادى حتى أنقلبت عيناه بعد السواد للاحمرار فاوقع على خبر الاخبار ثم أنه لح على ابنته فاخبرته بما جرى فزاد غيظه وحرى وناذى يا آل رياح فانت اليه الفرسان من كل جانب وسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى وقال والله ما أخلى جوادى ينزل على حلوى ولا أصبر على هوا الحال فقالوا ما الذى تريد أن تفعل فقال ائتونى بالحجرة واوقفوها بين يدى حتى اغسل حياها ولا أدع ماء جوادى جواها وإلا ودمة العرب أسلط عليها من يقتلها فعند ذلك أتوه بالحجرة وقالوا قه أفعل ما تريد فقام على أقدامه وبل يده ودسها فى التراب وأدخلها ظ حياها وجرف ما فى جوفها فازدادت جمالا كما أراد الرب القديم إله موسى وإبراهيم وما حال عليها الحول ولدت لصاحبها مهرا ما نظر شكله فسماه داحس لاجل ما دحس كريم يده فى أمه حلوى ولكنه خرج أحسن من أبيه عقاب وأقوى منه أعصاب ويقال أنه غبر مع أمه حلوى فى بعض الأيام فقفز كريم وأخذه وقال هذا مهرى وبلغ الخبر إلى صاحبه فجمع سادات العشيرة ثم أتوه اليه فلاموه وعنفوه على ذلك ثم قالوا له أيها السيد أنت فعلت فى حجرة ابن عمك ما فعلت وحكمنا عليه بذلك وتريد أن تغضبه وتأخذ ماله فقال كريم يا بنى عمى لا تطيلوا الخطاب فوحق من أخرج الشعب من التراب وخلق ابن آدم من الأرحام والأصلاب ما اعطيه اياه إلا ان تقاتلونى عليه وتأخذونه منى غصبا فخافوا من اثارة فتنة فقالوا والله لا نفارقك ولا نفاصمك ابدا ولا يجعل العرب تضرب بنا الأمثال فانت اعز عندنا من ذلك لاجل ما بيننا من صلة الحسب والنسب وتركنا لك المهر لو كان صاحب المهر مكر. وصوفا بالجود والكرم. وصوفا بالجود والكرم وانه لما رأى اللجاج غير ممدود قال يا ابن العم المهر مهرك وهذه الحجرة موهوبة لك اليك وهدية منى حتى لا افرق بينه وبين امه ولا اكون ممن يحبى ماله غن بن عمه ثم ان مكرم انصرف عنه وترك المهر فاستحسن سادات العشيرة فعاله وشكروه على حسن اعماله واستحاكلهم من مكرم وكرمه عليه وافضاله فاتفذ اليه الحجرة ومعها

قطعة جيدة من نوق وجمال فخرج ذلك المهر ياهر الصفات قليل الشبيه والمثال وكان صاحبه إذا أراد أن يساق يقول لخصمه أسقيني رمية نشاب ويصح فيه فيسبق البرق البارق ويخيل للذى يراه أنه سهم راشق فيفوت الريح ثم يتمطى فى البر الفسيح قال الراوى ولما وصل الملك قيس صفته تعلق به قلبه وطار لأجله لبه ثم أرسل إلى صاحبه مكرم رسولا ليشتريه منه ويبذل فيه مهما طلب فقال مكرم لما سمع رسالة قيس وعمل معه الغضب والله ما قيس إلا جاهلا قليل العقل والأدب أيظن أنى تاجر أبيع الخيل وإنى أبيع فرسى الجواد الذى القى عليه الأعادى والأضداد وأنا وحق رافع هذه القبة الزرقاء لو كان قيس يطلبه منى كهدية أنفذته اليه ومعه من النوق وأما على سبيل البيع فهذا شىء لا يكون أبدا ثم رد الرسول بغير فائدة فعاد إلى الملك قيس وأخبره بما جرى فزاد به الهيمان واشتغل قلبه بالنيران وركب وسار إلى بنى رياح فى الف فارس فى الحديد ولما قارب أرضهم غار عليهم عند الصباح وجعل أموالهم مباح وأخذ منها جملة وسلبها إلى مائتى فارس ودخل بين المضارب والخيام وكان أهل الحى آمنين من الأهوال وما فى الحى إلا نفر قليل من الرجال فحطمهم بنو عبس تحطيما وأهلكوا منهم الرجال وهشموهم هشما وسبو النساء والعيال ملكوا الأماء والأطفال وارتفع الصياح من اليمين والشمال وكان مكرم مع الفرسان قومه غائب وداحس مقيد فى وسط الخيام لأنه كان من شفقته عليه لا يحضر به قتال ولا يباشر عليه حربا ولا نزال فلما حضر مكرم ورأى بعض أطناب البيوت تتقطع والنهب فى البيوت قد وقع أتى إلى داحس عبد من الحلة وأراد فتح قيده فما قدر فعند ما ركبه وهو مقيد ودق بكعبة على جنبه وصرخ بين أذنيه والقيد فى يده فمن شدة نخوته صار يهمز كهمزات الغزال إذا راعها الصياد باشراك حيلته فلما صار فى البر تجمعات فرسان بنى عبس وراءه بخيول مثل الطيور فما لحقوا له غبارا ولما أبصر الملك قيس ذلك لحقة الأنبر وزاد به شغفه وعظم عليه تلهفه ولم يقدر على لحاقه فقال لبعض العبيد الذين أسرهم هذا هو داحس قال نعم يا مولاى فقال قيس والله ما قصر مكرم فيما ربى ثم تبع قيس العبد الذى هو راكبه حتى قاربه وكان قد نزل من علية وفك قيده من يدية وعاد إلى ظهره يريد الهرب فنادى به قيس لا تفزع يا وجه العرب واصبر على حتى أكلمك ولك منى السلام والاكرام فقال له العبد قل ما تريد ولا تطمع فى داحس ولا تكن مدانيا ولا ملامس فانك لو كنت على الفلك الدوار ما لحقك منها الغبار فقال قيس وحق ذمة العرب لقد صدقت يا فتى وما أنا من يقطع نفسه بالمحال والأمل الكاذب ولكن إن أردت بيعه فانى له راغب

فقال العبد أنا ما أبيعه إلا بكل هذه الغنيمة ويعز على أن أبيعه بهذه الغنيمة لأنه لو اشتراه الانسان بملء هذه الفلا لا يكثر فقال قيس أشتريت يا غلام وحق مسير الغمام المخالف بين الضيا والظلام وهذه يدى لك على ما ذكرت من الكلام وبعد ذلك تسلة قيس ففرح به وعا إلى بنى عمه فرحان وحدثهم بالذى جرى فعاشوا من وقتهم إلى الديار والملك قيس على متن الجواد قد حسن بروحة أنه فوق السبع الشداد ولما وصلوا إلى أرضهم ونزلوا فى الخيام زادت محبة داحس فى قلب الملك قيس ووصل الخبر إلى بنى فزارة فحسدوه عليه وأرادوا أن يدبروا على هلاكه وينفذوا له بعض العبيد يقتله فقال الربيع يا حذيفة لا يتم هذا الأمر لك ولا تقدر عليه فى هذه الأيام حتى يشيع منه قيس ويمله وتدبر له من يقتله قال الراوى واتفقوا أنهم عملوا وليمة لها قدر وقيمة وكان قرواس ابن هانى ابن عم الملك قيس عندهم وافر فاحضروه وليمتهم واقعدوه فى منادمتهم ولما اكلوا واخذوا فى الشراب الراح وافصاح المدام جرى بينهم ما جرى من حديث سباق الخيل وجريها فقال قرواس والله يا بنى فزارة ما على وجه الأرض اليوم اجود ولا سبق من فرس ابن عمى قيس وما بقى بعده للخيل قدر ولا قيمة لانه مدهش لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه ومازال يلج فى وصفه حتى قال حمل بن بدر كفاك يا قرواس تحدث بكلام لاش فى لاش واعلم ان ما فى الأرض مثل فرسى وخيل اخوتى ولا ربى فى العرب مثلها ثم أنه فى حماقته امر العبيد الذين له ان ياتوا بالخيل وقال اعرضوا على قرواس خيلنا حتى يعلم انه لم يكن يراها اليها ولا يبقى لفرس ابن عمه مع خيلنا قيمة ففعلت العبيد ذلك وعرضت عليه كل الخيل فلم تعجبه فساقوا بعدها ختول حذيفة وكان له حصان يقال له صادق وحجرة يقال لها العبراء فقال له حذيفة كيف ترى فقال قرواس والله إنها ما تساوى علفها ولا تصلح للنخار فقال له حذيفة ولا حصانى ولا حجرتى فقال قرواس إنهم ما ياوا من داحس العبار فقال حذيفة كذبت وحق ذمة العرب ما اظن احدا ملك مثلها ولا ربى شكلها فقال قراوش لا تطل ما فى خيل العرب مثل داحس إلا ان يفاخر ويقاس ثم تلاججا فى الكلام فقال حذيفه انت لقلة عقلك وعدم صحه نقلك تشكر فرس ابن عمك على سائر خيول بنى فزارة وتخيره على صادق والغبراء فانظر ماذا ترى من المعقول واقل مما تقول فقال قرواس هذا كله شىء لا يقال ولا يبلغ به احد آمال وانهم ما يساوو من داحس ظفر واحد ومن يفتخر به نال جميع القاصد فقا حذيفه ترامنى يا قرواس على

فرس بن عمك قيس فقال قرواش نعم أرهنك أن فرس ابن عمي داحس يسبق كل فرس كان في بني فزارة وما أراهنك إلا على عشرة جمال ثم تعاقدوا ووضعوا الرهان على سباق داحس والغبراء وتموا على ماهي إلى أن أصبح الصباح فركب قرواش وعاد إلى بني عبس على ابن عمه قيس وحدثه بما جرى بينه وبين حذيفة من الملاجة في الحديث الخيل والرهان فقال قيس والله لقد أخطأت وحق ذمة العرب لقد وقع الشر بين القبيلتين كنت أحب أن تراهن من شئت من العرب غير حذيفة وبني بدر لانهم قوم كثير اللجاج لاسيما وعندهم اليوم الربيع بن زياد وهو الذي يحسن لهم البغي والعناد فعندها قال قرواش والله يا ابن العم لقد أجبنا الرهان وشهدت علينا بذلك العربان وما بقي لنا منه بد فقال قيس أنا أركب وأمضي إلى القوم وأزيالة لانه يحب الشر بعانيه وأن تركه خيرا من الجد فيه فقام قيس من وقته وساعته وركب في مائة فارس من فوالموسار بنفسه في مهابته وكمال عقله وفضيلته حتى قدم على حذيفة بن بدر واخوته فرآهم كلهم مجتمعين يأكلون وبين أيديهم قصعة حبيص فلما رأوه قاموا اليه وعظموه وداروا به عن جوادة أنزلوه وزادهم بين يديه تدمو وتوحلفوا عليه أن يأكل معهم فاكل معهم وصار يلقمهم لقما كبارا فقال له حذيفه وقد أراد أن يازحه يا قيس ما أكبر لقمتك أبعدك الله يا ابن العم عنا لقمتك فوالله لو علمنا أنك جائع ما عزمنا عليك فقال يملك قيس والله يا بني عمي لولا أني أراكم تأكلون الخبيص ما اكلت وكيف أراه عندكم واتركه مع اني نفسي تشتهيه وبعد ذلك فاني ما اتيت إلا لازيل عن ابن عمي قرواش الرهان وانا أسأل الاقالة فيه فقال حذيفه أنا والله ما ازيل الرهان ولا أقبل فيه سؤالا ولا يزول الا بالنوق والجمال وإذا حضروا فأنا المخير ان شئت تركت سبقي وإن شئت أخذت حقي فلما سمع الملك قيس هذا الكلام اغتاظ وصعب عليه وكبر لديه وكدرة القول فما ازداد الا لجاجة وكان حمل اخو حذيفه حاضرا ومعه جماعة من سادات بني فزارة فصاروا كلهم يتضاحكون على قيس ويهزؤن به كلما زاوة يزيد بالشعب فزاد بقيس البلاء والغضب وهاجت عليه المصائب والآفات والنوائب وقال يا أباحجار على كم كان الرهان والاتفاق فقال على عشر من النوق يؤديها المسبوق وتكون من خالص الجمال والنوق فقال قيس يا حذيفة جميع ما فعلة ابن عمي قرواش لاش في لاش وانا أريد عوضه أرأجعل الرهن بيني وبينك على عشرين ناقة ويكون بيني وبينك المسابقة فقال حذيفة وذمة العرب ما أسبقك إلا على ثلاثين فقال على قيس على أربعين فقال حذيفة على خمسين فقال قيس على ستين وما

زالوا على زيادة وملاججة ولباقة إلى أن أوصلوا الرهان إلى مائة ناقة واتفقوا على سباق الخيل بعد تضميرها أربعين يوما فقال قيس لحذيفة وتكون المسافة للخيل مائة غلوه ويكون الرامى اياس بن منصور فقال حذيفة والسبق إلى غدير ذات الارصاد فقال قيس وأنا رضيت من بنى عدنان فقال شيخ من مشايخ العشيرة يالله الحرب وقع والله الشر بين القبيلتين من بنى عدنان ولابد تضرب بهذين القبيلتين الأمثال ما توالت الأيام والليالى وقال هانىء زفباع أعمام الملك قيس مثل هذا المبال مافيهم إلا من خشى من الحرب والقتال ومازالوا يعذلونهم فى ترك الرهان ويقولون لحذيفه والله ما كان جواد قيس إلا مثل ناقة حرب البسوس ولابد أن يصير مثلا للقيام والجلوس ثم قالوا لحذيفة نحن نسألك أن تزيل الرهن عن ابن عمك ولا تشغل قلبك ولا تشعل للحرب نار تحرق الكبار منا والصغار فقال حذيفة يا إياس اعطنى مائة فارس وأنا ازيل عنك الرهان وكثرة الهذيان فقال إياس وقد اغتاظ من كلامه والله ياعم ما أنت إلا رجل كثير اللجاج والبغى ثم اشار اليه وقال

حـــذيفة ما فيك من هجنة ... ولا فى طهارة قيس دنس
لأن له سطوزة فى الأمـــور ... يسود بها قومه أن جلس
فما فوق سؤدده سؤدده ... ولا فخـــر إلا له يقتبس
فرهن لمن ليس فى ملكه ... جـــواد ولا لابيه فرس
ودع عنك قيسا فقيس له ... عزم قوى لأخـــذ النفس
ولا سيما داحس فى الرهان ... فان شاء ساروا وإن شاء جلس
جواد إذا سار تحت الغبار ... يطـــير بلا ريش كالقبس

(قال الراوى) ولما سمع حذيفة مقال إياس قال يا إياس أنا ما أرجع عن رهانى بهذا الكلام ولابد أن آخذ من ابر زهير النوق والجمال على التمام فقال قيس والله ما أخلى لك من الرهن لا ناقة ولا عقال ثم أنه عاد إلى بنى عبس وهو من الغيظ فى الانكاد وامر العبيدان يضمروا الجواد ويجتهدوا فى خدمته كل هذا جرى وعنتر غائب فى سفره وما عنده خبر من ذلك الأمر وهو فى خلاص عمه مالك وولده عمرو فى ذلك اليوم وصل عنتر من السفر واخبره العبيد بذلك الخبر فاشتغل قلبه ودخل إلى الخيام وحمل هم الملك قيس وزادت به الآلام واشتد غيظه على بنى فزارة واضمر فى نفسه أن يوقع بهم الذل والخسارة ولما علم به بنو عبس اشتدت ظهورهم واستبشروا ببلوغ المآرب لأنهم خافوا أن يقع الحرب بينهم

عنتر غائب هذا وعنتر قد اشتغل عن كل إنسان وما كان دهم إلا فرجته على ذلك الحصان فرآه أعجوبة الزمان فعاد إلى الملك قيس وسلم عليه باحسن سلام فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس لا يقل لنا قرار وأنت غائب عن الديار ولو أنك تعلمنا قبل مسيرك بأحوالك ما يكون علينا بأس ولا تدعنا لاجل غيابك في وسواس فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أشتهي أن أتعب قلوب ساداتي في قضاء حاجاتي لان أموري مالها حدود ولا يعلم بحالي إلا الملك المعبود ثم حدثه بما جرى لعمه وكيف خلصه من همه وغمه وأعلمه بأنه قد صفا قلبه وعرف حقة لما فرج كربه ثم أنه قال يا موى أن قصتي شرحها يطول وما هذا وقت إطاله ويحتمل المقاله لأجل قلبك المشغول لأني سمعت ما جرى لك مع حذيفة بن بدور ونظرت فرسك داحس فرأيته من الخيل الأصال ولا رأيت في القبائل له مثال ولا ملكت مثله الملوك أصحاب المنازل العوال فطيب قلبك ولا تحمل هم السباق فانت الظافر بالجمال والنياق فقال قيس يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم السباق ولكن أنا خائف مشؤم عاقبة بني بدر لان حذيفه طبعه المكر والغدر وهو عظيم الكياد وعبده مثيل الربيع بن زياد وهو يزيده ضلاله وإبعادوا وأنا مضيت لهم بنفسي وطلبت منهم الاقاله فما أقالوني بل تضاحكوا على وحقروني وهذا دليل على انهم ما يسابقوني ويحاربوني الا ليقاتلوني ويحاربوني فقال عنتر يا ملك سابق انت القوم على الشرط الذي جرى فان انصفوا وإلا فبعينك سوف ترى وسأبدل ضحكهم بكاء وخلي حريمهم يندبن على الرجال صباحا ومساء لان فينا مجازاة لمن احسن ولمن اساء ولا يكون هذا الكلام إذا ظهرت الخيل وجرى السباق واكون انا فانما اشهد وان جرى امر فاقعدت ولا تكلم احدوا أنا اخلي شملهم بتبدد ثم طيب قلب الملك قيس وعاد إلى ابياته والحارث بن ظالم والله يا أبا الفوارس ان ترك هذا الأمر خير من الجد فيه لان بني فزارة اقرب الناس اليه ثم قال وإن حاربناهم قطعنا انسايتنا بأيدينا فقال عنتر والله يا حارث ان بعي حذيفة على قيس لا سقينه كاس العطب لان البغي يقطع الحسب والنسب وفي تلك الأيام وصل صهر الحارث سنان بن أبي الحارث ثمن عند الملك النعمان وأخبره بنو فزارة الحارث في بني عبس وانهم قد اجاروه واعطوه الذمام وحلفوا انه لو اجتمع كل من الأرض ما سلموا منه شعرة واحد وقالوا هذا الذي قتل غريمنا خالد بن جعفر واخذ يثأرنا ولا بد ان نقاتل بين يديه كل فارس يذكروا ما كان في قلب النعمان من الحارث نار لا تطفا ولهيب وحسرة لا تخفى مراده ان يعلم من اجارة من العرب أن وكان يسمع أن المتجردة اخت الملك قيس هي التي سعت في خلاصه ولو لا محبته لها كان قتلها وندم ايضا كيف وقع في يده وابقى عليه واقسم ان رآه قتله وما زال على مقالي النار حتى وصل اليه رسول الربيع بن زياد واخبره انه في بني عبس

يرسل إلى قيس رسولا ليركب الحجة عليه ووصل سنان بن أبي حارثه كما ذكر فلما علم به قيس فأنزل له في خيامه للضيافة وفي الغد احضره وسأله عن خبره فقال له قيس أن الملك النعمان ملك العرب قد سمع أن الذي قتل ولده عندكم وقد أجرتموه وحلفتم له أن رؤسكم لا تطير إلا بين يديه وقد أحسن الطرفيكم الملك النعمان وقال أنا ما أصدق هذا الكلام في صهوى قيس لأني فيه اعتقاد وأرجو منه النصرة على الأعداء والحساد ولا أقول أنه يضيع ما بيني وبينه من القرابة أبدا ومن كثرة ما تواترت عليه الأخبار أرسلني اكشف أخباركم وابصر أركان الرجل عندكم أمرتكم بالقبض عليه وتسليمه إلى حتى أوصله اليه والصواب يا ملك أنك تجيب ملك العرب إلى ما طلب ولا تقطع ما بينك وبينه من النسب ولا تردني خائبا فيكون سبب الهلاك والعطب وربما يأخذه اللجاج ويرسل اليكم الفرسان من أرض العراق إلى أرض تهامه فيقع بكم الندامة وترجعوا على أنفسكم بالملامة ولا تظن يا قيس أنك شققت على الحارث مني لأني زوج أخته ولي في قلبه المنزلة العلية التي ليس لها نظير ولكني لا أقدر أن أخالف الملك الكبير والرأي عندي أنك تقبض عليه وتسلمه لي وترسل إلى اختك المتجردة حتى تسأل فيه الملك النعمان فان قبل حصل المقصود وأنت قد تكون قد فعلت المجهود فلما سمع الملك قيس كلام سنان قال له أنا ما اصغى إلى هذا الهذيان وقد علمت أن الحارث قتل أبي خاطر بنفسه ولما وقع في يد النعمان خلسته أختي من الهلاك والكياد وارسلته الينا لعلمها أننا ولكنه لتمام سعادته التقى مع بني عامر فخلصه بحسامه الباتر وصار فضله علينا أول وآخر وما بقينا بقدر على مكافأته الا بخفده ومراعاته والرجل نازل عندنا وقد اجرناه ولو أتى النعمان بنفسه ما سلمناه فان اراد يقطع ما بيننا من النسب وإن شاء يرضى وأن شاء يغضب فبينهم في ذلك الكلام وإذا عنتر قد دخل وهو متقلد بالحسام وكان قد علم بخبر سنان وعلم الذي اتى فيه ولما وصل إلى بين يدي الملك قيس ما سلم ولا خدم بل قال لسنان يا شيخ أنت الرسول الذي أتيت قال نعم يا مولاي فقال عنتر وحق من شق الاسماع لولا انك رسول لتركتك مقتول قم من يومك وعد إلى قومك وقل للذي اوسلك أني قد اجرت الحارث بن ظالم ظالم ولا اسلمه لعرب ولا لاعاجم وان ارسل الينا رسولا فما يعود إلا نادم ثم أنه صاح في سنان فقام وقد ارتعدت مفاصله وخرج وهو يجر أذياله ومن يومه ركب وسار وفي قلبه من كلام عنتر النار وكانت اخبار عنتر قد وصلت إلى بني فزارة وسمع حذيفة أنه قد وصل سالم وقد قوي قلب قيس على السباق بعدما كان نادم فقال حمل وحق ذمه العرب أن في قلبي من هذا العبد الزنيم مصائب قدت عمري ولا بدلي في هذه التوبة أن اشفي منه غليل صدري لأنه لولا هو ما كان قيس إلا تحت امري فقال حمل والله يا أبا جحار هذا امر ما تبلغ به مرادا ولا

تكمد به حساد مادام أنه حضر عنترين شداد لأنه والله شيطان ما يوجد مثله فى هذا الزمان لأنى شاهدت قتاله بالسيف والسنان وأخاف أن يثير الحرب فتخسر وتهان وأخاف أنك تريل الرهان وتدعنا ننظر العرضيات من هذا العبد المهان فانا أسير إلى قيس واخليه يأتى اليك ويزيل الرهان فلا تسمع العرب أنك سألته بل هو سألك فاجبته فعظم قدرك ويزداد فخرك فلا تعرض لمسعود فتموت وأنت مقهور مكمود واعلم أن كل شىء له مبتدا ومنتهى فدع هيبتك على حالها مقيمة ولا تعرض لامور تكون عواقبها ذميمة ومازال يخدعه بالخطاب حتى انخدع وأجاب وتركه يفكر فى هذه الامور والأسباب وسار حمل إلى أن وصل إلى قيس فقال له ياقيس اعلم أن اخى كثير اللجاج والصواب أنك لا تؤاخذه بقبيح الفعال بل يكون الفضل لك فى السؤال فالصواب أنك تمضى اليه وتسأله الإقالة لأنه قال فان أتى إلى قيس وسالنى الاقاله قبلت منه السؤال فما سمع قيس كلامه استحال لأنه كان قريب الرجوع طيب الاصل والفروع فاجابه إلى ذلك وقال له أنت تعلم أنى من الاول ما رضيت بالرهان وهو الذى حملنى على ذلك الشأن وأنى قد أجبت سؤالك ثم أنه ركب من ساعته فاخذ عمه اسيدا فى صحبته وسار وحمل إلى بنى فزارة من غير أن يعلم أحد بحالته فما توسط حمل فى الطريق تقدم وجعل ينشد بفصاحته

يا قيس أن مع الرهان لجاجة ... فيها الوبال وفعلها مذموم
يا قيس لا تغضب حذيفة أنه ... نكد اللجاج وأنه ميشوم
أنى أخاف على أخى من شؤمه ... يلقى كما لاقى الفتى كلثوم
جازى أخاه على مقال فانثنى ... وهو الشقى وأنفسه مرعوم
يا قيس فيك وفى حذيفة نخوة ... يأبى اليها فعلكم مذموم
فابعد هواه وكن حليما ماجدا ... من قبل تصبح ظالما مظلوم
أن الذى يبغى حذيفة منكم ... فى الوافعات قشره معلوم

ومازال يذم أخاه ويشكر قساسر وجهزا حتى وصلوا إلى بنى فزارة عند المساء ولما وصل اليهم ورأى حذيفة وسادات العشيرة كلهم مجتمعين سلم عليهم فردوا عليه السلام ومد قيس عينه فرأى سنان بن أبى حارثة إلى جانب حذيفة فانكر قيس ذلك وقال أرجو يا سنان أن تكون سعيت فى اصلاح الحال فقال سنان وأنا إيش لى من الرأى والشأن وحق مكون الاكوان أنا ما أقدر أصلح نفسى ولا اصلح حالى لأنك تعلم أنت وسادات العشيرة أنى ضامن الحارث للملك النعمان لأنه أخذ ولده شرحبيل من عندى وقتله وتركنى فى حزنى

وما اتيت فى رسالته اليكم إلا ظننت انكم تعطونى الرجل اسلمه اليه واخلص روحه من الضمان بين يديه ولما خاب ظنى وضاع تعبى فلا اعود اليه وانفذ صحابى يعلمونه بالحال وأنا اقيم عندكم فى هذا المكان حتى تنفصلوا على أى وجه كان وكان قول سنان كله محال وما كان عاد إلى بنى فزارة إلا حتى يلقى الفتن ويعمل على قلع بنى عبس من تلك الدمن لأنه لما خرج من عند الملك قيس بعد ما سمع من عنترة ذلك الكلام قال لأصحابه الذين كانوا معه يا اولاد أنا ما فى رجوعى فائدة تستفاد إلا إذا قابلت عبد شداد وها أنا قد عزمت على انى اعود إلى بنى فزارة وادبر الماء الفتن فسيروا انتم إلى الملك النعمان واخبروه بذلك الأمر وحرضوه على انفاذ العسكر فلعلها تصل إلى هنا ثم انهم ساروا اوسار هو إلى بنى فزارة فالتقاه الربيع ابن زياد وحذيفة بن بدر وسارات عشيرته فسألوه عن حاله فاخبرهم بالحال الذى ذكرنا وقال يا بنى عمى قد اهلكنى الغيظ من كلام هذا العبد وأنا اريد أن اقيم فى ارضكم حتى ابلغ المنى لأنه ما بقى لأحد عنده قدر ولا قيمة من وقت ما الحقه بالنسب بنو قرار وبنو جذيمة فقال الربيع بن زياد والله ما صيرنى هكذا مشردا عن الأوطان إلا هذا العفريت الشيطان فقال سنان طب نفسا وقر عينا فانا لفناء عمره سبب واحوج الملك النعمان أن يسير اليهم بفرسان العجم والعرب فقال حذيفة إذا كان الأمر على هذا فانا ما اصالح ولا بد لى أن أثير الحرب بيننا على الرهان ولا ابقى من عبس ولا مخلوق ثم أنه حدث سنان بما جرى واخبره أن اخاه حمل قد سار إلى الملك قيس يأتى به لأصلح الحال ونترك الرهان فقال سنان أنا ما علمت إلا بعض الحديث والصواب أنه إذا اتى قيس وطلب الاقاله فلا تقله بل رده خائبا إلى أن تضمر الخيل وتكون قد وصلت رفاقى إلى الملك النعمان وتخبره بما كان من ذلك الأمر والشأن ويرسل الينا عساكر العراق وبعد ذلك تنظر بنى عبس كيف تشتت فى الآفاق ولا سيما أن اتى مع العساكر الملك الأسود صهرك فانه يشتد ظهرك فلما سمع حذيفة كلام سنان فرح به واكرمه ومازالوا فى ذلك الحديث حتى وصل الملك قيس كما ذكرنا فسلموا وهموا بالنزول فصاح حذيفة فى حمل وقال ويلك من امرك بالمسير خلف هذا الرجل وكيف خطر ببالك أن تجيبه إلى ترك الرهان وحق ذمة العرب لو سألنى هو وكل من فى الدنيا أن اترك من النوق والجمال عقالا ما تركته فلما سمع قيس ذلك المقال زاد الغيظ والخجل وعاد إلى ظهر الجواد بعدما كان قد نزل فعاد يطلب أهله ويلوم حمل على فعله وينشد ويقول قد كرهت السباق من خيفة شره فاستمع ما أقوو أنى حكيم

قلت للمرء يا حذيفة دع ذا مستقبلا للبغى فالبغى شؤم

ياأخا الحق غرك الحلم منى	وتوهمت أنى جبان عقيم
وأنا والذى له الركن والبيت	جميعا وزمزم والحطيم
لى عزم يقد ضرف الليالى	حيث لم يبق أمرها محتوم
ورجال تلقى الرماح العوالى	بقلوب قد وافقتها الجسوم
كل من كان ناصحا فهو غر	فوقه طائر الهلاك يحوم

وكان قيس قد عنى بهذا البيت الأخير سنان بن حارثة فوصل هو إلى أبياته وعمه أوجد اخوته وأعمامه فى الانتظار وهم من أجله على مقال النار فلما رأوه قالوا له والله مافعلت إلا فعل الجهال وأشغلت قلوب القرابة بهذه الإشعال لأنك سمعت من مقاله محمل بن بدر والقيت نفسك فى قبضة قوم اظهروا لك العداوة والغدر وفى قلوبهم الكباد فهذا الحديث لو سمعه عنتر بن شداد لاستقل بك بين العباد فقال قيس لا تعتدوا على فانى مافعلت إلا فعل من يريد الصلح بين القرائب ويخشى من العواقب والآن مابقى لنا إلا القبال ثم حدثهم أن سنان قد اختار المقام القوم فتعجبوا من ذلك التيسير وقد عزم الملك قيس على السباق والنزال وضمر الخيل أربعين يوما والعرب تموج فى الحلل ومابقى لهم حديث إلا ذكر داحس والغبراء دنا الأجل وأتى ميعاد سباق الخيل والجياد اجتمع فرسان القبيلين على غدير ذاب الأرصاد واحضروا إياس بن منصور على الموضع الذى وقع عليه الشرط فاعطى ظهره إلى المكان المعروف بالغدير واستقبل مهب الشمال ورمى بقوسه مائة سهم فانهى إلى المكان المعروف واجتمع المشايخ كلهم وقوف وكان فرسان بنى ذبيان قد تسامعوا بالرهان فانظروا ذلك الأوان وأتوا للفرجة على سباق الخيل وكانوا كلهم فى أرض واحدة وكان الملك قيس قد أوصى عنترأن يقيم والخيام وقت السباق خوفا من اثارة الفتنة ونزول المحنة فاراد المقام فما قدر ولا قر له قرار فركب على جواده الابجر وتقشد بالصارم الابتر وأخذ شيبوب بركابه ولحق الناس فى شدة الحر وملك خوفا على قيس من غدر بنى فزاره فلما هموا أن يطلقوا الخيل رأوه قد طلع مثل الأسد الكسور والسيف فى يده مشهور وعيناه يتطاير منها الشرق ومازالوا نحوه حتى صار فى وسط الجميع ونادى ياسادات العرب من ذبيان ويامن أجتمع فى هذا المكان أنتم كلكم عرفتم أنى صنيعة الملك زهير أبى الملك قيس وهو الذى لحقنى بالحسب والنسب ولم تعش حتى أجازيه على صنيعه وأجعل سائر العرب تتبعه وتطيعه ولكن عاند الزمان وطرقته طوارق الحدثان وخلف هذا الولد لبنى عبس الذى قدار تضى به سائر أعمامه أخوته والأقارب ونصبوه ملكا لأجل ماعنده

من الأمور السديدة والعقل الصائب وأنا ملك بلده ومعزلمن والاه ومذل لمن عاداه واكره أن انظره بذل وهو لا يطلب الاقالة من أحد أبدا ولكن قد ارتضى بهذا السباق واشهد على نفسه سائر الرفاق فسيكون له النصر من الذى خلق النهار والليل وأنا اقسم بالبيت الحرام لئن بغى حذيفة وظلم لاسقينه بسيفى كؤس النقم وأغيمز الحوب على ساق وقدم وها أنتم سادات القبايل والاحياء فلا تطلبوا الاعداء فعندها ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين الأصحاب والقرايب فمنهم من يقول صدقت ومنهم من يشتمه فعندذلك انتخب حذيفة فارسا من بنى ذبيان خبيرا بمدارة الخيل وفى ركوبها دروب يقال له مالك بن مغلوب وانتخب قيس لحواده داحس من بنى عبس فارس كان طول دهره يربى الخيل ويخوض عليها بالنهار والليل بين الصفوف والمواكب يقال له سابق بن غالب فلما صار كل واحد بينهما على ظهر الفرس أقبل قيس على صاحبه فعلمه كيف يركب على ظهره وكيف يكون له ملامس فاشار اليه يقول

لا ترسلن عنان فرسى كله ... وأن علاه عرق وبله
فامسحه بساقك وأحسن سبله ... أنك أن أتعبتـــه تملـه

فلما نظر حذيفة قيسا قرب من صاحبه وعلاه دنا أيضاً من صاحبه وأوصاه وعلمه كيف يركب فرسه وأنشد مقتبسا للشعر الأول ويقول

لا ترسلن لها العنان كلها ... وأن عـــلاها عرق وبلها
فامسحه بساقيك وأحسن سبلها ... إنك أن أتعبتهـــا تملها

فلما سمع عنترشعر حذيفة تبسم وقال ورب الكعبة ياأباحجار لتأخذن جمالك الابكار وسبقك الملك قيس فى المعانى لأن قيسا ملك وابن ملك مطاع واتباعك له فى الوصية دليل على أن فرسك يتبع فرسه فى هذا اليوم فقال حذيفة هذا اليوم مضى أكثره وما أريد أن اطلق الخيل إلا غدا عند ذهاب الليل وكان يريد بهذا المقال أن يسير بابا من أبواب اجمال إلا أن قيسا اجابه إلى ذلك وساعده واتفقوا على أن يطلقوا الخيل عند طلوع الشمس فصاح شيبوب ياسادات العرب بحق الرب القديم وزمزم والحطيم اصبروا على قليل واسمعوا مقالى بلا تطويل فانعطفت عليه الفرسان ودارت حوله الشجعان وقالوا له قل مابدا لك من المقال أن يكون فى مقالك انفصال فقال لهم يابنى عمى هذه عربان مجتمعة وهى من بنى عبس ومن بنى فزارة والكل فى أرض واحدة وقد جرى لهم ماجرى من القيل والقال على داحس والغبرا وأنا اراهن العريقين وافرج بلى فعالى الطائفتين لكن يشهد

أن سبقت ان يكون لى ما به ناقة وان سبقنى هو أعطيته السباق خمسين ناقة فقال له شيخ من مشايخ بنى فزارة ويلك ياعبد الزنا كيف إذا سبقت تأخذ مائة ناقة وإن سبقك تدفع خمسين ناقة فاخبرنا ما السبب فقال شيبوب نعم يا ديوث العرب لانى اغدر على قائمتين والخيل على أربع قوائم وذنب فتضاحكت الفرسان من مقاله وتعجبوا من فعاله وطلبوا الفرجة على عماله فرجعوا وعنتر يقول يا ابن الأمة كيف تسبق هذين الفرسين وقد اتفقت جميع الأبطال على أن ما فى خيل العرب لهم مثال فقال شيبوب وحق من فجر من الصخر عيون وعلم ما كان قبل أن يكون أنا أسبق الحوادان لو طار كل واحد منها بجناحين ولى فى ذلك منافع كثيرة لأن فرسان العرب إذا سمعت هذا الخبر ما ترجع إذا انهزمت بعد ذلك تتبع لى أثر فلما سمع عنتر مقاله سار مع الملك قيس واخوته ولما وصلوا إلى الغدير الذى تريد الخيل أن تتسابق اليه عاد حذيفة إلى أبياته واستدعى لعبد من عبيده يقال له حابس فقال له اذهب من ليلتك هذه إلى المكان الفلانى فاكمن فيه صباح النهار وإذا طلعت الشمس وبسطت فى الأقطار أجعل بالك من داحس جواد قيس فاذا رأيته قد سبق فعارضه واقطع وجهه ورده إلى وراء ودخل فرسى الغبراء تقدم عليه حتى لا يكون سابقا عليها لأنى رأيت داحس وأطلعنى الفرسان على أمره وأنا خايف منه أن يسبق فرسى فاصبر معيرة عند العرب الغبراء فقال حاضر يا مولاى وكيف أعرف داحس من الغبراء إذا اقبلا تحت الغبار فقال أنا ريك ذلك جهاز وقام وجمع له من البر شيئا من الحصا وقال له استعد هن ذلك الحصا عشرين حصاة وضعهم معك فان رأيت الشمس اشرقت قايد بعددهم وارمهم إلى الأرض اربعة وافعل ذلك خمس مرات فان الغبراء تأتى عند انتهاء العدد لان ميعادها عندى إلى ذلك المقدار وان اشرف عليك غبار ومعك من الحصا مقدار مثل ثلثه ونصفه وأخذ الحصا ومضى إلى ذلك المكان وبات وقد لاجل هذا التدبير الذى خطر بباله ولما أضاء النهار وطلت الرجال على الروابى والشعاب وازدحمت المشايخ والشباب وأطلقت الفرسان الخيل عند ذهاب الليل وصاحت عليها فرسانها فجرى كالبرق إذا برق والريح إذا عصف وتقدمت الغبراء وتأخر داحس فصاح الفزارى سبقتك يا أخا عبس فعز نفسك بالتعس والنكس فقال العبسى كذبت يا أبا فزارة وانظر بعد ما تقع به الخسارة وصاح فى داحس فقطع السهل وطار بلا جناح قد علا وتخيل لراكبه انه على الفلك الدوار وصار قدام الغبراء كلمح الناظر فنادى العبسى للفزارى هل لك من حاجة إلى بنى بدر فتجرع من خلفى مرارة الصبر هذا وشيبوب فى عرض داحس كأنه

ريح الشمال وهو يهمز فى البرهمزات الغزلان وبينهم كما يهم وصار كل من يراه يظنه شيطان وقد هام فى تلك البرارى والوديان حتى قاربوا الشعب الذى فيه العبد كما من هذا والعبد قد رأى داحس مقبلا عليه كالقمر المنير طالبا إلى الغدير وكان شيبوب أسبق منه ولما مر الجواد على ذلك العبد لطمه لطمة بالغة بين عينيه وكان قد أخذ فى يده جندله من الأرض فلطم بها داحس فدار وارتعد وتعتع وكاد راكبه من فوقه أن يقع وأبصر شيبوب هذه الفعال فعلم أنه فكل به غاية النكال وعلم أنه من تدبير حذيفة بن بدر ومن شدة حنقه سل خنجره ووثب على العبد وضربه فقطع أمعاءه ومزق شحم كلاه وهم أن يعود على داحس ويحسن فيه المداراة وإذا بالغبراء قد أقبلت مثل الريح وتمطت طالبة إلى البرق إذا البرق وطلب الغدير فكان البته بمقدار رمية سهم وأنت الغبراء فى المرعى ووصل داحس وأثر اللطمة فى وجهه ودموعه نازلة على خده وكانت القبائل ضجت عندما قبال شيبوب وتعجبوا من خفية وقوة عصبه ولما أقبلت الغبراء بعده أرتفعت من بنى فزارة الأقراح وأخبر شيبوب لقيس بما جرى من الخبر فكادت مرارته ان تنفطر ودمدم لأجل ذلك عنتر وأشهر حسامه الابتر وأراد أن يظهر فى بنى فزارة العبر فمنعة المشايخ من ذلك وسألوه الصبر ولاموا حذيفة على فعالة فانكر وحلف أنه ما عنده من العبد خبر وقال أنا أريد حق وسبقى فما هذا الحجة الباردة التى مالها من برهان ولا لفظ بها انسان فقال قيس وحق الركن والحجر ما كانت هذه اللطمة إلا مشؤمة على بنى فزارة ان أعطانى الله النصر والظفر ولا بد أن أقطع منهم الأثر لأن حذيفة ما طلب السباق إلا لأجر هذه الحال وما لج إلا لطلب الحرب والقتال ثم زاد الصياح من كل مكان وكسفت الرؤس خوفا على البنين والبنات وما أمسى المساء حتى اتفقوا على أن شيبوبا يأخذ المائه ناقة من بنى فزارة لأجل تعبه وفرجة الناس عليه وتحقيق الرجل الذى كان الدهن على يديه إلى شيبوب ما راهن عليه وأراد بذلك أطفاء الشر بين القبائل والعشاير وعادت كل طائفة إلى خيامها ومضاربها وفى قلوبها من الحقد ما ملأ صدورها وجوانبها وكان أشد الطائفتين أحقادا وأعظمها لجاجا وعنادا حذيفة بدر لا سيما وقد سمع بقتل عبده حابس الذى لطم داحس وأما قيس فانه رجع وهو من الغيظ قد انصرع وعنتر يسليه ويقول أيها الملك لا تشغل خاطرك بهذا الأمر فوحق نعمتك لأقتلن كل فزارى تقع عينى عليه لانهم دائما يتطلعون على أخبارى وأنا أتجنبهم لاجل قلبك ولاجل ما بيننا من

النسب والآن ما بقيت أظفر بواحد منهم الا وأسقيه كاس الطب ولما أصبح صباح نحر من نوقة عشرة وفرقها على صعاليك العشيرة ونحر عشرة أخرى وعمل بها وليمة لسائر عبيد الحي وجمعهم حول مضربه واشترى لهم خمرا واسقاهم المدام وما تركهم يخرجون من عنده إلى ثلاثة أيام وفي رابع يوم نخر باقي النوق للفرسان والسادات وجمع سائر الأبطال من بني فراد أخوة الملك قيس ومن بلوديهم من الخدم والاصحاب وما منهم إلا من أتى ومعه مغنية وزق خمر او تقلبت الدنيا بالأفراح واشرقت الاقطار بشرب كؤس الراح وأجلوها عليهم في الاباريق والأقداح وبلغ الخبر إلى فزارة فاشتدت عليهم المصائب وعمل الحسد في قلوبهم عمل السيوف القواضب وقالوا كيف نكون نحن السابقين يا أمير حذيفة وأموالنا يا كلها شيبوب هو العبيد المنافقون. أنفذ لقيس واطلب منه حقك شاء أو أبى وما زالوا على ذلك حتى ألهبوا قلب حذيفة من الحسد وسقوه كاسات الغيظ والكمد ومن ساعته رفع رأسه إلى ولد وكان اسمه شديد ويلقب بين فراقه وقال له اركب يا ولدي وسر إلى قيس بن زهير وقل له يا قيس أبي يقول لك ادفع له سبقه سراو إلا أخذها منك جهرا ويفضحك بين العرب نارة أخرى وكان عنده في تلك الساعة شيخ من مشايخ العشيرة ينال له حصيصه فقال له يا أبا خجار ما هذا البغي والاسراف في المقال أما تستحي تسمع كلام الجهال وتنفذ إلى ابن عمك تطالبه بالمال وأنا والله ما أرضى لك بهذا الفعال والمقال لانه نقص في العقل والكمال وما يوصف الإنسان الا بالجود والإحسان والرأى عندي انك تقصر هذا اللجاج لان مثل قيس بن زهير يحب أن ينصف ولا يظلم وفرسان بني عبس إذا سالمتها كان لحالك أسلم وقد رأيت عبدك لما لطم داحس كيف قابله البغي سريع وصار في البر مخضبا بالنجيع وقد نصحتك وأبذلك أخبر وبعواقب أحوالك أبصر فلما سمع حذيفه هذا المقال لعب العجب بعطفيه فصاح على الشيخ وقال يا حصيصه هذا الكلام من عنتر حفظته أو خلط جديد في رأسك قد هاج ما عهدته والله لوان بني عبس بعدد الرمل ما جعلتهم لي على بال فعندها قام الشيخ من عنده وأنشد وقال .

البغي شؤم يا أبا خجار ... فتكانه كطوارق الاسحار

فاحذر مضاربه إذا جربته ... وانصف ولا تلبس ثياب العار

فابادهم تحت الظلام فأصبحوا ... بين الطلول شواخص الأبصار

فما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليه بل لعب البغي بعطفيه وقال لولده يا ويلك أمض لما أمرتك فركب وسار إلى بني عبس وطلب قيس بن زهير في بيته فما رآه بل وجد زوجته المدللة بنته

الربيع فقالت له يا أبا قرافه فى أى شىء قد أتيت وما الذى تريد من قيس صاحب البيت فقال أريد معه سبقنا وأطالبه بحقنا فقالت له وأى حق لكم ويلكم يا بنى بدر إلى كم هذا البغى الغدر أما تخافون عاقبته أرجع يا أبا قرافة على عقبك وأشكر الذى خلفك وهو بك أعلم فانك لو وجدت الملك قيس قائم لما رجعت سالم فرجع إلى أبيه وأخبره بالخبر فلما سمع خطابه غاب صوابه وقال له يا ويلك رجعت لى سالم سمعت كلام المدللة فعد إلى قيس وقل له يقول لك أبى انتظر فى الغد منه حربا فانه يريد أن ياخذ سباقه بسيفة غصبا وسوف ترى ما يحل بك من الندم إذا نزل بك وبعشيرتك العدم فقال أبو قرافه هذا يكون منى غدا وقيت حوادث الردا فان الليل قد أتى وأدركنى المساء وعند السحر أقوم ههنا وأصبح بنى عبس قبل طلوع الشمس وأطالب قيسا بحقنا قبل أن يركب وكاذ قيس قد أتى إلى أبيانة آخر النهار وهو سكران من شرب كاسات العقار لأنه كان فى دعوة أخيه مالك فابصرته زوجته المدللة سكران طافح فما حدثته بحديث أبى قرافة من الأمر فعند ذلك حار فى أمره وتشتت سليم فكره فبينما هم بذلك وإذا بعنتر قد أقبل اليه لاجل السلام عليه فسأله عن حاله فحدثه بحديث ابن حذيفة ومقاله فقال عنتر لعن الله أبا سبا له والله لا يزال بهذا اللجاج ومخالفة نصح النصاح حتى اتركه يغص بالماء القراح وأريه ما تشيب رؤس الولدان من ضرب الصفاح وطعن الرماح وسر بنا أيها الملك إلى بنى بدر الموصوفين بالبغى والغدر حتى نلحقهم باهل المقابر فالى متى يبغون علينا وأنت صابر وما زال عنتر يحمى الملك قيس بالكلام حتى زاد به الغيظ والغرام وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت هناك حاضر وإلى صورتة ناظر وتكلم بهذا الكلام لقطعت رأسه بالحسام فبينما الملك قيس مع عنتر فى الكلام إذا أبو قرافة داخل من أول الخيام ولم يزل إلى أن وقف قدام الملك قيس من غير أن يبدى سلام بل قال له يا قيس يقول لك أبى أوصل وأنت كريم وإلا أخوه منك وأنت ذليل كظلم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقال له ويلك عد منك امك وعد منك قومك ثم أنه استل حربه من جانبه وتدلعبت نخوة العرب فى رأسه حتى غيرت سائر حواسه وضربه بها بين صدره وطلعت تلمع من بين كتفيه فابصره عنتر وهو يريد أن يميل من ظهر الجواد فلزمه وربطه على جواده عرضا فابصرت الفرسان القتيل فعرفوا حاله حين أبصروه والدماء منه تسيل فنادوا بالويل الطويل وعولوا على البكاء والعويل ونادوا قتل والله أبو قرافه وزعزع من الحى أطرافه فخرق حذيفة أثوابه وعلا بكاءه وانتحابه وخرجت زوجته صارخة

وحولها جماعة من الاماء ومافيهم إلا من خضبت خدودها بالدماء وجعل حذيفة يدور بنفسه حول البيوت والاطناب وهو ينادي يا آل فزارة الثأر الثأر البدار البدار يا بني عمي بادروني بالسيوف والقنا وفعل سنان بن أبي حارثة مثل تلك الفعال لأنه كان كثير المكر والاحتيال وكشف رأسه وخرق ثيابه وكان له شيبة طويلة ففرشها على صدره وصار يحرض الابطال ويكثر من البكاء والاعوال فتنافرت الرجال وتبادرت الابطال وأشهر السلاح ودار وا حول حذيفة بالسيوف إلا أنهم ما صاروا خارج الخيام حتى ذهب الظلام وقارب وقت الصباح فساروا جميعهم ولم يبق في الخيام سوى العيال والمشايخ من الرجال وأما الربيع بن زياد واخوته ومن تعلق به من عشيرته فانه قال أنا ما أبلغ قومي بالعداوة ولا اكون معهم ولا عليهم وكان أيضاً فداغتاظ من سنان أبي حارثة لأنه من حين أتى إلى بني فزارة وحذيفة مائل اليه ويشاوره في أموره وما بقي يرفع له رأساً فهانت نفسه عليه فصار يفكر بأي وجه يصالح قيس بن زهير وسائر أخوته وأمر العبيد أن ينادوا في جوانب الحلة وقد استصوب عنتر رأيه وركب معه جميع أبطاله ورجاله وعاصبت الفرسان في الحديد والزرد النضيد وكان حالهم مثل حال بني فزارة في اهتمامهم في أمر القتال ولم يخلف في الخيام إلا الحريم والعيال وكان الحارث بن ظالم من جملة المتخلفين لأنه قال أنا ما أقاتل لبني عمي وصهري سنان وكانت نوبة عظيمة مذكورة بين بني عبس وبني فزارة وصارت كل طائفة تطلب الاخرى وكان الملتقى عند طلوع الشمس إلى أن أصبح الصباح ما علا حتى انقلب اقطار الفلا وارتج بريق السيوف ولمعت أسنة القنا وعول عنتر بن شداد أن يثير الدما ويبدل السيف في بني فزارة وأما حذيفة فانه قد برز وقال له ويلك يا بن زهير ما هو مليح قتل الاطفال بالمجال بل تبرز اليوم إلى المجال حتى يظهر عند اختلاف القنا من يصلح للملك أنت وإلا أنا فلما سمع الملك قيس هذا المقال صعب عليه وعول على البراز والقتال وخرج من تحت أعلامه فزده عنتر بن شداد فاقسم بتربة أبيه أنه لا يرجع ثم حمل قيس على حذيفة فجالا على ظهور الخيل الجياد وكان الملك قيس على جواده داحس وحذيفة على حجرته الغبراء فجرى بينهما ما يؤرخ ولما نظرت كل طائفة إلى صاحبها عولت أن تحمل معه وتعينه فعندها علت الاصوات وارتفعت الصيحات وتزعزعت الجنبات واشهرت البيض المرهفات وقاعنتر ابن شداد لعروة بن الورد ولاعمامه احملوا بنا على ميمنة بني فزارة قبل أن تميل على قيس وتعين الطائفتين ومن كان قد تخلف منهم وهم مكشوفين الرؤس حفاة الاقدام وعلى اكتافهم

الأوثان والأصنام فدخلوا بها المواكب والكتائب وخوفوا الفرسان من عواقب النوائب وهم يقولون يا بنى الأعمام بحق خالق الضياء والظلام لاتدعونا شماتة للاعداء والحسالة واتركوا عنكم اللجاج والعناد ولاتيتموا البنات والأولاد وكفانا للعرب علينا من الدماء وما لنا فى أقطا الأرض من الأعداء فاعينوا بنى عمكم واسألوا كم أملك البغى من الأمم قبلكم وأرقبوا من حكم عليكم بالممات وانتظروا الحمام فابه عن قريب آت تسكنوا فى الحفر ومظلمات ولا يبقى غير الذكر الجميل إذا أصنحت الأمم باليات وما زالت مشايخ العشيرة على مثل ذلك حتى النيران والمواقدات وانكسرت أصحاب العزمات ورجع حذيفه عن القتال وانفصل بينهم الحال على أقيس يؤدى فداء أبى قرافه من جزيل المال وقطعه من النوق والجمال وما رجع المشايخ من وسط المجال حتى عانق قيس لحذيفة بن بدر وأجاب إلى هذا الحال لأنه كان قريب المرجوع بين الأفيال ولما أجاب قيس وأنعم جرد عنتر ابن شداد ودمدم وقال يا ويلك أى شىء هذا مفعل الوبيل ولماذا تأخذ بنو بدر منا ديه قتيل وسيف عزمنا صفيل واسير حربنا لايفادى إلا بالنضول وقتيلنا أبدا دمه مهطول فقال حذيفة اسكت يا ابن الاماء والدالزنا فوحق الكعبة الغراء لولا حضور الآلهة والأصنام وأولادكم أيتام كيف انفذ ولدى يطلب حقى فتقتلوه وتربطوه على الجواد وترسلوه وتقولون ذلك الكلام والله يا حذيفة أن يدك اقصر من أن تقتل كلبا من كلاب الحى بين الخيام ولولا المشايخ والرجال كنت بينت لك العبيد من أولاد الحلال فعندها قال حذيفة للمشايخ وذمة العرب ما أشرك حتى لو نهبتنى الأعدا بالصفاح وأطرف الرماح فقال إخوة حمل يا ابن الأم لاتركت طريق اللجاج وتجهل وصالح بنى عمى فانهم أعيان العرب الحية وشموسهم المضية ونحن ظلمناهم بالأمس لأجل لطم جوادهم داحس وما قتل ولدك إلا لأنك انفذته يطالب القوم إنما لاتستحقه والسلم خير من الحرب فاقبل الفداء وارض به وإلا أوقدت علينا نار الحرب ثم أنشد يقول

وحق الذى أرسى الجبال بلا راس	إذا أنت لم فداء بنى عبس
أتتك خيول فى الحرب صوارم	على ظهرها الأبطال كالأسد الشرس
نهيتك عن قيس وقيس نهيته	ولكن مع القدور لاتنفع للترس
حذيفة ترك الحرب عنك مروءة	ولاسيما حرب الفوارس من عبس
فان كان قيس غادرا فى فعاله	فانت الذى علمته الغدر بالأمس

فدعهم لنا حصنا إذا جالت العدا علينا صباحا بالمسومة العبس

ولما فرغ من شعره شكرته العرب على نظمه ونثره والزموا حذيفة بأخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتداء وعادت الابطال إلى الأحياء وحمل قيس إلى بني بدر مائتي ناقة وعشرة من الخيل وعشرة من العبيد وعشرة من الاماء وأصلح الحال وفرت الناس فى الأطلال ولما كان من الغد ركب عنتر بن شداد والحارث بن ظالم وطلبوا البر للصيد والقنص وكان معهم مالك بن زهير فاوسعوا فى البر وطردوا الوحش حتى حمى عليهم الحر وعادوا إلى واد يقال له الضباب وكان فيهم قوم ضعفاء من بنى غراب فورد هؤلاء على ركاباهم فوجدوا على ذلك ومعه بنته وهى مثل الخشفة العطشانة وعيونها أحسن من عيون المها فرشقت بها مالك بن زهير فلما نظرها تعلقت بها أحشاؤه فاقبل على أبيها وسلم عليه فرد عليه السلام فقال مالك ياشيخ هذه الجويرية ما تكون منك فقال يا مولاى هى إبنتى لم يبق لى الزمان غيرها وهى تعينى على المرعى فقال مالك ياشيخ أما خطبها أحد منك فقال له يا مولاى أى انسان إذا كان صعلوكا فما أحد يلتفت اليه فلما رآه مالك قد أشتكى وكلامه علا قال له يا شيخ أترضانى أكون لابنتك بعلا وتكون لى أبنتك زوجة وأهلا حتى أحكمك فيما أملكه من الملك والغنا وأزيل عنك ثياب الفقر والعنا فقال الشيخ وقد تبسم يا مولاى من أين لى ذلك وأنا رجل فقير وأنت ملك وابن ملك كبير فقال مالك ياشيخ لا تقل هذا المقال ولا تظن أن المال يزيد الإنسان كما بل الحسب والنسب عند سادات العرب خير المال والمكسب (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الكلام وأما عنتر والحارث قد أقبل وسقيا جواديهما وسألا مالكا عن حاله مع الاعرابى وقصتهما فحدثها مالك بما جرى وشكا الى عنتر من تباريح الهوى وقال والله يا أبا الفوارس كنت أستجهلك كلما تشكو فى إلى الهوى الذى بك من عبلة وأقول أن العشق جنون حتى ذقته من ساعاتى بسبب نظرى لهذه العيون فلما سمع مقاله علم أن العشق غير حاله فقال له يا مولاى أنت جرى عليك هذا المجرى فى أقل من ساعة فكيف من له سنين واعوام بساقى ومن تقبل له شفاعة ثم قال عنتر ياشيخ أبشر بذهاب الفقر وزوج هذا المالك ابنتك حتى أنه يغنيك ويرد لهفتك وأنت تصير سيد قومك الكبار منهم والصغار ومن لا يطيعك جعلته رزقا للطير فى الغفار فقال الشيخ والله ما كأنى معكم إلا فى منام تحيرت من هذا الكلام وضاق على الأمر وما عندى إلا أن تقبلوها منى هدية بلا مهر ولا يكون بيننا مال معدود ولا صداق محدود وهذا غاية ما أقدر عليه من بذل المجهود فلما سمعوا منه هذا المقال رق له قلب مالك فى وقال له يا شيخ والله انا ما أخلى والعرب على حديثا من أهل النفاق ولا ارضى أن تقول عنى تزوجت بلا مهر ولا صداق

وأبقى معيرة فى سائر الآفاق بل أحمل اليك ما يرضيك ويغنيك وإذا دخلت على ابنتك تنظر ما به أكافيك ثم وضع يده على الزواج وعاد وعاد مالك وهو بالاقلب ولا فؤاد وقد فرح له عنتر بن شداد ولما صار فى أثيابه حدث أخاه قيس بما جرى له فقال له قيس ويحك يا ملك أما كان يرضيك اتصالك باحدى بنات عمك العبسيات الكواعب الاتراب عن الزواج ببعض بنات بنى غراب فقال عنتر لقيس حاشاك يا مولاى أنت يعرك العشاق وتزيدهم نارا واحرق على أن مالك ما تعدى ولا ظلم ولا فعل إلا ما سبق به القلم فى سائر الامم ويجب عليك أن تحمل همه وتحمد الرب القديم خالق عيسى وابراهيم حيث لم يوفح قلبه فى عشق بنت ملك الافالم فدعه فى هواه يعانيه لأنك ما كلفك إمراتعيك نيه فقال الملك قيس يا أبا الفوارس أن كان الامر كما ذكرت فاعمل عرسك وعرسه فى يوم واحد إن اخرت فقال عنتر هذا الامر لا يتم فيه ولا افد اليه اشير لأنه متعلق بعمى مالك بن قراد وأنا اتمنى أن يكون اليوم لى من عيله جملة فن الاولاد والصواب أننا ننجز أمر مولاى مالك وتدعنى أن انتظر الفرج من مفتح الابواب الكريم الوهاب ثم انهم انفصلوا على مثل هذه الاسباب ولما كان عند الصباح أنفد مالك ابن زهير إلى شيخ بنى غراب الشياب الملونات والإبل والجواهر مما عنده من الذخائر وأرسل عشر هوادج من الديباج مطرزة بالذهب الاحمر الوهاج والخيام والاغنام والعبيد والخدام والجمال والمدام وأمر القوم أن يجعلوا بذلك الامر لاجل ما فى قلبه من الغرام وأجل لهم وقتا معلوما وهو سبعة أيام ولما وصلت هذه النعم إلى بنى غراب فرح بها الشيوخ والشباب وقضوا الاوقات بانتهاب اللذات وذبحوا الاغنام لذوى الافضال وتجعل وكان جماله قد فاق حد الجمال وتقلب فى تقلب فى قالب الكمال وكان وجهه أضوء من الهلال وله قوم أحسن من الغصن إذا ما مال وعند مسيره سار معه عشرة فوارس وخمسة من أخوته وسار وهم يتمايلون فى حلل الاعجاب حتى وصلوا إلى بنى غراب ونزل مالك فى قبة الزفاف وكانت قد ضربت على نشز عالى على مرج أخضر ونزل قومه وأرباب عشيرته وقام بنو غراب فى خدمته وقد تر جل المشايخ والشباب وحملت الولائم واصطف الطعام من سائر الالوان بين الاكارم واكلت المشايخ والغلمان وبعد أكل الطعام قدمت انية المدام ودارت عليهم الاقداح وارتفع الصباح بالافراح وغنت المولدات ورقصت الاماء والبنات ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام متواليات وزفت الجارية على مالك المفضال وداموا على ذلك الحال نام كل من الحى من النساء والرجال وعند الصباح تبدلت أفراح القوم باتراح ورشقتهم سهام المنايا التى ما تبرأ لها جراح لأن الدهر ما وهب الا واذهب وما صنا إلا واتعب ولا عز إلا وجدع ولا أعطى إلا واسترد (قال الراوى) وكان السبب

فى ذلك حذيفة بن بدر الذى وصفنا ما فيه من الغدر وذلك أنه لما قتل بن زهير وولده أباقراءة وقد اتصلح الحال فتلقته أمه بالبكاء والعويل وقالت له وذمة العرب لا كنت لى بعلا ولا اكون لك أهلا واتعزلت عنة وبقيت ملازمة للاحزان وقد دخل عليها فى بعض الأيام فوجدها تبكى وتندب ولدها وتسب بعلها وتنشد وتقول

أيقتل واحد قيسا وترضى ... باغنام ونوق سارحات
وتلبس يا حذيفة ثوب عار ... وذل لا يزال إلى الممات
أما تخشى إذا قال الأعادى ... حذيفة قلب البنات
فدع ما قاله حمل بن بدر ... وكل مقدر لابد يأتى
وخذ ثارى بأطراف العوالى ... وبالبيض الحداد المرهفات
وإلا فدعنى ابكى ليلى نهارى ... وليلى بالدموع الجاريات
لعل منيتى تأتى سريعا ... وترمينى سهام الحادثات
أحب إلى من بعل جبان ... فان حياته عار الحياة
فوا أسفى على المقتول ظلما ... وقد أضحى طريحا فى العلاة
يرى طير الأراك ينوح مثل ... على أعلى الغصون المائلات
ففى يوم الرهان نجعت فيه ... ووجه البدر مسود الجهات
وياخيل السباق سقيت سما ... على طول السنين القابلات
ولا زالت ظهورك مثقلات ... بأحمال الجبال الراسيات

(قال الراوى) فلما سمع حذيفة من زوجته هذه الأبيات وماذكرت فيها من الأنشاد أسودت فى عينيه الجهات ولما شاعت هذه الأبيات فى العربان تناشدتها الفرسان وسموها مثيرات الأحزان فدخل حذيفة وقال لها يابنت العم وذمة العرب ماقبلت الفداء من قيس إلا بتدبير شاف لأنه لما رأو المشايخ الكبار قد خرجوا الينا قال لى ولدك مات ومضى ومن مات لا يرجع فقال سنان الصواب أنك تأخذ من قيس الفداء والمال وتترك عليه وعلى أخوته الأرصاد إلى أن تظفر بواحد منهم وتقتله والحرب بين يديك والأفق فى هذا الوقت ماتنال مقصودك وهذا الحديث كان بينى وبينه وقد أخفيناه حتى لا يعلم به الربيع ابن زياد ومن حيث وقع الصلح جعلت على بنى عبس الأرصاد ولا بد أن أجمعهم برجل يعز على العشيرة كلها ثم لم يزل يترفق بها حتى لانت ورجعت إلى حكمه وما زال على ذلك حتى أتى اليه خبر الأمير مالك أنه قد تزوج فى بنى غراب وقد مضى يرف زوجته عندهم بعدما أغناهم

من الأموال فلما سمع حذيفة ذلك جمع أخوته وهم عرف وحنظلة ولم يعلم أخاه حمل لانه يعلم أنه لا يمكنه من ذلك العمل فاجابه إخوته إن ما أراد وساروا فى الليل وقد أخذوا معهم سبعين فارسا من شدة فرحه ما سأل أن كان عنتر معهم أم لا ولما بعدوا عن الاحياء أخبر سائر الاصحاب بقصته وأنه طالب بنى غراب ليقتل مالك بن زهير فاستصوبوا رأيه وجدوا المسير فصبحوا بنى غراب أشام صباح فرأوا الدنيا خالية منهم وهم نياهم نيام من تعب الافواح وأبصر حذيفة قبة الزفاف فعرف أن مالكا فيها فقصدها واخوته حوله ولما ركضت الخيل قامت العبيد ووقعت الزعقة فى الفرسان فتنبه عنتر وقام إلى الحصان وركبت الفرسان من بنى غراب وكانوا خمسين فارسا وطلبوا الحرب إلا أن عنتر كان أسبق إلى القتال لانه كان قريبا من التل الذى فيه قبة الزفاف ولما قارب بنى فزارة عرفهم وعرف حذيفة فنادى ياأباحجار يا غدار يا مكار لقد حدثتك نفسك بالمحال وأنا لمثل هذا اليوم كنت فى الانتظار ثم طلب الخيل وزعق عليهم ولعب بالرمح فى جوانبهم والابجر تحته كانه السيلى وهو مستظهر ويجولانه على جولان الخيل ولما رأى حذيفة فعاله خلف أن يخيب آماله فعول أن يغتنم الفرصة ويدخل إلى القبة ويقتل مالك وهو غافل خال من معد والسلاح وإذا بمالك قد خرج ورأى القتال يعمل بين القوم وكان سمع الصياح وهو فى النوم وكان من شدة شدة لذته مدهوش معانق لزوجية وذراع وكل منهما للاخر مفروش كما قال القائل

لم تنظر العينان أحسن منظرا ... من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا ... متوسدين بمعصم وساعد
وإذا تالفت القلوب على الهوى ... فالناس تضر فى حديد بارد
وإذا صفا لك زمانك واحد ... نعم الرفيق فعش بذاك الواحد

(قال الراوى) فلما سمع مالك الصياح سل سيفه من تحت رأسه وأراد أن يرى زوجته شجاعته وقام وهو يخلوق العروس ورأى الخيل دائرة بعنتر فاخذته عند ذلك الحمية فاستل الرمح من على باب المضرب بعد ماركب جواده وحمل يطلب حذيفة وأخوته ثم أنه صاح فى الحصان وهو سكران ويديه غير متمكنة فى العنان فكبا به الجواد على يديه ونفضه عن ظهره فوقع على رأسه وأراد القيام فادركه حذيفة بحجرته الغبراء وضربه على هامته فنزل السيف إلى نصف قامته ولما علم أنه أهلكه نادى يالثارات ولدى أبى قراقة ثم فر هاربا وترك عنتر مشتغلا ببنى فزارة وماتبعه إلا من علم بفعاله وأخر الله فيه

أجلة وتفرق الجميع من بين يدى عنتر وقد قتل أصحاب حذيفة الكثير ولم يبق الا اليسير ولما

مقتل مالك ابن الملك زهير

عاد عنتر من الحرب وملاقاة بنى فزارة لقى مالكا وهو على آخر نفس وهو يخبط فى دمه بين يدى الفرس فصاح لما عرفه ورمى نفسه عليهم ولطم على رأسه وخر لباسه وصار يحثو التراب على رأسه ولطم كما تلطم الثكلى ثم صاح واملكاه واعزاه واسيداه يا بدر الكمال ما أملت فيك هذه الآمال ولا أبقى أنا فى الحياة وتشرب انت كاس الوفاة ثم أخذ رأسه على أحد ركبتيه واجتمعت الفرسان حوله وهو يقبل عارضيه وكاد أن يغشى عليه ونزلت الدموع من عينيه على خده ولما أفاق مالك من غشيته وأراد أن يتكلم فلم يتحرك لسانه ولم يقدر على ذلك فأومأ بأصبعه اليه وطلب منه الوداع وروحه فى النزاع فاشتدت بعنتر الاوجاع فبينما هم كذلك إذ قد خرجت زوجة مالك وهى متهتكة مكسوفة الذوائب وحولها جماعة من النساء والقرائب يدقون صدورهن ويحثون التراب على رؤسهن وزوجته تدق على رأسها وتأكل لحم زندها ولما وصلت إلى مصرع مالك القت روحها عليه وصارت تضمه إلى صدها وتقبل عارضيه وتنشد وتقول

ابكيك لا للنعيم وللبس ... بل للمعالى والسيوف والترس
يا ليتنى كنت قبل مصرعه ... شربت كاس الحمام فى نفسى

(قال الراوى) ومافرغت الجارية من شعرها حتى قضى مالك نحبه فعندها لفه عنتر فى أثوابه وعارضه على ظهر جواده وشد بعمامته وأخذه بين يديه وسار طالبا ديار بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس بادى البكاء والانتحاب والحزن والاكتئاب وهو ينشد ويقول.

ألا ياغراب البين ذا الطيران ... أعرنى جناحا قد عدمت بنانى
أحا رأيت اليوم قتلة مالك ... ومصرعه أم فى المنام أتانى
فان كان حقا فالنجوم لفقده ... تقوره بهوى بعده العمران
ويظلم ضوء الصبيح حزنا على فتى ... سخى آل عبس مع بنى غطفان
فلا كنت العبرا ولاكان داحس ... ولا كان يوم أرسلا برهان
لقد كان يوما أسود لوجه عابسا ... يخاف بلاه طارق الحدثان
فو الله لا زالت جفونى قريحة ... عليه بدمع زائد الجريان
إلى أن أرى حقا عظام حذيفة ... مفتتة والموت منه بدانى
لقد هد حيلى فقده ومصابه ... وخلى فؤادى زائد الخفقان
به كنت أسطو كلما جرد العدى ... سيوفهم نحوى لقطع بنانى
فمن بعده من ذا يكون مساعدا ... إذا طرقتنى طارقات زمانى
فوا أسفى كيف انثنى عن جوارة ... وما كان سيفى عنده وسنانى
رماه بسهم الموت رام بجورة ... فيا ليته لما رماه رمانى
وحق أياديه التى لو شرحتها ... لسامعهم منى لكل لسانى
يمينا به لانمت عن أخذ ثارة ... ولابت إلا فوق ظهر حصانى
ولازال سيفى فى قرارة فاصلا ... إلى أن يعود البر أحمر فانى
بنى بدر لستم أشد عزيمة ... إذا ضمنا الميدان اليوم رهان

(قال الراوى) واستمر عنتر سائر إلى الأحياء وما كان سلم من العشيرة إلا ثلاثة ولم يبق من اخوة مالك إلا اثنان وقد أصابهم مثل عنتر وأكثر حتى أشرفا على الهلاك من الندب والبكاء ولما قاربوا الاحياء التقاهم الملك قيس وأما أمه تماضر فانها كانت فى وسائل النساء وهى تدق على صدرها وصياخا يفتت الأكباد والتقيت بنو عبس من سائر الجنبات وانتهكت البنات المحدرات لأن أخو قيس سبقوا إلى الأحياء وأخبروا بالذى جرى وأراد قيس أن يدفن مالكا فى البر فما مكنته أمه من ذلك بل قالت أنها

لأدفنه إلى وقت الصباح وبعد ذلك أسير أنا بروحي أطالب بني بدر بدم ولدي وألافا تنطفي نار كبدي فقال لها قيس يا أماه ما نحوجك إلى هذا فإن سيوفنا حداد وزماحنا مداد ورجالنا شداد وأنا أقسم بمن رزق الذر وأوسع البر لا أقعد عن ثأر أخي مالك حتى أهلك بني بدر هذا ما جرى لهؤلاء من الأسى (وأما ما كان) من حذيفة فإنه وصل إلى بني فزارة عند المساء وما معه رجاله إلا القليل فانه من فرحته بقتل مالك تركهم قدام عنتر ونجا بنفسه ولما وصل إلى الحي لتنفاه سنان لأنه كان في انتظاره وهو الذي دبر هذا التدبير فلما أشرف عليهم حذيفة ركب اليه المخلفون وهم أخوه حمل والربيع بن زياد ولما التقوا سأله سنان ما فعلت في الصيد الذي طلعت بخيلك وراه ومالي معكم لا أراه فقال له ما وقع إلا ما وقع معقوراً فذبحناه فعظم ذلك على الربيع وحرك جوادة من شدة ما دها ليعلم ما هم عليه ليعرف سر حذيفة ونجواه وعلم أنهم في أمر ما أطلعوه عليه فقال له يا أبا حجار ما هذه الأمور والأخبار ألك عني يا ابن العم سر تخفيه وتخاف مني عثيه فقال حذيفة وحق من رفع السموات العالية ما نخفي عنك يا ابن العم شيئاً بالكلية لأنك عندنا من الرجال المسمية لكن اعلم يا ابن زياد أننا قتلنا ابن ملككم مالك ومنتظرين باقي أخوته نفعل بهم كذلك فوالله ما سمع هذا المقال حتى زعق وقال يا للعرب وقع الله الشر والعطب وقال لحذيفه إيش هذه الفعال يا أبا حجار فبئس هذا التدبير وهدة الأخبار ولا بد لقيس وعنتر أن يبلوكم بالشوم ويقلعوا أثركم ولو تعلقتم بالنجوم فقال حذيفة للربيع ويلك ويا ولد الزنا إيش هذا الحال وما الذي حملك على هذا المقال ويلك يا ابن اللئام تواجهنا بذلك وأنت أيضاً في ضيافتنا والذمام والله يا ابن ألف قران لا كان الشؤم إلا حولك وحول اخوتك اللئام وسوف ترى شؤم هذا الكلام ولولا أكلك طعامنا ومقامك في خيامنا كنت أبصرت ما يجري عليك وعلى أخوتك منا يا ويلك عد إلى قومك وكن في حزن قيس من قومك وإلا التقينا جوابك على قدر خطابك وحق اللات والعزى إن أقمت في أرضنا أكثر من اليوم أو غداً لأنتفن سبالك وأقطعن أوصالك فعاد الربيع وهو موجوع القلب منكسر الخاطر غزير الدمعة وقد أحزانه قتل مالك وقال هذا جزاء من يلتجيء إلى الغربان ذو رحل من وقته وساعته وطلب أرض بني عبس فوصل الخبر إلى حذيفة فقال إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم لقد كان قتل الربيع خيراً من تركه لأنه سار يشد مع أهله وعربه ويساعد علينا فقال رجل منهم يا أبا حجار أنا أعلم أن الربيع كان اشترى ضروف خمر يشربه فانظر إلى منزله إن كان حمله معه فهو فرحان بقتل مالك فلا تحمل همه وإن كان مزقها وبددها فيكون صعب عليه لذلك فعندها سار حذيفة إلى المنزل

الذى كان فيه الربيع بن زياد فوجد الأرض مغرقة الدروف بمزقة فعند ذلك ندم حيثه تركه يعود سالماً فهذا ما كان لحذيفة (وأما ما كان) من الربيع فانه سار طالباً بنى عبس حتى وصل اليهم قبل طلوع الشمس فوجد الملك قيساً وأخوته وعنتر عند قبر مالك ولما رآهم الربيع مال اليهم وخرق اثوابه بكاءه وانتحابه وأشار يرثى مالك بهذه الأبيات ويقول

يا لقوامى من عظم حزنى وما بى	أصبح الدمع فى الخدد سجاما
ومصابا إذا تفكرت فيه	صار عند الضياء منه ظلاما
ياجفونى إن كنت ما تسعفننى	صار منى الكرى عليك حراما
لهام قد كان حصناً لبس	وشفوقاً على النساء واليتامى
تاج عبس وعزها وعلاها	وطرازاً لها وقرما هماما
ومليكا يوم الفخار نطعن	قد حوى العز بجده قد أقاما
عجباً كيف احتوى مثله القبر	ووراه وهو بدر تماما
يابنى العم ساعدنى بعزم	أنا عن ثأر مالك لن أناما
برجال من آل عبس كرام	عم للناس جودهم أنعاما

(قال الراوى) وما فرغ الربيع من شعره حتى أبكى العيون وآثار الشجون ثم أنه نحر على القبر مائة ناقة وحمل وسار إلى الملك قيس وعانقه واعتذر اليه وعزاه ثم أنه مال على عنتر ودموعه سائلة تتحدر ودخل عنتر إلى فريق بنى قراد وأما الملك قيس فانه رجع إلى أبياته تفكر الربيع وما فته وخاف من مكره ودواهيه وأحضر أمه وقال لها أريد أن تسيرى إلى أبيات الربيع وتخفى نفسك بين أعدال الدقيق وتنظرى ما بينه وبين زوجته فقالت السمع والطاعة وسارت من تلك الساعة ودخلت إلى خلف الخيمة التى الربيع حين أنى للمنام وأرادت زوجته أن تدخل معه فى الفراش فالتفت عنها وقال لها قومى عالك فبعد ما تفعل الرجال بالنساء ثم أنه أنشد وجعل يقول

ذهب الرقاد فما يقر قرارى	دواما من الأمر المهم السارى
من أجله تمسى النساء حواسرا	يتفجع فى السر والاجهار
من كان مسروراً بقتله مالك	فليأت حلتنا صباح نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه	يخمشن أوجههن بالاظفار
عن بعد مقتل مالك ومصابه	تدع للنساء عواقب الاصهار

ماأن أرى فى قتله لذى النهى ... الا لمعى ويودى بالاكوار
وفوارس طلى الحديد عليهم ... فكانما طلى الحديد بقارى
ونقود كل مقلص من خيلنا ... سلس القياد مضمر كرار
حتى نشن على فزارة وقعة ... شعثا ونسقيهم كؤوس بوار
من كان مسرورا بقتلة مالك ... نسقيه أحد المرهف التيار
وستعلمون إذا التقينا بكرة ... بالمشرفى وبالقنا الخطار
من تلعب الخيل الجياد برأسه ... وبعض من ندم على الأظفار
أظنيوا أنا نخلى مالكا ... كلا ورب البيت والأستار
حتى نبيد بثاره ساداتكم ... حملا وفارسهم أبا حجار

(قال الراوى) فلما سمعت أمه هذا الكلام والشعر والنظام خرجت من بيت الربيع وسارت إلى أن دخلت على ابنها قيس وقد أخبرته وما سمعت وعاينت بالنظر فقوى قلبه وفرح به ولما كان عند الصباح خرج قيس هو وأخوته ودام الأمر على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع اجتمعوا للمشوره لهلاك بنى فزارة وطلب قيس عنترا فما لقيه فسأل عنه أعمامه وأما عندنا منه فصعب على قيس غيبته وخاف أن يكون مضى لأجل رجوع بنى زياد لأنه يعلم ما بينهم من الكياد والعناد فبقى كذلك إلى أن ارتفع النهار وإذا بغبار من ناحية بنى فزارة قد ثار فوقع فى بنى عبس الصياح وركبت الفرسان وأشهروا القواضب واستعدوا للقاء المصائب وركب الملك قيس وشجعان قبيلته وبين يديه سائر اخوته إلا أن الخيل ما بعدت عن الخيام حتى انجلى ذلك القتام وظهر من تحته عنتر وأخوة شيبوب وجرير ومعهم فوق ولى المال فتعجب الملك قيس وأخوته وتقدموا حتى قاربوا عنتر وسألوه عن الخبر فبكى وتفكر مالك وتحسر وقال يا مولاى قد أثرت فى بنى فزارة أشام أثر وأخذت ثار مولاى واليوم أو غدا سيأتون اليك فكن على أهبة القتال حتى تقلع الأعداء من الديار وإلا نكون لنا فيها قرار فقال يا أبا الفوارس هذا أمر لابد لنا منه وأنت اليوم أين كانت غيبتك وما فعلت وما هذه النوق والجمال والأموال فقال له أما المال فهو مال أخيك الذى كان قد حمله إلى بنى غراب مهر العروسة وأما القتلى فهو حق سادات بنى فزارة ومن جملتهم عوف أخو حذيفة لأنى من شدة ما وجدت عندك من الوحشة ما نمت ولا ذقت المنام بل كل ليلة أتفكر وأنتظر منك المسير إلى أخذ الثار ولا أقدر استأذنك من الاحزان إلى أن كان نصف لأجل ما عند

الليل فغلبنى النوم فنمت ولما ثقلت نومى رأيت مولاى مالكا كأنه قدامى يقول يا أبا الفوارس نمت عن أخذ ثارى يوم الأمان ونسيت ما كان بينى وبينك من قديم الزمان لكن من وفى قبك للخليل تقى أنت لمن هو تحت التراب جديل ثم ودعنى ودموعه تسيل وهو يلتفت لى بفؤاد عليل فانتبهت وأنا مثل المجنون المصاب ولمت نفسى على النوم وعاتبتها أشد العتاب وما جرى على أخذت إخوتى قدامى وركبت على ظهر جوادى وقد هانت على المصائب وسرت إلى بنى فزارة تحت غسق الظلام وعولت أن ألقى نفسى بين المضارب والخيام واشفى فؤادى منهم بضرب الحسام وكان وصولى اليهم وقت السحر ولما عزمت أن أفعل ما كنت عزمت عليه اركب موكب الخطر سمعت صوت هذه الجمال قد نوت منها فرأيت معها مائة فارس أبطال وهم دائرون بها يمينا وشمال فزعقت فى الرجال وطلبتهم للقتال فانفرد إلى منهم عشرة فرسان عوف أخو حذيفة فى أوائلهم وهو يقول أنا عوف أخو حذيفة بن بدر فارس الدهر والعصر فلما سمعت خطابه اشتد بى الفرح من جوابه واستقبلته بطعنة فى صدره أطلعت السنان بلمع من ظهره وسابقت بعده الخيل فاسقيت ركابها الذل والويل والذين قتلتهم كانوا عشرة أبطال سوى ما جزحته من الرجال ولما مضى الباقون من يدى وهربوا امرت اخوتى فساقوا هذه الغنائم البطاح وما عرفت أنها أموال أخيك إلا عند الصباح وأقول أن حذيفة ما نفذ أخاه إلى بنى غراب بعد عودتنا بمولاى مالك وأمرهم أن نسوق أموالهم ويقتل رجالهم لما رآهم اتصلوا ببنى عبس وهؤلاء ما فى وجوههم فائدة فلا خرين ديارهم ثم عادوا إلى ديارهم فرحين وبالنصر والظفر متباشرين وكان سبب هذا الاتفاق أن حذيفة بن بدر لما كلم الربيع بن زياد بذلك الكلام وقال له إن قمت عندنا بعد ثلاثة أيام قتلناك وواجهه بذلك الكلام لما رآه صعب عليه قبل مالك بن الملك زهير وما حل به من الضمير ولما رحل الربيع فى الليل وجرى ما جرى ووصل الخبر فندم لى فعله وقال كان الصواب قتله وقتل اخوته لأنه على كل حال ركن من اركان بنى عبس فلو قتلناه كنا ربحنا وأنا أقول أنه ما مضى إلى أهله لأنه لا يشتهى أن ينظرهم ولا يبصرهم ولا يريد أحد منهم وما هو سائر إلى العراق وقائم عند الملك النعمان فقال له أصحابه وحق الكعبة الحرام يا حذيفة ما نزل إلا وهو يريد أن يشد معهم غاية الشد لأنه صعب عليه مثل مالك وإلا فما كان كلمك بهذا الكلام فقال لهم حذيفة كيف يصعب عليه ولو قدر على شرب دمائهم ما أبقاهم فقال رجل منهم لحذيفة كان ذلك فى زمن عيدهم عنتر والآن على كل حال زوج ابنته وملك عشيرته وأن أردت صحة قولنا فابعث عبيدك إلى موضع الربيع واخوته ينظرون ما قد فعل عند رحلته لأنه البارحة كان قد عول أن يصطنع وليمة وقد اشتروا من التجار الخمر فتقدم رجل إلى حذيفة وقال له يا أمير

عبرت على بنى زياد فرأيت الضروف مختلفة على باب خيمة الربيع فان كان عند رحلته قد خرقها فقد صعب عليه قتل مالك وان كان قد حمل الضروف معه فقد فرح بذلك فلما سمع حذيفة ذلك تعجب من حسن خبرتهم بعواقب الأمور وأنفذ جماعة من عبيده إلى المنزل فأبصروا الأرض بالخمر مغرقه والضروف مخرقة وأخبره بالخبر فصدق عند ذلك ماجرى من ذلك الأمر وندم على مافعل فى حق الربيع بن زياد ومن شدة غيظه أنفذ أخاه إلى بنى عراب ومعه تمام المائة فارس وقال لهم بادروهم وسرقوا أموالهم واقتلوا من مانع من رجالهم وإن أردتم أن تسبوا نساءهم والاولاد فاجتهدوا فى ذلك واتوا بامرأة مالك حتى أشق بطنها لأنى عولت أن أقطع أصولهم وفروعهم ففعل عوف ما أمره أخاه من نهب بنى عراب وأما النساء لم ينل أحداً منها لأنهم هربوا إلى رؤوس الجبال والتلال وعاد عوف يطلب أرض بنى فزازه وهو خائف أن يعود ربحه إل خسارة وكان عوف قد رحل وقت المساء إلى أن يصبح الصباح ومازال سايراً إلى وقت السحر فالتقى بعنتر فأنزل به العبر وقلع منه الأثر وقتل بعض رجاله فهذا ماجرى من أمر هؤلاء . وأما الذين هربوا من الوقعه فانهم وصلوا إلى حذيفة وأخبروه بقتل أخوه عرف فصعب عليه ذلك وجرى عليه مالم يجر على قلب بشر وهم أن يركب هو وقومه ويسيروا إلى قتال بنى عبس فأشار اليه سنان بن أبى حارثه أن لايفعل وقال له ياولدى الصواب غندى أنك تتمهل إلى أن تجتمع عساكرنا خلفنا ونكاتب من نعتمد عليه فى محنتنا ونكون فى جمع كثير وإلا قهرونا وكسرونا وخربوا ديارنا وإن وصلتم إلى عساكر النعمان فى هذه الأيام فخذوا أهبتكم للحرب الشديد ولا تنظروا القريب ولا بعد ثم أنهم افترقوا على ذلك التمهيد . وأما ماكان من أمر عنتر بن شداد فانه فى تلك الليلة ارسلت اليه عبلة مع أمتها خميسة تقول يا أبا الفوارس أعلم أن لى أياماً وليالى وأنا مواظبة على البكاء والأنين وقد ضاقت نفسى من ذلك وأشرفت على المهالك وأريد الليلة أن أخرج إلى الغدير ومعى جماعة من بنات عمى حتى تخف عنى الهموم ويفرج كربى وأشجانى وأشتهى منك أن تخرج الى هذا المكان لتحفظنى وترعانى لئلا يتسبب لى بعض الأسباب أو يدهمنى شىء لم يكن فى الحساب لاسيما من بنى فزازة أو بنى زياد أو طائفة من الأعداء أهل الفساد فلما سمع عنتر هذه المقالة فرج بصفاء المحبوب وأجاب بالسمع والطاعة وأخذ أهلته فى تلك الساعة وعادت الأمة الى عبلة وأعلمتها باجابته

فطاب قلبها وأمنت على نفسها وأخذت جماعة من بنات عمها ممن كانت تألفهم وكن التى طلعن معها عشر بنات أبكار شبه الأقمار وهى تزرى بضياء القمر وهى طالبة الغدير ونور وجها يفوق البدر المنير (قال الراوى) وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة أن عمارة ابن زياد الذى ذكرنا أنه يهوى عبلة ويعادى عنتر من أجلها قد اشتدت به الأشواق وقد قتلة الوجد والغرام لأنه أقام فى بنى فزارة شهوراً وأياما وهو يتمناها ولما عاد الربيع إلى بنى عبس وعاد عمارة معه وهو يفرق على الاماء التى حول بنى فراد الكساوى ويجتهد فى نظرة إلى عبلة كل الاجتهاد إلى أن كانت تلك الليلة التى خرجت عبلة فيها وأوصت فيها عنتر أن يحميها ويراعيها ووصل الخبر إلى عمارة فكاد عقله أن يطير من الفرح فصبر إلى أن أظلم الظلام وخرج من الخيام وقد لبس لبس الاماء من النساء حتى لا تنفر منه القلوب ومازال ماشياً حتى وصل الى الغدين فرأى البدور تسحب أذيال الملونات من الحرير وعبلة وسطهم مثل البدر المنير وقوامها أحسن من الغصن الميال والكل يتمايلن على صوت الدفوف والمزاهر المطربات وهن مثل الأقمار كالاغصان المائلات فلما رأى عمارة ذلك أخذة الجنون والوسواس ورجفت منه الاعضاء واشتكب الاضراس فانقض على عبلة انقضاض العقاب أو الاسود الكاسرات وهى نظن أنه من بعض الاماء لأنها رأته بثياب النساء المخدرات ولما أن أحست بثقل قبضته نادت من أنت ياطنجير وما الذى تريد ياقبيح من زير فقال لها أنا عمارة اريد الربح بعد الخسارة لأنى قتيل هواك وعليل حفاك وقد تسببت بهذه الأسباب كى أراك وأنا عمارة بن زياد الذى أهلكتيه بالبعاد وأريد أن تصلى معى إلى هذا الشيف حتى أشبع من نظرك وأطيب من تقبيلك اللذيذ العجيب وإلا قتلتك أسأم قتلة وافعل معك أرزل فعلة (قال الراوى) فلما نظرت عبلة ذلك البلاء الذى نزل بها زاد خوفها ورعبها وحين سمعت من عمارة ذلك المقال صاحت فيه مثل الاسد الريبال وسبته وشكت من جوره وقالت له يا ابن زياد أما تستحى من عنتر بن شداد خلى عنك وإلا وحق من بسط المهاد ما ترى الذى تريد ولا فى الرقد فدع عنك الطمع وارجع ولا تخاطر براسك تقطع فقال عمارة وحق البيت الحرام يا بنت مالك ما بقى لك من يدى خلاص لأنى فى حبك هالك ولا أتركك حتى أبلغ منك مرادى وما أتمناه من ذلك وأشفى منك فؤادى بالوصال وتذهب عنى سائر الاوحال ولا يمكن أن يفوز بك هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم الذى كان شيطان جيم (قال الراوى) كان هذا وعنتر بين الروابى يسمع ويرى

ولما أن رأى فعال عمارة نظر إلى ذلك الأمر المنكر وقد كان من حين بعثت عبلة اليه أمنها اعتد بعدة جلادة وخرج إلى كثيب هناك وكمن خلفه وأقام حتى أتت عبلة وقد جرى لها أما جرى مع عمارة رأى بصره عنتر ولما سمع عنتر تستغيث وهو لا يفكها من يديه زعق زعقة دوى لها البر وهمهم ولما سمع صياحها دمدم وأسودت عينيه الروابى والاكم وخرج من بين الروابى كما تخرج الاسد من الغابات وأقبل إلى أن أتى إلى عمارة وزعق فيه زعقات مزعجات وقبض على مراق بطنه ورفعه على يديه وجلد به الأرض فاحدث فى ثيابه التى كانت عليه من شدة الفزع وقوة الهلع لأن عنتر كان أرهقه وأراد قتله ليأخذ سلبه فرآه وسخ نفسه حتى سال الخراعلى ساقيه ونزل على قدميه وسار فى أسوأ أحوال وأقبح وبال فضحك عنتر بعد الغضب وقال له لا رعاك الله ما أقبحك وما أقرب خراك يا طنجير العرب ويا أرذل من ضرب فى البيداء وتدا أو مد طنب * هذا ياساده وعبلة قد رأت ما أصابه فتعجبت لما رأت ذله وما أصابه وعاينت الذى نزل على أفخاذه فقرفت من قبحه وفساده وضحكت عليه كذلك البنات والنسوان وقد داروا حواليه وسدوا أنوفهم وهو فى هذه الفضيحه وقد فاحت عليهم الريحة فوبخوه على فعاله الرديية وشوهوا عليه كل بلية وكان عنتر قد عول على قتله لما رأى الذى جرى عليه وابصر الخرا على رجليه نازلا وذلته بين يديه تركه مكبوب عو وجهه وقد غشى عليه وغابت الدنيا عن عينيه ثم رجعت النساء إلى المضارب وهن يتضاحكن عليه ويتعجبن من فضائح عمارة المطنجر وبقى على حاله إلى وقت السحر فلما أفاق من غشيته ونظر إلى ما جرى عليه ورأى الخرا جاريا على ساقيه نزل الغدر فخلع ثيابه واغتسل وعاد إلى أبياته بخوف ووجل وعند الصباح غير أثوابه وفزع من أهل الحى وعلم أن النسوان لابد أن يعيدوا لازواجهم عند أقبالهم على البيوت ما جرى عليه فزاد حزنه وبليته فدخل على أخيه الربيع وبكى بين يديه من الذل الذل الذى هو فيه واخبر أخاه بما جرى عليه فاخذه الحنق والغيظ وكاد قلبه أن يذوب فقال الربيع ويلك يا ميشوم الناصية ما الذى أحوجك لذلك الذل هذا الفعل المنكر وحق من رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ما لقد جد تركتنا مثلا الامثال وما خليت انا رأسا نشال فقال عمارة والله يا ربيع ما بقيت أخرج من المضارب ولا ينظرنى راجلا ولا راكب حتى تأخذ بالثار وتكسف عنى العار لاتى وحق الكعبة الغراء تمنيت أن أكون قتيلا على جنب الغدير كلا أرى الخراء على أفخاذى يسيل وعبلة تلعنى هى ومن معها من النساء والكل يضحكن على فضرب السيف كان أهون عندى ولا أراهم يسدون أنوفهن ويبعدون عنى فقال الربيع ويلك يا ابن الام أنت

مجنون هذا الثار الذى تطلبه كيف يكون والرجل ما جرحك حتى أننا نقوم معك ونطالب حماك وإنما أنت الذى تعديت وقد جازاك فاشكر الرب القديم الذى أبقاك وخلاك كان عنتر قتلك وأرداك والصواب أنك تترك هذا الحال وتخفية وأنا الف مرة قلت لك لاتخلى لنا مع عبلة معاملة فتتعب فقال عمارة واحرباه من قلة الناصروا أسفاه على رجل ينصرنى على هذا العبد اللعن ثم عاد وهو حيران (قال الراوى) وبعض الجوارى التى كن مع عبلة لما رجعت الى الخيام أشارت تقول هذه الأبيات

عماره دع هوى الجرد الرداح ... ودخ عنك التعرض للملاح
فانك لا تكف يد الأعادى ... ولست بفارس يوم الكفاح
فلا تطمع بعبله أن تراها ... ترى الاهوال من ليث البطاخ
تصبب لمن أتى شوقا اليها ... باجفان سقيمات صحاح
وقد فرغت نفسك فى هواها ... وأمليت النواحى بالنواح
فدع عنك اللجاج لها وإلا ... سقيت لأجلها سم القراح
فلا زال اللجاج عليك حتى ... ملأت الى ثيابك بالجلاح
وقد ضحك البنات عليك حقا ... وجيفت التلال مع البطاح
وصرت لكل من يسعى حديثا ... وضحكا فى الغدو وفى الرواح
أتيت لنا باثواب حرير ... مصبغة كطنجير مباج
ولما أن أتيت أتاك ليث ... تخر له الاسود لدى الكفاح
وما أبقى عليك سوى احتقار ... لقدرك إذ رجعت كمنزاح
وسدين الاتوف هناك لما ... ضحكنا عليك ضحكا بالمزاح
وعنترة الفوارس ليث غاب ... يصول وفى العطا بحر السماح
وأنت أذل من ركب المطايا ... وأبخل سائر القوم الشحاح
ونحن كاننا زهر زكى ... كانفاس والبنفسج والاقاح
وعبلة بيننا كغصين بان ... علاوة البدر أو شمس الصباح
فت كمداً وإلا عش ذليلا ... فليس لحد هجرى فيك ماحى

(قال الراوى) وما ارتفع النهار حتى شاع أمره بين الفرسان وعلم كل أحد كان وصار الناس كلهم يضحكون ويتعابدون الحديث بينهم والرجال والنساء يتعجبون من ذلك وعماره يسمع حديثه وأنهتاك ستره وهو يخفى أمره خوفا من انحطاط قدره وفى ذلك اليوم

وصل إلى الملك قيس عبد من عبيد أخته المتجردة وأخبره أن الملك النعمان قد أرسل اليكم أخاه الاسود من أرض العراق ومعه عساكره تسد الآفاق وفيهم بنو عامر وملاعب الأسنة وبنو دارم واللقيط بن زارة وهم قادمون عليكم فاحذروا من بني فزارة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك رجال خالد بن أبي حارثة لما رصلت إلى الملك النعمان وأخبروه أن بنى عبس لم يسلموا الحارث وما سمعوا من رسوله مقال بل قال عنتر وحق من أرسى الجبال لو طلبه كسرى صاحب الأيوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان ما سلمت إلى أحد منهم شعرة من الحارث ولا ألتفت إلى ملكهم ولا بد لى من فعلة أخرى وأقلع آثار العجم ولو كانوا ضعفهم ألف مرة ولا بد أن أذبح العرب ذبح الغنم وأجعلهم بعد الوجود فى العدم قال الراوى فلما سمع النعمان هذا الجواب أزداد غيظا وأضطرب غاية الاضطراب والتفت إلى أخيه الاسود وقال له مادامت هذه القبيلة بافيه ما يتم لى نظام ولا أمر من الأمور ولا يكون لى عند أحد قدر ولا مقام ثم أنه أخبر أخاه الأسود بما تجدد وأطلعه على ما فى قلب بنى عبس من المخالفة وأن الحارث بن ظالم عند عنتر بن شداد وهو طالب الشر والعناد وأنه قد أجار قاتل ولدى شرحبيل وخالد بن جعفر فقال أخوه الأسود

يامولاى هؤلاء القوم قد طمعوا فى دولتك وقلت فى قلوبهم هيبتك والدليل على ذلك أنهم قد أجاروا قاتل ولدك والصواب أن تخلى قلبك من أعداك المغمورين فى نعماك وأن تجرد معهم وعساكرك من خدمتك حتى انهم يسعفونى على إقامة جاهك وحرمتك وأطلب العرب من سائر الجهات والأقطار وأمحو ديارهم والآثار وأترك الطيور تحوم عليهم والوحوش يجر أجسامهم لأن العرب كلهم أعداهم وما فى البر قبيلة إلا وتمنى قتلهم * فلما سمع الملك النعمان ذلك من أخيه خف عنه الهم والغم الذى كان فيه وأخرج معه عشرين الف همام من بنى لخم وجذام وأرسل النجابين إلى حلل العرب يأمرها بطاعته ولما أن ذهب الأسود للمسير صعب ذلك على المتجردة بنت الملك زهير وخافت على بنى عبس من كثرة هذه العساكر وكان النعمان قد هجرها فلم يدخل عليها من وقت ان هربت الحارث بن ظالم ولاجل ذلك ما سألته فى قومها لأنها علمت أنه لا يقبل سؤالها لأنه ولما سمع ذلك عندها أنفذت إلى أخيها قيس عبدها تعلمه أن الأسود أخا النعمان سائرة اليه عشرين الف عنان سوى القبائل التى أنفذ اليها النجابة يأمرهم بطاعة أخيه وقد عين للقوم مكانا يكمنون فيه (قال الراوى) وكان الملك الاسود قد سار وهو قوى القلب بنى فزارة لأنه يعلم أنهم يشدون معه لأجل ما بينهم وبينه من النسب فسار معتمدا عليهم ولم يعلم بما جرى لهم مع بنى عبس من أجل سباق الخيل والدماء التى ثارت بينهم هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس فانه لما سمع من العبد هذا الخبر جمع فرسان قومه وأحضر الحارث بن ظالم وعنتر بن سداد وجميع مشايخ القبيلة مع الربيع بن زياد وأعلمهم بما جرى من الأحوال واستشارهم فى أمر القتال فقالوا كلهم يامالك كلنا نسير للقاء الأعداء ولو اشربنا كؤس الردا فقال الحارث بن ظالم أيها الملك أنا آتيكم بقومى بنى مرة وأريكم ما أفعل فى عساكر النعمان فى هذه المرة فقال عنتر يا حارث لا نحوجك لهذا المعنى ولا لهذه العناية لأن فينا الكل من الدنيا كفاية ولا تخشى إلا من بنى فزارة وغدر حذيفة بن بدر أن يأتى بعدنا إلى الديار ويهجم على الأوطان والصواب أننا نبادرهم اليوم قبل أن يبادرونا غدا ولا ترفع السيف عن بنى فزارة حتى نأخذرها ينهم ونحلف لنا حذيفة أنه لا يكون لنا ولا علينا فقال الملك قيس ما بعد هذا الرأى مقال قال الراوى فوثب عنتر من ساعته وركب على ظهر جواده الابجر وأخذ عدته وآلة حربه وجلاده وصاح الصائح فى بنى عبس وتبادرت الاقيال وما تضاحى النهار حتى صار الكل فى البر خارج البيوت والمضارب بالخيول والجنائب والرماح والقواضب وكانت عدتهم أربعة آلاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقد ماجت

الاقطار بالجوع وأشرقت الارض من لمعان الزرد والدروع (قال الراوى) وفى دون ساعة وصل الخبر إلى حذيفة بن بدر فصعب عليه وكبر لديه وصاح فى بنى فزارة وذبيان ومن كان قدا جتمع عنده من الفرسان وظهرت الحقود والاضغان وليس القوم الحديد وتحصنوا بالزرد العضيد وهالت عليهم الأرواح وطلبوا الحرب والكفاح وعلا بينهم الصياح وساروا وهم فى عشرة آلاف فارس مثل الأسود العوابس وكان حذيفة فى أوائلهم على حجرته الغبراء وفى كفه قناة لعساء وهو لأجل أخيه عوف فى قلق وفؤاده محترق وصار ينشد ويقول .

بنى بدر ان لم بذلوا فى المعامع ... نفوسكم للرهفات القواطع
رموكم بسهم الذل من كل جانب ... وسرتم حديثا سائرا فى المسامع
أبعد أخى عوف تقر جفاننا ... ويغشى الكرى أجفاننا فى المضاجع
اتقنع من بنى عبس بقتل مالك ... وقد فرحت أجفاننا بالمدامع
همو لجموا قلبى حبينا ... وقتلة عوف من عظيم الفجائع
عدمت الخيول السابقات ولا التوت ... على الرمح فى يوم العجاج أصابعى
إذا ما أخلى أرض عبس خلية ... ولسوانها تسبى بغير براقع

(قال الراوى) ولما أن وقعت العين على العين ارتفع الصياح من الجانبين ومن شدة ماجرى بينهم من الحنق والغيظ ومفلق مافيهم إلا من حمل وزعق وتنافرت الخيل وصلت وبرزت الرجال واتصلت وشرعت فى القتال وتصادمت وشربت الفرسان كؤس الموت تناهلت ودام الضرب وزاد الكرب واختلطت المواكب واختلفت القواضب وعزت المطالب وبل العرق اللحى والشوارب وانكر القرائب القرائب وسكر من كاس الهياج كل شاب وطنب سرادق بغبار على المشارق والمغارب وظهرت من عنتر بن شداد الاهوال والعجائب ونال ماكان له طالب وسطا سطوات جبار لاينظر فى العواقب ولا يخاف من وقوع المصائب ولا حلول النوائب وطير الرؤس من المناكب ووقعت الشجعان من على ظهور الجنائب وجرى الدم من أنا بيب النحور فعند ذلك ثبت الشجاع على ملاقاة المصائب والجبان من الخوف والفزع ولى هارب قال الراوى ومازال الامر كذلك حتى اشتعلت نيران الهياج فى جوانب أطراف العجاج رأسود النهار بعد الضياء والابهاج حتى صار مثل الليل الداج وسالت الدماء من الاوداج وانشقت الأرض أحسن مرشق الديباج وزاد الكياد والجاج وبطل العتب والاحتجاج وامتلا البر بالويل والاتزعاج فيالله من

هزيمة بني فزاره

يوم عبس لعبت فيه حوافر الخيل بالرؤس وقد خيل للقوم انهم فى بحر منحوس وقد كرهت فئة الابطال الدرع والملبوس من شدة نار الحرب والكرب والبؤس وما زاله القتال دائم حتى أقبل الليل قادم واسودت الرسوم والمعالم وكلت الرجال والبهائم من وقع القنا والصوارم وانفصلت القبائل وقد تخضبت البقاع بالدم السائل ثم نزلوا فى الخيام للمضاجع وكل منهم يعض على أنامله والاصابع وقد أملات الأرض بالقتلى وكان أكثر القتلى من بنى فزارة وقد حلت بهم فى ذلك اليوم الخساره لان عنتر وعروة فتكا فيهم ولولا كثرة العدد ما كان ثبت منهم أحد (قال الراوى) ولم يكن الحارث بن ظالم فى هذه الواقعة حاضر ولا نظرت عيناه إلى تلك الكتائب والعشائر بل أنه قد تخلف فى أبيات بنى عبس آمنا من التعس والنكس لانه كان أتى معهم إلى قتال بنى فزارة لانه كان فيهم كالبطانة على الظهارة لاجل قربه من أنسابهم وحسبه من أحسابهم وكان يدخر نفسه لعساكر الملك النعمان حتى أنه يظهر قوته فيهم لذلك الشأن ألا أن بنى عبس لما نزلوا فى الخيام افتقدوا الفرسان الكرام وحسبوا الذين قتلوا منهم فكانوا اكثر من ثلاثين فارس أبطال ليوث عابس فقال عنتر لعروة بن الورد يا أبا الأبيض قتل بنو فزارة منا ثلاثين أجاويد فى يوم واحد وانزلت بهم الشدائد ونحن بين أيديهم نقاتل وتجالدفوحق الكعبة الغراء وأبى قيس وحراء لا تركت منهم فارس واحد ولابد ان أكسر هذه الجأوش ولو كانوا بعدد الرمال فقال له عروة يا أبا الفوارس وقيت شر كل عدو وداحس أعلم بالبن العم انه إن كان بنو فزارة قد قتلوا

هنا ثلاثين فارسا غضنفر فانا قد ملأنا من قتلاهم البر الاقفر وأقل ماقتل من فرسانهم ألف أو أكثر من كل مذكور مشهور والكل قد أمسوا رزقا للوحوش وفى غداة غد نكسر الباقين ولو كانوا بجبال الشمس متعلقين أو تحت الارض مختبئين ثم أنهم باتوا على مثل ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك تبادرت الفرسان الى الخيل الجرد القداح فركبوا للحرب والكفاح وفى ساعة لمعت أسنة الرماح وبرقت مضارب البيض الصفاح وقد ترتبوا ميمنة وميسرة وأماما وخلفا وعول عنتر أن يبرز بين الصفين فتقدم شيخ من مشايخ بنى عبس يقال له ارطاة بن مخزوم وقال له يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة ماتردنى خائب عما أنا طالب وتتركنى أفتح باب الحرب فى هؤلاء القوم ولا أترك على عتبا ولا لوم فقال له عنتر وقد استحيا منه لاسيما وقد أقسم عليه بحياة عينين عبلة بنت عمه وهى أعز من روحه التى بين جنبيه دونك وما تريد ياشيخ اوطأة وان عجزت عن عدوك فارمى اليك حتى أننى أعينك على لقاه لأنك قد أقسمت على بقسم عظيم وشىء جسيم (قال الراوى) فعندها قفز ارطأة الى بين الصفين الصفين ونادى يا بنى فزارة دونكم والبراز يارعاة الغنم وأخبث الخدم فما استتم كلامه حتى قفز اليه مالك بن بدر أخو حذيفة وسار معه فى الميدان ونادى عليه وقال له ويلك يا ارطأة لقد كثر جهلك ياويلك منى كنا لكم عبيد وكل العرب تعلم أننا مافينا الا من تراه سيد شديد وبطلا صنديد ثم أنه بعد ذلك حمل على ارطأة وصار ينشد يقول .

بنى عبس تعديتم علينا ... متى كنا رعاة أو عبيدا
أفق يا ابن اللئام فان هوا ... مقال الزور لايرضى شهودا
ولو أنصفت كان العار فيكم ... ويغشى جمعكم أبدا جديدا
لكم عبد زنيم غير حر ... له سادا تكم أضحوا عبيدا
وأنت الآن تعلم صدق قولى ... وتكتم منكموا عارا مديدا
فلو أمعنت ماقد قلت حقا ... لكانت عبس لفزارة عبيدا
ولكن أنتموا قوم ثقال ... ولم يك عبدكم بطلا شديدا

(قال الراوى) فلما فرغ ما من شعره مما أبداه من نظمه انطبق على ارطأة وطبق كل واحد منهما على صاحبه وجالا مقدار ما خيما عليهما الغبار ووقع التعب فى زنود الشيخ ارطأة وضعف حيله وقواه فعاد منهزما الى بنى عبس وصاحت خلفه بنو فزارة صيحة الفرح وأبصره عنتر وقد عاد منهزما فزاد به الغيظ والحنق ومن عظم ما جرى عليه قفز إلى الشيخ

أرطاة بن مخزوم وصاح فيه وقال له ويلك ياشيخ السوء أرغم الله أنفك وعجل حتفك لما كنت تعلم من نفسك أنك ضعيف الجنان لم أقسمت بحياة عبلة وخرجت إلى القتال هل رأيت يامدلول السبال عبسيا منهزما من خصمه والله لقد حرمه القبيلة لولا ما بيني وبينك من النسب لطيرت رأسك بهذا الحسام المشطب ثم عاد إلى الميدان وقد بقيت اعيناه مثل شقيقة الارجوان من شدة ماجرى عليه وكان عليه درع من دروع العجم معلم بالذهب عليه بيضة تلمع مثل الكوكب فدنا من صفوف بني فزارة ونادى ياملك يا ابن بدر وهو الذى قد خرج إلى الشيخ أرضاه يامالك الفخر كل الفخر لان لاقى خصمه ولم يأسره ولم يقبل له أجرني فاخرج أنت وسائر أخوتك حتى آخذ لصاحبي بالثار وأريدك بالاسمر الخطار يانسل الأشرار وكيف يكون ضرب الصارم البتار الفصال في ساحة الحرب إذا دام القتال ثم أن عنتر يناديهم في الميدان وينشد

يابني بدر بادروا للجـــلاد ... واشهروا بيننا السيوف الحداد
قد بغيتم والبغي يقلع منكم ... كل أشر ويبيم الاولادا
واتبعتم حـــذيفـــة وظننتم ... أنه يعرف الهدى الرشادا
خالف القول ما يقول أخوة ... ثم ظنوا الصلح حقا فسادا
خنتو مالكا وكان كريمـــا ... ولطمتم داحسا وكان جـــوادا
أنظروا كيف أهلك البغي فرعون ... ومن بعده وكيف أهلك عادا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره بهذا الخطاب لم يرد أحد من القبيلة عليه جواب. فحمل عين ميمنه بني فزاله وعاد وقد قتل سبع فوارس وطعب الميسرة فاهلك سبعة من الأبطال ثم طلب للبراز فاجابه أحد من الفرسان فصال وجال في الميدان ونادى ما بالكم يابني بدر انتم وقوف على صهوات الخيل لاتقاتلون ولاتهزمون أظننتم انكم بعد بغيكم على بني عبس تسلمون دونكم ومقام الافتخار أن كنتم قد أنيتم تطلبون الثار فانا الذى قتلت أخاكم عوف وملأت قلوبكم حزنا وخوف ولا بد ان الحكم به عن قريب وأترك أرضكم ودياركم مسكنا للغراب ومسرحا للذئاب فلما سمع حذيفة وأخوته كلام عنتر زاد حنقهم عليه وما فيهم الا من تأهب وعول أن يخرج اليه فسبقهم رجل يقال له الاخطل بن سحاب وكان من فرسان بني فزارة الانجاب وهو معدود للحرب والقتال لايخطر الموت له على بال طول عمره يكبس الحلل وينهب الأموال ويهجم على الغابات والدحال ويقبض السباع من الغابات والاشبال وإذا اومأ اليه وقف من غير تعب ولا ملال وفي يده رمح اسمر به سنا

يليح مثل الهلال إلا أنه لما قاربه عنتر صاح فيه وقال يا عبد الزنا نحن جئنا نتفرج على القتال وأما قعودنا ما كان إلا لسبب من الأسباب لأنه ما خطر قتالك لأحد منا على بال وحق الكعبة الحرام نحن آلينا على أرواحنا لا نقاتل إلا الموالي فلا نقاتل للعبيد ونرجع نجالس السادات ولكن انت ما عليك عتب ولا ملام إلا على بني عبس اللئام والآن قد فات الحال وما بقى يسمع فى هذا الوقت مقال فدونك وضرب الحسام (قال الراوى) وكان عنتر ذلك اليوم يسمع كلام خصمه ويتبسم وقد علم أن فى قلوب أعدائه من علو منزلته النار ذات الضرم ثم قال الرجل الفزارى وقد تقدم من عنتر ويلك يا عبد الزنا وتربية الخنا ادن إلى القتال ان كان فيك نخوة الرجال فقال عنتر ويلك لمن تعاير بالسواد الظاهر الذى خلقه عالم السرائر فوحق الذى خلق الخلق الأوائل والأواخر ياقرنان أن كل من فى بيتك تشتهى أن تكون منى حامل لأن الحق له علائم ودلائل ثم حمل عليه بعد هذا الخطاب وما زال الوافى كر وفر حتى علا عليهما الغبار وصار بينهما ما تعجب منه الأنظار فتطاولت اليهما الأعناق والرقاب ثم أراد عنتر الانجاز وأن يوقع هيبته فى قلوب الرجال عند البراز فتأنى فى روكابه وأدار كعب الرمح وكان قد وقع كلام خصمه فى قلبه وحمل عليه وزعق فيه وطعنه فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره والقاه على الثرى فلما وقع على الأرض صاحت بنى عبس لا شلت يداك ثم ان بنى فزارة لما أوا ذلك أرتعدت قلوبهم من هول تلك الضربة وجال عنتر وصال وطلب البراز والنزال فخرج اليه أخو المقتول وكان فارسا شجاعا وقرنا مناعا ولكن أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد الشرى (قال الراوى) وكان ذلك الفارس عريضا الاكتاف عديم الانصاف ثم أنه قارب أخاه تذكر الدمام فاجرى دموعه مثل السحاب وحمل على عنتر وصاح وقال لأى شىء آخر الله فى عمرك يا ابن الف قرنان وقد ذلت لك الأبطال فى كل ناحية ومكان فوحق مكون الأكوان ما أسفى على قتلك لاخى فى الميدان فان هذا مقام الرجال الكرام وإنما أسفى من قول العربان قتله عبد لا قدر له ولا قيمة ولا ذمام ثم صاح وحمل وطلب عنتر وأراد منه الثأر والقتال فاستقبله عنتر وسل سيفه الظامى وضايقه وضربه على عاتقه فاطلع السيف يلمع عن علائقه (قال الراوى) فلما قتله عنتر ووقع قتيلا على الأرض فرارة طولا وعرض ولام بعضهم بعض وصاح حذيفة من شدة الخنق ورمى البيضة من على رأسه وزعق وحمل يطلب عنتر بن شداد فارس بنى عبس وقراد وتعصبه أصحابه وعلم أنه قد عظم مصابه وصاح أيضا سنان بن أبى حارثة فحملت سائر

القبائل وصهلت الخيول والصواهل ومالت مثل موجات البحار الزواخر وحملت الأبطال من كل جانب وصاحت من شدة الأحقاد على عنتر بن شداد وهو يرد الفرسان والكتائب ويكر كبها عن الخيول والجنائب (قال الراوى) فلما ابصرت طائفة بنى عبس ذلك حملت واقبلت مثل سهام المنايا إذا أرسلت والتفت الأسنة بأنفسها وطلعت الزوابع وارخت سطورها على الأقطار حتى حجبت السموات عن النظار وشابت الشباب وماجت والعقول زالت والجبال مادت والدماء سالت والسيوف جارت والأرض مالت والالباب طاشت والنهار غنم والشجاع همهم والبطل تقدم والفؤاد تألم والقلب انخدع والذم سمع (قال الراوى) وكانت وقعة ذلك اليوم وقعة مانقاس بوقعة وساعة لاتشبه ساعة من كثرة ماضربت فيها الرقاب من الشيوخ والشباب وقد دام الامر على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار وأقبل الظلام فتفرقوا من ضرب الحسام ونزل حذيفة بن بدر هو حائر كيف يعمل ومن شدة ماجرى عليه صار بعض أنامله ويتململ (قال الراوى) ثم انه طلب سنان بن أبى حارثه واستشاره فيما عزم عليه فقال له سبان ياولدى من هذا فزعت عليك وقلت لك لاتسر إلى بنى عبس وعدنان حتى تتنوى بالفرسان أو تصل عساكر النعمان لانى أعلم أنهم لايغلبون إلا بالمكابره والقوه مادام هذا العبد فيهم لانه شيطان وما لأحد عليه سلطان وانه وحق من بسط المهاد وأنبع الماء من الجماد كسر اليوم وحده هذه الامم وان لم يكن له مقام ردة عن شره وإلا أهلكنا والصواب ان نرحل ونخلى هذه المضارب وإذا وصلنا إلا أرضنا حصنا الحريم وندور حول النساء والمال إلى أن تصل عساكر النعمان وسوف يصل اليكم بنى لخم وجذام فما بقى لها أكثر من هذه الايام فقال حذيفه أرحل إلى إسم الهزيمة واترك العرب تقول على هرب حذيفه وبنو فزارة من عبد لاقدر له ولاقيمه وتركت أموالها غنيمة وحق ذمه العرب لافعلت هذه أبدا فقال سنان والله ياحذيفة ان لم تفعل هذه الفعال قتل من معك من الرجال والابطال على اننى أعلم أنهم يهربوا غدا بغير اختبارك ويتركوك تعانى أمورك بنفسك لان اليوم تفرقت الخلق والاصدقاء ولو طال النهار قليلا ما بقى معك أحد من الفرسان ولا من الاقرباء لان طعم الموت مر لا يرضاه عبد ولا حر ثم جعل سنان يقول لحذيفة أقم إلى الصباح فاذا اصطفت واشتهرت السيوف أخرج أنت وسائر اخوتك الى الميدان وناديا بنى عبس أعلموا ان القبيله لها حق لاتضيعه وخير الناس من رأى الحق واتبعه واحتشم لنفسه وتحشم الناس معه وماحرت هذه الامور بيننا إلا من أجل السباق

وهذه الساعة نحن والملك قيس ما بيننا افتراق لاننا جلبنا هذه الفتنة وأوقعنا أنفسنا فى المحنة وقد هلك منا ومنكم وقوم كانوا عندنا فى أعز مكان وما نريد أن النساء يدعون علينا سرا وإعلان بل نصطلى النار التى أوقدناها باروا حنا وتحشى قلوبنا بصفاحنا وأسنة رماحنا وقد خرجت أنا وسائر اخوتك نطلب براز الملك قيس وأخوته فهادنا أن نكشف عن الفرسان هذه القربة وأننا إذا انتهينا بشفار السيوف انطفأت النار وزالت فقال حذيفة وأى فائدة لنا ياسنان ومن يفرق بيننا إذا التحمنا فقال سنان ياحذيفة لنا فى هذه أكثر الفوائد ونخلص من الشدائد ولا يفقد منك شخص واحد لأنى أتقنت التدبير وأطفأت الحرب بالتقصير وذلك أنكم إذا خلصتم فى مقام الحرب وعولتم على الطعن والضرب أخرج أنا وخذ مشايخ القبيلة ولا أزال كذلك حتى أثبت الحيلة وأنا اظهر النصيحة والإشفاق وأصلح بينكم وبينهم حتى يقع الاتفاق وتعود إلى بالعز والاحسان وإلا إذا انهزمت أرضنا يقع بك الخسران وتصير لنا معيرة على طول الزمان فقال حذيفة كيف الرأى ياسنان فى الفرسان الذين قتلوا ولم ناخذ بثارهم فقال سنان ياأمير أنا ما أرحل من هذه الديار حتى اقلع من أهل الطغيان ونكون بلغنا بالاحتيال ما لا نبلغه بالحرب والقتال فرأى بنى عبس الآثار حذيفة هذا الرأى من الصواب وخاف من الهلاك فقال أفعل ما يبدا لك ثم أن سنان بات إلى الصباح مع مشايخ بنى فزارة يماذر من الكيد فى العبارة وكانت طائفة بنو عبس قد نزلت آخر النهار وهى فرحة يأخذ الثار وكلها تثنى على عنتر بن شداد وقد أيقنت بالنصر والظفر وبلوغ الآمال وقد نهبت بالسنان والسيوف بنى فزارة وصارت عليهم أشأم خسارة وركبت الطوائف تطلب القتال والحرب والنزال واصطفت الصفوف ميمنة وميسرة فقفز حذيفة على حجرته الغبراء وتبعه سائر أخوته وهم غائصون فى الزرد كثيرون العدد ولما صاروا بين الصفوف وعرفهم أبطال الفريقين نادى حذيفة بما علمه سنان من المحال والبهتان وصاح يا بنى عبس أنتم أصحاب النهى والامر ونحن أولاد بدر بن عمرو أهل العلا والفخر ولكن وقدعنا الزمان وغفل وقام وأسعدتكم الليالى والأيام وليس للانسان أن يغتر بدهر لأن العاقل لا يفرح بالزمان أن قبل ولا يعتب عليه أن ولى ورحل وقد قتلتم لنا سادات تشهدون لهم بالفضل والمكرمات والامر فيهم قد مضى وفات وما نريد أن نترك أصحابنا هدفات للافات بل نريد أن نحفظ من بقى ونرد عنهم النكبات فاخرجوا لنا أولاد زهير لأنهم غرماؤنا ونحن نطلب فناءهم وهم يطلبون فناءنا نذعرنا نتلاطم نحن وإياهم ونبيع النفوس ونتناول من الاسنة مر الكؤس

وقد بردش نيران الحروب ونامت عن الغلب والمغلوب وهدأت زفرات القلوب وكل من ظفر بخصماه نال قصده ومناه ونفذ إلى الديار واطاعته الأخيار والاشرار ولم يبق له مقاوم وأن لم تفعلوا وحميتم أنفسكم من المهالك فنحن نطلق رؤس خيلنا ونعود إلى ديارنا نحمى من الخلق حريمنا وعيالنا وأولادنا وإن وصلت عساكر الملك النعمان فى هذه الأيام قلنا منكم الأيام وتركنا دياركم العامرة منكم خوال فالصواب أن تجعلوا هذا اليوم يوم الأنفصال ولا تجعلوا علينا اللوم والمقال ثم أن حذيفة جال وصال هو واخوته وسمع قيس هذا الكلام خاف على نفسه أن يتوجه عليه الملام ويقول أبه فزع من الحمام وخاف حين عين للقتال فترك وخاف وقعد فى مكانه وأخاه نهشل وكثير وجدل وأمرهم أن يخرجوا إلى الحرب فخرجوا وبادوا إلى الطعن والضرب ولم يلبثوا الا فى قلوبهم من الحمية وكانوا خمسة فى عددهم وقيس على جواده داحس وعليه الدرس وفى يده قناة مستوية هو متقلد بصحيفة هندية وأبصر عنتر هذه الأحكام فاشتد عليه الغيظ وقفز بجواده حتى قارب أولاد الملك زهير قال لقيس يا مولاى ماهذا الفعال وذمة العرب ما أدعكم تخرجون لهؤلاء الانذال ولا أسمع فى ذلك مقال العذال بل أنوب عنكم وآتيكم بالكل أسارى أن ثبتوا ووقفوا والا خرجت جنوبهم بالطعن أن أنهزموا وانحرفوا فقال قيس يا أبا الفوارس ما فى قولك خلاف ولكن أنا ما أحد عن الأنصاف وأخلى العرب يتحدثون فى عرضى بالمذمة ويقولون أولاد الملك زهير قد اكتفوا بعنتر فى كل نائبة وملمة وأريد منك أن تقبل سؤالى فى هذه الكرة وأتولى أنا قتالى بنى بدر فى هذه المرة لأنى أعلم انك أن خرجت اليهم لا يقتلوك بل يعيبوا نسبك ويشتموك ويحتجبوا عليك بالعبودية ويبعدوا عنك الحرية قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام تأخر وأضمر فى نفسه أنه إذا أنصر احد من مواليه تقهقر حمل وأفنى بنى بدر وركب مركب الخطر هذا وقد صار قيس واخوته مع حذيفة فى الميدان ومحل الضرب والطعان وصاحت الفرسان ومالت المواكب من كل جانب ومكان وتدايق الصفان وكان يوم عظيم الشان إلا أن الضرب والطعن ما اتصل بينهم حتى خرجت مشايخ بنى فزارة مشكوفين الرؤس حفاة الأقدام وبين أيديهم شيخهم الكبير المبتل لخدمة الأصنام والكل ينادون واذل بنى فزارة وذبيان واحرباه على بنى عبس وعدنان يا قوم لا تقطعوا الانساب باللجاج والكياد ولا تركبوا طريق البغى والفساد ولا تشمتوا بنا الاعادى والحساد ولا تتعجلوا على قطع أعماركم بالسيوف الحداد فكافكم ينادى الحمام قد نادا كم وبسهم الشتات قدر ماكم ويبقى ذكركم جاريا على السنة البشر بالمذمات

فبادروا أموركم قبل الفوات واغمدوا السيوف المرهفات وأنظروا كم مات قبلكم من السادات وكم خربت البيوت العامرات وكم يحدث من التعب لبنى آدم ويتعرض لكم قوم من تقدم ونحن ما نخليكم تصلوا إلى بعضكم البعض حتى تهرقوا دماءنا على وجه الأرض ثم أمسك كل واحد منهم بعنان فارس من الفرسان وردوه عن الميدان وغضبوه على ترك العدوان فاستحى الملك قيس وقال ياقوم قصدكم لا أضيعه وقولكم استمعه لكن على شرط أن يحلف لى حذيفة بالرب الكريم رب زمزم والحطيم أنه لا يغدر بنا ولا يعاون أحدا يبغى حربنا وبعد ذلك يعطينا رهائن من فزارة الأجواد ونحن نقيم على العهد والوداد والا فلا نرجع عنهم حتى نفرقهم ونضعفهم لأننا قوم قليلون النصير ولنا أعداء كثيرون وما بقينا نخلى فى جوارنا من يعين الأعداء علينا (قال الراوى) فلما سمعت المشايخ هذا الكلام الصايب علموا أن قيسا خبيرا بالعواقب وأرامتنعوا من ذلك أفنتهم الرماح القواضب فاجابوا إلى ذلك الكلام خوفا من الحسام ورفع سنان إلى حذيفة وقال له يا أمير من الحكمة أن تجيب قيسا إلى ما يريد لأن القتال فى مواضع الغلبة والعجز والذل مواضع كثيرة عن ما قيل فى هذا الرأى حتى نجد للحرب مضربا ونرى للطعن وجها وسببا لأن النعمان لابد أن يقلع من بنى عبس الآثار ويجعلك أنت ملك هذه الديار وترى الأمر كما تحب ثم جمع بينه وبين قيس وحلف بعضهم لبعض وعادت القبائل من تلك الأرض وكان قيس أجاب إلى الصلح خوفا من عاقبة الغدر والحروب ورجع عنتر وما قدر أن يخالف قيس ورجع حذيفة إلى بنى فزارة وأقام حتى الصباح فجمع أولاد الفرسان عشر إلى عشرين عام فكانوا مائة وخمسين غلام وأنفذ الجميع إلى قيس وأخلى لهم مكانا جانب مضارب وأقام عليهم التوكيل وأطلق لهم المراتب وطاب قلبه من هذه الجنائب وفرحت العشيرة بتدبير الملك قيس وقالوا أما بنو بدر فقد أمنا يدبرون من المكر والغدر وما مضى على هذا الحديث أكثر من يومين وفى اليوم الثالث تواترت الأخبار بقرب الملك الأسود من ديارهم وأنه طالب قلع آثارهم وقد حلف أنه يبيع نساءهم وأولادهم فى بلاد اليمن ولا يترك منهم من يأكل الخبز ويشرب اللبن فقال قيس ساءت أفعاله وكذب مقاله وأذل الله سباله والله لا تركته بين هذه الأطناب يطحن الحنطة والشعير ويذوق العذاب ثم أحضر عنترة الحارث بن ظالم والفرسان الذين يعتمد عليهم من العظايم واستشارهم فى هذه الأمور والكبائر وخاف عليهم من العساكر وخشى خراب الديار وقلع الآثار

(قال الراوى) فقال الحارث يا ملك أنتم لاقيتم من أعدائكم من لاقاكم وقد بقيت أنا الآنى المطلوب وأريد أن أصطلى بروحى نيران الحروب فقال له لا والله يا حارث بل نصير كلنا يد واحدة ونضرب بالسيف حتى لا يبقى منا نسمة واحدة ثم قال لقيس ما هذا الانتظار سر بنا اليهم حتى نقلع أصولهم فقال قيس يا أبا الفوارس حتى نحترز على الأولاد ولا نترك أحدا يصل اليهم فانى أريد أن أنفذ إلى بنى غطفان فاذا سرنا إلى القتال تركنا لحفظ العيال خوفا من حذيفة بن بدر لكى لا يفعل فيهم ما يختار لاسيم وقد صالحنا فى هذه التوبة من تحت السيف وأعطى الرهائن ولم يقل لنا لا ولا كيف وأنا والله خائف من شره ولحاجه فقال عنتر والله ما كان الرأى عندى إلا قتله فنأمن بذلك غدره فقال قيس لا بد لنا من هذا مرة أخرى ثم أنفذ من يرمه إلى بنى غطفان يأمر فرسانهم بالمسير إلى معونته والمسارعة إلى خدمته لانهم كانوا بطنا من بنى عبس وعدنان كما كان حذيفة امير على بنى ذبيان وانفذا الحرث إلى أخيه فى بنى مرة يأمره أن يلاقيه على أرض الخلجان ويقول له إن بنى عبس شدت معى وعادوا الأجل الملك النعمان هذا وقد أخذت بنو عبس أهبة الحرب واعتدت الطعن والضرب فى تمام الخمسة أيام أن وصلت بنو غطفان وكانوا ثلاثة آلاف بطل وكان المقام عليهم الهطال ابن أخك عنتر فاخذ معه الفا وترك الالفين الآخر وكان سيدهم يقال له بهيج وأوصاه باليقظة والاحتراز وسار طالبا أرض الحجاز وهو فى خمسة آلاف فارس عبسية معتادة خوض الأهوال بكرة وعبسية لا تفزع من المنية ولا تخاف وهم بالدروع الدوارية والرماح الخطية والسيوف الهندية والخيول العربية ومقدمها عنتر وعروة والحارث بن ظالم الذى وصفنا مكره واحتياله وذكرنا قبل هذا الكلام أعماله وشرحنا كيف قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقيل ولده على باب الحيرة ولاقى عسكر النعمان وجده كاملا ونجا وعاد سالما بعد أن طلبته سائر القبائل وفى هذه التوبة كان سائرا مع بنى عبس ونفسه تحدثه بلقاء كل من مع الاسود من فرسان العراق وتشتيت شملهم فى الآفاق ولا يحوج بنى عبس أن تقاتل معه ولا تتعب بل يفنى وحده قبائل العرب التى سارت اليهم من كل بر وسبسب قال الراوى هذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر الملك الاسود فانه سار من عند أخيه النعمان فى عشرين الف عنان ولما وصلوا إلى وادى الاخدود نزل الاسود فيه بتلك القبايل حتى اجتمع عليه خمسة آلاف مقاتل

تم الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر

(الجزء الخامس عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) من فرسان القبائل التى أمرها الملك النعمان بطاعته والمسارعة إلى خدمته وأتاه اللقيط بن فزارة فى بنى تميم ودارم وملاعب الأسنة فى بنى عامر الأكارم ثم رحل وقد سار فى ثلاثين ألف فارس من فرسان القبائل والحلل تبطل عز شجاعتهم الخيل فساروا يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى وصلوا إلى أرض الانبهار وجبال الديار وقلوبهم تغل على بنى عبس بالأحقاد ويتحسرون على هلاك عنتر بن شداد وقد عولوا على النزول فيه وإذا باول الجيش قد اضطرب وماج ووقع به الارتجاج وعاد الجيش بعدما كان متتابع وتفرق فى الطرق والمقاطع وتأخرت خيوله وانفرض عرضه وطوله وتصايحت فرسانه وتزاعقت شجعانه ونظر الأسود إلى هذه الأحفال فتقدم فى جماعة من الرجال وسأل الفرسان الأوائل عن هذا الامر الهايل فقالوا يا ملك قد ظهر علينا أسد طارت العقول من هول صورته والخيل نفرت لما شمت رائحته فقال لهم الملك الأسود ياويلكم هذه المصيبة أصابتكم من نظر الاسد ثم أنه تقدم وإذا بالاسد قد بسط بين يديه وألشب فى الارض مخلبة وضرب بذنبة جنبية وكلما يرى الرجال تصيح عليه يطير شرر النار من عينيه وهو سبع أسود عظيم الرأس كبير الجسد له قوائم مثل العمد وأنياب أحد من النوائب ومخالب قد صقلتها الدواهى والمصايب وعينان كانهما نقرتان فى حجر إذا نظر أحرق وإذا زعق أقلق فاندهش الملك الأسود من خلقته وراعة هول صورته وزعق فى الرجال فترجلت اليه وصاحت وسلت السيوف حوله وهجمت بالرماح عليه فوثب الاسد وثبة صارت مرجال يصدم بعضها البعض وصارت تتواقع على وجه الأرض والأسد قد كسر بلطمته رماحها وأسال دماءها وأهلك ثلاثة رجال ولما بعدت الرجال صار يخطر بين أيديهم ويجول مثل الفارس فى الحرب المهول فحار فى قصته وبذل المال لمن يقتل الاسد وقد زاد به الغيظ والجرد وأراد أن يترجل اليه ويخاطر بنفسه مما جرى عليه أد قد برز اليه غلام أمرد صغير كانه القمر المنير وهو يتمايل باعطاف كانها غصن الخلاف ثم انه صار بين يدى الأسد فى قميص حرير قصير وشمر عن ساعديه وأدار اذياله حقوبه وسل سيفا طويلا عريض له لمعا دن وبيض وهزه حتى دب

الموت من فرنده وجنباته وحام الحمام على حافاته وتحطى طالبا الأسد بقلب أقوى من الحجر الجلمد ولما صار زعق فيه فاضطرب وجمع نفسه للوثبه بعزماته وجلب وانحط على الغلام مثل الصاعقة إذا وقعت من السماء أو حجرة المنجنيق الذى لايرد بعد خروجه من الضيق فابصر الغلا هذا الفعل الوبيل فاستقبل الأسد ومد له بضربة باعة الطويل فوقعت الضربة على جبته وقد أتقنها بقوته فنزل الصيف بين عينية وطلع من بين فخذيه وتركه الغلام وعاد إلى جواده وعدته بعد أن مسح سيفه فى جلدته إلا أنه ما لبس عليه الزرد حتى دارت به عبد الملك الاسود رساقوه إلى ما بين يديه فشكره وأثنى عليه وسأله عن عربه ونسبه وأسمه ولقبه فقال له يا موى أنا جراح بن صائل وقومى بنى وائل وما أتيت إلا لخدمتك وما فعلت هذه الأفعال إلا لما سمعت أنك تحب الفرسان والأبطال فاردت أن أريك شجاعتى بين يديك ويوم الحرب ترى ما تقر به عينيك ففرح الأسود بكلامه وزاد فى اكرمة وأمر بالخلع فالقت عليه وقادوا الجنائب بين يديه فتبسم الغلام وخضع قدام الأسود وخدم ثم ود الجائب او الخلع فتوجع قلب الأسود وانصدع وصعب ذلك عليه فقال الغلام لا والله يا ملك الزمان ماقل عندى عطاك ولا أنا من يجحد نعماك إلا انى ما فعلت فعلا استحق عليه هذا الجراء من الخلع والمال وقتل السبع لم يخطر لى على بال ولا اشتهى أن فرسان العرب تقول عنى إذا عادت إلى الأحياء إنى قتلت كلما من كمب البيداء وأخذت عليه مالا وجزاء ولكن ما أنا أريد منك الخلع الجياد إلا إذا قطعت بين يديك

برأس عنتر بن شداد الذى أنت سائر فى طلبه وقد جمعت هذه العساكر بسببه تريد بها هلاكه وتعجيل عطبه فلما سمع الملك الأسود ذلك أخذه الفرح وانكشف عن قلبه الهم والكرب وقال له وذمة العرب إن أنت وفيت هذه الضمانة جعلتك مقدما على جميع العربان من بنى وائل وقحطان ثم أعطاه سيفه فقبله الغلام وشكره وتقدم من بعده اللقيط بن زرارة وقال أيها الملك هذا الغلام قد ضمن لى قتل عنتر بن شداد وقد أراحنا من ملافاته بين العباد وأنا أضمن لك قتل قيس ومصرعته ومعى سبعة من أخوتى كل واحد يضمن لى قتل واحد من أخوته ثم تقدم ملاعب الأسنة وضمن على نفسه قتل بنى زياد وفرسان بنى قراد وتقدم معه عشرون فارس من بنى عامر وضمنوا على أنفسهم هلاك عشرين فارسا من بنى عبس الاجاود فطاب قلب الملك الأسود وزال عنه الهم والنكد وقال لهم ياسادات العربان وحق مكون الأكوان وحيات أخى الملك النعمان إنى أضمن على روحى ضمان كريم غير خوان أن أعطى لكل من أتانى برأس فارس من فرسانهم خمسماية ناقة حمراء الوبر والألوان سود الحدق بأجسام سمان ثم سار يقطع البرارى والقيعان حتى وصل إلى أرض يقال لها الكلال فوجد خيولا وجنايب ورحالا قد ركبت واستقبلت الغبار فرقا ومواكب وملأت الأرض من المشارق والمغارب (قال الراوى) أما بنى عبس وعدنان فلهم يوم وليلة فى هذا المكان فى انتظار عساكر الملك النعمان لأنهم لما ساروا من أرضهم وأتوا إلى هذا المكان قال لهم قيس إنزلوا بنا هنا على الغدران واقيموا حتى تحضر عساكر الملك النعمان ووصل الملك الأسود وطلع غبار خيله من سايرالأقطار فركبت بنو عبس النجايب وبعدت عن المضارب فانكشف القتام وعرف بعضهم لبعض وانفرشوا فى أقطار الأرض وصاحوا أشد الصياح وأشهروا البيض الصفاح وهزوا قطع الرماح وطلبوا الحرب والكفاح ففرحت عساكر العراق وأطلقت أعنتها واتصل الطعن بين الأبطال بلا امطال وماركبت الجنود حتى أقبل الملك الأسود تحت الرايات والبنود فرأى الحرب قام فصاح فى نقباه وأمرهم أن يردوا الناس عن ضرب الحسام حتى ينزل وتضرب الخيام ويستقر بهم المقام ولا نعمل شيئاً حتى تنفذ إلى قيس رسول ونسمع منه مايقول ففعلت النقباء ذلك وقد صمت الأسماع من شدة الحرب والقراع وكثر فى عين الجبان العدد وهان فى عين الشجاع المدد وما استقر بالملك الأسود النزول حتى أنفذ إلى قيس رسول يقول له أنت تعلم أن أخى النعمان طاعته واجبة على كل إنسان خوصوصاً سايرالعرب والملوك وأصحاب الرتب وأحكامه نافذة على من ضرب فى البيداء طلب إلا أنت

الذى خرجت عن طاعته باجارتك عدوه فان أردت أن تنفى مصاهرته وودده معك ومحبته فسلم اليه الذى قتل ولده واعتذر اليه نادما وأرسل معى الحارث بن ظالم قبل أن تصبح فرسانك بمدة على التراب واعلم أن هذا الجيش الذى معى طليعة العساكر التى خلفى متتابعة فاقبل منى ولا تقطع من أخى قرابتك وسلام النار على من أجاب وتلافى أمره وعرف منزلته وقدره (قال الراوى) ولما وصل الرسول إلى قيس بهذه الرسالة والخبر كان أول من تلقاه عنتر لأنه كان فى مقدمة العساكر فأخذه وسار به الملك قيس وأوقفه قدامه وأعاد اليه كلامه فلما سمع الملك قيس رسالته قال له يا وجه العرب هذا الكلام لو كان عليه معول كنا سمعناه من الرسول الاول لما أتى من عند الملك النعمان وعاد من عندنا بالذل والهوان ونحق قوم إذا قلنا مقال أتبعناه بالفعال وإذا أعطينا إلى أحد زمام أمن من حوادث الايام ونحن قد أعطينا لهذا الرجل ذمامنا لأنه أخذ ثأرنا وكشف عنا عارنا وقتل خالد بن جعفر وبذل نفسه فى هوانا وما بقينا ننزل عن ذمامة حتى تطير رؤوسنا قدامه وأما قول الاسود أن العساكر وراءه متتابعة مثل العيون التابعة فهذا لا نفزع منه ولا بد من إهلاكه وإهلاك كل من معه فارجع اليه ولا تفزع منه ولا بد لك من رد الجواب وقل له يترك طعمه ولا يتعرض لسوء مصرعه فيندم ويعض على أصبعه وكان عنتر قد عول على ضرب رقبته بعد فراغ رسالته ولكن قيس نهاه عن ذلك فرجع الرسول كالمهبول وهو لا يصدق بالوصول وما أمن على نفسه حتى صار قدام الملك الاسود وأعاد عليه ما تجدد فزاد به الغيظ وقال هؤلاء قوم لا يعرفون قدر نفوسهم حتى يروا بأعينهم الهوان وتسمى بناتهم والنسوان وكان المساء قد أمسى والنهار قد أدبر فصبر حتى أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح فركب الملك من باب السرادق ورفعت على رأسه الاعلام والبيارق وسلت حوله السيوف البوارق وصاحت المغارب والمشارق من كثرة الجيوش والخلائق وعول الملك الاسود أن يصف العساكر ميامن ومياسر فلم تمهله فرسان بنى عبس لانها كانت ركبت عند طلوع الشمس وكان فى مقدمتها عنتر ابن شداد والحارث بن ظالم وباقى فرسان بنى عبس المقادم وقال عنتر للحارث وابن أخته الهطال وبنى غطفان خذوا أنتم مياسرهم وأنا آخذ ميامنهم ثم أنه صاح وحمل على ذلك الجيش والجحفل واتبعه مالك بن قراد وعروة بن الورد وأبوه شداد وتزاعقت أيضاً فرسان العراق حتى قلب صياحهم الآفاق وحملت من غير مصاف وتساوت العبيد والاشراف وحمل اللقيط بن زرارة وملاعب الاسنة فى بنى عامر وتلاطمت أمواج

العساكر واتصل الأول بالآخر وفتحت أبواب المقابر ونزل عليهم حكم القادر وزاد الغبار من ركض العساكر والحوافر وفى دون ساعة يأتى الرابح من الخاسر وكان قسم الشجاع وافر لأجل معرفته بطعن الأسنة وضرب البواتر ولله درعنتر وبنى عبس الأنوف وما فعلوا بتلك الألوف وما فرقوا من المواكب والصفوف وأما الحارث بن ظالم فكم أهلك بسيفه من سالم لأنه كان كامل القريحة وقد وصفنا ما فيه من المكر والشدة ورفعة القدر وكان العينه على النائبات حسامة ذو الحيات فقد به فى ذلك النهار الخصور وأجرى به الدماء من أنابيب النحور وكذلك فعلت فرسان بنى عبس وشجعان بنى غطفان فأبادوا القبائل المجتمعة من العربان ولولا كثرة العدد وزيادة المدد ما كان ثبت منهم أحد لأنه فرق كبير من الذئب والأسد وما تنصف النهار حتى عاد الفرح وجرى الدم وصرح وفاض الجرح ورشح وبان الأمر واتضح والجبان انفضح وتناهلوا من شرب المنايا قدحا بعد قدح وكان الشجاع بها سمح ودام السيف يعمل حتى عاد النهار كأنه قوس قزح كما قال الشاعر وفى هذا المعنى أوضح قوافيها وأصلح

ومعركة بفرسان السباق ... تجول الخيل فيها بانطلاق
ترى الأقران فى الهيجا صرعى ... وترعف بالدما بيض الرقاق
كذلك النيل والنشاب فيه ... يطير إلى الصدور بغير راقى
فكم كيف عد الرمضاء ملقى ... وكم قطعت من قدم وساق
وكم رمح له طعن ووخز ... كذا الأفران جالت بالسباق
والهندى بالهامات ضرب ... كمثل النار تضرم باحتراق
وكم من عاجز ولى وخلى ... لنا الفرسان من خوفى الفراق
وقد طارت طيور السعد عنهم ... وقد وقعوا جميعا فى المحاق
ونادى الموت لا ينجى فرار ... إذا الآجال دانا ها ساق
وقد صار الأنام بها حيارى ... وقد لفت بها ساق بساق
وساقى الموت أسقاهم كؤوسا ... مراراً ليس شاربها بباقى
فأضحوا من شرابهموا سكارى ... حيارى هالهم هول المحاق

(قال الراوى) وكسر عنتر ميمنة القوم قوة واقتداراً حتى حير بفعاله الأبصار وترك القتلى بعضهم على بعض وملا بحجاجهم جنبات تلك الأرض وعاد هو وأعمامه وقد أورى سنانه وحسامه وكذلك عروة وجاله فتك فى الأعداء هو وأبطاله وكذلك الحارث بن ظالم أباد

الفرسان والمقادم ولما فرق بين الطائفتين فى الظلام نزلوا كلهم فى المضارب والخيام والملك الأسود أخو النعمان لايلتفت إلى أحد من الإخوان لأنه رأى بعينه من بنى عبس من الهول مايحير العقول ولما نظر الملك الأسود الأمر العسير نزل فى السرادق الكبير وجمع فرسان القبائل ووبخهم على التقصير وقال والله هذا القتال لم نبلغ به غرض لأن بنى عبس فى دون السبعه آلاف ونحن فى ثلاثين الفا وقد ربحوا على أبطالنا وطمعوا فى رجالنا ولاسيما هذا الأسود الذى طغى وتمرد وكسر الميمنة عند آخر النهار وقيل صاحب العلم الكبير وحق النور والنار لولا الظلام أقبل ما كانوا لى فى حساب ولا أقول أن هذه الطائفة اليسيره تلقانى فى الطريق وتخلى خيامنا خاليه من الرجال والفرسان وأما بنو فزارة الذين أتيت متكلا عليهم وعلى معاونتهم فما ظهر لهم خبر ولا بان لهم منهم أحد ولاظهر ولاأدرى كيف حالهم مع بنى عبس وعنتر وأقول أنهم ضيعوا قرابتى كما ضيعت بنو عبس قرابة أخى الملك النعمان وأجاروا عدوه ويظهروا عداوتنا وإن ثبتوا بين أيدينا لانبلغ منهم أرب بل ربما خرقوا حرمتنا بين العرب إلا إن كنتم توفوا لى بالضمان الذى ضمنتم وتضعضعوا الاعداء كما ذكرتم فقال اللقيط بن زرارة أيها الملك طيب صدرك فإن الاعداء ليلة غد يبيتون فى أسرك لأن الذين ضمنوا لك أسر الفرسان ما أحد منهم قاتل فى الميدان وقد خبأوا أنفسهم إلى وقت البراز حتى أنهم ينجزوا أمرهم ثم انجاز والصواب أنك عند الصباح تنهى القبايل من القتال ودعنا نخرج إلى البراز والنزال وقد انفصل بيننا الحال يقال الاسود وعلى هذا أنا معول وأما الفرسان الذين ضمنوا الضمان فأنا رأيتهم كلهم وقوفا خارج الميدان إلا جراح فارس بنى وائل الذى قتل الأسد أمام كل فارس أمجد وهو الذى وعدنى بقتل عنتر الأسود لأنى رايته آخر النهار وهو يقاتل الحارث بن ظالم حتى دفع شره لولاه كان الحارث كسر الميسرة كما كسر عنتر الميمنة ومع ذلك مارأيته الليلة أتى ولاحضر ولاسمعت له بعد الحرب خبر فيا ليت شعرى ما الذى جرى عليه وما تم له مع الحارث وما وصل اليه فقال ملاعب الاسنة وحق الله يا مالك مافى هذه القبايل مثله ولامن يفعل فعله وأنا كنت خلفه لما قاتل وأبصرته قتل عسرة كان لهم يصادم حتى وصل إلى الحارث بن ظالم وعند المساء عاد وهو سالم ولكنه حلف أن لايأكل زاد ولايقف بين يديك إلا برأس عنتر فتعجب الملك من هذا الكلام وقال وحق النار وما فيها من الاضرام هكذا تكون نفس الشجاع الهمام ولا بد لى أن

أصف الابطال واتركه يخرج إلى القتال لعله يكفينا شر عنتر بن شداد كما ضمن لنا المراد فهذا ماجرى لهؤلاء وأما بنو عبس فانهم لما شاهدوا تلك الامور وأيقن الملك قيس بالفرح والسرور لانهم لما نزلوا افتقدوا قتلاهم وأما قتلى العراق فكانوا ثلاثة آلاف وخمسمائه من العوابس ففرحت بنو عبس غاية الفرح وجمع قيس عشيرته بين يديه وقال لهم يابنى عمى قد حدثنى قلبى أننا نكسر هذا الجبار ونورد مورد تلافه ولو كان فى أضعاقة ولكن بعد أن يهلك منا فرسان مايقع عليهم بيان لاننا طائفة قليلة وكل واحد منكم أحب إلى من قبيلة فقال له عنتر يامالك خل عنك ولاتسأل عنه لاننا اليوم لو لم يكن أول ملتقامم بنا ماجرى هذا المصاب من أصحابنا وفى غذا أعرف انهم يطلبون البراز ويتركوا الحملة لاجل ماقتلنا منهم فقال الحارث بن ظالم ياأبا الفوارس وحق الذى هو بكل شىء عالم ماادعك تفعل شيئا من هذه المعانى لانى يجب على كشف الكروب قال الراوى فقال عنتر هذا أمر لايتم إلا عند الصباح وكل من نودى باسمه اخرج إلى الكفاح ثم انهم أقاموا يحرضون أنفسهم حتى بدت الشمس بالشعاع فركبت العساكر تطلب الحرب والقراع وماانبسطت على الارض حتى نزلت الصفوف وكان أول من خرج يطلب البراز جراح ابن وايل فارس بنى الذى للاسود قتل عنتر ووعده بالنصر والظفر لان الملك أمر النقباء أن ترتب الرجال وأما العشرين فارسا الذين وعده بالقتال والمقال أن يتقدموا للحرب والمجال وقدم جراح عليهم فى القتال لاجل القسم الذى أخرج ذلك اليوم على جواد مثل الغمام يصطاد على ظهره النعام متقلدا بسيف مهند وهو الذى قتل به الاسد فى يدة رمح مسدد له سنان يتوقد وعليه سدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد لايعمل فيها الصوارم ولاتخدشها اللهارم ثم أنة جال بين الصفين ولعب برمحه بين العسكرين إلى أن قارب بنى عبس فاوقف الجواد ونادى يابنى عبس يافرسان المنايا لولا ذلك ما كان الملك النعمان الحاكم على العربان له القدرة على ملتقى الاقران وكيف يظهر فيكم مع هذه القلة البغى وقلة المروة فابرزوا فبرازكم هو غاية المجد الذى لايرام وابرزوا الى فارسكم عنتر بن شداد الذى بنى لكم حصنا رفيع العماد وافتخر على أهل زمانه وساد ومايعيبه فى نسبه إلا الحساد الذين لم يدركوا مكانه وأنا وحق خالق العباد الناس عندى كلهم سواد فى الآباء والاجداد لاأعرف الفعل الجميل إلا لمن يكافح بالسيوف الحداد فابرزوا عنترا إلى حتى

افرجكم عليه ويفرجكم على لأن ضمنت للملك اهلاكه بين الأشهاد ومثلى إذا وعد ولا يخلف الميعاد ثم أنه زاد به العجب والطرب فمال إلى طبيعة العرب وصال وجال وأنشد وقال :

نسب الشجاع مقاله وفعاله ... وثباته يوم الوغى وقتاله
والذل يزرى بالفتى يوم اللقا ... لو أن هاشم عمـــه أو خاله
والصبر فى يوم القتال فضيلة ... تبقى لمن رثت به أحواله
ما كل من سل الحسام بكفه ... وسعى إلى المجد الرفيع يناله
من لم يخض بحر العجاج ويصطلى ... ناد الهياج تقطعت أوصاله
فاشفوا غليلى بالبراز وقدموا ... منى شجاعا قد دنت آجاله
عبد له فى كل أرض وقعة ... مذكورة طول المدى تبقى له
واليوم أمحو اسمه بمهند ... قد فرقت شمل العدا أهواله

(قال الراوى) فما أتم جراح شعره ونظامه حتى قفز اليه عنتر وهو على جواده الابجر وكان الحارث سأله فى الخروج فما مكنه وقال هذا سؤال لا أسمعه منك لامرين الأول أن هذا الغلام قد ضمه للأسود أخذ رأسى والثانى أن كل من ينادوه باسمه يبرز إلى الميدان ثم خرج اليه وأجابه على شعره وأنشد يقول صلوا على الرسول

يا ضامنا قتلى وكان مقاله ... قول التكذوب وغره أفعاله
فابرز لتلقى غير ما قد قتلته ... وترى الذى فينا يصح مقاله
كم رام قتلى فارس يوم اللقا ... فتركته يبكى على ما ناله
من بعد ما قد جاء يأمل قتلنى ... ضاق الفضا وتقطعت أوصاله
ولكم وقائع خضتها وحجلى ... دهمكت لهامات الملوك فعاله
أنا لا أذوق الموت إلا بعد ما ... أفنى الزمان وتنقضى آجاله
ويصير فعلى شائعا عنى إلى ... يوم الميعاد ولا يكون مثاله
وأنا الذى خضت له أسد الشرى ... والجن تخشى حربه ونزاله
تلقى الشجاعة والفصاحة والعلى ... عندى وسعدى قد بدأ قباله
أن كنت عبداكم أذل مهندى ... من كل شهم قطعت أوصاله
إن كنت أنت ضمنت قتلى فاوفه ... فالحر يوفى بالذى قد قاله

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من نظمه حمل على خصمه فيروزو من بعده ملاعب الأسنة

واتبعه العشرون فارسا الذين ضمنوا قتل العشرين فارسا من بنى عبس لأنهم رأوا أن يغتنموا الفرصة وينتشروا فى الميدان وهم كل واحد منهم يطلب خصمه ويوفى بالضمان وإذا بالحارث أطلق العنان وقوم السنان وهز فى يمينه حسامه ذا الحيات فطارت منه بروق خاطفا مثل شعاع النيران اللامعات حتى صار عند فرسان بنى عامر ونادى بملاعب الأسنة ماهذه الفعال التى ما فعلت مثلها الأبطال فارس واحد خرج إلى خصمه كيف تطلبون له الإعانة وتحيدون عن طريق الأمانة فقال ملاعب الأسنة لعن الله بطنا وعاك وديوثا ربك ومن ظهره رماك الله ويا ابن ظالم أن الغدر كله من طباعك ولولا حاجتك إلى بنى عبس ما أظهرت شدتك وهم لا يسلمون من دواهيك وغدرك ومساويك إذا انصلح مع الملك النعمان أمرك فانك لم تزل تذكر بالقبائح لأنك قتلت سيدنا خالد بن جعفر وهو نائم وعددتها من بعض المكارم وتجرأت على ولد النعمان وهو طفل صغير لا يعقل حوادث الأيام ولا يهم الكلام وعم شؤمك على سائر الأنام وفى الاخرا تكلمت على عبد عبس يحميك واحتميت بسيفه من أعاديك ومالك أننا نغدر بعنتر فهذا شىء لا يعرف منا ولا للملك قيس عندنا ذكر يذكر ولا خرجنا إلا لأجل أن نفى بما ضمنا لهذا الملك الأسود ونطلب الثأر والفخار وبين منزلة الفارس الكرار ثم حدثه بحديثه وسمى له الرجال الذين ضمن رؤسهم فتبسم الحارث من كلامه وقال له والله يا غشيم هذا غاية الجهل أو نقص فى العقل وتقصير فى العمل وهذا كله ما أراك ذكرتنى أنت ولا أحد ضمن أخذ رأسى واخماد أنفاسى وقد عرفتم أننى عدوه الأكبر وفى حرم أخيه قتلت سيدكم خالد بن جعفر فكل هذا احتقارا بى وفزعا منى فقال ملاعب الأسنة لا والله ما هذا فزع منك ولكن صحيح ولكن اليوم أريك ما ينسبك فعل القبيح وحق اللات والعزى لأخضبن سيفى من دماكم وأبيد أقصاكم وأدناكم وأتوب عن فرسان بنى عبس الذين خرجتم لأخذ رؤسهم وأعدمكم نفوسكم وأبقى عليهم نفوسهم وكان قد اتبعه فى تلك الساعة من بنى عبس العامرية واشتدت أسنة الرماح السمهرية وأطلع عليهم الغبار من تحت حوافر الخيول العربية فغاب الجميع عن الأعين وتحدث فيهم الألسن وكان عنتر هو وخصمه فى كفاح وصدام وصيام ولزوم وانفصال أو اتصال وأدبار وأقبال وأعين الطائفتين إلى الغبار ناظرة والقلوب إلى معرفة الأخبار طائرة والجراح على رؤس الاثنين سائرة والمنايا عليهم غائرة وفرسان المواكب فى أمورها حايره وكان القيط قد ضمن للملك الأسود قتل قيس واخوته مع جملة الفرسان فابصر هؤلاء قد سبقوه وخرجوا إلى الميدان فاخروا أمرهم إلى اليوم الثانى

وتقدموا ينظرون ولمن يكون النصر والغلبة ويتفرجون على القتال والعجائب والأهوال حتى يتبين الغابن من المغبون ومن يتجرع كاس المنون ودام الأمر كذلك حتى تقضى أكثر النهار وضجرت النفس من طول الانتظار وبقى الملك الأسود على مقالى النار وإذا بصيحة عنتر من تحت الغبار والجلاد وخصمه إلى جانبه ينقاد وفيه طعنة قد أشرف منها على الحمام ودمه قد خضب جوده وذراعه والطعنة قد وهنت جده وأضلاعه لأن عنتر جال معه حتى اتعبه وطعنه فقلبه وسار قه حتى أتى به إلى أعمامه فسلمه اليهم ورجع يطلب المعمعة وقد خاف على الحارث أن يصاب وما غاب تحت الغبار إلا رمية وعاد معه فارس آخره فرماه إلى بني قرادو رجع يطلب الحرب والجلاد وإذا بشيبوب قد اتبعه ومعه مخلاء جلية فقال له عنتر إلى أين ياشيبوب وما الذى عولت أن تصنع ومن خليت عند الأسارى وقد خرجت تطلب من ليس فيهم مطمع فقال له يا ابن الأم أنا ما خرجت إلا شفقة عليك لأنك كلما أسرت أسيرا تتعب نفسك وجوادك فى الحملة وتقضى النهار فى المجى والرواح والخلق بين يديك كثير وأخاف أن يأتى المساء وهم باقون وأن أنا خرجت إلى معونتك معى هذه المخلات ملانة بالقيد المنقوع فاهجم أنت على أعدائك وكلما كسرت أسير القه وراك وأنا أشده إلى أن تأخذ غيره فتبسم عنتر من كلامه وهقم فنظر الحارث بن ظالم وقد سكر مما صادم وهو مع ملاعب الاسنة فى قتال شديد وحدب عنيد وكذلك ياهم الفرسان مع بنى عامر وقتل الحارث منهم المئين وقد جرحوه وهو يدافع عن نفسه ويمانع فلما رأى عنتر ذلك زعق فى وجوه الخيل ففرقها ومزقها وهجم على الذى بين يدى الحارث هجوم الاسد وقبض على خناقه وجذبه فعلقه على زنده ورماه من جواده وشيبوب فارغ من كتاف الاول حتى رمى عليه فارساً آخر فصاح شيبوب ويلك يا ابن الملعونة واحذ واحد تمهل حتى أشدهم كتاف حتى تقضى النهار وهال الغبار وانقضت الاوهام وكان الحارث قد أسر ملاعب الاسنة منه جهدا جهيدا وقتل خمسين فارسا من الرجال الصناديد وأسر عنتر جملة من الفرسان وكان تعسر عليه وعلى شيبوب ثلاثة فقتلوهم وقد أسقوهم الهوان حين وهذا وحين ورجعت الفرسان ورأى الملك الاسود ما أصابه فحمل بنفسه آخر النهار فمنعه بنو لخم من المجال ورده الأعلام وحملوا يطلبون الصدام وأتبعهم اللقيط بن زرارة فى نميم ودارم فزاد الامر وردت الرجال وانهزمت الاحلال فارتجت الارض من ركض الخيول ما عملوا وعلى الحقيقة انقلبت الارض وعلا القتال والغبار وإذ هم بغبار قد ظهر وبان

للنظار وبعد ساعة انكشف من قسورة أخي الحارث ومعه مائة فارس من بني مرة فحملوا حتى كشفوا عن فارسهم المضرة فكان وقعة نذكر مدة الأعوام لما كثر فيها من الخصام والضرب بالحسام والطعن بالرمح اللهذام حتى أن الألباب حارت الأوهام والعقول حارت والحياة ولت والزنود كلت والنفوس ملت والرجال هامت والحروب دامت والسماء غابت والجبان انهزم والفؤاد تألم والصارم والرمح تحطم والقرم قد تجزع والفؤاد قد فزع والرأس انقطع والدم قد همع والشجاع قد ضاق فتطاعنوا في الاحداق بأسنة الرماح الدفاق وكان لهم ساعة عجيبة تنفست فيها جنبات الأرض الفسيحة وأصبحت الرجال عليها فضيحة وما أمسى المساء إلا وقد خسرت طائفة النعمان بفقد أبطالها والفرسان وكان عنتر في ذلك اليوم قد تمكن من الشجعان لما عدت منها الأقران وما نزل الملك الأسود إلا والغيظ قد خنقه وتمطى في جلده فكاد أن يمزقه وأيس من الحياة وعلم أنه ما يبلغ من أعداه مقصوده ولا منه لأن عنتر اهلك فرسانه وجنوده هذا وقد أخذ مع أصحابه في المشورة حتى مضى من الليل أيسره وإذا هو بعبد أسود داخل عليه وسعى حتى صار بين يديه وقبل قدميه فتأمله الملك وإذا به عبد رشيق طويل الساقين دقيق وعليه أهبة السفر وركوب الطريق فقال له من أنت يا وجه حام فقال له يا مولاي أنا من عبيد بني زارة الكرام وسيدي حذيفه الفارس المقدام أنفذ اليك أبشرك بما فعل بأعداك وأسر قلبك ببلوغ مناك لأنه بعد مسير بني عبس من الاحياء أتى وكبسها وبذل السيف في العيال والنساء وقد ساق الكل إلى بين يديك وعند الصباح يقدم بهم عليك وأنه خائف أن يهرب بنو عبس عند وصوله ولا يبلغ كل ما كوله لأنه في عشرة آلاف فارس تعجز ملاقاتها الجن والابالس وهو يقول لك اقسم الليلة قبائل العرب وفرقها حول أعدائك في كل طريق ومذهب وكن أنت حول ميمنة خيامهم والمضارب حتى لا ينجوا منهم اليوم هارب وتصير لنا معهم وقعة أخرى وأكثر الفضيحة يا مولاي نجاة الحارث بن ظالم وعنتر بن شداد وسعيهم في أطراف البلاد والاقطار والوهاد ويكون لنا معهم كل يوم قتال رجلا فقال الملك الأسود وقد قام وقعد من شدة الفرح الذي وجد وقال وحق الكعبة الحرام لقد فرج عنا حذيفة وبنو فزارة هما عظيما ولو أبطأ علينا خبره مدة زائدة كنت محوت أثره لاني ما أتيت من العراق إلى هذه الأرض والافاق إلا متكلا عليه من دون الرفاق ولما غاب عنا خبره واستعجزته وما أنفذت اليه كنت الليلة إلا على نية الرحيل لكن بعد أن أرسل بني عبس رسولا وأطلب منهم الفرسان الذين أسروهم وارحل من هذه الأرض والقيعان لاني ما رأيت لي فيهم مطمع فلا أريد أن أسمع ما لا يسمع

والآن قد أتى الأمر كما أريد وعدنا إلى الربح الجديد بعد الحزن والتنكيد وما بقى إلا امتثال الأمر الذى ذكره حذيفة بن بدر ثم أنه أنفذ إلى القبائل وأمر النقباء أن تفرق الفرسان والحجافل وينفذوها إلى الناحية التى عليها العبد وأحضر اللقيط بن زرارة وأخوته فى الف من الأبطال وجعلهم فى المكان والجبال ومازال على هذا الحال حتى فرق العساكر والبشر وماترك فى الخيام إلا القليل من النفر وبعد ذلك رجع للعبد الذى أتاه بالخبر وقال له أرجع أنت إلى مولاك من غير اطالة واعلمه بهذه الحالة وقل له يسرع المسير وأخبره أننا فعلنا ما به يشير وامتثلنا مشورته والتدبير وعند ذلك سار العبد تحت استار الظلام وغاب فى البرارى والآكام وصار عن يمين عسكر الملك الأسود فى ذلك البر والفدفد وغاب عنهم ثم مال إلى مضارب بنى عبس وعدنان قال الراوى وكان هذا العبد شيبوب وكان السبب فى ذلك أنه لما عادت طائفة بنى عبس من الصدام وعولت على النزول الخيام منعها الملك قيس من ذلك وقال الصواب يا أبا الفوارس أن الخيل التى تحتنا ونركب غيرها ونقتحم قسطلها نهارها وليلها وننقسم ثلاثة أقسام ونكبس الأعداء تحت الظلام استمروا فى الخيام ونصبر على التعب والملال لعلنا أن نفرق هذه القبائل فى البرارى الخوال ونوصى كل فرقة تنادى باسم قبيلهم التى عند حلتها بطائفة تنادى بالذبيان والثانية بالعبس بالعدنان فيكون عروة ابن الورد ورجاله موكبا واحد ويقصدون خيمة الملك الأسود ويحدون بالصارم المهند ويجعلونه قصدهم فإذا أسر أو قتلى انكسرت العسكر ولا يلحق الأون الآخر فقال عنتر أيها الملك المظفر ما رأيت إلا الرأى المسدد ولكن رجالنا فيهم جماعة مجروحون والخلق الذين بين يديهم كثيرون ونخاف إذا غاصوا وسط العساكر ولكن هذا الرأى يكون بعد أن يمضى يومان حتى نضعفهم فى الميدان على أننى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أكثرهم إلا نهارا جهاراً وأصحابنا كلهم مسلمون من الأخطار فقال قيس يا أيها الفوارس أنا ما قلت هذا المقال إلا خوفا على الحريم والعيال من غدر بنى فزارة الأنذال وأخاف من حذيفة أن يغتنم الفرصة فيأتى بخلص الرهائن عن يقين ويفعل فعلا نصير عليه نادمين فقال شيبوب يا مولاى إذا كان الأمر كذلك وأنت خائف من هذه المهالك فانا قد خطر لى خاطر من جهة بنى فزارة أفرق بى هذه القبائل المجتمعة وأبددهم قبل أن تظهر الأنوار اللامعة وبعد ظهور الصباح أترك أخى يقود الأسود برقيته وهو مشخن بالجراح قال اشاوى فقال عنتر وكيف أظهر له الذى خطر ببالك فحدثه شيبوب بما دبره هو وقيس على بنى فزارة وسار حتى دخل على الأسود كما ذكرنا وفرق العساكر ورجع وأعلم بنى عبس وقال لأخيه أدرك

الأسود فى مكان كذا فى قليل من الرجال فانى قد جرى لى معه كذا وكذا من المقال ولولا أجله قد أدركه الحمام ما كان سمع لى كلام وأنه قد أدركه الطمع وإلا ما كان قد أنجدع فقال عنتر والله إن هذا الذى جرى يجب فيه انتهاز الفرصة ونسق أعداء ناغصة وأى غصة ونفرق أصحابنا حول الاماكن التى فيها الأسود ونأخذه برقبته أسير مقيدا ولا نخلى من أصحابه أحد ثم أنه أنفذ الحارث وأخاه قسوره إن بعض الجهات وأعطى عرورة بن الورد الفارس جلادى الجانب الآخر من الفلوات وسار مورأعمامه فى طائفة قونة من بنى عبس أسود الغابات قال الراوى ولما عولوا على المسير قال لاخيه شيبوب سر بين أيدينا حتى يتم هذا التدبير وتكون لنا معينا فقال شيبوب مسيرى بين أيديكم ليس برأى سديد ولا يتم حيلتى إلا إذا كنت انا من ورائكم كفيتم شر أعدائكم ومن رجوع الموكب عليكم والكتائب بنداقى فى وجوههم تحت ظلام الغيائب ياويلكم انجوا بانفسكم قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك قال وحياة الحبايب ماهذا إلا رأى صائب كفيت ياشيبوب النوائب ثم أن كلا منهم عول على هذا الأمر الصائب الفعل الذى ينالوا به غاية المطالب وما صار ثلث الليل الأول حتى جردوا الصفاح وهزوا قطع الرماح وتهيئوا للحرب والكفاح فهذا ما كان من هؤلاء وما اتفق لهم من المدد وأما ما كان الملك الأسود فانه وصل إلى المكان الذى عينه له شيبوب وبه نزل وأمر أصحابه أن يفعلوا مثل ما فعل وترجلوا كلهم قدام خيولهم فاخذ الملك النوم فنام قدام جواده وكذلك أصحابه صاروا يدفعون النوم مدافعه إلى نصف الليل وإذا بالضجة واقفة وأخذتهم الصياحات وعلت حولهم الضجات وعملت السيوف المرهفات فثاروا بلا عقل ولا لب وارتعدت أجسامهم من الطعن والضرب وما لوا على بعضهم تحت الغسق فوقع الضرب على ما اتفق ولمع صارم الموت وبرق وفاض الدمع واندفق وصاح عنتر وزعق وأخذ الرجال القلق وعاد سواد الليل أبلق وتطابقوا طبقا على طبق قال الراوى وكان الملك وقد ركب على ظهر جواده ودارت به كرب أهواله فصاح فلم يلتفت اليه أحد من أبطاله لا ركلا منهم مشغول بنفسه خائف أن يكون فى رمسه وزادت بهم الاتراح وقل النجاح وكثرت الجراح وتغيرت الوجوه الصباح وعادت قباح وانسدت فى وجوههم أبواب النجاح وقرب موت الفجأة وانكر الاخ أخاه من كثرة ما اعتراه هذا والملك الاسود يركض فى اليمين وفى الشمال وأينما مضى يرى العجائب والأهوال وقد حمل من الحزن المقال وحل به الذل والخبال وما زال الأمر كذلك حتى صار

وقت السحر وانشق الفجر وظهر وابصر الجيش قد انكسر وتقهقر فتأسف على الخلاص من كرب المعمعة وتمثلت قدامه صورة عنتر فطلب الهرب واطلق عنان جراده مثل السلهب فوقع به عروة بن الورد البطل الاغلب فى جماعة من فرسان العرب فرأى جواده يمركب ذهب يلمع فى الظلام الليل ويتلهب فظن أنه من بعض الخواص وقد خرج من الكرب يريد الراحة فى تلك الساعة ويعود إلى الطعن بالاسل والضرب بالسيوف فى القلل فتصايحوا به من كل جانب ودار وا حوله من سايرالجهات والقوانب قاربوه فلما رأى تلك المصائب عرفهم بنفسه فعرفوه وطلب منهم الامان فامنوه ومن على ظهر جواده رجلوه وكانوا به جماعة يحفظوه ورجعوا إلى قتال غيره فى تلك الصباح ونهبوا أصحابه بأسنة الرماح وسار الصفاح وما أضاء الفجر ولاح حتى لم يبق من القوم ديار ولا من ينفخ النار ولا من كان كمين الاعداء من جماعة الاسود وقد حل بهم النكد وما سلم منهم أحد إلا من خلص بالليل وطلب الفدفد قال الراوى وكان عنتر بن شداد بعد الحرب والجلاد تلاقى باللقيط بن زراره وقد حلت به الخسارة وقال من قومه جماعة من الأبطال أو حل بهم الذل والخبال وما انجلى النهار إلا والدنيا خاليه من العساكر إلا ملك النعمان وأبطالهم صارت متفرقة فى القيعان لان الكمين الثانى نادى فيه شيبوب بقتل الاسود فى مقابلة الجروب وكانت رجاله قد ركبت وطلبت الصياح ولكن فى قلوبهم الهيبة العظيمة من بنى عبس الوقاح فما صدقت أن تسمع الصياح حتى طلبت الهزيمة وكانت سلامة نفوسها هى الغنيمة وأما الكمين الثالث فإنه طلع عن عين بنى عبس يريد القتال ولم يعلموا ماجرى وكانوا كلهم أخذوا اهبة المجال ومعهم ابن أخت عنتر الهطال وكان من الفرسان المعروفة بالضرب والطعان وإنما كان خاله عنتر يمنعه من حوض العجاج مع الشجعان خوفا عليه لاجل صغر سنه لانه كان يحبه محبة شديدة لحسن ما كان لامه ولد غيره ذكرفاغتنم الهطال فى تلك الليلة غفلة خاله عنتر وفك الرجال بالصارم الذكر ومازالو على ذلك الاثر والسيف يعمل حتى طلع الصياح بأمر خالق الصور وأبصرت أبطال العراق مواكبها قد تفرقت وانمحقت وكانوا قد سمعوا باسم الاسود الملك الامجد فطلبوا الفرار عند اقبال النهار وعملت رماح بنى عبس فى ظهورهم حتى غابوا فى القفار وابعدوا عن تلك الديار ومازالوا على ذلك العمل والحرب يعمل حتى غابوا عن أنفسهم ورجعت بنى عبس من ورائهم وأخذت خيامهم ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم ومضاربهم وأموالهم وساق عنتر اللقيط بن زرارة والملك الاسود ومعهم أوفى من خمسين

أسيرهم فسقاهم إلى بين يدى الملك قيس بن زهير (قال الراوى فقال قيس لما رأى الأسارى دعوهم عندى فى الأوطان حتى ينفصل أمرنا مع الملك النعمان فقال الحارث لما سمع هذا المقال يا ملك نحن نتولى بأنفسنا الحرب والقتال ونفنى جميع أعدائنا الأنذال ثم أنه أرسل أخاه قسور إلى بنى مرة وقال له سر أنت ومن معك من الرجال والفرسان والأبطال حتى أرسل اليك بعض الرجال وتحمل عن قلب هذا الملك الأهوال ثم أن الناس نزلوا الطلب الراحة وجمع ما تبدل من الأعداء فى تلك الساحة حتى تضاحى النهار فعادوا يطلبون الديار وجدوا فى المسير تلك القفار حتى وصلوا إلى الأحياء (قال الراوى) فلما رأى الملك قيس ذلك حار وأخذه الانبهار وكذلك بنو عبس الاجواد وعنتر بن شداد ثم تقدم الأصحاب المهارى وهم بما أبصروا فوجدوهم وهم ملطخون بالدم قد حل بهم الويل والعمى فقال لهم قيس من دهاكم ومن بشره رماكم ومالى أرى الدم على نحوركم وفوق أكتافكم وصدوركم فقالوا يا ملك كل ما نحن فيه من الذل والخسار هو من حذيفة وبنى فزارة لأنه بعد مسيركم بخمسة أيام أتى الينا بخمسة آلاف فارس همام وعادوا من حول مضاربنا والخيام ووضعوا الحسام فى المشايخ والغلمان وبقى القتال يعمل بيننا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع انهزمت بنو غطفان الذين تركتهم لحفظ الاورد والنسوان وبعد ذلك تحكم حذيفة فى الجملة وخلص الرهان من أولاد

الفرسان ثم أنه بعد ذلك قلع الحلة بما فيها من الأموال والعيال وأخذ بعائة من الأطفال مافيهم من يعقل معنى مقال وقد ذبح الكل وجعلهم هدفا للنبال وصار يعدهم واحد بعد واحد (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس هذا المقال ضجوا بالبكاء والأعوال ونزل بهم الدل والخبال وصار كل من له ولد ينادى لبيك ياولدى لبيك يامقطع كبدى ليت السهم الذى أصابك أصابنى ولا أذاقنى الدهر فقدك وكان قد قتل للملك قيس ولد من جملة الأطفال كانه الهلال فجرى على قلبه مالم يجر على قلب بشر وانهمل دمعه وانحدر (قال الراوى) فلما رأى هذه العبرزاد تعجبه من بنى فزارة وتفكر ثم قبل على الملك قيس وقال أيها الملك ماهذا البكاء والأعوال الذى لا يصلح الرجال فوق من أرسى الجبال وأنا الهلال وازل الغيث تكرما منه والأفضال لأقتل عوض الأطفال إلا سادات بنى فزارة والأبطال سربنا حتى تنظر مايكون الحال فقال قيس وبقية الرجال لانسير حتى نمضى ياأبو الفوارس إلى ديار والأطلال فقال عنتر وما تصنع الرجال فى الأطلال وقد انتهب المال والعيال والله ما نسيتهم من هنا إلا لبنى فزارة ولو أنهم بعد الرمل والحجارة وأن كنتم لا توافقونى وتسيروا معى وإلا سرت وحدى وأترك إلى ولهم حديثا يذكر من بعدى لأنى فى قصدى أن أدع النساء اللاتى قد قتل أولاد من نذبح أبطال بنى فزارة بأيديهن حتى تشفى قلوبهن وأقتل أنا حذيفة مع أخوته عوضا عن الملك قيس ورفقته ثم نادى فى الأبطال يابنى عمى ما مضى لا يرجع والبكاء على الغائب لا ينفع الذى فى رأسه نخوة الرجال لا يخطر له الموت على بال لأن البكاء لا ينفع إلا النساء ربات الحجال وأن الكهول والأطفال تتساوون فى الارزاق والآجال قال الراوى فلما سمع بنو عبس هذا المقال أجابت اليه جميع الأبطال ثم سار وافى ساعة الحال طالبين بنى فزارة لانذال وسار الملك قيس وعنتر إلى جانبه ٥ هذا وقيس قد تذكر ولده ورواحه فأشار ينشد ويقول

تأهب عنه أهبة ذى امتناع ... لأن الدهر جل عن الصلاح
وقتلتموا الصغار فذاك عار ... عليكم منه ليس بذى براح
حذيفة لاسقيت من الغوادى ... ولا أروتك هاطلة البطاح
لأنك قد جلبت علىك حربا ... يقصى الشيخ بالماء القراح
وها أنا قد ركبت على جواد ... يفوق البرق سبقا مع رياح
محجل أدهم رحب المحيا ... كان جبينه ضوء الصباح
لعمرى لا أبال حين جاءت ... على الخيل بالغدر المباح
وخلفى سادات من آل عبس ... تهز أكفها سمر الرماح

بها ليل غطارفه كرام ببذل النفس فى يوم الكفاح
فسيروا واهلوا من آل بدر دهاهم بالمهند الصفاح

(قال الراوى) ثم ان الملك سلم الأسارى للحارث بن ظالم وأضاف اليه مائة فارس من بنى عبس الأشاوس ثم قال له يا حارث هؤلاء أعدائك الذين أتوا يطلبون فناك فسر بهم إلى الديار حتى نسير لأخذ الثأر لأنك مقاتل بنى فزارة على هذا السبب لأجل ما بينك وبينهم من النسب على أن حذيفة ذهبت مروءته لأنه حلف وغدر فى أيمان وعهد وخان وما بقى بك يعتدوا الأماكن عن نصرتك قعد وكان أصلح توبتك مع الملك الأسود ولكنه من تحيره ما رفع لك أس ولا عدك بناس بين ناس فلما سمع الحارث كلام الملك قيس قال أيها الملك العالى القدر القاتل لمن تشاء من أهل البغى والغدر إن بنى بدر سادات قومى على وجه البطاح فلا أجرد فى وجوههم سلاح وأترك العار يركبنى فى المساء والصباح فقال الملك قيس والله لقد سيدت ومجدت من ليس من أهل التمجيد وليس له غير رمى الرقبة وقطع الأمر من قريب وبعيد ثم أنه بعد ذلك سلمه الأسارى وساروا طالبين بنى فزارة قال الراوى وكان السبب فى غدر بنى فزارة قتل الأولاد ان سنان مشايخ فزارة قد أصلحوا بين الملك قيس وبين حذيفة وقد ارادوا فى ذلك اقامة الهيئة ويكون عليهم اسم الهزيمة والزموا حذيفة ان يعطى الرهائن فاعطاه وحلفه ان لا يعين علمه اعداه فلما انفصل الأمر على هذا الحال الذى تجدد توجهت بنو عبس إلى قتالو الملك الأسود وكان الغيظ فى قلب حذيفة فارسل المال والهدايا إلى فرسان العرب حتى يستخدمهم ويلحق بنى عبس ويقتل أبطالهم ويرجع بنهب اموالهم لكن ما امهلته زوجته بل صارت تندب الليل والنهار والعشاء ووقت الأسحار (قال الراوى) وبلغنى انها المارأت زوجها أعطى التهاون خرجت عليه وهو جالس بين الإمارة وسادات بنى فزارة وهى مكشوفة الرأس مسفرة اللثام وقد هتكت ستر الإحتشام قالت ويلك يا حذيفة أريدك تحملنى إلى أهلى وعشيرتى وترسلنى إلى قبيلتى فانا ما بقيت أريد بعلا حياتى الفرسان ولا رجلا ذليلا مهان ثم انها أشارت اليه تقول

لحاك الله من رجل جبان ولا أسقيك غاديه نداها
ولا جاد السحاب بأرض قوم تحل بها ولا احضر رباها
ولولا العار ما امست جفونى مقرحة النواظر من بكاها
لجعنى قيس عبس فى غلام إذا وزنت به عبس وفاها
واهلك بعده سادات بدر واروى السهمرية من دماها

بكائى لم يزل أبدا طويلا وحزنى وكتابى قد تناهى
فكم من حرة فى الحى مثلى تبيت حزينة تشكو جواها
فثوروا واطلبوا أرض الأعادى بلا خوف فقد جلت دماها
ولا تبقوا لهم فى الحى حيا ولا ينشيكمو عنها نداها
إذا أنهلت بنو عبس دماكم فسوقوا طعنها وأسبوا نساها
لأن دماكم أعلى محلا وأعظم قيمة لمن اشتراها
أنسيتم بنى بدر بن عمرو شجاعا كان أعلى الناس نجاها
فكونوا مثل أباء تولت وأجداد مضت وبقى ثناها

(قال الراوى) وكانت هذه الأبيات تسميها العرب للاحزان مثيرات وما زالت تهمل عبراتها وتشغل زفراتها حتى ثارت من الرجال سادتها وعصفت فى رؤسها نخواتها وركبت على ظهور صافناتها وتذكرت قتلاها وأمواتها وما طلع حذيفة فى الاطلال حتى تبعه خمسة آلاف من الأبطال من سفهاء بنى فزارة الجبال وقد ساروا معه طمعا فى نهب الاموال هذا والمشايخ ينهوهم عن البغى وينقض الايمان ويقولون لا يدخل فى آذانكم كلام النسوان وحصيصه شيخهم المتولى على أصنامهم ينهاهم عن ذلك ويعذلهم فعند ذلك التفت اليه سنان وقال له ما بقيت تنفع هنا الايمان وقول الهذر وهؤلاء القوم قد لاح لهم فى أعداهم الطمع وأخذ ثارهم وترك ديارهم بلقع أى شىء يكون الخوف من الايمان والفزع ثم ان سنان حسن لحذيفة البغى والمصاب حتى أحاط بهم بنو عبس من كل جانب (قال الراوى) فلما نظرت بنو غطفان إلى كثرة العدد أسرعوا إل لبس الدرع والزرد وكانوا الف فارس مثل الأسد العوابس والسباع والهداره فحملوا وغاصوا فى بنى فزارة وعمل بينهم الحسام وقل الكلام وطال الحرب ودام إلا أن أقبل الظلام وخفيت مواقع الاقدام فأضرموا النيران وتحارب الفريقان إلى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتبادر إلى الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح واشتهرت الصفاح إلى قبض الارواح واستمر الحرب إلى آخر النهار وقل من بنى غطفان الاصطبار وكثر عليهم العدد وتزايد المدد وقاتلت معهم العبيد والاماء حتى قل منهم القوى والحيل فما صدقوا بقدوم الليل حتى نزلوا فى المضارب وقد سكتت منهم العروق الضوارب وما منهم إلا طريح جريح وآخر على نفسه يصيح وهم تحت مشيئة الرحمن إلى أن طلع الصباح وبان قال الراوى فعند ذلك ثاروا يطلعون القتال وقد زادت عليهم الاهوال وكان ذلك اليوم الثالث فحل بهم كل أمر حادث وبان فى بنى غطفان النقصان فعند ذلك طلبوا ديارهم والاوطان وعملت فى أقفيتهم الاشطان

وتشتتوا فى البرارى والقيعان وما رجعت بنو فزارة حتى أنزلت بهم الذل والخسارة وعادوا عند غروب الشمس فلما أصبح الصباح فى اليوم الرابع تحكم حذيفة فى المال والعيال وخلص الرهائن والأطفال وقلعوا المضارب رسبوا الدشاء والبنات وكان فى الجملة أم الملك وزوجته ونساء عمومته ونساء إخوته وجدوا بهم المسير فى تلك الحرارة حتى أشرفوا على بنى فزارة فخرجت زوجه حذيفة ومعها نساء الحلة وجعلن يهنين الرجال بالسلامة وزوجة حذيفة تضرب وجوه النساء المسبيات. هذا وقد أقبل حديفة على الرجال وقد ضم الغنائم والأموال وقال يا بنى عمى ما نفرط فى شىء من هذه الغائم حتى نبصر من يكون من بنى عبس سالم وبعد ذلك نقسم الذخائر لكل غائب وحاضر فبينما هم على ذلك القول وتلك الفعال وإذا بغبار قد ثار وعلا فى الجو وتفرق وضربته الرياح فتمزق وانكشف عن سيوف تلمع وأسنة رماح تشعشع وفرسان على خيول مثل البرق إذا لمع وفى أوائلهم فارس لجواده يدفع وهو قدامهم كأنه الأسد الأروع وكأنه طود من الاطواد والقوم يقولون بالعبس الأجواد والفارس الذى فى أوائلهم هو عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما نظرهم أمهات الاولاد الذى قتلهم حذيفة وقد عرفوا أزواجهم وبنى عمهم فزعقوا صوتا واحدا وصاح الصباح متزايد قالوا هيا يا بنى عمنا اكشفوا عنا الشدايد فلما نظر بنو فزارة إلى هذه الأحوال حل بهم الانذهال وفزعوا وتخيلوا فزعق فيهم حذيفة يا ويلكم ما هذه الخيفة فعند ذلك حملوا وقصدوا بنى عبس فارتجف الأرض وتزلزلت وحكمت المشرفيات فى الرقاب وفصلت ومدت الايادى فى طلب الآمال فما وصلت ونزلت على بنى فزارة المصايب وتزلزلت وأحكمت المشرفيات فى الرقاب المصايب ونزلت ونفرت الفرسان من هول المعمعة وهرولت وشقت قلوب السادات وتفجرت وقاتل الملك قيس قتال الأبطال وطعن طعن من حرق قلبه فقد فقد المال والعيال ونادى يا بن عمى من قدر منكم على أسير لا يقتله بل يسلمه إلى ويأخذ سلبه لعلى أسير به إلى أمهات الأطفال وكان الملك قيس لم يقل هذا المقال إلا لما رأى عنتر قد أشرف فى قتل الابطال وبعد ذلك أسر جماعة من الرجال وأنه قد دمر بنى فزارة فى ذلك اليوم المذكور بين العباد وقتل من أبطالهم سبعة وسبعين فارسا أجواد وكان أخوه شيبوب من حوله مثل الشرارة فتارة يعينه فى القتال وتارة يرمى بالنبال ولم يزالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أقبلها النهار بالارتجال وأقبل الظلام بالانسدال وقد نظر بنو فزارة قتالا لا تحيط به الاوهام وفاتوا الغنايم وكل واحد ما صدق

بأن يعود سالم هذا وبنو عبس نالت منها مناها وخلصت أولادها ونساها وما عادت إلا ومعها من بني فزارة خمسماية أسير ما منهم إلا مقدم وأمير فقال الملك قيس شدوهم فى الحبال فأنا عولت أن أضرب رقاب الجميع بلا مطال فقال عنتر إن كنت عولت على هذا الحال فسلم كل واحد إلى واحدة من أمهات الأطفال الذين قتلهم حذيفة بالنبال حتى يجدوا فى عذابهم طول الليل وإذا أصبح الصباح تقود كل واحدة أسيرها إلى بين الصفين وتضرب رقبته بين الفريقين وتوقع بهم الذل والخسارة وتحدف رأسه إلى فزارة فلما سمع قيس من عنتر هذا الخطاب أنه على صواب أجابه إلى هذا المقال وسلم منهم أربعمائة إلى أمهات الأطفال بعدما اختار منهم مائة فارس من أبطالهم يقتلهم عوضا عن ولده ويطفىء نار كبده . فهذا ما كان من أمر بنى عبس وأما بنى فزارة فانهم عادوا عن القتال وعرفوا قدر الغدر والمحال ونزل حذيفة وقد حلت بهم الخيبة وهو يقول لأخوته والله ما فى قلبى شىء من الدنيا إلا أن أبلغ مثل ما بلغت بنو عبس منا وأنظر عنترا وهو مطروح جسدا بلا روح ولكن فى غداة غد أفوز إلى المحال لعلى ازيل من قلبى هذه الأغلال ثم أنه بكى من شدة الغبينة وخاف من الغلبة والهزيمة (قال الراوى) فلما نظر سنان إلى بكاه وانتحابه قال له ويلك أيها الأمير ما هذا البكاء الذى لا يصلح إلا للنساء تبكى وحولك وهؤلاء الرجال الأمراء وبعد أيام قلايل يقدم إليك عساكر النعمان وتهلكهم لو أنهم بعدد رمل القيعال لأنهم ما قاتلوا اليوم هذا القتال إلا لأجل ما قلتم منهم من الأطفال وكيف سبيتم حريمهم والعيال فلأجل ذلك فعلوا هذه الفعال وهكذا الدهر لا يبقى على حال يوم لك يوم عليك ما دامت الأيام والليالى (قال الراوى) فلما سمع حذيفة من سنان هذا المقال قال له والله إنى أقول أنهم فى غداة غد يسلمون من ضرب الرقال والقيعان ومع هذا كله فقد اشتهيت أن أعلم ما جرى لهم مع جيش النعمان والملك الأسود من الأمور ثم أنه أحضر واحدا من الاسارى الذين هم من بنى عبس وسأله عما جرى له مع الملك النعمان وما تحدد فأخبره بكسر العسكر وأسر الأسود أخذوا من فرسان العرب الشداد على يد عنتر بن شداد . فلما سمع حذيفة هذا المقال أخذه الإنذهال لما سمع الأسود اللقيط وبقية الامراء وقال للاسير البياعة الأسود والأمراء عندكم أسرى فقال العبسى نعم وكذا الأربعون فارسا عندنا فى القيود والأغلال فلما سمع هذه الاشارة قال وأذل بنى فزارة فقال له أخوه حمل ويلك يا أباحجاركم تأسف على الحياة وتخاف من الوفاء بعد ذلك

فنحن اكثر من أعدائنا والنجدة واصلة الينا من كل فج وطريق وأما أعداونا فالهم منجد صديق ونحن إذا أيقن الواحد منا يدنو أجله يهجم على خصمه ويقتله وإذا هتنا فى حرمة المجال انقضت جميع الأشغال وهازالوا على مثل هذا الحال حتى نادى منادى الليل بالارتحال وركبوا وتبادروا للمجال فى طلب الحرب والقتال واصطفت الفرسان يمينا وشمالا وعلا الصياح وانعقد ولمع الحديد والزرد وركب قيس من تحت الاعلام ودارت حوله رجاله وبنوا الأعمام وبعد ذلك نادى بأمهات الأطفال وسلم لكل واحدة واحدا من الرجال فأخذت كل واحدة خصمها وهى قابضة على لحيته حتى أتوا إلى وسط الميدان والمجال فأمر بضرب رقارب الرجال لاجل أخذ ثار الاطفال (قال الراوى) فعند ذلك قتلت كل واحدة خصمها وأعلنها بعلمها وكان حذيفة فى ذلك الوقت يعدل المواكب ويرتب الكتائب فأقبلت من كل جانب وهى منهتكات التراثب ناشرات الذوايب فلما نظرت بنو فزارة إلى هذه الكتائب جرد القواضب وحملوا على بنى عبس مثل السلاهب فتقلتها بنو عبس الاطايب وهتكت ودايع الصدور بأن صبر الصبور وعمل الفارس الغيور وجرت الدماء من النحور ونادى المنادى بهلاك النفوس وعمل السيف والرمح والدبوس وطلع الغبار وتعلقت الأخيار بالاشرار وضرب رأس العزيز فطار وهطلت الدماء مثل الامطار وكان للقوم يوم تحتار فيه الافكار وكثر ضرب الصفاح والطعن بالرماح وتساوى عندهم المساء والصباح سمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وحضر الجد وذهب المزاح (قال الراوى) هذا حذيفة لنفسه يذل وهان عليه الموت والعلل وأما بنو عبس فانها اختارت الموت على الهرب وفعلت فرسان العرب أعداءها العطب والبلاء والحرب وكتبب فى قرابيص سروجها رؤوسها ووطنت على الموت نفوسها وعملت السيوف فى الاقحاف وحل التلاف والموت جزاف وقطعت الارجل والايدى من خلاف وكان لهم يوم يذكر مادامت الشمس والقمر وقد ذكرته شعراء العربان ألهم عليه الامير أوس ابن مسعود الفزارى حيث قال هذه الابيات

بلوت الدهر مخبرة وعلما ... وجربت الرزايا طول عمرى
ولا أبصرت يوما فى زمانى ... ولا خبرت عن زيد وعمرو
أسد رزئة من آل عبس ... وقد حملت على أولاد بدر
يقاسو الحرب فى يوم طويل ... يعد من الزمان بألف شهر

رأيت لهم غماما من غبار ... وبرقا من ضيا بيض وسمر
فكم من فارس أبصرت ملقى ... يحرك ساقة والخيل تجرى
وكم تحت العجاجة من غلام ... سمعت أنينه فطال فكرى
ولولا عبد عبس قطعت حتما ... جيوش فزارة فى كل قفر
ينير الحرب بالرمح الرينى ... إذا ما فرجت خيـــل بذعر
فيقتل فى الأعادى بالمواضى ... بقلب فاق من جلمود صخر
لحاه الله من عبد نجيب ... يلاقى فى الكريهة ألف صخر
إذا هز الحسام ليـــوم حرب ... تراه فى العجاج كضوء فجر
وفى يوم التقتـــال إذ التقينا ... نرى الأبطال بين يديه تجرى

(قال الراوى) وكان ذلك اليوم المذكور ما بقيت الأيام والدهور وهم حصر وخناق المضارب وزعاق حتى أقبل الظلام وتحارس القريقان فعند ذلك اجتمع قيس بعنتر بن شداد واستشاره فى إنفاذ المال والعيال إلى الديار والأطلال وتبقى خاف الظهور من الأشغال فقال له نعم الرأى أيها الملك المفضال ولكن يمضى بعض الليل ونسير بهم على النجب والخيل . ثم أنهم أخذوا الراحة حتى مضى بعض الليل وبعد ذلك أفرزوا وقال الملك قيس لأخيه سر وصل أمك ونساء العشيرة إلى حللنا واقعد عن الحارث بن ظالم الى حين عودتنا لأنى عولت أن أقلع من بنى فزارة الآثار وإلا فمان يكون لنا معهم قرار مادام حذيفة سالما فى الديار (قالى الراوى) فعند ذلك سار الحارث بمن معه من الأبطال وبين أيديهم المال والعيال وعول عنتر أن يسير معه فاخلاه قيس يتبعه وقال له يا أبا الفوارس ماهناك أمر يحتاج إلى مسيرك فيه هذه النوبة لأن ديارنا قرية والصواب عليه ملام فهذا ماجرى لهؤلاء وأما بنو فزاره فانهم لما انتصروا من الصدام عند اقبال الظلام نزلوا فى مضاربهم والخيام وقد اجتمعوا للمشورة لما حل بهم من الأمور المقدرة وماقاسوا من العذاب الأليم وعلموا أنهم قاتلوا بنى عبس فى ثانى الأيام تركوهم عظما رميم لأن بنى عبس أوقى منهم جلدوا صبر على ملتقى العدد والمدد . هذا وقد اشتد بحذيفة الغيظ والحرد وكان كلما سمع ندب نساء القتلى يقول يا ليتهن يندبن على أنا ويتركن من مضى لأنى أعلم أن غداغدفعندما يمسى المساء ومنا أحد بل كلنا مطروحين فى البرو الفدفد (قال الراوى) فلما سمع سنان مقاله نكى على ما ناله وأقبل عليه وقال له إعلم أيها السيد أنه

قد خطر لى خاطر وأريد أن أكون لك فيه مشاورا فان رأيته صوابا أفعله وإن رأيته خطأ أهمله فقال حذيفة وما هو يا سنان أكشف لى عن معانيه والبيان فقال له أريد أن آخذ زوجتى وأسير إلى الحارث فى الظلماء إلى حى بنى عبس وأكون عبدهم إلى طلوع الشمس واطرح روحى على الحارث وأبكى بين يديه وأسأله أن يساعدنا على هؤلاء الأعداء أو يسعى فى الصلح بيننا فقال له حذيفة صحيح أنه صواب إلا أنى أخاف أن تمضى اليه على هذا الحال فلا يقبل لأن بنى عبس أجاروه من الملك النعمان فيرانا بعين الأذلال ولا تبلغ من أعدانا آمال وأما أنا فلا لى فى غدة غد من خروجى إلى بنى عبس بين الملا وأقاتل حتى أبقى طريحا فى الفلا وقد أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وهو لا يأكل ولا يشرب إلى أن أصبح الصباح فركبوا الجراد القداح وتبادروا إلى الحرب والكفاح قال الراوى فعند ذلك اصطفت الصفوف من بنى مزارة وجردوا السيوف البتارة فلما نظر حذيفة إلى بنى عمه فى هذه المهمات والعزمات قفز إلى الميدان وصال وجال على حجرته الغبراء وفى جولاته هانت عنده روحه بين أفراته وكان مكشوف الرأس خاليا من الورد واللباس ونادى بقيس لما قاربه وصار يحاذيه بجانبه وقال يا ابن زهير الرهن بينى وبينك كان ومن أجل سباقنا فنيت الفرسان وبعد ذلك قد هان الأمر لأنك أنت قتلت ولدى وعبدكم قتل أخى وأنا قتلت أخاك مالك وأنا أمرت عبدى بلطم جوادك ذلك جرى ما جرى بيننا من المناحس وبالأمس قتلت أنا الأطفال وقتلت أنت بدلهم الأبطال وما من المروءة أن يفنى فرسان القبائل من أجلنا وتدعو النساء يدعون علينا كلنا والصواب أن تتولى القتال بنفسنا إلى أن يهلك بعضنا وقد انقضت الأشغال والذى يسلم يتولى الديار والأطلال وتطيعه الرجال والأبطال فابرز الساعة إلى المجال ودع عنك المحال ولا تترك لأحد علينا مقال وإن كان العجب لعب بعطفيك فتحدث بالانصاف ودع ذلك البغى والاسراف فأنا واخوتى نحمل عليك ونجد فى طلبك حتى نهلكنا أو نهلكك ثم أنشد

ما رعى الدهر حرمة وذماما ... بل تشفى بنا وأشفى اللئاما
من أبينا سيدنا ومن جدنا عمرو ... ورثنا الفخار والاحكاما
قد ملكنا المنزل فى المعالى ... برماح ترى الحلال حراما
وعفونا لما قدرنا وفى الجد ... عدلنا وما نقصنا الذماما
وعلمنا أن الزمان عنيد ... طبعه الغدر ولا يحب الكراما
أن صفا يوما ودام صفاه ... كدرته حوادث أعواما
فانصفونا عند البراز وجولوا ... وانظروا ضربنا إذا الحرب قاما

قد تركنا النساء منا حيارى لاطمات خدودها لاتناما

قال الراوى فلما سمع قيس مقاله تعين عليه قتاله وخاف أن تستعجزه ابطاله فعند ذلك خرج اليه بسرعة جواده داحس الذى ذكرنا خفته لأنه كان مدور الكفل مليحا إذا صهل كأنه الليل إذا نزل ثم ان الملك قيس برز إلى الميدان وجال على ظهر الحصان وأنشد يقول

إذا كنت محتاجا إلى العدل إننى إلى الظلم فى بعض الاماكن أحوج
ولو فرس بالحلى الحلم ملجم ولى فرس بالجهل للجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم ومن شاء تعويجى فانى معوج
بغيتم علينا يا بنى بدر والذى ظفر تم به يوما من البؤس أسمج
فذوقوا عذاب البغى من قبل تشربوا كؤس المنايا وهى بالسم تمزج
أسرنا الذى فنتم ترجوا لنصر وعدنا به والحرب كالنار تؤجج
وفينا من الفرسان كل غضنفر وكل همام بالفخار متوهج

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك انطبقا وطلبا الصدام لانهما أميرا بنى عبس وغطفان وفزاره وذبيان فعند ذلك أخذ الطعان وطلبا مقاتل الابدان وتذكروا يوم الرها عقد عليهما حتى غابا عن الابصار وما فى أبطال القبيلتين إلا من ناهب القتال خوفا على صاحبه فى المجال لان حذيفة كان أوصى أخوته وقال لهم إذا رايتمونى قد حملت على قيس فاطبقوا عليه كلكم واقتلوه ثم أنه فعل ما فعل وجد مع قيس فى المحال وكار كلما طلبه قيس القتال يرجع حذيفة إلى وارائهم يجرى بمكره ودهائه حتى قارب اخوته وصار قيس وحده فعند ذلك حملوا على قيس وصاح بافى فرسان بنى فزارة ورجعوا إلى المكر والغدر فلما نظر عنتر إلى فعال بنى فزارة زادت منه الاحقاد ونما الشر فى قلبه فاطلق عنان الجواد ونشر فرسان بنى فزارة أزواجا وأفرادا وكان أسبق الناس إلى القتال ابن اخت عنتر الهطال وقيس قد أشرف على الوبال ودارت به فرسان بنى فزارة وخدشته باسنة الرماح قال الراوى فلما نظر عنتر إلى ذلك الحال رعق وهدر مثل الرعد إذا خفق ودعس فى جمع بنى فزارة وحمل على حذيفة وانطبق وصرخ كالاسد إذا زعق وطعنه بعقب الرمح فالقاه على رأسه وكاد أن يخمد أنفاسه ثم زعق على شيبوب فاتاه مثل الريح الهبوب وشد كتافه وقوى أطرافه ثم أنه عاد إلى قيس بعد الحيفة وسلم اليه حذيفة وجد عنتر فى طعنه وضربه وقد أسر فى أصحابه وما مضى من النهار ثلاث ساعات حتى انهزمت السادات وتشتتوا فى البرارى والعلوات وفر الجميع إلى الخيام وقد عمل فيهم

الحسام وأسر أوس أخو حذيفه على يد الهطال وتفرقت الفرسان والأبطال وضجت النساء والاطفال وصاح الربيع بن زياد فى باقى الرجال فقال دونكم وسبى العيال ونهب الأموال حتى تقلع أثر هذه القبيلة من الاطلال فبينما هم على هذه الاحوال وإذا هم بصياح قد زلزل الجبال فأسرع الجيش نحو الصياح وهو متابع وقد خف فزارة العذاب الواقع وسار قيس نحو هذا وإذا هو بثلاثة من الثلثمائة الذين كانوا مع الحارث بن ظالم الذين أرسلهم الملك قيس لحفظ الأسارى الذين من جملتهم الملك الأسود وملاعب الاسنة اللقيط وبقية الفرسان الذين أسروا من جيش النعمان (قال الراوى) فعند ذلك تقدموا إلى قيس معلنون بالصياح فقال لهم قيس ما الذى دهاكم فقالوا اعلم أيها الملك أننا لما وصلنا إلى الديار وقربنا القرار تولى على الاسارى الحارث بنفسه وبقى محترزا عليهم من أبناء جنسه ومازال على ذلك يومين وليلتين فلما كانت الليلة الثالثة صار يهددهم حتى ظننا أنه يهلكهم فلما مضى الليل بدساده وأقبل النهار بضياه طلبناه فما وجدناه لاهو ولا الأسارى فقلنا قد عاد الحارث والله خبيه ودماه ففزعنا من هذا الامر عليكم فعدنا اليكم لأن معه أربعين من الابطال وصرنا نحن أيها الملك فى الأمر متفكرين وإلى الآن متعجبين لأننا ما نرى القوم عندكم من آثار ولا خبر ولا جليه أثر (قال الراوى) فلما سمع قيس هذا المقال أخذه الإنذهال وقال ياويلكم هذا كله جرى عليكم قبل وصول المال والعيال إلى المنازل والاطلال فقالوا والله يا ملك ما أتى الينا مال ولا عيال وما تركنا المنازل وراءنا إلا خوال فلما سمع الملك قيس هذه الاشارة قال الله لقد عاد بخنا إلى خسارة وشمتت بنا بنو فزارة فعند ذلك يا ملك هذا الحديث دل ظاهره على باطنه والعاقل يفهمه يعرف صحته من سقمه وأنا أقول أن الملك الأسود ومن كان معه من أبطاله مدحوا الحارث على فعاله وقد عاهده الاسود أن يأخذ الامان من الملك النعمان وقد أجابهم إلى ذلك الشأن وفكهم من أغلالهم وسار بهم الينا ليعنوا بنى فزارة علينا فالتقاهم الحريم والعيال وهم سائرون إلى المنازل والاطلال فما وجد أحسن من هذه الفرصة بأمان حتى يتقربوا بها إلى النعمان (قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام من عنتر بان له صحة الخبر وقال له يا أبا الفوارس هذا هو الصحيح وقد قست قياسا مليح فلو جرى هذا الحال لعاد الينا أحد من الرجال الذين أنقدناهم مع العيال فتبسم عنتر من هذا المقال وقال يا ملك إيش هذا المقال وما ذهب مع العيال غير مائة من الابطال والاربعين الذين كانوا مع الحارث بن ظالم يريدون عشرين ألف من الفرسان الضراغم وأقول انهم أخذوا عليهم سائر الطرقات والمذاهب وما تركوهم يهرب منهم هارب الذى مانع أسقوه كأس الهوان والذى أسروه أخذوه معهم إلى الملك النعمان

فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس إن وصل حريمنا إلى النعمان باع كل واحدة منهن فى مكان ونحن قد وقعنا بين أمرين خطيرين ومرضين قاتلين وما ندرى أيهما نداوى فى الاول وما الذى عليه نعول ونحن نخاف إن تبعنا الحارث ومن معه فترجع بنو فزارة إلى أرضنا وتخرب ديارنا وإن نحن أقمنا حتى نقطع أصولهم تقلع أصولنا فلما سمع عنتر من الملك قيس هذا المقال حل به الخبال فقال له يا ملك الرأى والصواب أنك تقيم ههنا لحفظ بنى فزارة حتى أتبع هؤلاء الاندال وأخلص منهم المال والعيال وأعيد الاسود ومن معه إلى الاعتقال فعند ذلك خف عن قيس بعض همه وغمه وقال له يا أبا الفوارس إفعل ما بدا لك وخذ معك من شئت من رجالنا ورجالك فقال عنتر والله لا أسير خلفهم بأكثر من عشرة رجال ولو أنهم بعدد الرمال فقال الملك قيس لا تخاطر بنفسك يا أبا الفوارس مع فرسان القبائل عنتر يا ملك لا تخف وتسير فى هذا النفر القليل فقال من الردافا فانى أنا إذا أمنت عليكم لا أبالى بكثرة الاعداء على أن بنى فزارة لابد أن تأتيهم أصدقاؤهم الذين أنفذ اليهم حذيفة الماء ويقع بينكم القتال إذا كان الجيش كله عندكم يرتاح قلبى عليكم كلكم ثم أن عنترا أخذ معه عروة بن الورد ونازح بن أسيد والهطال وتمام العشرة من الرجال الابطال وتقدم بين يديه أخوه شيبوب وهو بعض كميه على الحارث بن ظالم وينادى لأسقاك الله الغيث يا ابن ظالم فما أقبح عملك فقاتل الله وقتلك وإلى طرق المهالك أرسلك ثم أقبل عنتر على شيبوب وقال له ويلك يا أبا الرياح جد بنا فى الرواح واطلب بنا أرض العراق ونحن نتبعك على هذه الخيول العتاق فقال شيبوب والله يا أخى ما هذا صواب فنحن نتبع القوم على أثر الدواب لان الاسود معه قبائل شتى وما نعلم أى النواحى يقصدون ونخاف أن نركب عن طريق العراق فيغيبهم البر عنا فى الآفاق فلما سمع عنتر من أخيه هذا المقال قال له سر كيفما تريد فعند ذلك سار شيبوب يقطع البر أمامهم فهذا ما كان من عنتر ورفقته وأما بنو فزارة فأنهم ذلوا بعد أسر حذيفة وأخوته وعولوا على الهرب والانفصال ولولا اشتغال بنى عبس عنهم ورجوعهم عن القتال إلا أنهم دار احول سنان شيخ الضلال وأخبره بعضهم عن المجال وقال له والله يا شيخ لو دام علينا القتال كنا سلمنا فى المال والعيال وهربنا إلى رؤس الروابى والجبال لان الهرب فى نياتنا بعد أسر سادا تنا فلما سمع سنان مقالهم وعلم بتغير أحوالهم قال لهم والله يا بنى عمى أن ترك المال والعيال مما يشمت بنا الاعداء وهذا عار لا يمحى أبدا إلا أن عذركم واضح لمن يراه لانه لم يكن فى الدنيا من يختار الموت على الحياة لا سيما إذا ابتلى الإنسان بعدو ولم يقدر على المكافأة يطلب لنفسه النجاة وإن كان ولابد لكم من هذه الحال فانجوا بالنساء والعيال وفوتوا للاعداء الخيام والمال هذا إذا رأيتم مالا طاقة لكم به وقت الحرب

والقتال وإن أشغل بنى عبس عنكم فاصبروا على النوايب فاذا صبرتم اتتكم العربان من كل جانب لانى أنا وحذيفة كاتبنا قبايل العرب وانفذنا إليهم الفضة والذهب واقول أن وصولهم قد اقترب ومع ذلك اقول ابنى عبس قد اتاهم سبب يلهيه سبب والا فما صبروا عنكم عن القتال وتركوكم على هذا الحال فهذا ما كان من بنى فزارة واما ما كان من الملك قيس فانه حدث عنده حادث قال الراوى فلما سمع ما حصل لم يباشر ذلك اليوم القتال لما سمع بهذه الاحوال وعاز الوكذلك إلى الصباح فعند ذلك نادى قيس فى فرسانه من بنى عبس الابطال أن يعتد والقتال ولما نظر إلى بنى بدر زائدين النشاط فى فرح وانبساط مادرين إلى الميدان يريدون الحرب والطعان قال هو وبنو عبس لاشك أن النجدة قد أتتهم فقال الملك قيس هذا المقال حتى برز من فزارة فارس من الابطال كامل الاوصاف رجال وصال وطلب الانصاف وهو ومن تحته جواد حالك اللون مدخر ليوم الجلاد وفى يده رمح ممدود عليه سنان يشبه نار الوقود إلى أن الفارس رث الحال ثم جال فى حومة الميدان وطلب القتال ونادى يابنى عبس انتم اصحاب الحسب والنسب ولاينكره الا كل جاهل ذليل وعرفتم بانضاف العرب فلاجل هذا ينصركم الرب القديم وينذل اعداكم ونحن قد بغينا عليكم وما كان لنا رأى فى تدبيرنا فصار هذا مصيرنا وقد قتلت فرساننا وجندلت أبطالنا لاجل ماسبق لسادتنا من قتل الاطفال وهانحن مشرفون على الهلاك ومن البارحة عولنا على الهرب لولا فزعنا من الهتيكة ومعيرة العرب لاننا أكثر منكم عدد وأنتم أكثر صبرا وجلد ونحن مانريد منكم غير البراز والانصاف وترك الجور والاسراف حتى إذا بلغتم مرادكم منا وملكتم أولادنا ونساءنا فلا يبقى لاحد عليكم كلام ولامقال فاخرجوا من شئتم ياسادات عدنان وإياكم والغدر بين الفرسان لان هذا الحديث هو الذى قلت لكم عليه والشان لايعرفه الا من جرب حوادث الليالى والازمان

ثم أشار اليهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

من جرب الدهر هالته عجائبه ... وأنشبت نابها فيه نوائبه
وقد عرفنا بان الغدر يعقبه ... ندامة وتجازينا عواقبه
وما بقى غير كأس الموت نشربه ... تحت العجاج إذا اسودت غياهبه
فبردوا غلتى بالطعن وابتدروا ... إلى الشجاع الذى لانت جوانبه
وختم الذل من كل الجهات به ... من بعد كان صرف الدهر صاحبه

ياحاكمين أعولوا فينا فإن لنا ربعا من الذل قد ضجت نوادبه
فربما عاد صرف الدهر ساعدنا بعدله وسطت فيكم مصائبه
لاتأمنوا الدهر والأيام كدر بما ترون فتأتيكم عجائبه

قال الراوى فلما سمع قيس هذا الكلام تعجب ورق قلبه على بنى فزارة وتذكر مابينهم من النسب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لوكان هذا الشخص مشى بيننا فى الصلح لكنت أنا صالحت هؤلاء القوم ولكن الأمر قد فات وهذا الفارس طلب الانصاف فانصفوه أن قدرتم على أسره فاسروه وإلى بين يدى أحلوه فانى أرى الشجاعة لائحة بين عينيه وانظروا من هو من الفرسان وماسمه لانى أراه فصيح قال الراوى فعندها تبادرت اليه الفرسان من كل جانب فصار قيس يصيح فى الفرسان وهى لاترجع وقد داخلها الطمع فيه فلما نظر ذلك الفارس الذى ذكره تقدم إلى من أقبل نحوه من الفرسان ضحك وتبسم وقال ماقصرتم فى الانصاف ولكن هذا تفعل الاقوام الاقوياء بالضعاف ثم أنه اكب رأسه فى قربوس سرجه وتلقاهم بطعن قاتل هذا وقد طلع فوقهم الغبار وسد الاقطار قال فعندذلك رمى رمحه من كفه وسل سيفه من غمده ودخل معهم تحت القتام فارمى منهم سبع فوارس كرام فعندذلك قصده الفرسان من كل جانب ومكان وهو ساكت وهو يطعن يمينا وشمال وينثر الرجال فى عرصة المجال هذا والطوائف تنظر من كل جانب لتعرف المغلوب من الغالب فما ترى إلا حساما يلمع وسيا يقطع فما كان ساعة حتى خرجت الفرسان شاردة إلى ناحية قيس تنادى واحرباه من هذا الفارس الهمام فلما سمع قيس مقالهم قال ياويلكم ماحالكم ومن يقال لهذا البطل الذى أبادكم فقالوا والله ياملك مانعرفه ولافينا من يقدر يصفه لانه والله مافى هذا الزمان مثله وسيقطع الحديد والزرد النضيد وقد أهلك منا ثلاثين من الفرسان وأكثرهم من بنى غطفان وبعد ذلك أن لم تأمر بالجملة عليه والا اهلك الفرسان لانه شيطان فى صورة انسان قال الراوى فلما سمع قيس ذلك الكلام قساقلبه على ذلك الغلام ولما سمع صياح بنى فزارة علا زاد به البلا وعلم انهم ماصاحوا إلا لاجل النصر والظفر فنادى ذلك فى اخوته وفرسان عشيرته وقال دونكم وهذا الغلام الذى قدرق لنا فى الكلام فعندذلك أطلقوا الاعنة وقومت الأسنة إلا انهم ماقاربوا موضع الصدام حتى ظهرت الفرسان من تحت القتام وطلع عقبهم ذلك الغلام وهو يدمدم دمدمة الرعد فى الغمام وسيفه يقطر الدم من جانبيه والموت يلوح

من بين يديه حتى قرب الملك قيس وهو تحت الاعلام وصاح عليه أبشر يا قيس بعد الفرح والمسرة بالبؤس والمضرة فانا الحارث بن ظالم فاس بني مرة ثم هجم على حامل العلم وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من علائقه ثم هجم وعلى قيس فخبله وجذبه من درعه فرجله عن جواده وهم أن يعود إلى بني فزارة فانزل به الخسارة (قال الراوى) فعند ذلك حملت الابطال وطلبته بالرماح الطوال فحمل أيضا هو وبنى فزاره وفى دون ساعة اختلطت الطوائف وبان الآمن من الخائف وصار الغبار على رؤسهم وعملت الصوارم وطارت الجماجم

وقطعت الايادى والمعاصم وعاد عقاب المنايا فوق رؤسهم حائم ودارت الفرسان بقيس والحارث ابن ظالم وما زال سوق المنايا قائم فلما نظر الحارث إلى هذه الإشارة سلم قيسا إلى بني فزارة وعاد إلى الطعن والضرب وعلا القسطل وأشتد العمل إلى أن أقبل الليل وانسدل فعند ذلك انفصل الفريقان ونزلت الطائفتان هذا وقد عاد الحارث بن ظالم وشيد لنفسه المفاخر والمكارم فعند ذلك دار بنو فزارة حوله يشكروه ويثبوا عليه واوصلوا قيسا إلى سنان وأوصوه أن يحترز عليه حتى يفدى به حذيفه هذا وقيس قد زادت به الآلام لما نظر إلى فعال الحارث بن ظالم قال الراوى وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وذلك أنه لما سلم

له الملك قيس الاسارى، وخلى عنده المائة فارس من الفرسان الاشاوس طالبا بنى فزارة ومعه الفرسان الذين قتل أولادهم حذيفه وطائفه العداوة وأما الحارث فانه لما وصل إلى ديار بني عبس ونظر إلى تلك الحال من ذهاب أموالهم والعيال قال والله ما بقى يقام لبنى عبس قائمة ثم أمر العبيد أيضربوا له الخيام على العلم السعدى وقال بعد أن وصلت إلى ههنا لا أبالى بما يجرى بعدى ثم أنه انفرد بنفسه إلى حفظ الاسود ومن معه وقضى أكثر الليل السهر مدة يومين وفى اليوم الثالث لما طلعت الشمس دخل عليهم يوجدهم يتشاورون وفى خلاص أنفسهم يدبرون فلما نظر اليه الاسود قال ويلك يا حارث ما كانك خلقت الا حجر صوان يعبر فيك كل إنسان فلما سمع الحارث هذا المقال قال وكيف هذا وأنا قاهر الابطال فقال له اللقيط يا حارث أصل هذا الامر والشأن منك قتلت ابن الملك النعمان وبعد هذا عقدنا لك لوائح الامان بعد الخوف والحرمان وقد رضيت بهذا المقام والعيشة الذميمة مع عبد لا قدر له ولا قيمه وكانك بقبائل العربان وقد أقبلت من كل جانب ومكان ويحل بك الانتقام وتشرب كاس الحمام وأنا رأيت لك من الراى ان تطلق سراح أخى النعمان ومن معه الفرسان وتطلب منهم الذمام فبادر هذا الأمر قبل الفوات وحلول الآفات حتى يأخذ لك الامان من أخيه النعمان وتكون قد محوت الاول والآخر فلما سمع الحارث من اللقيط ذلك يا الكلام المرتب قال له أتأمرنى بالهرب وأنت سيد من سادات العرب فقال اللقيط ويلك يا حارث ومتى عرفت أنت بالوفا حتى تصفو لبنى عبس ونعبدها عنتر وتخلى مثل هذا العبد الاكبر أخى الملك الحاكم على جميع العربان وأعلم أنا إذا خلصنا من هذه الاهوال والاسر والاعتقال ووصلنا إلى النعمان أخذنا لك ولبنى عبس الامان فقال الحارث أما بنى عبس وحق الكعبة الحرام فما يهون على أنها تضام وأما عنتر فله فى قلبى من الحسد ما أمرض منى الجسد ولولا حاجتى اليه فى هذة الفعلة كنت قتلته وأخذت بنت عمه عبلة لان أباها أرنى اياها وقال خلصنى من هذا الولد ابن الزنا وأوردة المهالك وأنا أزوجها لك وبعد ذلك فقد فتح باب أبلغ به الأرب فان أنتم عاهدتمونى على ما أريد وإلا عذبتكم العذاب الشديد فلما سمع الاسود مقاله أمل اصلاح حاله ثم قال ما الذى تريد حتى نعاهدك عليه فقال تسيرون معى إلى أرض بنى فزارة قبل سيركم من هذه البلاد وتساعدونى على قتل عنتر بن شداد وتضمنوا لى الامان ولا تقولوا اننا طائفة قليلة بل كل فارس منا يلقى قبيلة فقال الأسود وقد طلب الخلاص من الوثاق وسرعة العودة إلى أرض العراق يا حارث أنا أضمن لك هلاك عنتر ولو كان فى الجمع

وأضمر على هلاكهم إذا ناموا فعرف ملاعب الأسنة ضميره فميل على الأسود وأعلمه بذلك فاخذت الفرسان حذرها منه فلما علم الحارث أن القوم حسبوا حسابه وإن فعل ما عليه أضمر أمسكوه وإلى النعمان أوصلوه قال لهم ها أنا سائر إلى بني فزارة استنجدهم حتى يرسلوا لنا نجدة وآتيكم بالحيرة ثم لوى عنان جواده وصار قاصداً ديار بني فزارة ودخل على سنان وبات ولما أصبح نزل إلى الميدان رأسر قيساً ورجع من الحرب وطالب قيساً بحذيفة واخوته فأجابه إلى مقاله بعد ما وبخه على فعاله وقال والله يا حارث بعد هذه الفعال ما أدري ايش يكون طبعك فلعن الله أصلك لانك لا تفرق بين القبيح والاحسان أهذا جزاؤنا بعد ما تركنا نقضك الامان ولكن سوف تعلم من يندم إذا زل الندم لأنك خسرت النوق في هذه التجارة وبعت الربح بالخسارة ولا بد أن يعم شؤمك على بني فزارة (قال الراوي) فلما سمع الحارث من قيس هذا المقال والكلام أكثر عليه الملام وقال ويلك يا قيس ومن أين عاد الدبام لي على مكان وقد اخذت الأمان من الملك النعمان ومع ذلك لم أبعكم بأرخص الأثمان لكني انخذت من هو أوفى منكم مكان وأعظم شأن وبعد ذلك قال الخير والشر مركبان في الانسان وما غلب عليه كان لا سيما من طلب لنفسه الارتفاع في جهدي اني ما أخلي على وجه الأرض شجاع حتى يحملوا الى حتى المراعي والبقاع وأول ما أبيد عبدكم الأسود فلما سمع قيس ذلك الكلام قال لعلك رأيت هذا في المنام وإنه الفارس الهمام والبطل الضرغام وإن جمعت بكم الأيام فهو يعجل لك الارغام ويسقيك كاس الحمام ولكن الساعة الأمر قد فات في هذا المرام والفائت ما عليه ملام قال الراوي ثم أنه بعد ذلك حلف لهم لا يركن إلى غدر ويطلق لهم أولاد بدر ثم ركب وسار عند طلوع الشمس إلى أن وصل إلى بني عبس وعليه الخلع الغاليات المقدار ثم صبر إلى أن تضاحى النهار وبعد ذلك أمر بحذيفة إلى حضرته فخلع عليه وعلى أخواته وسيره إلى أهله وعشيرته فلما وصل إليهم فرحوا بقومه وأما قيس حكى للربيع على ما فعل الحارث ثم قال لهم اعتدوا للقاء أعداكم إلا أنه تضاحى النهار حتى اصطفت المواكب وترتبت الكتائب وأقبلت الفرسان من كل جانب ولما وصل قيس إلى تحت الأعلام ونظر إلى تلك الخلائق والازدحام أقبل على الربيع وقال ما بقي إلا بذل نفوسنا لهذه السهام الصائبة ونبذل المجهود ما دامت فرساننا غائبة فبيتاهم يتشاورون وإذا بالحارث برز إلى الميدان وطلب البراز ولم يفكر في حوادث الليالي والازمان (قال الراوي) فلما نظر قيس إلى الحارث ويد برز إلى الطعان علم أنه يريد أن يقهر الشجعان وبين شجاعته في ذلك المكان فعند ذلك أمر الناس

وأضمر على هلاكهم إذا قاموا فعرف ملاعب الأسنة ضميره فمال على الأسود وأعلمه بذلك فاخذت الفرسان حذرها منه فلما علم الحارث أن القوم حسبوا حسابه وإن فعل ما عليه أضمر أمسكوه وإلى النعمان أوصلوه قال لهم ها أنا سائر إلى بنى فزارة استنجدهم حتى يرسلوا لنا نجدة وآتيكم بالحيرة ثم لوى عنان جواده وصار قاصد آديار بنى فزارة ودخل على سنان وبات ولما أصبح نزل إلى الميدان وأسر قيساً ورجع من الحرب وطالب قيساً بحذيفة واخواته فأجابه إلى مقاله بعد ما وبخه على فعاله وقال والله يا حارث بعد هذه الفعال ما درى ايش يكون طبعك فلعن الله أصلك لانك لا تفرق بين القبيح والاحسان أهذا جزاؤنا بعد ما تركنا نقضك للامان ولكن سوف تعلم من يندم إذا زل الندم لا بك خسرت النوق فى هذه التجارة وبعت الربح بالخسارة ولا بد أن يعم شؤمك على بنى فزارة (قال الراوى) فلما سمع الحارث من قيس هذا المقال والكلام أكثر عليه الملام وقال ويلك يا قيس ومن أين عاد الذمام لى على مكان وقد أخذت الامان من الملك النعمان ومع ذلك لم أبعكم بأرخص الأثمان لكنى اتخذت من هو أوفى منكم مكان وأعظم شأن وبعد ذلك فالخير والشر مركبان فى الإنسان وما غلب عليه كان لاسيما من طلب لنفسه الارتفاع وفى جهدى اننى ما أخلى على وجه الارض شجاع حتى يحملوا الى حق المراعى والبقاع وأول ما أبيد عبدكم الاسود فلما سمع قيس ذلك الكلام قال لعلك رأيت هذا فى المنام وإنه الفارس الهمام والبطل الضرغام وإن جمعت بكم الايام فهو يعجل لك الارغام ويسقيك كاس الحمام ولكن الساعة الامر قد فات فى هذا المرام والفائت ما عليه ملام قال الراوى ثم انه بعد ذلك حلف لهم لا يركن إلى غدر ويطلق لهم أولاد بدر ثم ركب وسار عند طلوع الشمس إلى أن وصل إلى بنى عبس وعليه الخلع الغاليات المقدار ثم صبر إلى أن تضاحى النهار وبعد ذلك أمر بحذيفة إلى حضرته فخلع عليه وعلى أخوته وسيره إلى أهله وعشيرته فلما وصل إليهم فرحوا بقدومه وأما قيس حكى للربيع على ما فعل الحارث ثم قالهم اعتدوا للقاء أعداكم إلا أنه تضاحى النهار حتى اصطفت المواكب وترتبت الكتائب وأقبلت الفرسان من كل جانب ولما وصل قيس إلى تحت الاعلام ونظر إلى تلك الخلائق والازدحام أقبل على الربيع وقال ما بقى الا بذل نفوسنا لهذه السهام الصائبة ونبذل الجهود ما دامت فرساننا غائبة فبينما هم يتشاورون وإذا بالحارث برز إلى الميدان وطلب البراز ولم يفكر فى حوادث الليالى والازمان (قال الراوى) فلما نظر قيس إلى الحارث وقد برز إلى الطعان على أنه يريد أن يقهر الشجعان وبين شجاعته فى ذلك المكان فعند ذلك أمر الناس

بالجملة عليه وحمل حذيفة فى فزارة لأنه قوى قلبه بالحارث بن ظالم وجسره على هذه الأمور العظائم فعند ذلك حمل بعضهم على بعض واشتد الركض وتزلزلت الأرض ولمعت الأسنة وكثرت الضجة والرنه وطلبت الرماح القلوب وقضى عليها بالقضاء غلام الغيوب وتقطعت الأكباد والجنوب وطلعت عليهم الغبرة كانها الغمامة السوداء وساق ملك الموت الأرواح واحدا وتادت الأبطال فلم يسمع لها ندا وعمل البتار وقل الاصطبار وطال الانتظار وقصرت الأعمار هذا والحارث بن ظالم قد فتك فى تلك العوالم وولت الفرسان قدامه هزائم وترك القتلى ممددين فى وسط الفلا وما تضاحى النهار حتى تفرق بنو عبس فى القفار والحارث فى مشارق الجيش ومغاربه وقد أظهر فيهم كل عجايبه وأفناهم ووقع بعمارة فاسره وجرح أخاه فكاد أن يدمره فلما رأى قيس إلى بنى عبس وهى تريد الفرار وفرسانه قد أشرفت على الانكسار وبنو فزارة صاحت فى جميع الأقطار وصاحت صياح الفرح والاستبشار كره الملك قيس الحياة وطلب الموت والوفاء وعول أن يحمل على الحارث وإذا بغبار أسود قد سما وطلع إلى عنان السما وانكشف عن خمسماية فارس غائصين فى الزرد يقدمهم سيد ومن تحته جواد أجرد وفى يده قضيب مهند أعظم من الفيل وهو ينادى يا لعبس يا لثارات مالك بن زهير معدن الجود والخير أنا زايد بن نصيب الفارس النجيب قال الراوى ثم حمل بنى فزارة حملة الليث وانصب هو وفرسانه عليهم انصباب الغيث وفى دون ساعة كسرت بنو فزاره وعاد ربحهم إلى خسارة ولولا الحارث أمسك عليهم رأس المضيق وعنهم الطعن لاقى ما كان للخوف عليه طريق وأبرى بسيفه ذى الحياة صدور الرجال والزرديات وفعل فعلا يعجز المخلوقات وكانت الفرسان إذا رأت تلك الضربات لم تقدر عليه وكان لهم يوم يعد من أيام القاهرة حارت فيه أفكار البادية والحاضرة وعند آخر النهار قرب المغيب نزل الحارث لزايدة بن نصيب وجرى بينهم حروب شديدة يذوب منها الحديد ويعرف بها الشجاع من البليد وما أمسى المساء حتى جرت سيول الدماء وعادت الفرسان إلى الحمام والخيام وقد دعج الظلام هذا والملك قيس ما هم الا اكرام هذا الفارس الذى هو زايدة من أصدقاء الملك قيس وحلفاه كان بينهما صلة رحم ثم سأله عن قدومه فقال يا ملك انى سمعت بما جرى لك من بنى فزارة وكنت اقول أنك تنفذ إلى فما جاءنى منك خبر ولا إشارة ولما طال المطال ووصلنى الخبر بسبى النساء وذبح الأطفال جئت اليك على سبيل المعاونة والنصرة وما كنت فى حقك متهاونا فشكره الملك قيس على ذلك وأخبره بما جرى له مع الحارث فقال له زايد قد بلغنى ما نالك من أعمالة وقبيح

افعاله ولولاه اليوم كنت أرحتكم من بنى فزارة ومن حذيفه ولكنه شيطان ومايلتقى فى الميدان وفى غداة غدا خرج إلى بنى فزارة وأطلب برازه وأعجل إتلافه وانجازه لانى اليوم التقيته آخر النهار وما رجعت عنه حتى عرفت من أين تدخل المنية عليه وتصل الحوادث اليه ثم اسأله عن عنتر وغيبته فحدثه أنه سار لخلاص المال والعيال وباتوا يتشاورون فى أمر القتال والحرب والنزال ويذكرون ماجرى لهم فى اليوم الماضى من الشدائد والاهوال وبات الربيع وهو ضيق الصدر من شدة الامر قال عليه وكان الحارث قد نزل وهو مخضب بدم الفرسان يهمهم مثل الاسد الغضبان لعدم كسره لبنى عبس وعدنان ولما قدم الطعام أبى أن يأكل فسأله حذيفة عن زايد بن نصيب فقال الحارث والله ماهو إلا بطل شجاع وقرم مناع خبير بالقراع ولكن فروسته لاتظهر إلا عند مبارزته للاقران واما أنا فادركنى الليل بظلمه كنت ضربت مافوق رقبته ولكن عند الصباح أخرج إلى الميدان بين الشجعان فاذا خرج إلى وبرز فرجتكم عليه وما يجرى من سيفى اليه لانى ماأريد أن يصل أخى قصورة إلى هنا الا وقد قضيت اشغال وخلصتكم من بنى عبس الأنذال قال الراوى وكان ارسل إلى أخيه قصوره من أول ليلة وصل فيها إلى بنى فزاره وحدثه أنه قد خلص أخا النعمان وأنه قد سار يشد من بنى فزاره وقال للفارس الذى أرسله لاتعد إلا وأخى معك وفرسانه تتبعك وعند الصباح ثارت الأبطال تطلب الكفاح فخرج الحارث بن ظالم ونادى يابنى عبس ابرزوا إلى قابض الأرواح ومبدل الأفراح بالأتراح الذى لايرعى ذمام ولا يحفظ طعام ثم أنه توسط الميدان ولين عريكة الحصان وجال وصال وانشد وقال .

لا تراعى من الأنام خليلا ... واجفل الهجر للوصال بديلا
وإذا ما ائتمنك خل فخنه ... واقفلن القبيح وانس الجميلا
وأبذل السيف فى القرابة والأهل ... إلى أن ترى العزيز ذليلا
صارمى لايقل فى ظلمة الغمد ... ولا يرتضى سواى بديلا
وحصانى عدتى وسنانى ... تقطع الفرع منكم والأصولا
لا تظنوا أنى اراعى صديقا ... قد صفا لى ولا أود خليلا
فابرزوا وانظروا قتال غلام ... فاتك يبصر الكثير قليلا
لى فؤاد قد أصبح اليوم بالحرب ... عليلا فاصفوا فؤادى العليلا

(قال الراوى) وكان الحارث بن ظالم لما وصف نفسه بهذه الأبيات والصفات القبيحة قريبا من بنى عبس فسبوه وشتموه عند سماع مقاله وتعجبوا من حيث أفعاله فعول زائدة بن تصيب على الخروج اليه فسبقه ابن عم له وانطبق على الحارث وطعنه فضرب الحارث رمحه فبراه ثم طعنه فارداة وحمل على أعلام بنى عبس ونادى ما هذه عادتكم عند البراز فابرزوا ان كنتم تريدون الفخار وإلا استقيلوا حتى أقيلكم بشرط أنكم ترحلون من هذه الديار وتوسعون فى الأقطار والروابى والقفار وأنزل وأنا وقومى فى مراعيكم والاوطان واسال فيكم الملك النعمان قال الراوى فلما سمع الملك وأخوته كلام الحارث أمر الجيش بالحملة عليه فسبقه زائدة وبرز اليه وقال له يلك ياحارث ما أشام خصالك فلعن الله بطنا حملتك ومالك فضيلة بين العباد تذكر إلا قتلك خالد بن جعفر وهو نائم وتعدها من جملة المكارم وقتلت ولد النعمان وهو طفل صغير ما بلغ الفطام وقبحت على الملك قيس وقد أولاك الاحسان وبرزت تفتخر بين الأقران فان ظفرت بك جازيتك اشام جزاء وأتقرب بقتلك إلى اللات والعزى حتى لا يرجع أحد بلدك يقابل الاحسان بالقبايح ولا يثنى على نفسه بمثل هذه الفضايح فقال الحارث بن ظالم والله يا ابن اللئام يا ولد الحرام ولا بد اليوم انى ادنى حمامك وأعجل لك أنتقامك وأجعل هذا اليوم آخر أيامك وان كنت فى شك من كلامى وصولتى واقدامى فناده لقومك يحملوا لمعونتك فلما سمع زائدة كلام الحارث علم انه جبار فى شره على خيره ولا ينظر فى عاقبة أمره فحمل عليه وصال وجال وأجابه على هذا المقال وأنشد يقول .

لو رأت عيناك الجميل جميلا ... صنت بالعدو عرضك المذبولا
أنى إذا بغيت جئت بسيف ... قاطع يترك العزيز ذليلا
حزت فخرا فى قتل خالد حتى ... قد ملأت القفار قالا وقيلا
جئته نائما فكنت منه ... فى ظلام الدجا حساما صقيلا
فسما لو رأيته وهو يقظان ... لا ضحيت من يديه فتيلا
فاصبر اليوم كى ترى مر حسامى ... وأعالى رمحى عذابا وبيلا

قال الراوى فلما سمع الحارث كلام زائدة والنظام حمل عليه وهم أن يضربه بالحسام فرآه محترزا من نزول الآفات جيد الخبرة فى مقام المقارعات حسن القراع والثبات فغمد سيفه وأخذ معه فى الطعان بأطراف السمهريات حتى جاز عن حد الصفات وعبر نصف النهار وانقضت تلك الأوقات وهجما عجمات الاسود فى الغابات وكان الحارث حدم خصمه زائدة

حتى بانت منه هذه الفعال فجد معه فى القتال حتى تقصفت السمر العوال فعاد إلى حسامه وانتضاه وكشر به الغيظ وهجم على خصمه وضايقه وصاح فيه وزعق وضربه ضربة جبار فقد البيضة والرفادة وأشمت به عشيرته وسحب الحسام فشق جبهته فمال وانصرع فصاح بنو فزارة صياح الفرح ونزل على بنى عبس الحزن وعض الملك قيس على كفه ولحقه الألم وخاف على زائدة من العدم لما رآه وقع فهمت الخيل التى معه أن تحمل وتتبعه فمنعها قيس خوفا وإشفاقا عليها من سيف الحارس أن يفنيها وقال لاخوته والله مايهون على هذا المصاب فلو قتل أخ من أخوتى كان أهون على من هذا الرجل الغريب الذى جاء طلب نصرتنا وحمايتنا وبذل نفسه فى هوانا ولكن مابقى فى هذا الأمر إلا أننا نعانى أمورنا بنفوسنا فبينما الملك قيس مع قومه فى الكلام وإذا بفارس اخترق الأعلام وسلم على الملك قيس وأسفر اللثام وقال للملك قيس أتعرفنى يامالك الزمان فقال لا والله فقال أنا قسورة أخو الحارث الذى أسأتم بعد أحسانكم اليه وافضالكم عليه وقد تعبت أنا مصالله وشؤم فعاله لانه قد عاب نسابنا وحط أحسابنا وأريد منك أن تترك الحملة عليه حتى ابرز اليه لعلى أقتله وأستريح منه ومن فعاله قال الراوى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الغلام قال لمن حوله من الأقوام حق من فى علم الغيب قد احتجب ما سمعنا بأظرف من هذا الحديث ولا أعجب لان الإثنين أخوة من فردام واب وهذا دليل على بقاء الرب القديم رب موسى وإبراهيم وأنا اقسم برب الكعبة الغراء وأبى قيس أن أنعاد هذا الغلام وهو سالم من براز أخيه الحارث بن ظالم لأزوجنه الجمانة وأقاسمه فى نعمتى وأساوبه باخوتى ثم اعرض عليه الخيل والسلاح وآلة الحرب والكفاح فقال له قسورة يامولاى إذا عمر الإنسان مديد مايقطع فيه الحديد فان كانت قد دنت المنية مايزدها التضييد ثم انه برز إلى أخيه وكان الحارث قد طال عليه الوقوف وعول أن يحمل على الصفوف لما علم أن الفرسان عجزوا عنه فتذكر قتل خالد بن جعفر بسيفه فاشار يقول صلوا على طه الرسول .

علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... وهو يفعل المكروه إلا الاكارم
فتكت به لما قتلت لخالد ... وكان سلاحى تحتويه الجماجم

قال الراوى ثم انه عزل على الحملة وإذا بأخيه قسورة حمل وعلى قتاله هول ثم انه ناداه ياحارث ياحارث ياخبيث النبع ماهذا الضلال والبغى على الابطال اعدمت عقلك واغواك جهلك فقال الحارث وقد عرفه ويلك يابن الأم ماهذه الفعال أنا انفذك خلفك لأجل أن تأتى

لخدمتى أنت وفرسان قبيلتى فجئت عن بنى عبس تحامى وأهملت صولتى ومرامى فقال قسوره أى والله يا حارث أن كلام الناس فى عرض الإنسان أشد من ضرب السيف لابد قتلك إلا أن كنت تتبع سنة العرب والاقامة على حفظ الزمام واحترام البيت الحرام فلما سمع ذلك الكلام طار الشرار من عينيه وقال ماهذا الكلام يا نسل الحرام أتريد أن تزيلنى عن سنتى التى أذللت بها ذوى الرتب وتسن سنة غيرها وتظن أنى احترمك من أجل الآباء والأمهات لا وحق إلا السموات ومن علم آدم الأسماء لآجر عنك كاس الممات بسيفى ذى الحيات وأنفرد وحدى فى الفلوات ولا أصحب غير سيفى العظيم الذى يفرج عنى الامور والكربات ولا تقل أن أمك أمى وأباك أبى وأحترمك لأجلهم فهذا شىء لا يكون فقال له قسورة دونك والحرب والصدام فانى ماجئت إلا وقد ودعت الدنيا والأنام حتى يقال هذا أخو الحارث الخائن الذمام ثم أنشد يقول

أيا ابن الأم قد نلت الوجائع ... ومت بغصة ظام وجائع
لأنك غادر ندل خبيث ... ولم نرع الذمام ولا الصنائع
وأنت أخى صحيح الاصل لكن ... تعيرت المشارب والمراضع
فانت أخى ومن أمى وهاقد ... تخالفت الفعال لدى الطبائع
وإنى للأخوة فيك عمرى ... أراعيها وفيك الخير ضائع
فدونك شرب كاسات المنايا ... فخير ذاك من شرب الشنائع

قال الراوى ثم أنه حمل على أخيه والتقد عليهما الغبار وضاقت الأقطار وكار لهما ساعة منكرة أذهلت من الشجاع عقله وبانت لها الأرض ضيقة منحسرة وعقد عليهما القتام والغبار وأيقنا بالهلاك والدمار واستمروا فى إقبال وإدبار إلى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكانت العرب تسميه الهتاك وأخوه قسورة يسمى الفتاك لأن قسورة لما سمع بغدر أخيه ببنى عبس بعد إحسانهم اليه صعب ذلك عليه وأتى إلى بنى فزارة ونزل إلى أخيه وجرى له ماجرى معه من الصدام وتقاتلا حتى أقبل الظلام وقال له الحارث عد إلى الصباح فان طاب لك الموت فانزل إلى الحرب والكفاح فقال قسورة لا وحق من أقداره فى القدم مقدرة مالك للدنيا والآخرة ما بقى بيننا انفصال إلا بالاتصال ثم أنه حمل عليه فتلقاه الحارث وهجم عليه وضربه بسيفه ذى الحيات على هامته فرمى رأسه عن جثته وعاد ولبس حلة السواد وقد تعجب القبائل من قساوة قلبه وغاب الملك قيس عن الدنيا من شدة ماجرى عليه وحار فى قصته واشتدت المذاهب فى وجهه وقال والله لئن لم يدركنا عنتر ويكفينا

لأمر هذا الشيطان إلا هجج قومنا وشتتهم في القيعان قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه لما سار خلف النساء ومعه العشر فوارس الأقيال وقد فارقوا بنى عبس نصف النهار فساروا ذلك اليوم وتلك الليلة إلى وقت السحر ونزلوا عند الصباح فادركوا الملك الأسود والفرسان الذين معه وقد ذكرنا أنهم كانوا أربعين فارسا فاشرف عليهم عنتر عند الصباح وقد سمع من المسبيات الصياح فقال ويلكم يا أنذال فاتكم بلوغ المنا فانجوا بأنفسكم من العنافان نجاتكم باروا حكم هى الغنيمة فقد أتاكم من هو بها أحق وأولى فنجوا بأنفسكم فى هذا الفلا ودعو النساء والسبايا قبل أن تبقوا ممددين على الأرض مثل الضحايا ثم حمل عليهم بعد هذا الكلام فلما نظره الفرسان وقع بهم الذل والهوان وسمعت أيضاً صوته النسوان وضجت الاسارى من شدة الافراح حتى قلبت الارض والبطاح فزعق الملك الاسود دونكم وعبد شداد ولد السفاح فانهبوا جسده بالصفاح فقال ملاعب الاسنة يا ملك طيب قلبك فما هو إلا فى نفر قليل ونحن نريك اليوم فيه ما يشفى الغليل ويبرى العليل والرأى توكل بالأسارى من يحفظهم مخافة أن تدخل العبيد تحلهم من الوثاق ويعينون هذا الشيطان على الحرب والطعان لأنا عولنا على قطع شاقته ومن معه الفرسان قال الراوى فلما سمع هذا المقال علم أنه صواب وأخذ معه عشرة من الفرسان الانجاب لحفظ المال والعيال هذا وقد وقع الحرب والقتال فلما تنظر شيبوب إلى هذه الحال ترك أخاه عنتر وابن أخته الهطال وأخذ فى عرض البر يطلب السبى والعيال حتى وصل اليهم ودخل بين المحامل ولم يزل يتفقدهم فارسا بعد فارس ويحل وثاقهم وقد عرفه القوم واستبشروا بقدومه حين حل جميع الأسارى وكانت العشرة فرسان الموكلة بالسبى لما نظرت إلى عنتر بن شداد وقد حمل هو وأصحابه اجتمعوا ينظروا بما يعمل ولم يعلموا أن البلاء عليهم قد نزل ولم يشعروا إلا وسادات بنى عبس قد حكموا فيهم لقواضب وداروا بهم من كل جانب ووضعوا السيف فيهم وقتل منهم أربع فرسان وجرح أكثرهم وعلا من النساء الصياح وعقدت أصواتهم بالأفراح وكان الحارث قد حله شيبوب من الاعتقال وعاد يطلب عنتر وأصحابه فوجده عنتر قد بذل يده فى الأنذال يسقاهم كؤس الردا وصاح على أصحابه وناداهم وقال يا بنى عمى كل من ظفر منكم بواحد من الأسارى لا يقتله بل يخفيه فى القيود وأبذلوا السيف فى الباقين حتى تقع هيبتكم فى قلوب هؤلاء الأنذال وينقطع طمعهم من المال والعيال ثم حمل عليهم فقتل فى حملته منهم ثلاث فوارس فلما نظر ملاعب الأسنة ورآه لا يبقى على أحد وقد اشتد به الفزع وزاد به

والهلع وخاف على نفسه من عنتر بن شداد أن يقتله فعاد من فزعه يصيح على أصحابه ويحرضهم على قتاله وكذلك فعل اللقيط بن زرارة ودار القتال بين الأبطال والتقى الحارث بن زهير بعنتر وهناه بالسلامة وقاتل معه ساعة أشد قتال إلى أن تباحى النهار ومالت الشمس إلى مغربها فساقهم عنتر قدامه سوق الغنم وجندل منهم خمس فوارس على أديم فلما علم ملاعب الأسنة ما تم على الأسرى من إطلاقهم وأسر أصحابه ورفقائه علم أنه توانى عن الفرسان أبادهم عنتر في ساحة الميدان فقال اللقيط ماهذا ياسيدى بنى عامر تخلى رجالنا لسيف هذا العبد ولد الزنا هذا فعل الكرام بل الرأى أننا نحمل عليهم ونلتقم منه فان ظفرنا به كان لنا المنزلة العظيمة عند الملك الأسود ثم أنهم مدوا اليه الأسنة وأطلقوا نحوه الأعنة ومالوا اليه وإذا بالسبى قد أقبل وأصحابه ينادون من شدة الفرح لا تناذكرنا أن شيبوب أطلق الحارث بن زهير والأسارى من الوثاق وأمرهم بالقتال للذين كانوا حارسين لهم وللمال ولما أبصر الملك الأسود ذلك الحفل ازعج غاية الإزعاج ونادى فى أصحابه النجاة النجاة يا أبناء الغفلات وإلا إن وقعنا فى يد هذا العبد أحل بنا الموت وإذا قلنا المرارات ثم أطلق عنان جواده وطلب أرض العراق وتفرقت الفرسان الذين كانت معه فى الآفاق وكان الحارث بن زهير راكباً جواد أصيل ومعتد بعدة جلاد جليل قال الراوى فلما رأى الأسود انهزم ركب الجواد وراءه معه لجماعة من بنى عبس ولما رأى شيبوب ذلك رمى قوسه وكنانته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ فى يده سيفاً مجوهراً من سيوف القتلى وجد خلف الأسود فى تلك الفلا وهو يقول وحق من أرسى الجبال والفضا لا بد أن أحكم فيه هذا السيف المنتضى وأبلغ منه ما أعرفه أنا هذا وقد تخلص باقى الأسارى وقد ملكوا أنفسهم ومالوا نحو عنتر سربا سربا وأبصر اللقيط بن زرارة وملاعب الأسنة الجمع الذى كان مع السبى قد جفل فتقطعت ظهورهم وحل بهم الخيل وكل منهم صار بعده من الخوف والوجل من أبى الفوارس عنتر فما صدقوا أن الظلام قد اعتكر حتى تفرق كل منهم فى طريق وعدموا السعادة والتوفيق وأخذ كل واحد منهم جواده وارتحل وهو كثير الهم والزفير وما نجا منهم إلا من كان فى أجله تأخير والباقى نهبوا أرواحهم بأطراف الأسل وفرقهم الموت المعجل قال الراوى فلما خلى بال عنتر البطل الهمام من اللئام عاد إلى السبى واجتمع بعبله فرآها تضحك من شدة الفرح وقد ذهبت عنها الحزن والترح فطيب قلبها وسكن روعها وقال لها يا ابنة العم لو ملكت عنان البحر ما كانت هذه التعاسير ولا كنت أمهت لاحد من هؤلاء المدامير ولا أسمع كلام مشير ثم سأل عن أخيه شيبوب فاخبره العبيد أنه ساق

هو والحارث بن زهير خلف الملك الأسود فى جماعة من الفرسان فلما أن سمع عنتر هذا الخبر عن أخيه شيبوب والحارث وخاف عليهما من الهلاك وكان جواده الابجر قد بات تعبان من كثرة ما قاتل عليه الفرسان فتركه وركب غيره وركض على أثرهم ومعه جماعة من أصحابه إلا أنه ما بعد فى البر الا قفر حتى تذكر ما جرى عليه من الحرب المنكر فأشار ينشد ويقول

كم عرانى الدهر من كل خطب ... أنشبت النار فى فؤادى وقلبى
وتوالت حوادث فى فؤادى ... أرعبت صاح كل قرن بضرب
كل يوم مصائب من أناس ... أخلفوا عهدهم برور وكذب
لا يراعون صاحباً وصديقاً ... لاولا ينفعون فى وقت كرب
منهمو ابن ظالم وظلوم ... قد تناهى فى القبح من غير ذنب
وأنا قد أجرت من جاء يرجو ... قتلنى مع وقوعة وسط خطب
لم أكن عن الكل بل سرت وحدى ... لهم بقومى وصحبى
كم رمينا لأسود بالرزايا ... فى مقام الاذلال مع كهل نهب
ثم شتت عامر مع لقيط ... ثم جراح صار فى وسط غلب
هل شهدت ياعبلة ليث قتال ... يترك القرن فى الفيافى مسبى
وأنا عنتر الهمام المرحى ... فى حروبى لكل رمح وعضب

قال الراوى فلما سمع الأبطال شعره مدحوه وعلى فعاله شكوره ثم ان عنترا ومن معه افترقوا على أثر فرسانهم إلا أن ما قطعوا من الليل الا القليل حتى التقوا بالقوم والملك الأسود معهم أسير مشدود على بعض الخيل وشيبوب يقود الجواد والحارث بن زهير حوله فنادا عنتر وقال ويلك ما فعلت فقال يامولاى أخذنا الملك الأسود فقال له كيف صنعت فقال له إنى قطعت الخيل فى طلبه حتى أدركته وضربت قوائم جواده بهذا الحسام عرقبته فوقع على الأرض فركبت صدره وكتفته ولو تعاصى على كنت قتلته وعدنا سالمين كما ترى فأنت ما الذى جرى لك مع القوم فى هذا اليوم فقال عنتر بددت شملهم ولا نجا منهم بطل إلا وهو مثخن بالجراح ثم أنهم عادوا إلى الحريم فى تلك البطاح وتباشروا بالنصر والفلاح وأقاموا يريدون الراحة فى ذلك المكان وعنتر قد وكل بالملك الأسود جماعة من العبيد فقال الملك الأسود ويلك ياعنتر ما الذى فى اعتقالى من الفايدة أطلقنى فى هذه النوبه واتخذنى لك معينا أو صديق فقال له عنتر يامالك هذا بعقلك تقول كيف أطلقك واخليك جمع سالما وتجمع على الفرسان فقال له الاسود اسمع يافارس العرب وحق ذمة العرب

عمرى لا أقرب أرضا أنت فيها فقال عنتر يا ملك على كل حال أنا عبد لا أقدر أن أفعل شيئا إلا بأمر مولاى الملك قيس وبعد ذلك أريد أن تخبرنى عن الجاث بن ظالم فى أى مكان تاه لأنى ما أراه فى جملة الفرسان فقال له الأسود إن الحارث فارقنا وسار إلى بنى فزارة ليحميهم من سيفك وبنى عمك بعد ذلك فما سمعت له خبر فلما سمع عنتر ذلك المقال من الملك الأسود فزع على بنى عبس وقال فى نفسه إن وصل الحارث إلى بنى فزارة لا بد أن يبطش فى قومى وعشيرتى وربما يكون خلص حذيفة وإخوته وظهر على قومنا بسوئه ودهيته وفتك فيهم بسطوته لأنى أعلم علما يقينا أنه لم يكن هناك بطل يقوم مقامة وما صلى عنتر بالصباح حتى رحل بالناس ثم جد فى المسير حتى قارب الأطان وأمن على السبى من طوارق الزمان وبات عندهم إلى وقت السحر وسار معرجا على بنى فزارة بعدما أطفأ ناره بنظر عبلة ثم جعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ودعت من أودعنى فراقها ... نار اجـــل فعلها أحراقها
رحلت عنها فؤادى عندها ... موثوقها فى حفظهم ميثاقها

كم أطلقت سراحـــة منعما بتركه مـــأسورة أطلاقها
ياعبلة لو كان الفراق صورة تنظرنى ما عملت لساقها
ونائبات الدهر لو كان لها صوارم ما هالنى إبراقها
يا عبلة أن زعقت غربان الفلا مائلة قـــد هدنى إنعاقها
خلقت للحرب العول نقمة إذا الجبال أصطدمت عتاقها
وأسود ضوء الجو من غبارها وغاب شمس الضحى إشراقها
وأختلفت الطعن باطراف العنا وصار فى طى الحشا أطراقها
والمرهفات فى يدى تروى دما إذا أشتكت كرب الظما رقاقها
ما ثار فى جو السماء غمامة إلا انجلى بصارمى أعباقها
وما حضرت الحرب فى كريهة إلا أسلت بالدما آماقها
تنظرنى الفرسان فى يوم الرغا باعين شاخصة أحداقها
وتنثنى وخوفها يخبرها أن حسامى غمده أعناقها
تعيب لونى بالسواد فتية أقل مافى قولها أنفاقها

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الأبيات وأصحابه يطربون من حسن ألفاظه ويتعجبون من صبره على البلوى ثم جد المسير إلى أن وصل إلى بنى عبس فوجدوا الصياح عالى والغبار نامى وبنى فزاره قد اوت عليهم من كل جانب لأن العرب التى كانت بها حذيفة وصلت وفى قيس وعشيرته طمعت وكان الحارث فى تلك الساعة مبارز الشداد بن قراد الأبو عنتر وقد جرحة لانه أستطال عليه فى ذلك اليوم بزرد سليمانية كملت كل المعانى وعلى رأسه بيضة كسروية وهو متقلد بسيفه ذى الحيات الكامل الصفات وكان لا يحمله إلا عند الملمات وعلى رأسه عمامه حمراء كانها شقايق النعمان مفروز حتى تعلم الناس أنه الفارس المعلم وتحته جواد أدهم تربية أهل الكرم فخرج اليه شداد وهو يعنه على فعاله فلم يلتفت إلى مقاله بل أنهما حمل على بعضهما بعض وتقلا تلاعلى جيادا الخيل إلى نصف النهار وجرحه الحارث جرحا وثيقا أشرف منه على الدمار وقال الراوى فلما سمع الملك قيس إلى ماتم على شداد علم أن عيشته مع الحارث تنغصت فساق جواده إلى جواد الربيع وقال له نرسل إلى حذيفة ونصالحه فقال الربيع الرأى ماتراه وإذا بعنتر قد أسرف عليهم ومعه تلك الفرسان فلما رآه بنو عبس أرتفع صياحهم وتقطعت ظهور أعدائهم بعدما كانوا أنتصروا عليهم وقوموا الاسنة واشرفوا على أحذهم هذا وقيس قد تلقاه ودعاله بطول بقاه لان وصوله

البهم كان مثل وصول الطبيب إلى العليل أو الحق إذا ظهر الأباطيل واستخبره عن المال والعيال فقال سيرته إلى الديار والأطلال مع الاسارى والرجال وأنتم يا ملك ما الذى جرى عليكم من الحارث فانى سمعت أنه طلب لبنى فزارة فحدثه قيس بجميع ماجرى وكيف قتل أخاه وقال يا أبا الفوارس وهو قد جرح أباك شداد وجرح جماعة كثيرة من الأجواد ثم بكى من خوف الغلبة وانحطاط الرتبة قال الراوى فلما سمع عنتر هذا المقال قال يا ملك لو كنت أنت صالحت فما كنت رضيت أنا بعد هجومه عليك وأشرك وجرح أبى شداد وقتل من ذكرت من الأجواد فبينما هم فى الكلام وإذا بشداد عائد من الميدان مجروح وصياح بنى فزارة عليه قد علا وبما زاد بعنتر البلا واسودت فى عينيه أقطار الفلا وترك أبناءه يسدون جراحه وبرز إلى الحارث فنظره فرحا فى قتاله وعول بحملته على أعلا قيس لأجل الطمع الذى فيهم قد وقع فصاح عنتر عليه ويلك يا ابن الاندال تمهل ولا تعجل فقد دنا منك الأجل فما أسرع ما نسيت الجميل وما أعجل ما خطرت بالخيل ذليل ما فيك مروءة ولا مقبل والله لأقتلنك وأقابلك على غدرك وأتركك تتحسر على ما فات من عمرك وكان الحارث بن ظالم قد نظر إلى بنى عبس مالت إلى عنتر وهى تسلم عليه فبقى بين المصدق والمكذب فى وصوله إلى أن رآه قد طلبه وخاطبه بما خاطبه ، بان له الحق عند نظرى فتغيرت أحواله وزادت أهواله وعاد إلى غدره ومحاله وناداه أهلا يا أبا الفوارس والله لقد قلت اضعاف ماقلت وأنا مقصر باليت الأقطار ويا مشبع الأطيار وإننى والله مستحق أكثر مما قلته لانى ما خليت لى عندك وجها وعلى أننى وحق من خلق الأشياء وأوجدها من عدم لقد ندمت على ما فعلت غاية الندم والذى يعرف قصتى يعذرنى من وجوه عديدة وأنت أخبر بحالى فانى رأيت تويتنى مع النعمان قد انصلحت وبخاتنى قد أمنت ففعلت ما فعلت وأطلقت الملك ومن كان معه من الفرسان وظننى أن أحوالكم تنصلح مع النعمان قلت إننى أخفف عنهم فجاءنى الأمر بخلاف ما أردت ولما أطلقت الاسارى طلبونى فلولا أنى كنت هربت منهم كانوا قتلونى والسبب فى ذلك أننا لما أخذنا مالكم وعيالكم وقع بيننا هذا المقال وقلت أنى أخلى القوم حتى يرقدوا وأقوم اليهم وأضع السيف فيهم وأخلص مالكم وعيالكم فعلم القوم ما فى نيتى ولم تخف عليهم حيلتى فأبعدونى وما كان لى وجه أعود به اليكم فقلت أرجع إلى بنى فزارة وأقاتل معهم وأقيم بينهم إلى أن يصل الملك الأسود إلى أخيه النعمان ويأخذ لى منه الامان والذمام والاحسان وخاب ظنى الآن قد فات ما فات وأنا واقف على قدم الاعتذار إليك لانى

لأعلم أنى لا أقدر ولا أنا ممن يهرب من بين يديك ومالى عذر بقبل عندك ولا بدلى من أن أبذل جهدى معك أدافع عن نفسى حتى تكل سواعدى وزندى أقع بعد ذلك تحت حوافر جوادى ولا أعيش ذليلا ولكن أخبرنى عما جرى لك مع الملك الأسود الأبطال الذين كانوا فى الاعتقال فقال عنتر وقد تعجب من حدث الحارث أما الأسود فانه عاد فى الاعتقال وأما أصحابه فمنهم جماعة قتلوا وجماعة أسروا ولولا ظلام الليل سترهم كنت أفنيتهم ومارجعت إلى ههنا حتى تخلصت ما كان معهم من الأموال والعيال وسيرل الكل إلى الأوطان (قال الراوى) فلما سمع الحارث من عنتر هذا المقال أظهر الفرح وقال لله درك يافارس البيت الحرام وإنى على فراقك ندمان فهل لك أن تصطنعنى فى هذه المرة حتى أكون لك عبدا على طول الزمن فقال عنتر ويلك مابقيت أأمن اليك ولا أصدقك فى مقالك والأيمان والله لو عرفت أن فيك موضعا للصنيعة لاصطنعتك فقال الحارث أنت تعلم يافارس بنى عبس أن سيفى ذا الحيات أعز عندى من البيت الحرام وإنى إذا فقدته أبقى كالحرمه تخذه منى وأعف عنى فى هذه المرة وإن عدت غدرت فتكون أمى وزانية ثم اغمد سيفه ذا الحيات وتقدم لاجل أن يسلمه اليه وعنتر قد حار من مقاله واستحى من ذله وسؤاله ومابقى له يد تمد اليه بل رد سيفه عليه وقال ياحارث أما أنا فقد امنت من جانبى وأما قيس فانه يريد هلاكك وسآخذ لك منه الأمان فسر قدامى فعندها سار الحارث بين يديه وحذيفة يناديه ياحارث هل فزعت من قتال هذا العدو الانذال واتفقت معه بلا قتال فضحك الحارث من هذا المقال والتفت إلى عنتر وقال واحرباه يا أبا الفوارس والله أن معيرة العرب لى وقولهم انك غدار أشد على من الضرب بالسيف البتار والله لا أحضر قدام قيس حتى أبيض وجهى عنده بأسر حذيفة أو قتلة ثم فرك برأس جواده وجذب سيفه ذا الحيات كالبرق وضرب عنتر فى وسط رأسه ضربة قصد بها قتله وهلاكه وكان على رأس عنتر ذلك اليوم بيضة كروية قد خلص بها من الاهوال لانها كانت من خزائن الملك كسرى فقطعها سيف الحارث وقطع البطانة والرقادة والوطاء ونزل فى رأسه شق جبهته وأسال دمه على لحيته ولو لم يكن الحارث فزعان مخبل لقتل عنتر ولما ظهر له ترك الحق من المحال ونظر فعاله خاف أن يرد عليه ضربة ثانية فيه تله فأظهر الجلد وصاح على الحارث ومد اليه الرمح وأوهمه أن يطعنه فهرب من بين يديه وطلب بنى فزارة وقال النهار قد ولى والليل قد اقبل وقد قال عنتر ايضا مال طالبا بنى عبس وهو يتمايل على ظهر الجواد من

شدة الغيظ والحنق وقوة الضربة والدماء تنحدر على وجهه وكانت بنو عبس قد نظروا ماجرى عليه فحمل هما عظيما فعند ذلك استقبلوه ونشفوا دمه وأقبل الملك قيس وأخوته يسألونه عن حاله فحدثهم عن الحارث وفعاله ثم قال والله لا أعود عن أسر بن فزارة وهو يدمدم من شدة الغيظ لأنه قد جرى عليه من الحارث وحذيفه أشد ما جرى من محاله ومقال حذيفة وبات تلك الليلة وهو لا يصدق بالصباح حتى يخرج إلى الحرب والكفاح وباتت بنو فزارة فى أعظم الافراح لان حذيفة تلقاه وشكره على فعالة ثم قال لله وحق اللات والغى والملك الجليل لقد أشفيت الغليل ولو كنت قتلت هذا الشيطان كنت أرحت منه الغربان وعدت ورأسه معك على السنان وكنت بقيت وحدك فريد العصر والزمان فقال الحارث يا أبا حجار لا تذكر هذا الجبار ولا تعده من مثل من الأبطال الأنى بقتال عنترة عارف وماضربته إلا ضربة خائف وأنا خدعته ووقفت بين يديه وما كان قلى يامن اليه لانى ظننت أنه رق لى فى الكلام وأعطانى الذمام حتى صرت قدامه وأنا أقول الساعة يتمكن منى ويضربنى ولما تصور لى هذا التصوير بطشت به قبل أن يبطش بى على أننى ماضربته إلا وقد اعدمته حياته وقربت منه وفاته وهو على كل حال أسد لا يقابل وإن طال ببننا المطال قتلته أو قتلنى قدام الأبطال وما أقول أنه يموت بهذه الضربة وما زالوا كذلك حتى أصبح الصباح الضاحك فعندها تواثبت الابطال إلى صواهلها وحردت صوارمها وشرعت ذوابلها وكأول من

يبرز إلى الميدان فارس الوقت والزمان عنتر بن شداد وهو يصول ويجول وينشد ويقول

قسما بالنقع فى يوم النزال ... والدجا من قسطل فى الحرب عال
لادفعت الحرب عن معركة ... بعضها للبعض فى الميدان عال
مدلهم لا ترى العين به ... ضوء شمس لا ولا نور الهلال
لا هنى العيش يوما وصفا ... لا ولا أمسيت ذا عزم مطال
أن رجعت اليوم فى هذا الوغا ... عن نزال ومجال وقتـــال
دون أن أبقى صريعا فى الوغا ... ثاويا بين أحافف الرمال
أو أخلى الحارث الغدار فى ... مهمة الغـــبراء رزقا للسعال
إننى أنا عنتر فى يوم الوغا ... إننى سم العدا يوم النزال
أركب الأبجر فى هيجانها ... وأخوض الحرب بالبيض الصقال
أغمد الظامى بها مات العدا ... وفعالى فعل فعل أولاد الحلال
فابرزوا نحوى تلاقو بطلا ... يسعر الهيجاء منه باشتعال
كم هام قد غسدا من صارمى ... عافر الخدين فى القفر الخوالى
تنهش الأطيار منه لحمه ... بين طير وذئاب فى الرمال
وإذا ما جاءنى مستصرخا ... قلت لبيك إذا رام سؤال
أبذل المهجة فى حاجته ... وأبلغه ما أنا بفعالى
وأنا عنتر أسمو بابى ... وبأعمامى ولا أسمو بخال

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره تعجب الطوائف من فصاحته وكان على رأسه العقائب والرفايد لأجل الضربه المتقدم ذكرنا وفوق الكل بيضه كسروية ثم نادى يابنى فزارة ابرزوا وإياكم والخداع من المحتال فى مقام الحرب حتى أريه عاقبة محاله ولا يظن الخبيث أن ضربته جلبت لى مضرة وما فعلت ذلك إلا لأجل أنى لا أبقى منكم أحد من بنى عمره وأنا وحق الواحد الاحد قد عولت أن أترك الكل رميم فلما نظرت فزاره إلى صورة عنتر وسمعت منه هذا المقال ساءت بهم الأحوال وتقطعت ظهورهم فى الحال هذا وحذيفة قد طلب الحارث بن ظالم لأجل أن يشاوره فى أمر القتال فقيل له أنه هرب ومعه عشرة فوارس من فتاك العرب وكان الحارث يعلم أن الضربة ما بال بها عنتر وإنه عند الصباح يخرج إلى الميدان ويطلب قتاله بين الفرسان ويحتاج أن يخرج إلى نزاله فصبر إلى أن أختلط الظلام ورقدت الأنام ونشاور مع عشرة من جهال الأبطال وهم يقاربونه فى الحيلة والمحال ثم انه

ساق قطعه جديدة من نوق بنى فزارة وجمالهم وقصد مكة وأما حذيفة فإنه لما طلبه ولم يجده تحير فى أمره وقال لعن الله الحارث ولا سلمه فى طريقه لأنه لا يرعى حق رفيقه وأنا أعلم أنه ما هرب الا فزعا من عنتر لأنه جرحه بالمحال والخداع وهرب خوفا من حربه والفزاع ٥ هذا وعنتر منتظر الحارث متى يبرز اليه ويشفى قلبه بهلاكه لأنه خائف أن يغدر بهم ثم أنه أنفذ إلى عنتر وأعلمه بهذا الحال فقضى عنتر البراز والطعن والجلاد فى صدور السادات بالانجاز وعاد عند المساء وقد حير أفهامهم وزلزل أندامهم ونكس رؤسهم وأعلامهم وباتوا وهم خائفون من عنتر ويحسبون حساب الحارث وما فيهم من وقع له على خبر فقال عنتر بن شداد وحق من أنبع الماء من الصخر الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لا بد أن أنهب أرواح بنى فزارة بأطراف القنا وأبلغ منهم المنا ليظهر للحارث ما أراد من خبثه والعناد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس كلنا نتبعك وإن حملت حملنا معك لأننا اليوم قصرنا وصبرنا احترازا على العشيرة من هذا الشيطان الذى خدعك فقال لهم عنتر وذمة العرب ما أظن الحارث إلا هرب خوفا من العطب لأنه لما علم أنى سالم ما قدر أن يقيم ثم أنهم أقاموا إلى الصباح وركبوا إلى الحرب والكفاح وحملوا على بعضهم البعض والتحم القتال ووقع الطعن بالسمر العوال والسيوف الصقال وقد ألهب عنتر بنى فزارة بالطعان وأسقاهم الحمام ورماهم إلى المضارب والخيام ٥ هذا ولم يزل الحرب بينهم ثلاثة أيام وهم فى طعان يشيب الأطفال قبل العظام إلى أن كان فى اليوم الرابع تفرقت الفرسان الذين كانوا قد اجتمعوا لنصرة حذيفة وما فيهم إلا من طلب أطلاله وفزع من عنتر وقتاله وحربه ونزاله وبعد ذلك ذلت بنو فزارة وفزعت نساؤها والعيال وتعلقوا برؤس الجبال وأخذت بنى عبس أموالهم ونياقهم وجمالهم ودنت بنو عبس إلى مواضعهم وفيها نزلت واحتاطوا ببنى فزارة من جميع المواضع ومسكوا عليهم رؤس المقاطع وحلف عنتر أنه لا يبقى منهم كبير ولا صغيرا ولا ناطقا ولا سامع ودام الأمر كذلك عشرة أيام وضاقت الأرض على بنى فزارة غاية الضيق وتخلى عنهم الصديق والرفيق وصاروا يوقدون فى الليل والنهار على رؤس الجبال ويحرسون أنفسهم بين التلال وفى النهار يترجل حذيفة وأخوته وأبطاله وعشيرته ويمسكون الطرق ويدافعون على أنفسهم بالمشرفيات واليوارق وقد أيقنوا بالبلاء الطارق ومن شدة ما جرى على قلب حذيفة من الهم والضرر جمع اليه قومه فى اليوم الحادى عشر وقال لهم اعلموا يا بنى عمى أن عنتر ما بقى يرحل عنا إلا بالقتل والعناء فقاتلوا الأعداء وأبذلوا الأرواح وبيعوا الأنفس بيع

السماح ولا تختاروا الحياة على الحمام وتخلوا أنفسكم حديثاً بين اللئام ومازال ينخيهم بالمحال حتى هانت عليهم النفوس وتخففوا من الملبوس وركبوا ظهور العربيات والجياد واستولوا قطع الرماح المدادوا نحدروا م رؤس الشعاب والوهاد والحريم خلفهم يعلنون بالبكاء والانتحاب ومعهم العبيد والأنجاب إلى المكان الذى فيه الحرب والجلاد إلا أن الملك قيس نظر إلى بنى فزارة وقد فعلت تلك الفعلة ورأى حذيفة وأخوته منحدرين من الجبال والكل مشكوفون الرؤوس وهم ينادون بالثارات فلما رآهم قيس عرف مقصودهم وعلم أنه قد زادت بهم الحرارة فقال الملك قيس لعنتر ولبنى عبس يا بنى عبس بحق الرب العظيم اقبلوا منى واخرجوا بين أيديهم حتى يطمعوا فيكم ويصيروا معنا فى الصحراء ثم نعود عليهم فنبلغ منهم المنا ونتهب أرواحهم بالصوارم والقنا ثم أنه لوى عنان جواده وعاد وتبعه عنتر بن شداد ونظرت بقية الفرسان إلى الأعلام وقد مالت فلوت رؤس خيلها ورجعت (قال الراوى) فعندها فرحت بذلك بنو فزارة وطمعت وعلت أصواتها وارتفعت وركضت خيلها فى البرقى أثر بنى عبس وطلع الغبار حتى حجب شعاع الشمس وتقاتلوا على وجه الأرض وماجوا فى طولها والعرض ونادى حذيفة يا بنى على ابذلوا الصوارم فى العدا ولا تبقوا منهم أحدوهنالك عادت بنو عبس وملكها قيس وحاميتها عنتر وخلفه الفرسان الأجواد ثم تبادوا بالآباء والأجداد ووقع الاتصال بعد الانفصال وتصادمت الرجال وجاء الحق وزهق المحال وقربت الرجال وقصرت الآجال الطوال وضاق وهنالك المحال وقل القيل والقال وتكردست الصافنات الاصائل وصاب الفارس العود وشلت اليمين والشمال وسدت المذاهب فلم تعرف السهول من الجبال وارتفع الغبار كالليال وشمرت الحرب عن ساق وسربال وصال الشجاع فى سرجه ومال وأيقن الجنان بالموت والخيال وجرى الدم وسال وشابت من هول ذلك اليوم ذوائب الأطفال فبينما هم كذلك واذا بغبرة مثل الغمام قد ملأت الربا والآكام فوقف الفريقان وكفوا أيديهما عن القتال وهم يظنون أنها غبرة الحارث بن ظالم عاد ومعه جماعة من أهل العناد والمظالم هذا وقد دام الغبار ساعة من النهار وانكشف للابصار وظهر من تحته قبيلة حجازية كأنها مر شدة مسير نجوم مضيئة وفرسان مكية وعليهم الأبزادا لتمانية وعلى رؤسهم عمائم خز كوفيه وهم مقبلون إقبال الاسود الجربئة متقلدين صوارم هندية معتقلين برماح خطية ولهم وجوة كلها كواكب درية وحولهم عبيد بأيديهم حراب يمنية كأنها الاسود الجرية إلى أن قربوا من الصفين وصاحوا يا للعرب اغمدوا سيوف العطب عن العمم فقد أزعجتم

سادات الحرم وهذا سيد الحطيم وزمزم عبد المطلب بن هاشم فامهلوا بعضكم واسمعوا مايقول ولا تعصوا له أمرا فانه بالأمور أدرى قال الراوى فلما سمع الفريقين هذا المقال بعد بعضهم عن بعض وعفوا عن القتال فوقف الأبطا من هيبته وعلو مرتبته فتقدم عبد الملك وشملته الهيبة والوقار ولمعت بين عينيه الأنوار وكان عن يمينه ولده عبدالله والدسيدنا محمد ﷺ وعن شماله أبو طالب والدسيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ثم أنه طلع على أعلى الربا ونادى بصوت يسمعه الأقصى والأدنى وكان أول كلام ذكر رب الأرض والسماء وقال الحمد لرب زمزم ومنى وخالق جبل قيس وحرا المستوجب الحمد والثنا قهر العباد بالموت والفنا وتفرد بالدوام والبقاء وتنزه عن البنات والأبناء وتعالى عن الصفات والحركات والسكنى ثم حمى فى الكلام وأسفر عن وجهه اللثام وترك فاضل عمامته على كتفيه وأومأ إلى القبائل بيديه وصاح بصوته وقال يابنى عدنان ماسكم أشملتم بأرواحكم الأعداء وعدلتم عن طريق الاستواء وأصبحتم فى وسط هذا البر والفلا فما هذه المصايب التى قد اختلست عقولكم وأخذت البابكم وأزالت عن طريق الحق والصواب أقدامكم يافوم احفظوا الأرواح فلعل أن يعقب فسادكم صلاح ولا تختاروا الفنا على البقاء ولا تبذلوا أوقات النعيم ولا سيما هذه أوقات ظهور سيد السادات وصفوة الأنام وبدر التمام ومصباح الظلام فكانكم وقد استقام وطلعت الشمس شريعة على طريق الارشاد والايمان وعبادة مكون الأكوان وخالق الإنس والجان العظيم السلطان الذى ما لعرشه أركان وحد ولا مكان ولا دعايم ولا حيطان فتبارك الله الرحمن الرحيم فاستيقظوا لأرواحكم يابنى عدنان فلعلكم أن تدركو ذلك الزمان وتقاتلوا بين يديه الشر والعدوان وأجتنبوا الغدر يابنى بدر واحملوا كالى جيرانكم إذا هم جهوا وإن جاروا عليكم فاعدلوا ولغير قارسكم وابن عمكم لاتستبدلوا فان منازل العلا إلا بالاحتمال ودرج الفجر لاترتقى إلا بالصبر على الشقاء ومازال عبد المطلب يصيح فساد القلوب بكلامه حتى ترجلت سادات القبيلتين بين يديه وكان أول من بادر اليه من الأمرا حذيفة بن بدر وهو لايصدق بصلاح الحال لانه أشرف على الهلاك والوبال فارخى عمامته على منا كبه ثم بكى وبكت اخوته ومافيهم إلا من شكى حاله ومن قتل من أبطاله وتقدم بعده الملك قيس بن زهير وحيا الشيخ عبد المطلب وقال له بعد مادعا له واثنى عليه ياسيد الحرم وصاحب الحطيم وزمزم العظيم من نسل معد بن عدنان لانسمع لهذا الضلال مقال فان مصائبه

ودواهيه لانستقال ثم شرح له قتل الأطفال وكيف تركهم عدفا للقتال وسبي النساء والعيال فقال عبد المطلب يا قيس أما أنا فقد سمعت الحديث عنكم في البيت الحرام من الأول إلى الآخر على الكمال والتمام ولأجل ذلك أتيت بهؤلاء الرجال لأني تأسفت على فرسانكم كيف تلفت أرواحهم وهم أركان معدو عدنان وأنتم سادات الزمان والآن مضى ما مضى وفات هذا الأمر وانقضى لأن الآجال مافيها احتيال. والأعمار لها حدود واجال والصواب عندي أنكم تحقنون دم من بقي منكم في قيد الحياة. تأسفوا على من مضى وقد أمسى طريحا في البيداء والفلا وخلف أولاده ونساه ولا تركبوا طريق اللجاج شمت بكم القريب والبعيد وتبدلوا أولادكم عبيد ثم أنه دعاهم إلى الصلح فاجابوه وأقروا باجمعهم بذنبهم واعترفوا بذلك وتحالفوا وتعاهدوا على يد الشيخ عبد المطلب بانهم لا يعودون إلى الحرب ولا قتال وأطلقوا ما كان عندهم من الأسارى وفرح بذلك جميع النساء والأمارى ثم أمر حذيفة عبيده أن يطفوا الارض من جيف القتلى ويخوفوهم تحت أطباق الثرى وضربت الخيام ونصبت الصناجق المطابخ والاعلام وفي دون ساعة قدم الطعام ونزل عبد المطلب وأولاده ومشايخ البيت الحرام واجتمعت سادات القبيلين وأبطال الحلتين وأكلوا حتى امتلئوا وبعد الطعام قدموا كاسات المدام ودارت على الجميع الاقداح وتبدات أحزان أفراح ثم قضوا بنوا فزارة وقتهم مع عبد المطلب بن هاشم وأولاده وجماعته الاكارم في أكل طعام وشرب مدام مدة ثلاثة أيام يتمنى الانسان أن يراها في المنام وبعد ذلك إلى منادمه عنتر لاية رآه فصبح اللسان عارفا بلغات العربان فاخذ معه مناشدة أشعار فصحاء الزمان قال الراوي فلما رآه الشيخ عبد المطلب يطيب الاخلاق على المدام جيد الحديث لذيذ الكلام وكان سمع صفات شجاعته في البيت الحرام واجتمع به ورآه فوق الابصار هنالك يتكلم فيه عدوه بما يليق فيناه عن ذلك ويقول له لا تتحدث فيمن كان أفضل من البخيل اللئيم ولما انقضت ولائم بني فزاره وأراد عبد المطلب الانصراف حلف عليه الملك قيس بن زهير أن يزوره في اطلاله ليبالغ في اكرامه وأجلاله حتى تنال عبس من كرامات أقدامه فاجاب إلى ذلك وأخذ معه حذيفة بن بدر وأمر بني فزارة بالرحيل إلى أطلالهم وكان عبد المطلب طيب الاخلاق طاهر الاعراق فلما رآه الملك قيس قد أجاب فرح فرحا شديدا تام وأمر اخواته بالمسير قدام وأن ينحروا الاغنام وكذلك الفصلان ويصنعوا وليمة عظيمة لاهل البيت والحرم وأحضرت الكاسات ورقوا الخمر الصافي وانغمس

القوم فى بحار الطرب والصفا وماج البر بالصباح وراق لهم الزمان وصفا وزال من بينهم الجفا وسأل حذيفة بن بدر الملك قيس فى خلاص الملك الأسود فاجابه إلى ما سال واستشار عبد المطلب فى أمره فقال له الصواب أن تحل عقاله وتحضره حتى نصلح بينكم وبينه واتركوه يكون هو الرسول إلى أخيه الملك النعمان فى اصلاح هذا الشان لانه الملك النعمان على كل حال ملك من ملوك الزمان وله الحكم على سائر العربان وأن الرب الكريم ما جعل أحدا ملكا أو سلطان الا وجعل فيه سرا لا يقف إليه أنسان ولو لم تكن الكفاية من رب السماء والأرض ما ارتفعت منازل بعضنا على بعض على اننا كلنا من أولاد آدم وحواء قال الراوى فلما سمع حذيفة وقيس إلى قوله انفذ قيس جماعة عن أصحابه وخواصه إلى الملك الأسود فحلوه من عقاله وخلعوا عليه الخلع التى تصلح لامثاله واركبوه جوادا سابقا وأتوا به إلى المجلس فلما رأوه مقبلا قاموا له إجلال لقدره والقوه بالرحب والسعة والكرا ودواعتذروا اليه من كل ما جرى عليه وأخذه عبد المطلب إلى جانبه وهناه بالسلامة وأكرمه غاية الكرم وأحضر له الطعام والمدام فاكل حتى أكتفى وشرب حتى امتلا وتجاوبا فى كلام والملام وكان آخر ما قال الشيخ عبد المطلب أعلم أيها الملك أن هذا الخلق ما خلقه رب السماء سدا ولا بد للعبد أن يجازى على الظلم والاعتدا وأخوك اليوم ملك العرب وملك العراق وهو نائب كسرى أبو شروان والأمور بها تقام لانه اسان الملك وسيفه ويجب عليه أن تصلح فساد الخلق والقبائل ولا يفعل فعال الجاهل فيكون الرب له عن الظلم سائل وقد رأيت من الصواب أنك تعود إلى حضرة أخيك الملك وتنهاه عن البغى والعدوان وتشير عليه أنه لا يقطع ما بينه وبين بنى عبس من النسب المصان قال الراوى فعندها قال قيس للملك الاسود أيها السيد كل هذه الحوادث كانت لأجل الحارث ولآن انفصل الأمر والحارث هرب من هذه الديار وأنا أحمل أخى أن يكف شره عن هؤلاء القوم ولملا مسامعه عتابا ولوم ولا أدع إلا من ياتى باصلاح ثم شربوا حتى سكر كل واحد منهم وانتشى إلى كملت أيام الضيافة والصفا فطلب عبد المطلب العودة إلى البيت الحرام وزمزم والمقام فاجابوه إلى ذلك وأراد الملك قيس أن يخلع عليه وعلى من معه من أبطاله ويقود الجنائب بين يديه ورجاله ويتقرب اليه بالتحف والمال فلم يقبل عبد المطلب ذلك السؤال ولم يأخذ منهم هديه ولم يقبل من القوم جملا ولا عطية ثم قال أعلم يا قيس انى ما أتيت اليكم فى طلب الاموال وانما أتيت فى إصلاح الحال وحقن دماء الأبطال وأمن قلوب النساء والرجال والعيال وكل من كان يعلم أن خير المنايا خلفة تسير يقنع من دنياه باليسير ثم أنهم

بالمسير وتحركت معه للوادع سادات بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وسار معهم الملك الأسود قليلا ثم سار طالبا أرض العراق وأما عبد المطلب فانه صار ذلك اليوم ومعه سادات القبيلتين فلما كان صبيحة اليوم الثانى جمع بين قيس وبين حذيفة بن بدر وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالصلح وأشهد عليهم مشايخ القبيلتين وسار يقطع البيداء وعاد كل واحد منهم يطلب دياره حتى وصل اليها وقر قراره وعنتر بن شداد رجع وفى قلبه لهيب النار على الحارث ابن طالم لاجل ذلك الجرح الذى جرحه له بين العالم ربى يترقب أخباره ويسأل كل من يراه عن آثاره قال الراوى فهذا ما كان من عنتر بن شداد وأما ما كان من الحارث فانه لما هرب تلك الليلة المذكورة فلم يجد له ملجأ إلا مكة والبيت الحرام لأن فيها يامن كل خائف ومضام وأنه سار حتى دخلها ليلا وامن على نفسه وأطمأن على روحه ثم أنه انتسب إلى مرة بن لؤى بن فهر بن مالك وعلم أنه أخطأ أولا بنزوله على بنى عبس فانشد يقول صلوطه الرسول

أعادر ربعنا من بعد سلمى ... ومسكها من الدنيا ثيابا وقطع هجرها قلبى وأنى
لجئت بخالد حقا كلابا ... أن الاخوصين تو ليا هما وقد غضبا على وما أصابا
هما قومى بثعلبة بن سعد ... وليس فزارة للسعد آبا فومى أن ساقت بنى لؤى
وكان التاج مقصورة عليهم ... إذ وردوا والفاهم عقابا فلا والله لم أكسب أثاما
ولا والله لم أهتك حجابا ... أقيما للسكينة ثم كل يوم صدور السمهرية والحرابا

(قال الراوى) وأما الحارث فى مكة وأما عنتر بن شداد فانه كما ذكرنا فلم يسأل عنه وعن أخباره ففى يوم من بعض الأيام مر به رجل من مكة وكان مرزها بنى عبس وما كان ينقطع عن البيت الحرام وهو منعكف على عبادة الأصنام فسأله عنتر على الحارث بن ظالم فقال يا حامية عبس رأيته فى الحرام مقيم وهو يأكل ويشرب وينهب من أموال العرب وفى قلبه منك نار تلتهب ولكن يا الفوارس رأيت منه مالم أره من الأمم ولا ممن مضى وتقدم فقال له عنتر وما الذى رأيت منه أخبرنى به والله الأبيت يا بن العم أنه كان فى بعض الأوقات يمشى حول البيت الحرام وعلى كتفه ذو الحيات فنظر اليه رجل يقال عمرو بن الأطنابه الخزرجى وهو معجب بنفسه فسأل عنه فقيل له الحارث بن ظالم فقال اليثربى هذا الحارث بن ظالم هذا الذى قتل خالد بن جعفر فلما سمع مقاله التفت اليه مغضبا ثم قال يا وجه العرب لك من الفرسان فقال الرجل أنا عمرو بن الأطنابه ويثرب بلدى ما الذى تريد يسوؤك منى يا مسكين فقال إنك عيرتنى بقتل خالد أن لقيتنى يا حارث لقيت المنايا خطه

وبقيت الوحش والطير رزقائم لوى عنان جواده مغضبا واستقبل الحارث وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

علانى بـــذلتى ياأخيـا ... وأسقيانى من المـــدامة ريا
واسمعان القيان يعزفن بالدفو ... ف لقينـــا وعيشان رخيـا
حين يجلين عنـــدنا كل بـــدر ... وعريسا جمـــاله فارسيـا
بسموط المرجان حقا وبالدر ... فيا حسن جليهن حليـــا
ينايلن فى الحـــرير ويحشين ... داخل الشعر صاح مسكا ذكيا
أنا من معشر ولاخـــر ينظمن ... بتيجانهن نخـــرا جليـــا
فسب مشرق على آل قحطان ... صـــاه مشعشعا خزرجيا
فارس طائع له الرمح والسيف ... إذا كانت الرماح عصيا
ومعينى وصاحبى فى الرزايا ... صارم قـــد الفته مشرفيا
بلغ الحارث بن ظالم بالوعـــد ... وبالقرن بالجنان جريا
انما يقتل النيام ولا يقتل ... يقظان إذا سلاح كميا
أى شىء فعلت حتى ترى ... العجب طباعا قد جئت شيئا فريا

(قال الراوى) ثم أنهما افترقا والحارث بن ظالم يغلى صدره حقدا ولم يقدر أن يمد يده اليه بسوء أبدا لاجل الموسم والحرم ثم ترك عليه الارصاد حتى خرج من مكة وإلى يثرب عاد فتبعه إلى أن وصل عمرو إلى منزله وصبر إلى أن انسدل الظلام فاتى وقرع عليه الباب فأشرف عمرو عليه وقال من بالباب فقال رجل مستصرخ بك فقال أجرتك وذمة العرب فقال أن كنت أجرتنى فلا تخرج الا وأنت غائص فى شكتك محترز بلامتك وعجل فانك أن تراتيت فات الأمر ونفذ القضا بالرغم لا بالرضا فاخذ عمرو الجواد وهو يقول أجرتك فتعلقت به زوجته وقالت له انى أشم رائحة الدم من هذا الصوت فجذب نفسه منها ولم يلتفت إلى مقالها وخرج اليه وسار حتى خرجا من نخيل يثرب ثم انعطف عليه وقال له ياعمرو هاأنا الحارث بن ظالم وقد قلت لى انى ما اقتل الا النائم وما أنت بقطان غائص فى سلاحك راكب على حصانك خذ الآن لنفسك الحذر فلا بد من قتلك فتعجب عمرو من قوة جنانه قال الراوى فعند ذلك هز رمحه الأسمر وقال والله يا ابن ظالم لقد أنصفت ثم حمل عليه فالتقاه الحارث اصطدما وماجا تحت أذيال الدجا وتقاربا حتى غاب منهما الرجا وانرجا حتى بان البرضيقا وحرجا ودام بينهما القتال حتى مضى أكثر الليل مدرجا ثم وقف كل واحد منهما عرصا حبه وعرف

الحارث بن ظالم أن عمرو بطل صميدع مطمع ما فيه فعاد إلى مكره وخداعه وقال له يا عمرو ما قولك فى الإقالة ترك القتال لأنى ما طلبت معك ذلك إلا لاجل الكلام الذى سمعته منك فى البيت الحرام وكان ظنى أنى أقدر عليك وعلى أسرك ثم أطلقك بعد أن تقر لى بالفروسية والآن قد انقطعت منك آمالى وتعبت أوصالى وما بيننا دم يطالب به بعضنا البعض ولا أريد أن تبقى مثلا فى الأرض فاغمد سيفك حتى أغمد أنا الآخر سيفى واقضى شهوتك وأقضى شهوتى وأسمع كلامى لأنى كنت سمعت منك شعراً فى البيت الحرام وأردت أن أجيبك على عروضه فاسمع نثرى والنظام ثم أنه أشار اليه وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

عللانى وعـــللا صاحبيا ... قبل أن تعظم الأمور عليا
قبل أن تطمع العواذل حقا ... إذ ترانى إلى الملام صغيا
ما أبالى إذا اصطحبت ثلاثا ... أرشيدا يدعوفنى أم غويا
من دم الكرم لم تزل تجتليها ... فى الابارق بكرة وعشيا
غير أنى ما خشيت لله عهدا ... فى حياتى ولا أحون صفيا
بلغتنى مقالة من حســـود ... مكنت فى الفؤاد داء دويا
أنما أقتل النيام ولا أقتل ... يقظان ذا سلاح كميا
فقطعت القفار فوق جواد ... أدهم يشبه الظلام الدجيا
طالب العلا باسر غلام ... يثربى لا ينظر الرشد غيا
زرته والظلام قد مد ساقيه ... يخف يسعى بكأس الثريا
ثم نادته فاسرح كالليث ... ولى لما رآنى وحيا
فارس ترجف الفوارس إذا ... هو حساما وذيلا سمهريا

(قال الأصمعى) فلما سمع عمرو آخر هذه الابيات تعجب من فصاحته واستحى منه كيف مدحه وقال مثل هذا الفارس يجب أن يكون صديقا فنزل عن جواده وسعى اليه ليعانقه ويأكل معه خبزا وملحا فلما رآه قاصدا اليه فتح ذراعيه وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فرماه فى الارض قتيلا ثم ثنى عليه بسيفه ذى الحيات فقده نصفين ثم نزل اليه وأخذ سلبه وتركه ملقحا فى الفلاة ورجع إلى مكة يا أبا الفوارس قال الراوى فلما سمع عنبر هذا الكلام ذادت نيرانه اضطرام ثم قال آه عليك يا ابن الملعونة والله لاجهدن فى قتلك وأريح العرب منك ثم أنه ترك عليه العيون والارصاد وأما الحارث فإنه باع سلبه

عمرو وشرب به الخمر فاخفى الأمر على أهل عمرو لأنه كان لعمرو فى مكة قرابة وأصحاب أجواد وضعوا على الحارث اليون والارصاد فعلم الحارث بذلك فصار لا يفارق مكة طرفه عين حتى علم أن عبد المطلب سار إلى أرض بنى عبس وأصلح بين بنى فزارة وبين بنى عبس وأطلق الملك الأسود وتوجه إلى أرض العراق فقال ما بقى إلا رواحى اليه وأدخل عليه ثم انه غيرزيه وخرج عن مكة فى الظلام وسار على غير طريق ليالى وأيام حتى وصل إلى الحيرة وانظر فرأى النعمان قد جمع قبائل كثيرة وعول على غزو بنى عبس وعدنان وأن يقطع اثارهم ويخرب ديارهم لاجل ما فعلوا فى حقه (قال الراوى) ثم ان الملك الاسود لما تخلص من بنى عبس سار فى البرارى والقفار إلى أن وصل إلى أرض العراق ودخل على أخيه فلما رآه فرح بخلاصه وسأله عما جرى من بنى عبس وعدنان فاخبر أخاه بما جرى وكيف كان وكيف اعاده عنبر إلى الاعتقال ولولا السيد عبد المطلب كان السبب فى خلاصى وإلا كنت الآن فى الشد والاعتقال قال الراوى فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام زاد به الغيظ وحلف وشدد فى الايمان لابد من مسيره إلى عبس وعدنان وجمع القبايل والفرسان وعزم على المسير إلى فعند ذلك قال أخره الملك الاسود اعلم ياأخى أنا إذا لم يكن معنا فارس يلقاه وإلا فما بلغنا منه آمال فعند ذلك قال الملك النعمان ومن أين نجد فارسا يلقاه فقال له أخوه ما له ياأخى إلا الحارث لانه لا يساويه الفروسية والشجاعة وفى المكر والخداعة ثم أنه أخبره كيف كسر بنى عبس الابطال وجرح عنتر بن شداد فى المجال فقال الملك النعمان وأين نجد الحارث بن ظالم فقال أخوه الملك الاسود أنا أرسل وراءه وأحضره بين يديك وإذا حضر تعطيه الأمان فانه يقتل عنتر بن شداد ومانجد أحد سواه وأنا الضامن لك ايها الملك السعيد انه يقتله (قال الاصمعى) راوى هذا الكلام فلما سمع الملك النعمان من أخيه هذا الكلام قال له أرسل خلفه وإذا حضر أمنه على نفسه قال الراوى ثم ان الملك النعمان قام يجمع القبائل والفرسان فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشأن، وأما ما كان من الحارث بن ظالم فانه مازال سائراً إلى أن دخل على الملك الاسود فى جنح الظلام والناس نيام فلما رآه الاسود فرح به واستبشر بقدومه ولشرح وأخبره أنه أنه كان يرسل وراءه نهارا وقال انه جرى حديثك بينى وبين أخى النعمان وقد ضمنت عنك لاخى الملك النعمان هلاك عنتر بن شداد وقلع بنى عبس وعدنا فقال الحارث يامولاى أضمن عنى لاخيك جميع ما يصعب على الفرسان وقتل

من أراد من الاعيان لانه إذا كان ظهرى مثل النعمان التقى قبائل البر جميعا والعربان فقال الأسود أناغدا أدخل عليه وآخذلك منه الأمان ويغمرك بالاحسان ويقدمك على سائر العربان وبعدهلاك عنتر تسود على ملوك الزمان ثم قدم له العام وقضى معه بعض الليل يشرب المدام ويحدثه كيف خدع عنتر وجرحه وما جرى له مع عمرو بن الاطنابة الخزرجى وكيف خدعه وقتله والاسود يتعجب من حديثه ثم باتوا إلى الصباح فأراد الاسود أن يركب وإذا برسول أخيه النعمان قادم عليه واستأذن فى الدخول عليه فاذن له فدخل وقال له الملك النعمان قد باكر الرواح وحن إلى الاصطباح وقد جمع ملوك العرب ونادى بالمسير إلى بنى عبس وقد قبل رأيك فلما سمع الاسود هذا الكلام قال الرسول أرجع إلى أخى وقل له انه قد أتاه ضيف وهو فزعان فان أراد ان أحضر دعوته يعطينى على ضيفى الامان فرجع الرسول إلى النعمان وعاد اليه بما قاله أخوه الاسود فاعطاه خاتم الامام فرجع إلى الاسود وقال له يامولاى سر أنت وضيفك هذا خاتم الامان ففرح الملك الاسود لذلك وأخبر الحارث بما جرى وأخذه وسار إلى حضرة النعمان ودخل عليه والمجلس محتفل بالامراء والفرسان فلما وقعت على العين قبل الحارث الارض ثم قبل يد النعمان ودعا له بالعزة ورفعة الشأن ثم شكا اليه ماقاسى من خوفه فأمنه الملك النعمان لأجل حضوره وفى قلبه منه الغش والغليل لأجل قتل ولده شرحبيل ثم جلس إلى جانب الاسود وأكل معه الطعام ودارت عليهم كاسات المدام وجرى حديث الفرسان وسأل النعمان الاسود عد حرب بنى فزارة فأورد عليهم كل ماجرى بينهم فقال على ماجرى له من العجائب وما أهلك من الفرسان بقتاله وما عمل مع عنتر من خدعه ومكره فقال النعمان أما احتيال الرجال عند الغلبة فهو من الفروسية فايسمى صاحبها شجاع فلما سمع الحاضرون هذا المقال صدقوا الملك النعمان فيما قال ومافيهم إلا من ذكر ماقيه الشجاعة وما عنده من الاحتيال ولم يزالوا على ذلك الحال وفى تلك الأمور حتى وصلت النوبة إلى الحارث فاراد النعمان ان يسمع حديثه من فمه فى ذلك المقام فقال ياحارث قال لبيك يامولاى قال حدثنا هل رجعت قط عن فارس وأنت مغلوب وغدرته وانزلت به الكروب فقال بلى والله يامالك الزمان هذا الا مر جرى لى عند رجوعى من بنى فزارة فى هذا الاوان فقال النعمان هل يمكن أن تحدثنا شىء من شجاعتك وغدرك فى هذه الساعة فقال الحارث بلى يامالك الزمان ولكن أريد أن تخلى لى سمعك أنت والحاضرون تانى احدثكم بحديث ماطرق الأسماع أطرب منه لافى الاولين

ولافى الاخرين وذلك أنى أخبركم عن الفرسان والشجعان المشهورين والحراميه الغدارين
فقال النعمان ياحارث فكم عددهم عندك فقال ياملك أن الفرسان المتصفين من أسفهم
سبعة والغدارين سبعه فقال النعمان فمن هم ياحارث فقال ياملك أما الشجعان الموصوفون
بترك الغدر والاسراف فهم دريد بن الصمة الجشمى وسبيع بن الحارث الحميرى وعمرو
بن معد يكرب الزبيدى وملاعب الاسنة وغشم بن مالك العمرى وحجاز بن عامر
الكندى وعنتر بن شداد العبسى وسكت فقال النعمان ومن هو السابع فسكت فقال النعمان
أنت ياحارث هو قال نعم فقال النعمان ومن هم الغدارين فقال الحارث منهم الندموس بن
ماجدن مرة بن عبد العزى وجرير بن مبادر ووزر بن جابر وفارس بن أوس وعمرو بن كلب
القضاعى ثم سكت فقال النعمان أنت السابع فقال نعم فقال له شجاعتك عرفنا ولكن ما عرفنا
غدرك فاخبرنا ما عملت من المغادر والمكائد فى دنياك فقال يا مولاى أنا قصتى عجيبة يطرب منها
كنت لما حصل ر مع أخيك ما حصل من الكياد ورحت إلى بنى فزارة ولقد لقيت هنالك
عنتر بن شداد وقابلته فرأيته أسداً جسوراً فخدعته حتى أنى أقتله وأضربه بالسيف
فجاءت الضربة خفيفة لطول عمره لكنى جرحته جرحا بالغ وخفت أقيم فيخرج
يطلبنى فما أقدر أتخلف عنه وإن نزلت اليه فلا أعلم ما يجرى على منه فاخذت معى عشرة
من هو من وافقنى مرة ما فيهم إلا من وافقنى كدا مرة وقصدنا الغارة على أموال بنى فزارة
ما فى أقديدينا نخرجة المعاش والمكسب من بعض أخياء العرب فسرنا من مكة مطة أيام
فى تلك البرى والاكام فلما صرنا فى تلك القفار والدكادك وقعنا فى برية المسالك فلحقنا
فيها الدهش وبلينا بجوع وعطش فجينا المنير لعلنا نخرج من تلك الارض قبل أن يحل
بنا الويل وتكل من تحتنا الخيل فبينما نحن كذلك إذا بان لنا بيت مضروب وعلى بابه رمح
مركوز وفرس ملجوم وسيف معلق إذ ضرب به الصخر انفلق وجالس على بابه غلام صغير وهو
مثل القمر المنير وشجاعة تشهد له لا عليه وقدامه قدر امه فلما أيناه استرحنا حنا وقلنا
الغلام وكل ضيف وقلنا يافتى هل تقبل الضيوف فوالله ياملك ما سمع كلامنا حتى
رفع رأسه وتبسم وقال على الرحب والسعة والكرامة والدعة وانزلوا يامولى اى فهذا
الطعام راج وما بقى فى أكله اجتجاج لانى ما يعدت اطبخه إلا ان يأتى يأكله فنزلنا ياملك
كلامه وتعجبنا من حسن نظامه وصار يترحب بنا وبكثر ابتسامه ثم وثب قادما على
قطميه ومضى إلى الخباء ودخل اليه وخرج وفى يده قصعة ملانة من لبن اللقاع مخلوط

بالعسل مبرد وقال دونكم ياوجوه العرب وهذا الشيء اليسير ترمقوا به من كرب الهجير إلى أن يستوى الزاد الكثير فأخذنا تلك القصعة وشربنا منها كل واحد جرعة وأطلقنا خيلنا فى ذلك البر ترعى وجلست أنا وأصحابى نتحدث فى قصته وحسن فرسه وعدته وكرم نفسه الرضية وكيف نفرد وحده فى تلك البريه فقال بعض رفاقى والله ياحارث ما فى خيلنا مثل هذا الجواد الذى لهذا الغلام وما ظنه إذا جرى إلا البدر التمام وأبهى من الشمس وأبهج وأشرق وأبلج وانها والله قد ملكت قلبى وغيرت عقلى ولبى وكنا يامالك نحسب حساب الرجل وحزمته وندبر فى اتلاف مهجه وهو قاعد يصلح لنا الطعام ونحن نريد أن نسقيه كاس الحمام ولما راج الطعام بقى عن أكله أحجام وعمرها بالمرق وجعل اللحم من فوق وحملها ووضعها بين أيدينا وقال قوموا ياوجوه العرب للعشاء واعذرونى فى التقصير لأنى ساكن فى هذا البر القريد فتقدمنا يامالك وأكلنا وذاك الغلام يحدثنا وبباسطنا ويلقمنا حتى فرغ الزاد واكتفينا فهم أن يشيل القصعة من بين أيدينا فقلنا له ياوجه العرب ان اكرمك علينا قد وجب لأننا ياغلام من فتاك العرب الذين لايعرفون حسبا ولانسب وما أحسن الينا أحدا إلا واسانا وما طلب أحد حياتنا إلا أخذنا ورحمنا لحسن شبابك فنحن لانقتلك ولانعدمك لأحبابك فخذ لك أى فرس شئت من خيلنا وأنج بنفسك من ههنا واترك هذا الجواد والخبا وهذه الصبية التى فيه ولا تثير معنا حربا فى هذه البرارى والربا (قال الراوى) فلما سمع الغلام كلامى عبس بعد الابتسام وتغير لونه غضبا وفار حنقا ثم التفت الينا وقال ياسادات العرب هذه الجارية أختى ومطلبى وبنت أمى وأبى وأنى من شدة غيرتى عليها سكنت بها فى مفلوات لأنه قد خطبها من أبيها الملك قيس ابن مسعود المقلب بذى الجدين وغشيم بن مالك سيد بنى عامر فلم ترض بأحد منهم ولا البراى المقفرات الخراب حتى لايراها أحد من الشيوخ ولامن الشباب فعلت لأجل خاطرها هذه الفعال وفارات بها الأهل والعيال وأما انا فقد سار بينى وبينكم حرمة الطعام واريد أن تقبلوا هذا الكلام وترحلوا عنا بسلام ولا تقابلونا على جميلنا بقبيح الخصال ولا هذا الحديث لاأسمعه ولا أصغى اليه فلا تطل فما بقى أن لم تمثل الا قتلك ولو ان حولك الف فارس من الأبطال وان كنت ما تقبل هذا المقال تهينا جسدك باسنة الرماح الطول وتركنا

لمك رزقا لوحوش الدحال وإن كانت هذه الجارية كما ذكرت أختك فأحسن الدار الذي لم يثقب وأصبح النوق التي لم تركب (قال الراوي) فعند ذلك قال الغلام يا وجوه العرب إذا كنتم لا ترجعوا وعن هذه الفعال لا تنتهوا فاصبروا على حتى أودع أختي وأوصيها بما توصله من أمري لامي وأبي فقال الحارث هذا شيء لا تمنعك منه ولا نعيقك عنه فافعل ما بدا لك وانجز اشغالك فعند ذلك دخل الغلام إلى أخيه وقد أخذته الأوهام وأخبرها بجميع ما جرى بيننا وبينه من الكلام وقال لها يا أختاه اعلمي ان هؤلاء القوم الذين نزلوا علينا لئام غير كرام وأنهم قد أطمعوا أنفسهم في أخذك وهتك سترك وها أنا أبذل مهجتي دون خدرك فان نصرت عليهم كان ذلك من الرب القديم الذي هو بوساوس الصد عليم وقادر على حماية الحريم وان قتلوني في هذه الفلوت فانك تبقى مع النساء اشاكلات ثم بعد ذلك ركب جواده ونتة شي إلى ناحية الأقوام وأجته من ورائه وهو يقول أسمعي يا هندانا بلينا بقوم لئام غير كرام ضيعوا حرمة الطعام ثم أنه أشار اليها ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ودعيني يا هند قبل هلا كي ... واسعديني على العدا بدعاك
فعسى خالق السموات والأرض ... ينجي من الهلاك أخاك
قد بلينا بقوم سوء لئام ... ليس فيهم حريق لشاكي
ضيعوا حرمة الطعام وخانوا ... وأستحلوا قتلي وهتك حماك
فقفي وانظري فعالي اذا ما ... جاءت الخيل قاصدين خباك
وإذا ناح في الاراك حمام ... ساعدي بالبكاء حمام الاراك
يا بنة العامري لو أنصفوني ... في فرازي أفنيهم في فناك
وإذا القوم أسرفوا وتعدوا ... في قتالي جعلت روحي فداك
آه واحسرتاه ان مت قهراً ... وسباك العداة بعد حماك
بلغي والدي السلام وقولي ... مات غبنا من عصبة الاشراك
فعليك السلام ماهت ريح ... وتعالى نجم مع الافلاك

قال الحارث ثم أن الغلام أقبل على أخته بمقاله وما فينا من برق الحاله ثم قال لها يا أختاه هذه ثاني مرة أوصيك وأكرر القول عليك أن الذين أتو نا قوم لئام غير كرام اكلوا زادنا اطبوا هتيكتك وأنا وحق من أنزل القطر من الغمام لا أسلم فيك حتى أشرب كاس الحمام هذا واخته تبكي وقد بلقت به وقبلت غرة جوادة وكشفت برقعها ودقت على صدرها وأشارة اليه تقول صلوا على طه الرسول

فلا كان يوم صبحتنا كتيبة ترى نهبنا من بغيها صائبا سلبا
يرمون سبي من بين يديك تعمدا بلاسبب بل كان أكرامهم ذنبا
وقد غدروك اليوم يافارس الرغا وأشجع فرسان الأعاجم والعربا
أتو بالقناطعنا وبالسيف ضاربا وانك تدرى كيف تتخنهم ضربا
تذب عن الأخت التى قد صحبتها فكنت لها أخا وكنت لها أبا
فلا تترك الأعداء تملك مهجتى وتأخذنى قهراً وتملكنى غصبا
يكون عليك اليوم عار مؤيد وتحدوبك الركبان شرقاوكذاغربا
فكر عليهم وأحمنى اليوم أننى ساذكر فعلا منك يافائقا ركبا

(قال الأصمعى) بعدسماكلام أخته نادى ياأوغاد غير أبجاداً بما أحب اليكم الرواح والانصراف والاتبقوا رزقا الطيور وتخطف منكم الاطراف ياويكم ماأتم من البشر ولاتعرفوا للزادحرمة ولانصرتم من له عهدوذمة فلاسلمكم والله ولاحياكم ولعن الله بطنا رماكم فما أقل خيركم وأكثر شركم وما أسرع غدركم فدونكم والحرب فارس لفارس كما تفعل الرجال وان كنتم ماتعرفون الانصاف وطبعكم لايميل إلى الاشراف فدونكم والحملة بجمعكم فانى كعؤلكم وقوى على قتالكم فلما سمعت يامالك هذا الكلام علمت أنه فارس همام وكل من خرج اليى يقتل ولو أنه فارس السهل والجبل فقلت لبعض أصحابى أخرج اليه ياأبن العم وأقتله وخذفرسه وسلاحه فاينى إلى ذلك وحمل عليه صاحبنا حتى حاذاه وأسارت اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

خل عن الحرب أباكلب العرب وسلم المهر عجولا والسلب
وأقبل النصح وجد فى الهرب وخل هند قبل أسباب العطب

(قال الأصمعى) ثم قال الحارث فلماسمع الغلام كلام صاحبنا سار حانى قاربه وقال له ماإسمك يافتى لان حلفت يمناً لاأقاتل من أسمه كاسمى فقال له أسمى داهش فأجابه على شعره وهو ينشد ويقول صلوا طه الرسول

وفارس كالليث من نسل العرب لو نظرت الموت الموت عيانا ماهرب

قال الحارث ثم أنه جال مع صاحبنا وطعنه فى صدرة فاخرج الرمح يلمع من ظهره وتادي ياهند هذه عاقبة البغى والغدر فابصرى اليوم مالم ترى طول الدهر فاردت أن أخرج اليه فقلت حتى يقتلك أصحابى وبعدذلك أعدره حتى لايكون لى أحدمشارك فى الجارية وسلبه لانى يامالك نظرته بعين الفروسية رأيه جباراً عظيما اقلت لاخى المقتول أنزل اليه وخذبثأر أخيك فتحدر اليه فقال له الغلام ما أسمك فقال أسمى ضمرة فقال الغلام

احرق الله ضمارك ثم أنه أسار اليه شعرا

هاأنت ذا اليوم يانذل البشر تظن أنى فى اللقا أخشى الضرر
فالحق باصحابك ياصميدع فى هذه البيداء لكى تبقوا عبر

(قال الحارث) ثم حمل عليه والحقة باخية ثم طلب البزاز وسال الانجاز فنزل اليه واحد من أصحابى حتى قاربه وطلب أن يحاربه فقال له ما أسمك قال اسمى بكر فقاله أبشر يابكر بكور النوائب والبلا والمصايب ثم أشار اليه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قد جئتموا يابكر شيئا نكرا وماعرفتم للطعام قدرا
يا أرذل الأعراب جمعا طرا أسقيكم اليوم شرابا مرا

(قال الراوى) ثم قاتله ساعه وطعنه فقلبه وعن جواده كركبة ومازال ينزل اليه واحد بعد واحد حتى بقى عندى من العشرة واحد يسمى خائنة الحرب فالتقت اليه وقلت أما ينزل أحد بثار اصحابك فقال ويلك ياحارث أما أنت المقدم علينا أريد أن تعرفنى بعزمك تزعم أننى أنزل اليه حتى أنه يقتلنى وتغدره وتأخذ جواده وعدته وأخته انزل اليه أنت فلما سمعت ياملك كلامه ومقاله تعين على قتاله وطعانه فنزلت اليه ووقفت بين يديه فقال لى أسمك فقلت له أسمى الحارث بن ظالم فقال صدقت أنت حق ظالم لنفسك وحارث ديار أبيك أرجع واشكر ربك الذى سماك الحادث لان على يمينا بابى لاأقاتل من اسمه كاسمى لاننى أسمى الحارث فاصدقت أن أسمع منه هذا الكلام حتى رجعت إلى صاحبى قوام وقلت له سمعت الكلام فقال خائنة الحرب وحق ذمة العرب لوكنت تعرف انك تثبت بين يدية مارجعت عنه ولكن أنا له ثم أنه انحدر اليه فما جامعة غير ساعة حتى قتلة الغلام ورجع آخر النهار تعبان فقال لاختة خذى رأسى على ركبتك حتى أتارح قليلا ثم أنة رقد على ركبتها فصيرت ياملك ساعة وسرب حتى وصلت إلى المضرب فرأيت الغلام راقدا وأختة مكفهة علية فتقدمت قليلا قليلا حتى دنوت منة وسحبت الخنجر وذبحته من أذنة إلى أذنة فانتبهت أختة ورأت ذلك الحال فاخذت خنجر اخيها وحظت القبضة فى الأرض والذبابة بين يديها وانحنت علية حتى طلعت من بين كتفها فاخذت العدد والجواد والسلب وسرت إلى مكة وبعتهم فلما سمعت بال أخاو الأسود رجع إلى العرق اتبت وحضرت بين يديك وتكلم رجل شيخ جالس بالمجلس فكذب الحارث وقال له كذبت أن كنت قتلته فهل معك من أمارته شيء فانى أعرف

هذا الغلام معرفة تمام فهنا ظهر جواب الحارث على نواعين فى الروايه العراقية يقول أن الحارث حصل على سيف ذلك الغلام وخاف أن يقول له هذا سيفه فياخذه ويضرب به عنقه ويكون هذا إخراقا فى حق ملك العربان وعلى ما روى فى السير الحجازية قال له الحارث هذا خاتمه وبه تصدق أقوالى فهو دليل برهانى فاخذه وبكى وأشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أرى الدهر يسطو هكذا بالاكابر ... ويفعل فعل الحادثات الدوابر
وعيش جميع الناس فرحى ببدئه ... وآخره مر كطعم المرائر
ويتركهم حتى يعيشوا وينشوا ... ومن بعد ذا يلقيهم فى المقابر
نظرت إلى الدنيا نخون بأهلها ... وقد غدرت بى فى فؤادى وناظرى
أيا أيها النعمان اصغ لقصتى ... لقد كان ابنى فارسا فى العشائر
كانت له أخت كبدر إذا بدا ... بوجه زهى ناعمات المحاضر
وفى طول عمرى ماولدت سواهما ... فعاجلنى صرف الزمان المخاصر
اتاهم ردىء الأصل فى وسط قصره ... فا فاهموا بالمرهفات البواتر
غدرت جميع الأرض شرقا ومغربا ... وطمت جمع البر باد وحاضر
وقد جئت هذه الأرض أقفو لأثرهم ... وجدت ابن ظالم عند النعمان حاضر
حكى لى حديثا كان فى الأصل ثابتا ... صحيحا كمن أجروا دموعى كزاخر
وذا اليوم خذلى يا لميك بثارهم ... فقد بان صدق القول من لفظ خابر
وأشفى فؤادى بالمانى وارتجى ... من الملك النعمان فعلا لعادر
فقد كان ابنى نائما حين خانه ... وياليته ما نام فعل المحاذر
فلو جاءه فى حرب وهو راكب ... على ظهر طرف سابق كل طائر
لقد كان كفؤا لا يخاف ملمة ... من العرب العربا ولا من العساكر
ولوبك يانسل اللئام غدرته ... لأوراك حربان وسط الهواجر
ولكن قضا الزمن يفعل هكذا ... بكل جميع الخلق قدرة قادر
فكم ملك يفنى وتفنى رجاله ... ويمسى حديثا فى الورى كل غابر
سلامى على الدنيا إذا كان واحدى ... قتيلا طريحا من لئام العشاير

فلما فرغ الشيخ من شعره ونظامه أعجب الملك النعمان بحسن كلامه وقال له ياشيخ لاتأخذ من حضرتى عريمك ثم فزع فى الشيخ فسكت ثم أن النعمان امر باحضار الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وامر بعد ذلك باحضار المدام لكى يتلافوا عواقب الصدام وغمز

الساق فخط على الحارث حتى غاب عن الوجود فأمرهم الملك أن يضموه فى القيود ففعلوا ذلك ثم قال لهم فوقوه فلما صحا وفاق تنبه فى الحال ورأى نفسه فى القيود والاغلال اطرق برأسه إلى الأرض خجلا وحياء فتذكر الملك النعمان ولده فبكى وأن أنينا موجعا وانفطر قلبه واشتكى على فلذة كبده وحبيب قلبه واشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

دع القلب يا هذا يبوح بشكوتى ... فمن قتل شرحبيل زادت بليتى
ومن يوم فارقنى لخيل يخوتنى ... من البين والأحزان اثقلن حملتى
أيا دهر فانعيه وساعد على البكا ... لفقد أمير كان يحمى عشيرتى
فلو عاش أقوى الضيف يوما بمرحبا ... ويضرب بالسيف اليمانى بصحبتى
لقد غادرته العين يوما بغدرها ... واسقاه كأس الموت مرا بخدعة
فياليت جمع القوم كانوا فداءه ... وروحى ومالى ثم أهلى وعشرتى
ولكن قضا الرحمن فرق بيننا ... بكاس الردى أمضاه حكم المشيئة
فصبرا على ما قد قضاه الهنا ... بتشتيت شمل من فراق الأحبة
أيا شيخ قم وأنظر اليه مصفدا ... بقيد ثقيل من قيود المنية
فإن كان ذا الشيظان خان بمكره ... فسوف يراه الناس وسط المصيبة
ونصلبه بعد العذاب بشعره ... وتتركه من فوق باب المدينة
فياليت نجلى كان حاضر موته ... ويشفى غليل الصدر من بعد لوعتى
فلو كان فى قبر عرفناه كان لى ... اليه ارتياح القلب عند الزيادة
وكنا نبشنا قبره يا ابن ظالم ... وكنا كشفنا جنب تلك الجفيرة

فلما فرغ الملك النعمان من شعره تباكت العربان وأعلنوا بالأحزان ونهضوا فى ساعة الحال إلى الحارث وهو ساكت وجروه فى أربع سكك من حديد وجلدوه جلدا شديدا وأذاقوه العذاب ألوانا وهو لا يبدى ولا يعيد بل هو ساكت لا يتكلم ولا يرحمه أحد ولا يخيره شخص من الأمم فلما فرغو من عقابه قام اليه أبو الغلام من بين رفقائه وصار يكلم الملك النعمان عن الولد وشجاعته وقد جرت دموعه على شيبته وتزيدات حسرته وتصاعدت زفرته وقال يا ملك ما رزقت طول عمرى غير هذا الغلام والبنت وقد خطبها منى الملك قيس الملقب بذى الجدين وكان قد بذل لى من أجلها مالا جزيلا فقالت يا ابتاه أنا لا انزوج إلا رجلا مثلك حتى لا يرانى غير أشكالى

فلما سمعت كلامها مارأيت على روحى أن أتبع كلامها وأخلى الملك قيس فنيل غرامها فاخذت فى إصلاح حالها فوقعت على أخيها فاخذها ورحل ولا أعرف أين بها سار وتركنى على مقالى الناحتى سمعت هذا الكلام فى حضرتك من هذا الغدار الذى دهى فى أولادى وأحرق عليهما فؤادى وشهد الشيخ جماعة من الحاضرين فقال النعمان اشرح صدرك ولا تندم عليهما ولا تخف من بؤس ولا من نقم فمن طالب بثأر أولاده فهو ظلوم هذا وقد أمر النعمان أن يركبوه على جمل عرى وينادى لية فى المدينة ويصلبوه على الباب الذى قتل عليه الملك شرحبيل فازدحم الناس من خلفه وأمامه حتى بنى على القدم الف قدم وصاروا يضربونه حتى وصلوا الى باب المدينه وصلبوه وكان لصلبه يوم ماجرى مثله لأحد من سائر العباد من سكان المدن والبلاد فلعن الله أمه حملته وبرصعه أرضعته فما كان أتحمله واخبثه فلقد استراح عنتر صوته اطمأنت جميع الفرسان من طلعته

فلارحم الرحمن تربة قبره ولازال فيه مبتكر وتكبير

فما كان أيشم وجهه بين عشيرته وقد مضت قتلته هدرا فلا جبر الله له كسرا ولا رحم الله قبرا ولا بل تراه وما حزن عليه إلا الملك الاسود لأنه كان يترجى أن يقطع به اثر عنتر ويكل على عكره ودهاه ويجعل ذلك لحذيفه بن بدر من طريق المكافأة فجأة الموت فجأة فاخفى الكمد واظهر الجلد وقال وحق ذمة العرب انا رايح أقتله قبل ان تقدم عليكم ولكن ظننت ان يكون لنا عدة ونستعين به على عنتر بن شداد فقال له النعمان ويلك يا اسود نحن ما فينا كفاية لعنتر بن شداد ولمن معه من الأوغاد ولو انا عدد ورق الشجر قلعنا منهم الأثر وتركناهم عبره بين البشر وحق الركن والحجر ومن طاف بهما من ربيعة ومضر لأفهرن الجميع بالذهل والاحراق وأسوقهم حفاة عراة إلى أرض العراق فى السلاسل والأوثاق وبعد ذلك إن خضعوا عفوت عنهم لأجل ما بيني وبينهم من المصاهرة وعندنا جيوش تملأ الفيافى والقفار وكان قد حضر عنده فى ذلك اليوم جماعة من امراء القبائل فقالوا له لا تأخذه على خاطرك يا ملك الزمان فها نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فلما سمع النعمان منهم ذلك الكلام ضحك وابتهش واذا ببعض حجابه دخل عليه يخبر بمقدم الوحش فارس غسان (قال الراوى) وكان ذلك الجبار من أرض حوران وكان شجاعا عظيما وبطلا جسيما ويدعى نصير ومن شجاعته وتجبره إذا اسر فارسا مرة يأخذ ناقته وبعلته ويطلقه وكذلك اذا وقع الثانية

﴿ تم الجزء الخامس عشر ويليه السادس عشر ﴾

(الجزء السادس عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

وفى الثالثة يجز ناصيته وفى الرابعة يقتله وكان جميع ما أخذه من الجمال يذبحه ويفرقه على وحوش البر حتى انقلب إسمه بمقرى الوحش وعما اتفق له مع ملك حوران أنه كان له بنت يقال له مسيكة وكان أبوها ابن الجانب ابن العريكة يقال له مجبر بن سهل وكانت له هذه البنت التى فاقت بالحسن والاحسان فخطبها مقرى الوحش من أبيها فلم يقدر أن يخالفه ولكنه قطع عليه مهرا ثقيل وهو ألفان من الدنانير وألف ناقة من النوق العصافير فلما سمع مقرى الوحش هذا الخطاب أجاب وفى ساعة الحال تجهز للمسير وأخذ معه خمسين فارس صناديدا طالبا الملك النعمان وأرض العراق تلك البرارى والآفاق وهو ينشد ويقول

أسير إلى أرض العراق وانني ... أريد أبيد الكل طرد ابصارمى
أسير إلى النعمان آخذ ماله ... وأفنى جميع رجاله بتهجم
لاجل مسيكة غاية القصد والمنا ... وأرجع إلى الأوطان يوما بمغنم
وأقهر فرسان البلاد بأسرها ... وتخضع لى الأبطال عند التقدم
وتشهد لى الأبطال فى حومة الوغا ... إذا حضرت فى يوم طعن بلهزم

ولم يزل سائرا فيمن معه من الفرسان حتى وصل إلى دار الملك النعمان فعند ذلك أرسل من هناك رسولا يخبره بقدوم مقرى الوحش ففرح الحاجب وقام ثم دخل على الملك النعمان وأعلمه بقدوم فارس غسان وأنه جبار من جبابرة أرض حوران وخطب بنت عمه ثم شرط عليه المهر العتيق وقد أرسل لى مع الرسول يقول اصمن عنى للملك النعمان أننى ما أطلب نوقار لاجمال حتى يجمع لألف فارس من الفرسان وأبارزهم قدامه فى حومة الميدان وبعد ذلك يجمع لى الأبطال من العراق والحجاز ويخرجهم لى فى البراز أن شاء مبارزة أو معاندة وأن شاء ألقى الكل فى مرة واحدة فلما سمع النعمان من الحاجب هذا الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وحار كل من حضر من العرب وقال النعمان وحق دينى أن فعل هذه الفعال لاعطينه جميع ما طلب وأنزله عندى وأعطيه جميع ما يتمنى ويأخذ كل ما يريد لانه فارس خبير وإذا كان فارس مثل هذا يغنى عن جيش كثير وإذا كان جسورا على الثابات يكون

لنا عدة من كل الآفات وأن سرت به إلى بني عبس وعنتر لا يخلى لهم ذكرا يذكر حتى يأتوا إلى خدمتي ويدخلوا تحت طاعتي وإذا ظفرت بهم أعفو عنهم لاجل عبد المطلب فعند ذلك طلع الحاجب فوجدهم هناك وقوفا على خيلهم فلما نظر مقرى الوحش إلى الحاجب تقدم اليه وسلم عليه فاعلمه الحاجب بما قال النعمان وقال أنه أمر باحضارك حتى تجتمع أنت واياه فعند ذلك نزلوا وساروا وراء الحاجب حتى أقبلوا على النعمان فدخل مقرى الوحش فنظر النعمان إلى إلى رجل كانه طود من الاطود أسقر قليل الشعر كبير الهام والرأس متغير الحواس تلوح الشجاعة بين عينية وأجلسه النعمان فى أعز مكان وأمر باحضار الطعام فاكل وهو مثل الاسد الغضبان وهو يلوح بعينين مثل الأسد القتال والفرسان يقولون هذه دلائل الفرسان الكرام إلى أن فرغوا من أكل الطعام وقدموا آنية المدام ٥ فعند ذلك قال النعمان ماهناك أحد يا أمير من الأرامل والايتام التى تنفق عليهم النفقات والصدقات فانهم أفضل من الوحش فى الاكام فقال له أيها الملك ما فى حلتى الا من شملته نعمتى وتركت للفقراء أكثر من ما الأغنياء وانما هذه النوق أجعلها قربانا لانهم قوم نصارى لا يأكلون الجمال لانها عندهم حرام ، فلما سمع النعمان منه ذلك قال له يا فارس ان كنت طالب النياق فنحن لنا عدو فى أرض الحجاز وما نريد الا أن تقتلة فى البراز لان جميع الابطال عجزت عنه فقال الراوى ولما أن فرغ النعمان من صلب ذلك الشيطان وقدر آه وكل من حضر فرح واستبشر وإذا هو بحاجب قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان وخليفة كبيرى أنوشروان قد ورد علينا فارس من الفرسان وهو من أرض حوران وحامية بنى غسان وهو يريد الاستئذان ليدخل اليك ويقبل يديك ويقص قصته عليك واعلم أنه فارس شجاع قرن مناع لا يخاف من الموت ولا يخشى من الفوت والشجاعة لائحة بين عينيه فان امرتنا احضرته عندك ويصير من جملة خدمك وجندك قال الراوى وكان هذا الانسان فارسان من الفرسان وهو من بنى غسان وله قدر وشان وله صوت على الاقران وهو صاحب قوة وبطش ويقال له مقرى الوحش وكان له كلام عجب وأمر مطرب غريب نحب تذكره على الترتيب حتى يسمع المستمع ويتلذذ ويطيب وذلك أن هذا الفارس قد نشا فى بنى غسان وكان له شأن واى شأن لانه قهر الشجعان وأذل العربان وسائر الاقران فى حومة الميدان بطن السنان وقد شهدت له جميع الفرسان والشجعان أنه فريد العصر والاوان وزاد عليهم وساد وشهدت له بذلك كل العباد (قال الاصمعى)

وماسمى بهذا الاسم بين الرجال إلا لأجل أن تضرب به الأمثال وذلك أنه كان تخشاه الابطال لأنه يظهر فيهم الاهوال ويذل الملوك وجميع الابطال من أصحاب الرتب ويقهر سادات العرب وكان بطلا صنديد وجبارا عند قلبه كانه من حديدتها به الملوك وتكرمه وتهاديه وكان اذا نهب شيئا من الجبال وعاديه إلى الأطلال ينحر منها فى الحال ويفرقه على الوحوش فى البرارى والتلال وهذه عادته على طول الأيام والليال لانه كان نصرانيا وقومه نصارى فى تلك الايام لم يأكلوا لحوم الجمال لانه فى دينهم حرام فلاجل ذلك الحال كان يفرق لحمها على الجبال فلذلك تسمى بهذا الاسم بين العربان (قال الراوى) ولما قوى باسه وكبرت همته وعلت كلمته صار له عند ذلك قدر وشان وخطب ابنة ملك حوران وكان هذا الملك يهوى الشجعان ويذم الجبان ويحب الانصاف ويكره الاسراف فقال له مجبرين بن سهل كريم النسل وطىء الجانب محسن للأقارب وكان له بنت يقال لها مسيكة وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كانها الغصن الميال ولما أن خطبها مقرى الوحش من أبيها بين اهلها وذويها ماقدر أن يخالفه فى الاقوال بل أجابه على ذلك السؤال ولكن قطع عليه مهرا ثقفيل خوفا من الاقاويل وهو ألفان من الدباتير وألفان من النوق العصافير ومائتان من الخدم وألفا رأس من الغنم وعشر رؤس من الخيل الجياد وعشر عقود من خالص الاعقاد وعشر ثياب من الديباج ولم يكن له بذلك احتياج ٭ فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام قام من بين الجماعة وأجاب بالسمع والطاعة وفى الحال تجهز للسفر وأجاب صهره فيما به أمر ولم يطق المقام لما صار عنده من الهيام وقد أخذ معه خمسين بطلا همام وصار يقطع البر والآكام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أسير إلى أرض العراق وأننى ... أريد اغتنام الكل اعرب وأعجم
وأسعى إلى النعمان آخذ ماله ... وأقهر أعدائى الجميع بصارمى
لأجل مسيكة غاية القلب والمنا ... وأرجع إلى الاوطان حقا بمغنم
وأقهر فرسان الجبال بأسرها ... وتخضع لى الابطال عند التقدم
وتشهد لى الشجعان فى حومة الوغا ... اذا حضرت فى الحرب وقت التهجم
أنا فارس الفرسان لست مقصرا ... بطعن القنا يوم وضربة لهزم
ولا أنثنى فى السكر عن كل فارس ... ولو كان ذا بطل شديد كضيغم

(قال الراوى) ولم يزل مقرى الوحش سائرا هو ومن معه من الأكابر طالبا أرض العراق

وتلك الآفاق وهو على ذلك الشأن الى أن قرب من ديار النعمان فلما أن بانت له تلك الطلول أمر فرساته بالنزول وارحة الخيول وأرسل رسولا لأجل أن يعلم الملك النعمان بقدومه وارتاح بقيه يومه هو ومن معه وانتظر ما يكون عند وصوله ، فهذا ما كان من مقرى الوحش وأما ما كان من الرسول فانه مازال سائرا فى الهضاب حتى قرب من الأبواب وإذا به قد التقى بحاجب الحجاب فتقدم بين يديه وأخبره بجميع ما جرى وبلغه ما كان حمله من الجواب والخطاب من عند مقرى الوحش وكيف أتى من ابعد مكان يريد الدخول على الملك النعمان فلما سمع الحاجب هذه الأقوال دخل على الملك النعمان وأعلمه بقدوم ارض بنى غسان وشرح له ما سمع من المقال ثم أنه قال أعلم أيها الملك انما صار هذا الاسم اسمه والكنية كنيته لأنه قهر الفرسان وكان إذا أسر فارسا بقوته أول مرة يتركه يسير فى حاله وان وقع الثانية فى يده يأخذ منه فديته وإن وقع الثالثة يجز شعر ناصيته وأن وقع الرابعة يقتله ولا يعتقه وكان هذا فعله مع الفرسان وأدبه طول الزمان وكان الذى يجمعه من النوق والفصلان يأتى به إلى بنى غسلان وينحر منه كل يوم ويطعمه للوحوش والعقبان فلاجل ذلك شاع ذكره فى جميع الآفاق وسمى بذلك الفعل مقرى الوحش وفارس النياق وأنه يا ملك مازال على ذلك الشأن إلى أن قهر جميع بنى غسان وأدل بطارقة حوران واستأسر فرسان بنى غسان ولما صار له عندهم قدر وشأن خطب ابنه ملك حوران وأراد أن تكون له أهلا ويكون لها نعلا وقال له أبوها أهلا وسهلا وأجاب سؤاله ولم يرد عليه مقاله بل زوجه بابنته لما رأى من شجاعته وسمع من فصاحته وقد شرط عليه الفى دينار مقدم الصداق ومثلها من النياق وطلب منه شيئا كثيرا وأحوجه للمسير إلى العراق ليجلب له منها النياق ليفتر بها على أهل الشام وإنه يا ملك شرط على نفسه أنه لا يأخذ شيئا من الحطام حتى يجرب روحه مع فرساتنا فى الصدام ويفعل بأنطالنا كما فعل بأبطال الشام ويبارز من عندنا من الخاص العام وها هو قد وصل البنا من أجل ذلك قد علينا وأنه يا مالك قد أرسل يقول اضمن لى عند الملك النعمان أنى لا أطلب منه نوقا ولا فصلان حتى أنه يجمع لى ألفا من الفرسان الشجعان وأبارزهم بين يديه فى حومة الميدان ويشهد لى بالزيادة لقومه بالنقصان وبعد ذالك يجمع لى فرسان العراق والحجاز ويخرجهم لى فى ساحة البرازكى أتلالهم معهم فى الميدان وأزيه ما أفعل بهم بالرمح والسنان من تشتيت شملهم وقطيعتهم مرة واحدة وان كنت فى شك من هذا المقال فامره أن يضيف اليهم الفين من العجم وجيا بزة الديلم من كل فارس يهيب وأنا أريه فيهم العجب قال الراوى فلما أن سمع الملك النعمان من الحاجب

ذلك الكلام تعجب وأخذه الابتسام وحصل له فرح وأتسع صدره وأنشرح وقال فى نفسه بهذا الفارس أنال المرادى من بنى عبس وعنتر بن شداد ثم أن الملك النعمان بعد ذلك الكلام قال وحق النار والنور والظل والحرور أن فعل هذا الفارس ماقاله وقام بما نطق به من فعاله لأعطينه جميع ماطلب من المال والانعام وأرفع شأنه عندى فى أعلى مقام ويكون سيف نقمتى وأقاسمه من نعمتى لأن الفارس الخبير بملاقاة الأبطال يغنى عن الكثير من الرجال ويكون جسورا على النابيات فيكون لناعده فى كل الاوقات وبعد ذلك أريد أن أنفذ لبنى عبس وعنتر ومن قبيلتى عسكر ولاأدع لهم ذكر يذكر إلا أن باتوا لخدمتى ويدخلوا تحت طاعتى وإلا أرسلت اليهم هذا الفارس المفصال الذى شاع ذكره فى جميع الابطال وهو الفارس الغسانى الذى ماله فى زمانه ثانى وأرسل معه جماعة من العربان الانجاب وأتسبب فى قبضهم بكل الاسباب وإذا ظفرت بهم وصاروا فى قبضتى أنزلت بهم الذل والوبال ولاأرجع عن هذا السبب وبعدما أبلغ منهم الارب اعفوا عنهم لاجل سؤال الشيخ عبد المطلب ولاأخالف له قولا ولا انكر له فضلا ٭ فعند ذلك سار الحاجب فى ساعة الحال إلى ذلك الفارس الريال ومعه جماعة من الابطال واخذ معه جواد من الخيول العوال وهو من جنائب الملك النعمان وصار فرحان بملاقات ذلك الفارس المنصان وماز ال على ذلك الشأن حتى وصل اليه وقدم عليه (قال الراوى) وكان الرسول الذاتى لهم فى الاول قد سبق والجواد ارسل ليبشر بقوم الحاجب عند أصحابه ورفقاه ويأمرهم بالركوب إلى لقاه فعند ذلك دعا مقرى الوحوش بجواده ولبس الفخر ثيابه وركب فى ساعة الحال وركبت بعده أولئك الابطال إلا أنهم ماساروا غير مسير حتى تلقاهم ذلك الحاجب الكبير فلما أن رآه مقرى الوحوش قد اقبل ففى الحال ترجل وللارض قبل فلما رآه الحاجب وقد فعل هذا الفعال نزل على الرمال وتقدم لذلك الفارس وأخذه بالأحضان وفعلت كذلك جنود النعمان وسلمت الفرسان على الفرسان وبعدما غوا من السلام على بعضهم البعض وهم جميعاً واقفون على وجه الارض امرهم الحاجب بالركوب وطيب منهم القلوب وبشرهم بنوال المطلوب واراد مقرى الوحش ان يعود إلى جواده الذى أتى به من بلاده فلم يمكنه الحاجب من ذلك الشان بل انه قدم له ذاك الحصان الذى اتى به من كل جانب الملك النعمان وامر بركوبه بين الفرسان حتى ادخل به إلى النعمان وكان ذلك الجواد من اخر خيول الرب بسرج من ذهب وعدة كاملة وآلة شاملة فركب مقرى الوحش على صهوته واوقره بحشمته وسار بين اهله وعشيرته هذا والحاجب بجانبه وهو بيباسطه ويحادثه وهم سائرون واصحاب النعمان بذلك الفارس

مستبشرون وكان الحاجب قد أعلم مقرى الوحش بما جرى بينه وبين النعمان من مبارزة الفرسان ومجادة الشجعان وبما أوعده الملك النعمان من الخير والاحسان ومن النوق والفصلان والخيول الحسان وقال له أن أمر بحضورك اليه لتجتمع معه أستر مكان فعند ذلك فرح فارس بنى غسان وعلم أن سعادته فى زيادة غير نقصان وقد سار مع الحاجب من خلفه من الأصحاب حتى دخلوا من الأبواب فعند ذلك ترجلوا عن الدواب وسار الحاجب ومعه فارس بنى غسان يريد الدخول على الملك النعمان وهما يتحادثان إلى أن وصلا إلى النعمان فلما رآهم مقبلين إلى ذلك المكان تأمل له الملك النعمان فوجده فارسا لا تماثله الفرسان تلوح الشجاعة بين عينيه وهى تشهد له ولا تشهد عليه وفى وجهه علائم وآثار تدل على أنه قد لقى الشدائد والأخطار فعند ذلك دخل وتقدم وحيا وسلم ودعا للملك النعمان بدوام العز والنعمان فرحب به الملك النعمان وأجلسه فى أعلا مكان ثم أنه أمر الخدم بأن تولوه بالطعام فأكل وهو جالس على ركبتيه مثل الأسد الغضبان وعيناه تلوح فى أم رأسه كأنهما عيون النمر الحردان وجميع الحاضرين ينظرون اليه بالعيان وهو يقول والله إن هذه دلائل الأبطال والفرسان والأقيال ولما أن ما كان من أكل الطعام دارت عليهم بعد ذلك كاسات المدام بتداه الملك النعمان بالكلام وقال له يا فارس الشام أليس فى حلتك من تره من الأراملى والأيتام حتى تخرج صداقتك للوحوش والهوام فقال مقرى الوحش يا مولاى ماهنا أحد فى عشيرتى إلا وقد شملته بركتى وعمته نعمتى وقد تركت الفقراء أحسن من الأغنياء وإنما هذه النوق أجعلها قربانا لأن فينا من لا يأكل لحوم الجمال من بنى غسان لأنهم قوم نصارى وهو فى ملتهم حرام إلا من يكون غريبا من تلك الوديان أو يكون فقيرا وجيعان فلما سمع الملك النعمان من مقرى الوحش ذلك المقال قال له يا فارس الزمان أعلم أن لنا فى أرض الحجاز قبيلة تسمى عدنان وفيها فارس قد قهرنا فى الميدان وكسر عسكرنا وبددهم فى القيعان وقد عجزنا عنه فان أنت قهرته وقتلته أو أسرته وأتيت به عندنا وهو أسير أعدتك إلى أرضك وبلادك بالخير الكثير وأجعلك عندى أمير وأعطيك ملكا كبيرا قال ۞ فلما سمع مقرى الوحش كلام النعمان قال وحق المسيح والصلبان والست مريم بنت عمران هذا الذى كنت أريده يا ملك الزمان لأنك أنت شهدت له بهذه الشهادة وقد أقرت له بالزيادة على سائر الفرسان وقد شاع عنه فى جميع البلدان بأنه أذل الأقران وإذا خرجت أنا إليه فى ساحة الميدان وأنزلت به الذل والهوان يرتفع بذلك قدرى بين العربان وأكون قد أخذت الطبقة العليا فوق الفرسان وأصير أوحد العصر والأوان على

أنى ما أعود من عندك ولا أفارق أرضك حتى أقهر أعداك وأبلغك منهم مناك وأذل منهم الأعناق وأخلى منهم الآفاق ومن الغد أيها الملك السعيد كلفنى ما تشتهى وتريد واختبرنى بما تحب وتختار وقد بان لك فعلى بين أولئك الحضار فقال له يافارس غسان اريد منك النزول إلى الميدان بعد برهة من الزمان وأراك فى الحرب والجولان كيف تفعل بالفرسان عند معترك الطعان فقال له مقرى الوحش ها أنا يا ملك حاضرين بين يديك ولا ترى إلا ما تقربه عينيك فقال النعمان نحن ما نكلفك بذلك الشأن فى هذا الاوان حتى يطلب لك عندنا المقام وتلتذ معنا بالطعام وشرب المدام ثم أنهم عادوا لما كانوا عليه من شرب الراح ولم يزالوا على ذلك المرام مدة عشرة أيام وبعد ذلك طلب مقرى الوحش من الملك النعمان البراز وسرعة الانجاز مع فرسانه العزاز فأجابه بسائر المطلوب ونادى فرسانه بالركوب حتى ينظر الغالب من المغلوب (قال الراوى) فعند ذلك ركبت جميع الشجعان وقد اعدت الفرسان واتت الأبطال الكرام تريد بجمعها الصدام وقد خرج الخاص والعام وكان ذلك اليوم عظيم المرام مارؤى مثله فى سالف الايام وأيضا خرجت البنون والبنات والنساء المخدرات وقد زينت البلد واخرجت العدد ثم ركب الملك النعمان الليث الهمام وعليه حلة حمراء مطرزة الاكمام وقد عقدت على رأسه على الأعلام ونشرت الرايات ودقت عند ذلك الطبول والكاسات وقد لعبوا بالسيف والسناز فى حومة الميدان واصطفت الابطال والاقران وبرزت الشجعان وقد لعبوا بالسيف والسناز فى حومة الميدان وجرت لهم ساعة عظيمة الشأن بما فعلوا فى محل الرهان وبعد ذلك خرج مقرى الوحش إلى ساحة الميدان واشتهر بين الاقران ولعب برمحه بين الفرسان فى حومة الميدان ثم إنه ترنح على ظهر جواده وفاض الشعر من فؤاده فنطق به لسانه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تسميت مقرى الوحش فى كل معرك ... أبيد العدا بالمرهفات الصوارم
وشاع بمقرى الوحش أسمى وكنيتى ... مكسيد الاعادى واللبوث الضراغم
وقد طار صيتى اليوم كل بلدة ... وسدت جميع الخلق عرب وأعجم
وذا اليوم يا نعمان تشهد أننى ... أنا فارس الفرسا بين العوالم
وتشهد لى الابطال فى حومة الوغا ... كما شهدت لى فى الحروب الاكارم
وإن لم أكد ذا اليوم عنتر وقومه ... فلا حملت يدى سنانى وصارمى
واترك دياره بعد موته خلية ... واقود فرسانه كقود البهائم

ألا يا مسيكة أحفظى العهد بيننا ولا تسمعى قول العدة المياشم
سألقى ملوك الأرض شرقا ومغربا وأعد سيفى فى رقاب الاعاجم
وإلا فما نلت الذى طلبته ولا بلغت نفسى المنا كابن ظالم
سلام عليكى يابنت العم وأعلمى يأتى اليكى قادم بالغنائم

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من هذه الأبيات الحسان انحدرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان مثل العقبان كانهم أفراخ المحان حتى أنهم ملؤوا الميدان وكان الحاضر من جيش الملك النعمان فى ذلك المكان عشرين ألف عنان وكلهم شجعان فلما أبصرهم فارس بنى غسان لم يتغير له عقل ولا جنان فعند ذلك خرج منهم فارس على جواد صبور على المجال وعليه زردية قصيرة الاكمام مليحة الهندام لا يعمل فيها حسام فلما صار ذلك الفارس فى حومة النزال صال إلى وجال أن أذهل عقول وجال وبعد ذلك الشأن طلب براز الأقران فبرز اليه فارس من بنى وائل كان عليه للشجاعة علائم ودلائل وهو غريق فى شبكته معتقل بعدته (قال الراوى) فلما رأى مقرى الوحش ذلك الشأن أرتكن فى جانب الميدان حتى يبصر ما يكون بين الفرسان وأما هذان البطلان فانهما قد اعتركا واشتبكا ساعة من النهار وقد اعتدلا فى سرجهما وحملا على بعضهما وتطاعنا بسيفهما وسنانهما وأتقن أحدهما إلى خصمه طعنة خبير فأخذمنها أسير وشال على رأس السنان ورماه فى قاع الصحصحان ولم يؤده ولم يصبه بشىء من الهوان فعندما علم من مقرى الوحش هذا الشأن التفت إلى مقرى لوحش وطلب معه المجال وحمل بكليته وصوب سنان القنطارية اليه ليفعل به مثل مافعل بالفارس الذى تقدم وظن أنه يطعنه ويأخذ الفخر على العرب والديلم فلما قرب القنطارية اليه زاغ عنها بمعرفته وجاد عنها بحيرته وصار عليه حتى حاذاه ولاصقه وساواه وأخرج رجله من الركاب ورفسه بها فى صدره نطيره فى سرجه على التراب فبرز اليه ثانى فارس من بنى لخم وجذام وقد جرد فى يده حسام وحمى جواده وأطلق له عنانه وما زال فى قوة جنانه حتى قرب منه وأراد أن يضربه ويقضى عليه وإذا بمقرى الوحش قد مال عليه ووكزه برمحه فقلبه وعن جواده كركبه فخرج ثالث من بنى شيبان وكان من الشجعان فثبت له فارسا من بنى غسان إلى أن حاذاه وشال السيف بيده وهو مجرد من غمده وأراد أن يضربه بحقة فاشعر به إلا وقد مسكه من أطواقه وضيق عليه خناقه وجذبه بزنده وأقتلعه من بحر سرجه ورفص الجواد فى جنبه فقصف أضلاعه وجذف الفارس نطول باعه وقوة ذراعه حتى كاد أن يطير

نخاعه فعندها انذهل من آه واختل عقله وتاه ولما ابصرته الفرسان ونظرت فعاله صاروا يخرجون اليه أول باول إلى أن أجتمعت خمسون من حتفها عليه وهو يبدد كل فرقة حملت عليه ووقفت بين يديه وقد طاب له العمل وجال برمحه وحمل وقد هجم على الفرسان وتثر الافرار وعلم الشجعان وطحنهم فى ساحة الميدان ولم يزل على مثل ذلك الحال إلى أن عول منها على الارتحال فعادوا إلى منازلهم والاطلال (قال الراوى) لهذا الكلام وفى ثانى الأمام فعل مثل مافعل باقوم وفى اليوم الثالث حلف فارس بنى غسان باجل الأقسام لايخرج اليه إلا الف فارس تمام من قدر عليه فى الميدان يضربه بالسيف وبالسنان او يقتله وينزل به الدمار والفناء وهو برى من دمائهم أنه بعد ذلك أمر بقصعة من خشب الخولنجان توضع فى جانب الميدان مملوءة ماء وردوز عفران (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان أمرهم أن يفعلوا ماطلب فارس غسان فقالوا السمع والطاعة فما كانت غير ساعة حتى احضروها وفى جانب الميدان وضعوها فتقدم هو اليها ورمى قطعة من شاش ابيض فيها واخرجها بعدما بلها وعلى طرف رمحه لفها وقال هذه عوض السنان لاعلم بها على الاقران قال الراوى فلما أن تم أمره اومأ إلى الفرسان أن تحمل عليه فعند ذلك حملت عليه ألف فارس حملة واحدة وارمت عليه ارواحها ومدت اليها وماحها وجردت سيوفهم وخفقت مبوسها فصرخ فيها صرخة عظيمة أزهق منها نفوسها وقد شالت الخيل لها رؤسها وقد جال فيها حولانا وأى جولان وهو مثل الأسد الغضبان غرق فى ذلك الجيش الجرار وطاب الطعانان والضرب وقل الخطاب وظلوا على تلك الحال إلى أن أن عول اليوم على الارتحال ومالت الشمس إلى الزوال وقدم علم الأمير مقرى الوحش على نصف الأبطال فعند ذلك تزاعقت تلك الاقيال وجالت من اليمين إلى الشمال مدت اليه قطع الرماح الطوال وهو يلقى منهم المضارب ويبطلها برى صايب وهو يهدر هدير أسود الغاب ويخدشهم فى البحور والرقاب وهو تارة يكون فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة قدام وتارة خلف وهو مثل النسر الحوم الذى لايخشى صروف الليالى والأيام إلا أنه ماانصرم النهار إلا وقد علم ذلك الجيش الجرار وما أحد منهم قدر عليه لا بسيف بتار ولا برمح خطار ثم أنه بعد ذلك الشان خرج من ساحه الميدان وقد دارت به تلك الجموع والفرسان وأتوا به إلى الملك النعمان قال المؤلف لهذا الديوان ولما أن صار مقرى الوحش قدام الملك الهمام قبل الأرض باحتشام ودعا بالعز والدوام فاخذه برضاء وقبول وقدم الخيل له وافرغ عليه الخلع العوال وأفاض عليه من الأموال وقد فضله على سائر الأنام وقدمه على الف فارس همام مافيهم إلا كل أسد ضرعام وليث قمقام ثم أنه جعلهم

له فى الخدمات وأخرج اليه الخيام والسرادقات أخرج له الجمال والخيل والبغال وقد صار مقرى الوحش كانه ملك ملوك الزمان قال الراوى فلما رأى مقرى الوحش إلى مافعله الملك النعمان قال له يامولاى وأى شىء عملت من الشأن حتى استحق هـــذا الاحسان وانا ماأريد ان يكون منك هذا العطاء والاسعاد إلا إذا قدت بين يديك عنتر ابن شداد ومن معه فى القيود والاصفاد ولا أترك إلى دولتك أحدا من الحساد ولا من المعاندين والاضداد قال فلما سمع الملك منه قال له إن فعلت هذه الفعال ما أخيك ترجع إلى بلادك الشام بل تكون عندي مادامت الليالى والايام وأحضر لك زوجتك إلى هذا المقام وتقوم عندى طول الشهر والاعوام وبعد ذلك أقاسمك فى نعمتى وتبقى نديمى فى حضرتى باقى الأيام فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام قبل يد النعمان فى ذلك الوقت والزمان وعلم أن السعاده انقادت اليه وسعده صار فى زيادة بلانقصان وقد قام على ذلك الحال عند الملك النعمان مدة من الزمان وهو يظرب معه بالمدام وايضا مع سائر الفرسان الكرام قال الراوى لهذا الكلام وفى تلك الأيام شاع قتل الحارث بن ظالم فى القبائل وفى كل مكان ووصل الخبر إلى بنى عبس وعدنان وبنى فزارة وغطفان فاكتروا عليه التاسف والاحزان وكان أكثر الناس حزنا على هذا الأمر حذيفة بن بدر لانه كان متكلا عليه فى أوقات المكر والشر وأما بنو عبس فانهم فرحوا بهذا الأمر الذى تم وعلموا أن ركن بنو فزارة انهدم فزادوا الافراح والنعم وقال عنتر قبح الله من ظلم واعتدى واهلك الخائنين والعدا فلله در بنى عبس ومافعلت فانها ماحكمت إلى وعدلت وكان الملك قيس قد صفا لحذيفة بن بدر وظن أنه تغير عن ذلك الغدر ولم يعلم بما فى قلبه من الخبث والمكر وصار أكثر الاوقات يقضيها معه بالملذات وبنادمه فى الولائم والدعوات وكذلك أهل القبلتين قد اتفقوا على ذلك ومال عنهم الشين وكانوا تلك الايام قد جدوا فى عرس عنتر وصاروا يتقربون اليه وشرعوا فى دخول عبلة عليه هذا وعنتر قد انفذ إلى أصدقائه وأصحابه ورفاقه وعمه مالك قد ذاب صميم مهجته وتأسف على ابنته كيف تخرج من بينه بغير شهوته فلما زاد به الهم وضيق بعث يشكر حاله إلى الربيع وحذيفة بن بدر فتوجعوا لوجعه وساروا يدعون على عنتر ومعهم رجل يسمى عمارة لان بقلبه من عبلة حرارة ومازال بنو عبس على ذلك وأفرحهم كل يوم تتجدد حتى وصل إلى حذيفة كتاب من عند الملك الاسود وهو يخبره فارس الشأن المنصان وماهو عليه من مشأن وهو مقول له ابشر ياحذيفة فقد نا من بنى عبس القلعان إلى آخر الزمان لانه قد وصل إلى أخى النعمان فارس

لا يقاس بالفرسان وشجاع قد فاق كل الأقران لأنه أسر فى ثلاثة أيام الف فارس همام ولا تعب ولا شق عليه ذلك الشأن بل بقيت الأبطال بين يديه مثل النسوان وأخى النعمان قد عول أن ينفذه إلى بنى عبس وعدنان ليقلع منهم الآثار ويخرب الديار ويقتل الكبار منهم والصغار ويهلك عنتر بن شداد ويجعله معفرا فى الوهاد ويسكن عرب اليمن فى ديار بنى عبس لأن أرض اليمن قد أقحطت وأتت قبائل منهم تشكوا إلى أخى الغلا وقلة المرعى فقال لهم اجتمعوا حتى أنفذكم إلى أرض الحجاز واتخذوها لكم وطنا ومرعى وسرحوا فى جنباتها أموالكم تسمى واجعلوا بنى فزارة لكم جوارا وكونوا لهم مساعدين وأنصار ومعهم هذا الفارس الهمام الذى ذكرت لكم أن يسير فى هذه الأيام وهو فارس وسوف يرى معه مواكب مثل الجبال وكتايب مثل الرمل إذا سأل فى جنح الظلام فدبر هذا الأمر كما تريد بحسن الاهتمام فلما سمع حذيفة هذا الكلام أيقن ببلوغ المرام وأمل أن يصل إلى ما أراد مع بنى عبس وعنتر بن شداد إلا أنه لما سمع هذا الحديث كتمه ولم يطلعه على أحد مخافة أن يعلم بنو عبس فيحترزون على أنفسهم ويكاتبوا حلفائهم ثم بقى حائرا كيف يفسخ الصلح حتى يكون عونا للعساكر القادمة وأما عنتر بن شداد فانه قال للملك قيس الهمام الرأى أن نجبر قلوب الأرامل والايتام فتغمرهم بالأنعام فنلبسهم أفخر الألوان ولا ننهى بولائم ولا يأكل طعام فنلتذ بشرب مدام فلما سمع الملك قيس هذا الخطاب علم أنه صواب فصار الملك كل يوم يجمع الصعاليك وأصحاب الأحزان ويذبح لهم النياق والفصلان ويفوق على النساء والصبيان ويسليهم عمن فقدلهم من الخلان ومازالوا على هذه الأحكام تمام عشرة أيام وبعد ذلك تلاقى قلوب النسوان وقال لهم يا بنات الأعمام ما يفيد هذا النواح والبكاء والاشتكاء ولا يرد الدى فقدلكم لى وذلك أنكم تبطلوا هذا إلا من أجل هؤلاء الأقوام دعيناهم هذه الأيام قال الراوى لأنهم جميعا حلفائهم لأجل الوليمة التى فعلوها لهم أشبع الجيعان ورد لهفة البنات والصبيان وكذلك فعل عنتر حتى قلعوا جميع النساء ما عليهم من ملابس السواد والحداد هذا وعنتر وأخوته قد قاموا بخدمة من أتى إلى الوليمة وكذلك والده شداد وأخوته بادروا فى ذلك العمل ساروا يجلبون له الخمر من ساتر الحلل ويسعون فى قضاة أشغاله لأنهم فرحوا بما حصل فى الفرسان عنتر وما ناله من الزواج وبلوغ الأمل وكذلك عمه زخمة الجواد وقد أظهر ما عنده من الوداد قال فلما انجزت الأشغال بطل البكاء والعويل وأمر الملك قيس

اخراج الهوادج وأن تزين بيت الحلة وابنياته وتضاربه وتنشر أعلامه وتعلى مراتبه فلما فعلوا ما أمرهم به وظهرت أعلام الديباج صاروا من الفرج بغاية الابتهاج وبرزت الولدان وألبسوها من سائر الألوان وعلقوا فى أعناقهم قلائد الجواهر والمرجان واللؤلؤ غاية الأثمار وقد لبست النسوان ثياب الأفراح وقد تساوى عندهم المساء والصباح وأشهروا السلاح وركبوا الخيل الملاح وكان أحسن الحلة بيوت بنى قراد وكان أفراح الخاق بذلك عنتر بن شداد وقد أظهر العماريه الفضيه التى قد أتى بها من عند الملك كسرى وكذلك التاج الذى محبوك بالجواهر والذهب الوهاج قال الأصمعى فعند ذلك زاد الحى ارتجال وقد صار النسوان والبنات والاماء يضربن بالدفوف واشهر العبيد بأيديهم السيوف وذبحت الاغنام والنياق وروقوم المدام إلى أن صفا ورق وصار صفى من دموع العشاق وطالهم الزمان وغفلت عنهم طوارق الحدثان وصفت الخمور فى الدنان وهم يذبحون الاغنام ويروق المدام قال الراوى وظلوا على هذا الحال تمام ثلاثة ايام وفى الرابع والسرور متتابع وأمر الزفاف قد انتجاز غاية الانتجاز وما بقى فيه خلاف فعند ذلك أنفذ الملك قيس إلى حذيفة وأخوته وجميع الاكابر من عشيرته وهو يحثهم على القوم فى ذلك اليوم فاجاب حذيفة بالسمع والطاعه وقد تأهب من تلك الساعة فيمن واقفه من الجماعه وقد عولوا على المسير الكبير منهم والصغير وكان سنان بن أبى حارثه منتظر فى هذه الايام للقبائل التى جهزها الملك النعمان وهم مرتقبوا فارس بنى غسان لان حذيفة كان أعلم سنان بما وصل اليه فى الكتاب الذى أنفذه اليه الملك الاسود وقد أعلمه بالامر الذى حدث وتجدد وقال أنا أعلم يا سنان بان العساكر تصل فى هذه الايام ولكن أنا خائف أن ينتهى عنتر بو لية ويدخل على زوجته ويقضى شهوته وتدوم مسرته وأنا أريد أن انقض العهد الذى بينى وبين بنى عبس ولا أحضر لهم عرس بل أننى أريد أكون عونا للطوائف القادمين على قطع آثارهم وخراب ديارهم وأنا من ذلك حرى فى أمر ولا أدرى بأى شىء افتح باب حتى لا أقرب لهم ديار لان فى أفراحهم حزنى وقتل فرسانهم غالة فرحى فيا ليت شعرى كيف حال عمارة بن زياد لانى أعلم ان حسده يذوب من شدة الغرام وإن دخل على عبلة فى هذه الأيام مات عمارة قهرا وذابت أحشاءه من الآلام قال الناقل إن كان الذى حسبه حذيفة صحيح فعمارة تعبيان القلب من يوم ما صنع عنتر هذه الولائم ولما قامت له الافراح ازداد عند عماره الاتراح لاسيما من يوم زينة عبلة فانه قد ابتلى بالهم والذبلة وقد اصابته الف علة وكلما سمع صياح الافراح قد علا يزداد هما وبلا وكذلك اخوته اغتموا لغمة وقد حملوا بعض همه وما حضر الولية منهم إلا الربيع بن زياد

لأنه كان أعقل أخوته فواظب عند الملك قيس فى مقام الأفراح وترك أخاه عمارة فى الهم والأفراح وهو يبكى عند أمه فى الأبيات ومن جسده لعنتر قدمات وأما بقى أخوته فانهم أوسعوا فى البروسار إلى المرعى وقد اشتغلوا بشرب الخمر قال الراوى وأعجب ماروى فى هذه السيرة العجيبة أن الحصين بن ضمضم الذى كان عنتر قتله فى يوم وقعة المريقب وأسقاه كاس المنيه كما أشار لهذا الكلام فى القصيد الميمية حيث يقول

ولقد حفظت وصاة عمى فى الضحا ... وتفلص الشفتين عن وضح الفم
ولقد خشيت بان الموت ولم تكن ... للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرض ولم أشتمهما ... والغادرين اذا أحميتهما دمى
أن يفعلا فلقد تركت أباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

قال الراوى وكان الحصين بن ضمضم هذا عن بنى فزارة وهو ابن خالة حذيفة فاتفق أنه ركب فى ذلك اليوم الذى نحن فى حديثه وطلب الصيد إلى أن وصلوا إلى مرعى بنى عبس وقارب مراعى بنى زياد فنظر إلى طالب أخى الربيع وهو تحت شجرة يستظل تحتها وهو جالس يشرب من الخمر وارحى ورائه ظهره عواقب الأيام وجماله قدامة تسعى وهى صحبه عبيدة قرعى فاقبل عليه الحصين وقال له حيلك يا ابن زياد ونسل الاوغاد أنت أمنت فى هذا البر والربا وقد غنيت عجبا وطربا فقال له نعم يا حصين لان العرب فى ساحتنا والنصر على الويتنا وسوفنا نقذبها رقاب حسادنا لان رماحنا مداد فلما أن سمع الحصين مقاله تغيرت أحواله ولم ينظر ما بين يديه فدر أس الفرس اليه وحمل عليه وطعنة فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وحل به الفناء والخسارة وعاد الحصين طالباً بنى فزارة ودخل على حذيفة بن بدر وأخبره بما فعل من الغدر فلما سمع حذيه كلامة فرح بأعماله وأجاد رأية فى فعلته وقعد عن المسير لملى وليمة عنتر هو مع اخوته واعلم بذلك فرسان عشيرته لانهم تجهزوا للسفر لاجل أفراح أبى الفوارس إلا أنهم لما علموا بهذا الفعال أخذا أهبتهم للحرب والقتال وصار لبنى عبس فى انتظار وقد خافوا أن يدهمهم على غفلة ليلا أو نهار قال الراوى فهذا ما كان من الايراد وأما ما كان من أمر بنى زياد فبينما هم جلوس فى الحلة وهم يذكرن الوقائع فى سائر البيد إذ أقبلت عليهم العبيد بالصياح فى الحله وهم يدعون بالويل والثبور وعظايم الامور فعندها أقبلت الفرسان وسألوهم عن تلك المصائب فقال لهم قد قتل سيدنا طالب فقال لهم من قتله وأنزل به البلا وألقاه قتيلا فى البر وهذا الفلا فقالوا لهم الذى قتله ابن ضمضم الحصين وكان على قتله قويا

متين فعند ذلك أقام أهل الحى بالصياح وأقبلت الفرسان من سائر النواح ولبسوا عدة الحرب والكفاح واعتقلوا بالسيوف والرماح وأما بنوا زياد فقد حلت بهم المصايب وهذوا الخيام والمضارب وأما زوجة الملك قيس فانها لما أن بلغها الخبر كاد قلبها أن ينفطر وقد اجتمعت العساكر وهمزت الخيل بالارغاة وقصدوا ابيات بنى فزارة قال فبينما أهل الحى يتحدثون فى عرس عنتر ودخوله على عبلة اذ أتى اليهم الرجال وأخبروهم بتلك الاحوال فقاموا ليكشفوا الخبر فتبينوا العساكر وإذا هم بنو عبس فقالوا لهم ما الذى أقدمكم علينا هل زائرون أو طالبون حربنا فقالوا لهم أن الحصين قتل طالب بن زياد ونحن جئنا نأخذ بثأره فعندها قام فى وجوههم مشايخ بنى فزارة وقالوا لهم احقنوا دماء القبيلتين ولا ترموا بيننا الشر والفتن فقال لهم بنو عبس إذا أردتم ان تسلموا من التعس فسلموا الينا قاتل أخينا فقالت المشايخ نحن نعطيك الدية ونسألكم فيها القبول فعند ذلك أقبل حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر وهو يقول ابن خالتى كان سكران وما عنده علم بهذا الشأن وهو زوج ابنتى ومن أهلى وقرابتى وأنا لا أسلمه لمن يتحكم فيه ويقتله بل ان أردتم دية المقتول على هذه الحالات فأنقد اليكم عشرة ولا انقص الايمان ولا أكون خوان قال الراوى فلما سمع قيس ذلك المقال قال هذا رجل فى الحرب جوال ولا حاجة فى جواره وسوف أقلع آثاره ثم أنه ركب وركبت بنو عبس وقد عولوا على المسير فعندها أقبل عليها نجاب من صدر البر والهضب فوقفوا ليسألوه واحدقوا اليه النظر ورمقوه وإذا به عبد من عبيد المتجردة فعند ذلك تلقاه قيس مع رجاله وأخذ يسأله عن حاله وسبب مسيره وقطع الفلاة وما معه من الخبر وما وراءه فقال العبد ورائى الويل والحرب وشىء يؤدى الى الموت والعطب فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال له ويلك وأى شىء هذه الاهوال قال أيها الملك الهمام دع عنك هذا الكلام وخذ أهبة الحرب والطعان فقد أرسل اليه الملك النعمان من عنده عسكر أجرار ا ومعهم فارس جبار ويطل مغوار وهو يظن أنه يقطع من بنى عبس الآثار وأنا اخبركم أيضا أن الملك النعمان تخشى بأسه العربان لأنه صاحب الحسب والنسب الذى جاز الفضل والادب بقى حائر بأى حجة يحتج بها فى قتالكم والنيران تتوقد فى قلبه من فعالكم حتى أتت اليه عرب من أطراف اليمن ومن تلك الأطلال والدمن وشكوا اليه القحط والعلا وقلة الشعب والكلا فأمرهم المسير الى أراضيكم وأباحهم منازلكم ومراعيكم وسير اليكم قبايل جياع ما بهم من يفزع

من الموت ولا يرتاع ومعهم هذا الفارس الغسانى الذى ماله فى الحرب ثانى وهو يقال له مقرى الوحش وقد قال لأخيه الأسود أعلم ياأخى أنه قد صار لنا حجة تحتج بها عند سائر العرب من بعد منها أواقترب وأن لامنا السيد عبدالمطلب على هذا السبب نقول له أن هذه القبائل غريبة من اليمن وقد طلبت الاقامة فى أرض الحجاز وأرادت السكن فى تلك المفاوز وكان لها على بنى عبس دماء وثار وقد طلبتها من دون عرب القفاره ثم أن العبد قال لهم وأنتم يا موالى خذوا حذركم ودبروا أمركم للقاء غريمكم وأما أختك المتجردة فلا يسأل عنها لاجلكم (قال) فلما سمع قيس ذلك الخطاب قال له ويلك أى شىء هذا الحال ولم لم تعلمنا بهذا المقال قبل توجه هذا الجيش الجرار حتى كنا نستعد لهم ونأخذ لانفسنا الأحذار فقال له العبد والله يا مولاى أن الملك النعمان وكل بالطرقات رجال وما وجدت فرصة حتى سارت العساكر ولا بقى أحد يحتج على خارج ولا داخل فارسلت أختك إلى بعض الأماء وقد أمرتنى بالمسير فى هذا المعنى وقالت لى إلحق بقومى واركب بعض النجب وأقطع البيداء وسر اليهم وأخبرهم من قبل أن تدركهم الأعداء وهم غافلون فيكون سبب هلاكهم وسوء ارتباكهم فعندها يا مولاى فعلت ما أمرتنى وشديت عزمى والخيل وسرت من الحيرة الليل وقد أوسعت عنهم فى جانب البر مخافة أن تقع على العين ويعرفونى فيمسكونى ويقدمونى إلى الملك النعمان فكان يسقينى كؤس الذل والهوان ومازلت أقطع الاوعار والغفار أسير بالليل وأختفى بالنهار إلى أن وصلت إلى أطلالكم والديار قال الراوى فلما سمع الملك قيس كلامه وفهم معانيه أشتغل قلبه عما كان فيه وفى ساعة الحال رجع هو ومن معه طالبا الأطلال ولما وصل واستقر به القرار أرسل خلف عنتر الفارس الكرار فلما أتاه الخبر ركب هو وأعمامه مالك وزخمة الجواد وكذلك أبوه شداد وجميع فرسان بنى قراد وكان عنتر قد تخلف فى الأول من الركوب ولما أتاه رسول الملك قيس أحتاج أن يركب حياء منه وخوفا من عتبه (قال الأصمعى) وكان عنده أبن أخيه الهطال فى جماعة من بنى عطفان الأبطال لأنهم كانوا قد أتوا ليحضروا عرس عنتر فاتاهم الأمر بخلاف ما على بالهم قد خطر (قال الراوى) فلما وصل عنتر عند الملك قيس خدم بعد ما سلم فعندها أخبره الملك قيس بالخبر وبكثره الجيوش الساترة إليهم وأعلمه أن أخته المتجردة هى التى أرسلت إليهم من خرفها عليهم وقد أخبره بما تجدد وقال له يا أبا الفوارس ماذا تقول فى المعروف الذى حصل منا مع الملك الأسود فلما سمع عنتر كلامه اشتد به الغيظ وقال له ما أعظم

ماقال وتكلم وقال ياملك هذا كله من أيديكم حتى وصلت أذيته اليكم وإلا لو كنتم مكنتمونى من ضرب رقبة الاسود وقتل الفرسان الذين وقعوا فى أيدينا ما كان جرى علينا فعند ذلك قال له الملك قيس ياأبا الفوارس هذا الأمر قد فات وذهبت منه الافات وقل لنا أى شىء عندك من الرأى فى هذا الامر والشأن قبل أن تدهمنا طوارق الحدثان فات هذا العسكر المرسوم عدد النجوم قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه فهم هذه العبارة قال ياملك أننا نسير كلنا إلى بنى فزارة ونضع فيهم السيف قبل أن تصل الينا عسكر النعمان ونعود إلى هذا الشأن ونلتقيهم ولو كان معهم عسكر خرسان فلما سمع الملك قيس هذا من عنتر قال له ياأبا الفوارس ما بقى علينا إلا أن نفعل هذه الفعال لان الاعداء قربوا من الديار ولو سرنا اليوم إلى بنى فزاره ماوصلنا اليهم إلا عند المساء ونحتاج للمبيت إلى غد وفى يوم أو يومين تبلغ منهم المنى ونحن نخاف من هؤلاء العرب الغربية أن ينزلوا عند غيبتنا وتبقى أموالنا بلا حامى ولا أحد منا عندما فينهبوا الاموال ويأسروا العيال وأنى قد رأيت من الصواب أننا نقيم ونتاهب إلى الخصم والعدا ونقاتلهم حتى يبقوا مطروحين فلما سمع العبد الذى قد أتاهم بالخبر قال يامولاى ماغاب القتل يكون فيكم إلا قليل لكن الامر كثير لان النعمان أوصاهم بالاسر وأما فارس بن غسان فقد ضمن رأس عنتر بن شداد وقال للنعمان أريد منك ألف ناقة من السوق العصافيرية وتكون من جملة المهر والصداق وأنا أتيك برأس عنتر بن شداد أن شئت قتيلا أم أسيرا فى الوثاق فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام قال له يا عبد الخير كذب هذا الوغد اللئيم فى مقاله وحق من أرسع البيدا وبيده رقاب كل مخلوق لاتركته أسيرا فى أرضنا وهو بالذل موثوق بعنده فعاد الملك قيس إلى الخيام وهو يقول إلى فرسان بنى عبس ما فيكم لليلة من ينام إلا وهو معتقل بالسلاح ولا يصبح إلا وهو معتد للحرب والكفاح ثم بعد ذلك أقبل على الربيع بن زياد وقال له لاتحزن ياابن العم وتظن أننا ندم أخيك غافلون أو أننا بهذه الفعال راضون لاتتركه يمضى هدار فلابد لنا من بنى فزارة مرة أخرى ويصير لنا وإياهم شأر وتمكن منهم كل الامكان وإذا كسرنا عسكر النعمان ما بقى من بنى فزارة إنسان فوالله لقد كان جوارهم يئس الجوار وإن لم نقلع منهم الآثار لايكن لنا معهم فى تلك الارض قرار وبعد ذلك لايكون إلا ما يريده الرب القديم الذى خلق الخليل إبراهيم وموسى الكليم قال الراوى هذا ما كان من بنى عبس وأما ما كان من حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر فانه بقى بعد قتل طائفة بنى زياد منتظرا ما يتجدد من بنى عبس وعدنان ومنتظرا قدوم عسكر النعمان حتى

تبادر بنى عبس بالحرب والطعان فبينما هو على ذلك الحال وإذا بالخبر قد أتاه من بعض الرجال ان عنتر والملك قيس كانوا ركبوا مع الربيعين زياد فهولين على قتالكم وخراب ديارهم فعند ذلك رد الجواب وأمرهم أن أخذوا أهبة الحرب والقتال فلما سمعوا حذيفة هذا المقال أقبل على اخوته وسنان وقال لهم والله ما بقى لبنى عبس إلا القليل ثم أنه بعد ذلك نادى فى بنى فزارة وقال يا بنى عمى خذوا أهبتكم ولا تمهلوا وبادروا إلى أخذ الثار مادام قد أمكنكم البدار فعند ذلك بات الحى يموج بالعدو السلاح والنساء قد قامين البر بالصياح خائفين من الأسر والافتضاح ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها ركب حذيفة بن بدر على حجرته الغبراء وظهر إلى الصحراء وقد تتابعت وراءه الفرسان من كل جانب ومكان فلما كان وسط النهار وقد وصل اليه فارس من عسكر النعمان وقال يا حذيفة ان كنت قد عزمت على أخذ الثأر فالتق غداً باكر النهار هذا العسكر الجرار والقبائل التى تسد عين الشمس وقد سيرها الملك النعمان إلى أرض بنى عبس وعدنان لأنها غاصت حول الشربة والعلم السعدى فلما سمع حذيفه ذلك الكلام زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وما صدق أن الصباح يصبح حتى أنه صار فى جيش جرار وجحفل طير ن حوله الشرار لأنه ما وصل إلى بنى عبس حتى أقبل عسكر النعمان وطلع غبارهم حتى سد الأقطار وتتابع كموج البحار وضجت البرارى وعند وصولهم انقلبت الارض من ركض خيولهم وانتشرت فى تلك القفار طولا وعرضا وأقبلت من سائر الجنبات وضاقت بهم جميع الجهات واندهشت القوم من كثرة الرايات قال الراوى فلما نظر عنتر ابن شداد إلى هذه الأحوال هانت عليه المنايا والمصايب استقبال ورمى نفسه على الموت بلا خوف ولا محال ثم زعق زعقة دوت لها الجبال وقد أقلت العساكر متابعة على تداه وقد كان صوته مثل الرعد فى الغمام ثم أكب رأسه فى قربوس سرجه وأخى إلى فرسه اللجام وقد هدر وزمجر وزعق زعقة الرجال وحمل على الاعداء فى المجالى وردهم على أعقابهم عن الخيام قوة واقتدار هذا وطعنه وضربه مثل شعل النار قال الراوى فلما رأت الفرسان ذلك الشأن تراجعوا من هيبته وارتعشت الابدان من زعقته وحملت بنو عبس لحملته وانبهرت بنو فزارة لما نظروا إلى صورته ودغس فيهم عنتر الجمال ونزل بهم القتل والخبال فبينما هو على ذلك الحال وإذا بالحصين بن ضمضم قد التقاه وهو مشتغل بالفرسان فطعنه بالسنان فى صدره وضربه بالسيف على وجهه وقال له خذها وأنا الحصين ابن ضمضم فوقع الحسام فى جبهته وخرجت عينا فاقتله بل أرسل له. فعند ذلك قام الامير عنتر

زعق زعقة ارتج لها الفلاح وحمل عليه وعلى من والاه فما وقف قدامه أحد إلا وحل به فناه قال الراوى هذا كله يجرى ومقرى الوحش وأصحاب النعمان واقفون ما فيهم من جرد حساما ولا مدسنان لأن مقرى الوحش قال لهم لما أن رأى الحرب من أول الليل بينهم قد انتشب والله إن هذا بئس التدبير ومن هذا يقع ببنى فزارة التدمير ولو كان مع حذيفة رأى ما قاتل فى ظلام الليل بهذه الطوائف الغريبة المجهولة لهذه الطائفة القليلة المعلولة لأن أكثرهم يقتلوا بعضهم البعض ويبقوا مطروحين على وجه الأرض وبهذا ينكسر رؤسنا وربما نهبت العرب أموال بنى فزارة وبعد ذلك أنتم تعلمون الملك النعمان ما أمرنا بهلاك هذه الفرسان بل أمرنا أننا نحملهم اليه ونقدمهم بين يديه ونسيرهم إلى العراق وهم هى أسد الوثاق لأنهم قرايب على كل حال وهم شجعان وأبطال وهو ما يريد منهم غير الطاعة وأنا وحق دينى كنت أقدر أقضى هذا الشغل وحدى سريع وأعود بالجميع ولكننى ما قدرت أن أرجوا با إلى الملك النعمان لما أنفذ معى هذه القبائل لأنه أراد أن يأخذ بالثأر من أجل حذيفه وما أراد أيضا أن يترك عندهم وفى جوارهم إلا من يكون طوعهم وتحت يدهم والصواب اننا نصبر حتى تطلع ضوء النهار ويبان نعرف الرابح من الخسران ومن عمل تلك الوقت شيئا يبين للفرسان وتشهد له جميع العربان قال الأصمعى ثم أنه أقام إلى أن طلع الصباح وقد ذكرنا ان عنتر قد جرى له ما جرى وكيف دفع عن قومه العداوكان قد قتل من بنى عبس ثلثمائه بلا خلاف وقتل من بنى فزارة نحو ثلاثه آلاف وأصبحت الدنيا فضايح والقتلى مطروحة مثل الذبايح والدماء خضيب الأرض والربا والقرايب تندب على الأقربا (قال الأصمعى) ولما هدأت نيران الحرب وعادت الفرسان عن الطعن والضرب أقبلت أصحاب النعمان على مقرى الوحش فارس الشام وقالوا له ما تقول الساعة فى الحملة على بنى عبس ونجعل يومهم هذا يوم تعس ونكس ونتركهم على الأرض صايب ولا نبلغ به شرق ولا يشكرنا عليه أحد ممن سلف لأن بنى عبس على كل حال والرمال وتبلغ منهم الآمال وتكون هذه وقعة الانفصال فقال لهم ما هذا الرأى طائفة قليلة ولاسيما أنها تعبت فى هذه الليلة وقد أصبح أكثرهم جرحى ومشرفين على الهلاك والسالم منهم ما يقدر على نقل السواك وحملتنا عليهم فى هذا الوقت ليست هى من الفخار ولا تبلغ منهم محصولا فى هذا المكان طول النهار وإذا كان فى غد وأتى مصباح خرجت وضمنت لحذيفة بلوغ آماله وآخذ له بثاره من بنى عبس وقود فرسانهم وأقهر أبطالهم وأسبى أولادهم ونساءهم ولا أترك منهم أحد واجعل هذا اليوم عليهم أسود ثم

أنهم نزلوا عن ظهور الخيل وقد مضى أكثر النهار وقرب دخول الليل ونزلت الرجال وهم يشكون من التعب والملال وكان عنتر قد رجع وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سأل عليه من أدمية الفرسان وكان أكثر جسده جراحات لأنه أظهر فروسيته وقوى صبره من غير شكوى ثم أنه انطرح يطلب الراحة بعدما افتقد جراحه فعند ذلك أتى اليه الملك قيس وأخوته ليفتقدوه وعن حاله يسألوه وقد جرى عليهم ما جرى من نظام القتال وسألوه عن جراحه لئلا يكون قد انفسدت صحته فقال عنتر إلى الملك قيس أيها الهمام لا تخف ولا تحذر وحق الرب القديم الذى فى ملكه قد احتجب لابد من هلاك الأعداء وأريتك فيهم غاية العجب وجميع هذه الجيوش أنزل بهم الذل والعطب وأسوق بين يديك الفرسان أو رباب الرتب وصار أبو الفوارس عنتر يتحسر على من تخلص من بنى بدر ويقول إذا لم أنل غرضى أموت وأعدم وقلبى خائف أن أموت ولا أقتل الحصين بن ضمضم وألحقه بابيه وأنزل به العدم وإن لم أنل الجواز لعيلة فلن تزول عن قلبى هذه العلة وأن لم أدخل بابنة عمى فهذا عندى أصعب من كل شىء لا أخاف أن يكون الأجل قد اقترب فلما سمع الملك قيس كلامه ومقاله رق له ورثى لحاله وقال له يا أبا الفوارس هذا أمر لا تحمل همه فسوف يكشف عن قلبك غمه وأنا أرجو من الرب القديم أننا نكسر هذا العدو والغريم ونفرقهم فى جنبات البيداء ولا نبقى من بنى فزارة أحدا ونعود إلى مكاننا الذى كنا فيه ونتم الأفراح وتداومها مساء وصباح وتدخل أنت بابنة عمك عيلة ويزول عنك الهم والعلة فقال عنتر هذا الأمر ما نيم إلا بعد قتل هذا الفارس الذى أرسله الملك النعمان وتكفل بقتلى فى الميدان وأقول أنه البارحة ما قاتل ولا خاض الهجاج وإن كان فعل ذلك فما هو إلا فارس كريم وغدا أتولى الحرب والبراز وتظهر شجاعته لأهل الحجاز ويكون ما قضاه رب زمزم ومتى إذا ما اختلفت بيننا سمر العنا ففال ابن أخته المطال والله يا أبا الفوارس ما نتركك تلقى القتال وأنت على هذا الحال فقال عنتر وحق من احتجب عن العيون وعلم ما كان قبل أن يكون ما أنت يا مطال إلى من أهل الاقتتال ولكن بنو عبس لا يقوم لها عن إلا عنتر بن شداد فتبسم قيس من مقاله وعلم أن سعد العشيرة مقرون به فدعاله وقام إلى تدبير الرجال وغدرة الأبطال فأول الراوى وكان أول من عبر إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب عنتر بن شداد وقد اصطلى بنفسه الحرب وقد دارت راحات الدئرات ورقصت الصافنات وكثر الصياح فى سائر الجنبات وظهرت بنو عبس من سائر الجهات آلة حربها من بين المضارب والخيام ونشرت على رأس الملك قيس

رايته العقاب وحمل عنتر بن شداد فى موكب بنى قراد وقد أظهر الجلد التكمد خوفا على قبيلته من كثرة العدد ولما أخذ كل إنسان مقامه ومكانه وتأهب لضربه وطعنه وقد عولت المواكب على الحملة خرج من حجاب الملك جماعة وردوا الناس والفرسان وقالوا لهم امهلوا اليوم حتى يخرج فارس غسان ونقضى الأشغال للملك النعمان وإلا ينقضى علينا الزمان ويقع فينا النقصان لأنكم البارحة خسرتم غاية الخسران وكسرتم ناموسنا بتلك الفعال فلما سمعت العربان الغربية ذلك الكلام عادت وأطاعت وأما بنو فزارة فانه غرها الطمع وقال الحصين بن ضمضم لحذيفة ابن بدر ايش هذا التدبير الفاسد أيكور الفعل لنا والاسم لغيرنا وحق ذمة العرب العربا ما أرضى بهذا الحكم أبدا ولا بدلى أن أكون اليوم أول من يبرز إلى هذه الأبطال وأطلب القتال والنزال لأنى شظيت عنتر بن شداد بالجراحات وما تركت فيه رمق وما أريد قتله إلا على يد حتى تعلم فرسان العرب باشاعة شفاته صفاته عند ذرى الرتب ولا أكون أنا قد جرحته ويفوز غيرى بقتله فيكون من أعجب العجب ثم أنه صاح فى جواده وخرج إلى حومة الميدان وصال وجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ياأم قرى واهجعى واستبشرى	فاليوم اشفى غلتى من عنتر
وإذا رأيت الطير ينهش لحمه	تحت العجاجة فاحمدينى واشكرى
أسد تركت لطعنى فى وجهه	أثرا يظل به قبيح المنظر
واسلمت فوق سنان رمحى عينه	وتركته مثل البعير الأعور
وديار عبس تنظرى عرصاتها	من بعده مثل الفلاة المقفر

قال الأصمعى فلما سمع مقاله ونظر فعاله تغيرت جميع أحواله ورأى عروة بن الورد وابن اخته الهطال تأهبوا للحرب والقتال وكل منهم عول أن يخرج اليه فى ساحة المجال فقال لهم اقصروا ودعونى حتى اشفى قلبى بقتله ثم أنه فى عاجل الحال قفز اليه وشرار النار يطير من عينيه لأنه كان قد تألم قلبه من بكاء عبلة لما اشتدت جراحاته عليه وكثر حزنها بين يديه فطيب قلبها وسكن فزعها فلما برز ذلك الوقت إلى الحصين بن ضمضم فأجابه بشعر منظم وجعل يقول صلوا على طه الرسول

ياعبلة لايحزنك جرحى وابشرى	بالنصر من سيف الغلام الأسمر
ياعبلة لاتخشى على من العدا	واملى جفونك بالكرى لا تسهرى
ياعبله دون خبائك فى غسق الدجا	ليث أشد من الهزبر القسور
قلى بكاءك إن دمعك فى الحشا	امضى من الرمح الأصم الأسمر
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	إن كنت جاهلة فهل لاتنظرى

يخبرك من خاض العجاج بانني ... فرقت جميع القوم فوق الابجر
وتركت جمع فزارة متفرقا ... فى البر يرجف خفيفة من عنتر
ابدى الشجاع جراحه فى وجهه ... واجراحكم يوم الوغا فى الأظهر

(قال الراوى) ثم بعد شعره طبق على الحصين وثار الغبار على الاثنين حتى غابا عن نظر العين وهذا ومقرى الوحش قد زاد به الغضب لما رأى بنى فزارة قد فعلت هذه الفعال وقطعته عن ساحه المجال بعد أن كان قد عول القتال ثم أنه نظر إلى فرسانهم وقد تقدمت إلى عنتر وقربت اليه وهى تريد الحملة عليه فقال وحق دينى ما بنو فزارة لا فليلين الأنصاف كثيرين الجور والاسراف وهم لا يبرحون فى الذل والخيال من ايدى بنى عبس لأبطال وهى أكثر من عددها وأزيد من مددها هذا وهو ينظر إلى عنتر وقد جعل اليه باله وقد احن أن يرى قتاله لكثرة ما سمع عنه من فعاله فرآه بحر الأنجال وجبلا لا تطاوله الجبال فلما نظر مقرى الوحش إلى عنتر وهو قتال الفرسان قال وحق مكون الاكون ما هذا العبد الا اعجوبة الزمان ولئن قهرته أنا فى الحرب والبراز لآخذن الطبقة على فرسان الشام والحجاز قال الاصمعى هذا وعنتر قد انطبق على الحصين بن ضمضم ومن كثرة ما لحقه من الالم تمطى فى كعوب الرمح وقام ركابه وطعنه فى صدره فاخرج طرف الرمح من ظهره إلا أنه ما وقع عن ظهر الجواد حتى ماجت بنو فزارة وصاح فيها حذيفة بن بدر وعول على الغد فعند ذلك صاح الحجاب الذين للملك النعمان وقالوا له اقصر عن هذا الشأن واصبر حتى تبصر ما يفعل فارس بنى غسان فلعله أن يبلغنا من عنتر المراد وإلا جملنا ونبلغ منه القصد والاسعاد ونجتهد غاية الاجتهاد وإذا نحن فعلنا هذا الشأن امنا من عتب النعمان ولا يقول لنا انتى انفذت معكم فارسا من الأبطال وهو الذى يقضى الاشغال فاخرتموه وقدمتم الانذال حتى يفتخر بنو عبس عليكم بالبراز قدام اليمن وعرب الحجاز قال الراوى فلما سمع حذيفة هذا الخطاب رجع حياء من الحجاب وخوفا من العتاب ثم برز مقرى الوحش إلى الميدان وصال وجال ولعب بين الفريقين حتى حير كل عين وكان فارسا موصفا مقدحيرا الحذاق وذكره قد شاع فى الحجاز والعراق وهو راكب على حجرته جيده السبق تفوق لمعان البرق لا تبعد عليها العرب ولا الشرق قد اخذت من الرياح عواصفها ومن البرق خواطفها وفى يده قنطاريه خولنجة مكتوب عليها أنا رسول المنيه متقلد بهندى يقطع الدروع وعليها درع معلم مصنوع قال الراوى فلما قرب عنتر وصار معه قال له يا ويلك يا ولد الزنا قد اشرفت على الفنا وانت سابح فى بحار العمى فوحق المسيح انى قد اشفقت عليك وعلى عشيرتك من القتل

والضيق لانكم فرسان المنايا على التحقيق وأنتم قد حملتم أنفسكم من عداوة النعمان مالا تطيق على ان كل احد يطلب لنفسه العلو والافتخار ولا يريد الا ما يختار إلا أن العاقل يجب عليه أن يسمع كلام الناصح ولا يكون فى بحر الجهالة سابح يكون عمره غادر ياورائح وأنت قد صار لك اسم فى هذه الديار وهذا يكون الترتيب ومن لم يكون ابصر الاسد يصفه بالذيب والرأى عندى أنك تسلم إلى نفسك من قريب وأنا حلف بديني والصليب انى آخذ لك الامان من الملك النعمان و تخدك لى صديقا على طول الزمان ولا تكلف نفسك قتالى وأنت بهذا الحال وترجع تطلب منى الاقاله فلا نقال فتحط منزلك ويشمت بك أعداؤك وحسادك

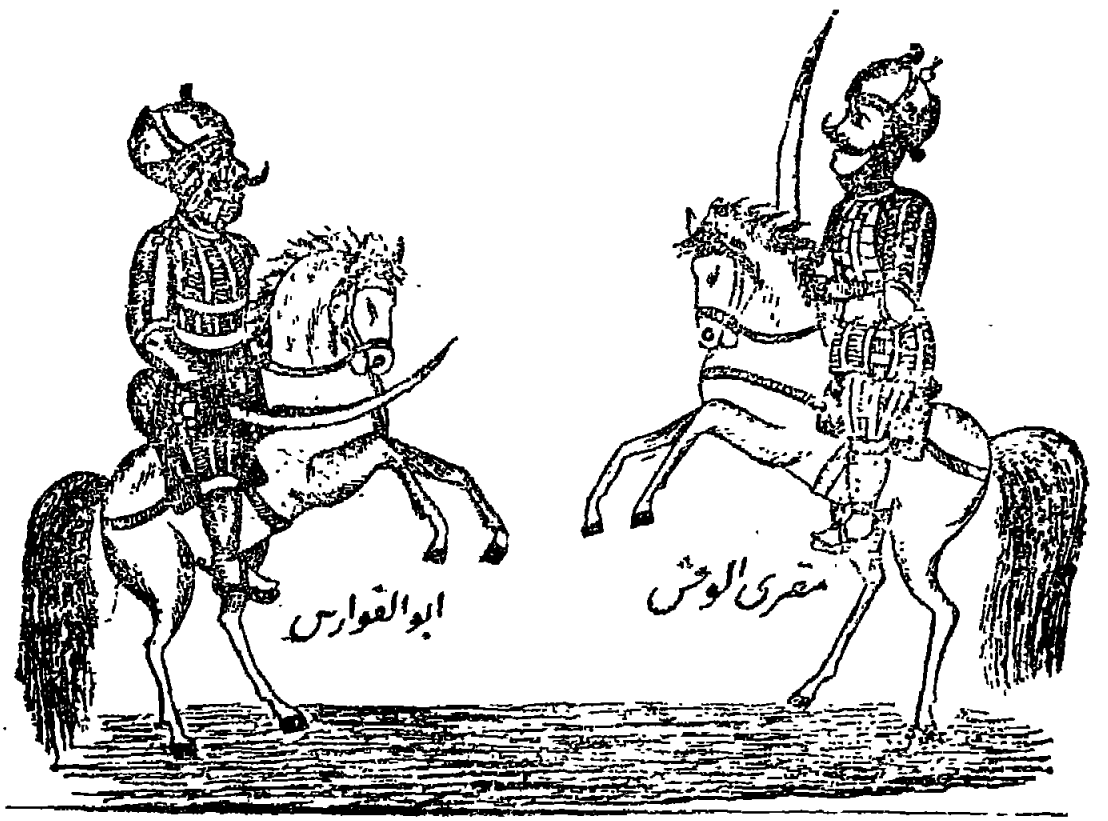

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام قال له ويلك ياقرنان يامنهان ايش هذا الهذيان اخبرنى من تكون من الفرسان حتى تذكر لى هذا الكلام ياجبان فقال أنا مقرى الوحش فارس بنى غسان الذى قد شاع ذكرى فى سائر البلدان قال فلما سمع عنتر هذا المقال حمل عليه فى ساعة الحال ونادى يا ابن الاندال فلما سمع مقرى الوحش كلامه حمل عليه وأظهر ما حير عقل المشايخ والشباب وما زالا فى كر وفر حتى صارت الشمس فى قبة الفلك فرآه مقرى الوحش فارسا لا يطاق وعلقها مر المذاق فقال فى نفسه أو طاوله فى القتال لعلى أن أسره

فوقى وسط المجال ثم أنه ظهر من شجاعته له ما حير الأوهام وأخذ معه فى القتال والصدام وقد شاهد العربان فى ذلك اليوم بطلين من أهل القوة والبراعة تبطل عندهما الشجاعة وقد زعق كل واحد منهما على صاحبه وصار يطاعنه ويضاربه هذا وعبله قد سمعت ببراز عنتر إلى فارس الشام فخرجت إلى أذيال الخيام فى جماعة من النسوان ووقفن يتطلعن من حول الفرسان ويتضرعن إلى رب العباد وأكثرن من الدعاء لعبتر بن شداد هذا وعنتر مبارز لمقرى الوحش فى موقف المزاد إلى أن أقبل الليل بالسواد فعند ذلك انفصلا على سلامة وكل منهما محترز من صاحبه أما عنتر فان الملك قيس تلقاه وبالسلامة هناه لأنه رأى عصائب جراحة قد انحلت وفاضت بالدماء وكان ذلك من كثرة الجولان فعند ذلك سأله قيس عن خصمه فقال له يا أبا الفوارس هل يكون الحارث بن ظالم فى طبقة هذا الفارس فقال له يا صاحب السعادة ما كان يتكل إلا على غدره بالإبطال والسادات على إننى لو لم يكن بى هذه الجراح ما كنت تركته يرجع من قدامى سالم (قال الراوى) ثم أن عنترسار إن أبياته وهو مما هو فيه لا يعقل فدا الله أعمامه وشدوا جراحاته وأما أمه زبيبة فانها ساعه عند رأسه وساعة عند رجليه وهى تخور خور البعير وتبكى بصوت كانه صوت الحمير فقال عنتر أخفى عنى هذا الصوت الشنيع فلعن الله هذا الوجه المريع ثم أنه بات وهو فى أشد الحال من ألم الجراح إلى أن بدت غرة الصباح هذا ما جرى لعنتر بن شداد وأما ما كان من مقرى الوحش فانه لما رجع من حومة الميدان تلقاه حذيفة بن بدر وهناه بالسلامة والخلاص وقال له لا يضيق صدرك أيها الفارس الهمام فوحق البيت الحرام لولا أنك أوحد الفرسان ما وقفت قدام هذا الشيطان فلما سمع مقرى الوحش كلامه قال له أما فروسيته وحق دينى ما أجحدها ولم أزل طول عمرى أذكرها لأن أنكار الحق من الإنسان قبيح وأما عودتى عنه فانى أملت أنى إذا طاولته فى الحرب أصل اليه وقلت إنه إذا أبصر خوذتى وخبرتى بالحرب وكثر معوتى بالطعن والضرب يقبل على ويسلم نفسه لى ويطلب الأمان من قبل الملك النعمان وإلا لو كنت طلبت قتلة كنت قتلته من أول النهار ولكن غداة غد أعود اليه وإن أيست من أمره أهلكته وعفرت خده وأتولى قتل عشيرته بعده قال الراوى فلما سمعت العرب تلك القضية منهم من صدق ومنهم من كذب مقاله لأجل خبرته بعنتر وشجاعته على فرسان الجاهلية ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قيل وقال حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها تبادرت الأبطال تريد الحرب والكفاح واصطفت الكتائب وتقابلت

المواكب وترتبت الفرسان من كل جانب فلما اصطفت الصفوف وتعدات المئات والالوف فكان عنتر أول من برز إلى الميدان وطلب براز مقرى الوحش لانه بات حامل هم عظيم الحلان فبرزله مقرى الوحش بين الصفين واشتهر بين الفريقين وافتكر حبيبة التي أفلقته وتيمته وآلمت منه الفؤاد وأتى من أجلى مهرها إلى تلك البلاد فافتكر الأرضة وبلادهم أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

نسيمك يا ارض الشام يطيب ... فداوى عليـــلا فى حشاه لهيب
وهى عسى تلقاك ريح مسيكه ... وأنفاسها من نثر طيبك طيب
قثاة يفوح المسيك تحت لثامها ... فتمزجه من ريقها فيطيب
إذا خطـــرت يهتز لين قوامها ... كما اهتز من ريقها فيطيب
وإن رأيتها أبصرت عين غزاله ... شجا حبها عنـــد العشية ذيب
تقول وقد جد الرحيل واد معى ... تفيض على خدى كنهر صبيب
اما للقايا مقر الوحش عوده ... فقلت بل أن الرجوع قريب
فاوهبنى مالا ونوقا ونعمة ... عطاه كـــريم والكريم وهوب
وسيرنى فى جحفل نحو فارس ... تقـــر له الفرسان وهو تجيب
فقارعته الطعن حتى اختبرته ... فافسد الاصلاح منه قريب
وعاركته عند البراز وبان لى ... نهار براز منه حرب عجيب
فان لم أعد اليوم بالسيف ركبته ... فلا سر له قلب يوصل حبيب

قال الراوى فلما فرغ مقرى الوحش من شعره صال وجال ولعب برمحه يمينا وشمال وطلب البراز من الابطال فعند ذلك خرج اليه الهطال ابن أخت عنتر الفارس الريبال وصار معه فى مقام الكفاح لان نائله عنتر قد أصبح مكروباً من ألم الجراح فتخلف ذلك اليوم عن الركوب وقلبه من النعم كاد يذوب الا أن مقرى الوحش لما رأى الهطال قد برز اليه انكر عيبة عنتر وأقبل على الهطال وقال له ويلك يا علام أين عنتر الفارس الهمام كانت خراحاته قد منعته من الركوب فلا يلام وأنا وحق المسيح بالامس قد نصحته وأبقيت عليه وعن قتالى عدلته فركب معى طريق الزال وقال لى انك قد حان منك الأجل وقد حل بك الحبل فقال له الهطال أما سؤالك عن عنتر وتخلفه معك عن القتال فذلك احتقارا بك وبامثالك لأنه رآك ما تصلح لقتاله ولا تعد من رجاله ولا لحربه ونزاله ولا فهو احت ما اليه الجراح ورائحة دماؤها فى أنفه أزكى من ريح النفاح لانه عنده عز وفخار وعند غيره ذل وعار قد سمعت أنت وغيرك مقاله ومابه نطق وتكلم عند خروجه للحصين بن ضمضم لما كان عليه

فى الجرح الذى مفترى إذا يقول فى آخر أبياته .

أبدى الشجاع جراحه فى وجهه وجرا حكم يوم اللقا فى الاظهر

وأما سبب خروجى لقتالك فانى سالته البارحة فى نزالك وأقسمت عليه بعظيم الاقسام حتى سمح لى بالخروج اليك فى هذا المقال فدونك الآن والضرب بالحسام ولا تحتقر بالرجال الكرام ثم أنه هجم عليه وصاح وارتجت لعظم صيحته البطاح وكذلك فعل الآخر ونزل عليه ونزل القضاء والقدر ثم أنهم أخذ فى الاطباق والتواصل والافتراق ولم يزالوا على ذلك الحال حتى كلت الخيل من المجال وفترقا عن مقتال فعند ذلك أشار الهطال وأجابه على شعره يقول صلوا على طه على الرسول .

نسيمك يا أرض الحجاز يطيب وريحك فى وجه العدو لهيب
فقولى لمقرى الوحش يرجع ديارة سليما وإلا عاد وهو سليب
فلولا حبيب غاية القلب والمنا لما صرت من جور الهوى متعوب
تقول وتذكر حسنها وجمالها وتبغى رضاها وهى منك غضوب
خليلى عن لى على ذكر سادة بانى على حد الحسام كثيب
فكم قد سالنا نسمة عن ديارهم فلا ذكرت خود النسا والطيب
فشكوى الهوى بين الأنام مذلة ولوكان فى نشر النسيم مجيب
إذا كنت باهذا صبوت إلى الهوى فما تبتغى إن نازعتك حرب
فكم مثلك المذلول أرداه عنتر بحد حسام فهو ليس يطيب
فلا تطمعن فى حربه حين جرجه فكل هزير جرحه مخضوب
هو الليث لا يثنيه خوف كتيبه وكل قضاء صرفه مكتوب
وما عنتر إلا كليث كتيبه وأفرس أهل الأرض وهو رحيب
فان تدعى حقا بأنك فى الورى كليث هياج دع فانك ذيب
فما أنت مقرى الوحش انت بخيلها بقنص نياق فى الورى محسوب
وأنت إذا ما رمت تبلغ قطره وتلحق مجراة فانت كذوب
أنا نسله أنا فرعه أنا شبله جارت عليك نوائب وخطوب
وذا اليوم قد وافاك بعض رجاله وإنى الهزبر الليث والعيسوب
وأنا أنا الهطال أسمى حقيقة أسقيك كاس الموت فهو يثوب

قال الراوى ولما فرغ الهطال من شعرة وقد طربت الفرسان من نظمه ونثره قال له حقرى الوحش أنت الهطال فارس الميدان وشجاع بنى غطفان قال نعم أنا فارس الحضر

والبدو وأبن أخت الأمير عنتر قال مقرى الوحش قد عرفتك بصفاتك ولكن أسمع تفيض أبياتك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

تعايرنى بالعشق يا أندال العرب ... وأن جبان لبس فى الحرب تنتسب
وعنتر العبسى حائد عبلة ... ومن حبها فى قلبه النار تلتهب
قادم على فقد الجنان لقد بكى ... ومن فقد حواصار ينعى وينتحب
فمن هو أنا يا أبن اللئام تلومنى ... وقلبى كواه البين والضر والتعب
وحق المسيح الطاهر الاطهر الذى ... نشأ الطير من طين وفى زيه عجب
وأحيا لميت بعدما كان دائر ... رهينا ببطن الرمس والروح قد سلب
أنادى باعلا الصوت فى حومة الوغا ... تعالوا إلى عندى تروا منى العجب
فان كان عنتر قد توهن جرحه ... فلا بد إذا لقاه أشمت به العرب
وأترك ديارة القوم منه خليفة ... أسقيه كأس الموت والمر والعطب
وأفنى جميع القوم حقا بصارمى ... وأترك الأبطال فى الأرض تنسكب

(قال الأصمعى) ولما فرغ مقرى الوحش من شعره انطبق على الهطال وأخذهم الكر والفر إلى أن تضاحى النهار وأخفاهما الغبار عن النظار فعندها وقع التعب بالهطال ورأى بين يديه بطلا لا يقاس بالأبطال وفارسا لا يقع له أحد على عيار ولا يوجد مثله فى سائر الأقطار فعند ذلك أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد لأنه ما رأى على نفسه الهرب فصبر وقد أيقن بالعطب هذا ومقرى الوحش قد عرف محاله فعول على هلاكه لأجل ماقد سمع من غيظ كلامه ولاسيما وقد عرف أن عنتر قد صوب اليه السنان وأراد أن يطعنه وينجز امره وإذا بزعقة قد أخذته وعما عول عليه أوفقته فارتجت لها الجبال وقد شخصت لها جميع الأبطال ليعلموا من هو الذى زعق هذه الزعقة التى تفلق الصخر والجماد وإذا به عنتر بن شداد وهو يقول ويلك لا تفعل بافارس الشام مع من هو ليس من رجالك فقد أتاك من يعجل فناك ثم أنه رد الهطال عن المجال وزعق على مقرى الوحش وعليه قد صال قال الراوى وكان السبب فى مجىء عنتر أنه لما كان قد أنقطع عن البراز وصى أخاه شيبوب بالاحتراز وقال إذا رأيت الفرسان قد تحملت عليكم فاعلمنى حتى أخرج اليهم وإذا رأيت فارس بنى غسان قد طلب البراز وقد خرج إلى الميدان فعد إلى وأخبرنى بالخبر من قبل أن يؤثر فى فرساننا لأنى أعلم أنه فارس جبار فاجابه شيبوب إلى ذلك المقال وخرج من عنده لينظر مايجرى من القتال وأنطرح عنتر ليأخذ له راحة مما به من ألم الجراحه ولم يزل كذلك إلى أن عاد إليه شيبوب المحتال وأخبر بخبر الهطال وماجرى له مع مقرى الوحش وقال الحق أبن أختك فى الميدان وإلا

سقاء مقرى الوحش كاس الهوان فلما سمع عنتر ذلك الخبر هدر وزمجر وركب فى ساعة الحال على ظهر جواده الابجر وركض إلى مكان القتال خوفا على ابن أخته الهطال حتى أدركه فى ساحة الميدان وقال لمقرى الوحش ذلك المقال وردا ابن أخته عن القتال وطلب مقرى الوحش فى عاجل الحال فلما نظر مقرى الوحش قال له ويلك يا ولد الزنا هو أنت الذى تدعى الانصاف وأراك اليوم قد ركبت طريق الغدر والاسراف فلما سمع عنتر من مقرى الوحش هذا الكلام قال له وايش الذى بان منى الخلاف حتى تعايرنى بقلة الانصاف فقال له مقرى الوحش لانك قد أخرت عنى خصمى بعد ما تعين لى أخذه أن قتله فقال له عنتر يا بن الف قرنان أنت الذى تدعى أنك فارس الشام ومبيد الابطال وتطلب فخرا باسر الرجال فوحق من أرمى شوامخ الجبال ويعلم كم فيها مثقال ووقدر الارزاق والاجال لو أن أعدائى بعدد الرمل وكلهم مثل هذا الغلام ما جعلتهم لى على بال فدع عنك التكلم بالمحال لان لا تفتخر إلا باسر الابطال وأعلم أن هلاك هذا الصبى ما كان ينفعك لانك ما أتيت من عند النعمان إلا فى طلبى إذا أنت قتلتنى فتبقى كل بنى فيبقى كل بنى عبس بين يديك ما فيهم بعدى من يلقاك فخذ الآن فى حربى لتنال منالك قال الراوى فلما سمع مقرى الوحش من عنتر هذا المقال أطلق الاعنة وقوم الاسنة وهان على الاثنين فقد الحياة وما فيهم إلا من أيس من الحياة وخاب أمله فيما تزجاه ولم يزالوا فى قوة واجتهاد حتى صار بياض النهار سوادا وهاج عنتر بن شداد وتعجب من قتالهم العباد وما فيهم إلا من أخذه القلق وصبروا للاحكام والقضاء وأشاروا بالدعاة لرب السماء فى سواد الليل والظلماء ودام القتال بين مقرى الوحش وعنتر حتى استحال النهار وتغير إلا أن عنتر لما رأى حسن معرفيه بالطعن سل حسامه الظامى وضرب به رمح مقرى الوحش رمحه وقصفه نصفين وسل أيضا حسامه وقاتل به وبذل اهتمامه وما زال بينهما الامر على هذا القياس حتى ضاقت من الطائفتين الانفاس ومد فيهم إلا من انذهل وقال قد قربت الآجال وعمل بينهما القتال وثار الغبار واشتعلت بينهما النار إلى أن مضى أكثر النهار وتعب مقرى الوحش وضعفت أوصاله وخاف من عنتر وقتاله وصارت الدنيا فى عينيه ظلام وطلب من عنتر الانفصال وقد انحلت منه المناكب والاوصال فقال عنتر لا وحق من لادم خلق من صلصال ما نفترق إلا بانفصال فقال مقرى الوحش يا عنتر وحق خالق البشر وخالق المسيح من غير ذكر ما قدر أحد يثبت قدامى إلا أنت لحسن صناعتى وطعن الرمح وأنا اعلم أنك عجزت عن طعن السنان فضربته بالحسام الظامى وإلا ما كنت وقفت قدامى ولن كنت أنت من يطلب الفخار فاصبر حتى أعود إلا أصحابى وآخذ لى رمحا واعود اليك ولا

أفارقك إلا بامر الانفصال فقال عنتر لمقرى الوحش أنا ما بقيت أرجع مشغول البال وهذا زور منك ومحال وأنا أعلم أنك تخرج من قدامى وترجع لى أبدا لانى قد ثبت لى أنك مقصور على الثرى وفى هذه الساعة تكون ممدود وحق الملك المعبود ما بقيت أرجع عنك وأعود إلا بالانفصال والمقصود ثم طبق عليه وقد طمع فيه لأنه كان جرحه فى موضوعين فانكت عليه وحمل فتلقاه مقرى الوحش وقد استقبل ودام الضرب بينهما وأخفاهما الظلام عن أعين الانام وتمايلت الصفوف وجردت السيوف وانكر القريب قريبه وكل فريق حسب حساب صاحبه وهما يفترقان وتارة يلتزمان وطلعت عليهم الغبرة وكثرة الهمهمة ومازالوا على ذلك حتى مضى من الليل نصفه وأيقن مقرى الوحش بزوال أجله ولاح له ملك الموت فاطلق العنان حجرته وطلب الهرب وأوسع فى البر والسبسب فصاح عنتر بأخيه شيبوب وقال ويلك يا أبا رياح أدركه قبل أن يوسع فى الطباح قال فتبعه شيبوب كانه البلاء المصبوب فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حذيفة بن بدر صاحب الخبث والغدر فانه صاح فى بنى فزارة وقال لهم دونكم وخلاص صاحب النعمان وقطعوا أنتم بسيوفكم هذا الشيطان فعند ذلك غدرت بنو فزارة وصاحب بنو عبس من فزعها على عنتر هذا وقد أنصبت عليهم المصائب وانسقت البطون والترائب ثم تضاربوا ما لضرب الوجيع هذا والعرب العرباء ما جواشرقا وغربا وأشبعوا لهم طعنا وضربا ولم يعقل تلك الليلة لأخ أخاه ولا الولد أباه ولم يزالوا ينهبوا من بعضهم البعض الأرواح إلى أن أقبل الصباح وعرف كل واحد رفيقه وبأن له عدوه من صديقه فنظر الملك قيس يمينا وشمالا فما سمع لعنتر حسا ولا خبر فعند ذلك حار فى أمره وعادوا يسألون عن عنتر فما وجدوه وسألت عليهم فرسان اليمن وبنى بدر فاشتد الخوف وعظم الأمر وهجمت عليهم الرعب الجتاع وزادت فيهم الأطماع وخاف البطل الشجاع وتحير الجبان وارتاع وارتفع الصياح من حولهم أى ارتفاع وندبت النوادب على المنازل والمضارب ونظر الملك قيس إلى الموت وقد لاح فهمز جواده وقد دار على فرسانه رآهم حيارى وصار ينادى يا بن عمى اتبعونى إلى رأس التل والعلم السعدى لأن ما لكم طاقة بهؤلاء العربان وأتركوا هذه الأموال حتى تكشف أمر هذه البلية (قال الراوى) وكان الملك قيس قال هذا المقال لما رأى بنى عبس قد عولت على الهرب وخاف عليها أن تتفرق فى البر فلا يرجع يجتمع لهم شمل وتتمكن من قتلهم العدا إلا أن لبنى عبس لما أن سمعوا ما أشار به الملك قيس رواوه أوفق من الهرب وخافوا أنهم يبقوا معيرة بين العرب فعندها اجتمعوا عند العلم السعدى وتركوا المال والنعم والعبيد والبيوت والخيام والأولاد والحريم يا سادة

فعندها تسابقت الابطال إلى نهب الأموال من الرجال واشتغلت ذلك الحال عن اتباع الرجال ووقع النهب فى الابيات وانتهكت المخدرات وعلت الضجات وسيبت عبلة وزوجة شداد كانت أشد الرجال حشرة بشريحة أم عبلة زوجة مالك بن قراد وصارت تنادى باسم عنتر وهى تتلفت يمينا وشمالا فلا ترى من يحميها من الرجال هذا وعرب اليمن قد وقعت فى نهب الأموال وقتل من تلك القبائل خلق كثير ووفى دون ساعه قلعو المضارب والقباب وتركوا الديار خراب وعولو على الذهاب وكانت بنو عبس على رأس العلم السعدى وقد أخذت الراحة من ركب الطعان وعادت أروحها إلى الابدان ونظروا إلى النساء وهم يشيرون اليهم بالايادى وكل واحدة منهن تصيح بحاميتها وهم يساقون غصبا مع الاعادى قال فالامن الأبطال إلا من قال أيها الملك المفضال والله أن ضربنا بالقواضب أهون علينا من هذه المصائب وما عملت معنا خيرا بهذه الفعال ولا تركت لنا بين العرب رأسا تشال وقد سبيت الحريم والعيال ونهبت الذخائر والاموال فقال لهم الملك قيس يابنى عمى أنا ما فعلت هذه الفعال إلا حتى يستريحوا أنتم من القتال ويشتغلوا عنكم الغرباء وتنظروا بعد ذلك بأعينكم عيالكم وكيف تسبى وتساق مع الأعداء غصبا هنالك يساق الرجل الغيور من الذليل وها نحن قد تساوينا فى المصائب وما بقى غير الجد والطلب لان حاميكم لاشك قد هلك وإلا فما كان يصبر على هذه الفعال ولا يمكن الأعداء من سبى العيال فليعرف الساعة كل واحد منكم غريمه ويخلص منه حريمه من قبل أن تتفرق النساء وتصير الأنذال العرب ما بينهم أنه كشف رأسه وحمل وانحدر من رأس التل وطلب الحرب وكان فى أوائل الخيل عروة بن الورد وناشح بن أسيد الهطال وما فيهم إلا من ذكر عنتر بسادة فانكادت بنو عبس فى هذه الحالة من سبى العيال وعمارة الفؤاد يقول لاخيه الربيع بن زياد يا أخاه أجعل حملتنا إلى الناحيه التى فيها عبلة لعلنا نخلصها من أعداها لعلها تكون من رزقى وأريد أبذل نفسى وأنتزعها وأكون وياها أسارى فقال الربيع وقد غاظه هذا المقال ويلك يا مذلول السبال كيف أنت تشتغل بهذا الحال وقد سبيت نساؤنا ونهبت ذخائرنا وقتل أخونا يا أقران وافتضحنا عند كل انسان ثم انهم حملوا بعد ذلك وانتشروا فالتقوهم حجاب النعمان وبنو فزارة الفرسان لان حذيفة منعهم من نهب الأموال فزعا من هذا الحال وفى تلك الساعة دارت المقادير ونزلت عقبان المنايا على الصغير والكبير وسمع من القتلة من الأدواج شخير وما فى الطائفتين إلا من ينادى الثار الثار ويطلب فناء أعداه وخراب الديار وكانت بنو عبس تقاتل وقلوبها على النساء والأطفال خوفا أن تبعد بها العرب

وتفرق فى القفار (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بالصيحات أرتفعت من كل مكان والقبائل قد اجتمعت بعد تفرقها وانضمت الأبطال وماجت يمينا وشمال وأكثرها طلب رؤس الروابى والجبال ورمى مانهبت من الأموال وسمعت بنو عبس مناديا ينادى ياعبله بشرى بالفكاك وهلاك أعداك فقد عاد الفارس الفتاك والقوم المشابك قال فلما سمع الملك قيس هذا النداء فرح قلبه وهدأ وأيقن بالنصر على العدا ثم طلع على رأس الجبل فابصر عنتر قدرد جميع الأعداء ولمهم من جنبات البيداء ومقرى الوحش عن يمينه يطعن فى الأعداء وبين يدية شيبوب وقدمسك على جميع قبائل الأعداء الطرق قال فلما أبصر الملك قيس عنتر ومقرى الوحش وشيبوب انحلت عنه مكروب ونادى يابنى الأعمام دونكم والأعادى بالحسام فقد عاد البطل الجواد والفارس الطويل النجاد حاميتكم عنتر بن شداد فخذوا على أعدائكم الطرق حتى لاينجو منهم أحد قال فلما سمع بنو عبس نداء الملك قيس أمنوا على البنات والنساء وأخلصوا فى القتال النيات وقلت من بنى غزارة الحركات وحارث منهم السادات لانهم كانوا ظنوا أن عنتر ومقرى الوحش قدهلكوا ولما نظروا صورته وأبصروا مقرى الوحش ناصحا فى معونته خابت منهم الآمال وأيقنوا بالوبال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مقرى الوحش لما هرب فى الليل من قدام عنتر وصاح عنتر فى شيبوب فجد فى طلبه وأيضا عنتر حتى أصبح الصبح وأضاء بنوره ولاح وكانت الخيل قد قصرت وعلم مقرى الوحش أنه ماله منه خلاص فمسك حجرته ووقف وقال ياوجه العرب قد أهلكنى من التعب وأهلكت نفسك خلفى بالطلب ومالك على مال تطلبه ولا معى مال تنهبه وإن أخذتنى ماحيلتى فداء ولا يلتفت إلى أحد لأن بلدى بعيد وأنا هنا غريب وحيد على أن القتال كان لى أصلح من الهزيمة ومالى سوى هذه الحجرة خدها منى وارجع عنى واتركنى وخلنى أصير راجل وأنوح على نفسى بين القبائل فعندذلك رق له عنتر بعد أن كان على قتله قد عول وقال يافتى والله ماتبعتك فى طلب مال وانما قصدى أسرك حتى لاتشغل قلبى فى وقت آخر لانك تعلم من نفسك القوة والشجاعة فقال مقرى الوحش وحق دينى أحدث نفسى بهذه الاشياء فانى بقيت ميتا بين الأحياء غريب وماكنت تركتنى على كل بطل ناقة إلا خوف القهر والبغى ونوائب الدهر فقال عنتر ياوجه العرب أن كانت قصتك هذه القصة فارجع معى إلى الخيام حتى أعطيك ماتبلغ به الآمال وإن لم تقدر على خلاص زوجتك فانا أسير معك إلى أبيها وآخذها غصبا فان لم يجد بها والا فرقت شملهم وبددت جمعهم فقال مقرى الوحش إن

أو فيت لى بهذا المقال حمدتك طول الدهر وأنا ما بقى لى إلى النعمان مرجع ولا عودة وما بقى اتكالى إلا على الله وعليك ثم أنه رجل وسعى إلى أقدام عنتر وقبلها فى الركاب فقبل عنتر رأسه وبين عينيه وتصافحوا وصفا منهم الوداد وأخلص مقرى الوحش نيته وقال يا أبا الفوارس أنا عن أمرك أفرق القبائل التى أنت معى ولا تضيق صدرك وأنا أقسم بالمسيح الذى أتى من غير أب ما بقيت أنزل من ظهر الجواد حتى أفرق هذه القبائل ولو أنها بعدد الرمل فقال عنتر ما يحتاج يا أخى أن تتعبك (قال الراوى) وبعد ذلك قال عنتر لشيبوب يا ابن الأم سربنا حتى نلحق بقومنا فاعطى شيبوب ساقيه للريح وتبع عنتر أثر أخيه فما مضى غير ساعة من النهار حتى أشرفوا على بنى عبس والعرب قد ملكوا المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والأود وعبلة تنادى تقول أين أنت يا أبا الفوارس يعز عليك أن أساق مع الأعداء فسمعها عنتر وهى تنادى هذا النداء فغاب عن الدنيا وحمل حملة من هانت عليه الحياة وبدد فى العلاة شمل الذى سبى عبلة وقتله شر قتلة وقال لها يا بنت العم من أبصر وجهك من هذه الرجالة حتى أسقيه كاس الوبال فقالت كلهم يا ابن العم قال لكل سقيتهم كاس العدم وكان الملك قيس وبنو عبس لما أو عنتر قد فعل هذه الفاعل جدوا فى الحرب والطعان فى صدور الفرسان وصاحت صياح من أيقن بالاصلاح وكان يوم شديد الحرب والهجير واشرقت بنو فزارة على الهلاك والتدمير فطليت الترب الهرب (قال الراوى) وكان أخو حذيفة سبى تماضر أم الملك قيس فاخذها وطلب بها بطن الوادى فعند ما صاحب تماضر من خوفها على نفسها فقالت يا حمل ما تريد منى فقال لها قصدى هتكك وأذبح أولادك على صدرك فصاحت واويلاه وقالت له ويلك يا ولد الزنا ما هذه الفعال ثم أرمت نفسها من على البعير إلى الأرض فماتت لوقتها قال الراوى وقر عمل الحرب بين الطوائف إلى أن قاربت الشمس قبة الفلك وانهزمت بنو فزارة واجتمع بنو عبس على عنتر وهنوه بالسلامة والنصر على الأعداء وسأل الملك قيس عنتر عن غيبته فحدثه بما جرى بينه وبين مقرى الوحش وكان من جملة من نهب حمل بن بدر وأخو حذيفة فانه سبى تماضر وأخذها وسار بها إلى الوادى فتبعها جواها وخدمنها فعندما قالت له تماضر إلى أين داخل بى فى هذا المكان حتى تقول عنى العرب شيئا ما كان فعندها قال لها قال لها حمل يا تماضر أنى اريد اليوم هتك سترك عدو ذبح أولادك على صدرك فلما سمعت تماضر ذلك الكلام صاحت وبكت ثم أنها من غيرتها على نفسها من الفضيحة القت نفسها من على البعير فاندق عنقها وماتت

من ساعتها فبسكت جوارها عليها وصاحوا إلى أن أقبل الملك قيس بعد الجرب والقتال فوجد البكاء والنواح وقد سأل عن ذلك فاخبره الجوارى بذلك الأمر وبما كان من حمل ابن بدر وما جرى منه فعند ذلك بكى الملك قيس وأن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ألا ياعين فيضى اليوم عبرا ... تسيل على الخدود دما ونشرا
ألا ياعين فابكى من غرام ... لفقد السالفين وذوق حرا
ألا ياعين أبكى على زهير ... وبعده مالك بن زهير فخرا
ألا ياعين انبكيهم بوجد ... من الأحزان ما فى القلب صبرا
ألا ياعين ما تبكى لقوم ... بقوا فى الأرض بعد العز عفرا
غدرهم ذا الزمان وصادقتهم ... حوادثه فذاقوا فيه قهرا
ألا يا آل بدر قد بغيتم ... بقتل أميتى ذا اليوم جهرا
ظننتم أنكم ذا اليوم تنجوا ... وتحظوا بالفخار وبالمسرا
فقد وافاكموا صرف المنايا ... وقد جشناكموا بالسيف جهرا
أتاكم عنتر يبغى لقاكم ... ولو كنتم بعد الف شهرا
فلو جاء قيصر والروم معكم ... وأهل الشام والافرنج ونصرا
لو جئتم بأهل الأرض جمعا ... ولو جاكم مليك الفرس كسرى
لقيناكم بأسياف حداد ... على خيل مضمره وشقرى
بنى بدر لقد جرتم علينا ... وكنا قد تركنا الحرب مرا
بنى الأعمام ما هذا مرادى ... ولا فى خاطرى ذا الفعل يجرى
فأنتم قد بدأتم بالرزايا ... فعاد الظلم منى مستمرا
أبا حزنى لوالدتى تماضر ... سقاها العين السكاس مرا
وآخذ ثأرنا منهم ويبقى ... حديثا فى الزمان يدوم دهرا

(قال الراوى) ولما فرغ الملك قيس من إنشاده تتاثرت من جفونه العبرات فتقدم عنتر وقال يا مولاى أنا أقضى هذا الشغلى عنكم وأقتل جميع أعدائكم ولو اجتمعت عليكم سائر العرب والقبائل ولا أحوجك إلى تعب نفسك قال فلما سمع الملك قيس كلامه قال له جزيت خيرا وشكراً وقال له يا أبا الفوارس ما أشفى فؤادى إلا بيدى وأنا لابد لى من قتال حذيفة وأشفى غليل كبدى ولكن أنت يا أبا الفوارس تجمع بنى قراد فى موكب واحد وتأخذ الطريق اليسرى وأرض الحنظلى غدير وميسر حتى أسير أنا وأخوتى على اليمين

لأنى أخاف أن يكون ظنى قدخانى فيفوتنى المقصود ولا أتمكن من هلاك بنى بدر والجنود قال الراوى فعندها قبل عنتر ما به أشار وأخذ مقرى الوحش وسار ومعه عروة ابن الورد وبنو قراد وقصدوا الطريق اليسرى وقد ترتبت القبيلة هذا الترتيب والملك قيس واخوته يضجون بالبكاء والنحيب وكيف أصابهم هذا المصاب من الأقارب والأنساب قال الأصمعى ولما بعدوا عن مكان الواقعة وقربوا من الأوطان فعندها عرف الملك قيس أثر فرس حذيفة الغبراء فى الرمل فتبعها فسار عليه قليلا فى الصحراء وإذا مع الحافر أثر قدم حذيفة متمكن فى الرمل فصح له الخبر وسار على الأثر وهو يقول أن الدليل عندى أثر الفرس وما زال متبعه (قال الراوى) وكان حذيفة مع الهزيمة وهم مهزمون وقد انحل حزام فرسه فعند ذلك نزل فشد وعاد إلى سرجه فبقى أثر قدميه فى الأرض فسار الملك قيس وإخوته على هذا الأثر وقد صح عندهم الخبر ولم يزالوا سائرين وإلى ديار بنى فزاره قاصدين إلى وقت العصر فعندها أشرفوا على بنى فزارة وهم على جمر الهبا فلما رآهم الملك قيس ازداد لهبا وقال وكان بنو بدر على الغدير نزول وقد طارت منهم العقول وكان بجملتهم حذيفة وحمل أخوه ويزيد وبلال وباقى سادات بنى فزارة وتمام الأربعين بطلا ٭ قال وكانت بنو فزارة فى هذه الواقعة قد فناهم السيف ومانجا منهم إلا قليل من ساداتهم وأبطالهم والذين نجا منهم ما قد يقرب من الأوطان بل هجموا على وجوههم فى البيداء واستجاروا بقبائل العرب لأنهم علموا أن بنى عبس بعد هذه الوقعة لا يتركون منهم إنسان وأما حذيفة وأخوته فانهم نزلوا فى هذا المكان إلا أنهم طلبوا الهلاك والقلعان فضاقت عليهم الدنيا من كل مكان وغدروا بنى عبس مراراً وما بلغوا منهم عرضا فنزلوا على الماء وهم مثل الاماء وكان حذيفة قد أخذ ولده حصن فى هذه النوبة حتى يعلمه الجمال والفروسية لأنه نفيسا حسن الصورة وعمره خمسة عشرة سنة إلا أنهم لما نزلوا على هذا الماء سرحوا خيلهم ترعى وقد أخذ حذيفة ولده حسن إلى صدر الوادى وقبله وقال له ياولدى هذه قبلة الوداع وما بعدها لقاء وأعلم أنى وأعمامك راحلون من الدنيا وفى قلبى من بنى عبس نار لا تطفى وأريد ياولدى أن بقيت بعدى وقدرت على بنى عبس لا تبق منهم أحد وكذلك أخوته نزلوا على شفير الحفر وقد هجروا المنازل والنساء وكان زمان القوم ينقضى بالكياد لأنه لم تكن لهم شريعة تردهم ولا دين يصدهم وانطرح حذيفة وأخوته ومافيهم إلا على صفة قتل فاقبلت عليهم بنو عبس برماحهم وكان حذيفه يبكى من

شدة الغلبة ويقول وحق الرب المتعال الموت على أهون من هذا الحال ولو علمت أنكم تطيعونى على ما أريد لامرتكم بقتلى وأهراق دمى على الصعيد لأن القتل بقى عندى أحسن من معاداة بنى عبس الذين قد فنيت عمرى فى عدواتهم وما شفيت غرضى منهم فعندها قال له حمل أنا والله ياأخى ما انحل جسدى وأذاب كبدى إلا عنتر ولولا عودته فى هذه النوبة كنا قلعنا أثر بنى عبس وكنت اريد بعد ذلك كله من يضرب رقبتى ويفرج كربتى حتى لاأظهر ولاأسمع فعندها نفر حصن بن حذيفة خيل بنى عبس فنزل إلى أبيه وهو يبكى وقال قم ياأبى فان الأعادى قد تبعوا آثارنا إلى هنا وهم يرجون الحديد وقد انتشروا حتى ملأوا الأرض وقد أخذ علينا الطرقات من كل الجنبات فعندها قال حذيفة وهذا الذى كنت أريد وحق الرب القديم لاعدت أجرد فى وجوههم سيفا وطلبت عليهم نصرا مادام قد أذلنى لهم رب السموات والأرض فعندها قال حمل كذلك فلما سمع باقى بنى فزارة هذا المقال هان عليهم القتل بلاقتال فتواثبوا يطلبون الخيل الجياد وإذا سبقهم موكب بنى قرادو فى أوائلهم مقرى الوحش وعنتر بن شداد فقال مقرى الوحش ياأبو الفوارس دعنا نبذل السيف فى هؤلاء الأشباح ونتركهم مجندلين فى الروابى والبطاح وتلاقى الملك قيس برؤسهم فهو فى الرماح فقاله عنتر ياأخى ما هذا صواب القوم أقارب وأنساب ونحن نريد ألا يكون لأحد علينا لوم ولا عتاب لانى لو كنت طلبت ملاك القوم ما تركت منهم ولا ابن يوم فعندها قد وصلت بنو عبس وفى أوائلهم الملك قيس وهو ينادى لبيك ياولدى ٥ قال وكان نداؤه على ولده الذى قتله حذيفة فى وادى اليعمورية بالنبال وقال له حذيفة نادى بأبيك يخلصك من الهلاك والوبال قال وقد سمعت بنى فزارة نداء نعت معنا فعندها قال حذيفة لأخيه القتل ما بقى منه خلاص فلا تذل لعيسى ولا تطلب منه خلاص فقال حذيفة ومن ذا الذى يريد الحياة ويهرب من الوفال وحق من أنزلت الغيث وأجرا وخلق الإنسان وسواه لو أتانى كتاب من السماء فيه توقيع بملك الدنيا وبنو عبس فيها ما أردتها بطول الجياد وأنا قد علمت فى هذه المرة لا يخلو منا أحد ياسادة وقد اصطفت خيل بنى عبس على شقير النهر وملكوا عليهم الطريق من سائر الجهات وقد وقف الملك قيس وأخوته تحت الرايات ونادى ياويلكم يابنى بدر إلى كم أحلم عليكم وأنتم تجهلون وأعفو عنكم وأنتم تغدرون فاريد اليوم ترونى من يخلصكم من هذه المصائب ومن يحميكم من السيوف المرهفات وأنت يا حذيفة أذكر ما قدمت يداك من قبيح الفعال وأنت يا حمل يا ندل العرب اذكر قولك لامى فى ذلك اليوم وقد أخذتها من بين القوم وقد سألتك أن تسترها فقلت لها يا تماضر ما قصدى إلا فضيحتك وهتك وذبح أولادك على

صدرك يا ويلكم ما حسبتم حوادث الأيام كم تحلفون وتكذبون وتعاهدون وتغدرون فعندها صاح حذيفة وقد أستقل وحان منه الأجل وقال ويلك يا ابن زهير لمن تعنى بهذا الكلام ولمن هذا التعب والملام وحق من أفنى الأمم الرب القديم لو حلفنا لكم فى كل يوم ألف مرة لغدرنا ولا عن ذبح أخوتك نحيد إذا قدرنا فافعل ما تريد ودبر أمرك ولا ندع مناديا وإلا تخلى منك ومن أخوتك الديار ولا يكن لنا لكم هدو ولا قرار والقتل لنا أبرح ولكم أصلح لأنه ما بقى فينا من يجرد لقتالكم حسام لأننا من قبل أن تصلوا الينا أردنا أن يقتل بعضنا البعض ونستريح من الحياة ما زلتم على وجه الأرض ولكن يا بنى عمى بحق ما بيننا من صلة الأنساب ما فيكم من يأتى أحدنا من بين يديه حتى لا يقع على عينه فيشق ذلك عليه بل ينحره من نقره فناه ويعجل له الوفاة لأن المواقعة صعبة ثم بعد ذلك الكلام نكس حذيفة رأسه وبكى بكاء شديدا فعندها صاح الملك قيس بالثارات عن الأعداء دونكم وإياهم وعجلوا فناهم قال الراوى فعند ذلك ترجل قراوش بن هانى وفى يده حربة قاضية ضرب بها حذيفة فى صدره نزل بعده الحارث بن الملك زهير وبيده سيف أخيه مالك صاحب الوجه الضاحك وهو ينادى بالثأر أخى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فلو نبشوا المقابر على أخينا ... وعاين يومنا ذا لا نبالى
فليت الأرض شقت عنه يوما ... لينظر مالك فعل الرجال
تركنا بالحياة سرار بدر ... يمحون المنايا بالعدالى
حذيفة والفتى حمل أخوه ... وجابر مع يزيد مع بلال
تركناهم بأرض النهر صرعى ... بأسياف مهندة صقال
فنقتلهم وعن بكرة أبيهم ... وتنساق المنية بالنبال
سراة الناس كانوا أين حلوا ... أسود الحرب فى يوم القتال
بغوا وجروا وطغوا فى كل أرض ... فغارات أجنتها خوالى

(قال الراوى) يا سادة ولما نظر الربيع بن زياد إلى فعل الحارث بن الملك زهير صاح واحرباه عليك يا طالب اليوم آخذ بالثار ثم ترجل ونزل إلى حمل بن بدر وطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ومسكه من ذقنه وذبحه وقطع رأسه وأخذها فى يده وأنشد يقول

سقينا فى القتال سراة قوم ... كؤوس الموت من بيض وسمر
أدرناها عليهم مسرعات ... فمالوا فى الفلاة بغير خمر
وكانوا أعظم الثقلين قدرا ... وأو فى همة كل أمر

إذ ركبوا جياد الخيل ثارت ... عجاجة خيلهم فى كل قطر
وإن وهبوا يسيل نداى عطاهم ... إلى الأقطار فى بر وبحر
ولولا خلعهم ليكيت حزنا ... على ما نالهم فى كل فخر
ولكن الفتى جل بن بدر ... بنى والبغى يقلع كل أثر
ألا كم قد نهيناهم فهادوا ... وقادهم الهلاك بكل قفر
وغرهم الزمان فخادعونا ... وصرف الدهر يخدع كل حر
فنحن الخاشرون بما فعلنا ... فواشوقى على أولاد بدر
قطعت يقتل سيدهم بنانى ... ولكنى شفيت غليل صدرى

قال الراوى ثم نزل بعده الربيع بن الأصلع وقطع رأس يزيد أخو حذيفة وطلع وقد تتابعت الفرسان أصحاب الثارات فعندها قتلت باقى السادات وامتزجت الحفر بالدماء وأنهتك الستر عن بنى فزارة وبقيت ملوكهم مطروحين فى الفلا هذا الملك قيس يعاين ما جرى وبكى على سادات بنى بدر وبنى فزارة كيف أصابتهم هذه المصائب لأنهم قرائب ثم نادى واحسرتاه عليكم يا بنى فزارة والله لقد نزل الذل بعدكم على بنى عدنان وقد جرى قلبى كثير الأحزان ثم بعد ذلك أن واشتكى وأنشد يقول

إن يوم القتال أورثنى الذل ... فاصبحت ظالما مظلوما
يوم فقدى سراة أبياء بدر ... حين كانوا للعالمين نجوما
لطموا داحسا وكان جوادا ... قتلوا مالكا وكان كريما
جمعونى فى مالك بن زهير ... واحدا كان منهموا معلوما
قتلت الجميع حتى أزيلت ... بدماهم نارى فزادت سموما
ليتنى كنت قبل فقد بنى بدر ... قتيلا أو قد فقدت النعيما
طال حزنى لما سمعت نداهم ... بعدنا من يكون يرعى الحريما
لطم القوم داحسا حذر السيف ... لغد كان داحسا ميشوما
ظلمونا ببغيهم وظلمنا ... معشر كان يومهم محتوما

قال الراوى ياسادة ولما فرغ الملك قيس من شعره بنى بدر السادات أنهلت من بنى عبس العبرات وجرت على الوجنات قال الراوى وقد طلع حصن بن حذيفة وشق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه وقبل رجل الملك قيس فى الركاب ودموعه تجرى على خدوده قبل يداه وقال ياعماه أن كان قلبك ما اشتفى وقد عولت أنك لا تبقى من بنى بدر أحد فاذبحنى أنت

يا عم بيدك حتى تطفى نار كبدك ثم سلم إليه سيف أبيه واضطجع بين يديه * فعند ذلك قال رالله يا ولدى لو كنت فعلت هذا الفعل من قبل الأمر ما كان نال أباك ولا أعمامك هذا المنال والآن قد فات الأمر فيمن مضى قال الراوى ثم قام تلك الليلة على بساط العز وعند الصباح عولوا فى العودة والرواح فإذا بغبار قد صار من نحو بنى فزارة وعلا وصوته قلب الدنيا فى جنبات الفلا وضجيج ونواح وبكاء وصياح فعندها قال الملك قيس انظروا ما هذا السواد المقبل والغبار وأتونى بما تحته من الأخبار فلا شك أن بنى فزارة وفرسانها أنت تطلب الأمان على الأولاد والنسوان لأنهم خلق كثير وسوادهم أشد من سواد الليل فعندها تحارت الفرسان وتبادرت الشجعان من ساعتها وعادت وهى تقول يامالك الزمان هؤلاء نساء بنى فزاره اجتمعوا وهم للشعور ناشرات وفى أيديهم المشرفيات يطلبون قتالنا فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال يحق لهم أن يفعلوا هـــذه الفعال لأننا فجعناهم فى ساداتهم وتركناهم بالحسرات ثم قال الحصين بن حذيفة اركب جوادك ورد النساء قبل قدوم المساء ثم أنه ركب جواده وردهم إلى الديار وأما الملك قيس وبنو عبس فانهم عادوا طالبين أرضهم وجمال بنى عبس قطعوا رؤوس بنى بدر ورفعوها على رؤس الرماح ولهم طرب وأفراح وقيس دائم البكاء عظيم الاشتكاء لا يعول على أحد سائر فى أول جيش يترنم بهذه الأبيات سلوا على سيد السادات

رجعت ونوم جفنى قد جفانى ... وقل تجلدى ووهى بناتى
أبيت مسامرا نجم الثريا ... كدا للبـــدر ثم الفرقدان
وبات الليل مشتملا علينا ... وقد ألقى بكلكله الجران
وبت أرى نجوم الليل حتى ... تقارب من أوقارها التدانى
وناح من الشمال حنين ثكلى ... تلوذ بها كحائلة القيان
فهمت وغابت الشعراء عنى ... كان بجانبى وخر السنان
لقيت أذن بنى بدر بن عمرو ... على حفر الهبات من الهوان
وصار الدمع ممزوجا بدم ... وأصبح لونه كالارجوان
شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفى من حذيفة قد شفانى
وكانوا أهلنا فغبوا علينا ... وأن الأهل حقا من أوانى
أثاروا الحرب عدوانا وظلما ... بسبق الخيل فى سبق الرهان

ولجوا فى عداوتنا فلاقوا كما لاقت بنو عبد المدان
فلو طلبوا الأمان عفوت عنهم ولكن خالفوا والموت دانى
وأنى قد شفيت بهم غليلى فلم أقطعهم بسوى السنان

(قال الراوى) وفى اليوم الثامن دخل عليه عنتر بن شداد وجماعه من بنى قراد الربيع ابن زياد مقرى الوحش والرجال الأجواد وقد أخرجوه من بيت الاحزان وانسوه نوائب الزمان وقال له عنتر بن شداد أنت اليوم ملك العربان من بنى عبس وغطفان وبنى فزارة وذبيان وحكمك نافذ فى القبائل والفرسان والذى جرى على أعدائك بسعادتك يا ملك الزمان فيجب عليك أنك تولم الولائم وتترك الأحزان قال الراوى وما زال به عنتر بن شداد والربيع بن زياد حتى أسقوه المدام وسألوه عما أحدثه فى هذه الأيام ولما كان فى اليوم التاسع صنع وليمة وجمع فيها سائر السادات والاقارب ودارت الكاسات واغتنموا اللذات ثم أخذوا فى حكاية ما جرى لهم فى أمر بنى فزارة القتال ومن هلك بينهم من الابطال وما لاقوه من الاهوال فعند ذلك قال قيس والله يا بنى الاعمام ما لقينا فى سائر الاوقات والايام أشد من يوم بنى فزارة لما أتوا مع قبائل اليمن وحجاب الملك النعمان ولا أشد ضربا ولا طعان ولا أعظم قتالا ولا جلادا وما افرج عنا الكروب الشداد إلا فارس القبيلة عنتر بن شداد ومقرى الى حش فارس الشام الجواد قال الراوى فعند ذلك قام مقرى الوحش على قدميه وشكره وأثنى عليه وقال والله يا ملك الزمان أنا قد كنت أعد نفسى من الشجعان بين الاهم قبل ما التقى هذا الفارس الادهم والاسد المطمطم ولما ذقت حربه علمت أن قولى باطل وأنى كنت بالفرسان جاهل لان الفروسية قد قسمت على فرقتين من غير زيادة ولا نقصان الفرقة الاولى لكل العباد والفرقة الثانية إلى عنتر بن شداد قال الراوى فعندها وثب عنتر اليه وقبله بين عينيه ثم بعد ذلك أقبل على الحاضرين وأشار بيده اليهم وقال. يا سادات بنى عبس وعدنان اشهدوا على انى عبد إلى هذا الغلام على مدى السنين والايام كل ما تحويه يدى من الاموال والنوق والجمال هو حكم فيه ليلا ونهارا وقد ضمنت أنى اجمع شمله بمحبوبته وأبذل مهجتى دون مهجته وهذا الامر فى غداة غد الشرع فيه ونجازيه على فعله ونكافيه لا نكلم تعرفون يا وجه الغرب أنى ما ألوم العشاق والله أرد لهفته ولهفة كل مشتاق وكل هذا الفعل كنت أفعله وأقول ان غصتى به تزول ان مدتى تقصر بعد الطول ولكن الدهر عادانى وكلما طلبت منه القرب ابعدنى وأقصانى وهذا ما أقوله على سبيل الشكرى ولا أعترض على القضاء والبلوى لان الامور لها أوا خروا نتهاء ثم ان عنتر بن شداد

بعد ذلك المقال زاد به البكاء وانهلت دموعه على خديه تشهد له بالاشتكاء * قال فلما نظر عمه مالك إلا حاله قام اليه وقد علم ما بقى يقدر يخلص من بين يديه وماله معاون يساعده على الغدر الذى كان يعمله فى كل وقت بعد هلاك بنى بدر فعندها أقبل عليه عمه وترضاه وقبل رأسه وقال له لا تبك يا ابن أخى فانا أقصر مدتك ونجز حالتك ولو أخاف انى اقطع ولاية الملك قيس كنت زفيت بنت عمك عليك فى هذا اليوم قبل غدو إذا فرغت الولائم شرعنا فى أمورنا وادرنا كاسات سرورنا وأنت تعلم يا أبا الفوارس اننا قد انجزنا الحال وبلغنا الآمال ولولا قدوم هذه القبائل وتقلبات الأيام كانت انكشفت عند الشدائد وانضرفت عنا بسيفك وسنانك ولكن انت هلكت العدو المعاند ومايقى يعيقنا عن مرادنا الأبيض ولا اسود ببقاء هذا الملك الجواد (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلا مالك أبى عبلة قال والله يا مالك هذا عذر ما بقيت أقبلة ولا سمعه ثم أن الملك قيس التفت إلى الساقى وقال أيها الساقى أسمع ما أقول من الكلام تسلم هذا القدح واحفظه فوحق البيت والكعبه الغراء وأبى قيس وحراء لا اقبل كلام انسان حتى تدخل عبلة على حامية عبس وعدنان وتنفصل الأمور وتنقضى نوبة حاميتنا وإبن عمنا لانه والله حامية العشيرة وقد مضت عليها الشهور والاعوام وأنا أعاونه بالنوق والجمال واعمل وليمة جميعيها مدة سبعة أيام فعد يا مالك إلى بيتك ودبر حالها وانجز شغلها الزفاف فما بقى لك حجة ولا عذر قال الراوى ولما حلف الملك قيس بتبطيل الكاس فعند ذلك عض مالك على اصابعه ندما وقال والله أخذ بنتى هذا العبد ولد الزنا ثم سار إلى مضاربه والخيام وقد تسامعت الرجال والنسوان والعبيد بما تكلم به قيس من زفاف عبلة على حامية القبيلة الأمير عنتر بن شداد فباتت ليلة الحلة تلك الليلة فى افراح واهتمام فى امر العرس فعندها اجتمع قيس مع أخوته وقاموا يتشاورون فى عنتر وقصته قال الراوى كان مذهب العرب فى ذلك الزمان عند زواجهم انهم يلبسون العروسة الحلى والحلل والقلائد وما يقدرون عليه من المتاع والذهب والفضه ثم يعملون لها أقتابا ويعينوها على الجمال بعضها فوق بعض حتى تبقى كالدكة العالية ويقعدون العروسة على تلك الدكة فإذا جلست العروسة واستقر بها الجلوس فعند ذالا تلبس الرجال صدور الزرد النضيد ويقاوى الاحرار والعبيد وتضرب المولدات بالدفوف وتشهر الفرسان الرماح والسيوف كل ذلك لاجل عنتر بن شداد الذى حماهم من سائر العربان ولولا سيفه والسنان ما كانت العرب تركت منهم إنسان (قال الراوى) فلما سمعت أم عبلة كلام زوجها أخذت فى تجهيز بنتها وإنجاز امرها وقد فرحت بانجلال عندتها وعلمت أنه لا يصلح لها إلا عنتر بن شداد فهذا ما كان من مالك أبى

عبله وزوجته وأما ما كان من عنتر فانه لما وصل إلى مضاربه والخيام دعا بعروة بن الورد فلما حضر بين يديه قال له عروة ما الذى جرى بينك وبين عمك يا أبا الفوارس قال يا أبا الأبيض الامر قد تيسر وقد أمرنى عمى أن أصلح شانى وأعزم أصحابى وخلانى وأعلم يا أبا الابيض أن عمى قد أجابنى أن يجمع شملى بعبله ووعدنى بعد ثلاثة أيام يكون الزفاف من غير مهلة فانا قصدى أجعلها عشرة أيام واغتنم الفرصه وازيل عن قلبى هذه الغصة فقال عروة صدقت يا أبا الفوارس الرأى عندى انا اننا ندعو أصدقاء نا من بنى عبس علينا لا سيما صاحبك الأمير بسطام بن قيس الذى تعب معنا فى نوبه بنى كندة وكنت عاهدته بان يحضر إلى الوليمة وهو ينتظر رسالتك أن تصل اليه فيحضر عند نا فقال عنتر لعروة يا ابن العم انفذ اليه وإلى جميع قبائل القوم قال بنا لاجل أنه ما يبقى علينا عتب ولا لوم لان قصتى يا ابن العم شاعت فى جميع قبائل القوم قال عروة صدقت يا أبا الفوارس ومن الساعة ارسل النجابة إلى جميع أحبابنا ونجبر قلوب الارامل ولا يقال عنك ولم يحضر رفاقك احد من القبايل ويقولوا عنك دخلت على ابنه خفت من امر يأتى فى العرضيات والأمور المقضيات وأقل ما تذبح يا أبا الفوارس فى عرسك خمسة آلاف ناقه من النوق والجمال فلما عنتر كلامه قال والله يا أبا الأبيض أن الخمسة آلاف ما تكفى عبيدهم الذين يقدموا بها علينا وأقل ما أريد نحو عشرة آلاف ناقة وعشرة آلاف جمل وعشرين ألف من المعز والضان والف رأس من الخيل ومن السباع ألف سبع لان الطارق علينا كثير واريد أن أعمل فى عرس عبله شيئا كثيرا واصنع خمسة ولائم حتى يتحدث بها الناس إلى يوم القيام ولا يبقى احد من خلق الله حتى يأكل من عبله فرحا بعروسها قال الراوى ثم بعد ذلك قال عنتر لعروة اكتب الآن إلى بسطام كتابا فيه سلام ووصيه بالقدوم والحضور فلما كتب الكتاب دعا بعبيد من عبيده وأمره بسرعة السير إلى ديار الملك قيس بن مسعود الشيبانى فاخذ العبد الكتاب وساب وسار حتى وصل إلى ديار بنى شيبان واوصل الكتاب لبسطام فاخذه وأقره وأكرم العبد غاية الاكرام وخلع عليه لاجل مولاه واجاب بالسمع والطاعه وفى الحال سار نضحية ابيه فى ثلاثة آلاف فارس فى خدمته ليشوا فى ركاب عنتر ليلة دخلته فعند ذلك قال قيس يا بسطام انا ما طلبت الثلاثة آلاف فارس إلا تخفيفا عن قلب عنتر وما كان فى نيتى إلا أن أسير فى جميع بنى شيبان فربما يثقلوا عليه فى الكلفة لان الوارد عليه كثير واسمه بين العرب كبير فعند ذلك جهزت الفرسان أحوالها وفرغت من أشغالها وسار بسطام تحت الرايات والاعلام طالبا ديار بنى عبس الكرام

عروة يكتب للقبائل بسرعة الطيور لتمام السرور بدخلته على حبلة

عنتر وعروة

فارس يحمل جواب الى معدى يكرب

قال الراوى وكان عنتر بن شداد لما أرسل الكتاب إلى بسطام أمر عروة أن يكتب كتابا ثانيا إلى حصن المازنى أخى ملك بن زهير من الرضاع وهو يحثه فيه على القدوم وكتب كتاب ثالثا إلى حجار بن عامر وكتب كتابا رابعا إلى معد يكرب الزبيدى وكتب كتابا خامسا إلى مشاحج بن حسان وكتب كتابا سادسا إلى زياد سيد بنى عطفان وإلى ابن أخته الهطال ثم كتب كتبا كثيرة وأنفذها إلى جميع أصدقائه من الفرسان والأبطال ، فلما أرسل الكتب وقد خلا قلبه من التعب فعند ذلك قام يدبر نفسه فى الولائم بعد أن قال لعروة بن الورد يا ابن عمى الرأى عندى انك تركب جوادك فى هذه فى هذه الساعه ونأخذ جماعة من الفرسان ونمضى إلى أرض الشام وتنزلوا بوادى الازيلم وتستخبروا أخبار التجار الذين يبيعون الخمر ونأتونا بما يكفينا مقدار عشرة أيام لان الطارق علينا كثير فعندها قال عروة يا أبا الفوارس ولم لا تعلم الملك قيس فقال أنا ما أريد أن أحد يكلف نفسه بشىء من هذا الامر قال الراوى فلما سمع عروة مقال عنتر سكت ولم يرد جواب وامتثل امره وسؤاله وسار إلى تحول بلاد الشام ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرض الشام وأقاموا فى انتظار التجار ويشتروا منهم المدام (قال الراوى)

فهذا من ماجرى هؤلاء وأما ما كان كان من عنتر بن شداد فانه أمر الملك قيس أنه يسرع فى أمر الزواج وبعد ذلك أمر قيس عبيده وغلمانه وأرباب دولته بأخراج المضارب والسرادقات والاعلام ورفع القباب ومد الاطباب وقد امتثل العبيد وفعلوا ما أمرهم به الملك (قال الراوى) وكان ذلك اليوم عجيب مما نصبت فيه الفراشين من الخيام الملونة والمضارب المزينة وقد أفردت الفراشين الخياما للرجال بانفرادهم وخياما للنساء بانفرادهم وبقيت الحلل خالية من النساء والبنات وفرح بنو عبس وانشرحوا وقد أمنوا من طوارق الحدثان وتصاريف الزمان وهذه الاشتاء لها حدود وأوان باذن مكون الاكوان فسبحان الواحد المنان قديم الاحسان الذى لا يشغله شان عن سان (ياساده) إلا أن عنتر بن شداد قد وافقه فى ذلك الزمان طالع سعيد يشير بالافراح والسرور والنجاح ولما نظر عنتر إلى نصب الخيام والسرادقات والاعلام صاكل يوم يركب ويخرج إلى الجبال وينزل إلى بطون الاودية الخوالى ويصيد النمور والسباع حتى أنه حصل سبعمائة سبع ولبوة وخمسمائة من النمور ثم جعلهم فى وادية بنى عبس وجعل عليهم رجالا تقوم بواجبهم فى كل صباح ٭ وكان عنتر فى كل صباح يذبح ألف جمل يأكلونها ويسوق البوق والجمال والمعز والضان والخيل الجياد وبعد ذلك أمر غلمانه أن ينصبوا العبلة السرادق الكبير الذى أتى به من عند كسرى ياساده وهذا السرادق كان مطرزا بالذهب الاحمر مكللا بالدر والجواهر مفصلات بالياقوت الاحمر وكان هذا السرادق لشداد بن عاد الذى بنى ارم ذات العماد ثم أن هذا السرادق كان للنمروذ بن كنعان قال ولما هلك النمروذ تعدمدة من الزمان ثم وصل إلى فرعون ذى الاوتاد فكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ورؤساء مملكته فلما هلك وأغرقه الله فى البحر على يد موسى بن عمران مضى كانه ما كان ووصل هذا السرادق إلى اسكندر فلما نظره واستحسنه وكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ٭ ولما يزل هذا السرداق ينتقل من ملك إلى ملك إلى أن وصل إلى الملك كوبرت قال وكان كوبرت يحمل إلى كسرى الجزية فى كل سنة فعند ذلك سار كوبرت إلى الملك كسرى فى بعض السنين فلم يكن عنده ولا فى مملكته شىء أحسن من هذا السرادق فعندها حمله معه وقدم إلى كسرى قال فلما نظره اندهش واعجبه وفرح به فرحا شديدا وخفف عن كوبرت الجزية مقدار عشر سنين (قال الراوى) ياساده وصار هذا السرادق عند كسرى حتى نزل عنتر أرض العراق فى طلب المهر والصداق وجرى له ما جرى فى اخذ الذوق العصافيرية وجرى له أيضا ما جرى مع الخسروان الذى قتله عنتر وكسر عسكره وكان

عدتها عشرين ألف فارس وقد خاف الملك المنذر من هذا الشأن وكيف نزل عمرو بن نفيلة يسأل الموبذان فى المنذر وكيف قتل البطريق الذى أتى بالحمل من عند الملك قيصر سيد ملوك النصرانية وقال أنا ما أسلم هذا الحمل إلا لمن يقهرنى فى الميدان فان كان عندك فارس يقهرنى قومى اليه حلال وإن قهرت أبطالك وجندلت أقرانك زيل عنا هذه الجزية وأرجع بها إلى صاحبها وقد جرى من البطريق ما جرى مما سمعتموه فيما تقدم من هذه السيرة العجيبة وما كان للبطريق ضد ولا ملاقى إلا عنتر فانه قهره ودمره فلما نظر كسرى إلى عنتر وفعله قال له يا غلام تمنى على فتمنى عليه التاج الكسروى والعمامة المجوهرة والعمامة الفضية ولما طلب منه عنتر بن شداد السفر أعطاه هذا السرادق ورجعنا إلى سياق الحديث والخبر قال الراوى ولم يزل هذ السرادق محفوظا عند عنتر بن شداد فى الصناديق إلى أن قرب زفافه على عبلة وجرى لبنى عبس ما جرى إلا أن سهل الله الأمور فعند ذلك أخرج عنتر بن شداد هذا السرادق ونصبه وكان يوهج بالذهب والجواهر فلما نصبه أشرق الوادى وقد طلع منه الضياء وانزعجت الانظار وبعد ذلك مران ترين الحلل بما فيها من القماش والذخائر فزين كل انسان على قدر ما يملكه قال الراوى وكان الملك قيس قد فرج بفرح عنتر بن شداد وكذلك فرسان بنى عبس وأما بنو زياد فانهم كانب النار تتقد فى أجسادهم وأما مكان من عروة فانه ما غاب أكثر من تسعة أيام ثم عاد وقد اشترى من الخمر ما يكفى الوليمة عشرة أيام أو أكثر قال الراوى فلما وصل عروة إلى الحلل ومعه أحمال الخمر فنظره الملك قيس حين أقبل التفت إلى عنتر بن شداد وقال يا أبا العوارس لأى شىء فعلت هذه الفعال والله ما كنا نريد أن نكلف نفسك شيئا ولا إلى مشترى هذا الخمر وأى شىء هذه الأحوال فقد كان موجودا عندنا من الخمر ما يكفى وليمتك فعند ذلك قال عنتر شداد أيها الملك ما كان هذا إلا من بعض نعمتك وخيراتك ولولا همتك وسلطانك ما كانت انحلت عقدتى ولا قصرت مدتى ولا دخلت على زوجتى ثم أن عنتر بعد ذلك صار يمدح الملك قيس ويثنى عليه وجعل يقول صلوا على طه الرسول

عطفا على خادم داع اليك ضحا ... من دهره بامان العز والظفر
يا من تملك رق الحمد فهو له ... دون البرية من بدو ومن حضر
يفدى النديم كما يفدى الغريم له ... كانه البدر فى الاشراق للبشر
يعطى إلى القوم جزلا من مواهبه ... ويبدل العسر للقصاد باليسر
إذا همى من غوادى كفه مطر ... على مدى الدهر قرم من بنى مضر

يعفو ويسطو وكلتا الحالتين رضا ... منهم شريف وذا عفو لمعتذر
مقى السحاب ندى من فيض راحته ... والناس تأتى له على قدر
فلا عدمنا الذى عم الملوك ندا ... فى سيرة حسنة من أحسن السير
ياقيس لولاك ما أدركت منزلة ... ولا تزوجت بين البدو والحضر
أفديك بالأهل والأموال كلهم ... أيضا ويفديك منى السمع مع بصرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره طرب الملك قيس وكذلك الفرسان من بنى عبس وعدنان وقال جميعهم لافض الله فاك ولا كان من يشناك والله أنت فارسنا وحامية قال الراوى وما فرغوا من هذا المقال حتى وصلت النوق والجمال من الأوديه والجبال والعبيد تسوقها وكان عدتها خمسين الف ناقه وجمل فعند ذلك أمر العبد عنتر أن يذبح منها الف ناقة وتكون فوق الجبال فساقت العبيد الجمال ومشت وراءها وشيبوب فى مقدمتها فلما وصلت العبيد إلى أعلى الجبل نحرت الجمال عرتها عن جلدها فعط ذلك طلع شيبوب فوق الجبل ونادى بأعلى صوته أيتها الوحوش الدائرة والسباع الكاسرة هذه وليمة عنتر ابن شداد وقد أضافكم فكلوا واشبعوا فى ضيافته وقد زال الله عقدته ودخل على ابنة عمه وبعد ذلك رجعت العبيد إلى الأحياء (قال الراوى) فلما كان من الغد أمر عنتر أن يذبح الفين جمل والفين من المعز والضأن فذبحوا ما أمر به عنتر وقدروا المدفم فشربوا ولعبوا وطربوا وأكلوا الطعام ورقصت العبيدان وضربت بالدفوف ربات الحجال وكان فرحهم بعنتر أطيب الأفراح وكان أفراح الخلق فى ذلك اليوم قيس بن زهير وأخوته وأهله وكان هناك من جملة الفرسان المعدودين للقتال مقرى الوحش الغسانى وكان من أفراح الخلق لعنتر ولكن قلبه يتحسر ويرجو من الأيام بلوغ الآمال وان تساعده على مصائبه بالهنا ونيل المنى قال الأصمعى فبينما الناس فى أكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم وطربهم اقدمت عليهم بنو غطفان أصحاب الاكاليل والتيجان يقدمها الحظاوهو فى الفين وسبعمائة فارس ومعها من العبيد والغلمان تسعمائة عبد وغلام لأنها أقرب الجلل لبنى عبس وعدنان فعند ذلك أمر عنتر أن يذبح الغنم والفصلان فذبحت الذباحين وطبخت الطباخين هذا وقد تقدمت الأطعمه وروق الخمر ودارت عليهم الكاسات (قال الراوى) ولما كان من الغد أقبل على بنى عبس بنو زبيد وبهدمهم معد يكرب الزبيدى وهو فى خمسة الف فارس وكلهم اسود عوبس من صناديد الفرسان المعدودين للقاء الاقران فترحب بهم عنتر فارس الميدان والملك قيس وانزلوهم فى سعة الفضاء وذبحوا لهم النوق والجمال والخرفان

وقدموا لهم الطعام فاكلوا من هذا الطعام حتى أكفوا وبعد ذلك قدموا المدام قال الراوى ولما كان وقت السحر قدموا لهم ثانى مرة الطعام ومازالوا كذلك إلى أن طلع الصباح قال فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت عليهم فعندها ركبت بنو عبس خيولها وأعتدت فى آلات حربها وبعد ذلك انكشف الغبار عن فارس مضيق اللثام فعرفه الأبطال وهو حجار ابن عامر ومن ورائه تسعة آلاف فارس فترحب به عنتر بن شداد وأكرمه غاية الاكرام وأنزلهم فى أعز مكان وقد نحروا لهم النوق والجمال وأكثروا لهم الطعام وبعد مجيئهم بيوم واحد قدم عليهم روضة بن منيع فى خمسة آلاف فعند ذلك أكرمهم بنو عبس غاية الاكرام ولما كان من الغد اقبلت عليهم بنو خولان فى تسعة آلاف فارس فعندها نزلوا لهم فى الاودية قال الراوى ولما كان من الغد أقبلت عليهم غبرة عظيمة فتلقاهم بنو عبس وقد تبين من تحتها الفرسان وإذا هم عشرة آلاف فارس من الشجعان وفى مقدمتهم نعمة بن الاشتر صاحب جبل الرخان فعندها سلم عليه عنتر بن شداد وأكرمهم وصار كل يوم يذبح الأغنام والنوق الجسام ودارت عليهم كاسات المدام فاكلوا وشربوا وطربوا ورفعوا الطعام وانشالت الكاسات وتمايلت الرجال والسادات وطابت الأوقات باللذات وما أقبل عليهم حتى انطرح الفرسان وهم سكارى من الخمور والذائرات إلى أن أصبح الله بالصباح وإذا بباز سار وعلا وسد الأقطار وانكشف الغبار وبان عن فارس وهو الأمير بسطام قد أقبل وراءه ثلاثة آلاف من الفرسا وحوله العبيد والغلمان فتلقوهم بنو عبس وترحبوا بهم وذبحوا لهم النوق والاغنام قال الراوى وبعد ذلك قداعتنى بنو عبس بالرجل والنساء الايتام والأطفال وكل الخلايق اليهم هرعوا ومن ولايم عنتر يأكلون قال الراوى وكان الذى اجتمع بفرح أبى الفوارس عنتر بن شداد مائة وسبعين الفا جواد وكان عدة من اجتمع فى جلاء عبلة مايتين وخمسين الفا ما بين أنثى وذكر ولاجل ذلك اشتهر زواج عنتر بن شداد فى السهل والجبال وضربت به الامثال قال الراوى ولما حضرت هذه الامم فى أرض الشربه والعلم السعدى وقد ضاقت بهم الارض فمنهم ومن نزل فى الجبال ومنهم من نزل فى بطون الأوديه الخوال ومنهم من طلب وجه الأرض والرمال وقد ازدحمت الخلا وما بقى الأخ يعرف حرمة أخيه ولا الولد يلتقى بابيه وقد أمر عنتر بن شداد الجزارين أن تذبح بالليل والنهار وكذلك أمر الطباخين أن يطبخون اللحوم ويحملون القدور فوق النيران وامر الفراشين بالمواظبة على

مد السماط وأمر الغراقين أن يكونوا مواظبين حتى أن الطعام لا ينقص من القدور وصابر عنتر يقدم إلى الفرسان العشاء والسحور والغذاء والفطور وكانت عليهم كاسات الخمر تدور وأما المولدات والجواو فكانوا برسم العجين والخبز ليلا ونهارا حتى كان الماشي والمتفرج يأكل ولم يبق أحدا إلا اكتفى من كثرة الأطعمة وكان أبو عبيدة سمع بهذه الوليمة فاتى إلى بني عبس لينظر ما سمع فرأى من صنف الذرة والقمح مائة وخمسة وتسعين الف أردب وصاروا القوم كل يوم يأكلون ويشربون فاذا فرغوا تدخل عليهم الجوارى المطربات وتدور بينهم بالكاسات وقد طابت لهم الأوقات لهم من كثرة اللذات قال الراوى فلما أصبح الصباح علت الفرسان على الخيل الملاح وأشهروا آلة السلاح ومدوا الرماح وجردوا السفاح ولعبوا كراوفرار وهزلا وجدا فاذا حماعليهم الحر يعودون إلى الخيام وينزلون عن خيولهم ويجلسون فى أماكنهم فاذا جلسوا أتاهم الطعام والشراب فاذا كلوا واكتفوا قدمت لهم العبيد صافى المدام ودارت الكاسات إلى غسق الظلام قال الراوى فداموا على على ذلك الحال تمام سبعة أيام الملك قيس يكثر لهم الطعام والشراب والإكرام وفى اليوم الثامن وثب الأمير بسطام على قدميه حين حضر ما أمر به من الهدية التى كانت آتية خلفه وقدمها إلى عنتر بن شداد وكانت مائتين رأس خيلى من الخيل الجياد بلامتها وعدتها والفين ناقة والفين جمل ومائتين عبد ومائتين جارية وعشرين نافحة من المسك الأذفر ومائة عقد من خاص الذهب الأحمر مفصلة بقطع الياقوت والجوهر ومائة طبلة من عنبر ومائتين ثوب من الديباج ثم أن بسطام قبل الأرض وطلب من عنتر قبولها أنشد يقول

بدولم سعدك تسعد الامداد ... وبفضل مجدك تشهد الاجياد
بك كل يوم للانام مسرة ... وموائد من نعمة تزداد
عشر بعشر أنامل لك فى الندا ... للخلق من بركتها أمداد
لك رافة للناس فيها رحمة ... بين العباد نوالها ميعاد
كف بكف فى السخا معروف ... ويد لبذل دائما تنقاد
قد شاكلت فى الجود سبعة أبحر ... فيها انبساط فى الملا وسداد
لم نخل من بذل يمينك مثل ما ... لم يخل فيك من الولاء فؤاد
يهنئك هذا العرس ما بين الملا ... يا فارسا ذات له الاطواد
فاقبل هدية صاحب لك شاكر ... وتحائفا جاءت بها القصاد

لا زلت فى نعم نعم بعيشه مرضية ومزيدة تزداد

قال الراوى فلما فرغ بسطام من هذه الأبيات شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته فعند ذلك قبل بسطام الأرض وتأخر حتى قعد فى مرتبته وتقدم من بعده يكرب الزبيدى وقبل الأرض وقدم له خمسمائة فرس بعددها وآلاتها والف ناقه والف جمل ومائة ثوب من الحرير الأحمر وعشر عقود من خاص الجواهر وعشرين طبلة من العنبر وعشرين ناقة من المسك الأذفر ومائة عبد ومائة جارية وبعد ذلك سأل عنتر فى قبولها وأشار يمدح ويقول على طه الرسول

يوم بعرسك أشرقت أنواره وعلا بطالعك السعيد مناره
ونظام مجدك لا يحل زمامه ودوام عزك لا يحل زماره
يا عنتر الفرسان أبشر بالمنى وبلوغ سؤل فى الدنا تختاره
لك منزل جو الفؤاد فووعه غصن بسائرة السما أزهاره
فالليل أين نزلت زال ظلامه والقفر أين حللت حل قفاره
فاخر على كل الأنام بسردد قد أيقنوا أن الفخار فخاره
فاقبل بفضل للهديه سيدى من صاحب حلت بدارك داره
وأعطف على عبدك دعاك فان من عرضت عنه قد أتى أياره
ويقال عن يستقيل مروءة عن القتال من الجواد عثاره

قال الراوى فلما أنشد معد يكرب الزبيدى هذه الأبيات طربت لها الفرسان والسادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته ووثب من بعده حجار بن عامر الكندى على قدميه وقدم الف ناقة والف جمل وخمسمائة من الخيل الجياد وخمسين عقد أو مائة ثوب من الديباج المقصب وعشرين ناقة من المسك الأذفر وسبع طبلات من الكافور والعنبر وثلاثة آلاف رأس من الغنم ومائة عبد ومائة عبد أمة ثم قبل الأرض وسأله فى قبولها وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

أردى الجود كل الجود ما أنت أهله تصول وذل الناس حين تجول
وعدل له فوق البسيطة شامل وظل على كل الأنام ظليل
عظمت إلى أن بات كل معظم يناديك بالأعضاء وهو أصيل
وأبذلت ما توليه نطقا ونايلا فلفظك جزل والعطاء جزيل
نطقب فاحرزت الفصاحة كلها وجدت فكف المكرمات بخيل

غرايب ذو فضل وغاية مفضل ... تكمل أقبال له وقبول
تكملت فى خلق وخلق ومنطق ... وفضل على رغم الحسود جميل
فتى يرتقى طول الثناء وهو شامل ... ويحمل صعب الحمل وهو ثقيل
بلغت ذرى أعيا الملوك سلوكها ... ودون أنقطاع السالكين وصول
فهنيك هذا العرس يافارس الوغا ... ويا أوحد الفرسان حين تجول
تقبل قدتك النفس منى هدية ... وعذرا فاتى صاحب وخليل

قال الراوى فلما فرغ حجار بن عامر من كلامه طربت له السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته فقبل الأرض وتبختر ثم وثب من بعده حصن المازنى وأحضر الف ناقة والف جمل وخمسمائه من الخيل والجياد وخمس عقود من الجواهر وعشرين ناقه من المسك الأذفر وخمس طيلات من الكافور والعنبر والفين من المعز والضان ومائة عبس وخمسين جارية ثم بعد ذلك أنشد يقول

غيرى يهنى بالزمان وأننى ... بك لا أزال أهنى الازمان
يافارس الفرسان يوم كريهة ... أنت الهزبر وفارس الفرسان
أضحى بنعمتك الولى مهنا ... وغدا بسطوتك العدا بهوان
فابشر بهذا اليوم يا كنز الورى ... فأسيد الاقران والشجعان
أعطيتك ميراث الفصاحة سادة ... حقا فكنت أحق من سحبان
فاقبل هدية من أتاك محبة ... يا كهفنا يامعدن الاحسان

قال الراوى ياسادة ولما فرغ حصن المازنى من شعره طربت له السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وجلسه إلى جانب فى مرتبته قالثم وثب مشاجع بن أسيد من بنى خولان وقسم اليه فارس من الخيل الجياد والفين من النوق والجمال والفين من المعز والضأن وأشار بمدحه بهذه الابيات

سخاؤك والاحسان ليس لها حصر ... لقد ضاق عن شكرى لك النظم والنثر
وكيف ينال الشكر غاية ماجد ... يقصر عنها البحر والسير والقطر
اله من صفات الفضل ما بأقلة ... تجلت الايام وافتخر الدهر
أنا ملة غيث وجداوة وابل ... وأخلاقه روض والفاظه زهر
تهن بافراح أتتك سعيدة ... وعرس به تأتى المسرة والفخر
تقبل قدتك النفس منى هدية ... وياسيدى صفحا فعندك لى العذر

قال الأصمعي ولما فرغ مشاجع من أبياته شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه في مرتبته فعندها وثب من بعده عباد سيد بني القيان وقدم خمسمائة فرس بعددها ولامتها وثلاثة آلاف ناقة وألفين من المعز والضأن ومائة طبلة من العنبر وعشرين نافجة من المسك الأزفر وألف ثوب من الحرير وعشرة عقود من الجوهر وسأل عنتر في قبولها وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

هل للفضائل غير يدك معدل ... أم غير بابك للانام مؤمل
والله لو صنع الكلام جميعه ... شعر الأقصر عنك فيما نفعل
أنت الذي لولا مرضى عزمة ... ما كان في هدى البلاد مؤمل
عرس جميل في النفوس وأنه ... يزدان عند وقوع مايستقبل
سعد خصصت به وما ذو فخره ... إلا وأنت له الذراع الأطول
كرم وإقدام ورأى نافذ ... ما الغيث ما أسد الشرى ما المتفضل
بطل الفوارس أن تضايق مجفل ... ليت الكتائب أن تلاحق مخفل
أخلاقه سهل لطالب رفده ... لكنها يوم الكريهة حنظل
اقبل هدية من أتاك بفرحة ... متحققا فيك الولاء الاكمل
لم أمتدح أحدا سواك وأنني ... بصفات مجدك في الورى أتمثل

قال الراوي ولما أنشد عباد هذه الأبيات طربت لها السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وأجلسه في مرتبته فعدها وثب من بعد تعمة بن الاشتر وكانت هديته عظيمة وهي ألف فرس من الخيل الجياد العربية بما حملها من العدد والسيف والرماح وخمسمائة ودمن الجوهر وألف ثوب من الحرير القسطنطوني وألف جمل من جمالي جبل الدخان وألف ناقة وعشرة آلاف من المعز والضأن ومائة نافجة من المسك الأزفر ومائة طبلة من العنبر وسأل عنتر في قبولها وأشار يقول صلوا على طه الرسول

صفاتك تسمو ما تقول وتكتب ... فلا عجب أنا نطيل ونطنب
وفعلك في العلياء يعرف دائما ... فلم لا تجيد المدح فيك ونغرب
إذ لم ننل ما قد بلغت من العلا ... بوصف ولوكنا نطيب ونرغب
هذا القول متناعس صفاتك قاصر ... فلا حد في مرضى مجدك يطلب
وكيف ينال الشعر غايتك التي ... ذرى النجم أدناه من مداها وأقرب
وأعيا جميع الناس مدح لما جد ... همام بـــه يزهو المديح ويعجب
وأفعاله في الجود شمس منيرة ... يضيء بها شرق البلا ومغرب

وأقلام سمر الخط تكتب فضله ... والسن بيض الهند فيه تخطب
تقر له السيف فى حملة العدا ... إلى الغاية القصوى وأعداه ترهب
يبدد أقواما يرومون شأوه ... بقرب أفلاك العلا إذ تقرب
فيهنيك ذا العرش يا فارس الوغا ... وبشراك قد نلت ما كنت تطلب
فلا زالت الدنيا بظلك روضة ... يصوب عليها من نوالك صيب
تقبل فدتك النفس منى هدية ... فانك أدرى بالأمور وأدرب
فما فاتنا يوعا وجدنا مطلب ... إلى أن ظننا أن كفك مطلب

قال الراوى ولما فرغ نعمة بن الاشتر من هذه الأبيات طربت له السادات وقد شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه فى مرتبته وبعد ذلك قدمت سادات القبائل إلى عنتر جميع ما كان معهم فقبل عنترا لجميع وأثنى عليهم وبسط لهم عنتر بساط الانس ، ثم أنه بعد كلامه الفرسان التفت إلى مقرى الوحش وقال له يا فارس الشام ما وصل اليوم من النوق والجمال فهو لك وبين يديك هدية منى اليك وأما الثياب والمسك والعنبر والطيب فهو لابنة عمى عبلة وأما العبيد الذين جاءوا مع الهدايا فانهم فرسانى وجندى وكان جملة ما اجتمع لعنتر من الهدايا فى ذلك اليوم من العين وماتتين عبد والفين جارية من سائر الأجناس ثم بعد ذلك أعطى عنتر بن شداد للعبيد العدد والسلاح والخيول والجنائب وقد صارت العبيد يركبون إلى ركوب عنتر وينتزلون إلى نزوله ويقفون فى خدمته وصار إذا سير سربه يكون فى مقدمتها قال الراوى ثم أن سادات العرب وأكابر القبائل بعد ما قدموا هداياهم لعنتر بن شداد قاموا على أقدامهم وطلبوا من عنتر الزفاف خوفا من الغدر والخلاف وقبلوا الأرض قدام الملك قيس فعندها شكرهم على ذلك وأثنى عليهم وقال يا وجوه العرب لقد انصف الزمان وجاد لنا عالم الخفيات الملك الديان قبل أن يرسل النوم على الأجفان الذى أجار عنتر بن شداد من زق العبودية وعطاه الكرم والشجاعة والفروسية فهو والله حاميتنا وفارسنا وعامر حلتنا قال الراوى فعندها غضب الربيع بن زياد فقال له قيس قيس يا ربيع يستأهل أكثر من هذه الأشياء لأنه والله صبر وما قصر وما حمى حريمنا فى هذه النوبة إلا هو وإلا كانوا أخذوا حريمنا فى هذه النوبة الأعداء وباعهم بيع الذل والهوان وما بقى إلا إنجازه وبلوغ مراده ثم قال الملك قيس يا وجوه العرب قد عدمنا سميكم وأشفاقكم علينا فاتتم والله فرسان النجدة والفرج عند الشدة قال الراوى فعند ذلك قبل الحاضرون الأرض وشكروا الملك قيس وقام من بعدهم عنتر بن شداد وصرخ بأعلى صوته ونادى وقال يا معشر العرب الكرام اشهدوا على أننى عبد لاهل

هذه القبيلة العبسية وأفديها بروحي وأهلي ومالي من جميع الآفات وأكشف عنها البلاء والنوائب فان ضاعوني على ابنة عمي قبلت وأن تركوني أعالج امري صبرت وإن طلبوا تعويقي فالأمر اليهم فلما سمع فرسان بني عبس كلام عنتر نادوا بأعلى أصواتهم وقالوا والله يا أبا الفوارس ما في الزفاف خلاف ونحن منتظرون وليتك يا بطل الزمان قال الراوي فبعد ذلك ذبح النوق والجمال والغنم والخيول السمان والفهود والسباع وذبح في ذلك النهار خمسة آلاف ناقة وتسعة آلاف جمل وألف فرس وخمسين الفا من الضأن وسبعمائة سبع وبعد ذلك استلمت الرجال أشغالها أما بنو عبس فانها قد أسرعت ورصفت الكراسي وأبرت الأصنام بعدما البسوها الحلي وخرجت المخدرات والنساء والبنات وركب بعد ذلك بسطام في بني شيبان وركب بعده حجار ابن عامر في بني كندة وركب معد بن يكرب الزبيدي في أبطاله بني زبيد وركب مشاجع في فرسان بني خولان وركب الهظال في بني غطفان وركب الملك قيس في فرسان بني عبس وعدنان وركب حصن المازني في بني مازن وركب الأمير روضة بن منيع في فرسانه الشجعان وركب الملك نعمة بن الأشرص صاحب جبل الدخان فعند ذلك استحى الربيع بن زياد من الملك قيس ومن العربان فاحتاج أن يركب في بني زياد وركبت سائر الشجعان والفرسان وأشهروا السيوف والرماح من كل جانب ومكان وقد ماج البر بالعدد ولمعان الزرد على أجسادهم (قال الراوي) فعند ذلك أطلقوا الأعنة وتطاعنوا بالرماح بلا أسنة وكان هذا الوقت أواخر الربيع وكانت الأرض مشعشعة بأزهارها والراوي في لون السماء والغدران تتلاطم بالأمواج وقد هب على تلك الأشجار والأزهار نسيم الصبا والهواء ففاحت روائحها كالمسك في تلك الروابي وعندما لعب القوم حتى تعالى النهار بالرماح والصفاح إلى أن استوت الشمس على سائر الأقطار فعند ذلك عادت الفرسان والأبطال وتتابعت العساكر مثل النجوم أو مثل السيل إذا انحدر وسال قال الراوي ولما استقر بهم الحال فعندها كل واحد نزل في مكانه وجدوا الأطعمة قد تهيأت فنزلت الفرسان إلى أكل الطعام وأكلوا من لحوم الجمال والنوق وما فيهم إلا من أعطى له هبرة لحم من لحوم السباع إما مطبوخة وإما مسلوقة ولما اكتفى الرجال وشبعت فعند ذلك ترقبوا إلى شرب الخمر والمدام فشربت الفرسان بالكاسات الكبار والصغار هذا وقد أمر عنتر بن شداد الفراشين أن يمدوا السماط ثانيا إلى الأراذل الأيتام ففعلوا ذلك (قال الراوي) ونادى منادي وقال من أراد الطعام والزاد فعليه بطعام عنتر بن شداد فعند ذلك أتت النساء والبنات من كل جانب ولما فرغ عنتر من مد السماط وقف على رؤوسهم في الخدمة مع جملة العبيد والغلمان فمنعه الملك قيس عن ذلك (قال الراوي) كان

فعند الملك قيس وأخوته يتفكرون فى عنتر وقصته ويخافون عليه من كيد الأعداء ليلة دخلته على عبلة قال الراوى وكان العرب رسم من قديم الزمان عند زواج البنات وأنهم كانوا يزينون البنات والعروس بما يقدرون عليه من الملبوس وكانوا يضعون أقتاب الجمال بعضها على بعض حتى ترتفع على وجه الأرض وتبقى مثل الدكة العالية وتجلس العروس من فوقها فاذا جلست العروس واستقر بها الجلوس تركب الفرسان وتلبس الحديد ويتساوى الأحرار والعبيد وتدق الأماء بالدفوف وتشرع الفرسان الأسنة والسيوف وتجتمع أبطال الجلة وفى أيديهم الأعمدة والعصى فعند ذلك يسرعون فى زفاف العروس ويزفون العريس محمولا إلى مكان زوجته لينال منها مناه فعندها يضربها بما فى أيديهم من العصى والأعمدة ويرفع له الصياح حتى يمنعوه عن عروسته ومويدافع عن نفسه فان كان قرب أجله يموت بأن كسر فيه شىء من أعضائه ولم يمت يكون بسعادته وأن كان العريس يصلى سالما لعروسته فعند ذلك تنكشف عنه الفرسان تبعد عنه من كل جانب ومكان وكان هذا الرسم فى جميع العربان وكان لهم شأن وأى شأن وكانوا يقصدون بذلك اشتهار أفراحهم والرغبة فى بناتهم إلى أولاد أعمامهم وكانوا يخرجونهم بأفخر الزينة والملبوس حتى ينظر إليهم الفرسان والسادات وتكون فى وسطهم العروس فاذا وقعت محبة أحداهن فى قلب أحد من الفرسان واشتغل قلبه بالمحبة مثل النيران يخطبها من أبيها ويتزوج بها وكانت هذه هى سنة العرب عند الزواج فى بناتهم * قال ولما كان فى ذلك اليوم تشاوروا أولاد زهير بعضهم مع بعض فتقدم الحارث أخو الملك قيس وقال لاله يا ملك إعلم أن عنتر كثير الأعداء والحساد لاسيما بنو زياد لأنهم كانوا معولين عليه ونخاف من عبيدهم أن يوصلوا الأذية إليه ويضيع تعبنا وتعبة ولا يعود ينفعنا الندم من بعد هلاكه فقال الملك قيس ما حارث كيف الحيلة فى هذا الأمر الشنيع وهذا رسم جارى بين العربان وقد رضى به جميع السادات ذو الرتب وسايرالفرسان فقال الحارث يا ملك نبطل هذا الرسم فى زفاف عنتر ونعيده فى زفاف آخر فقال الملك قيس هذا هو الرأى الصواب قال الراوى فهذا ما كان من الملك قيس وأخوته وأما ما كان من بنى زياد وعمارة القوادفانه لما رأى ذلك الحال ما كان انقطعت منه الآوصال وقال الليلة يزفون عبلة على عنتر فلعن الله وجهه الاغبر ثم أنه بكى واشتكى ولطم على وجهه حتى طار منه الشرار ثم قال وا مصيبتاه واتعب قلباه وكيف يأخذ عنتر بن شداد محبوبتى وثمرة فؤادى ولى زمان صابر على جورها وبلواها ثم سار إلى أبياته وصار يبكى بين إخوته وأهله وعشيرته فلما رأوه على تلك الحالة قال له إخوته طول روحك يا عمارة فنحن نسعى ليلة الزفاف ونأخذ عبلة ونحن كلنا وقوف ليلة زفافها ونرتب عبيدنا

وفرساننا يقفون إلى عنتر بن شداد فى الأماكن الصعبة فيضرب به واحد منهم يعطيه ونحن هنا مائة فارس وعبيدنا أكثر من مائتين عبد وتفرغ عليهم صدور الزرد وتركب على ظهور خيلنا ونظهر الفرح وندبر أمورنا فلما سمع عمارة من أخوته هذا الكلام أظهر الابتسام وطاب فيه بهذا المرام ثم استخار من عبيده عشره عبيدا شداد جلاد وقد البسهم صدور الزرد وأعطاهم خناجر يقتلون بها عنتر بن شداد ثم وعدهم بالخلع والأموال وقال لهم إذا طلعت عبلة للجلاء وأراد عنتر أن يأخذها فيكون فى أيديكم الأعمدة الغلاظ وأهجموا عليه عند رحمة الناس وأضربوا بها رأسه عند غفلته وأطلبوا أهلاكه وقتله ولكم على ما قد ضمنته لكم من المال ومهما أردتم من النوق والجمال ولاتخافوا من تلك الأفعال فما عليكم ملام لأنه رسم من قديم الزمان وسنة جارية من سنين وأعوام وقد رضيت بها الملوك والفرسان فعند ذلك أجابته العبيد إلى ما قال وتأهبوا رغبة فى المال وأيقن عمارة ببلوغ الآمال قال ولما جاء وقت العصر تحزم العبيد وشدوا وسطهم فقال عماره أسرعوا فانكم لا تصلوا إلى مكان العرس إلا وقد أتى الليل فعند ذلك خرج العبيد خارج المضارب وقد دخل وقت غروب الشمس فعندها أسرعت العبيد حتى وصلت المحل المعهود فعند ذلك سمعوا منادياً من قبل الملك قيس ينادى بين المضارب والخيام وهو يقول بنى عبس وعدنان الكرام ويا معاشر هدرا لأننا قد أزلنا هذا الرسم فى هذا الوقت ونرده فيما بعد قال الراوى فلما سمع عمارة هذا النداء غاب عن الدنيا وذاب كبده وتحير بأى شىء يعامله وبأى حيلة ينكد بها عيشه وقد اجتمع بأخيه الربيع بن زياد وقال ياأخى أودعتك عند الله فانى هائم على وجهى من هذه الحلة ولا أبصر عنتر بن شداد يأخذ محبوبتى عبلة ويتلف وينكد على عيشتى غرضا ولا مأمرا لأنى كرهت معاداة هذا الإنسان وقد دبرت له ألف مرة الهلاك والقلعان ويعود التدبير على وياء خسران وانظر بعينى الذل والهوان فقال عمارة يا أخاه أنت قد سافرت الأقطار ونادمت الملوك الكبار فما تعرف بعض الحشائش القاتلات والعقاقير المهلكات فتدلنى عليها وترشدنى اليها حتى إنى ابرطل من بعضها له فى الطعام ونبلغ بهلاكه فقال أعرف من العقاقير المهلكة شيئاً ما يعرفه حكيم فى الزمان ولا يقدر عليه ملك ولا إنسان ولكن أخاف بسعادته يقلب التدبير علينا وإذا عملنا شيئاً يأكله فنخاف أن يأكل معه غيره فقير أو أمير ولا سيما الملك قيس بن زهير أو أحداهن أخوته أو من يلوز به من أهله وعشيرته

وأعمامه وأقاربه وأنى أخاف أن يقتل منهم أحد وينجو هذا العبد بسعادته ولكن قد انفتح لى باب أبلغ به من عنتر بن شداد الأرب وهو عليه أشام من القتل فلما سمع عمارة كلام أخيه انفتحت أذناه وصفق بيده وهز رأسه وتطلى عليه كلامه وبعد هذا قال عمارة ياأخى قل لى ايش هذه الحشيشة التى يأكلونها قال له الربيع يا عمارة هذه حشيشة قد جلبتها معى من أرض العراق وهى معدومة فى سائر الآفاق وقد عرفتها من بعض قدماء الملك وقالوا لى ياربيع هذه حشيشة إذا أكلها انسان اطفأ جميع الحرارة التى فى جسده والاضلاع فيبقى عاما كاملا لا يقدر على الجماع وان كان مبرد الاشياء فانه يعود طنجير ويحك بدنه كثير ويكون طبعه مثل القدور فى غليانها إذا أحكمت نيرانها وربما انقلبت شهوته إلى دبره ويفتضح بين أهله وخلانه فعند ذلك قال عمارة أطلب العون منك ياأخاه فى هذه الدواء وحق إله الأرض والسماء ان هذا أشد من القتل على ذلك العبد ولد الزنا ياأخى بحق أبيك تعطينى إياه حتى أشفى من عنتر الغليل فقد ترك جسمى نحيل وليلى طويل ونومى قليل فعديها قال له الربيع ومن أين لك من يتسبب فى ايصاله اليه ويضعه فى الطعام بين يديه فقال له مولاتى قدمه فى بعض الالوان وقد انقضى الشغل علينا وهان فاذا أكله قال الراوى وأخذت أرى قال الراوى وكانت لعمارة هذا المولدة التى كان ذكر اسمها وكان يحبها ويلوز بها وهى التى كانت تشاغله من عبلة فى أكثر الأوقات تشبه عبله فى المعانى والصفات وإذا نظرها الانسان وهى مبرقعة يظن أنها عبلة لان جفونها وعيونها تسبيها وكانت تشاكله فى مشيتها وخطوتها وكان اعمارة من محبته لهذه الجارية يشرب عليها المدام قال وكانت هذه الجارية لكلا تبغض عمارة ولا تصفى له الوداد وكانت تعشق عبدا من عبيد بنى قراد وكان كلما حجبها عمارة عن المرعى والخروج إلى الصحراء فيزداد بها الهوى لأجل العشق لاخيه الربيع أعطاه الدواء لى أوصاه بكتمان السر قال عمارة لا تخف من هذا الأمر ثم أخذ منه الدواء مولدته كلا وقال لها عمارة أريدك إذا دعتك خميسة أمة عبلة وطلبت منك المعونة فى نقل الطعام إلى الرجال وتضعين هذا الدواء فى بعض الأطعمة والقصع الجياد وتتركيه قدام عنتر بن شداد فعندها أجابته على ما أراد وقالت له يامولاى اعلم أن خمسة أنفذت إلى من أول النهار وكنت لك فى انتظار حتى استأذنك بالرواح اليها والقدوم عليها ولكن يا مولاى ايش يعمل هذا الدواء حتى أكتم سره ان كان قاتلا أخفيته عن كل

إنسان ولا أقع فى شىء يؤدى إلى الهلاك ولا يكون لى من بنى قراد خلاص ولا فكاك فعند

مؤامرة لقتل عنتر بالسم

عمارة — كلا

ذلك قال عمارة يا كلا ما غليك منه بأس لأنه لم يكن قاتلا وإنما هو جالب البغضة وأنت تعلمى ما فى قلبى من عبلة وما قاسيت من محبتها وهواها وفى آخر الأمر بعد العنا غلبنى هذا العبد ولد الزنا على ما نابنى من أحوالها وأنا أريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضها ولا يتهنا بها وأنا أريد أن تزكيه فى الطعام حتى تنظر به قعد بين الكرام وربما يقف فى الخدمة فرحا بما وصل اليه من عبلة وأنا أعلم أن الملك قيس يحلف عليه ويجلسه إلى جانبه فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى أقدر أن أضعها له فى لقمة وأحطها بيدى فى فمه لأنه يحبنى لأجل ابنه عمه عبلة وبينى وبينه انبساط وأين ما وقع بى لسبب معى ويرفع مكانى وموضعى فاطمأن بهذا الكلام قلبه وعند الصباح أصبح الحى يموج بالأفراح ونحرت النحائر وروقو المدام ونصبت الكراسى وخرجت المخدرات لابسات الألوان فعندها تقدم يسطام فى بنى شيبان ومشاجع فى خولان وعباد فى بنى القيان ونعمة بن الاشتر فى

عساكر جبل الدخان ومعد يكرب فى بنى زبيد وحجار بن عامر فى بنى كندة الأجواد والفطال فى بنى غطفان والملك قيس فى فرسان بنى عبس وعدنان وماج البر بالعدو قد أطلقوا الأعنة وتطاعنوا بالرماح بلا أسنة * وكان فى زمان أواخر الربيع والأرض مشقوقة بفنون ظهرها البديع والروابى بلون السماء والغدران تتطلاطم بصافى الماء وقد لعب القوم فى ذلك اليوم إلى أن حمى البر وارتهج الحر وعادوا وقد صفت لهم الجفان بملوءه بالطعام وراق المدام وقد أراد عنتر أن يقف بخدمة العبيد فما مكنه من ذلك قيس واخوته بل حلفوا عليه وأجلسوه بين الكرام وكان عليه خلعة خضراء من خلع الملك النعمان * قال وما شرعوا فى أكل الطعام حتى سجدوا للأصنام * قال الراوى وكانت كحلا مولدة عمارة قد حضرت فى ذلك اليوم من جملة المولدات والكل لابسات الحلى والحلل والمزينات كحلا معهم ومعها لك الدواء الذى تريد أن تطعمه لعنتر حتى يبغض عبلة لأنها قد نظرت محبوبها نعيم الذى ذكرنا أنها تحبه وهو واقف فى الخدمة مع العبيد لابس ثوبا أخضر وعلى رأسه عمامة حمراء وأطرافها منقوشة بالقصب ثم أن كحلا لما نظرته رأته أحسن من كل من كان فى الوليمة فعندها تحسرت عليه واشتاقت اليه وقالت فى نفسها أن مولاى يحبنى وأنا أبغضه ومن محبته قد حجبنى عن محبوبى وأنى أريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضنى ويرجع يستخدمنى فى المرعى وأخرج إلى الصحراء ويجتمع بمحبوبى نعيم ولما قوى عزمها على هذه الفعال قالت لخميسه أمة عبلة والله يا خميسة قد تحيرت كنف أطعم هذا الدواء إلى مولاى حتى يبغضنى فاسألك يا ستاه أن تأخذى هذا الدواء لأنه لا ينكر عليك إذ قدمتيه بين يديه وأنا أخاف أن ينكر على فيما بعد ويقول لى يا كحلا أنا أعطيتك دواء تطعمه لعدوى فاطعمتينى اياه وربما يقتلنى فقالت لها خميسة على به وأنا أكفيك إياه ثم أخذته منها وألقته فى الطعام وأتت به إلى قدام عمارة بن زياد وقالت له أمتك كحلا قد تولت خدمة مولاى عنتر وأنها أريد أن أتولى خدمتك لأجل ما بيننا من المحبة والوداد قال الراوى فلما سمع هذا الخبر فرح واستبشر وقال فى باله أنها ما تولت خدمة عنتر بن شداد إلا لتبغى منه الارب فى هذه الليلة فاذا اجتمع بعبلة فى المساء لا يحظى منها بغير البوس والعناق ولا يقدر يرفع لها قدما ولا ساقا ثم بعد ذلك مال إلى الطعام فأكله وحده من شدة فرحه قال الراوى فلما استقر ذلك الطعام فى بطنة حس يسريان الدواء فى سائر بدنه هذا ما كان من عمارة وأما ما كان من بنى عبس الكرام فانهم لما فرغوا من أكل الطعام دارت عليهم كاس المدام وغنت المغنيات ورقصت المولدات وانغمست السادات فى مناهل اللذات وفى

وأواخر النهار قد أكتفوا من شرب العقار وقد هانت عليهم الاخطار وبرزت البنات الابكار وقد اختلط الجوار بالنساء الاحرار وقالوا نحن ما نريد بعد عبله استبدار ثم كشفن عن وجوههن البراقع ورموها وقد ظهرت وجوههم الطوالع وأشرقت الوجوه اللوامع وسرت النواظر والمسامع وقد ماست أغصان القدود من شدة الطرب الموجودة (قال الراوى) وكان لهم يوم أعجب من كل عجب وتوردت منها الخدود من الحياء والخجل وأشرقت بدور الحلل وقد راق العيش وأكتمل وقالت النسوان والبنات ونسوان السادات وحق الاصنام والارباب ما بقينا نسترخلف حجاب حتى ننظر عبلة فى كرة واحدة ونمشى كلنا بين يديها خدمة لها ومساعدة لبعلها لانه أحسن من هذه الليلة تكون وما يفوت هذه الوجه الا كمل مغبون فقالت نساء بنى فزارة نحن نشرع فى زفاف العروس فعندها دخلوا على عبلة مع المواشط وأرخوا ذوائبها وأصلحوا حواجبها والبسوها الحلل الملونات والملابس والمزركشات والثياب الكسرويات والغلائل المذهبات ياسادة وقد ذكرنا أن عنتر بن شداد جلب من عند كسرى والمنذر ما أعطوه من العقود وجلوا التاج على رأسها وعصبوها بعصابة من الجواهر فعندها أشرق المكان وابهج ووجهها مثل الشمس والقمر وهى مستغنية عن الزينة بحسنها وجمالها البديع قال ولما لبس النسوان عبلة من تلك الحلل وأرادوا أن يخرجوها إلى الجلاء فعندها أمر عنتر بن شداد أن يضربوا لها سرادقا من الديباج الملون وأن تصف فيه الزرابى والنمارق وينصب فى وسط كرسى شاهق واوقدوا فيه الشمع الملبس بالمنبر وأطلقوا فى السرادق القافلى وبعد ذلك صاح عنتر باخيه شيبوب وأخيه جرير وجماعة من العبيد والفرسان الصناديد والابطال الاماجيد وقد أمرهم أن يدوروا حول السرادق من كل جانب وبايديهم الرماح الخوارق والسيوف البوارق وأنهم يكونوا على يقظة من عدو أو طارق فعندها صفت الابطال من كل جانب وصفت النساء والصبيان والجوارى والغلمان وأوقدوا الشموع فى الشمعدانات الذهب وأشعلت المشاعل بحطب العود القافلى وأزراد البخور وفرحت النسوان ورفعت أصواتهم بالزغاريت وارتفعت الضجات من كل جانب ومكان قال الراوى فبينما الناس يهرجون وإلى نحو السرادق يهرعون وينظرون وإذا بالمواشط قد خرجن من السرادق وفى أيديهم الشموع بالعنبر والامام بين أيديهم يضربن بالدفوف والمزاهر وبين ايديهم عبله البهية كانها الشمس المضية بحواجب كانها عيون الغزلان وفم كخاتم سليمان وأسنان كانها اللؤلؤ فى سلك مرجان وعبق غزال عطشان وعنبه كانها خشتنا بك فى سماط سلطان ووجه كأنه القمر وقد أسعده مولاه وصدر كانه شاذوان وسرة

محققة تسع أوقية دهن باب وبطن كانها طيات عجان وكفل يحكى قنطار بالقبا وأفخاذ كانها وسائد قد حشيت بريش النعام وسواعد كانها عواميد رخام وهى بنفسها تحجل البدر من تحت الغمام قال الأصمعى وأبو عبيده مصنفا هذا الكلام العجيب سمعنا عن عبله أنها لما أقبلت بين المواشط وقد أنت من الحى وأبرزوها إلى الجلاء حين أخرجوها من السرادق وكانت مثل البدر إذا أخرج وبدر فى ليلة أربعة عشر وكان يومئذ عليها جملة من الحرير وقد قلدها بالسيف الأبتر وكان من فولاذ أفرنجى بجوهر وقد جعلت يدها فوق رأسها والأخرى على صدرها وقد توهجت الشموع فى وجهها وهى بين أهلها ونسائها قال الراوى وقد حكى عما أتفق لها أنها لما أقبلت على الناس من باب السرادق ونظرها الخلق فى هذه الزينة والمنظر الفائق فعند ذلك ضرخت الخلائق صرخة واحدة دوت لها الجبال وقيل أنه غشى على بعض الرجال بما نظروا وتعجبوا من تلك العربية البديعة والجمال الرائقة التى فتنت النساء والرجال وكانت ذلك الوقت كما قيل فى بعض الأقوال .

تبدت من الحمام فى الحلل الحضر ... مفككة الأزرار مجدولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى ... شوبت قلوب العاشقين على الجمر
فقلت لها أن كان قلبك صخرة ... فقد أنبع الله الزلال من الصخر
فقالت لى أصبر لست منى بنائل ... وصال التى تهون إذا كنت ذا ضجر
فقلت لها إنى على الصبر دائما ... مقيم إلى أن تبعث الناس للحشر

(قال الراوى) ولقد حكى بعد المتقدمين من رواه هذه السيرة أن الله عز وجل خلق عبلة بديعة الجمال وفتن بها هذا الفارس الربال وقد أعطاه من القوة والشجاعة ما تبهر به الجبابرة والأبطال ومل الله به الأكاسرة والقياصرة وفرسان الجاهليه العوال لأنه مهد الأرض والأقطار وقد أعطاه هذه القوة الملك الجبار وان الله عز وجل أسكن عنتر بن شداد سرا خفيا لا يعلمه إلا الله اللطيف الخبير وكان من عاداته أنه يقاتل الفارس إلى أن يميل هو يحل به التعب فاذا انفصل منه وتأخر قدر باع أو ذراع قليل عند رد الله عز وجل عليه قوته وضاعفها فيرسع إلى خصمه ويأخذه من الميدان أسيرا ويتركه قتيلا قال الأصمعى وأبو عبيدة مؤلف هذه الاخبار ذكر أصحاب السير ان عدد الذين أسرهم وقتلهم وجزوا نواصيهم وأطلقوا من الهوان سبعون جبارا من جبابرة الفرسان مثل ذوا الخمار فارس بنى حمير ومثل صهره درتد بن الصمة ومثل زيد الخيل وعامر بن الطفيل ومثل معديكرب الزبيدى ومثل عمه خالد بن محارب ومثل عمرو بن العامرى كان فى ذلك الزمان فارس من كفر ومله جبارين صخر ومثل عمرو بن ضمره الغسانى ومثل عمر بن عقاب فارس

بنى كندة ومثل معاوية بن النزال ومثل مسعود بن مصادر ومثل عفريت السواحل فارس جزائر البحار ومثل حجار بن عامر وسلكة بن سلكة وإياس بن قبيضة وأنس بن مدركة الخثعمى ومسحل بن طرق وأبى الاشبل وطرد الاطواد وعبد زنجير وعند هياف ومثل هذه الفرسان لايوجد مثلها فى مشارق الأرض ومغاربها فكان عنتر بن شداد باسرهم أو يقتلهم أو يجز نواصيهم مثل الملك الأسود وجون والرميم المسعود وفاز الفضاعى وقيصر ملوك الافرنج وصافات صاحب بلاد الظلمات وكسرى مثل ملوك أرض خراسان وبيوت النار الحميه والمملكة الفارسية ٭ وقد أسر عنتر وردشان وظالم وعروة والحارث بن ظالم واللقيط بن زرارة قال الراوى ياسادة ولو شرحت ذلك وذكرت قصة كل منهم ثلاث الكتاب وكل اللسان عن الجواب وكانت صفات عنتر فى ذلك الزمان كزناد خرج منه نار فهد الله عزوجل به الأرض فسبحان من خلقه وسواه وأعطاه حتى قتل حساده واعداءه قال الاصمعى ونرجع إلى سياق الكلام فنقول ولما خرجت عبلة للجلاء وبيدها سيف مشهور يأخذ لمعانه بالبصر فعدها صرخ كل من حضر وقال الأعداء والحساد يا خسارة هذا الحسن والبياض لذلك السواد ولكن القضاء والقدر لايردان هذا وعمارة بن زياد حس بظهره قد انقطع وحار فيما يفعل ويصنع وقدهم أن يقوم فوقع ورشقه بأسهم من جفونها فانصرع ووكف طرفه ودمع ثم قال ياليتنى ماحضرت ولا قمت ولانظرت وأنا اعلم بان هذا العبد يلتذ بهذه الصورة العربية الاشراق ويطيب بلذة الضم والعناق وإن كان الدراء وقد عمل معه فعما يريد يصنع بمنعه وأنا وحق الرب الكبير وجبل يثرب أريد أبالغ فى التدابير ولا أتركه يلتذ بها الا القليل فعند ذلك أنفذ مولدته كلا إلى ابياته وقد تزايدت حسراته وأتته بعقد الجوهر الكبير يساوى ألف دينار مثل قص الاظافير قد تقدم إلى سمية وبيده هذا العقد وقال لها ياسمية تقدرى تعاونينى على هذا الأمر بكلمة واحدة وتاخذى منى هذا العقد اللؤلؤ من غير مطال ولا مكايدة فقالت له وماهى الكلمة ومافيها من الفائدة فعند ذلك قال لها تقولى لزبيبة أم عنتر قولا شنيع فاذا قالت وكيف ذلك وما الذى تعنى بمقالك فقولى لها انك رضعت عبلة معولذلك عنتر مرار عديدة وتربيتك وتعبك فيه ضاع لانها صارت زوجته واخته من الرضاع فلعلها تعلمه بذلك الكلام فتكبر نفسه عليها فلا يدنو منها أبدا وإلا أموت كمدا لانه لايقدر عليه أحد ولكن أرتجى أن يكون هذا فى غير هذه الاوقات وكيف تكون عبلة على هذه الصفات وانتظر له العرصات من رب السموات فعند

ذلك تبسمت سميه من كلامه وتعجب من حسده ونظرت إلى العقد وأخذته وعاهدته على أنها تقضى له حاجته ثم انفصلت سمية من عنده وأتت عند سرادق عبلة فوجدت الصباح عالى والصراخ نامى والخلائق يترامون بعضهم على بعض والشموع أوقد والمواشط أقبلت يزفون عبلة والاماء تضرب بايديهم الدفوف المزاهر بين أيديهم صبيه كانها الشمس المضية بحواجب كبقسى نبال وعيون كعيون الغزال وفم مثل خاتم سليمان وأسنان كاللؤلؤ فى سلك المرجان ووجه مثل القمر إذا بان وصدر كانه شاذروان وسرة محققة تسع أوقية من دهن ألبان وبطن كانها عجان وكأنها وسائد حشيت من ريش النعام وساقين كانهما عمودان من رخام وكاف وسين يبلغ قنطار بالقبان وأقبلت بها المواشط على الرجال فتعجبوا من ذلك الحسن والجمال وأجلسوها قدام الأمير عنتر والملك قيس جالس بجانبه وجميع السادات حوله وعندئذ قام الملك وهنى عنتر بذلك النهار الذى كان له زمان يتمناه ثم أشار يقول صلوا على الرسول .

أيا من قد حوى عقلا وفلا ... على الفرسان مرتفع المقام ... ودامك ربنا طول الدوام
وجود فى الوجود مع احتشام ... يملئك الإله بكل خير ... ويكفيك المضرة مع سفام
لانك قد كشفت العار عنا ... وحق الله والبيت الحرام ... فلولا أنت كنا فى هموم
وعشنا فى المذلة الف عام ... ولا نعل الخيول ولا بغالا ... ولم نحمل علاقات الحسام
ولا لولا أنت لم نلبس حريرا ... ونمشى فى الديار بلا اهتمام ... وأنت غفيرنا فى كل وقت
وتخدم فى وطاقك والخيام ... فعش فى عزة وعلو مجد ... بطول الدهر من نوح الحمام

قال الراوى فلما سمع قيس من شعره قام عنتر وقبل الأرض قدامه وقال يا مولاى إن هذا كله ما نلته الا باهتمامك ولولا انت وأبوك الملك زهير ما كان لى رأس تشال بين الناس ولازلت فى رق العبسودية إلى الآن وان احسانكم على من قديم الزمان قال الراوى كل ذلك يجرى والعيون ناظرة إلى عبلة وبعد ذلك جلس الملك قيس فى مكانه وقام الحارث بن زهير نثر النثار على رأس عبلة وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا آل عبس فاسمعوا لمقالى ... واصغوا لما أبديه من أقوالى ... هذى عروس لا رأينا مثلها
لها وجه يحاكى الثريا ... وفاق البدر فى وقت الكمال ... لها شعر يحاكى الليل لونا
على اكتافها مثل الحبال ... حواجبها الملاح بلا شبيه ... كما قوسين تومى بالبال

وعيناها تبارك من براها تفوق بحسنها عين الغزال لها خدان تفتن من رآها
لها رود وما فيها ذبالى لها أنف كما سيف مجرد له نور تبدى من صقال
لها فم كما خاتم عقيق به در تنظم مع لآلى لها صدر يحاكى لوح فضة
به رمان فى الأغصان حالى لها بطن يحاكى التربلينا وسرة حشاها بالمسك غالى
لها خصر تحيل تحت ردف كموج ماج فى بحر اللآلى وأفخاذ غلاظ تحت ردف
وبينها شويخ ذو اتصال هو الخنى الذى ما حد شافوا هو السلطان والأعضا موالى
وحامينا بهذا اليوم يحظى إذا فرغ الجلا عند الوصال لها ساقان أعمدة كمرمر
تعومتهم كذبة فى المثال وتتمشى باقدام لطاف وكعب أخضر حسن لخصال
وقد فائق ما فيه ميل كغصن البان عند الاعتدال وهذا بفض وصفك يا عبيلة
وإنى موجز لك فى المقال حواها فارس بطل همام تخاف الأسد منه فى الدحال
سألت الله خالقنا جميعا إلها واحد فى الملك عالى يديمك فى الهنا مع جمع شمل
وهدى ليلة خاص الليالى وهذا المدح من حارث يسمى تديما ناظما حسن المقال

قال الاصمعى ولما فرغ الحارث بن الملك زهير من شعره ومدحه لعبله وطربت العربان وكل من كان حاضرا والمواشط واقفات وهن يضربن بالطازات من خلفها وهى تحلى على السادات وقط صارت كانها الطاووس وهى بين تلك الجوع تجلى والمواشط والمغانى فونها وهم يضربون بالدفوف الى أن أتت الى المكان الذلا خرجب منه وأخذت منها أمها السيف وقلعتها بدلتها الخضراء وخرجتها بين المواشط فصارت تتمايل عجبا بنفسها إلى أن قربت من المنصة وكان أمراء العرب من حول عنتر جالسون يهنونه بتلك العروس وازالة الهم والبؤس قال الراوى ولما أن صارت عبله عند المنصه قام اليها الأمير حجار بن عامر ونظرها وهى فى تلك الحلة مخضراء وكانت مطرزه بالذهب ومرصفة بالجواهر وكانت عبلة من غير ذلك يتحير فيها النظر فاشار عند ذلك الأمير حجار وأنشد يقول صلوا على طه الرسول .

قد أقبلت فى حلة خضراء نزهو محاسنها لعين الرائى
سلبت عقول الناظرين بحسنها لما بدت نزهو على الندماء
وسبت قلوب الناس لما أقبلت ثم أنجلت أنوارها بضياء
رقت معانى لطفها وتمايلت بقوامها وبقامة هيفاء
ياحسن قامتها ولينه عطفها زادت محاسنها بكل بهاء

تجلى على بطل جليل ماجد ... هو عنتر الفرسان فى البيداء
صلحت له وهو الحقيق بحسنها ... وجمالهـــا الفتان للفصحاء
وبقدها فاقت على غصن النقـا ... والشعر يحكى ليلة الظلماء
والفرق فرقد والجبين كأنـــه ... بـــدر منير ساطع بسناء
ولها حواجب شبه قوس إذا بدت ... ترمى باسهمها القلب الرائى
وكذا العيون السوداء أقوى مضربا ... من كل هندى لدى الهيجاء
والأنف أقنى والخدود توردت ... فى كل خد وردة بيضاء
والشعر فيه لؤلؤ وجواهر ... والريق شهد فيه كل شفاء
وكذلك الشفتان شبه عقائق ... والعنق يحكى فضة بصفاء
ومعاصم فيها كؤس للعطا ... باصابع العناب بحر عطاء
والصدر لوح من رخام قد حوى ... نهدين كالرمان فوق صفاء
والبطن طيات الحرير وقد حوى ... فسقية للمسك والزبـــداء
والخصر منحول وردف حائر ... يحكى كثيبا لاح فى البيداء
أفخاذها مثل العجين وفيهما ... سلطان لذات السكبراء
سيقانا تحكى لعمدان القنا ... من مرمر وبياض مع بهجاء
أقدامها ماقدموا لفواحش ... إلا عروس الدرة العذراء
فى حـــلة خضر أتتنا تتجلى ... سلبت عقول الخلق والندماء
قم يافريد العصر واحظ بحسنها ... هى بنت عمك أنس كل عناء

قال الراوى ولما فرغ حجار بن عامر من شعره أهتزت العرب طربا وشكره عنتر وجميع من حضر وعادت المغانى بالعروس وساروا بها حتى وصلت إلى مكانها الاول وفلعوها ما كان عليها من الحلى والبسوها خلعة مسح أسود ووضعوا على رأسها عصابة من الجواهر فاطلقت فى قلوب الناس الف غصة وتاملها الامراء والملوك فبدت كانها حورية من الجنان فسلبت عقول الرجال والنسوان فعند ذلك قام اليها الامير روضة بن منيع وأشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

جاءت لنا فى حـــلة سوداء ... كالبدر يشرق فى دجى الظلماء
سبحان من جعل المحاسن كلها ... فيها وزادت بهجة وبهاء
أخفى لانوار الصباح جبينها ... والعين منها شبه عين مهاء

والأنف منها مثل سيف مصلت ... والخد يحكى ورده بصفاء
والشعر فيه لؤلؤ وجواهر ... والريق شهدت فيه كل شفاء
وكذلك الشفتان مثل عقائق ... والريق للعشاق أصل شفاء
هذا من الله الكريم وصنعه ... يعطى المحاسن مع صفاء وبهاء
والصدر يعلوه نهود اشبهت ... رمانتين وفى اليدين ندائى
والبطن طيات الحرير ولينه ... والخصر ناحل رقة كهواء
وكذلك الأرداف شبه كتائب ... جسل الذى قد خصها بعلاء
انخاذها قد اختفى من بينهم ... سلطان محجب عن النظراء
سيقانها شبه الحرير ونعومه ... من مرمر وكقصة بيضاء
سبحان من قد أصغى عبلة فتنة ... يا فارس الأقطار والبيداء
هناك رب العرش جل جلاله ... طول الزمان بعبلة العذراء

قال الأصمعى ولما فرغ الأمير روضة بن منيع من شعره شكره عنتر وجميع من حضر من السادات والأمراء الجالسين وقد نثروا على عبلة النثار من الذهب والفضة وبعد ذلك رجع المواشط والمغانى بالعروس وصاروا يجعلونها على الحاضرين شمالا ويمين إلى أن وصلوا بها إلى المكان الذى خرجوا منه وقد غيروا ما كان عليها من الملبوس والبسوها حلة زرقاء وعادبها المواشط والمغانى وهم يزفونها إلى أن أتوا بها إلى المنصة وقد أرمت فى قلوب الأبطال الف غصة فعند ذلك قام الأمير بسطام على قدميه وقد رآها وهى لابسة تلك الحلة الزرقاء التى هى من ملابس الملوك فعندها أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أنت تتجلى بين المواشط فى البعد ... بخلعتها الزرقاء كاملة المجد
ففى رابع الخلعات أنشد قائلا ... نظاما وفى مدحى لعبلة استبدى
عروس تحاكى البدر عند كماله ... مطرقة بالعز والسعد والعقد
فقلت لها سودى على سائر الورى ... بحسنك والإحسان والقد والمجد
ومن بعد هذا اليوم عنا ستحجبى ... ويحظى بكى ليث بفوق على الأسد
فانت سلبتى كل عقل لعاشق ... إذ مست ما بين المواشط بالجد
وفرقك شبه البدر والشعر ليلة ... وحسن جبين نوره صار فى وقد
حواجب حقا قد رمونى بأسهم ... ولحظك أقوى فى القلوب من الغمد
وأنفك أبهى من مليح مقوم ... كذا من خدودك تجتنى حمرة الورد

وفى ثغرك المعسول لحز وقرنفل ... وقيل شراب سكر كما الشهد
وعنق كعنق الريم والصدر صادر ... كلوح رخام فيه مقتبل الهند
تهودك كالرمان والبطن نزهة ... منعمة شبه الحرير من الهند
وخصر نحيل فوق أرداف قد علت ... مرجوحة تحكى ضروبا بالزبد
وكاف وسين لا يرى وهو بارز ... كذا نقلوا عنه المواشط فى النشد
وأخذها مثل العوامید خلتهم ... وسيقانها ساقوا لها نضرة السعد
وأقدامها تمشى بها نحو فارس ... همام يوسم القرح والسعد والرشد
يكاد صبيب الماء يجرح جلدها ... إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
وأخدشها لبس الحرير للينها ... وتشكو إلى الدادات من ثقل العد
ولو لبست ثريا من الورد خالصا ... لاخدش منها جلدها ورق الورد
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح ... لأصبح ذاك البحر أحلى من الشهد
ولو واصلت شيخا كبيرا على عصا ... لأصبح ذاك الشيخ يغتال الأسد
تهن بها فى الدهر يا فارس الوغا ... بطول المدا والضد الغمر والكمد
واستغفر الله العظيم من الخطأ ... إله تعالى فى الجلال وفى المجد

(قال الأصمعى) ولما فرغ الأمير بسطام من شعره وما نظم من تلك الأبيات المطربات تمايلت لها السادات وانشرحوا ومرحوا فى تلك الروابى وقد شكروه على ما قال من تلك المقالات البديعات ونثروا على رأس عبلة النثار من الفضة والذهب وأعطوا المواشط والمغانى. وقد عادوا بعد ذلك بها وهى تتمختر بينهم كأنها حورية من الجنان وقد غفل عنها رضوان والناس يتعجبون من حسنها وجمالها الذى قد أعطاه الله لها ومازال المواشط يحملونها إلى أن أتت المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس والحلة الزرقاء والبسوها عوضا عنها حلة حمراء وهى مرصعة بسائر المعادن واليواقيت وقد خرجوا بها إلى المواشط والشموع تتقد فى أيديهم وما زالوا يحملوها حتى وصلت إلى المنصة التى جلس عليها الأمير عنتر الفارس القسور وتورجينها قد أخجل شمس النهار وقد أذهبت عقول الحضار مما قد شاهدوا من تلك الأنوار فعند ذلك قام الأمير معهد يكرب الزبيدى من الرجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

﴿ تم الجزء السادس عشر ويليه السابع عشر ﴾

(الجزء السابع عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

تبدت فى ثياب الأحمر وحلتها كمثل الجلنار بوجه مثل بدر التم ابهى
علافوق والسماوعلى المنار وحسن قوامها مع لين خصر تريد لمن يراها فى افتكار
وهذه ليلة بالفرح جادت فلم نبرح هنا طول النهار لها غنت مغانى مطربات
على جنك ومزمار وطار والحاظ تجرح من يراها إذاماست لدى خلع عذار
ويخطى بالعروس أبو الفوارس ويتهنى ويعمر للديار
سألت الله يبقيكم جميعا لنا فى العز مع قرب المزار

قال الأصمعى ولما فرغ الأمير معديكرب من إنشاده تلك الأبيات طربت طربت لها السادات وقد نثروا على رأس عبلة من الفضة والذهب وعادت المواشط بالعروس وهى تجلى بين هؤلاء الجلوس وهى كأنها طاووس وما زالوا بها حتى أوصلوها إلى المكان الذى طلعت منه وقد قلعوا ماكان عليها من الملبوس والبسوها حلة غيرها وهى السادسة وقد خرجوا بها إلى الخلاء بين تلك الخلائق وهم شاخصون إلى ما أعطاها الله من الحسن والجمال والبهاء والدلال وما زفونها إلى أن وصلت إلى المنصة فعند ذلك قام الأمير عروة بن الورد على الأقدام وأنشد يقول .

تبـــدت فى ثياب اللازوردى ونجم الليل فوق الصدر عقدى
لها وجه بفوق البدر حسنا ويخجل من سناها حين تبدى
حواجبها كما قوسين ترمى على عشاقها هزلا بجـــد
وأعينها كما عين المهاة لها فى الفرس طردا بعد طرد
لها فم كما خاتم عتيق وريقها كما سكر وشهد
لها صدر كما لوح مربع يزينه بها رمان نهد
باعطاف وأرداف ثقال إذا بانت لمثل صار يحدى
وقد صلت لعنتر وهى تجلى عروس الخيل ذو عز ومجـــد
تهنى بالعروس وعش سليما بطول الدهر فى أمر وسعد

قال الراوى فلما فرغ عروة بن الورد مما أبداه من ذلك الشعر والنظام طربت له جميع السادات ومن حضر فى ذلك المقام وبعد ذلك نثر عليها للنثار ساير الحضار وهى تجلى بينهم كانها البدر التام وقد شقت القلوب من جفونها بسهام ثم ساروا بها وأوصلوها إلى المكان الذى خرجت منه وخلعوا ماكان عليها من الملبوس والبسوها حلة أخرى ووضعوا عل رأسها التاج الذى أتى به عنتر من عند الملك كسرى والبسوها العصابة الجوهر التى يأخذ ضياؤها بالبصر فصارت مثل البدر إذا بدر وأجلسها المغانى على المنصفة وقد وضعت فى قلوب الناس الف غضه وهى تتباهى بالحسن والجمال والقد والاعتدال وصارت تفضح بطلعها الهلال فعند ذلك قام الأمير مقرى الوحش من بين الرجال وزاد به البلبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

عروس مهرها مهج البرايا ... تبـــدت فى الثياب لها الثنايا
سبت عشاقها عجبا وتيها ... وكاد العقل يذهب للمزايا
كسلطان تحكم فى البرايا ... اليه تشتكى عظم البلايا
عروس قد حوت كل المعانى ... فما أبقيت لحسر من بقايا
تهنى بالعروس وعش سليما ... أيا بطلا تراعيه الرعايا
ترقى وارتفع درج المعالى ... فانك ذخرنا معطى العطايا
فهذى ليلة بالسعدى نارت ... بقبس الرأى ذا ملك البرايا
وعبس كلهم جمعـــا ينادوا ... له بالنصر من رب البرايا
وأيد عنتر دوما الهى ... بنصر منك مع - وفر العطايا

قال الأصمعى ياسادة باكرام ولما فرغ الأمير مقرى الوحش من هذا الشعر والنظام شكره الحضار ونثروا على عبلة النثار من الفضة والذهب وقد فرح جميع الأصدقاء والأحباب وزال عنهم الهم والارتياب قال الراوى فعند ذلك قام الأمير شيبوب وتقدم إلى عبلة فقال له الملك قيس ما بالك يا شيبوب قد أتيت ووقفت قدام عبلة وصرت باهتا كالابله فقال شيبوب وأنا الاخر يامك مالى نصيب فى رؤية الحبيب فقال له الملك قيس وما نصيبك ياشيبوب فقال له رؤية عبله لانها تزيل عن القلب الهم والغم والكروب فقال له صدقت يا شيبوب ولكن شبينا من أشعارك الحسان وصف لنا ما أعطاه الله من الحسن والجمال وعلو الشأن فقال له يا مولاى

أنا لا أقدر أن أصف لك ما فيها من المعانى لعجز لسانى ولسان أمثالى لعلى بما هناك من المعانى ولكن يامولاى اسمع بعض وصفها وما أقول فيها نهارا كان أو ليل فشعرها مثل شعر الخيل وهو أسود مثل الليل وله جبين وضاح يحاكى المصباح وعينان تحاكى الغزلان ترشقان من يراهما بالنبال وفوقهما حاجبان كانهما قوسان ولها خدود هوردات صنع مدبر الكائنات ولها أنف كحد الحسام إذا جرد على الفارس الهمام ولها وجنات تحاكى الجلنار وهى تذل الأبصار ولها وجه كالعقيق يسيل منه الرحيق ولها شفتان كالمرجان ولها أسنان كانها اللؤلؤ المنظوم صنعه الحى القيوم ولها عنق كانه البلور يضىء منه النور ولها صدر كانه لوح من الرخام تتحير فيه الافهام ولها بطن كانها طيات الحرير الذى ليس له نظير وفرقها نهدان كانهما رمان يتمايل فوق الأغصان وتنتهى منه إلى ردف يقعدها أن هى أرادت القيام تورث به الجسد السليم السقام ولها خصر نحيل يداوى العليل ولها أفخاذ كانها مصاطب من المرمر يأخذ ضياؤها بالبصر وبيهما شىء لا أقدر أن أذكره مخافة من أخى عنتر وهذا ماعندى من القول والخبر قال فلما سمع الملك قيس هذه الاوصاف من شيبوب هو ومن كان حاضرا معه أعجبهم كلامه وقال له الملك والله ياشيبوب أن هذا مكلام ليس له مزيه ولكن نحن نعذرك فيما قلته لانك مثل أخبرك فى التذكار ولو كان لك تهم كنت أنشدتنا شيئاً (قال الناقل) كل ذلك يجرى بين الملك وشيبوب وعبلة واقفة السمع فعندها تبسمت وتمايلت فأفتنت العقول وقد أعجبها كلام شيبوب وبعد ذلك التفت شيبوب إلى الملك قيس وقال له يامولاى أن كان ما أعجبك نثرى فأنا أسمعك شيئاً من شعرى فقال الملك قيس أسمعنا ماخطرت ببالك نجح الله كل أعمالك فعندها أشار شيبوب فنشد ويقول صلوا طه الرسول

خذوا حذركم من لحظها فهو ساحر ... وليس بناج من رمته الحاجر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها ... لأن لها جـــو القلب بحامر
فمن فى الكرى مر النسيم بطرفها ... سرى أبدا من طرفها وهو عاطر
قلائدها تشكر لظماً ووشاحها ... إذا أشرقت من معصميها الاساور
بعيدها ما بين الخلخل والطلا ... وذا الطرف عنها ينثنى وهو خاسر

(قال) ولما فرغ شيبوب من شعره الذى ذكره فى وصف عبلة وهى تسمع وصفها قتلالا وجهها بالعرق وفرحت بما نطق به فتمايلت الخلائق على بعضها وقد أعجب عنتر وصف أخيه شيبوب لعبله هذا ثم تأخر شيبوب إلى وراء وقد نثر على عبلة النثار ثم عاد بها المواشط

إلى المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس وألبسوها خلعة غيرها وأخرجوها وهى تجلى بتلك الخلعة فعندها غنت المولدات والمغانى وضربوا بالدفوف والمثانى وقد تقدمت المغانى إلى قوام عنتر البطل القسور واشارت اليه تقول صلوا على طه الرسول .

ياصاح جاء الليل هاك الروح	والفجر قد أقبل وبان الصباح
فيافتى انهض وقم قائما	نحو الحمى واسع لزين الملاح
واحظى بعبلة وار تشف صغرها	وافرح بوصل العانيات الزداح
الله يبقك فى الهنـــا دائما	ماغرد الغمرى بدون وناح
هذا تمام السعد ياذا الفتى	لم يبق الا الحظ والانشراح
فكن إلى عبلة من القادمين	وغمد حسامك صاح ما ذمزاح
هذه ليلة بلوغ المرام	فانهض ياعنتر لذات الوشاح
واطعن غزال البرياذا الهمام	ودع العواذل يكثرون النواح

(قال الاصمعى) فلما فرغت المغنيه من هذه الابيات طربت لها جميع السادات فعندها تقدمت مغنية أخرى إلى قدام الأمير عنتر وأشارت تصف مافى عبلة من الحسن والجمال والقد والاعتدال وأشارت تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات .

فما فى لحظها الفتان سحـــرا	يدل لبطشها الرجل الجلد
تسبى العالمين بوجنتيها	كان العالمين لها عبيد

(قال الاصمعى) وبعدها تقدمت مغنية أخرى وأشارت تقول صلوا على طه الرسول

أن قلت بدار فما البدر بهجتها	أو قلت شمسا فليس تحكيها
كان يوسف أعطاها محاسنه	فكل حسن الورى من بعض مافيها

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب الفائق المطرب البديع القريب انهم أنهم عادوا بها إلى المكان الذى خرجت منه وقد دار المغانى حول الحلة والشموع فى أيديهم والمشاعل بايدى العبيد وقد هوعت الخلائق إلى الفرجة وهم فى فرح بتلك وبعدها أقبلت المغانى وصارت ترهج والدنيا ترتج باصوات الدفوف وهى بايدى الاماء والنظار الذين واقفين لايدرون اهم فى الأرض أم السماء لانهم قدبهتوا من تلك الصور البديعه (قال) وكانت عبله محتقرة لهؤلاء الرجال واستنهانت بالابطال لانها قدسبيت مرارا وسافرت الاقطار

فعند ذلك صارت عبلة تتبسم عجبا بنفسها فيلمع البرق من ثناياها وتتلفت يمينا وشمالا فترشق القلوب بضبابات سهامها وتنعطف فتخطف العقول وهى تكلم أترابها فيتمنى الحضار سمع كلامها ولها من جفونها لحظات أحد من السيوف المرهفات كما قال فيها الشاعر

بدوية لعب الجمال بعطفها ... وبطرفها يهتز لين قوامها

وتلفتت فرمت نبال جفونها ... نادت محاسنها إلى عشاقها

لاتجهلوا أو تقلقوا من تيهها ... سبحان خالق حسنها وجمالها

هى فتنة الدنيا بضوء جبينها ... وكمالها ودلالها وكلامها

يحلو ظلام الليل حد حسامها ... تسبى العقول من الملابقبابها

قال الراوى ياسادة ولما أقبلت بها النساء على الرجال وقدروا ذلك الحسن والجمال وأخذت أمها السيف من يدها وأرادت أن تردها عن الخباء ليلوها ثانى مرة فما صبر عنتر بل أخذته الغيرة والحمية والنخوة الجاهلية فهجم عليها هجمة الأسد واختطفها ودخل بها الخباء وصاح بها من داخل السرادق وترك القلوب حرارة وبوارق وقد سبت عبلة تلك الخلائق فعند ذلك زار بالحساد الحسد وذابت قلوب الأعداء من الكبد فعندها قال عمارة لاهناك الله يا ابن الف قرنان كما بخلت علينا بالفرحة عليها فعندها قال المحبون لعنتر يحق له ياعمارة أن يفعل هذه الفعال ويصون هذا الجمال لأنه قاسى مالا يقاسيه انسان ولاصدق فى مثل هذه الليله أن يظر بها فما خسرت بضاعته ولاضاع تعبه فعندها قال عمارة يابنى الأعمام ورب الأرباب ان هذه الليلة ماهى غالية بزولان النعم وفازبها والله هذا الأسود الأهم ثم انه انصرف وفى قلبه بعض مافيه من شدة الحرارات وقد بقى شيبوب وجرير على باب السرادق يحفظها من الطوارق قال وكانت سمية زوجة شداد قد حدثت زبيبة بما أعلمها عمارة بن زياد فوفت له الوعد لأجل العقد قال وكانت زبيبة ناقصة عقل ومعها طرف من غفلة فتركت عنتر اينها حتى أختلى بعبلة ثم دخلت عليه وأفهمته بما وصل اليه وقالت له يابنى ها أنا أحدثك بحديث عجيب يتحير العاقل فقال لها يا أماه ماهذا الحديث قالت أنك ياولدى تزوجت باختك فى الرضاعة وقد مضى تعبك باطلا فقال لها وكيف ذاك ياأماه فقالت أنى ماكنت أقول أنك لاتصل اليها أبدا لاجل ذلك الشأن والآن وقد كان ماكان وأصبحت على برهان لأنى قد أرضعت عبلة من لبنى مرارا فعندما قالت لعنتر تنغش عيشه وتكدر وقال إذا كنت أختى من الرضاع كازعمت فانا أكتم أمرى وامرها ولاأتقدم إليها بل أتركها فى أبياتى ولاأدع أحد يملكها ماذامت فى حياتى

ثم قد بجانب عبله وفى قلبه دبلة وقد صار يفكر فى سهام المصائب فهذا ما جرى لعنتر ابن شداد وأما ما كان من عمارة بن زياد فانه قد مضى فى أبياته وقد أضرمت النيران فؤاده فعندها دعا بمولدته كحلا وقد زاد أن يبرد قلبه بنومه معها وكانت أشبه الناس بعبله وأراد أن يتمتع بحسنها وجمالها قال فلما رأى نفسه كالمعتاد ولا تحركت عليها آلته فافتكر فيما جرى منه فعند ذلك قال لها يا كحلا أظنك غالطتنى وأطعمتينى الدواء الذى أعطيتك أياه وقلت لك أطعميه لعنتر فعندها قالت كحلا ماهذا الكلام ياسيدى أنت قد أبغضتنى لما أبصرت عبله فقال لا والله يا كحلا فقالت يامولاى أنا أعطيته إلى خميسة أم عبلة وقلت لها أطعمى هذا الدواء إلى عنتر وما أدرى بعد ذلك ما جرى فقال لها عمارة يا لخنا صبرتينى طنجير وقد فضحتينى بين الصغير والكبير لأن خميسة أطعمتنى إيا وقد أتتنى بصفحة ملآنه من الطعام وامصيبتاه من هذه الأحكام واغبناه من هذا الأسود الحجام ثم وقع فى قلبه الوهم العظيم وقال لاشك أنى أكلت الدواء (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح دخلت النساء على عبلة ينظرون ما جرى لها وأمها بالجملة فرأوها على غير الاستواء وسألتها أمها عن حالها فقالت يا أماه ما دنا ابن عمى منى بل سمع حديثا أشغله عنى فما قربنى ولا ابتسكرنى فعند ذلك دعت أمها بعنتر وقالت له ياطنجير ايش هذه الفعال أنت تريد تتركنا فضيحة بين العربان وتكسبنا العار طول الزمان فقال عنتر ولم ذلك ياستاه فقالت أنت أخذت بنتنا بالمحال ومنعت عنها الرجال ولما حصلت لك مادنوت منها بفعال وما بقيت أخرج من هنا إلا بالانفصال وبلوغ الآمال فان كنت ماتريدها أخذتها وأن كنت تريد ابنتى فاطلب منها سنة الرجال وأن كنت طنجير ألبستك ثياب الأماء وقدمت لك المعزل فتبسم عنتر من هذا المقال وما بقى يمكنه كتمان الحال وقال لها يا ستاه هل رأيت من يتقدم إلى أخته بحال من الأحوال فعندها قالت شريحة أم عبلة وكيف حدثت بهذا الكلام والله ياعنتر أنا ما أعرف لها أخا غير ولدى عمرو فعند ذلك أعاد عليها ماسمعه وهو أمه أرضعت عبله من لبنها مرارا فعندها قالت شريحة لاعاشت العجوزة المشققة لا كعاب ثم أنها أنفذت خلف زبيبة وأحضرتها وقالت لها ويلك يا كشحانة متى أرضعت عبله من لبن هذا العند فقالت زبيبة والله ياستاه ما أعلم وما أدرى ما الخبر غير ان مولاتى سمية قد ذكرت لى هذا الحديث الذى تقدم والبارحة افتكرت فيها وفى ولدى عنتر فما علمت منهما الا كير فعندها تبسمت شريحه من هذا المقال وعلمت أن زبيبة ما لها عقل فقالت اسمية وهى إلى جانبها وقد عظمت مصائبها ياسمية أنا أعرف أن فى قلبك بغضة من

عنتر وما جل ذلك العناد أن يتغير حتى أنك كدرت عيشه وأردت أن تفرق بينه وبين محبوبته فعند ذلك تبسمت سمية من هذا المقال وأن عنتر ما يعتب على فى هذا المقدار بل يحسب

أن هذه الليلة التى فاتت أنها من بعض الليالى التى سلفت ويقوم يركب هذه الحجرة العربية ويكتال حتى فيه لا يبقى جلد ولا حيل قال الراوى فلما سمع عنتر بن شداد هذا الكلام أبدى الأفراح والابتسام وزال عنه الهم والغم ونال المرام وبعد ذلك قال للنسوان

اخرجو الآن من هاهنا فعندها خرجوا متبسمات ضاحكات إلا أنهم ما بعدوا عن السرادق حتى سمعوا حس صوت عبلة وهى تتألم وقد اقتنصها عنتر بن شداد كما يقتنص الغزالة سبع الاجم ونزل عنها وقد فرح وتبسم مما لحقه من الطرب وأشار يقول صلوا على طه الرسول

زعمت زبيبة أن عبلة بنتها ... كذبت زبيبة والذى أغواها
فزبيبة مثل الظلام إذ بدا ... والليل من قدامها ووراها
وعبيلة مثل الصباح وحسنها ... يختال من قدامها ووراها
من ذا يشبه بومة بحمامه ... أو من يعيب الشمس وقت ضحاها
فقد أتت أمى بقول منكر ... والزور فى اثبانها دعواها
تبا لها فى قولها من جهلها ... تالله قلت عقلها أغواها

قال الاصمعى ثم أن عنتر لما حصل له بلوغ الآمال والمرام وقد ساعده على ذلك الملك العلام فعند ذلك وقع فى الحلقة الصيح وزادت بينهما الافراح وقد حركت الولدات الدفوف من سائر الاقطار وقد رقصت البنات والجوار فعندها أتى الملك قيس وأخوته وأعمامه وهنوه بالزفاف وجددوا الولائم والدعوات ورقصت الأماء وغنت المولدات وقد فرحت جميع الناس وأوفى الملك قيس بمقاله وشرب الكاس ولم يزل هؤلاء الأبطال فى أكل الطعام وشرب مدام مدة سبعة أيام وعنتر يكرم المدعوين غاية الإكرام إلا أنه كلما أراد أن يشترى خمراً يمنعه الملك قيس من ذلك الحال ويقول له يا أبا الفوارس نحن نحمل عنك هذه الاثقال لانك صرت صاحب بيت وعيال ، ولما أنقضت هذه الولائم خلع عنتر بن سداد الخلع المثمنة على الملوك والسادات مثل بسطام وأبيه قيس الشيبانى ومشاجع الخيلانى وعباد القبانى وعلى الملك نعمة بن الاشتر وحجار بن عامر ومعد يكرب الزبيدى ومن معهم من وجوه العشائر والابطال ، ثم رحل كل منهم طالبا أرضه والاطلال وقد فرحوا لعنتر بن شداد ببلوغ الآمال قال الراوى وكان عنتر فى هذه الايام لا يفارق مقرى الوحش وكان أكثر الأوقات لا يقضيها إلا عنده وصار يقضى الليل بالافراح والانشراح هذا والملك قيس يهنيه بما وصل اليه من السرور الذى قدم عليه فعند ذلك قال له الملك قيس كيف رأيت ليلتك يا أبا الفوارس ويا معدن السماح مع ست الملاح فعندها أشار عنتر يقول

فديتك أنى بت فى خير ليلة ... أعانق من أهوى إلى مطلع الشمس

وبات يفوح المسك من نشر عبلة ... وأنفاسها عندى ألذ من العطر
أقبل منها صدغها عند خدها ... يقوم به الدر المنضد فى النحر
توسدنى منها كفعلى بمعصم ... وخد على خد ونحر على نحر
ولست أرى بين الأنام كعبلة ... بوجه لها ابهى من الشمس والبدر
إذا ما أتت يهتز لين قوامها ... كمل اهتزاز الغصن بالورق الخضر
وأقسم أنى ما هويت لغيرها ... زمانى ولا أسلو هواها مدى الدهر
وما عبلة إلا فتاة بديعـــة ... مهذبة الأعطاف طيبة النشر
سرى حبها فى القلب منى وفى الحشا ... كما سار دمعى فى العروق وفى نحرى
فهيهات أن أسلو هواها من الدنا ... بطول المدا حتى أوسد فى قبرى
هى السؤال من كل البرية والمنا ... فلا سلوة عنها إلى موقف الحشر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وإنشاده فعندها طربت له جميع السادات وقد تعجبوا من فصاحته وقالوا سبحان الله العظيم الذى اعطاه الشجاعة والفصاحة ثم أنهم جددوا الولائم ثلاثة أيام وبعد ذلك خلفوا فرسان القبائل والعربان وانصرفوا يطلبون منازلهم والأوطان شاكرين حامدين وقد ازداد عنتر بن شداد فى ذكره وتعت هيبته فى قلوب العربان وقد أمنوا من نوائب الزمان وإذا فى يوم من بعض الأيام وقد هجل الملك قيس وليمة عظيمة وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار فلما نظره عنتر بن شداد وثب كانه أسد هدار وقد تبعه الفرسان وركبوا الذيول لهم العربية وفى مقدمتهم عنتر بن شداد إلى جانبه مقرى الوحش وعروة ابن الورد وباقى الفرسان وراءه متتابعة قال الراوى فلما قربوا من الفرسان وإذا فى مقدمتهم فارس كانه طود من الأطواد وعيناه تتوقد كانه مشعل ٥ قال وكان هذا الفارس يقال له العقاب بن سمعم وكان قد خرج فى هذه الفوارس طالبا أرض الحجاز من بلاد اليمن فما زال حتى وصل إلى بنى عبس فعندها ظهر له بعض الوحش فطلبها فى أصحابه فلم يزل يطرد الوحش حتى وصل إلى بنى عبس وقد ثار غبار الفريقتين ووقعت العين فى العين وكان العقاب قد سمع بشجاعة عنتر وما بأن منه وما ظهر ثم أن عنتر التفت اليه وقال له أيها الفتى ما الذى أقدمك إلى أرضنا أما سمعت بذكرنا فعندذلك قال له العقاب ويلك ياولد الزنا أنت تفزعنا ببنى عبس ونحن أسود الفلا فانت من تكون من فرسان بنى عبس فقال له أنا عنتر بن شداد قال فلما سمع العقاب أنه عنتر بن شداد اهتز على سرجه وزعق عليه وقال له ويلك ياولد الزنا أنا طالبك من زمان حتى أريح العرب من شرك وأفنى عمرك فعندها صال

وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أيا عنتر الفرسان وافاك فارس ... له سطوة تخشى بسيف مقلد
يقد به رؤس الفوازس والعدا ... ويجعلهم صرعى بكل مهند
فكم فارس أرديت فى حومة الوغى ... يجر على الأرضين غير موسد
فدونك أتى فارس ذو عزيمة ... ولى همة تسمو على كل سيد

(قال الراوى) فلما سمع عنتر بن شداد منه هذه الانشاد أجابه على شعره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

كذبت وبيت الله ياذا الشقائق ... وياذا الحنا وابن اللئام الفواسق
فدونك حربى سوف تلقى صميدعا ... له همة فى الحرب فوق الخلائق
له سطوة عبسية عنترية ... تهد لأركان العدا بالحقائق
يجندل أبطال العدا بمهند ... ويجزرهم جزر النياق الشواهق
ويتركهم رزق الوحش وغيرهم ... ورزق طيور البر حتى البواشق

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل وتلقاه وقاربه ودانـاه وزعق عليه زعقة تهتز منها شوامخ الجبال الأصمعى وأبو عبيدة وكان العقاب من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة لايخاف الرجال ولايهاب الأبطال وكان له وقعات كثيرة وحروب عظيمة بارض صنعاء وعدن قال الراوى وكان العقاب يتمنى أن يلقى عنتر بن شداد لأنه سمع بفروسيته شجاعته وكان قدجاء فى طلبه فحمل عند ذلك عليه واشتعلت نار الحرب بينهما وقد طلب بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح قال الراوى وقد دام بينهما القتال وأشتدت الأهوال وصاح كل واحد منهم على صاحبة وقد نظر عنتر بن شداد فارس جيد خبير بابواب الحرب والكفاح بصير فعند ذلك زاد به الغيظ والحنق فزعق عليه وانطبق وضربه بالسيف على مرفقة طير رأسه مع شدقيه فعندها خر صريعا يمج علقما وقد حملت بنو عبس وفى أوائلهم مقرى الوحش وعروة بن الورد فقتلوا أصحاب العقاب وماتجامنهم إلا القليل الذى كان جواده سابقا ثم رجع الملك قيس وعنتر ومقرى الوحش وباقى الفرسان وقد جمعوا الأسلاب وهم فى فرح إلى أن يعولدعن محل تلك الوقعة هذا وعنتر بن شداد قدام الفرسان والأبطال وهو ينشد هذا المقال

صحا قلبي من الكاس الدهاق ... وزال النوم عنى بالتلاق
واسعدنى الزمان فصار سعدى ... يشق الحجب مع سبع طباق
أنا العبد الذى القى المنيا ... شديد الباس مر فى المذاق
وجندلت العقاب وكان قرما ... غداة النقع اضحى فى المحاق
هوى فى الأرض مجندلا بسيفى ... يحرق فى الدما قدما بساق
واسقيت الفوارس من اسنانى ... شراب الموت ممزوجا دهاق
أنا الرجل الذى خبرت عنه ... غداة الروع مر فى مذاق
فتى يتلقى الفوارس يوم حرب ... ولا يخشى مقابله الرقاق
ألا يا عبله لو عاينت فعلى ... وطعنى بالمهندة الدقاق
ادمت محبتى وشكرت فعلى ... مدام الأيام عن كل الرفاق
وفى سعدى على فلك الثريا ... يفوق لسابع السبع الطباق

(قال الراوى) وقد عادوا إلى الحى والاوطان وقسموا الاسلاب والنهب على الفرسان هذا وعنتر لا يفارق مقرى الوحش ولا يقضى الأوقات إلا به فى منادمته ويبالغ فى اكرامه وخدمته قال الراوى وقد ترك له مضارب لاقامته وغلمانا برسم خدمته وحكمه فى ماله وامتعته قال ولما انقضت الولائم والدعوات وانصرفت المواكب والسادات خرج عنتر فى بعض الليالى من عند عبله وقت السحر وقد تمشى يطلب خيمة مقرى الوحش ليسأله عن حاله لانه قد نظرة تلك الأيام مقصرا فى الأكل والشراب فعند ذلك علم عنتر أنه منكسر الفؤاد لاجل غربته وبعده عن عزه فى دياره وشوقه إلى مسيكه محبوبته فاراد أن يسليه بمنادمته ويوعده بالمسير فى صحبته ويعاونه على قضاء حاجة لأن العاشق يعرف باحوال العاشقين ويعلم بمواقع الفراق عند المحبين قال الراوى ولما دخل على مقرى الوحش سمعه وهو يذكر أرض الشام ومضارب مسيكه والخيام وهو ينشد ويقول

نسيمك قاح يا أرض الشام ... إذا بها زارنى ابرى سقامى
فهى إن استطعت على فؤاد ... عليل يشتكى كرب الغرام
وإن راعيت عهدى فاحملى لى ... إلى محبوبتى طيب السلام
وأن خطرت مسيكة من خباها ... وماست بين اطناب الخيام
عليها أن تمن على وقت ... بطيف تجت استار الظلام
قصدت إلى العراق وقلت إنى ... أعود بنعمة الملك الهمام

والقى كل جبار عنيـــد بطعن الرمح أو ضرب الحسام
فلافانى فتى من آل عبس كان حسامه يرق الغمام
إذا خاض العجاجة يوم حرب يشيب ضربه رأس الغلام
ويقطع سيفه سبل المنايا ويسبق رمحـــه وسل الحمام
همام قد بنى مجدا رفيعا لعبس فى الورى دون الانام
وشيده بفعل شريف مجد وقوى منيـــه أركان الدعام
إذا ما سار نحو عداه يوما وفى يده علاقات الحسام
ترى برق المنية منه يبدو ورسل الموت تسرع الحمام
وأن ناديتـــه يوما مخيفا أظل عليك ظلا من غمام
وجاء بنعمة منه وفضل كفيض البحر منه وهو ظامى
علا فخرا على كل البرايا بطعن الرمح أو ضرب الحسام
يبيد عدائه يوم التلاقى على خيـــل معودة الصدام
شجاع قد رقى درج المعالى وحاز فضائلا بين الانام
فان فخروا عليه وقد تعالوا وقالوا إنه نســـل الحرام
فقد كذبوا وحق أبى قبيس ورهبان بنـــجران كرام
فأفعال ابن شداد عنتر قد تناهت وفاق بجوده السحب الهوامى
فتى حاز المكارم والعطايا منيع الجار محفوظ الذمام
وقد فوضت أمرى نحو ليث كريم المجد من نسل الكرام
فان جاد الزمان بجمع شمل به وبسيفه العضب الحمام
وإلا همت بين الوحش حتى يذيب الشوق لحمى من عظامى

قال الراوى فلما سمع عنتر هذه الأبيات تناثرت من أجفانه العبرات والحقها بحسرات ورفع رأسه إلى السماء وقال اللهم يارب البيت الحرام اجمع شمل كل محب بمحبوبته ويزد ما به من كربة وعلة بلغه يارب مثل ما بلغنى المنى من بنت عمى وبعد ذلك دخل عليه وسأله عن حاله فشكره مقرى الوحش على مقاله وقال وقال أنا فى كل خير وعافية مادمت فى أنعامك فقال عنتر بن شداد لا وقلته ياوجه العرب لا يشكر الإنسان زمانه إلا إذا كان حبيبة فدامه و نحن على كل حال ظللناك رطولنا عليك الوعد الذى به وعدناك والآن ما بقى لنا فى الديار حاجة ولا مقام إلا المسير إلى بلاد الشام وخلاص محبوبتك مسيكة بالحسام وإلا فا

يكون لك قرار ولا يطيب لك مقام فى هذه الديار على أنى ما أتيت إلا أشار وراك فى الركوب إلى الصيد والقنص فسمعت ما أشغلنى عن هذا الغرض فاشرت عليك حتى نسير إلى قضاء أشغالك فعند ذلك أنفذ أخاه شيبوب فى طلب عروه بن الورد وابن أخته الهطال يامرهم بالركوب فى ثلاثين فارسا بطال وقد قال مقرى الوحش يا أبا الفوارس أخر هذا خوفا من الدهر فعند ذلك قال عنتر لا وحق من شعشع الشعاع وشق الأبصار والأسماع وتفرد بالعلو والارتفاع لا اشتغل بأحد لا بمضاجعة النسوان عن قضاء حوايج الأخوان حتى أقضى حاجتك وأبلغك مناك والآن بلغنا المناوزال عنا الطنا فقم نقضى أشغالك وأسرع إلى بلوغ آمالك ما طلع النهار حتى ركبت الأبطال وفى مقدمتها عروة بن الورد والهطال بعدما أوصى الملك قيس على الحريم والعيال فقال له قيس يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا وكن آمنا ولولا أننا نخاف من أمر يتجدد كنا سرنا كلنا معكم لأن بنى فزارة قد جمعها سنان وأخذ حصن بن حذيفة وساروا فى جميع الأبطال والحريم والنسوان يشتكون إلى الملك النعمان وربما يسير الملك النعمان الينا بنفسه فى سابر العساكر والفرسان فقال عنتر يا ملك الزمان أترك من بالك هذا لامر ولا تخف من أحد بعد حذيفة وأولاد بدر لأنه ما كان ينفذ الينا العساكر والقبائل والفرسان إلا حذيفة بن بدر الناكث الغدار ونحن يا ملك الزمان أن شاء الله تعالى ما نبطى فى الشام غير شهر يسير من الأيام إلى أن يرجع سنان من أرض العراق وبجميع النعمان الفرسان من سابر الافاق قال الراوى ثم ودع الملك قيس وعاد إلى بنت عمه عبلة وودعها وأوصى عليها أباها وأمها وأخذ أخاه شيبوب ومقرى الوحش وقد لحق الثلاثين فارسا الذين ركبوا مع عروة ابن الورد والهطال واستقبل أرض الشام ومهب الشمال وقد سلك بهم شيبوب أرض حاجر وضهير وأخذوا فى جدا المسير حتى امسى المساء وقد باتوا هناك تلك الليلة وعند الصباح جدوا فى المسير وقطعوا القفار إلى أن طلعت الشمس وتضاحى النهار فعند ذلك وقف عنتر وتذكر عبلة بنت عمه فعندها تنهد وتحسر وأنشد يقول

هل عرفت الدار رسما محيلا ... دارسا بعد جده معلولا
لعبيلة كأنه رسم وشم ... زاده فله الانيس نحولا
زعزعته الصبا فى كل يوم ... ثم جادت له الشمال قبولا
فكان اليهود فى يوم عيد ... ضربوا فى خلاله ذاك الطبولا
غير أن السيول والريح جلت ... ترابها فى رسومها مخلولا
عمرت دارها تهامه بالأمس ... وفيها بنى معـــد حلولا

فتراها وأهلها أهـــل صدق ... فى الفنون من الربيع نزولا
حتى تبـــدى لسا عبيلة وجها ... مستنيرا وعارضا مصقولا
لم يكن حبها جديدا ولكن ... كان قديما مخالطا عقولا
قصـــدتن بسهم إذا رمتنى ... طفله فى الشبالا فى الكهولا
ذات ثمر كأنه نظم در ... ولماها يشفى فؤادا عليلا
كان العنبر والمسك فيـــه ... وفروع الرضاب والزنجبيلا
ما غزال يدعى الصبر ويدين ... نحو صد إذا أراد المقيلا
إذا تبدى لنا بأحسن منها ... فلربما يمدح الخليل خليلا
ما جزائى أن يقال ونى بانى سرت ... غنهما أقضى حقوق الخليلا
فابشر الآن يا خليلى بطعن ... يترك المرء والشباب كهولا
يسرى إلى الشـــام محثا ... أننى مسرعا لامر عجولا
والفتى فى كتائب جيـــدش ... ضاق سهلها بجرد الخيولا
ودعانى أجـــول فيها بمهرى ... حين أبغى البراز عرضا وطولا
ما فخارى إذا لم يكن فى فخار ... لطعن القنا وضرب النصولا
فابشر الآن يا مقرى الوحش ... أنى لك خلا وفيا ونعم الخليلا
إن تكن عاشقا مسيكة إنى ... فى هوى عبيلة غدوت قليلا
واسأل النصر من إله قديم ... دائما كلما يشاء مفعـــولا

ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت لها السادات وقالوا لله در ابى الفوارس وزين المجالس وأما مقرى الوحش فانه تعجب فانه تعجب من تلك المقالات المطربات وقاله له يا أبا الفوارس لافض لله فاك ولا كان من يشناك وبلغك الرب القديم مناك فقد حملتنى من المن ما يعجز عن حمله البدن يا فارس الزمان وفريد العصر والآوان فعندها قال عنتر البطل الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنك فارس البطاح وليث الحرب والكفاح وقد انفردت بالفصاحة والكرم وحسن الشيم فقال مقرى الوحش ما أنا إلا طليق سيفك وأمين خوفك يا ليث البراز وفارس اليمن والحجاز ثم أن مقرى الوحش أنشد يقول

بات ليلى بالانعمين طويلا ... أرقب النجم ساهرا كى يزولا
واراعى بنات نعش مع الجوى ... وجسمى قد حان منه النحولا
كيف انساك يا مسيكة أواسلو ... عن هواك وما شفيت غليلا
بل تغربت مشردا عن حماكى ... قد كسانى الغرام منه نحولا

وسقانى من حبها كاس وجد فشربت منه شرابا شمولا
وسبتنى مسيكة بهواها وكذا تسلب الملاح العقولا
فلنفسى زجرت وقلت قولا أطلبى العز فابلغ المراد ذليلا
وحملنى هواى مسيكة حتى أطلب الفخر فوق ظهر الخيولا
بحد الحسام فى حومة النقع وصـــد الملثم المعسولا
ولقيت الفرسان من آل غسان وأرديتم بحد النصولا
وخطبت مسيكة من ابيها قال لى أقصر فما لذاك سبيلا
دون أن تأتينى بخيل ونوق وجمال ترضى والأماء جزيلا
فقطعت البلاد غربا وشرقا وقفارا وسهلها وسهولا
ليس فيها إلا العظام وأرض لا يجيب فيها الخليل الخليلا
تسمع الجن فى دوى وحنين أى لا يعرف الدليل الدليلا
فطلبت العراق نحو مليك سيدا ماجدا هماما جليلا
أين ماء السماء من ملك الخلق باحسانه ويعطى الجزيلا
ثم لاقيت منه ليث كفاح أسد يترك العزيز ذليلا
يرعد الضد منه فى رهجة الحرب ويفنى شبابه والكهولا
وإذا أشهر الحسام ترى الموت على شفرتيه حقا يزولا
يا ابن شداد أنت ذخرى وركنى وجنى لكل أمر مهولا
أبدا نرى الفوارس فى الوغى ثم تخضع لك السكماه الفحولا

قال الراوى فعند ذلك تعجب عنتر من شعر مقرى الوحش وشكر الفرسان من بنى عبس وعدنان وقالوا والله يا وجه العرب لقد قلت بعض مافيه قال وكثير من الأبطال لا يقدر يلاقيه لأنه أسد الميدان وفارس الزمان يشكرهم عنتر فى هذا المقال يا بنى الاعمام ما أنا الا منكم وأنتم رجال فى المجالس وأبطال وبسوفكم اضرب وبهمتكم أغلب ثم انهم ساروا وشيبوب يقطع بهم البر والقفار وقد أكثروا عليهم من الزرد والحدد والابكار شايلات الزاد وقد استعدوا للحرب المصايب وأيقنوا بحوض الليل والنوائب فعندها بهت مقرى الوحش ويتعجب من قلة اكتراثه الفرسان وكيف يريد أن يلقى أهل الشام ومافيهم إلا كل فارس همام وأسد ضرغام لأنهم أبطال مذكورين وقد التقوا الوقايع وخاضوا المعامع وتفكروا فى خلاص مسيكة من بلاد الشام ودونها فرسان كرام وبعد ذلك فاستكثر له هذا الأمر والعقل والاخاف عليه من لقاء الأبطال لأن السعادة مقرونة بعنتر ولا فارس مثله يوجد والسعادة من الولادة

ولا بد ما يبلغ صاحبها ما يشاء من الارادة ولو لم يعلم أنه قادر على هذا الأمر ما كان سار اليه قال الراوى وكانت هذه الجارية الذى قد سار عنتر فى طلبها تخلصها إلى مقرى الوحش من أحسن البنات الموصوفات بالحسن والجمال وقد اشتهر جمالها فى ألسنة الرجال وشاع ذكرها فى سائر الأقطار وقد تعايرت به النسون على المغازل وهى التى قد جسرت مقرى الوحش على الأهوال وأذلته وهو بطل لا يقاس بالأبطال لأنه غرق فى بحر هواها وتمنى الهلاك إلى أن بلغ نفسه معناها إلا أنه لما وقعت هذه الجارية مسيكة بقلبه واشتغل بها خاطره ولبه وكان قليل المال وما كان معه شوء يقترب به إلى أبيها ولا شىء يرضيها ولأجل هذا ركب الأخطار حتى بلغ المنزلة فى الفروسية وقد صار وحيد زمانه وما كان أحد يساويه من الأبطال ولا يضاهيه من الرجال وقد شاع ذكره فى بلاد الشام وقد أحبه الخاص والعام قال ولما زاد به الغرام منعه من أكل الطعام وشرب المدام ولما كثر هواه وزاد جواه فعندها تقدم إلى أبيها فى بعض الأيام وسلم سلام الكرام وحياه بالاكرام وبعد ذلك قال له أعلم يا عم أننى قد أتيتك خاطب لما رغب أنت عليه من الحسب والنسب والثانى لما فى بنت عمى من الحسن والجمال والأدب فهل أنت راغب فيمن هو راغب فيك ولا تخيب قاصدك ونحسن الظن فيمن أحسنه فيك فلما سمع عمه هذا المقال هذا المقال قال له اكرم ممن خطب وأجل من فيه رغب وهى لك أمة مسلمة وأنا لك عبد من جملة الخدم فعند ذلك قال له أعلم أنى قد ارتقيت بك الثناء والمجد ذا أنت أجبتنى ولى ما أريد وإلى ما فى مرادى وشفيت غليل فؤادى فعندها قال مقرى الوحش وقد فرج باجابته وقال لدى تريد يا عماه أطلعنى على سرك وبين لى مكنون أمرك وما تريد حتى أقوم به ولو كان ما كان ولو أردت أموال العربان من سائر البلدان فانا أنا جبان عند لقاء الأقران فعند ذلك قال له عمه أنا ما طلب إلا شيئاً يعلو به قدرك وتزداد فخرك وهو أنك تسير إلى أرض العراق وتفعل بفرسانها كما فعلت بفرسان الشام من الآفاق وتحضر بين يدى النعمان بن المنذر وتشهر سيفك وتأخذ الطيقة بذلك والمرتبة الثنية وتأخذ منه الف ناقة من النوق العصافير به الدى ما لا حد مثلها فى العرب أرباب المناصب والرتب وتفتخر أنت على الفرسان ويعلو قدرك عند أهل هذا الزمان بأنك قد فعلت فعالا تعجز الانس والجان فعندها قال مقرى الوحش سمعا وطاعة وها أنا طالب إلى ما طلبت وسوف يصلك ما أفعل بفرسان العراق وكل بطل فى الآفاق وأضرب بسيفى أعلاهم وأبدد أقصاهم وادناهم وأنا ميادر ومسارع ورب السما وهو المعطى المانع فعندها قد ودعه مقرى الوحش وسارا إلى أن نزل إلى أرض العراق واتفق له الاتفاق وقهره عنتر بن شداد وقطع أياسة من سايو

المواضع وتحلى عن المطامع وانكسرت نفسه عنده وما بقى له جعة إلى عمه ولا للشام وانقطع رجاه ولا بقى له فى الجارية مطمع فعند ذلك ضار يأخذها بالسيف كما ذكرنا ويعاونه فيها عنتر بن شداد ولما نظر عنتر بن شداد إلى انكساره وانحصاره وتقصيه فى أكل الطعام وشرب المدام سار واعلى ماذكرنا يقطعون البيداء والاكام حتى أشرفوا على تيماء والقصور وقد عولوا على النزول فيها وأخذوا الراحة وإذا بتلك الأرض ملانة من الخيام والأعلام وقد أبصروا روايات وخيام مختلفات الألوان وعبيد وفرسان (قال الراوى) فلما نظر عنتر ابن شداد ومقرى الوحش الخيام فعند ذلك قال لعنتر: شداد يا أبا الفوارس أنا ما كنت أعهد فى هذا المكان ينزل إلا الصعاليك والضعفاء من بنى غسان والرأى أنكم تثبتوا فى أماكنكم حتى آتيكم بخبرهم ومن يكونوا من الفرسان فعندها قال له شيبوب يا فارس الصمام لا تتعب نفسك فانا آتيكم بالخبر فعندها قال مقرى الوحش لا يا أخى بل أنا أخبر ببلادنا وأسير على بلوغ مرادى وبعد ذلك أخذ أهبته وأرخى عنان حجرته وقد طلب تلك الأعلام المنصوبة والخيام المضروبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الجيش الذى فى أرض تيماء والفرسان من أجل مسكه بنت عم مقرى لوحش بنت صاحب حوران الذى عنتر ومقرى الوحش سائرين فى طلبها لأنه بعد مسيره للنعمان فى طلب الصداق شاع خبرها فى كل مكان وشعرت بصفاتها بنو غسان وأتت إلى أبيها الخطاب ولا يلين لخاطب ولا ينعم لطالب بل يقول يا بنى الأعمام أن الإنسان على صدق اللسان يخلف بعود ولا ينقض عهد لأن الأمر قد فرط من بين يدى لابن أخى مقرى الوحش قد زوجته ابنتى على شرط شرطته عليه وقد ضمن على نفسه أن يوصلنى أياه وقد سار يأتينى به ما يمكن أغدر به ولا أخونه فى مقاله فتعايرنى به الأبطال وقد قصد أرض العراق ليأتى بالصداق وأخاف أفرط فى زوجته فلا آمن على على روحى لأن مقرى الوحش ما يؤمن من نكده (قال الراوى) فلما سمعت الخطاب هذا المقال تقطعت بهم الأسباب وعلموا أنه صادق فى المقال قال الراوى وكان الحارث الوهاب ملك الشام والحاكم على الخاص والعام وهو نائب الملك قيصر وكان ملك جبار وفارس مغوار يحكم على سائر البلاد المسيحة والجزائر البحرية وسائر ملوك النصرانية وتمد له أعناقها بالطاعة وتحمل اليه الجزية والخراج من سائر البلدان وكان حسن السير فى بلاده عادل فى رعيته وأجناده وكان أنجد الحارث الوهاب له نائبا فى بلاد الشام وولاه على الخاص

والعام لما نظره فيه من النجدة والحمية والشجاعه والفرسية وقد سكنه دمشق وما يليها من بلاد الشام وولاه على الخاص والعام وحكمه على رقاب العباد قال الراوى وكان للملك الحارث ولد مليح الشباب يسمى غدير وهو مثل البدر المنير وكانت بنو غسان تسميه بدر النصرانية وسراج أهل ماء المعمودية وهم منعكفين محبته قيام فى خدمته وكان من ذوى الالباب ومتخذا من فرسان بنى غسان ندماء وأصحاب وأمراء وحجاب يقضى معهم اللذات ويجالس المسرات بينهم وقد اذ كرت مسكة بين يديه ووصل حديثها اليه وما هى عليه من الحسن والجمال والأدب وعلو الجاه والحسب والنسب ولما سمع بدر بهذه الصفه هام فؤاده لما سمع بجمالها وما بقى له جلد ولا مصطبر ومن شدة عشقه دخل على أبيه الوهاب وكثر عليه الالتهاب وقال له يا مولاى الأمر كيت وكيت وقد وقعت محبه مسكة بنت صاحب حوران فى قلبى وأحتوت على عقلى ولبى قال الراوى فلما سمع أبوه هذا المقال صار الضيا فى وجهه ظلام وزاد به الغيظ والغلام وصاح فيه ونهره وقال له أيش هذا المقال وسوء الفعال فنكون نحن الحكام وملوك الشام وسادات الزمان وأمرنا نافذ فى البرارى والبحار وتتزوج بنات حوران التى ما ترضاهم لنا عبيد وغلمان وقال أنا أقسم بالمسيح بن مريم الانجيل المعظم أنى لو طلبك ملك الروم الذى أنا من قبله وطلبك إلى ابنته ويعطيك سيف الملك ويوليك مملكته ما رضيت ذلك ولا ضيعت نسبى وشرفى ولا أذوجلا إلا من بنات السادات العاليات فلما سمع عنتى هذا الكلام زادت نيرانه اشتعال قال وكنا قد ذكرنا أن لهذا الغلام ندماء وأصحاب من بنى غسان يأكلون معه ويشربون وإلى خدمته يسارعون وأنه لما عاد من عند أبيه أشعلت النار فيه أحضر بين يديه من يفز عليه وقد شرح لهم ما يلاقى من محبة مسيكة بنت بحيرو ما فى قلبه من الوجد والغرام فعندها لما سمع هذا الغلام مقال غدير رثى لحاله وحق المسيح ما بقى لك فى هذه الجارية وصول خوفا من أبيك ولكن بقى هنا وجه واحد ويزول عناك فعند ذلك قال غدير وما هو أشر على فعندها قال تنفذ لأبيها كتابا من بعض الرجال فيخطبها الا ويرغبه بالمال وتقول له فى الكتاب أن تأخذ بنتك وتسير بها فى العراق حتى أتبعك أنا جماعة من أصحابى وتنزل على الملك النعمان وأتزوج بها ونقيم فى تز الأرض وأنظر ما أعمل فى حقك من الاحسان على أن أبى ما يفدى فقدى إذا سمع بمسيرى لملك النعمان فيمن معى من الفرسا فانه يترضانى ويلغى غاية أمالى وتكون أعز الناس عندى فلما سمع غدير من الغلام ما أشار به من الكلام وقع فى قلبه الفرح والابتسام وقال وحق المسيح لقد أشرت وما قصرت فيما نصحت وذكرت ثم أنه

استدعى بعض حجابه وكان فيه فصاحة وأدب ما هو فى الرسائل والجواب ويصالح بين القبائل وقال له تمضى إلى أبى مسيكة وتعرفه بما جرى بينى وبين أبى من المقال وأوعدة عنى بالغنى وبلوغ الآمال ويبلغنى مسيكة آمالى فعند ذلك أجابه الحاجب ما أراد ومضى إلى أبى مسيكة ودخل عليه وحياه وسلم عليه وتأدب وبعد ذلك قال الحاجب أعلم يا جبير ان الواحد الديان إذا أراد سعادة إنسان فتح فى وجهة الأبواب الحسان ويسبب له أسباب لم تكن له فى حساب والساعة قد عمرك الله بالإحسان فعندها قال جبير لماذا يا أمير فعندها أعاد عليه الرسالة بالوصف الذى ذكرناه والشرح الذى قدمناه فلما سمع جبير هذا المقال فعند ذلك صعب عليه وقال مالى سبيل إلى هذا امر ولا أتعرض لولد الحارث وأترك أباه على عاتب ومع ذلك الذى خطبها وانفذ إلى يطلبها ويريد فعل ذلك بسببها وأنا قد زوجتها بابن عمها فارس النياق وقد سار إلى العراق يأتى بالمهر والصداق من بعدما أخذ على العهد والميثاق وقد قطعت عليه مهراً ثقيل ثم أنه رد الرسول بلا فائدة فلما سمع غدير هذا الخطاب اشتد به المصاب وانقطع الرجاء من مسيكة فعندها قال له الحاجب يا موى لا يضيق صدرك ولا تشغل فكرك فانا أدبر لك أمر يكون فيه السداد فقال له قل حتى أسمع فعنده لك قال له أعلم يا مولاى أن هنا جندك يا فارس كلهم يحبوك ولو قلت لهم خوضوا البحر لخاضوه والرأى انك تركب عدا فى خمسمائة فارس وتظهر إلى أبيك أنك طالب الصيد والقنص وإذا بعدت عن عساكر أبيك اطلب وادى الفتك وأقم بأصحابك حتى آخذ خمسمائة فارس وأدخل بهم أرض حوران واكبس ديار جبير والأوطان وآخذ الجارية مسيكة واقبض على ابيها وأقتل كل من يدافع عنها ومن يحميها فان كان أباك يرضى بما فعلت فانه ينفذ اليك ويرجع يترضاك فترجع إلى الديار وتكون قد بلغت ما تختار وإن كان يهل أمرك سرنا كلنا إلى الملك النعمان أو ننزل فى أرض الحجاز على بعض الحلل والعربان لأن مالك كثير ورزقك جميل ويدك واصلة إلى كل غنى وفقير فعند ذلك تهلل وجهه وقال وحق المسيح هذا رأى صحيح قال الراوى فعندها انفذ من وقته وساعته خلف ندماه ورفقته وقد أطلعهم على حالته وما قد عول عليه من هذه الفعال فعند ذلك أجابه الكل على مقاله وقال الكل نحن لك طائعين ولقولك سامعين قال وكان للملك الحارث ولد اغيره وكان هؤلاء أصحابه ورفقاه يرجون أنه يتولى الملك بعد أبيه ليوليهم البلاد والضياع ويزيدهم فى الإقطاع لأجل هذا يطيعوه ويسارعون إلى رضاه ويحموه (قال الراوى) وما مضت تلك

الليلة حتى ترتبت الرجال والفرسان ولما كان عند الصباح ركب فى خمسمائة فارس من الخواص والحجاب وصار يطلب أرض القتال ليقيم بها هنالك وقد قدم الغلام فى خمسمائة فارس أبطال صناديد متسربلين بالحديد وكل الفرسان يطيعوا ذلك الغلام ولا يخالفوه قال الراوى وكان ذلك الغلام يقال له مساعد بن معين وكان شيطانا من الشياطين معوداً يخوض المعامع وضرب البيض القواطع فعند ذلك صاروا يقطعون البر والقفار حتى وصلوا إلى أرض بجير ابن سهل فعندها كبس عليه الجلة فيمن معه من الفرسان وقتل جماعة من الفرسان وأوقع الهيبة فى قلوب الأقبال وقد سأل عن منزل أبى مسيكة فارشدوه على ذلك خوفا من سطوته فعند ذلك هجم عليه وسبى بنته وأخرجها من خباها وأسر أخوتها وقبض على أبيها ولما وصل إلى مراده فعندها نادى فى أصحابه واجناده كفوا عن أذى العيال وما أحد منكم يأخذ عقال وصاح فيمن معه من الأبطال ثم أخذ بجيرا وعشيرته وقد أمرهم بالرجوع عن سبى النساء والأطفال قال وكان غدير جالس ينظر هذا الغلام وإذا به قد أتى ومعه مسيكة وأبوها وأخوتها وهى تبكى على نفسها خوفا من الانتهاك فلما حضر الغلام إلى غدير تلقاه وبالسلام حياه وبالنصر هنأه وأمر باحضار مسيكة اليه (قال الراوى) فلما نظر إلى بكاها وانتحابها قال لها طيبى نفساً وقرى عيناً وقلى من بكاكى ولا تخافى على أخوتك وأباكى فانك اليوم بقيت سيدة كل من كان فى هذه الديار وهذه الأقطار ملكك ثم بعد ذلك وعدها ومناها وهدى فزعها وبكاها إلا أن ذلك اليوم لما دخل عليه الحاجب قال الراوى ووقال يا ملك أننا نبعد عن هذه الأطلال والرسوم وحالك مكتوم لأن أباك يظن أنك فى الصيد والقنص كما ذكرنا ونسير من هنا إلى أرض تيميا ونقيم هنالك حتى إذا علم أبوك بأحوالنا القبيحه يكون نحن قضينا حاجتنا قبل أن يسمع أبوك الملك الوهاب فيأمر القبائل التى حوالياتمسك علينا الطرقات ويضيع تعبنا فعند ذلك قال له لا تخف ولا تجزع لأنى ما خرجت حتى تركت على أبى عيون وأرصاد وفى أى وقت عرفوا ينفذوا خلفى وخلف رجالى ويعرفونى قبل وصول العسكر والأجناد فان هو أنفذ إلى خطاب جميل وحلف لى بالإنجيل أنى أعود اليه عزيز وان أراد رجوعى عصباً سرت إلى أرض تيميا ووسعت فى البيدا فعندها قال له الحاجب هذا هو الصواب ثم بعد ذلك رحلوا يقطعون القفار ولم يزلوا سائرين إلى أرض تيميا وضربوا الخيام والمضارب وركزوا الرايات والأعلام على غدير فايض بالمياه البيارحات واسع الجنبات فيه من جميع الزهورات وحين نظروا إلى هذا المكان نزلوا على

تلك المنازل والغدران وباتوا تلك الليلة وفى سرور وأفراح حتى أضاء الشرق وأبلج الصباح فعند ذلك أمر بدباحضار أبى مشيكه اليه فلما أتى وأقبل عليه قاله يا شيخ انا أنفذ اليك الأموال واكون لابنتك خاطب وأرسل رسولى اليك ترده خائب وماوقع فى حقك منى هذه الفعال الا لما سمعت عنك من المقال ثم أعاد يرأف ويزيد له فى الاجلال ويطيب قلبه وبعده بالانعام والمال حتى أنعم بزواج ابنته وأطفى لهيب كبده وطيب قلبه بالميعاد وفى تلك الوقت أشرف عنتر بن شداد ومقرى الوحش وفرسان بنى عبس وقرادثم بعد ذلك نعود إلى سياق الحديث الذى قدمناه وقد تقدم مقرى الوحش يكشف الخبر ويقف على حلية الأثر وينظر إلى تلك الخيام وينظر من أين هذه الفرسان ولأى سبب نزولهم فى ذلك المكان قال الراوى وكانوا أيضاً فرسان بنى غسان نظروا غبار عنتر بن شداد والفرسان ومن الأبطال والشجعان هذا ومقرى الوحش قد انفرد عنهم فى تلك الساعة فانكر واذلك وركب منهم جماعة وتقدموحتى قاربوا أونظروا اليه وتقدم اليه فارس منهم وقال له ويلك ما أنت فارس النياق الذى مصيت إلى العراق ثانى يهر مسيكه والصداق فقال له مقرى الوحش بلى يا إنسان ولكن عاندنى الزمان وغدر بى وخان ولم أظفر بما أريد وأنتم لأى سبب نزولكم فى ذلك المكان ولماذا خليتم مساكنكم والأوطان ومن هو المقدم عليكم من الفرسان وإلى أين أنتم سائرون فى هذه القيعان وايش عندكم من الأخبار من أهل حوران وعن مسيكه وجمالها الفران وما الذى جرى بعدى فى الأوطان فقال ذلك الفارس يا مقرى الوحش أما سؤالك فقال له مقرى الوحش وقد تفتت كبده وحسن أن روحه فارقت جسده ويلك من ذا الذى مديده وأخذ مسيكه وقهر أباها صاحب النخوة الحمية فقال المتكلم بدر وكشف له ما كان مغطى وقال له بعد ذلك ياأحى أنا أشير عليك انك تعود من حيث اتيت ولا تكون فى هدر عمرك قد سعيت قبل أن يعلم بذلك الخبر عديرفما يكون لك من يده نصير لأنه سمع انك تحبها فاذهب من قبل أن يعلم بك لأنه أن علم بقدومك يعطيك وعلى بعض الجدران يصلبك فارجع أنت ناجيا بنفسك قال الراوى ومافرغ هذا الفارس من مقاله حتى هاج مقرى الوحش من صميم بلبالة وهم أن يقتل الفارس فى الحال فعاد يتفكر عاقبة الفعال ثم قال للفارس ياوجه العرب لاشك أن الزمان قد انقلب وصالحنى بعد الغصب والمسيح ابن مريم قد بلغنى الأرب بغير عناء ولا تعب والصواب أن تقضى حاجة ياوجه العرب حتى اكون لك شاكر بين كل العشائر قال الراوى وهو أن نعود إلى غدير بن الحارث الوهاب وتدخل عليه وقامره بترك

مسبكة من بين يديه فان أجاب إلى ذلك واعترف فقد عفا عما سلف قال الراوى وان لزم اللجاج وطلب الزواج فانا أحسره على شم النسيم والهوى واتركه سريعا فى الفلا واشتت شمله قال الراوى فلما سمع منه ذلك الكلام تغيرت منه الاحوال وداخله الغضب وقال له ويلك يا مقرى الوحش هذا الكلام الذى ما أرضاك تتلفظ به فى حق أقل العوام فكيف يكون هذا الحاكم على الخاص والعام وتريد أن تقطع ما بيننا من الانساب وتعادى الحارث الوهاب وتظن فى نفسك أنك تلقى الفين من الفرسان من غسان وما فيهم الا من خاص المعمعة فى الميدان وتعود سالما من نائبات الزمان فاقصر عن هذا المقال فانى أخاف عليك عن العربان لأن الفرسان تحب أشكالها وتحن على أمثالها وهذا الملك الحارث يحكم على بلاد الشام ووراءه الملك قيصر صاحب الكلام وقد نصحتك والسلام قال الراوى فقال له مقرى الوحش ويلك ياولد الزنا ايش هذا الفشار والهذبان فانا وحق البيت والاركا لا أخاف من نوادف الميامن والمياسر ولا من جميع القبائل والعشائر ولا من كثرة الجيوش والعساكر فالقاكم بقوة جنانى وصدر حصانى ولو كنتم الوفا مؤلفة وصفوفا متضاعفة واخلع منكم ثوب الانصاف ولا أصبر على الجور والاسراف وأبددكم شرقا وغربا وأنا اليوم عبسى ما أغسانى ولا بقى لى رجعة إلى هذه الديار وقد وصل معى من البيت منذام وأسيد درغام مراده يخرب أرض الشام ويولى من عنده سلطان وسوف تنظروا فى يومنا هذا العجب وتتعلو الطعن والضرب من فارس العرب ثم أنه أشار اليه وجعل يقول

حلف يمينا بالحطيم وزمزم ... ومن طاف بالبيت العتيق المحرم
لاوقدن الحوب فى وهج الوغا ... والقاكموا بالسمهرى المقتوم
أواخذ أهلى أنها لمصيبة ... على وعلى سيفى المقتوم مخدم .
الاتعلمو يا آل غسان اننى ... علوت بفعلى بين عرب وأعجم
ألا تعلموا أنى اذا الحرب أضرمت ... وأشعلت نيرانها بتصرم
اخوض لظاها ثم أطفى لهيبها ... وأدرى فى هيجانها كل ضيغم
ويردى غدير الندل فى وهج الوغا ... واتركه شلوه ممزجا . بالدم
ويسعدنى ليث هما غنضفر ... شجاع كمى فى اللقا غير مقجم
له عز لاينال نظيره ... سواه رجال فى الورى مع مكرم
وصلوا على زين النبين أحمد ... محمد الهادى النبى المكرم

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره حمل عليهم وطلب وقد فاض فؤاده والتهب وطعن ذلك الفارس فانقلب وثنى باخر فمال عن جواده وضرب الثالث ففاض دمه وانكسب وهاج فيهم كما يهيج الأسد عند الطلب ونفرت الفرسان من حوله تطلب الهرب وانقطع ما بينه وبين الفرسان من النسب ومالت الشجعان من شدة الطرب وولى الجبان وطلب الهرب وقد ضاق فى وجهه كل مذهب وتطابقت على مقرى الوحش من الرجال وضيقت عليه فى الميدان وهو يعطى السيف حقه والرمح صدقه ويطعم الوحش من لحم القتلى ويقابل كل أحد بما يستحقه ويطول عليهم فى الميدان لأن مقرى الوحش كان من الفرسان المعدودين بالفروسية وقوة الجنان وخصه الله تعالى بشجاعته فى ذلك الزمان هذا وعنتر نظر إلى فارس النياق وقدم أقام الحرب على قدم وساق كثر حوله الزعيق وفاق كذلك الفرسان وقد طلبته من سائر الآفاق فقال لعروة ومن معه من الفرسان يا بنى الاعمام ادركوا صاحبه والا قتلوه قبل بلوغ المنا ويضيع تعبنا وها أنا ملكتكم الطريق ومن عاد منهم من المهزمين أعدمه السعادة والتوفيق فادرك أنت مقرى الوحش تحت القتام وأعلمه أنى ما أخاف عليه من كثرة الرجال وتزاحم الأبطال لأنه يلتقى بألف فارس فى المجال ويتركها مطروحه على الرمال قال الراوى ثم أن عنتر أطلق عنان الجواد وقوم بين آذانه السنان ومسك الطريق على بنى غسان وكذلك عروة حمل بمن معه من الأبطال الصناديد وطلب مقرى الوحش فى المجال وقد عظمت الاوجال وهتزت الجبان وتقاربت الآجال وصاح عروة دونك يا مقرى الوحش ومؤلاء الأعداء ولا تخف من الردا يا مقرى الوحش فان وراك ليوث البيدا ثم أنه أنشد وجعل يقول

ألا يا بنى الأندال من بنى غسان ... أنتكم ليوث الحرب من بنى عدنان
ونجعلكم رزقا للسباع تنوشكم ... طيور الفلا من كل نسر وعقبان
بكل حسام يطع البيض والتلا ... بأسمر عسالى مسقف مرانى

قال الراوى ثم بعد إنشاده حمل عليهم وأجاد فى حربه وجلاده وساعدته رجاله الأبطال بجودة الحرب بالرماح الطوال ونظر مقرى الوحش إلى عروة بن الورد وقتاله فاشتدت أوصاله فعند ذلك ركب بدر النصرانية وهو حردان وقد ذارت به عبادة الصلبان ثم سأل عن الحال وما سبب ذلك القتال فاخبروه بما فعل مقرى الوحش فعند ذلك زعق غادر فيمن حوله من الأصحاب وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلام فعند ذلك حملوا مثل أسود الغاب وقد علا الصياح وتمددت الرجال على التراب ونزل على بنى غسان العذاب وقد عاينت من فرسان

الحجاز مايشيب الشباب ورأت عالم يكن لها فى حساب فغرت الأبطال تأخرت الأندال وعمل الفصال وتقمقمت السمر الصقال وغظم الجلاد وانطرحت الأجساد على بسيط المهاد وازدحمت الخيل الجياد وضاق على بنى غسان وسيع الفضاء والصحان وكثر الآلام والأوجال هذا وعنتر قد صار من خلف القتام وهو ينظر من القوم الانهزام ولما أن طال عليه المقام صرح وطلب الأعلام ونثر الأبطال وهو يصول ويجول ينشد هذه الابيات

أنا الفارس الدرغام حين ترانى ... إذا فر يوم الروع كل جبانى
أبيد العدا فى يوم حربى بالقنا ... بأبيض ماض الشفرتين يمانى
لى صارم فيه المنايا قديمة ... وتبدو الرزايا فوق رأس سنانى
ولى سودد لا يستطيع يناله ... مدا الدهر مخلوق من الثقلان
سلى عن الأبطال يا بنت مالك ... ولا تجهلى يوم النزال مكانى
تركت رجال الكسورى هزائما ... وقد ضاق بالفرسان كل مكان
وصلت على الأعجم صوله ضيغم ... وساعدنى دهرى وصرف زمانى
وخلفتهم فى مهمة البر جثما ... وطير الفلا حولهن مدانى
فهذى فعالى مدا الصبح طالعاً ... مالح صبح أوضامت القمرانى

(قال الراوى) ثم أنه بعد إنشاده صاح وزعق وعلى فرسان بنى غسان قد انطبق وهتك بحسامه الدروع والدروق وقد داست الخيل على الاجساد والحدق قال الراوى فقال بنو غسان لبعضها البعض يا ويلكم لا تعجبوا من هذا الفرسان وانظروا إلى هذا العفريته الذى من ورانا وأبادقضانا وأدنانا لهذا وعنتر يطعن فيهم فولى بنى غساز فصاح فيهم غادر فلم يلتفتوا اليه فسمعه عنتر وهو يرد الأبطان فناداه يا ابن الأندال قد ضاق ميدانك فابشر الآن بحمامك من يد فارس الحجاز ثم أنه استمده بطعنه بين ثديبه طلع السنان يلمع من كتفيه وثنى على صاحب العلم قتله نكس العلم وميله وما تنصف النهار حتى طلبو الفرار وما عاد عنتر من خلف المنهزمين حتى حل مقرى الوحش المأسورين واطلقهم من الشد والوثاق وحدثهم بما جرى له من النعمان فى أرض العراق وعاد إلى خبر عنتر بن شداد وما جرى له تحت الغبار الجلاد ثم وصف لهم فروسيته وشجاعته وقد شاروهم فى أمر الرحيل إلى الحجاز صحبته مع عنتر بن شداد ومقامهم فى أرض بنى عبس وقراد فقال لما سمع هذا الكلام والله يا ولدى ما بقى لنا فى أرض مقالان الحارث الوها لابد أن يطلبنا فى كل مكان ويصب علينا فنون العذاب ويقول ماقتل ولدى إلا أنتم يا كلاب ونحن اليوم نحكمكم

فافعلوا بنا ما تشتهون وأحكموا فينا بما تحبون ففرح مقرى الوحش بذلك وأستبشر وحدث أبو مسكة لعنتر ففرح بهذا الخبر وقال له خذ السكل معك ولا تضيق صدرك ففعل مقرى الوحش يده وشكره ثم أمر العبيد بلم الأسلاب وباتوا فى ذلك المكان وأصبحوا راجعين يطلبون الديار والأوطان وفى أوائلهم مقرى الوحش وعنتر بن شداد وهم فرحون ببلوغ المراد وكيف سهل الله لهم قرب الطريق وكان مجير أبو مسكة ذو فضل وأدب وسيد من سادات العرب محبوب عند الناس لأدبه وحسن صفاته فاحبه عنتر وقربه من قلبه ومازالوا فى جد المسير حتى أشرفوا على منازل بنى عبس والابيات فرآها مقفرة العرصات خالية الجنبات مغيرة الحالات لا شيخ فيها يلوح ولا جسد ولا روح سوى الغربان على اطلالها تدور وتنوح فارتاعت الرجال واندهش عنتر وحار وجرت دموعه غوار فقال لعروة مما زاد به من الغرام ما هذا الذى تراه يا أبا الأبيض يقظه أم منام ثم أنشد وجعل يقول

يا دار أين ترحل السكان ... وعدت بهم من بعدنا الأظعان
من أمس كان بك الظبا ... وأصبح اليوم فى عرصاتك العربان
حار الزمان عليك بعد رحلينا ... حسداً لنا فنزاحل الجيران
يا دار عبلة أين خيم ظعنهم ... لما سرت بهم المطى ودان
إذا انسوا شجر الارآك لقد بكى ... من وحشتى أبكت عليه البان
يا دار أرواح المنازل أهلها ... فاذا ماتت تبكى لها الأبدان
يا صاحبى سل ربع عبلة وأجتهد ... أن كان للربع المحيل لسان
يا عبلة ما تم الوصال ليالينا ... حتى دهانا بعدها الهجران
ليت المنازل أخبرت مستخبرا ... أين استقر بأهلنا الحريان
باطائرا قد بات يندب أليفه ... وينوح وهو موله حيران
لو كنت مثلى ما لبست ملونا ... حسنا ولا مالت به الأغصان
أين الخلى القلب ممن قلبه ... من حر نيران الجوى ملآن
عرنى جناحك واستمر ... دمعى الذى أفنى ومايغنى له جريان
حتى أطيل مسائلا عن عبلة ... إن كان يليق لمثل الطيران
كم ذا يجرعنى الزمان علاقما ... لا يطيق لحملها الثقلان
ولكن لى جلد شديد على الاسا ... ورسيس وجدى ما به نقصان

ياعـروه بن الورد يا من وده	ما شانه كـدر ولا خـذلان
أنظر مصابا حـل فى أبياتنـا	من بعد عيش قد أتاه زمان
يا مقرى الوحش العـزيز ومن له	يوم الكريهة تخضع الشجعان
وأنا عبيلة قد فقدت جمالهـا	وعدمتها وازدادت النيران
لا كنت من عبس ولا من نسلها	كلا ولا شهدت لى الفرسان
إذا لم أخل الدم أحمـــر قانيا	تسـقى به الروات والكثبان
وأزعزع النعمان وأهدم جيشه	بالصارم الهندى والاشطان
وأذل كسرى أن أعان عزيمنا	وأبيدهم وأهدم الايوان
وأنا ابن شداد الهمام وهمتى	فوق السماك على كيوان

(قال الراوى) ومازال عنتر واقف حيران وإذا بعبدين قد اقبلوا عليه وقبلوا يديه فتبينهم وإذا هم من عبيد الملك قيس والسبب فى ذلك أنه لما قتل الملك قيس كبار بنى فزارة تخلف حصن بن حذيفة فاجتمعت به النسوان ورأوا رجالهم مطروحين فى القيعان فلطموا خدودهم وشقوا أثوابهم ودموا على ذلك إلى الصباح فنهاهم حصن عن ذلك ودفنوا قتلاهم وركبوا خيولهم وأخذوا جميع عيالهم وعمدوا إلى النعمان وداموا مجدين فى سيرهم والغيرة حتى وصلوا إلى الحيرة فكشفوا النساء رؤوسهم لطموا اخدودهم وثار غبارهم فرأوهم أهل الحيرة فركبوا خيولهم وعرفهم فصاحت البنات والأولاد وامصيبتناه واذلاه وحصن ينوح ويبكى على والده وكان فى الجملة الملك الأسود فلما رأى ذلك قال لهم ما وراءكم وما الذى بشره رماكم فقال ياسيدى ماد هانا غير قيس وعنتر وقد قتلوا أبى وأعمامى وسادات قومى وخلفونى يتيما وها أنا قصدتك فافعل بى ما تختار ولو أننى قصدك غيرك يكون على وعليك ذل وعار فلما أن سمع الملك الأسود حنقته العبرة وحار فى امره وقد بكى حتى كاد أن يغشى عليه ووصل خبره إلى الملك النعمان فخرج له راجلا حتى لاقاه وكان حجابة وأمراه فبكوا لبكاه واشتد منهم على بنى عبس الحرد فحلف أنه ما يترك منهم أحد ولا يسير اليهم إلا بجميع الفرسان ويبيع نساءهم فى جميع البلاد ثم أنه أقام فى الحى سبعة أيام وفى اليوم الثامن زاد به الأمر وأرسل النجاة إلى سكان القبائل من القطان بعد أن أقسم بالنور والناد أن كان من تخلف عن المسير إلى غزو بنى عبس سار هو بنفسه على ديارهم وقلع جميع آثارهم ولما عرفت المتجردة ذلك خافت على أخيها نيس وقومها من الممالك ولما أبصرت الجيوش والمواكب والعرب الذين قد أقبلوا من

كل جانب أرسلت تعرف أخبارها بذلك قال ثم أنهم أحذرا أهبتهم فى الثلاثة أيام ورحلوا وساروا فى البر على الطريق المعروفة ثم تشاوروا فى النزول على أى القرب ويكون فقال الربيع بن زياد الصواب والنزول بامدك على جبال شهلان وتجاوز بنى حريقة لأن سيدهم رجل جليل له مقام مشهور ولا بيك زهير عليه فضل من قديم الزمان مذكور وهو أنه كان وجده أسيرا مع بنى الريان فخلصه منهم وأعطاه الذمام وسار معه إلى أن أوصله إلى أهله والأوطان فهو يتمنى من فيها إلى الآن أن تكون لبنى عبس عليه حاجة يقضيها ثم أعلم يا ملك أن النعمان فى سابق الزمان قد غزى جبال شهلان وكانت عسكر هذا الأمير الذى تريد النزول عليه ومجاورته قليلة وضعيفة ومع ذلك لم يقدد عليهم النعمان قال الأصمعى فلما سمع الملك قيس من الربيع ذلك الخطاب ورآه عين الصواب جد المسير فى البرارى والهضاب وقطع الروابى والشعاب وهو فى مفتكر فى غيبة عنتر بن شداد ومن معه من الفرسان الأمجاد لخوفه على نفسه من النعمان حتى وصل إلى جبال شهلان فانفذ أحد فرسان إلى سيد تلك الجبال يخبره بحاله ويستأذنه فى النزول فى أرضه والأوطان فسار رسول الملك قيس إلى أن وصل إلى الملك الزعيم وتادب بين يديه ثم ثنى وتكلم بالدعاء له بدوام العز والنعم ثم قبل يده وقص القصة عليه فى سبب رحيل قيس من دياره ونزوله عليه فلما سمع الملك الزعيم من الرسول ذلك الكلام نهض واقفا على الاقدام وصاح فى رجاله بالركوب فركب فى سائر أبطاله وسار لملاقاة الملك قيس واستقباله فلما وصل عانقه ورحب به وسأله عن حاله فحدثه بما جرى له مع بنى فزارة ربما وصل بينه وبين الملك النعمان وعند ذلك قال قيس والله أن النعمان كان قد أرسل إلى يطلبنى مثل القبائل التى أنفد اليها يستنفد بها عليكم فابيت لأنى لا أخاف منه ولا التفت اليه ولم يسبق أننا نخشى من مالك أو سلطان وانما سار إليه من خوفه ومن ومن سطوته وخديعته ونحن لا نخشاه هو ولا غيره بطول الزمان ولما حضر عندنا رسوله ما عظمناه ولا جعلنا له قدر أو لا شان لان جبالنا شاهقة ورماحنا خارقة وسيوفنا بطول الدهر لرقاب أعدائنا قاطعة فاعلم يا قيس أنك صرت فى أمن من جميع أعدائك وبلغت سؤالك ومنالك وكيف لا يكون ذلك وأنت ابن الملك زهير وعلينا له حق لا نضيعه وبيننا وقينة ودا لا نقطعه فانزل أيها الملك أينما شئت من هذه الأرض واحكم فى طولها والعرض فهى لك ولقومك وها نحن بين يديك وكل من تعرض لكم أكون انا وقومى لكم فداء من الردا ولا نبخل بأرواحنا عليك فلما سمع قيس منه ذلك شكره قيس وأثنى عليه وقال له زيادة املى فيك وصحبتى معك والود

القديم ماقصدت اليك ثم أن بنى عبس ضربوا الخيام وأمنوا على الحريم والانعام وأخذ الملك الرميم الملك قيس ومن معه من السادة الكرام وسار إلى أن وصل مضاربه والخيام وأضافهم ثلاثة أيام وأكرمهم غاية الاكرام واعطاهم الإمام والذمام قال ثم بعد ذلك رجع قيس هو ومن معه من السادات إلى المناهل والغدران التى ضرب عليها قومه الخيام وهو فى أمان من النعمان وطاب له ولقومه المقام فنظرت قبيلة بنى حريقه أموال بنى عبس فى المرعى فذهبوا لينظروا لبيوتهم فرأوها من القباب العلية والسرادقات الشامية والنياق العصافيرية فقالوا أن هذه النياق جميلة المنظر ويحق لمن ملكها أن يفتخر بها فانها ليست عند أحد من سائر أقران ولا رأينا مثلها عند ملك من ملوك الزمان لانها لم تكن من أرضهم بل كان قد جلبها الأمير عنترصاحب المهندات الرقاق من أرض العراق قال الراوى فلما نظرت قبيلة بنى حريفة لحسن هذه الأموال كما تقدم وطمعوا فى نهبها لقلة عدد أهلها وطلبوا الشر من العبيد وضربوا الأطفال والأولاد وطردوا من المرعى وكان الذى أعان بنى حريفة على ذلك فارسهم الاخيل ابن عمرو لأنه فيهم نافذ الأمر وكان إذا ركب جواده لايقاومه أحد فى حربه وجلاده وأواذ أثارة الفتن بين بنى عبس وقومه لينهب أموالهم ويبيد أبطالهم ولم يزل على ذلك إلى أن وصل رسول من الملك النعمان للملك الرميم يقول له أعلم ياسيد بنى حريفة أنى أنا ملك العربان القاضى منهم والدان وقد اشتد بغى بنى عبس وقتلوا أولاد عمهم بدر وأكثروا الفساد والغدو وعصوا على وأوصلوا شرهم إلى فجمعت لقتالهم سبعين قبيلة من القبائل التى لها دماء عليهم من غابر الازمان وعولت على هلاك فرسانهم ومن انتصر لهم من سائر الخلان والملوك والاقران فبلغنى أنهم رحلوا من ديارهم إلى أرضكم ونزلوا عندكم فى جبال شهلان فان كنت تعرف قدرى وتحفظ حقى فاخرجهم عن أرضك واطردهم من ديارك ولا تمكنهم من المقام فى ذلك المكان والا أهلكتك معهم فى صولنا اليهم وقدومنا عليهم فالاحسن أن تسمع كلامى وتخرجهم وإذا قتلناهم لك الجمال والأموال ولنا الاسارى والعيال قال الراوى ثم أن الرسول قال من عند نفسه لاتظن يارميم أن الجبال تحميكم منه فانه حلف بأكبر الأقسام والبيت الحرام أن كل من آراهم وقاتل معهم لابد أن انزل به العذاب الاليم قال فلما سمع الرميم الرسول هذا الكلام خاف على نفسه وقومه من الانتقام وندم على اعطائه لبنى عبس الذمام وكبرت حيرته وتحير أمره وزادت بليته ثم جمع سادات قومه وأكابر عشيرته وكان فيهم الاخيل وأعلمهم الرسالة وشرح لهم المقالة بلا استطالة واستشارهم رد الجواب.

فقال له الاخيل وحق منشى السحاب من إذا دعى أجاب أنك أعطيتهم الذمام وهم قوم لئام غير كرام ولا يستحقوا غير الضرب الرقاب انى قد كنت عولت على نهب أموالهم وقتل رجالهم لان بنى عبس مالهم صديق فى سائر العربان فلما سمع الرميم من الاخيل هذا الكلام قال الرسول الملك النعمان عد أنت إلى ملك العربان وقل له أيها الملك العظم الشان لا تتعب وتجمع قبائل نحن نخرجهم من أرضنا بقولهم أرحلوا عنا لئلا يصلنا نسبيكم البلا فى والوبال وانظر والكم أرضا غير أرضنا وأريحونا من هذه الاحوال فاذا رحلوا جعلنا لناطريقا لنهب أموالهم قال الراوى ثم أن رسول الملك النعمان رجع اليه من عند الرميم مغمورا بالانعام والاحسان كان نقض الرميم زمامه لبنى عبس خوفا من عند وبقية قبيلته أن يخالفوا معه على ما عاهد عليه بنى عبس فيقع فى التعس والنكس ويحل به البلاء وتنزل به النقم وكل هذا جرى فى المساء وبنو عبس لا خبر عندهم بذلك الشان قال الراوى وفى صبيحة تلك الايام قدم الامير عنتر بن شداد فيمن معه من الرجال بغنايم بنى غسان على ديار أهله فرآها خالية فسالت من أجفانه العبرات إلا أنه لم يطل عليه الحال حتى خرجت عليه العبيد التى تركها قبسر بين الرمال القريبة من الاطلال تنتظر قدوم عنتر لتخبره فصعب عليه وكبر لديه وقال لمن معه من الفرسان وحق مكون الاكوان خالق الانس والجان لو لحقتهم مكنتهم من الرحيل بل كنت أمنعهم وألاقى القبايل التى جمعها النعمان ولو كانت عدد مل وادى كنعمان أو جن سليمان ثم أنه رحل من ذلك المكان طالبا آثار قومه والعبيد تدل به كلها وقبيلة أو ظعن سائر نهبو ، وإن مانع أحد قتلوه هذا وعنتر يقول لمقرى الوحش قوى قلبك وأشدد عزمك واعلم أنه ما بقى لنا عودة على هذه الأرض وكل ما كسبناه هو على ذمة زوجتك ثم أنشد يقول

طربت وزادنى البرق اليمانى ... تذكر إلى منازل حبى هاتيك المعانى
وأضرم فى صميم القلب نارا ... أشد من ضرب الحسام الهندوانى
لعمرك مارماح بنى بغيض ... تخرن أكفهم يوم الطعان
ولاسيوفهم فيها نبوا ... إذا عرف الشجاع من الجبان
وكل خابض بحر المنايا ... يبوم النقع والحرب العوان
وانى مقيم بابى قبيس ... مع البطحاء والركن اليمان
وعزمى يترز الابطال تهوى ... وسيفى والقنا فرسى رهان
أعيله لو سالت المهر عنى ... أجابك وهو منطلق اللسان

بأنى قد طرقت الأرض طرا وأرديت كل غضنفر يوم الطعان
وخلصنا مسيكه بعد حرب به صال الشجاع على الجبان
فرشدى لايغيبه مدام ولا أصغى لقهقة القنان
ولا يزيدنى طربا ويشفى فؤادى غير ضرب الهندوان
وبطل قد تركته طريحا قتيلا كان عليه حلة أرجوان
طعنت حشاة لما أن تولى بطرف مثقف ماضى السنان
فعاد على صعيد الأرض ملقى عفير الخد من ضرب البنان
وعدنا والفخار لنا لباسا نسود به على أبناء الزمـــان

قال الاصمعى ولما فرغ عنتر من شعره طربت السادات وأشتدت عزايمهم فى نهب المال ومواصلة السير بالليل والنهار حتى لحقوا قومهم بارض قومهم بهم بنى حذيفة وفرحت القبيلة بسلامة عنتر ووصلوه اليها حتى كان قدومه يوم عيد ثم أنه بعد أن سلم عليهم عتب على الملك قيس فى رحيله عن الاوطان فقال له الملك قيس ياأبا الفوارس أنا ماخرجت من الاوطان إلا خوفا على الحريم والعيال لما وصلنى الخبر من عند المتجردة أختى بما جمعه الملك النعمان لقتالنا من القبائل والعربان ليهلكنا ويشمت بنا سائر العربان لاسيما سنان بن ابى حارثة الخوارزمى ومن معه من بنى فزارة الاشرار فيركبنا بذلك العار ولو كنت أعلم أن عودتك من السفر قريبة مما كنت تغربت عن الديار وأقمت فى هذه القفار فقال الربيع بن زياد والله لقد صدق قيس ياأبا الفوارس اننا ما رحلنا إلا من خوفنا من الجموع الكثيرة التى جمعها لقتالنا الملك النعمان وأنت حاميتها وكنت غائبا عنا ولا قدرة لنا مع غيابك بملاقاة الأعداء الكثيرة فصدق عنتر وسكت وتبع رضاه وكانت تربية عبلة غاية المنى لكنه لم يمض بعد حضوره ولا زمن قليل حتى شكى اليه بعض بنى عبس الضيم والهوان الذى أصابهم من وقت نزولهم فى هذا المكان لاننا من وقت مجيئنا إلى هنا ونحن نطرد ونهان ونبعد عن المناهل والغدران وتساق أموالنا ولا نقدر نبدى ولا نعيد لاننا نعلم أننا أن تكلمنا كلامنا لايفيد فى إزالة الهم والتنكيد قال الراوى فتألم عنتر لما سمع شكواهم وقال ويلكم يابنى الزوانى لم تصبرون على الذل والهوان وتذلوا انفسكم لاحد من ابناء الزمان والارض كلهم لنا وأهلهم عبيدنا وخدمنا اذهبوا وزاحموا بابلكم لم الكلام وكل من تعرض لكم فاضربوه وإن عجزتم ورأيتم أحدا خرج اليكم من سادات العربان الانذال فنادوا على وأنا أريكم ما أفعل بهم من قطعهم بهذا الحسام قال فلما سمعت عبيد بنى عبس من عنتر ذلك الكلام رجعوا وتأهبوا الشربا لعصى السيوف

المرهفات قال الرواى فهذا ما كان من هؤلاء من الكلام وما اتفقوا عليه من المرام وأما ما كان أمر الملك الرميم والاخيل بن عمر فان الاخيل أرسل ملك بنى عبس الملك قيس يخبره عن لسان الرميم بالرحيل من تلك الأرض خوفا مر أن يقع أمر من بعض الجهال فيضيق صدر الملك الرميم عما يقع بكم من الشر ويضيع ما صنعه من الجميل الكبير ولا يعود بعد الفساد الصلاح الحال بل يقع بيننا وبينكم القتال قال فلما سمع قيس من الرسول هذا الخطاب تحير فى رد الجواد ولا يستصوب إلا ما قاله للرسول من أنه يذهب إلى سيده ويفرقه من قيس السلام ويقول له السمع والطاعة غدا نرحل ولا نقيم هنا بالكلية فعاد الرسول للربيع وبلغه ما سمع من الملك قيس قال الراوى ثم أن الملك قيس بعد مسير الرسول أنفذ للربيع ابن زياد ليشاوره فيما جرى عليه وما أرسل به الملك الرميم فلما حضر عنده الربيع وأخبره الخبر قال له يا ملك وحق الاله المتعالى فى ملكه ما أرسل اليك بهذا المقال إلا ليجعله سبب الحرب والقتال لأنى أظن أن الملك النعمان أنفذ اليه وأمره بقتالنا فالرأى أننا نجمع فرساننا ونسير إلى اليمن وأن لم تفعل ذلك الكلام وقع بيننا وبين هؤلاء القوم القتال قال فلما سمع قيس ذلك الكلام قال رأيك صواب لكنى أخشى عدم موافقة عنتر فقال الربيع قل له أن هذا الأرض ضيقة وكنا منظرين حضورك وها أنت حضرت فسر بنا إلى اليمن ونقيم فى اطلاطا ولا نخبره بهذا الكلام ونأخذه ونسير إلى هاتيك الأرض والسر على كل الفرسان مبهوم قال الأصمعى فما دخل المساء حتى فشى الخبر وبلغ عنتر فزاد غيظه وتمما وقال قد أليسنا قيس لباس الذل والعار بسبب رحيلة عن الديار ونزوله هنا ورحيله وسماعه مشورة الربيع بن زياد مع أن جميع العربان تطمع فينا إذا نزلنا بهاتيك الدهن من أرض اليمن وتسبى عيالنا ثم أن عنتر أرسل أحضرى مقرى الوحش وعروة ابن الورد وأخبرهم بالقصة فقالوا له يا أبا الفوارس دبر أنت ما تريد ونحن لك وبين يديك عبيد فبينما هم فى ذلك الكلام إذ أقبلى فدخل قبل يدى عنتر وبكى بين يديه وكان ذلك الرجل من صعاليك بنى عبس فلما رأى عنتر تتابعت دموعه مثل الأمطار فقال له ما قصتك وما حالك فعرفنى قصتك وما جرى لك وأنا أبلغك آمالك وأقضى أشغالك فقال له يا فارس أنب تعلم أن بنتى لها جمال فائق وجمال رائق وكنت أخرجها معى إلى المراعى لتعيننى فى السقى فنظر اليها غلام بنى حريفة يقال له غادر بن جفال دأبه عشق الحريم والبنات وصار يقف لها فى الطرقات يرمى عليها الكلام ولا يرعى لى ذمام فخشيت على بنتى وتركتها فى الخيام ومنعتها من الخروج إلى المرعى من مدة أيام وفى كل يوم يخرج إلى المرعى فلم

يجدها فلما ازداد به الغرام وأوقفه من حسنها الهيام سأل عنها من بعض الرعيان فاخبروه بانى منعتها خوفا عليها منه أن يفضحها ويزيل بكارتها فى الحرام فجاء إلى هدد نى وقال لى كيف تمنعها من المرعى وتتركها فى الخيام وأنا بحسنها قتيل من الغرام لا أتهنى بغرام فقلت له ان كان ولا بد فتزوج بها وان لم ترجع عنها ذهبت إلى سيدكم الرميم وسألته أن يكشف عنى هذا الأمر لأنك تطمع من ابنتى فى الفساد فما ازداد إلا طغيانا كفرا قال لى والله يا كلب العرب واخس من ضرب فى البيداء طنب ان لم تخرج بها الليلة إلى المرعى لاسقينك كاس العطب وها أنا جئتك فكيف تكون حاميتنا ويركبنا العار وقال الراوى فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام ازداد به الغيظ وقال له ياشيخ اذهب أنت تلك الليلة إلى بيتك ونم بجانب ابنتك وأنا غفيرك الليله من جميع الأنام فقال مقرى الرحش ياحامية عبس ان هذا الرجل آلم قلبى بشكواه وأريد أن أنوت عنك الليله فما ضمنته له وكفيلك شر أعداك وأكون لبنت الشيخ حاميا فبحق عينى على عبله تنعم لى بهذه الخدمة فقال عنتر لقد أقسمت على بقسم عديم لكن أجيبك بشرط انك أن ظفرت بهذا الشيطان تقتله وتحمله ظاهر الطريق لأجل ان قومه إذا رأوه بغدر حيلنا من هذه الديار يخرجون خلفنا ثم ان مقرى الوحش صبر حتى أظلم الظلام وأخذ بيده الحسام كمن قريبا من ذلك الشيخ فما استغر غير ساعة حتى قوم غادر الملعون الفاجر إلى أن وصل خيمة تلك البنت فرآها بجنب أبيها فقال له اترك لى بنتك الليله وانظر ما يأتيك من النعم وأراد أن يجلس وإذا بمقرى قبض عليه ورفعه حتى بان شعر ابطه وجلد به الأرض فرض عظامه وأجرى دمه على الأرض وتركه وذهب إلى خيمته ونام إلى الصباح فاتا شيبوب وامره بالركوب وقال له لا تركبت الا مستعدا للقتال لأن أخى أنفذ خلف عروة يعلمه بالحال وينبه عبله أن يركب والفرسان معه للحرب والنزال لأن بنى حريفة يريدون نهب ما معنا معنا من الأموال قال الراوى فعند ذلك ركب مقرى الوحش بعد أن ركبت زوجته المسكة فى هودجها وسلم زمام ناقتها إلى أبيها واخيها وسار حتى وصل عنتر فوجد العبيد ردت رؤس النوق إلى بلاد اليمين وسلم عنتر زمام ناقة عبله لأخيه شيبوب واما مالك قيس صار هو ومن معه فى غاية العجب ولما ركب وصار تقدمت العبيد بالنساء والاموال وتأخرت الفرسان ثم قال عنتر للملك قيس على أى واد عولت ان تسير وفى أى أرض تقيم فقال له عولت أن أدخل أرض اليمين وانزل فى اطلالها وها تيك من البدو من قال الملك قيس يا عنتر انى اراك قدمت هودج عبله امام الحمول مع اخيك شيبوب فتبسم عنتر وقال له يا مولاى اما تعلم انها قرة العين بل هى

الروح ان بين الجنين فيما هم فى الكلام وإذا بغبار قد أرتفع ومن تحته خيل بنى حريفة وفى يد كل واحد منهم سيف مشهر وقد ملكوا البر من كل جانب معتدين بالقنا والقواضب وفى أوائلهم الأخيل وعليه درع من زرد وفوق عاتقه رمح مسدد قال الراوى وكان السبب فى خروج بنى حريفة خلفهم أنهم سمعوا رغاء جمالهم وقت التحميل وصهيل خيلهم فركبوا خلفهم بعبيدهم فرأوا غادر مقتول فعادوا إلى فارسهم الأخيل صائحين وأخبروه بقتل غادر فركب هو وفرسانه وصارت عيناه مثل الجمر ونادى واحرباه قد أردنا أن نبتدئهم بالقتال فبدؤناهم وفعلوا بنا هذه الفعال وقتلوا غادر والقوة على الرمال فوحق البيت الحرام لا بد من قتل ساداتهم الكرام فلما عرف عنتر أنهم اليهم قاصدون وإلى نهب أموالهم وسبى حريمهم طالبون قال لعروة هذا ما كنت أطلب وأريد فالآن أشفى فؤادى من هؤلاء الأنذال فشدوا عزائمكم وقطعوا أقصاهم وأدناهم ثم أنه التفت إلى مقرى الوحش وقال له كلما جرى بسعادتك يا فارس فاليوم تأخذ النياق وتدفع لزوجتك المهر والصداق وتصير صاحب مال ولا يبقى لأحد عليك مقال فقوا الطعن وراق الدماء ولا تقصدوا أحد أسير بل كل من أدركتموه أقتلوه وأنزلوا به التدمير فقال مقرى الوحش يا حامية عبس أنا لا أحتاج إلى وصية ثم أنه حمل وأقتحم الغبار وطلب هو وعروة المسير وعنتر والهطال الميمنة وصدموا الرجال واشتدت الأحوال وصار الطعن يمينا وشمال وحكمت فى الجماجم السيوف الصقال وقر الجبال من القتال وترنح الشجاع فى مرجه ومال وانقطعت من الحياة الآمال فلما انتصف النهار ما بقى فى القوم إلا من انتشا وشكى بعد الرى عطشا ومن شدة الغبار أستوى عندهم النهار والمساء وصار الجبان عندهشا لما أكتسى ضوء النهار غلسا وفرق عنتر بسيفه المواكب وكر كب الفرسان من المواكب وتلاقى مع الأخيل تحت القتام وهو يجول على بنى عبس بحد الحسام ويصيح يا بنى عمى دونكم ونهب أموال هؤلاء الأنذال فلما سمع عنتر مقاله زاد منه البلبال له إلى أين يا سلاله الأنذال فدون سبى الأموال طعن يهد شوامخ الجبال ويشيب مفارق الأبطال ثم أشار بقول

دع عنك يا ندل المحال والطمع ... فدون أخذ المال هول نار تطلع
وسيف عبد كلما مال قطع ... لولا الصحر الأصم لا نقطع

(قال الأصمعى) ثم أنه صدمه بعد هذا المقال صدمة الأسد الريبال وطعنه فى صدرة أطلع السنان يلمع من ظهره فصار قتيلا وفى الأرض جديلا ولما نظرته بنو حريقه حل بها

الخوف والوجل وطلب ساداتهم عنترة من سائر الجهات بألسنة السمهريات وهم ينادون شلت يداك يا عبد يا زنيم يا لئيم لقد قتلت فارسا ما ولدت مثله الجزائر فسوف نزيك ضربا يحير النواظر ويشتت الفكر ويبهت الخواطر فظن فيهم عنترة الأسد الكاسر وقال لعن الله من بقي منكم نادى أو حاضر لاجل أن تتعلموا مكارم الأخلاق وتعرفوا حقوق الرفاق وأغمد سيفه الظامى فى قمعها وكلاها ولله در مقرى الوحش من أسد ريبال فما أعظم شدته فى تلك الأهوال فكثيرا ما طرح من الأبطال وكذلك مجير أبو مسيكة ومن معه من الرجال ودام الأمر على ذلك الحال حتى ولى النهار واستحال ودنا وقت الزوال فانهزم بنو حريقة وطلبوا الجبال وتركوا الأموال والعيال لأنه وقع بهم ما لم يخطر لهم على بال فعفى بنو عبس عن الاموال والعيال وعادوا عند المساء إلى الأطلال وعنتر بين أيديهم مثل الأسد الريبال وبجانبه مقرى الوحش وابن أخته الهطال وعنتر ينشد ويقول

حكم سيوفك فى رقاب العـــذل ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وأترك مجازاة اللئام وقربهم ... أن الكرام عن اللئام بمعزل
وإذا بليت بظالم كن ظالما ... وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
وأختر لنفسك منزلا تعلو به ... أو مت كريما تحت ظل القسطل
وأسمع مقالة عارف قد جربت ... أفعاله أهـــل الزمان الأول
وإذا الذليل نهاك يوم كريهة ... خوفا عليك من الرماح الذبل
فاعصى مقالته ولا تحفـــل بها ... وأحمل إذا حق اللقا فى الأول
فالموت لا ينجيك من آفاته ... حسن ولو شيدته بالجندل
فلقد نكبت بنى حريفة نكبة ... لما طعنت صميم قلب الاخيل
نادوا إلى فما أجب نداهم ... إلا بضرب كالقضاء المنزل
أمست زبيبة فى الظلام تلومنى ... خوفا على من ازدحام الجفل
وأتت تخوفنى الحتوف كأننى ... أصبحت من عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها أن المنية منهـــل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل
كفى كلامك يا زبيبة وأعلمى ... انى امرؤ سأموت أن لم أقتل
والخيل شاخصة الوجوه كأنما ... تسقى فوارسها نقيع الحنظل
أمى زبيبة لست أنكر أسمها ... سوداء يشرق جيدها فى المحمل
الساق منها مثل ساق نعامة ... والشعر منها مثل حب الفلفل

أبى فشداد الحسام المقتضى عند القراع حدوده لم تفلل
أنا إذا الداعى دعانى ليلة إحدى ليالى الشر لم أتعلل
أسعى اليه ولا دعانى جاشما بين النساء مع الجبان الاعزل
وكذا المنية لو تمثل شخصها لى فى للعجاج طعنتها فى الأول
لانسقى ماء الحيا بمـــذلة فى العز أسقى نفيح الحنظل
مـاء الحياء بمذلة كجهنم وجهنم فى العز أخفر منزل

قال الراوى فلما فرغ عنتر من أبياته طربت لها السادات وقاله مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لقد جمعت الفصاحة والشجاعة والبيان وسبقت فى منازل أهل الزمان فشكره عنتر على ذلك الكلام وأعطاه ما غنموه من الأموال فصار لمقرى الوحش نعم عظيمة وأموال جسيمة (قال الراوى) ثم أن بنى عبس بعد أن خرجوا من جبال بنى شهلان قاصدين أرض اليمن خوفا من النعمان تقدم عنتر بين يدى الملك قيس وقال له أيها مقرى الوحش قد فارق بلاد الشام وتغرب معنا فى هذا المكان وقاتل معنا وقتل الفرسان والرأى عندى أن تساعد على زواج ابنة عمه ايزول بذلك همه ويطيب له عندنا المقام وينفى بلاد الشام قال فلما سمع الملك قيس هذا الكلام أظهر الفرح وابتسام وقال لعنتر افعل يا أبا الفوارس ما تريد من الأحكام وتحكى فى أموالنا والانعام فأمر عنتر العبيد بذبح الاغنام ففعلوا ونصبوا قدور الطعام فطبخوا ثم صفوا آنية المدام وصار بنو عبس فى لذات وأكل وشرب مدام ثلاثة أيام وكسى عنتر الارامل والايتام وعمر بالخير الخاص والعام وخلع على مقرى الوحش خلعة من ملابس كسرى ما نظر أحد مثلها فى الورى والبست عبلة لمسيكة من أجل ملابسها وضربت قبة الزفاف فى تلك الساعة بلا خلاف ودار وا بها الجوارى والبنات وضربت الدفوف من سائر الجنبات ورقصت البنات وتعجبت من جمال مسيكة جميع الحضار وأجلوها عليه فى ذلك المكان وبات معانقا فرحان وانقضى العرس والمرجان (قال الراوى) وعند الصباح بدوا فى الارتحال وبنو حذيفة تنظر اليهم من أعلى الجبال ويتعجبون من ثيابهم فى الحرب والقتال وقلوبهم فى نار الاشتعال والملك قيس يقول يا بنى اعمام ارحلوا بأمن من هذا المكان حتى نبعد عن ذلك النعمان ولا يعود يسمع لنا خبر على طول الزمان ثم أنهم ساروا واستقبلوا القفار وعروة وعنتر ومقرى الوحش يحرسونهم فى الليل والنهار وما زالوا على ذلك الحال أياما وليالى حتى شكت النساء من تواتر السير والترحال فقالت الجمانة بنت الملك قيس يا أبناه نحن سائرون ام الأرض سائرة بنا لا نى يدى الكثبان وتلال الرمال تسير بنا وقد اخذنا والله التعب والعنا قال فلما

أن سمع أبوها مقالها اسكتى لا تشمتى الأعداء بنا فتصيبنا الفضيحة والعنا قال فلما كان بعد أيام قلائل وقعوا فى أرض يقال لها ذات المناهل وهى كثيرة الماء والعشب والكلا وأسعة الاقطار والفلاوفيها أشجار باسقة وأطيار ناطقة تسبح من له العز والبقاء وروائح زكية عاقبة ومنازل ومراعى رائقة فنزلوا منازلك وقد أمنوا على الحريم والبضائع وسرحوا أموالهم فى المروج والمواضع وضربوا خيامهم على العيون والمتابع وانفرشوا فى تلك الأرض وابتهجوا فى طولها والعرض فقال الملك قيس هذه الديار تتخذها اناوطنا ونجعلها لأهلنا سكنا ونحميها بسيوفنا ورماحنا والقنا قال الراوى وكان بالقرب من تلك الأرض عرب يقال لهم بنو سفدوهم أهل تلك الأرض من قديم الزمان وكانوا خلقا كثيروعلم غزير وفوق وحلل متصلة ببعضها فى الأطلال وكان سيدهم والحاكم عليهم من دون الابطال يقال له معاوية ابن النزال وكان معدوداً من جملة الأبطال وكان بنو سعد مطيعين أمره وساممين لقوله إلا أنه لما سمع بنزول بنى عبس فى أرضه جمع وجوه قومه وعشيرته وأصحاب الرأى من جماعته وقال لهم يا بنى عمى هذه طائفة بنى عبس وعدنان قد خاضوا بلادنا وزاحمونا فى أرضنا ونزلوا علم مراعينا وقد سمعت أنهم هاربون من الملك النعمان وساقوا جميع أموال القبائل والعربان وأخاف أن تدخل العسكر خلفهم تطالبهم بالثأر وينزلوا فى الديار وتنهب أموالنا أموالهم وعينا وعيالهم وعلى أننى ما أدرى على القوم مقيمون أو راحلون لأنى ما أرى أحدا منهم قبل أن يصل الينا بعض قال الأصمعى فاختلف القوم لما أن سمعوا كلام سيدهم فبعضهم قال الصواب أن تدعنا نسير اليهم فى الليل ونكبسهم وتنهب أموالهم ونأخذ جميع مانهبوه وما جلبوه لأن هذا رزق ونأخذ ما معهم من السلب وما فيهم إلا من قال يا ملك الصواب أنك لا تسمع كلام الجهال ولا تفعل الكرام الرجال ولا يدخل عليهم المحال والصواب يا ملك أننا نحسن اليهم فى المعاشرة والجوار لأن أفضل الناس من يرد لهفه الملهوف ويحسن إلى الجيران والضيوف ولا سيما هؤلاء القوم الذين ذكرهم فى البلاد والقبائل قد شاع وقد تحدثت الحاق بشجاعتهم فى ساير البقاع والصواب يا ملك أنك تمن عليهم بتلك الغدران وتشكر الرب القديم رب موسى وإبراهيم الذى أوسع البيدا وأخرج الينابيع والمرعى وصيرلها نسمه تسعى وقد عظم قدر الكعبة الفرار أبى قبيس وجرى وأوسع لك فى الأرض وأحوج كرام الرجال إلى حماك فقال معاوية والله يا بنى الاعمام إنى لست أدرى أن كانت هذه الابطال راحلة ومقيمة حتى أعمل على قدر ما أرى لاتى أخاف

أن يداخل القوم فينا الطمع فيحل بنا الهلع ولا بد أن نكشف أخبارهم حتى تظهر لنا حقيقة أمرهم وإلا أن سكتنا عن كشف أخبارهم فلانا من شرهم على أنى متعجب كيف أنهم عبروا من جبال شهلان وبنى حريفة الشجعان وفارسهم الأخيل سيد الفرســـان ثم أن معاوية قد صرف الجماعة وأحضر بعد ذلك عجوز كانت قد ربته وكان منها الفصاحة فقال لها يا أمى أنا أعرف أنك وافرة العقل حلوة الكلام خبيرة باحوال الناس وأريد منك أنك تركنى ناقتك وتدخلى خيام بنى عبس وتظهرى أنك محتاجة وتحدثى مع نساتهم وتسألين عن حالهم وأى سبب أدخلهم إلى هذه الأرض وتنظرى أن كانوا مقيمين أم راحلين لأن النساء يخبر بعضهم بعض بما لا تخبر الرجال نقص العقول فقالت السمع والطاعة ثم ركبت فى الوقت والساعة حين توقد الحر وسارت حتى دخلت على الخيام والقباب فرأت نعما لا تعد ولا تحصى ولا توصف ومارالت تخترق الخيام حتى عبرت على أبيات بنى قراد فرأتها بالحسن والزينة وأكثر جمال فوقفت بالأمر المقدر على باب وسمية وطلبت الماء لتشرب فخرجت وأسقتها وأبصرتها فرأتها حزينة فتعجبت وحلفت عليها وأنزلتها عن ناقتها وسألتها عن القبيلة فحدثتها سمية بجميع ما جرى لهم مع بنى فزارة وقصة أولاد بدر وكيف طلبهم الملك النعمان وكيف نزلوا على بنى حريقة الشجعان وما فعلوا معهم من الغدر والعدوان وكيف نهب بنو عبس أموالهم وقتلوا رجالهم قال الراوى فبينما هى معها فى الحديث وإذا بعبلة بنت مالك بن قراد دخلت اليهم وهى مزينة بالحلى والحلل والجوهر المكلل وهى كأنها البدر الزاهر وعليها الجواهر والعقود والجواهر فلما رأيت العجوز هذه فقالت لها هذه امرأة غريبة الأهل والدار اعجبنى كلامها فلما سمعت عبلة من سمية هذا المقال التفتت إلى تلك العجوز وقالت لها يا عجوز اخبرينى من هو المقدم عليكم فقالت يا ستاه معاوية بن النزال فقالت عبلة ولما أتى إلى الملك قيس يسترضاه أما سمع الكلام عليه إذا عدت اليه واطلبى منه أن يكرم ملوكنا وأبطالنا حتى اننا نكف عنه الأذية فقالت لها العجوز وهى باهتة إلى حسنها وجمالها ومن أكون انا حتى أصل اليه واشير بهذا الكلام عليه ثم انها أطالت عبلة الحديث وخرجت عبلة إلى أبياتها وبقيت العجوز متفكرة فى محاسنها وذاتها ثم أن العجوز قالت لسميت من تكون هذه الجارية هل هى زوجة ملككم قيس أو ابنته فقالت سمية لا هى زوجته ولا هى ابنته وإنما هى عبلة بنت مالك بن زوجة عنتر بن شداد وهو عبدها وحاميها وموقد نار حربها ومصطليها

وهو عبد أسود إلا أن قلبه أقوى من الصخر والجلد ثم أنها عادت عليها فعالها وقائعه ومن قتل من الفرسان والأبطال فقالت لها العجوز ان الملبوس الذى عليها وهى تلك العقود ما يقدر عليها أحد من الملوك فقالت سمية ليس هذا الملبوس والعقود من العرب انما أخذه بعلها من ملوك الروم وملوك العجم والبسها اياه ولها من القلائد والعقود والجواهر والتحف شىء كثير وعندها ايضا تاج الملك كسرى ملك الفرس والأعجام الذى تملك مثله العربان لا أحد ملك ملكه فى سائر الصحراء (قال الراوى) وما زالت العجوز تسمع عجائب الخبر عن عنتر وصفته حتى برد الهوى فقامت إلى ناقتها وسارت إلى بنى سعد ودخلت على معاوية بن النزال فسالها عن بنى عبس هل هم راحلين أم القيمين فقالت له دعنى من هذا الحديث ثم انها ردت علته ما سمعته وما أبصرت وعاينت من محاسن عبله وجمالها وقدها واعتدالها وما رأت عليها من العقود وما سمعت من المقال فتغيرت الأحوال لما سمع ذلك المقال وقد أخذه الوسواس والخبال وصاح من كثرة ما جرى عليه يا للعرب أن هذه الجارية تكن لهؤلاء القوم سبب وانا اذا لم أنظرها وأنال مرادى إلا طال سهادى ثم انه استعاد الحديث ثانيا وثالثا من حلاوته وقال يا أماه أوقعتنى بحر الغرام فقالت له العجوز وكان اسمها حليمة يا ولدى لا تضيق صدرك فان القوم نازلون فى أرضك وان الجو بريه قالت لى خل ملكم يعرض أرضه ومراعيه عدا بطالنا وملكنا وهذا الحديث كان منها وهى مورده الخدود وهو النهود خارجة من تحت البخانق والعقود والأمر يا ولدى كله يرجع ويعود وأنا أبذل لك فى اجتماعك كل المجهود وان عجزت أنا أفعل ما بدا لك ولكن يا ولدى لا تطمع لتقلهم فانى سمعت من فالمرأه التى أضافتنى عن ابطالهم يحير والفكر والقول فان ازدت هلاكهم فاكسبهم فى الليل وكاثرهم بالرجال والخيل فقال لها معاوية هذا امر ما احمل همه لانى ان اردت اهلاكهم ما تركت النهار حتى يمضى عليهم وما منعنى عن ذلك الا عقل قومى والساعة فقد حدثتينى بحديث حتى يطيب به قلبى فقالت العجوز قد عولت ان آخذ من عبيدك عشرة وأسير إلى بنى عبس وقت الهجير واكمن بالعبيد فى التلال وادخل إلى المرأة التى اضافتنى واقول لها ياستى انا عدت إليكى لما اعجبتنى اخلاقك وحسن شيمتك وما أعطاكى رب السماء من الفصاحة وأيضا لما رأيت حسن عبلة وصفاتها وحسن جمالها واريد ان آخذ البنات وهن وضجيج الجمال فقلن لى يا اماه ما فينا احد يقدر يدخل إلى تلك المضارب من الهيبة وقد قعدن

إلى الأرض من شدة الحياء والفزع وقلن بالما بقى إلا اننا نستريح ونرجع بلافائدة فلما سمعت منهم ذلك الخطاب تألم قلبي بالعذاب والحسرات ومع ذلك ما خرجن من الخباء وما نظرهن أحد فتركتهن قريبا من الخيام وأتيت لكي أسأل لكن الخروج معي اليهن لأن افضل مكارم الاخلاق مشي الستات إلى الجرار وأفضل الناس من جبر القلوب بعد الانكسار قال فلما سمع معاوية هذا الكلام خف عن قلبه ما كان بخده من الغرام ولما اصبح أحضر عشرة عبيد جلاد يدخرهم للامور الشداد وقال للعجوز أنا أعلم أن الجارية ما تخرج من الخيام إذا تظلى عليها ذلك الكلام إلا معها جماعة من الاماء والخدام وهذه العبيد العشرة يكونون معي حتى لا يفلت منهم إنسان فقالت العجوز ما بهذا من باس ثم إنهم أخذت العبيد وسارت إلى أن بقيت بظاهر الخيام وقالت لهم اسبقوني إلى المكان الفلاني واكمنوا في نواحيه آتي الكم وسارت العجوز حتى أنت إلى أبيات سمية فوجدت عبلة عندها بالاتفاق ففرحت بذلك وقالت لهن والله ما بقى لي عنكم صبر باستات ثم قصت عليهن ما ذكرنا من الصفات ففرحت سمية بتلك المقالات والساعة أولادك بظاهر الخيام فقالت والله يا ستات وقد تركتهن بين الاشجار فقالت سمية لعبلة ايش تقولي في حبر قلبها والفرجه اليوم على بناتها والعودة عند المساء فقالت لها عبلة ما هذا صواب لاني أخاف من ابن عمي عنتر ان يعتب علي إذا سمع هذا الخبر اقالت أنا أكفيك هذا الوجه وأقول أنا الذي اخرجتك لكن اخفي هذا الحال عن بنات عمك فهمت عبلة أن تذهب مع العجوز في البر والآكم رإذا بعنتر قد أقبل وهو يدمدم وهو ملآن غيظا وحرر فقالت له سمية ما حالك يا أبا الفوارس فقال لها إيش يكون حالي والربيع بن زياد والملك قيس قد اتفقوا أن ياخذوا قطعة من المهارة والنوق والجمال ويسيروا إلى معاوين النزال ويبرطلوه بها وإن فعلوا ذلك فما يبقى احد في تلك الديار الا ويطلب منهم مثله وأما ما كان عندي رأق إلا إذا ما كان هو راض بجوارنا والا كنا قلفنا آثاره وخربنا ديار وحمينا هذه الأرض بقوائم سيافنا لحفظ حريمنا وأموالنا قال الراوي ثم التفت فرأى تلك العجوز وهي كانها اللبوة الشمطاء او الحفظ الرقطاء إلا انها لما رأت عنتر تجمعت في بعضها وبهتت إلى عرض اكتافه وطول قامته فنفر قلبها واصفر لونها فقال عنتر لسمية من تكون هذه العجوز الغريبة فاخبرته سمية بحالها وقالت له يا أبا الفوارس هذه اجتازت علينا أمس وطلبت منا ماء فسقيناها وذكرت أن لها بنات اتوا فنظرون إلى عبلة وهم خارج الخيام ولولا قدومك خرجنا اليهن بغير علمك والآن ما بقينا نخرج إلا برضاك وعن إذنك قال الراوي فلما سمع عنتر ذلك الكلام خفق قلبه على بنت عمه وعاد يكرر النظر إلى تلك العجوز فزاد به الغيظ وسل حسامه ونهض إلى حار

وحشى قد اصطاده عمرو ابن عمه وهو على باب الخباء فضربه بالحسام قطعه قطعتين وصاح فى العجوز ويلك يا عجوز النحس أن لم تصدقينى الحديث وإلا شطرتك مثل هذا الحمار بالسيف قصفين أما انت داية معاويه ابن النزال ولما جئتنى هاهنا وعدتى اليه ووصفتى له ابنة عمى فانفذ معكى بعض العبيد لتأخذى بنت عمى بالخديعه والمحال وتسلميها اليه فى الحال الحديثينى بالحق يا بنت اللئام وإلا جعلتك ملحفة على الأكام » وكان حدث عنتر بذلك الحديث عبد من عبيد معاوية بن النزال وكان يحب أمه من بنى عبس كان تعلق بها لما نزلوا فى ذلك المكان فقالت له العجوز ياولدى لا تفعل فانى امرأة غريبة ومن أنا حتى يسيرنى معاوية إلى ما ذكرت ثم أن العجوز قبلت أقدامه وجعلت تتعطف بخاطره فاستحيا منها ومن سميه وقال لعبله احفظيها حتى أعود ثم صاح فى أخية سيبوب فتقدم له الجواد وخرج إلى ظهر الخيام ثم قصد إلى كثبان الرمل وكان العبد وصفها له وإذا بالعبيد هناك كامنين فقال لشيبوب خذ عليهم الطريق التى لبنى سعد ففعل ما امره به أخوه وهم تسع عبيد وكان العبد العاشر قد اختفى وهرب فقال لهم عنتر باويلكم إن العجوز الذى أتت بكم إلى هاهنا ضربناها فاقرت عليكم فقال العبيد نحن مأمورين والعجوز أطمعت معاوية بالمحال وأتت بنا لنأخذ عبلة فعندها ضرب عنتر رقاب الجميع وعاد إلى العجوز وقد امتلأ حنقا عليها وأخبر عبله بالأمر فخنقها وأتى العبد الذى أخبره وطلب منه الأمة فاعطاه إياها وقال له أقم عندنا فقال شيبوب يا أخى نحن قتلنا هؤلاء العبيد وقلبى حاسب حساب آخر وهو أن العبد الذى هرب فانه يخبر معاوية بن النزال بهذه الفعال ويكون الملك قيس وصل اليه هو وسائر أخوته بالخيل والجمال فيقبض على الجميع ياخذ كل ما وصل معهم وان كان حصل فى قلبة هوى عبلة فالشيطان زين له هذه الفعال ولا بد ما تثير علينا هذه الديار والأطلال وتطلبا سائر العشائر التى تطيع معاويه بن النزال وتطلبنا بعد قتل سادتنا للقتال فقال له عنتر وقد رجف قلبه من ذلك الحديث والله يا أخى لقد حسبت حساب الرجال وهذا أمر يؤدى إلى الوبال إذا لم نحسن اليه التدبير وإلا أوقعنا رأى الربيع فى أمر كبير ثم أنه أحضر أخاه جرير وقاله يا أخى أن المساقد أقبل بالافساد والملك قيس واخوته مضوا إلى معاوية ابن النزال وأنا اخاف عليهم من امه بال فالبس ثياب حيلتك وقد همتك وأذهب إلى بنى سعد واكشف أخبارهم وعد الينا واخبرنا باحوالهم فقال له سمعا وطاعة ثم أنه غير لباسه وسار من تلك الساعة وبعد ذلك ارسل عنتر إلى مقرى الوحش وفرسان بنى عبس وأخبرهم بما جرى وأمرهم بالاستعداد قال الراوى وكان الملك قيس قد ترك مكانه أخاه الحارث وركب هو وباقى أخوته واهله وعشيرته وتبادرت الخيل للمسير فى ذلك الشأن ولم يبق فى الخيام

غير النسوان وقليل من الفرسان إلا أن الليل ما انسدل حتى وصل جرير من بنى سعد حضر قدام أخيه عنتر وقال له والله يا أخى لقد صدق شيبوب وما أخطأ لأن سادتنا الكل فى الأسر والاعتقال عند معاوية بن النزال فقال عنتر وكيف كانت قصتهم أخبرنى بالحال فقال له ياأخى لما وصلوا إلى عند معاوية بن النزال بالنوق والجمال وطلبوا منه الذمام ورقوا له فى الكلام زاد طمعه فيهم لأنه كان عول أن يغدر بنا ويسقيك دمائنا لكن محبته لعبله أشغلته عنا لأن العجوز له وصفتها وزادت فى المعنى وأشارت عليه أنه لا يحرك ساكن حتى تحضر بها اليه فجرى ماجرى وأتى العبد وأخبر بالخبر وما جرى لرفقته فتغيرت حالته وقال لأصحابنا ويلكم يا أنذال الحجاز تقتلوا عبيدى ودابتى وبعد ذلك تطلبوا حمايتى ثم أنه أمر فرسان عشيرته أن يقبضوا عليهم بعد ما كلمهم الكلام الشنيع وخرق حرمه الجميع وما أتيت اليكم إلا وقد ثارت اليكم بنو سعد من جميع الأماكن وعولوا أن يهجموا عليكم عند الصباح فقال عنتر لمقرى الوحش ماذا تقول فى كبس هؤلاء الأنذال ودهمهم من قبل أن يجمعوا جموعهم من من الجبال فقال مقرى الوحش نعم ماذكرت من المقال فقال جرير ما لكم عليهم قدرة بالليل لأنهم خلق كثير مثل الرمل السيال وهم بالقسى والنبال فان كبستموهم فما تبلغوا منهم آمال فقال عنتر يا أبن الزانية لم ندهمهم بالليل وننزل بهم الحرب والويل وإلا طال علينا المطال ويجمعوا الأبطال وتتعب معهم فى القتال فقال شيبوب أن لم تسمعوا منى ذلك المقال وإلا وقعتم فى الويل والعنا وأنا وأعلم إذا وقعت العين على العين يرمون أرواحهم عليكم ويطمعون فى نهب أموالكم حتى إذا أشرف الاعداء على منازلكم ورأوها خالية زاد طمعهم ويقولوا لما سمعوا باسر ساداتهم نجوا فى الحال بانفسهم ثم يشتغلوا بالنهب عنكم لان أكثرهم رجالة ولا يصل اليكم إلا بعض الفرسان فتقاتلوهم وتنزلوا الذل والهوان قال فلما سمعوا فرسان بنى عبس من شيبوب ذلك الصواب رأوه عين الصواب فقال شداد وأى طريق يذهب اليه وأى مكان تعتمد عليه فى حفظ الحريم والأموال فقال شيبوب بين أيدينا مكان يسمى عقبة الفروق وهى شعاب ومضايق ومنها ينزل الإنسان إلى البر المنقطع القليل السكان فالصواب أن تنفذ قدامنا العبيد إلى تلك العقبة بالنسوان والعيال فاذا نصرنا على أهل تلك الديار قطعنا البر والقفار فقال عنتر أعملوا ما بدا لكم وكل واحد يوكل بحريمه حارسا شديد فعندها شدوا الرحال العبيد وتأخرت الرجال الصناديد وما مضى من النهار ساعة حتى انقضت الأشغال ودارت بنو عبس بالهوادج واستقبلوا عقبة الفروق ونظر عنتر إلى عبلة فرآها تبكى فقال لها لا تخافى يا بنت مالك من أعداكى وأنا وراكى

فلا عاش من يشنا كى ثم شدها على جمل وجعل محملها فى أول المحامل وعاد إلى صاحبة وهو ينشد ويقول

حدثى نفسك العزيزة بالأمن ... ولا تفزعى من الأنهتا كى
وأقلى بكاك يا قرة العين ... أن فى القلب لوعة من هواكى
فهما يخبراكى عن فعل ليث ... هزم فى الورى إلى أعداكى
يصيد الأسود فى وسط قفر ... ويجندل فكل قرن محاكى

قال الأصمعى وفعل مقرى الوحش بزوجته مسيكة مثل عنتر وكذلك فرسان بنى عبس وساءوا تحب غسق الدجال وتركوا النوق والجمال هذا ما جرى لهؤلاء الأبطال وأما ما كان من معاوية بن النزال فانه لما أن قبض على قيس وأصحابه وأرسل الخيل إلى الحلل كما ذكرنا وأعلمهم بنزول بنى عبس وأخبرهم بما معهم من الأموال والذخائر ولما شاع ذلك الحديث زاد الطمع فى رؤس الرجال وتادروا إلى الجنائب وأمتلا البر بالراجل والراكب وأراد معاوية أن يسير بهم فى موكب وأحد فما أطاعوه ولا التفتوا اليه بل تسابقوا يطلبوا القتال ونهب الأموال ولما أن أشرفوا على خيام بنى عبس ورأوا النوق باركين بين الأطناب فقال بعضهم أذل الله رجال عرب الحجاز لأنها ضعيفة الجنان وهؤلاء بنو عبس الموصوفى بالشجاعة والقوة والبراعة الذى كانت تتصل الينا أخبارهم بان العرب تحيرت من أفعالهم وها نحن قد رأيناهم أقدر أنفسهم باموالهم وخافوا من الهلاك بهم أنهم هجموا على المضار والخيام ونهبوا الأموال والنوق والجمال قال الراوى ولهذا المقال فينما هم على ذلك المنال وإذا بمعاوية بن النزال قد أشرف عليهم وعلم بحقيقة الحال فصعب ذلك عليه وجعل يصيح على الفرسان ويقول لهم دعوا عنكم هذا المال يا رجال والحقوا بنو عبس من وراء العيال متأهبه للحرب والقتال إلا أنهم ما لحقوا أن يصلوا إلى عقبه الفروق حتى لحقهم بنو سعد فى أرض يقال أرض لها أرض النقا وهى واسعة الفضا تصلح للحرب والقتال والطعن والنزال إلا أنهم ما لحقوهم حتى علت الضجات وصاح بنو سعد من كل الجهات على بنو عبس الأسود الضاريات إلى أين الذهاب يا أندال الحجاب ابسروا بالموت العاجل وسبى النساء والحلائل ثم طلبوهم بهذا الطمع انتشروا فى هذا المقام انتشار الغمام إذا طلع ولما نظر عنتر بن شداد إقبال عرب اليمن الاوغاد قال لبنى عبس يا بنى الاعمام قد أتاكم

الامر كما تريدون فدونكم وهؤلاء الأنذال وجوداو ضرب الحسام الفصال حتى أنهم يعرفوا قدركم عندالحرب والقتال وتقع هيبتكم فى قلوبهم ثم اخترق العجاج وحمل فى أقطارها فحملت بنو عبس ورفعت أصواتها ونادت بأنسابها وكان مقرى الوحش فى أوائلها وقد نكس الفرسان وأباد الاقران وقد نزل فى بنى سعد الطعن بالسنان ولله در بنى عبس عند عودتها فقد شفت القلوب بحملتها وضربت الجماجم فنثرتها وصاح عنتر فى المواكب ففرقها وسفك الدماء وأمرقها فلما نظر بنو سعد من بنى عبس خلاف ما كان فى حسابهم قل نشاطهم وكان معاوية بن النزال قدوقف تحت الاعلام ووقفت من حوله السادات والابطال ولم يزالو وقوف حتى نظر معاوية إلى بوادر مواكبة قد تأخرت وأبطاله قد ولت وضجات بنى عبس من خلفها قدعلت وخيولها قدصهلت ورماحها لمعت والدماء من أسنتها قطرت فخاف عند ذلك على قومـــه من الانفلال فحمل كان معة من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد الريبال فاشتد القتال واختلفت سهام الرجال رجاء الحق وذهب الخال وظل عنتر يبدد شمل بنى سعد فى القفار إلى أن انتصف النهار وصار بعضهم يقول لبعض والله ماعلى وجه الأرض أجل من معاوية لان القوم كانوا هربوا من أضنا فتبعهم بقلة عقله فاخرق هيبتنا معه (قال الراوى) وكان معاوية لما حمل فيمن يعتمد عليهم من الابطال بذال لجهود فى القتال وهو تارة يقاتل يميناً وتارة شمال وتارة يرد الخيل والمنهزمين من بنى سعد إلى الحرب والقتال إلى أن صار القتال مدافعة ومماتعة فلما علم عنتر أنهم ضعفوا عن القتال جد فى طلب معاوية فتميزه معاوية وتمقله فبان له منه الموت الاحمر الذى لايبقى ولايذر ورأى مضاربه مثل الصواعق تخاف على نفسه من البوائق لانه تأملى من رجاله فرآها تنفر من بين يديه كما ينفر القط من الباشق فقال لمن حوله وحق اللات والعزى ماقلنا أن هذه الطائفة القليلة العدد تفعل هذه الفعال وأقول أن هزيمتهم منا فى الاول ما كانت إلا محال وماهو إلا تدبير قبيح الاعمال وأنا وحق من قدر الارزاق والآجال وأرمى بقدرته سوامخ الجبال لايخرج من هذه الديار أحد منهم لا أبيض ولا أسود لانى قد انفتح لى باب من المكر والمحال مايقدر عليه أحد من الرجال ولا بدلى من قطع هذه القبيلة إلى الابد حتى لايقال جرى جرى على معاويه وعلى قومه أوشم الفعال من هذه الطائفة القليلة العدد وأنا الحاكم على من ضرب طنب ودق وتد ثم أنه قال لاصحابه احملوا أنتم عليهم ولاتهابوهم ثم أنه الوى عنان جواده وطلب الهرب فاتبعه خدامه وقومه وقطعوا البر والسبسب فلما عاين عنتر هزيمة بنى سعد التفت إلى عروة بن الورد وقال له يا أبن

العم خذ معك من قومنا الف فارس أجواد واتبع الحريم والاولاد وأنزلهم فى أرض عقبة الفروق وأرض المصانع حتى أنى أسير حلف هؤلاء الاندال وأخلص الملك قيس ومن معه من الاسر والاعتقال ونسترد ما لنا هناك من الاموال قال ففعل عروة ما أمر به عنترة فى الحال وسار عنترة بباقى الرجال من بنى عبس الابطال فهذا ما كان من أمر هؤلاء من المقال (وأما ما كان) من معاوية بن النزال فانه لما وصل إلى قومه رآهم فى خيام بنى عبس مشغولين بنهب النوق والجمال وكانوا قد أقاموا الجمع الاموال وهم فى أطراف الخيام إلى أن أقبل عليهم معاوية ورآه قومه وهو عائد مهزوم لا يعقل على نفسه من شدة الخوف والفزع ورأى بنى عبس خلف المنقطعين فاخبرهم حال بنى عمهم عليهم وعلموا أن ملكهم مكسور فسألوه عن حاله وتلك الامور فحدثهم بحديث بنى عبس وما لاقى منهم وكيف بلوهم بالتعس والنكس ثم قال لهم فى آخر كلامه والله يا بنى عمى ما أقول أنه عاد معى نصف العسكر ما نجا منهم إلا من كان جواده سابق وكان له أجل مديد وكل ذلك من الاسود العنيد فلما سمع المتخلفون من ملكهم معاوية هذا المقال وقع بهم الاندهال وقالوا له عد بنا اليهم حتى نلقاهم بالفارس والرجل ونأخذ ثأرنا منهم بالسيوف القواصل وقال لهم معاوية ما هذا صواب لانهم خلفنا يحثوا الركاب وأنا أعلم أنهم ما بقوا يندفعوا عنا إلا بكثرة الرجال وأن التقيناهم مددونا على الرمال وسبوا حريمنا والعيال وقال وإن لم أخدعهم فسيقلعوا أثارنا ويخربوا ديارنا ويسبوا نساءنا فقال العقلاء منهم وكيف ذلك وما الذى تريد أن تفعل وما خطر ببالك فقال معاويه أن الذى خطر ببالى أنى أدخل على سادتهم الذى عندى فى الاعتقال وأظهر لهم التخضع والاذلال واعتذر اليهم فعلت من الافعال ثم أطلقهم بشرط أنهم يرموا لنا حريمنا والاموال فان أجابوا ذلك خلعت عليهم وسيرتهم إلى قومهم والعيال وبعد ذلك أسير بكم إلى أرض المصانع لبنى تميم ونأخذ أموالهم والحريم لانهم قد سيروا العيال إلى عقبة وأرض المصانع فى طائفة قليلة تبعونا بعد ذلك ليخلصوا ملوكهم من أيدينا وما بقينا بنا منهم غرض إلا بهذه الاعمال لاننا إذا شبعنا الابطال الذين قد ساروا مع الحريم والعيال بفرسان بنى تميم وهال علينا ذلك الامر العظيم فتبقى حريمنا فى أمن منهم إذا تحرسنا بهم لرفقائهم ونرجع بعد ذلك نقطع أقصاهم وأدناهم فلما سمعوا بذلك المقال استصوبه الذين جربوا القتال وأما المتأخرون فانهم استعجزوه وصاروا يقولون والله ما ترك هذه الغنيمة إلا عجزو مهانة فقال معاوية يا بنى عمى لا تقولوا هذا المقال وأطلبوا لانفسكم الفرج من الملك المتعال لانكم تعلمون أنى فارس اليمن وشجاعتى

يضرب بها المثل فى أرض صنعا وعدن ومالى من يقاومنى إلا جابر سيد بنى تميم وقد رأيت ما قد أهالنى من الفارس العظيم الذى لبنى عبس المدامير وأقول أنه زوج الجارية التى وصفتها إلى دايتى وقالت أن إسمها عبلة ومن أجلها جرت علينا هذه الدبلة وجميع المصائب ولا بدلى منها ولو قطعت بالسيوف القواضب لأنى لا أريد شيئا من الغنائم غيرها ولا سواها وأنتم فى حل من جميل الأموال ومع ذلك قد رأيت بعلمها لا يقاس بالعبيد ولا يقطع فى جلده الجديد ثم أنهم قالوا حدثنا بما رأيت فصار يحدثهم بما رأى من شجاعة عنتر وما قاساه فى البر الأقفر إلى أن وصلوا خيام بنى عبس وهم بالتعس والنكس فاقبلت عليهم طائفة بنى عبس وهم يحرون زماحهم فى شعاع الشمس فلما قاربوا الخيام زعقوا يا آل عبس الكرام فما وجدوا حتى تقطع منهم الأوصال وتخرب ديارهم والأوطان فقال مقرى الوحش لا تعجل يا أبا الفوارس ولا تفعل ذلك فاننا ما نعلم ما جرى بين أيدينا ونخاف من حيلة علينا والصواب أنك تمهلنا إلى الصباح وتسير بنا إلى بنى سعد الأوقاح ونمكن منهم الصفاح قال فلما سمع عنتر منه ذلك اقال إستصوبه وكانوا بنى عبس لما نظروا الأموال على حالها فرجعوا بوقوع هيبتهم فى قلوب أعداهم وقد قال لهم عنترة والله يا بنى عمى لو عدم إلى أحدمنكم عقال لأخذت فيه معاوية بن النزال وأنا أعلم أنهم ما مضوا الا فى طلب الزمام من الملك قيس على جريمهم والعيال والأموال (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ثارت بنو عبس الأوقاح وقد ركبوا الجواد وطلبوا بنى سعد الأوقاح وأقبل عليهم الملك قيس ومن كان معه من الرجال الكل على هذل الخيول والعوال وعليهم الخلع الغوال قال فلما رآها عنتر على هذه الحالة وعلم أن حسابه قد أصاب وأن معاوية قد أخذ من الملك قيس الذمام والحريم والعيال فعند ذلك ترجل عنتر وسايرالأبطال وهنوا سادتهم بالسلامة من الاعتقال وسال عنتر من الملك قيس عن حالة فاخبروه بما جرى له مع معاوية بن النزال يعلو همتك يا أبا الفوارس تخلصنا من الأعتقال والعيال وقد أعطاه الذمام وأعرض بعد ذلك علينا سائر أمواله والديار والأطلال فما قبلنا منه عقال ثم أنهم عادوا معه إلى الخيام وهم فى غاية السرور التام بالنصر على أعداهم التام ثم تفرقوا واجمعوا أموالهم وقد قضوا باقى ذلك اليوم فى أشغالهم وقد استرحوا تلك الليلة من التعب ولما كان الغد سار وا يطبون عقبة الفروق وأرض المصانع ومعهم الملك قيس ولا علام والرايات وأبطال عشيرته خلفه مثل السباع الضاريات وعنتر قدام الجميع إلى جانبه مقرى الوحش أبو المهمات وفرسان بنى قراد ولما بادى أنشد يقول هذه الابيات

رعا الله ربعا بالحمى ظل باكيا ... وأصبح منا موحش الدار خاليا
رحلنا وأووحشنا الحجاز وأهله ... أيامنا من بعده والليالي
وما بلغ النعمان منا مرادة ... ولا نحن قلنا وأشماته لعاديا
وكان لنادون الفرق مواقعا ... محلنا بها ذكر السنين الخواليا
حلفت لقومى القتل يقرع القنا ... يمينا بمن أرسى الجبال الرواسيا
بانى أرد الخيل وهى خليـة ... وفرسانها مابين باك وشاكيا
وصلت عليهم صولة عنترية ... بفرسان عبس أسم أهل المعاليه
وخليتهم فى جنح ليل كانهم ... قطائع بهم فى خلا وبواليه
ومن قال لى أب وعم ونسبه ... فسيفى وهذا الرمح عمى وخاليه
ولكن قتيلا يدرج الطير نحوه ... وينهشنى وحش الفلا فى الميافيا
وأنا عنتر العبس فارس قومه ... بنو عبس سادة كرام مواليا
سموت على فرسان عصرى بهمتى ... وشعرى وتوكيد لنظم القوافيا

قال الراوى فلما طربت بنو عبس لأبياته وعلموا حقيقة ما ذكره سارروا يقطعون الجبال والعبيد تسوق الخيل والجمال (قال الراوى) لهذا المقال وقد ذكرنا أن عنتر قال لعروة خذ معك الف فارس من الأبطال وتقدم بالحريم والعيال وأنزلهم فى عقبة الفروق والحق الطعن والأموال وكن لهم حافظا ومراعيا حتى نعود فاجاب عروة بن الورد إلى ذلك والحق الطعن والألوان فى عقبة الفروق وإلا ماتسوق الهوادج والمحامل والنسوان متلهفات على الرجال خائفات فعندها بشرهم عروة بن الورد بالنصر وكسر العساكر الذى لبنى سعد وتركهم فى الشعاب (قال الراوى) ولم يزالوا يطعنون الأرض حتى وصلوا عقبة الفروق وأرض المصانع فرأها قفرا خرابا مافيها داعى ولا مجيب إلا الوحش يضرب فى جنباتها عمى الصواب أننا ننزل فى المكان قريبا من الجبل إلى أن يصل الينا باقى العشيرة ثم أنه نزل بذلك الظعن والعيال والبنات والنسوان وعول على طلب الراحة فى هذه الساحة فبينما هم كذلك إذا رأوا خيلا تسابق فى طلب القنص فحرك عروة الجواد نحوهم وطلب بذلك كشف أخبارهم من فزعه على الحريم والعيال وقال وكان القوم من بنى نبهان مع رجل يقال له بن نجاد وكان هذا الفارس أخو جابر الذى ذكره معاوية بن النزال إلا أن دائر هذا هو الأصغر

وقد أتى إلى المكان والأرض التي هو نازل فيها عروة مع الظعن يطلب الصيد والقنص في الف فارس إلا أنهم مازالوا يطردون الوحش حتى صاروا قدام ظعن بني عبس وابصروه فانكروه في أرضهم فتجاري اليه الالاف فارس وتتابعوا من كل جانب ومازالوا يتحدثون في أمره حتى التقوا بعروة بن الورد وهو قاصد اليهم والرجال وصلوا فلما وصلهم وصاحوا عليه يا وجه العرب من أي الناس أنتم ولمن هذا الظعن والعيال فقال عروة هذا ظعن بني عبس وعدنان وأنا من فرسانهم الشجعان ومن أنتم ومن يقال لكم من العربان فقالوا نحن من بني تميم أصحاب هذه الارض والموضع وقد سمعنا أن بني عبس نزلوا على معاوية بن النزال لاجل هذا قعدنا عن طلبهم وأمسكنا عن اخذ أموالهم فاخبرونا ما الذي جرى لهم ولمعاوية حتى رحلهم عن ديارهم وأرماهم عن جواره فقال عروة بن الورد لانه رجل غدار باغ مكار مفسد لا يعرف رفقة ولا يعف عن حرمه ثم حدثهم بما جرى وكيف قاتلوا بني سعد دون عقبة الفروق وقال لهم في آخر الكلام وقد نزلنا في هذه الارض ننتظر قومنا حتى يصلوا الينا ويختاروا منزلا يقيمون فيه (قال الراوي) وكان دائر مقدم السرية قائما مع قومه يسمع كلام عروة بن الورد إلى أن عرف المعنى لعب به الغيظ والعجب وقال لقومه يا ويلكم يفعلوا هؤلاء الاندال بجيراننا هذه الفعال ويأتوا يريدون عندنا منازل وأطلال دونكم واياهم لا تفعوا عن دماهم وانا أقسم بينكم عبيدهم وأماءهم فلما سمع عروة من دائر ذلك الكلام لم يجاوبه دون أن حمل عليه ومد السنان اليه وطعنه بين ثدييه فلما نظر بنو تميم صاحبهم قتل حملوا على بني عبس وعدنان واشتد الحرب والقتال وما انتصف النهار حتى ولى بنو تميم الادبار وعاد عروة وبنو عبس فرحين بالنصر والظفر فقال لهم عروة يا بني عمي كونوا على يقظة قبل أن يجمع بنو تميم حلفاءهم ويأتوا الينا فبات العبيد يشعلون النار ويحرسون المال والنسوان إلى الصباح فعندما طلع عليهم الغبار وقد سد الافطار وبعد ساعة انكشف الغبار وفي الجو تعلق وظهر تحته أسنة الرماح وبيض الصفاح يقدم ذلك والابطال معاوية بن النزال جانبه بطل كانه قلة من القلل فانزعجت بنو عبس من تلك العسكر قال الاصمعي وكان سبب مجيء معاوية انه لما صالح بنو عبس وأخذ منهم الذمام عاد إلى الخيام وهو يتجرع مرارة العشق والغرام ثم جمع عسكره وأبطاله وأرسل إلى جابر مقدم بني تميم وأمره أن يجمع رجال ويسير بهم إلى عقبة الفروق وقال له المراد يا جابر أن تأخذ من العسكر جانب وتتبعهم إلى تلك الطرين وان المال والجمال لكم وأنا آخذ عبلة بنت مالك قال فلما سمع جابر هذا الكلام غيره الطمع وأجاب معاوية إلى ما أراد

وركبوا الخيل وطلبوا تلك المهاد فبيناهم كذلك وإذا بالمنهزمين الذى انهزموا من قدام عروة وأقبلوا من كبد البر واخبروا جابر بن نجاد بقتل أخيه دائر على يد عروة بن الورد فلما سمع جابر سيد بنى تميم الخبر كاد أن يطير من عينيه الشرر وخاف أنه لا يبقى من بنى عبس بشر ثم أن الرجال تنافرت والاعنة خيولها أطلقت وقطعوا بكثرتهم السهول حتى أدركوا بنى عبس فى عقبة الفروق وكان عروة خائفا من بنى تميم فادركوه بذلك الجمع العظيم ولما رأى عروة ذلك الحال نبه رجاله والابطال فعندها أفرغت على أجسادها الحديد وتسربلت بالزرد والنضيد واستقبلت تلك العسكر والابطال وفى دون ساعة جرى الدم وسال وتخضبت البقاع والرمال وتصادمت الرجال بالرجال ولعب الرماح العسال وغنى السيف الفصال وكان ذلك اليوم على بنى عبس الغرر يعد بالف شهر أو أكثر فلله در بنى عبس فى ذلك اليوم الاغبر وما أظهرت من الفعل المنكر ولما أمسى المسا افترق الفريقان من بعضهم البعض وكل منهم نزل فى بعقة من الأرض وكانت بنو عبس فى حال العدم لاجل قتالها لذلك الامم وبات عروة وهو يفتقد جراح الابطال ويسكت الحريم عن البكاء حتى بدت غرة الصباح فتقدم الفريقين فى طلب الحرب والكفاح وكان لهم يوم امر من العلقم وفى ثالث يوم تضعضعت بنو عبس من تلك الامم وقاتلت قتال العدم وعروة صعد إلى الجبل وصعد وراءه الابطال من قومه ووقع النهب فى بعض الخيام وتخاذل بنو عبس وعلموا أنه لم يبق لهم من الموت فكاك ولو كان طال عليهم النهار ساعة واحدة لما بقى لبنى عبس نسمو واحدة فعادوا بعضهم البعض عند أقبال الظلام وصار الرجل لا يعرف اين يضع الأقدام فلما عادوا بنى عبس إلى خيامهم جمعهم حوله عروة وقال لهم يا بنى عمى كيف يكون الحال وقد أشرفنا على الوبال فقال العقلاء منهم يا عروة لما الا ترسل جريرقومنا عسى أن يحثهم على قطع الطريق لعلهم يلحقونا وينقذونا من الهم والضيق وان لم تشد عزمك يا أبا أبيض فى اصلاح أمرك وإلا صبحنا طعاما للوحوش والرخم ونحن نخشى من تأخير ذلك السبب والصواب أن تنفذ العبيد يكشفوا لنا خبر قومنا فان كانوا سالمين وعلى آثارنا سائرين صبحنا القوم وقاتلناهم وصبرنا على بلادهم وإن كانوا قد تم عليهم أمر من الامور وطلبنا لانفسنا الامان ورمينا سلاحنا فؤلاء الفرسان لان القتال فى موضع الغلبة من سوء التدبير لا سيما ونحن ما لنا فيه حل ولا صديق قال فعند ذلك دعا عروة بجرير أخى عنتر وطلب منه كشف الخبر وأعلمه بما قد تدبر فسار جرير من وقته على الاثر واقام بنو عبس حتى طلع الفجر وإذا هم بالرجال قد طلعت كل جانب وكان معاوية

أين النزال ومن معه من الرجال بصيحون على بنى عبس ويقولون ياويلكم ما لكم خلاص من بين هذا الجبل سلموا أنفسكم وأطلبوا الأمان حتى تكونوا من جملة الأعوان وما تيت إلى ههنا الا وعند قومكم عربان بعدد الرمال لأن قلبى معكم أسير فى هوى من وجهها مثل القمر المنير فقال عروة يابنى عمى قاتلوهم ولا تسمعوا مقالهم فقاتلوا واصبروا ولا تأسفوا على الحياة فعندها قالت الرجال صار كل من طلب الراحة ودخل إلى الجبال برده النساء إلى الحرب والقتال إلا أن يكون مثخنا بالجراح هذا والسيف بيدهم والأعداء وقد ضيقوا عليهم وصار فى القتال فى الشعب والمضيق وسدوا على بنى عبس الطريق وقاتل بنو عبس قتال الموت والعدم وأنزلت بهم أهل اليمن والمحن وعلى الحقيقة أشرف عروة ومن معه على الفنا لان عددهم قليل وأعداءهم كثير وهم أهل البلاد ووصل اليهم عسكر واجناد ولولا أن بنى عبس رجال أجواد لما كانوا صبروا قدامهم ساعة واحدة لانهم على الحقيقة رجال المنايا والموت الزؤام وما كان يقتل واحد منهم حتى يهلك كثير من الرجال هذا ولما رأى جابر صبر بنى عبس ترجل عن ظهر جواده وأخذ سيفه وترسه وطلع خلف بنى عبس وصاح على ذلك الحق الكثير وصاح أيضا معاوية على بنى سعد يابنى عمى قلبى حرارة منها إلى الابد ماقام قائم وقعد (قال الراوى) فعندما زاد الأمر على حد القياس وتكاثر عدد بنى عبس عرب اليمن ووقع بالرجال المحن والقتل فى الرجال والسبى فى الحريم وفى ذلك الوقت سمع أهل اليمن صيحات عاليات من رأس عفية وصراخ متصل كانه وعاء الجمال ووقع حوافر خيل على الصفا اشد من الصواعق العصفات وكان ذلك بعد وصول بنى عبس وأبطل عدنان وفى مقدمتهم عنتر بن شداد والملك قيس وهم راجعون يسوقون الجمال بما عليهم من الاحمال لان البيد مع الحريم والعيال قال الناقل لهذا المقال عنتر حدعنا والله معاويه ولما اطلق سادتنا من الاعتقال وبلغ منا الآمال وهذا كله من أجل عبلة ولابد أن اجازيه على فعله ثم أن عنتر ركض فى أوائل الخيل وقد تتابعت من حلفه الفرسان وترك الملك قيس واخاه ومعه مائة فارس لسوق النوق والجمال وركب جواده وخلاص النهب والعيال وماز الوا كذلك حتى اشرفوا على عقبة الفروق قبل المغيب وكان

أول من وصل إلى ذلك المكان عنتر سيد الأبطال وإلى جانبه فازح والهطال ومن خلفه باقي الرجال إلا أنه لما أبصر السبايا تساق والولدان قد أكثروا الصياح والزعيق ورأى عروة ابن الورد يقاتل من دون هودج عبلة ورجال معاوية قد موا اليه أسنة الرماح وأكثروهم من حوله الصياح فاسود في عينيه وسيع البطاح وقال هذا القرنان معاوية يا له اليوم أوشمه عليه ثم ترجل عن الابجر وسلمه لمن يحفظه وسل حسامه الظامي الابتر لان المكان ضيق لا يقدد الخيل فيه على مجال وايضا خيل بني عبس من التعب صارت في أسوأ الاحوال ولاجل هذا ترجلت الرجال وفعل عنتر تلك الفعال ولما رأوه بنو عبس قد ترجل ترجل الباقي وفعلوا مثل ما فعل ورموا أرواحهم على الاعداء لان قلوبهم حنقة عليهم وكان القضا من السماء وصار يقصد الرجال الذين ساقوا الحريم والاماء وينثر جماجمهم بين الاحجار ويخلص منهم الكواعب والاحرار وأما شيبوب فانه كان على الحقيقة كالبلاء المصبوب لاجل خفة سعيه في الجبال وهمزته من فوق التلال وحسن خبرته برمي النبال هذا والصياح قد ارتفع يمينا وشمال والسيوف تعمل في المفارق والاوصال والشجاع قد افتخر ومال والجبان وقع به الانذهال واعداء بني عبس قد غادوا على أعقابهن والسيف يعمل في صدورهم وأجنابهم وما كان أكثر من ساعة حتى عادوا بنو تميم وبنو سعد في أذيال الجبل بعد ما ضربت منهم خمسمائة رأس أو أكثر وانفرجت على بني عبس تلك فعدوا في طلب الراحة وصارب فرسان بني عبس تشرف من رأس العقبة تبصر القتال يعمل فتقاتل ومازال بنو عبس على ذلك العمل إلى أن دخل الليل وبقوا في أذيال الجبل لان رجاله كانوا من المسير ولما أن أخذوا الراحة وأمنوا على حريمهم وصلت اليهم خيولهم ونوقهم وقد نزل العبيد لحفظها من رأس العقبة وكان عنتر قد طمن بنت عمه وسكن روعها وطيب قلبها وقلوب النسوان واطمأنوا من ذلك الصباح ويلومون بعضهم من الهوادج والمال أما معاوية بن النزال فانه لما أن عادو نزل قال لجابر سيد بني تميم كيف ترى من هذه الطائفة عند اللقا والله أن هذه الرجال الذي ذكرتهم لك لافت منهم الاهوال على انهم اليوم كانوا رجالا وكانوا وصلوا من التعب إلى الغاية فاذا صاروا على ظهر الخيل تنظرهم معجب فقالوا والله جابر لا تصف ما لا تعرف والله ما فيهم اشد بأسا من الفارس الذي ترجل في الأول ولا اشد منه ولا أرجل وهو الذي انزل اصحابنا من على الجبل وساقهم سوق الغنم وهو الفارس الأسود الذي ناره في الحرب لا تخمد ورفيقه الاشقر

تام الطول والقامة عريض الاكتاف والاوصال هو الذى يقاربه فى أفعاله ويقاتل دون قتاله وكان يعنى بقوله عن فارس النياق الذى لا يوجد مثله فى الآفاق وآخر كلامه قال له يامعاوية لابد من هلاكك وهلاك هؤلاء الاندال وأخذ أموالهم والعيال وأنا الضامن لك إذلالهم فى البراز لاأترك أحد منهم يعود إلى بلاد الحجاز لأنى اذا أخذت هذا العبد الذى لهم وقتلت ذلك الطويل الاشقر هان أمر الباقى وتيسر وتأخذ أنت يامعاوية محبوبتك فقال له معاوية اقتل أنت ذلك العبد وأنا أكفيك شر عشيرته أجمع لان محبوبتى زوجة ذلك الأسود ولا يتركها حتى يهلك ويلحد وهى والله تستاهل ذلك لأنها تخجل الدر إذا كان الظلام حالك قال الراوى وكان معاوية فى تلك النوبه واقفا فرأى عبلة وهى تصيح بالبكاء بين النساء وتطم على خدودها خوفا من السبى والانتهاك وتهتف أحسن من حمام الأراك ومازال معاوية يصف عبلة لجابر بن نجد سيد بنى تميم حتى أشغل سره بها وقال فى نفسه أنا اقتل بعلها وآخذها ولو طلبها كل من فى الدنيا قتلته عليها ان كانت كما يصف معاوية عن هذا الجمال ولما يصور هذا فى قلبه أراد أن يزهد معاوية فيها فقال له ياوجه العرب تأنف نفسك وأنت سيد بنى سعد ان تحب جعفريه وزوجها عبد فقال له معاوية دع عنك هذا الكلام ياجابر فهذا شىء يرجع اليه أرباب البصائر وحق من كسى الليل حلة السواد وحلق العباد أن هذه الجارية لو تزوجت عشرين رجلا وبلغت من العمر مائة عام كانت أحسن كل من فى البرية من الأنام فلما سمع جابر هذا الكلام زاد به على عبله الغرام والقلق والهيام وقال أنا أعلم هذه النوبة سبب ضرب رقبه معاوية بن النزال ولا يقتله غيرى ان هو ألح فى طلبها قال الراوى ولهذا الأمر كانت عرب ذلك الزمان تسمى الجاهلية لأجل جهلها بالشرائع وزيادة المطامع إلى أن دين القوم كان الصدق فى الكلام واعطاء الذمام واطعام الطعام * ومازالت الطائفتان يحرسون بعضهم بعض إلى الصباح فركب بنو عبس على متون الخيل وانحدروا من الجبل مثل السيل وهم طالبون الحرب والقتال وقلوبهم هلانة على معاوية بن النزال لأجل ماغدر بهم وفعل تلك الفعال وكان عنتر قد حنق عليه لأجل محبته وتوليعه بعبلة فجعل قصده اليه ومقرى الوحش لجابر بن نجاد سيد بنى تميم وتبادروا فارس لفارس وتطاعنوا كما جرت العادة إلا أن جابر اشتهى أن ينظر قتاله ويجربه فى نزاله فقال لبنى عمه يابنى عمى اصبروا بالحلة على قليل وانظروا من منكم يخرج للبراق حتى نجرب قتال فرسان الحجاز فى النزال ولعل العبد الذى ذكر معاوية يخرج اليوم يطلب البراز وانظر صناعتة بالرمح العسال وضربه بالسيف فى المجال لان

معاوية وصفه فى القتال ولما تصور هذا فى قلب جابر خرج عشرة من الأبطال وأوسعوا فى المجال طولا وعرض وتدانى بعضهم بعض فنادى واحد منهم وقد قرب من بنى عبس وقال يافرسان الحجاز هذا يدم الافتخار دونكم والبراز قدام هؤلاء الحضار حتى يبان الفارس المغوار من الجبان القوار قال فلما سمع فرسان بنى عبس هذا الكلام تبادروا إلى القتال والصدام فعند ذلك برز مقرى الوحش فى المجال وحلف وحق الملك المتعال يخرج إلى البراز غيره أحد من الرجال ثم انه قفز إلى الميدان وقال ويلكم يا أنذال العربان وأقل من نزل فى تلك الاطلال والدمن أتحسبون أنكم أبطال وتصيرون على طعن الرماح قطوال فها أنتم عشر رجال تقولوا انكم تقوموا بجيش زائد وها أنا فارس واحد قدونكم والحملة كلكم ثم انه بعد ذلك صال وجال ولعب بمهج فلم رجال بكن ذلك إلا قدر طرفة عين حتى قتل سبعة وجرح اثنين وهرب منهم واحد وجابر لفعال مقرى الوحش يعاين ويشاهد إلا أن جابر لما رأى تلك الفعال حمل وقد حل به الويل والخبال بعد ما قال لاصحابه اثبتوا مكانكم حتى أخرج إلى ذلك الفارس ثم انه تأهب للخروج وحال قدام مقرى الوحش وتموج إلا أنه ما خرج وظهر حتى قتل مقرى الوحش عشرة فوارس أخر فصدمه جابر وصده عن الرجال فلما رأى مقرى الوحش إلى جابر وصدمته أشغله عما هو عازم عليه وقال له اسمع يا ندل العرب كلام يبقى إلى آخر الزمان ثم انه أنشد يقول

اسقنى ياصاحبى كأس المحيا ... فضياء الصبح قد لاح مضيا
أسقنيها فى رياض كلما ... تنسمت أهدت لنا مسكا ذكيا
بين أقمار خلقهن لنا ربنا ... خلقا سويا آدميا
بخدود كلما قبلتها ... نشرت من خجل وردا طريا
وثغور تمازج الراح لنا ... برضاب يشفى الداء الدويا
فابذل النفس لادراك المنى ... واهجر الذل وعش عيشاً هنيا
لا تظن للموت سيفا يشهرا ... لا ولا يحتاج رمحاً سمهريا
انما الموت قضاء منزل ... قد حكم الله حكما خفيا
فأين غسان والقوم الذين ... مضوا والدين القويم الازليا
خلق الله السيف بكفى ويدى ... وضجيعى منذ ما كنت صبيا
وكذلك الرمح صاحبى ... واختبرنى فرأى قلبى جريا
فهو يشكو عند غيرى عطشا ... وإذا صاحبنى بات رويا

يا سباع البر سير نحونا وأصحبينا تشبعى لحما طريا
وكلى مما تريـــدى وادخرى وبلغى أحيانا سعـــد وطيا
واشعرى الابطال بمن فيهمو بأنا قتلنا جباراً عتيا

قال الراوى فلما فرغ مقرى الوحش من إنشاده أوسع فى ميدانه وطلب بلوغ مراده فأجابه جابر يقول

قد بلوت الدهر حتى بان لى كل سر كان فى الخلق خفيا
وشربت الخمر فى حاناتها ونهبت العمر والعيش هنيا
وجبت الجيل فى عرض الفلا وعسفت بها والليل دجيا
كم ظـــلام خضته فى مهمة أنظر الأقطار مستورا خفيا
خضته والجن تخشى سطوتى وسنانى وحسامى المشرفيا
يسمع السائر فى أقطـــارها ضجيج الغول والذئب عويا
كم شجاع فاتك قـــد قدته بعد ما كان جباراً عتيا
من رأى أسد الشرى فى غابها ورآنى حقر الليث الجريا
يا بنى عبس ابرزوا واحترزوا واحذروا الليث الهمام القسوريا

قال فلما فرغ جابر من هذه الأبيات جالت الفرسان على بعضها البعض وزلزلت حوافر خيلهم الأرض ولم يزالوا فى قتال وضراب حتى كثرت فيهم الأقوال هذا وعنتر أبصر فارس بنى تميم شديد القوى والحيل فخاف على مقرى الوحش من الويل والضياع فصاح فيه وقال له ويلك يا فارس النياق استر اعلاك واحذر من الهلاك وكان عنتر ما قال هذا الكلام لمقرى الوحش لانه رأى جابر قليل الخبرة بحفظ رأسه فاعلم مقرى الوحش بذلك الكلام فهيأ نفسه وهز حسامه وأقام قامته إلى فوق فاحترز جابر من خصمه فعند ذلك ضربة مقرى الوحش على رأسه فطير خفة وقد نزل السيف فى رأسه وأعدامه أهله وناسه فلما نظرت فرسان بنى تميم ما قد جرى على سيدهم جابر فحملوا جميعاً على مقرى الوحش وقد قدموا فى أيديهم رماحهم وقد هان عليهم شرب حمامهم والبعض منهم قد جذب حسامه فعند ذلك صاح الملك قيس فى بنى عبس فحملوا ولاعنة خيولهم أرسلوا وقد حمل معاوية بن النزال وبنو سعد الأبطال وكان قد زاد غيظهم على قتل جابر بن نجاد سيد بنى تميم وقد حمل عنتر وبنو قرادو قد تصادمت الخيول الجيادو انكسى النهابحلة السوادو افتخر الشجاع على أقرانه وساد وقد خفقت منهم الارواح وصاروا أشباحا بلا أرواح وصار الشجاع ينادى لا براح

الجبان قد خلى المعمعة وراح وصار ذلك اليوم مثل يوم الميعاد وكان الأمير عنتر بن شداد نثر الجماجم من على قامات الأبطال الجياد وصار يقصد رايات معاوية بن النزال ومازال على ذلك الحال حتى فرق عنه الابطال وصاح فيه ويلك ياغدار كيف أردت أن تخطى بعبلة طيبة الأخلاق وتحظى منها بالضم والعناق فنظر معاوية الأمر عليه قد ضاق وقد أيقن من الدنيا بالفراق وقد تضاربا بالصوارم الرقاق ودام بينهما القتال وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتان فاصلتان قاتلتان وكان السابق بالطعنه معاوية بن النزال إلا أنها طعنة خائف ولهار لأنه استقبل وأيقن بالزوال فلما وصل رمحه إلى عنتر مسكه بيده وهز عليه فكسره وصاح فيه عنتر

وانطبق عليه وكان معاوية قد عول على الانقلاب والهرب فطعنه عنتر فى جنبه قلبه إلى الارض وصار يختبط فى دمه ويطرب وبعد قتلته بذل الطعن فى بنى سعد وقد عاونه على فعله سادات بنى قراد وفرسان بنى عبس الاجواد وقالوا له نحن نفديك بالارواح يافارس الزمان ثم أنهم حملوا وما كان أكثر من ساعة حتى ولت بنو سعد وأتبعهم بنى تميم وقد أحاط بهم البلاء العظيم فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وفى دون ساعة افترق ذلك الجمع العظيم لأنهم كانوا اقدر أوالامير ين قتلوا والقبيلتين بلا مقدمين فتفرقوا وطلبوا لأنفسهم النجاة وقد

وأوسعوا فى الفلاة وعروة ومقرى الوحش يطرد خلفهم فى الفقار إلى أن انقضى ذلك النهار وأقبل الليل بالأندال وعاد الأبطال يطلبون الاهل والعيال وقد جمعت بنو عبس الأموال وما كان فى ذلك المكان ولما أصبح الصباح تشاوروا فى الرحيل من تلك الأرض أو المقال فقال الملك قيس الرحيل أصوب لنا عن المقام لاننا لا نامن على أنفسنا من بنى سعد ولا من بنى تميم أن يجمعوا لهم جيشا عظيم وينفذوه الينا فعند ذلك رحلوا وقد وقعت هيبتهم فى قلوب أهل وشاع ذكرهم فى هذه المعاهد والدمن قال الراوى وكان عنتر عند رحليهم ركب فى المقدمة هو وبنو قراد أصحاب الوقائع والجلاد وهم يقطعون الوهاد ويتعاهدون حديث معاوية ابن النزال وكيف عاد عذره إلى الوبال وصاروا يتذكرون ماجرى لهم فى أرض المصانع من الأموال والفجائع وأن خبرهم قد أصبح فى هذه البلاد شائع فعند ذلك أنشد عنتر وجعل يقول :

إذا كشف الزمان لك القناعا ... ومد إليك طرف الدهر باعا
وإن حانت منيتك القيها ... ودافع ما أستطعت لها اندفاعا
فمت فى ظل معركة كريم ... ولا تبكى المنازل والبقاعا
ولا تختر فرشا من حرير ... وتمسى فوقه تخشى النزاعا
وتصبح لا تمن على صديق ... إذا ما جاء طلب الوداعا
وحولك نسوة يندبن خوفا ... ويكشفن البراقع والقناعا
يقول لك الطبيب دواك عندى ... إذا ما جس زندك والذرعا
ولو عرف البيب دواء داء ... نهار الموت ما قاسى النزاعا
وفى يوم المصانع قد تركنا ... لنا بفعالنا خبرا يشاعا
قرنا بالذوابل سوق حرب ... وأشهرت النفوس لها متاعا
رويحى كان دلال المنايا ... نخاض جموعها وشرى وباعا
وسيفى كان فى البيدا حكيما ... يداوى الرأس من ألم الصدعا
أنا العبد الذى خبرت عنه ... وقد عاينتنى بعد السماعا
إذا الحرب العوان رمت شرارا ... أخوضها إذا زادت شعاعا
ولما سمع الجبان قريض شعرى ... أمسى بعده يخشى الشجاعه
أولو أسلت سيفى من دليل ... لكن بهيبتى يلقى السباعا
ملأت الارض من حسامى ... وحربى لا ترى فيه أتساعا
إذا الابطال ولت خوف باسى ... ترى الاقطار باعا أو ذراعا

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر بن شداد من هذه الأبيات قال من طرب لها مقرى الوحش وكذلك طربت لها السادات من بنى عبس الأجواد لأنه كان فصيحا شجاعا فزاد شكن عنتر فيهم إلا من مدحة وأثنى عليه وكان أكثرهم مدحا مقرى الوحش لأنه قال الله يا أبا الفوارس لا خليت لاحد مقال ولا فعال ولو لا سيفك فى أرض المصانع ما نزل أحد منا من الجبل فقال عنتر والله يا مقرى الوحش مالنا عليك فى هذه الوقعة فضل لانك أنت قتلت فارس وأنا قتلت فارس وهما كانا سبب الكسرة وتفريج الكربة على أن الفارس الذى قتلته أنت أشد واقوى فقال مقرى الوحش وقد تبسم من مقاله والله يا أبا الفوارس ماقتل الاثنين إلا أنت ولو لم ترعق على وتدلنى على مقاتلته ما كنت أعرف من أين الضربة ولا كيف أقتله وأهلكه قال الراوى وساروا على مثل ذلك يتحدثون والبر ينظرون حتى وصلوا إلى واد يقال له ماء النعام فرأوا تلك الأرض واسعة الجنبات وفيها مياه سارحات فنزلوا فيها وقال الملك قيس يا بنى عمى نقيم كلنا فى هذه الأرض لانها طيبة المعاهد ونكتفى شر كل معاند فقال عنتر أيها الملك ومتى تخلوا منازل اليمن من السكان والله ما نقدر نقيم فى المكان إلا إذا استغلبنا عليه بمضارب السيوف الحداد والرماح المداد ولا تحمل على وجه الأرض مالا ولا جمال ولا نياق فقال له الملك قيس أفعل ما بدا لك ثم أنهم اقاموا فى طلب الراحة ولما أستقر بهم المقام سأل عنتر أخا شيبوب عن تلك الارض فقال له يا ابن الام فيها قوم يقال لهم بنى فهد وهاهم منا على أربعة فراسخ ولهم ملك يقال له الجرن بن روضه الفهدى وهو رجل جليل القدر كثير الفرسان وله مروه وذمام وهو صاحب نجوة وذمام ولكن ما يخلو من يحرضه على أذيتكم والتعرض لكم فقاله عنتر ومن يحرضه على ذلك ويشير عليه حتى يسير فى طلب المهالك فقال شيبوب أعلم أنه فارس الأرض وشجاعتها وأميرها ومقدمها عمرو بن ضمرة القينى فارس جبار وبطل مغوار ويقول فى نفسه انه يلتقى أهل الأرض لانه جاهل وفى طول عمره يغير على القبائل ويهجج العرب عن الماء والمناهل ويسير فى الليل فارسا وراجل ويسبى البنات والحلائل ويركب الخيول الأصائل وأنا أسلم أنه يأتى إلى الملك الجون ولا بد أن يطمعه فى أموالكم ويحرضه على قتالكم فقال عنتر يا ابن السودا وذمة العرب لا يهتز عمره ولا تركنه جسدا بلا روح ولا شك أنى ما وصلت إلى هنا إلا لانقطاع أجله وانضرام عمره وخراب بيته من بعده ولا بد لى أن أنفذ جاسوسا يرصده فى أرضه ويطلعنى على أخبارة وينظر ما يجرى منه ويعود على الآثار (قال الراوى) فعند ذلك قال شيبوب حيثما الا كذلك يا ابن زبيبة ما لهذه إلا أن أسير أنا وأعود إلا بسائر

الأخبار وما أرجع إلا ببلوغ الآمال ولما قام بنو عبس فى تلك المضارب فى ذلك اليوم وصل خبرهم إلى بنى فهد وعلموا بهم وبنزولهم على ماء النعام وقد كثر عند الملك الجون الكلام وقال العقلاء من الواجب أن تشكر الرب القديم العلام الذى نور الأرض التى نحن فيها وقد جعلها آمنة وأسقاها الغيث وأخرج منها المرعى وساق هذه القبيلة إلى منازلنا فقال لهم الملك الجون يا بنى عمى اعلموا أنى عولت على أن أعطيهم الذمام والمنزل الذى نزلوا فيه ولكنى متعجب منهم كيف أنهم عبروا أرض المصانع وسلموا من معاوية من النزال وبنى تميم العرب الطماعة الخداعة ولا بد ما تصل الينا الأخبار فى هذه الأيام تدبر قدر السماء قال الأصمعى عفى الله عنه ثم انهم أقاموا بعد ذلك ينظرون ما يكون من بنى عبس الكرام أن كان يأتى من عندهم رسول بسلام أو يطيب ذمام فما أتى أحد منهم لا شيخ ولا غلام هذا وقد صلت الأخبار بنزول بنى عبس من الأموال والنوق والجمال ففرح بذلك يا رجال وقال والله لقد انفرجت عنى الهموم والأموال والشدايد وقد بلغت الآمال بما كنت أرجوه من الأحوال قال نجدوما كان فرح عمرو بن ضمرة من أجل أموال وانما له فى ذلك غرض فى بنى عبس سوف نذكره فى موضعه أن شاء الله تعالى ونسوقه على الحال جرت إلى أنه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح عند ذلك وأراد أن يغير على بنى عبس من أول ما نزلوا فقالوا له ما هذا صواب لأننا نخاف أن يكون الملك الجون أعطاهم الذمام وأخذ منهم خفارة وساروا فى جواره ونحن نفعل هذه الفعال فلأنا من عتبه والملام والرأى عندنا أنك تسير اليه وتنظر ما الذى جرى له مع بنى عبس وعلى أى وجه نزلوا عليه وبعدها نفعل على قدر ما ترى فقال لهم عمرو نعم الرأى فانه صايب من كل الجهات الأول ننظر ما دبره الثانى نعرف حالنا هنهم ثم أن عمرو ركب فى خواص قومه وسير بعض العبيد أمامه وما زالوا كلهم سائرين الى أن وصلوا إلى ديار بنى فهد فسمع بخبرها الملك الجون ولما لاقاهم استقبلهم وسلم على عمر بن ضمرة وانزله فى خيامه وعقر له ونحروا كرمه غاية الاكرام وساله عن قدومه فى هذه الأيام قال عمرو وقد زاد بى الهيام إنى سمعت بنزول بنى عبس فى ديارنا من غير كلام واقامتهم فى أرضنا بغير أخيارنا فلما سمعت ذلك فرحت وأردت أن أقضى منهم أشغالى وأبلغ آمالى ولكن خفت من عتبك وملامك قلت فى بالى من قبل أن اعمل ما أردت من أعمالى أسير إلى الملك أنظر جوابه قبل عتابه ما أنا أتيت اليك أنظر أخبارهم (قال الراوى) فلما سمع الملك الجون من عمرو ذلك الكلام قال والله يا عمرو قد طال انتظارى وزادت بى أفكارى

وقد تحيرت أنا أيضاً منتظر فى هذه الأيام أن يأتى أحد منهم ويعرفهم حالهم فما طرق أحد منهم ومن أمس وصلنى عنهم خبر أشغلنى وزاد همى وذلك أنى كنت متعجباً كيف عبروا أرض المصانع وكيف سلم لهم عجائب واهوال ومن يكن فعلة هذه الفعال لا يجب أن يهمل أمرهم ولا يؤمن شرهم فقال له عمرو وحق الهبل الأعلى لقد فرحت بذلك وسر قلبى بنزولهم قال تجد فلما سمع الملك الجوان ذلك الكلام وقال وكيف ذلك ياعمرو وايش السبب الموجب لذلك وما هو الذى بينك وبينهم فهل لك دم تريد أخذه منهم فقال ولا ولكن تزوجت بابنة عمى زهرة بعد ما جرى لى من تحتها شدائد وأهوال وقاسيت من أهلها أمورا وأهوالا وقد كان أباها شرط على شرطا وهو أنه لا يزفها الا ومعها من عرب الحجاز وعدنان جماعة يخدمونها وفى هذه الايام كنت معولا على المسير إلى ديارهم وأسبى حرائرهم فلما سمعت بنزولهم هذا شكرت الرب القديم الذى قرب إلى الطريق ولو كنت علمت أن ما بينك وبينهم ذمام كنضت قيت شغلى ومرادى منهم والآن فما بقى غير التدبير فى هلاكهم وأخذ أموالهم واكثرها من نوق بنى عمنا والجمال وقد صار بيننا بينهم دم أن كان كما ذكرنا انهم قتلوا معاوية وجابر ودائرة فقال سادات بنى فهد والله ياعمرو ان هذا هو الصواب وهو ان تعود إلى بنى عمك وتجمع فرسانا كثيرة وتغير على هؤلاء الشياطين بعد يومين وتكون قد أنفذت لى مع بعض العبيد بغارتك حتى أركب فى سائر بنى فهد وندهمهم من ورائهم ونضع السيف فى أقصاهم وانادهم ونسوق أولادهم ونساءهم وإن لم نفعل ذلك وإلا دخلهم فينا الطمع ويظنون أننا ما قعدنا عنهم الا فزع فقال عمرو بن ضمرة والله ياملك ما كنت محتاجا إلى معونة وأنا ما أقدر أخالفك وأنا يا ملك أقنع بأن آخذ ثلاث جوار حرائر من بنى عبس ولك جميع الباقى فقال الملك الجون والله ما احكمك إلا فى الجميع وبالك فيهم قال الاصمعى فقال فى يا ملك أن عبلة بنت مالك زوجة ذلك العبد والثانية الجمانة بنت ملكهم قيس والثالثة بنت عياض ابن ناشب وإلا بنت الربيع فقال الملك الجون ياعمرو اما أخترت أنت هؤلاء إلا بنى عبس وهذا ما أطاوعك عليه بل أنى أعطيك واحدة زوجة عنتر حتى أجعلها لبنت عمى خادمة لتنال بذلك شرفا وفخرا فقال له الملك الجون الأمر فى ذلك اليك وأعلم أننا إذا تحكمنا فى الحريم فالكل بين يديك قال نجد بن هاشم ثم انفصل الحال بينهم على مثل ذلك. وكان شيبوب وقف يسمع كل ما اتفقوا عليه من المقال قال وكان السبب فى ذلك ومجىء شيبوب إلى هاهنا أنه لما جرى بين عنتر وبينه ما ذكرنا فقال له ما يمضى فى ذلك إلا أنا وقد

سار من عنده وأتى إلى بنى فهد وما زال معهم حتى أتى عمرو بن ضمره إلى أهله بعد أن أوصى له الملك الجون أن يكون على أهبة القتال فقال له السمع والطاعة يا سيدى الرجال فعند ذلك عاد شيبوب إلى أخيه الأمير عنتر وأعلمه بما جرى وقص عليه ما سمع من بنى فهد وما اتفقوا عليه وأنهم قد تهيأ كلهم للمسير اليكم تكونوا على حذر من أمركم ولا تغفلوا عن أنفسكم فتبتلوا منهم بالمصائب والاحزان لانهم على كل حال أصحاب البلدان (قال الراوى) فلما سمع عنتر فى نيته وأصر واقطع عمره بالنار بما سمع من هذه الأخبار فقال عنتر والله لأقابلنا بما أضمر فى نيته وأصر واقطع عمره بالحسام من قبل أن يجعل عبلة بنت عمى خادمته فقال شيبوب وأيش فى نيتك أن تفعل فقال اعلم يا ابن الأم أنى أسير اليه فى مائة فارس وأفعل به كما أراد أن يفعل بنا وإذا نحن فرغنا منه عدنا إلى بنى فهد وأحق عددهم وأسبى حريمهم وآخذ أولادهم ونصير نحن أولاد هذه البلاد فقال له شيبوب يا أخى ما تبلغ من بنى القين مرادك لانهم فى عالم كثير وخلق عظيم ولكن الصواب عندى أنك توصى بنى عبس بالقيظة وتترك عندهم مقرى الوحش وتسير أنت كما ذكرت وأنا أعرف اكمن بكم ولا زال أراعى عمر إلى أن يجتمع كل من فى الحى من الرجال ويسير طالبا لنا كما اشتقر بينه وبين الملك الجون الوعد فقال ومن أين تخرج بنا إلى لقاهم فقال شيبوب أنا أقصد لكم حريمهم وعيالهم وأدعكم تتحكمون فى أموالهم وإذا نحن أخذنا ما أردنا وبلغنا الامل لان عمرا إذا رأى زوجته معنا وهى مسبية على بعض الجمال وقومنا فى القتال أنقطع عمره وحار فى أمره وقد تمكنت أنت من انصرام عمره فقال له عنتر على مثل ذلك كنت معول وقد أردت أن أقول له لك فسبقتنى أنت اليه وكنت أهدى من غيرك عليه وقد أشرت بما خطر يا ابن الام فى بالى ثم أن عنتر بعد ذلك قام ودخل على الملك قيس وأعلمه بما سمع وبما قد وعول عليه عمرو بن ضمرة فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس ما هذا إلا أمر صعب ولو كنا علمنا أننا نلتقى هذا الملتقى كله ويحصل لنا هذا التعب والعنا فى أرض اليمن لما كنا دخلنا إلى هذه الديار لاننا كل أرض أتيناها ونزلنا فيها داخل أهلها الطمع فينا وهذا كله تعب وما أقول أننا بعد ذلك نرجع ننظر أرض الحجاز إلا أن تدركنا عناية من رب الارض والسماء فقال عنتر يا ملك إيش هذا الكلام فلا تقل هذا المقال فتقطع قلوب رفاقنا فى الحرب والنزال ولكن يا ملك طب نفسا وقر عينا فأنت ابن كل من فى أرض الحجاز واليمن ما دامت هذه الرأس على أعلى البدن وأعلم أنى والله ما أترك فى بلاد اليمن ملكا يعلاك ولا يكون سواك ولا أترك لهذه الديار فوق ولا جمال حتى أنى أسوقها اليك وأعلم أنه قد ثبت عندى أن الرب القديم ما أدخلنى هذه

الديار وهذه الاقاليم إلا لاجل قوم أعمارهم تقارب زوالها ثم أن عنتر أنفذ خلف مقرى الوحش فحضر و أعلمه بالقصة وأوصاه بالاحتراز فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو اجتمع حوالينا كل من فى الأرض قدرت أن أطاولهم بالبراز اليوم والعشرة إلى أن تعود وأن كان قلبك غير طيب فاقم هاهنا عند الحريم والعيال وأن أردتنى أن أتكلف لهذه الخدمة فدعنى أسير إلى بنى القليان فى عشرين فارسا شدادا وأكفيك مؤونتهم ومؤونة عمرو ابن ضمرة وكل من معه من الفرسان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مقرى الوحش ذلك الكلام قال له يا أخى إنما يشفى قلبى معاناتى لأمرى بروحى ومرادى أورى هذا الذى تولع يا بنة عمى عبلة وأذيقه كاس الوبال وأعلمه كيف تكون خصومة الرجال ثم أن عنتر عاد إلى مضاربه وأمر عروة بن الورد وأصحابه الكرام أن يستعدوا ثم ركب جواده الابجر وسار فى مائة فارس من فرسان بنى عبس وكان الامير شيبوب بين يديه حتى أشرف على ديار عمرو وكن بهم هناك ولبس أثواب خلقته ودخل الحلة وسأل عن عبيد عمرو فاخبروه العبيد أنه سار إلى غزو بنى عبس فعند ذلك فرح شيبوب وأطرب ورد إلى أخيه عنتر وأخبره بما سمع وعند ذلك ظهر عنتر من بين الرمال وسارت من خلفه الرجال وأظهروا صوتهم وكبسوا الحلة وقد بدر عنتر الرجال وفى دون ساعة ارتفع الصياح فى الجهات وأنقلعت الغبرات وهجت النسوان وبكت البنات المخدرات (قال الراوى) لتلك الاشارات وقد ساق شيبوب أخت عمرو إلى بين يدى أخيه الامير عنتر وأخذ أيضا زوجته زهرة التى كانت تريد أن تستخدم عبلة وأخذ تمام المائة من الحرائر والبنات وسمع عنتر بكلامهم فتألم وقال لعروة أترك هؤلاء النسوان لان مالنا عليهم ثار تستوفيه وامض بنا إلى قومنا حتى نلحق الرجال. فعند ذلك أطلقوا الجميع وعادوا راجعين يريدون أهلهم وكان عبورهم على المسارح المواشى قطعة جيدة بين أيديهم من النوق والجمال وساروا وهم مجدين فى السير طالبين أهلهم وقلوبهم على نسائهم فى التهاب وجدوا فى السير عدوا وابتكارا ولم يركنوا إلى هدو ولا قرار وهلم يحسبون الف حساب قال نجد فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما فعلوا وأما ما كان من عمرو بن ضمرة فانه لما سار هو وأصحابه سار وهو فرحان بما معه من الابطال ومازال سائرا إلى أن قارب الارض التى فيها بنو عبس فرأوهم قد أشرفوا على مراعيهم وأموالهم والطلول فرأوا بنى عبس كذلك فركبوا إلا أنهم عارفين بذلك قال وكان عمرو أنفذ إلى الملك الجون يعرفه بوصوله ثم قال عمرو لرجاله أبشروا بالخير الوافر كل هذا رزق أنفذه الرب القديم اليكم ثم حمل وحملت رجاله خلفه وفى دون ساعة أختلطت الرجال

بالرجال وعظم الزلزال (قال الراوى) وكان الملك قيس تحت الرايات وقد مسكوا معهم تصف فرسان بنى تميم وجدت لهم قوة ونشاط ومعهم أيضاً فارس النياق الأمير مقرى الوحش واختلف الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وطلع الغبار فوق الاقطار وهطلت الدماء فكانت مثل الامطار وقد دام الأمر كذلك إلى نصف النهار (قال الراوى) وقد استظهرت بنو عبس على بنى القين وأبعدوهم عن الديار قوة واقتدار وقد جرى لمقرى الوحش وعمر ما حير النظار ويذهل الأفكار حتى كل واحد منهما لو كان حاضرا والآخر غائب لكان كسر الفريق الذى بين يديه وسطا وتغلب عليه قال نجد وعند المسا أشرف بنو فهد بكثرة عددهم وقد أشرق البر من لمع زردهم فرأو القتال يعمل فحملوا بجملتهم فكانوا جملة عظيمة وتتابعوا فى طلب الغنيمة ردوا بنى عبس إلى الخيام وقتلوا منهم جماعة وقد انسد الطلام ولما انفصلوا التقى عمرو بالملك الجون وشكره على أفعاله وقال له وحق اللات والعزى ما لفرسان بنى عبس مثال وطول عمرى ما رأيت أخير منهم فى القتال ولولا حاميتهم وقع لليوم فى قسمى لكنت كسرت جملتهم ونهبت مالهم وما كنت وصلت أيها الملك إلا والسبى واقع فى نسائهم وأموالهم على أن فارسهم كان وصفلى أنه عبد أسود وذلك الغارس الذى أقاتله رجل أشقر طويل ولكنه خبير بطعن الرمح وكان يبغى السؤال عن أصله ولكن فى غد أخرج إلى القتال وأطلب البراز وانجز أمر هؤلاء انجازا سمح لاصحابنا بنهب الأموال (قال الراوى) ثم أنهم بعـــد ذلك القتال نزلوا وضربت لهم المضارب والخيام ونزلوا الراحه والمنام وأكل الطعام وكان اليوم قد أيقنوا ببلوغ المرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء اللئام وأما كان من بنى عبس الكرام فانهم لما عادوا عند المسا كانوا قد خسروا غاية الخسران وصار الملك يشكر مقرى الوحش على فعاله ويقول له والله لو كان حصل أمر كان وقع بنا المحاق وكنا تشتتنا فى سائر الآفاق فقال له مقرى الوحش يا ملك طب نفسا وقر عينا وافعل الآن ما تريد وما تختار فانا أنوب عنك واقتل بين يديك جهدى وافعل ما أقدر عليه فى الليلة والنهار على أننا اليوم ما كنا إلا رابحين لولا وصول بنى فهد عند المسا واشتغالى أنا بفارس بنى القين ما كنا خاسرين لكن فى غداة غد خرج إلى البراز وأنا بنفسى وأوريك ما أفعل بفرسانهم وأردهم عنا إلى أن يقدم عنتر ابن شداد الهمام الينا لأنه حاميتنا وردنا (قال الراوى) ثم أنهم نزلوا فى الخيام وأخذوا الراحة وأكلوا ما تيسر من الطعام وتولى الأمير مقرى الوحش حرسهم ومعه جماعة من الأبطال الذين عليهم المعتمد فى الشدائد. والأهوال فهذا ما كان من بنى

عبس وماجرى لهم وأما ما كان من بني فهد وبني القين وفارسهم عمرو فايقنوا ان عند الصباح يتفرق شمل بني عبس في الأقطار وتسبي نساءهم الاحرار وبات وهو يقول لبني عمه على ذلك المقال ثم انه تولى حرسهم ولما كان عند السحر وصل اليه عبده من عبيد زوجته وأخبره بما تم في حلته وماجرى بعد مسيره ومافعل عنتر ومازال يكرو عليه الحديث فقال له وا كربتاه منك يا عبد السواء يالها من مصيبة فوحق اللات والعزى وما ابقى من بني عبس أحدا قال نجد بن هشام ثم ان عمرو بن ضمره عاد إلى الملك الجون واخبره بماجرى وماتم عند غيابه وماجرى ومافعل بنو عبس مع أهله وعشيرته من الفعال قال الراوي فلما سمع الملك الجون بذلك ضاق صدره وتبلبل فكره واحتار في أمره بماجرى فعندها قال لعمرو والله لقد أخبرني سبي الحريم ولكن مافعن هذا العبد تلك الفعال إلا بسبب زوجيه وروحة بعدها لأنه اخطأ معنا بهذه الفعال ولكن أعلم أن الرأي أن تنجز أمر هذه القبيلة عند الصباح حتى بذا عاد عنتر فايكون له ملجأ ولا حمى بعد ذلك ونقتله هو ومن معه ونخلص منه الحريم والعيال قال الأصمعي ثم أنهم قضوا باقي الليل بمثل ذلك الهذيان والفشار إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها ركب عمرو وزعق المواكب فركبوا وللحرب طلبوا ولما أن ركبوا وتهيئوا للقتال أعلم عمرو بني القين بماجرى فلما علموا بذلك اشتعلت في قلوبهم النار وهاجت في كبودهم فقال جماعة منهم يا عمرو عد بنا إلى هذا الشيطان نصرم عمره ونقابله على هذه الفعال ونرغم أنفه ونلعن أباجده ونخلص منه المال والعيال فقال يا بني عمي أعلموا أننا ما يحتاج إلى هذا ولا نولي من بين أيديهم ونترك علينا اسم الهزيمة والهرب ونترك بني فهد تملك هذه الطائفة وتفوز بالذكور وتأخذ الغنيمة وتحتوي عليها ولكن الصواب يا بني عمي أننا نقيم تبدل في بني عبس السيوف والقنا ونصبر إلى أن يأتي فارسهم عنتر العبيد الزنيم وأرقكم ما أفعل به وأجازيه على فعاله وإلى أن يمضي وأنا خلفه ولا له من الوصول إلى هنا اليوم أو غد فاحملوا على هؤلاء وأعلموا أننا كلنا في الكائنات سواء قال الأصمعي ثم أنهم حملوا على بني عبس وصاح أيضا الملك الجون في مواكبه قال وكانت بنو عبس أرادت أن تطال القوم بالبزاز فاوجدا إلى ذلك سبيل وكان أراء مقرى الوحش أيضا ولكن ما ساعده إلا أنه حمل وتلقى اسنة الرماح بصدره واظهر جلده وقاتل قتال الرجال المخبورة قال وكان الملك قيس واقفا تحت الأعلام قبال الجون واما بنو زياد وفرقه أخرى من عبس معهم فانهم اصطلوا نار الحرب والجلاد لأن العرب دارت بين عبس كما ذكرنا فافترقوا على هذا

الترتيب وصار كل جماعة تقاتل من ناحيه واحكموا السيف فى البعيد والقريب وكان ذلك اليوم مذكور من عجائب معجب سيقت النقوس إلى سوق السماح وقد تناثرت الجماجم من اعلى عصون الاشجار وقد على الضجيج وابصرت الفرسان ماحيرها والصياح وابضرت واشتهت أن تنظر طريق النجاة وصبرت أبطال بنى عنى عبس على كثرة العدد ومازالت تقاتل إلى أن قل منها الجلد وضعفت عن حمل الحديد والزرد وتراجعوا لما كثر عليهم العدد إلى اطراف الخيام وصار القتال يعمل بين اطناب الخيام وصار مقرى الوحش يغير على الخيل ثم أنه يحمى جانبها وكما مارأى طائفة بنى عبس تضعضعت عن القتال وضعفت يعينها ويلقى عنها النوائب ولما نظر الملك قيس إل ضعف بنى عبس وعدنان وتاخرهم عن الحرب والطعان وقلة عزمهم وهممهم لانهم قدخافوا من اعدائهم حمل باخوته واهله وعشيرته تلك الاجوال إلى أن ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال توقع النهب فى ابيات بنى زياد وصار الربيع عن نفسه ويمانع وقد جادل مع الاعداء أشدا الجدال وفى ذلك الوقت نظرت عبيده فرأت الخلل عليه قد ذكرنا ما فى الربيع من القوة والشدة وقد قاتل الرجال حتى عملت فى جسده الرماح المداد والسيوف الحداد واشرفت قبيلته على سبى الحريم وباتت النبيلة على ذلك المنهاج إلى أن طلع النهار بالانتهاج وعلا وثار وسد مناقس الاقطار وأظلم منه ضوء النهار فتبينوه الرجال الاجواد إذا هم رأوا من تحته قرالدولتين حامل القبيلتين فارس الاقطار مشيخ الاطيار الطويل النجاد الضارب بالسيوف لحداد الامير عنتر بن شداد وصحبته عروة بن الورد ورجاله الاجواد وقدامهم سبى بنى القين الذين اجوابهم البلاء والشين ولاسيما أمام الكل هودج عالى قد حاره صاحب الفخ والمعالى ومن داخلة زهرة زوجة عمر ابن ضمرة الا انهم لما اشرفوا فى الساعة تبينوا إلى قومهم فراوهم فى اذيال الخيام وقد ضاقت عليهم المضارب والاكام فهناك قال لعنتر لعروة بن الورد يا أبن العم وحق الحرام ماعليه من الالهة والاصنام لولا لحقنا قومنا فى ذلك النهار إلا كانوا فى البرارى والبراوى والقفار نحن ماكانت غيبتنا بعيدة لكن ياشقاهم من بعدى فقال له عروه صدقت ياأبا الفوارس من يازين المجالس أذا أعلم انهم بعدوفاتك لم يبق منهم راجل ولا فارس لان سعادة هذه النبيلة مقرونة بك ولم يبق لهم ذكر من بعدك أنا إلا إذا كنت أنت حاضر القى الف والالفين وان كنت غائب ماقدر اثبت قدام فارس وأن كنت فى شك من حديثى هذا صبر ساعة

وأنظر ما أفعل ثم أنه بعد كلامه حمل وصاح حتى تصور للقوم أنه قلب البطاح هنالك التفت عنتر إلى شيبوب وقال له ستى خلنى هذا المال رأنا أوسع لك الطريق وأجندل هؤلاء الأبطال حتى توصلهم إلى أهلنا والاطلال فقال له شيبوب نعم الرأى يا إبن الام ثم أنه زعق فى الابجر زعقة تفلق الحجر وصاح شيبوب فى العبيد وأمرهم بسوق المال والرجال التى معهم لهم كونوا من خلفهم حافة ففعلوا تلك الفعال وساقوا الهوادج والاموال وجمعوا النياق والجمال بأطراف الرماح العوال وفى تلك الساعة تامل عمرو بن ضمرة إلى تلك المعال فضج عنده الخبر ولما سمع نداء زوجته زهرة طار عقله وتخبل أمره وقال لرجاله هذا العبد الذى كنا فى الانتظار أتينا إلى نهب حريمه فسبقنا هو إلى الديار فدونكم وإياه ومن له قتيل ببغاه لاننا صرنا فى البلاء سواء وما عادلنا منها دراء الا الضرب بالسيف الفصال فاطلبوه قبل أن يصل إلى الاطلال وتزيد معه الرجال قال الراوى فعندها طلبت عنتر الاقيال وأقبلوا عليه مثل السيل إذا سال أو الظل إذا مال وفى ذلك الوقت زاد الصياح ولما علم عنتر بهذه الاوال على ما فى ضميرهم رماموا لهم فاستقبل بهم وترك بنى عبس بهلاك النفس وكلما أتت عليه رجال متتابعة يضرب فيهم ضربات قاطعة ويجعل رؤسهم مقطعة لان ضرباته لا ترد ها بيض ولا خود بل تفلق الهام وتخرق الزرود وقد فعل فى تلك الساعة فعلا مهول وخل الشجاع مذلول فهذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الرجال التى تقاتل مع مقرى الوحش فانهم لما سمعوا صياح أبى الفوارس عنترزال عنهم كل أمر منكر وحملوا نحوه واقتفوا منه الاثر فاغتاظ مقرى الوحش من ذلك وأيقن بالبلاء والمهالك لانه صار وحيدا فريدا إلا أنه مكن من أعدائه الضرب وأشغل بقوته نار الحرب فرجعت الرجعت التى هربت من بنى عبس وقويت شوكتهم وحملوا وأملوا النصر بوجود حاميتهم هذا كله يجرى وعنتر يقتل الابطال ويجندل الاقيال لكنه طالت حيله والاطلال لاجل وصول هذا المال من وسط تلك الاعداء الاندال وهو فى أثره وشيبوب تابعه وعروة بن الورد فعل فعلا منكر وحير بضرباته البصر وشاهد تلك الامور عنتر ففرح وفستبشر وعلم أن كلامه الذى قاله له فى محله وما زالوا على هذا الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالاسدال وفى ذلك الوقت وصلوا إلى حيهم والاطلال وماراح من المال ولا عقال وقد انفصلوا عن الحرب والقتال واستقرت فى أوطانها وكان أعظمهم حرقة وأكبرهم مشقة عمرو بن ضمره لاجل سبى

(تم الجزء السابع عشر ويليه الثامن عشر)

(الجزء الثامن عشر)

من سيرة عنتر بن شداد

زوجته زهرة وقد تحسر على ما جرى لأنه ما حمل فى ذلك اليوم بل وقف ينظر عنتر وقتاله فاهالته أعماله وكان تعبنا لا مقدرة له على القتال من كثر ما عمل فى غياب أبى الفوارس عنتر وكان قد تبعه مقرى الوحش وفى ذلك الوقت أحصى من قتل من أبطاله فرآهم نحو ثلثمائة فارس من كل بطل مدا عس فاشتعلت بقلبه النيران وحل به الذل والهوان وقال يا بنى عمى وا أسفاه على ما نزل ابن الرعاة لكن واشوقاه إلى الصبح وأخرج إلى الحرب والكفاح وأعلموا أن هذه النوبة ما يفصلها إلا أنا من هذا العبد ابن الزنا وما زال على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وحمل بنو القين وبنو فهد واعتقلوا بالرماح وأما عنتر فانه لما وصل تلقته الابطال والفرسان وشكروا له ما لاقوا من الأعداء فقال لهم أكون لكم الفداء ثم بعدها تقدم إلى ابنة عمه عبلة وسألها عن حالها فقالت بخير فقال لها يا ابنة عمى هذه زوجة من أراد أن يسبيك واضمر فى نفسه أنه يستخدمك فقالت يا ابن العم مادمت أنت تعيش لا أرى بؤسا ثم قبلته فى عارضه ونحره وهو قبلها بين عينيها وفى ثغرها وعاد من وقته وساعته إلى الملك قيس وهناه بالسلامة وإزالة البؤس والندامة فقال له والله يا عنتر ما كان حامينا بعدك إلا فارس النياق الذى فاقت شجاعته على جميع الورى والآفاق وباتوا فى هناء وسرور إلى أن ولى الليل واستحال وأقبل النهار وهنالك تأهبوا للحرب والقتل والطعن والنزال وركب أيضا الأمير عنتر جواده الابجر وتقدم برحه الكموت الاسمر وركبت بنو عبس بكليتها فرحا بقدوم حامينها وقد أنحدروا إلى الميدان ومحل الضرب الطعان وهم مثل البحار الزخرات والسيوف والضاربات (قال الراوى) إلا أن أول من طلب الطعن والضرب والقتال والحرب عمرو بن ضمرة كان راكب فى ذلك اليوم على حجرة مكرة وفى يده قنا مقومة ومتقلد بصفيحة وقد أفرغ على جسده زردية ثم أنه تقدم إلى بنى عبس وأظهر لهم الدلال والاعجاب وقد أغتم بسبى بنت عمه

وهو زائد بها غمه ولما أن صار بين الصفين وجال بين الفريقين وأنشد يقول

لاتلمنى قد قادنى كل هم وغم وصبح عندى
وفؤادى بنار اللهيب موقدة من عظم وجدى
لأنه قد سبا مهجة قلبى عبد أسود وابن عبدى
وأنا فارس قحطان سطوتى فى أرض نجدى
فابرزوا لى عنترا لاريه التعدى
منه أشفى ما بقلبى ثم أطفى لهيب وجدى

قال الراوى فلما فرغ عمرو من هذه الابيات وسمعها عنتر ورأى جماله قال لاشك أن هذا الذى يسبيه تلك المصائب والنوائب لم يزل فى جهله حتى تدوس الخيل على قلبه ويتقاسم الوحش لحمه ويذوب جلده وعظمه ثم أنه بعد هذا الكلام قاربه وأجابه على عروض شعره وهو يقول

حقا أنا عبد وابن عبد وجميع ما تطلبه عندى
وما أنا عبد إلا لربى فهو الواحد الفرى الصمدى
وإذا ذقت ضربانى سريعاً تعرف عمى وجدى
لاتقل جدى فلان وأنا عمرو بن معدى
كم أمير وابن أمير جاءنى للحرب يبدى
فى كتائب مع مواكب فوق جرد من خيل نجدى
حين يروا أجرى أقيل مثل سبع البر يقدى
ولى منى شاردا وما قدر يقدر لعندى
أنا طعان الفوارس جميعاً وأشيع الاطيار لعندى
وأما أنت يا ابن ضمرة سوف أوريك التعدى
واقتلك قتلة شنيعة واجعلك على الارض مردى
انده إلى عمك وجدك يلتقونى اليوم وحدى
وإن عدت منى سليما فالتقى من شئت بعدى

قال الراوى فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الابيات وعمرو يسمعها على تلك الصفات حمل الاثنان على بعضهما البعض واقتتلا طولا وعرض وقد أوسعا فى الميدان وأحاداً وكان ضربهما تتعوذ منه فروخ الجان وقد جرت الخيل بهم جرياً رحيبا حتى رأت الفرسان منهم العجيباً وكان قتال عنتر مع غريمه قتال من ضاع حريمه وقد وقع بعد الاياس بغريمه وكان عمرو بن ضمرة أعظم حنقا وأشد من عنتر قلق لانه يقرب من بنى

عبس وسمع صياح زوجته وهى تقول يا فارس بنى القين ويا من إذا رأيته تقر منى العين ثمت عنى وتركتنى فى يد الأعداء أضرب وأهان وأقاسى من العذاب الوان بعدما وعدتنى بخدمة عبلة العبسية صرت أنا مسبية وأجلب اللبن وأضرم لها النار وأخدمها ليلا ونهار وأنا عندها مثل بعض الجوار فما هذه عادتك وماهذه همتك أيهون عليك يا ابن العم أنا فيه فخود الطعن والضرب وأعمل على خلاصى من هذا البلاء والكرب (قال الراوى) وما سمع من زوجته هذا الكلام حتى صار الضيا فى وجهه ظلام وأشتد على قلبه الحرب والصدام لأن كلام زوجته كان عليه أشد من ضرب الحسام إلا أن الحرب لم يزل بين الفارسين حتى حمى الحرب وأوهج البر وقد تطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح حتى أتخنوا بالجراح وقد رأى عمرو من عنتر شيئا فى حسابه وقد تقطعت به الأسباب وأنسدت فى وجهه جميع الأبواب وضاقت عليه الأماكن والرجال وهان عليه الهلاك والذهاب إلا أنه أرتمى على عنتر وطعنه طعنة عظيمة وأظهر فيها قوته والعزيمة وطلب بتلك الطعنة جنب عنتر الشمال وأراد قتله والارتحال فصبر عنتر على الطعنة إلى أن قربت منه وقد أخذ ذلك الطعنة من الهوى بشدة حيلة والقوى وهزها حتى لمع الموت من سنها وقطعها قطعتين ومسك نصاب السنان وطلب به صدره وأراد أن ينجز أمره فولى من بين يديه هارب والنجاب طالب لأنه ما بين يديه وقد التفت إلى ما كان حواليه وقال والله يا بنى عمى ما كان تعرضنا لهذا الفارس الظالم بصواب لأنه والله جعله الله سبحانه عذاب وأن فارسنا الذى كنا نعتمد عليه قد أشرف على الذهاب وأنا كنت أقول ما على وجه الأرض أفرس منه قبل ما أنظر هذا الفارس العبسى وفارسنا معه على خطر ونخشى عليه من قلع الأثر والصواب يا وجوه العرب أننا ندبر قصتنا من قبل ما يعظم أمرنا وأنه هو الآن تبع فارسنا فارسنا فما نعرف أيش يجرى عليه منه فقالوا له أيها الملك المهاب أحمل بنا عليهم حتى أننا ننجز أمرهم قبل أن يرجع فارسهم لأنه جبار ولا يقع له على عيار وما القضاء عليه من سلطان لأنه تفزع منه الشيطان الجان فقال لهم الملك الجون ما هذا صواب لأننا أن حملنا رجع الينا أبادنا ويقوى القتال ويعظم النزال وإنما عندى بهم النعس والنكس قال الراوى فبينما الملك جون مع رجاله فى مثل هذه الأقوال إذا بصيحة عظيمة من تحت الغبار واحد الفارسين ينادى يا أهل عبس وعدنان لا شقيت أبدا أنا حبيب عبلة طول المدا وقد بلغت المراد من هذا الطاغى بن الأوغاد وكان السبب فى هذه الزعقة أن عنتر لما أراد أن يطعنه بقاطع حربته وإلى هارب وإلى النجاة طالب فتبع عنتر

منه الأثر إلى أن لحقه فى هذا البر الأقفر وسل سيفه الظامى الأبتر وضربه ضربة هاشمية أطاح رأسه من بين كتفيه فوقع على الأرض مثل الممدود وصار كأنه من بعض العمد وما أن إنكشف عن عنتر الغبار وبان للنظار صال وجال وأنشد يقول

ماشهر السيف فى كفى وأغمده ... إلا وفى حده للضرب آثر
المهر يشهد أنى أخوض به ... بحر العجاج وفى أطرافه النهار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمد ... وهكذا الدهر أقبال وأدبار

قال الراوى ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات حتى ماجت الصفوف من بنى فهد وبنى القين لما علموا بأن عمرو أذاق العذاب المهين وأطلقوا الأعنه وقوموا الأسنه وصرخوا للحرب أستقبلوا على القتال عنتر عولوا فيينهم كذلك وإذا بالملك الجون أقبل عليهم فى عشرة فوارس من أرياب دولته ورؤس عشيرته لما خرج من تحت علمه رأيته فلما قرب من الصفين وصار عند الفرقتين قال لهؤلاء الرجال ردوا الطوائف عن الحرب والقتال لأن مرادى أطلب من بنى عبس الصلح بحسن الملاطفة لأنا أن طلبنا حربهم ما يبقوا منا نسمة ثم مر عليهم رجلا جليل المقدار إلى أن وصل اليهم وردهم عن الحرب والقتال وأخبرهم بما أمر الملك المفضال فرجعوا عن ماعزموا عليه من الأعمال وقد قصد إلى بنى عبس الأفيال إلى أن وقف قدام عنتر الفارس الريال وحياه بالسلام والتحية والأكرام فاجابه عنتر إلى التحية وزاده فى الاكرام وقال له ما حاجتك أيها الحاجب الجليل ولاشىء ما بعدتنى عز بلوغ قصدى وأعقتنى عن مطلبى فقالا ياسيدى الفرسان وعروس أهل هذا الزمان أجب مقدم القوم وأمهل علينا قليل لحين ننظر منه ما يقول الأسر بنا إلى المقدم عليكم المشار اليه فيكم حتى أبلغه الرسالة وأخبره بما معى من المقالة فان قبلتموها كان وإلا فما بيننا وبينكم إلا الحرب والطعان قال الراوى فلما سمع عنتر من الحاجب هذا الكلام عاديه عاجلا إلى الخيام فتعجب فرسان بنى القين مما رأت وحارت من هذه الأمور لما شاهدتها وإذا هم بالملك قيس جالس على سرير مملكته وحول أهل دولته وباقى الرجال واقف فى خدمته إلا أن الحاجب لما صار قدام قيس سلم وترجم وأحسن ما به تكلم وقبل يد الملك قيس وخدم ودعا له بطول البقاء والتنعم وازالة البؤس والنقم وقال الله الملك المهاب وأدام سعادته والأقبال ونشر عدله فى سائر الأماكن والبلدان أعلم أيها الملك المطاع والقرم المتباع أن صاحبنا وملكنا الملك الجون يقول لك أن صحاب المنازل العوالى وسادات العرب أهل الكمال لا تكمل احسابهم ولا يتم نسبهم إلا بالانصاف وترك الجور والاسراف والعفو عند المقدرة عمن أساء وجفا له الدهر ثم أنه ياسيد الفرسان سيدى الملك الجون أرسلنى اليك فى ترك الحرب والقتال والطعن

والنزال والرحيل من ديارنا والأطلال لأن ما بيننا وبينكم دم ولا مطالبة تحوج لهذا الأمر والعناد وما حملنا على قتالكم إلا عمرون بن ضمرة وقد تصرم عمره لأنه كان رجلا جاهل فلولاه ماوقع بيننا حرب ولا قتال وما كان جوارك لنا إلا أحسن الجوار وما أمركم الملك الجون بالارتحال من هذه الأرض والأطلال إلا خوفا من الجهال أن يثير والفتنة ثانيا وأن

لا يطيب لنا ولكم عيش ، فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال هذا هو الصواب والأمر الذي لا يعاب فذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر البطل الهمام والأسد الضرغام فانه حين سمع منه هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام واحمرت عيناه أربد شدقاه فلما رأى قيس من عنتر هذا الأمر خاف أن يبطش بالرسول ويقتله فازال يلاطفه إلى أن هدأ روعه وسكن وزعة والتفت إلى الرسول وقال له ياوجه العرب لأى شيء ما كانت هذه الرسالة من الأول لكن صاحبكم قد داخله فينا الطمع لما رأى قلتنا وظن أننا من فرسان اليمن نحن لولا نعلم أننا كفء لكم ما كنا نزلنا بأرضكم وما نحن مقيمين إلا بقدر راحة العيال لأننا ما أعجبتنا هذه الأرض والأطلال وأيضا أعمك أننا لما أعجبتنا أرضكم لا خذناها منكم وكنا نبيدكم بالحرب والطعان وكنا نشتتكم إلى أقصى مكان ولا نترك منكم

انسان ولما أن فعلتم تلك الفعال وباديتمونا بفعائل الاندال أراد حاميتنا أن يشتتكم إلى أقصى البلدان وحلف أنه لا يبقى منكم صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير ولكن لما أرسلك سيدك بهذه الرسالة أجبنا إلى ما أراد لأنا نحن أصحاب الزمام وجارنا ليس يضام ولكن عد إليه من وقتك وساعتك وأعلمه بهذا الحال وقل له يعود إلى ماله من الأطلال قال الراوى فعاد الحاجب بهذه الرسالة وبلغ الملك الجون تلك المقالة فلما وقف على هذا الخبر فرح واستبشر وأمر رجاله بالرحيل وسرعة الجد والتحويل ومن وقته وساعته ركب وسار إلى ديار وبلاده وامصاره وقعد فيها وقد قرار فهذا ما كان من أمره وما جرى له وأما ما كان من الملك قيس فانه مازال قاعدا بأبطال عشيرته ورؤس دولته وعنتر معتاظ على ما فعل وصار يلومه على هذا العمل ويقول له لاى شيء أيها الملك المهاب والأسد الوثاب أجبت هؤلاء الكلاب فى الصلح بعدما أشرنا على أخذ أرضهم وقتل فرسانهم وهلاك عيالهم فقال يا أبا الفوارس ويا زين المجالس نحن ما قلنا لهم هذا الكلام خوفا من غلبة ولا من قهر ولكن بر اليمن قد امنا واسع وفيه أراض كثيرة ومنابع وقبائلها ما يعلم لها أول من آخر وما خشيت إلا أنهم اليوم يرسلوا ويستنجدون علينا بهم فيتواتر علينا الحروب ليلا ونهارا ولا يبقى لنا عدو ولا قرار والصواب أننا نبدو المنازل والمنازل وننظر المراعى والاماكن حتى نقع فى أرض من يعرف قدرنا ولا يجهل أنا فافعلنا أن نقع على من فيه نخوة وحمية أو نقع فى أرض ونتخذها لنا سكنا ووطنا قال الراوى ثم أن بنى عبس باتوا تلك الليلة يتشاورون فى أمر الرحيل إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فاتاهم الخبر بأن بنى تميم وبنى سعد قد اجتمعوا من أرض المصانع وعقبة الفروق يطالبوهم بثأرات ملوكهم فلما علم الملك ن قع به الخوف والاندهال وفى عاجل الحال التفت إلى بنى عبس وقال يا بنى عمى ويا من بهم يزول همى وغمى من مثل هذا يخاف الإنسان لأن الزمان كثير الغدرات والآفات وأيضا اعلمكم أنه بقى علينا فى أرض اليمن دماء ومطالبات وصرنا أعداء لملوكها والسادات فالصواب عندى أننا نسير من هذا المكان نترك الأرض والوديان ولم نزل كذلك إلى أن نقع بمكان يحمينا قبل أن يسمع بنو القين وبنو فهد تير جعوا الينا يعقبونا وبالحرب اشغلونا إلى أن تأتى أولئك الرجال فينهبوا أولادنا والمال فانهضوا يا بنى عمى واقضوا جميع أشغالكم قبل أن لا يصير لنا فى هذه الأرض ولا قرار ولا يبقى منا ديار ولا من ينفخ النار هنالك نهضت الفرسان وجمعوا أموالهم وأصلحوا شأنهم ورفعوا رحالهم وساروا

من يومهم وقطعوا الآمال من ديارهم ووسموا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ليلا ونهارا وغدوا وابتكار حتى أنهم قاربوا أطراف التلاد وأتوا على ساحل البحار فوصلوا إلى قوم يقال لهم بنو كلب بن وبرة فرأوا فيها ديارة عامرة وأنهار واسعة فامرهم الملك قيس بالنزول فى هذا المكان والإقامة فى هذه الأوطان وقد قال لابد أننا إذا استقر قرارنا نتعرف بصاحبها ومن يقال له من الملوك أن نسير اليه أن ونطلب منه الذمام على أموالنا والعيال لانى أيست على نفسى ولاعدت أنزل فى أرض ولا مياه حتى أتعرف بصاحبها وملكها لاجل أن نكفى من أذية أهلها (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر منه ذلك المقال قال له والله إن تدبيرك بئس التدبير لاننا إذ كنا أقمنا فى الديار ما كان النعمان يأتينا بمثل من لاقينا من الأبطال فسكت الملك قيس حتى مضت ساعة من الزمان ثم رفع رأسه والتفت إلى عنتر بوجهه وقال يا أبا الفوارس الآن قد جرى القلم بما هو كائن وهذا الأمر قد فات ومضى ثم أن الملك قيس بعد كلامه مع عنتر التفت إلى شيبوب وقال له فى أى أرض نحن يا أبا رباح وما اسم هذه الأرض والبطاح ومن ملكها من الرجال ما اسمه بين الأبطال فقال شيبوب يا مولاى نحن قاربنا البحار وبين أيدينا مياه يقال لها مياه عراعر ولهذه الأرض ملك يقال له مسعود بن مصاد الكلبى وهو ملك عظيم الشأن واسع السلطان كثير العسكر والغلمان وهو معروف فى هذه الأرض بالجود والاحسان وأبوه كان كذلك من قديم الزمان وهو فارس جبار لا يصلى له بنار ولا يفدى له على جبار كبير الهامة طويل القامة يقاتل بسائر السلاح ولا يعجز من ضرب كفاح وحوله من الفرسان نحو عن خمسين الف فارس وعنان والكل مستمعين لقوله يركبون لركوبه وينزلون لنزوله والرأى عندى يا ملك أنكم تقصدوه وتطلبوا منه الذمام والأمان على عيالكم وأموالكم والنسوان وأعلم أنه لم يبق قدامك إلى بلاد السودان (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من شيبوب هذا الكلام التفت عاجلا إلى الربيع بن زياد وقال له ما الذى عندك من الرأى والصواب الذى لا يعاب وما تشير علينا به هل نسير اليه ونطلب منه الذمام والا نقيم على رغم أنف كل بطل همام فقال الربيع مسيرنا اليه أصوب وقدمنا عليه أوجب وكثير من الناس حصلت لهم الشدة ثم أنهم أقاموا بعد ذلك اليوم فى مثل هذا الكلام وباتوا ليلتهم بالتمام (قال الراوى) وكان لذلك القوم الملك الذى قدمنا ذكره ومقام عند رأس الماء الذى يقال له عراعر وكان فياض ومن خلفه مكان يقال له رياض يهب له نسيم فى الأسحار أذكى من العطر لكثرة الأزهار والنبات والأشجار وغرائب الثمار وهى أرض طيبة المزار

لا يوجد مثلها أرض ولا أطيب منها ياسادة فسار الملك قيس وبصحبة الربيع بن زياد وأخوه عماوة القواد ومن معهم من الأجناد وما زالوا يتفرجون على هذه الأماكن ويخترقوا الحلل والعشائر حتى أنهم وصلوا إلى مياه عراعر ونظروا إلى تلك المياه والغدان التي مارأوا مثلها في سائر البلدان ثم رأوا قبيلة كبيرة وخيرة عامرة وخيراتها وافرة فقالوا أنهم وصلوا إلى ديار القوم فلما دخلوا بين المضارب والخيام فعارضتهم العبيد والرجال وقصدهم جماعة من الأبطال وسألوهم عن حالهم فقال لهم الربيع بن زياد ياوجوه العرب نحن قوم من عرب الحجاز وقد أجدبت أرضنا واقحطت بلادنا فجئنا إلى حيكم وقصدنا ملككم والجوار لكم والنزول في أوضكم فلما سمع الرجل مقالهم قالوا لهم أهلا ومهلا بكم ومرحبا أبشروا ياوجوه العرب بطيب الذمام والمزار وعظم النخوه وجلالة المقدار وإذا صرتم في جوار هذا الملك العزيز السلطان عادوا من شئتم من سادات الربان وإذا عارضكم عارض نادوا باسمه تأتيكم رجال كانها أسد الدحال إذا ركبت خيولها تهتز لها البراري والقيعان فلما سمع بنو عبس من العبيد هذا المقال فرحوا بهذه الأحوال ودعوا له بعلو القدر أن وما زالوا سائرين إلى أن وجدوا خياما مضروبة ورايات منصوبة وفساطيط ملونات وسرادقات مزينات فانذهل بنو عبس مما رأوا وتحيروا مما أبصروا والتفت قيس إلى الربيع وقال له والله يا ابن العم أن صاحب هذه الأرض ملك عظيم الشأن وماخاب والله اليه ودخولنا عليه ومثل هذا الملك لايكره أن يكون مثلنا تحت ذمامه ومن جملة رجاله وأعوانه هذا وكلما أقبلوا على فريق من الرجال يقوموا لهم وبترحيبوا بهم ويعظموا قدرهم ثم قالوا لهم لم يكن حاضرا في هذا المكان بل أنه ركب عند الصباح وطلب الصيد والقنص وانتهاب اللبر والفرص وقد قرب وقت عودته وهاهنا من فنوب عنه في جميع أحواله وما تروا يابني العم إلا ما يسركم ويطيب خواطركم على مدى الشهور والاعوام طول ماأنتم في جوار هذا البطل الهمام والأسد الضرغام ثم أن العبيد بسطوا لهم الفرش ونصبوا لهم الكراسي وأنزلوهم في الخيام وزادوا لهم في الإكرام وأخذوا خبولهم وقاموا بحق واجبهم هذا والملك مسعود سائر في المقدمة وعلى رأسه علم أصفر وهو سائر مثل الاسد الغضنفر وكان عظيم الخلقة هائل جسم طويل عن الرجال مقدار ثلاثة أذرع بوجه ملح ظريف الشباب شجاع القلب مهاب فلما نظر الملك قيس قام له على الاقدام هو وكل الرجال الكرام مع العبيد والخدام ولما أن قرب منهم تقدم الملك الابن الكرام ودعا له بالعز وطول المقام على

مدى الزمان والأيام وادامة المسرة والانعام وازالة البؤس والانتقام وقد اطنب له فى الدعاء والثناء فشكره الملك مسعود على ذلك وقال له ابشر بنجاتك من المهالك ولكن أخبرنى من أنت ومن يقال لك ومن هم عربك وهؤلاء الذين معك فقال له اعلم اننا من أرض الحجاز أصحاب الحرب والبراز ولكن غربنا الزمان وكرهتنا الأوطان لما غضب علينا الملك النعمان وعادانا بعد الامان وأحوجنا أن ندخل هذه البلدان وكلما ننزل فى أرض ياخذ أهلها فينا الطمع وبيننا وبينهم الحرب يقع ونحن الان قد وضلنا إلى جنابك العزيز بعد ماضاق الخناق ووقع فينا النقص والمحاق ومرادنا أن نعيش فى ذمامك ونقعد بنا تحت كنفك فى بلادك فان قبلتنا نزلنا باهلنا فقد ولى سعدنا وعندمنا وعدمنا رشدنا وعادانا زماننا قال الراوى فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام رق قلبه وتزحزح عن مكانه وخبر قلبه بلين الكلام وقال أهلا وسهلا أيها العرب الكرام أصحاب الجود والانعام فوالله ان هذه الارض لكم ومن الان لا أنزل فيها الا بامركم فانا لكم الفدى من كل سوء وانزلوا فى أى محل يعجبكم ويليق بكم ثم أنه فارقهم ودخل إلى مندلة بعد ما أمر العبيد ان يذبحوا الجمال والأغنام وان يزيدهم فى الاكرام مدة ثلاثة أيام فى اليوم الرابع اخرج لهم الملك مسعود الخلع الحسان وأمنهم من دون العربان وقعد يتحدث معهم مقدار ساعة من الزمان ثم سألهم من أحسابهم أنسابهم فقال له الربيع بن زياد أعلم أيها الهمام والفارس الضرغام اننا من بنى عبس الكرام وهذا الملك قيس بن زهير الفارس القمقام سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان واخته المتجردة زوجة الملك النعمان سيد ملوك العربان الحاكم على كل القبائل والبلدان وهو من قبل الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ما كنا عنده الا فى أعز مكان وانما الزمان له غدرات والسادة لها آفات الأيام لها حسرات متتابعات ثم انه أخبره بما جرى لهم مع بنى فزارة من أول الديون كيف انهم قتلوا أولادهم ولما أخذ ثارنا منهم مضوا إلى الملك الأسود أخو النعمان لأنه صهرهم فشدد معه ايضا الملك النعمان وغضب علينا من رجل هذا الامر والشأن ونحن ما لنا قدر ان نقيم فى وجهه سلاح ولا نقدر نباشر قدامه ضربا ولا كفاح قال الراوى فلما سمع الملك مسعود من الربيع هذا الكلام ففهم المضمون وبشرهم بالأمان بعد الخوف وأرادان والأحزان يضيفهم تملم السبعة أيام فما رضى الملك قيس بهذا المرام بل قال له نحن ما بقى لنا غنى وها نحن نازلون فى ارضك وكل هذا من خيرك وانعامك كفاك الله شر زمانك وايامك فلما سمع كلام الملك

قيس أمر لهم بالجنائب فركبوها وعادوا إلى أهلهم وعيالهم ولما وصلوا اليهم أخبروهم بما جرى وتحرر فلما سمعت الرجال ذلك الكلام فرحت واستبشرت وبامتهم إلا من صار يختار له منزلا على عرضه هذا ما كان من أمر الرجال وأما ما كان من الربيع بن زيادة فانه قال للملك قيس أيها الملك الهمام نحن قوم كثير الأعداء فالرأى الصائب عندى أن ننزل بعيدا عن القوم لئلا يطمعوا فينا ويكون بيننا وبينهم مقدار يوم لأجل أن لا تزاحم فى أرضهم ومراعيهم ولا ندع للجهال علينا مقال لأنهم إذا نظروا أموالنا يطمعوا فينا ويخرجوا ملكهم أو ينقض العهد والذمام قال الراوى فلما تكلم الربيع بهذا الكلام قال الملك قيس والله يا ربيع إن هذا هو الرأى السديد والقول المفيد وفى عاجل الحال أمر الملك قيس أن ينادى فى الأبطال أن تكون مراعيهم بعيدة عن هذه ففعلوا ذلك الوقت والحال ونصبوا خيامهم وركزوا أعلامهم وسرحوا نوقهم وجمالهم ولما استقامت أحوالهم وقر قرارهم وهدأ روعهم أحضر الملك قيس قطعة من الجمال وأيضا قطعة من النوق العصافيرية وكساها بالجوخ الملون وأخذها وأخذ الربيع بن زياد وإخوته وجماعة من أكابر عشيرته وساربهم نحو الملك مسعود بن مصاد وما زالوا سائرين إلى أن قدموا عليه ووقفوا بين يديه فقام لهم على الأقدام واجلهم عز مقام وزاد لهم فى التحية والإكرام ثم قدم له قيس تلك النوق فقبلها منهم وشكرهم على فعلهم فقال له قيس هذا ما هو إلا بعض أنعامك علينا أيها البطل الجليل والفارس النبيل واعذرنا لأننا غرباء وهذه الأرض ليس لنا فقال له الملك مسعود أيها الملك الأعظم والليث الأفخم لا تقل هذا المقال هذه الأرض لكم وأنا نزيل عندكم ولكن أخبرنى أين نزلتم فقال له الملك قيس نحن آخر المرعى خوفا أن تضيق منازلكم فقال مسعود لأى شىء هذه الفعال فنحن الله أرضنا واسعة ومياهها كثيرة متتابعة فقال الربيع أعلم أيها الملك المفضال وليث الجرب والقتال أن الحب إذا كان فى الشرق لا تبعد عليه المسافة والقلوب عند بعضها فقال الملك مسعود شانكم وما تريدون فان الأرض أرضكم وأى محل أخرتموه فهو لكم واتعهد لكم إذا أتاكم عدوكم دفعته عنكم فشكره الملك قيس على هذا المقال وابتدأ يمدحه بهذه الأبيات .

أتيناك أيها البطل الهمام ... فاسمح لنا من جودك بالذمام
واعلم إنما أبطال عبس ... كرام لا نزال عن الدوام
نخوض إلى الحروب وكل قفر ... ولا نخشى بما فى حرب من جمام

ونخوض البحر إذا ما تلاطم ... موجه من كل حام
خلقنا للقنـــا من كل فج ... ونحن الهاشمين إلى العظام
ولا نرضى المذلة والهوانا ... ولا نرضى بفسخ من ذمام
ونجير المستجير إذا أتانا ... ولولا شربنا لأجله كاس الحمام
ولا نبخل إذا عطينا ... ولا نخشى من قوم اللئام
تركنا الحى من أجل المسمى ... بنعمائنا ملك الأنام
وقد جئنا اليك لتحمينا ... من الأعدا فكن للقوم حام
لأنك من ملوك الأرض أقوى ... وانك للعدا فى الحرب حام
فلا تخشى الملامة ياملبك ... لأنك فارس بطل الأنام
وإن أتى من أعداك أحـــد ... فنحن فرسان الزؤام
فنضرب بين يديك لكل قوم ... ولانخشى من جميع الأنام
ونحن نسمى بفرسان المنايا ... وسيوفنا رسل الموت الزؤام
فلا تسمع فينا كلام الأعادى ... ولو أتى به كل بطل همام
لأن الشخص ان لم ينصفه زمانه ... نجربه فرسان الأنام
وإن صرت على ما أنت فيه ... من حفظ العهد مع الذمام
تعلوا على كل الملوك جميعاً ... دائما طول الدوام
وتدعو لك فى كل ليل ... ويوم عند أدبار الظلام
بان يبقيك ربك دائما ... وينصرك على أعاديك اللئام

قال الراوى فلما فرغ الملك قيس من هذا الشعر والنظام وما أبداه من كلامه شكره الملك مسعود وزاد له فى الإكرام وقد أرادوا العودة فحلف عليهم أن لايخرجوا من عبده إلا بعد سبعة أيام وأعطاهم عطايات كثيرة واليوم الثامن ساروا إلى أهلهم ورجع الملك مسعود من بعدما ودعهم إلى محله وجلس بين أهله وأقاربه قال الراوى كل هذه الأمور تجرى من الربيع بن زياد والملك قيس بن الأجواد وعنتر لا يسأل عنهم ولا يحاشرهم ولا يعبأ بهم إلى أن بلغه أنهم أخذوا قطعة من ماله ونوقه وجماله فصعب عليه وكبر لديه وقال والله العظيم أن هذه الغنيمة العظمى كيف يؤخذ مال الإنسان وهو بالحياة غصباعنه فلو مات كان يغدروا هذا شىء لايصلح من الملوك وأيضاً أن هذا المال لاينفع إلا للبذل والعطاء للفقراء والمساكين وأما من يعطى ماله لاعاديه فلا خير فيه فقال له مقرى الوحش دعهـــم يفعلوا مايشتهون وإن الهدايات جرت بين كثير السادات فقال عنتر إذا كانت القلوب متحابة يليق

لها الهداية وأما هؤلاء فاعلم بها ومافيهم أحد الا ويتمنى أهراق دمانا وقد أقاموا على ذلك الحال مدة أيام وليالى ثم هنا واطمئنا ولما كان فى بعض الأيام أتت نحوهم رعيان بنى كلاب ابن وبره وأشرفوا على مراعيهم ونظروا جمالهم ورأوا حسن حالهم فداخلهم الحسد وذاب منهم الجسد ولكن هيبة ملكهم منعتهم من ذلك الحال فلم يقدروا أن يأخذ لهم عقال ومن أعجب العجب والأمر المطرب الذى يجب أن يكتب ويؤرخ أن الملك مسعود بن مصاد اتفق له أنه كان فى الصيد والقنص وأراد بكثرة الصيد فى هذه الأيام أن يفعل وليمة لقيس ويعقد معه على الغدران وأمر عبيده أن يرفعوا قدور الطعام إلى المكان الفلانى ففعلوا ذلك ولما أن رجع من الصيد أراد أن يدعوا قيس فانفذ له فى الحال من عنده بعض الرجال فقيل له ماهو حاضر فى الأطلال بل هو فى الصيد وكان خطر ببال قيس أنه يصطاد ويصنع وليمة لأجل أن يدعوا فيها الملك مسعود ولما رجع القاصد قال له ماهو حاضر ياسيدى بل هو فى طلب الصيد فقال الملك مسعود ياعرب وكيف حالهم فى هذه الأيام فقال له فى خير وانعام وأنا أقول أن ما على وجه الأرض أحسن منهم حال ولا أكثر منهم ما قال الراوى فلما سمع مسعود تلك الأقوال أراد أن يحقق ذلك بالعيان فقال لمن حوله سيروا وها أنا فى أثركم متابع لكم ففرحت رجاله وساروا طالبين أرضهم والديار وأما الملك مسعود فانه عطف على خيام بنى عبس لينظر حالهم والشأن وما زال سائرا إلى أن أشرف على مراعيهم وتعجب من كثرة مالهم وحسن حالهم واعتدالهم قدهان ملكه عنده حتى ما بقى يسوى حبه واحده ولما أن وصل إلى خيامهم ونظرها فرآها قبابا مصنوعة من الديباج وحبالها من الابريسم الغال الأثمان ورأى لهم شيئا تعجز عنه الأكاثرة والقياصرة فاراد العودة إلى دياره فلاحت منه التفاتة رأى مضربا عال كبير وحوله عشر مضارب مثله لكن هذا يفوقهم ومنصوب على رابية عاليه عنهم وهو من الديباج الأخضر عبرة لمن اعتبر وفيه يختار النظر وقد رأى أيضا فى فوهة بابه جارية قائمة وهى من داخلة وعلى الجارية ثلاث حلل ملونات محبوكة بالذهب أضاء المكان وعلى نحرها ثلاث عقود من الجواهر وهى متكئة على بعض الجوارى المولدات تمايل عجبا كانها غصن بان أو قضيب خيزران ولها لفتات كلفتات الغزلان وتضحك على من بين يديها من الاماء فلما رأى الملك مسعود بن مصاد تلك الجارية التى نحن فى ذكرها وهى فى الأبيات العاليات يقصر عن وصفها الواصفون غاب عن الموجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقد رجفت أعضاءه وحش من ساعته ببلاة وان سهام جفونها وقعت فى

حشاه ولا بقى له فى الدنيا وجود مما جرى عليه من تلك اللواحظ السود ثم أن الملك مسعود ثبت جنانه وقوى قلبه وتقدم إلى ضاربين المضارب والخيام ثم أنه نادى بالجارية المتقدم ذكرها ورأى تلك العقود التى على نحورها وهى فى نفسها غنيه عن حليها ولما رآها زاد به عشقها وغرامها وقال لها يا بنت الملوك والسادات الكرام بالله عليك من بعض الفضل والاحسان ناولينى شربة من اماء أركاس عندك مبرد فى الهواء فقد لهبنى العطش والظمأ ولك الأجر من باسط الأرض ورافع السما لانى قد أضرنى الهجير والظمأ فقالت له تلك الجارية حبا حبا وكرامة صبر قليل حتى آتيك بما تشتهى نفسك وتشفى الغليل ثم أنها ولت قتلا طمت أمواج أعطافها وأردافها بالملك مسعود الهمان ثم أنه قال لها بالله عليكى لا تبعثى لى بالماء مع بعض الجوارى فانك ان فعلت ذلك تأبى نفسى الشرب بل أتمنى إحسانك وأتيانك أنت به فقالت حبا وكرامة ثم دخلت إلى الخبأ وعادت كأنها بدر التمام ولما أن أتت بالماء تقربت منه وقالت خذ يا فتى هذا الماء المبرد واشرب وأتهنى وان أمكنك عندنا النزول فانزل هاهنا على الرحب والسعة والكرامة حتى يبرد الجر والفيلولة وبعدها سر إلى أهلك فى أمان واطمئنان ولا تخف يا فتى من غير الزمان فعندها أخذ الملك مسعود الشربة من يدها وصار يشرب وهو ينظر اليها ويظهر التشرق والغصص وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى صار كطير فى قفص ومن طول تأمله وتغصصه بالماء وعيناه تلج بالنظر إلى الجارية فما خفى عليها حاله وعرفت منه محاله فقالت له لما ضجرت من الوقوف قدامة أعلم يا فتى ان شربك فى الماء ليس هو شرب ظمآن وما هو إلا شرب بطان فان قصدك الماء فها أنت قد رويت وأن كنت ضالا عن الطريق عد إلى قومك وعربك من حيث أتيت ولا تطل النظر فيطول تلهفك وتحسرك ولا ينوبك بما أنت مؤملة شىء فهذا منك قبيح لا يقال فيه مليح وأعلم أن الناس ماهى كلها سوا فانه قد يموت الانسان بعلة لا يوجد لها دوا ولقد سمعت يا فتى المثل السائر يقول من أطلق نظرة أتعب خاطره وما أحسن قول الشاعر اللبيب فى مثل هذا المعنى حيث يقول

وكنت إذا أرسلت طرفك زائرا ... لحبك يوما أتعبتك النواظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(قال الأصمعى) ثم أنها تقدمت اليه واخذت الماء من يده وعادت وتركته قائما لا يرد جواب ولا يبدى خطاب ولم يجد للماء إلا عطشا والتهابا ولما غابت عنه الجارية صارت الاماء

يتضاحكن عليه وقد هانت عنده نفسه وعاد بلا قلب وضاقت فى وجهه الأرض ولما وصل إلى الأحياء كان قد أمسى المساء وعند دخوله إلى الخباز ادبه العشق والغرام وما أكل طعام ولا عبر إلى أجفانه منام ولما طال عليه الليل تأوه وناح وبشوقه قد باح ثم غلب عليه العشق والجوى وتباريح الهوى وما وجد لصبره دواء غير انه أنشد وجعل يقول .

قد قلت لما طار عنى الكرى ... أيا ليل قد طالت أما تصبح
وكيف يلتذ بطيب المنام ... من قد بدى سقمه المبرح
فيا آل قومى قد رمانى الهوى ... وأصبحت والله لا أفلح
هويت عزيزة ذا غـــرة ... عزيزة قوم بهم تصبح
فاصبحت لا أرعوى لداع ... دعانى ولا لقول من ينصح

قال الأصمعى وكانت أمه أتت اليه فى تلك الليلة زائرة فابصرته على غير الاستواء فانكرته حاله وقالت يا ولدى بالله لا تخفى على شىء لانك قد ركبت إلى الصيد وأنت مثل الأسد وعدت لا تعرف منا أحد وبنى عمك وصلوا فليك وأخبرونى أنك دخلت إلى خيام بنى عبس وأراك قد عدت بحال التعس والنكس وقد تغير حالك فبالله عليك يا ولدى أكشف عن خبرك ودعنى أدبر نصلك فقال يا أماه ما أظن اقصتى دواء ولا من دائى شفاء ثم أنه حدثها بما جرى ووصف لها الجارية فلما سمعت أمه كلامه صعب عليها وكبر لديها وقالت يا ولدى وأنت جرى عليك هذا المجرى من أجل جارية مسبية فوالله قد أهنت نفسك بين أهلك وأصحابك والله يا ولدى أن هذا الأمر لا أرضاه لك ولا نصل أنسابنا نسابهم ولا أرضى أن تكون زوجتك منهم لأن ساداتهم يزوجون عبيدهم بالحرائر وقد طعنت فى أنسابهم سائر القبائل وأنت يا ولدى نسبك فاخر وحسبك صحيح وافر وحكمك نافذ فى البوادى والحواضر فاصرف عنك هذا الخيال ولا تذل نفسك بالمحال ولا تجعل زوجك رهينا الغرام وتترك بنى قحطان رهينا ان يضربوا بنا سائر الأمثال فلما سمع من الملك مسعود من أمه ذلك المقال زاد به الغرام البلبال وقال لها يا أماه لا تعذليني فى هذا الحال ولا تزيدينى بعد ذلك جنون ولا تهوني على ما لا يقول فلا بد لى من هذه الجارية ولو أنها أمة ترعى الجمال وأنا إن لم أراها فى أبياتى وفى حكمى من قبل طلوع الشمس وإلا صرت من الهالكين فقالت أمه يا ولدى قاداكان الأمر ينتهى إلى الهلاك فانا أجعل روحى فداك وسعى لك فى بلوغ منالك وأزيل عنك تعبك وعنائك ولكن بعد سيرى فى حالة الانفراد والاختفاء وأرى هذه الجارية تسوى هذا التعب والعناء ولها بعل أم لا ونحن بعد ذلك نصبر على ما قد نرى ثم أنها أشغلته

بالكلام حتى ولى الظلام والملك مسعود كلما يتذكر الجارية يزداد به البلا والاشتكا
قال ولما طلع النهار قالت له أمه يا ولدى صف لى صفاتها ودلنى على أبياتها فوصف
لها صفات الرابية العالية وآل الخيام وبعد ذلك قال لها يا أمى واما صفة الجارية فما تخفى
عليك ما عليها من الملبوس الفاخر والعقود والجواهر فعندها تحققت ذلك أمه كله بالصفه
وحققت الجاريه ومن شدة خوفها على والدها ركبت ناقتها وسارت وأخفت حالها وتزينت
بزى العجائز والكبار وسارت تقطع الطريق بالهموم والافكار ولم تزل سائرة حتى أشرفت
على خيام بنى عبس وعرفت المضارب بالصفة التى وصفها ولدها فقصدت اليها فرأت عبلة
واقفة على باب المضرب فلما هشت من ذلك الحسن والجمال وقالت فى نفسها والله ما هذه
الجارية امن بنات الملوك ثم أن العجوز نزلت عن ناقتها وسارت تطلب المضارب بوقاحتها
وكانت الجارية التى وصفها الملك مسعود واقفة على باب مضربها ولما سمعت حس العجوز وثبت
اليها وظنت أنها أتت زائرة فترحبت بها واكرمتها وعادت قدامها إلى صدر البيت
وامرت الاماء بخدمتها والقيام بواجبها وكانت أم الملك مسعود خلوة المحادثة والكلام
والمزاح طيبة الثنا والاشراح فلما عجبتها ونظرتها فوجدتها غريبة الجمال بديعة الحسن
والكمال ملفظها سحر حلال لانها أن تكلمت أفتنت وأن تبسمت قتلت فقالت أم الملك
مسعود فى نفسها والله لا ألوم ولدى على ذلك القيمان وأن هذه الجارية ليست غالية بالمال
والارواح ثم قالت فاستاه ما اسمك فقالت أنا يقال لى عبلة بنت مالك بن قراد قالت لها
نعمت أماك والله وساربت فبالله عليك أنت ذات بعل وحمالم ذات خدر وخبا فقالت لها عبله
والله يا اماه ما انه لا ذات بعل وحما ولكن ما الذى تريدين بسؤالك عنى أن كنت ذات خدر او
ذات بعل فهم عندك من تزوجينى به فقالت لها أى والله أن كنت خالية من البعول وكان قولك
جد فان ابواب النجاح قد فتحت بين يديك والخير والاقبال قد نزل عليك فقالت لها عبلة
وكيف ذلك يا خالتاه لعله يكون لك ولدا واتيت تريدينى له عروسه فقالت لها إى والله يا بنية
ولكن أقول لك من هو ولدى أما رايت الفارس الذى عبر عليك بالامس وطلب منك الماء
البارد فاسقيته فقالت لها عبلة والله عرفته وهو على النسب كريم فقالت يا بنتى اعرفك به
هو الملك مسعود والله من قلبى وحشاشة كبدى ومن حيث شقيته الماء وما روى
واعلمى يا جارية انك قد ملكت فؤاده وبقى فى يدك قياده فان كنت ذات خدر بالحقيقة بشرى
بالسعد وحسن الطريقة وإن كنت ذات بعل فاجعلى بينك وبينه ميعاد ومكان وانظرى

بعد ذلك مايصل اليك من الهدايا والاموال والتحف الغوال وتبقى عنده أعز مايكون من الأهل والعيال قال فلما سمعت عبله من أم الملك المسعود ذلك الكلام صار الضياء فى عينها وقد نشف ريقها وتغير لونها واضطربت مفاصلها ووقع بها الانبهار وصار وجودها عدم وورد خدودها مثل البهار وهو بلون الأصفر وقالت لها ياعجوز سألتك بالله أنت أم الملك مسعود قالت لها نعم وذمة العرب لولا سبق لك منى الاكرام لكنت خنقتك والسلام ولكن سيرى اليه وقولى له أن لم ينته عن هذا الامر والشان أشكوه إلى بعلى عنتر يقطع منه الامر ولا يدع له ذكرا يذكر وهذا آخر ماعند والسلام قومى لا كنتى ولا استكنتى ولاعمرت بك أو طان فعندها قامت العجوز وهى تقول لعبله والله لايدلقومك من القلعان وأنت تكون السبب فى هذا الشأن ثم أنها سارت إلى أن وصلت الحلة ليلا ولما وصلت إلى ولدها وهى تقاسى فنون الويل والعنا وكان ولدها قد قتله الانتظار حتى يسمع مايتجدد من الأخبار ولما أن عادت عليه أمه ماجرى لها من عبلة زاد لهيبا وشوقا وغاب الصوات وبقى كانه مجنون أو مصاب تارة يقول أنقض مابينى وبين هؤلاء القوم من الذمام وآخذ هذه الجارية بحد الحسام الصمصام وتارة يقول قبيح على قدرى وأخاف من عائبة أمرى قال ومن شدة ماجرى على قلبه من الحيرة نفذ خلف رجل عن اصحابه وكان يقال له جندله وكان رياة فى أيام صباه وبامور الدهر خبير وهى داهيه من دواهى الزمان فلما حضر عنده فى المكان أعاد عليه الملك مسعود ما جرى علته من عبله ووصف له حسنها وفصاحتها وحسن كمالها وقال وأنا قد عولت على فسخ الذمام وآخذ أموال القوم بالحسام لان مافى العشيرة أحد الاوقد اشتكالى من جورهم وأنا اكف الاذى منهم رحمة منى اليهم وارعى الذمام الذى سبق منى لهم والآن تشيروا على بمايكون فيه الصواب لانك أهدى منى اليه ومن كل الاعراب قال فلما سمع الشيخ جندله من الملك مسعود هذا الخطاب تعجب من هذه الأسباب وقال ياولدى قصتك ماهو من أفعال الكرام وطلب نساء الأبطال حرام فى حرام وعائبته الخزى والنكال وهذا امر الذى وقعت فيه اجعله من جملة المحال ولاتجعله لك على بال واصرف عن قلبك هذا الخان واعلم ياولدى إن هذه الجارية إذا لم تقتل بعلها بسبب من الاسباب وإلا وصولك اليها غير صواب والرأى أن تبقى مع قومها على ماانت عليه وتصبر حتى أدبر أنا على هلاك بعلها بأى وجه كان فاذا صارت

هذه الجارية خالية من الازواج تنفيذا أنت إلى أهلها تم انك تتزوج بها على رؤس الاشهاد ولا يقع عليك لوم من أحد من العباد ولا تكسب المذمة بفسخ المذمم ويقال عنك أن الملك مسعود بن مصاد أعطى قوما عهدا وميثاقا ونقضه من أجل جارية ذات حيض وأولاد قال فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام وهدأت ناره من الغرام وقال يا عم كيف يكون التدبير في هذ الأمر الخطير فقال الشيخ أنا آمر زوجتي أن تسحرها وتجمع بينك بينها في الحال كلما سمعت أنت عنها فقال الملك مسعود يا جندله إني قد سمعت عن زوجتك عجائب وأمور واريد منك أن تحضرها بين يدى قال الراوى وكان لذلك الرجل زوجه كهينة ساحرة مكارة يقال لها البقاء بنت الزرقاء فانفذ خلفها فلما حضرت العجوز قص عليها الملك مسعود قصته وطلب منها المعونة على بلوغ مراده فقالت يا مولاى أخرج الليلة معى وأنت وحيد فريد حتى تقارب خيامها وأنا آتى بها إليك تمشى على أقدامها قال فشكرها الملك مسعود على مقالها وأقام ينظر أقبال الليل حتى يهدأ روعه مما هو فيه من الويل قال الراوى وما جرى من الاتفاق العجيب المطرب البديع الغريب أن الملك قيس بن عبس وعدنان أنفذ ثلاثة من أخوته الاعيان خلف الملك مسعود بن مصاد يدعوه إلى وليمته وتحضر لدعوته في كامل من يعز عليه من أهله وعشيرته وسأله الاجابة في ذلك فقبل ولم يخالف وقيل مسيره أجتمع بالساحرة وأخبرها أنه ماض في وليمة بنى عبس وما يدعنى الملك قيس ان أعود من عنده إلا بعد ثلاثة أيام وايد منك عند خروجى من الوليمة الليلة مثالثة تبلغينى إرادتى من هذه الجارية محبوبتى فقالت يا مولاى أجعل الوعد بينى وبينك كثيب الصفاء لأنه قريب الرابية التى عليها مضارب محبوبتك ولكن تأت في الصحراء وعندما تطيع الجوزاء أسرع تجد الأمر تيسر وهان قال الراوى وكان الربيع بن زياد قد لبس أماه الحى من الثياب والحلى مفاخرة وأمرهم أن يضربوا بالدفوف والمزاهر وجردت السيوف والخناجر وكان لهم يوم مشهود لقدوم الملك مسعود فاكرمه واجتمعت سادات بنى عبس وقد أنعم الملك قيس إلى عنتر وأعمامه ومقرى الوحش وعروة بن الورد وسائر بنى قرادو فرسانهم الاجواد فلما نظر الامير عنتر وأعمامه إلى ما فعل الملك قيس في حق الملك مسعود بن مصاد زاد به الغيظ والحنق وتمنى أنه لم يكن خلق لان كانت حدثته بجميع حديثها وما جرى لها مع مسعود بن مصاد لما سقته الماء وأخبرته بحضور العجوز والحديث الذى تقدم لها وإن عنتر شاور نفسه فيما يفعل فقالت له عبله الصواب عندى يا بن العم كاشف عنى الغم أن تسير هذا

الحديث عن جميع الخلق وتسير إلى دعوة الملك قيس ولا تكدر عليه وليمة فعندها سار عنتر ومعه عروة بن الورد ومقرى الوحش وجماعة من أبطاله وأبوه وأعمامه ولما أن حضر خدم ودعا للملك قيس بدوام العز والنعم فتزحزح الملك قيس وأجلسه بجانبه ولما أن استقر به المقام وحضر بعد السادات الكرام وبنو زيادة وسائر بنى عبس وعدنان ومن كان له فى المقام مكان وبعدها قدمت العبيد والخدام موائد الطعام وما أعد الملك قيس للملك مسعود من الاكرام قال الراوى وكان الملك مسعود كلما أقام وقعد يديم عينيه إلى ناحية خيام عبلة فقال عنتر لمقرى الوحش أما تنظر إلى هذا الشيطان وهو يطيل النظر إلى نحو خيام عبلة بنت عمى فلا بد من قتله وانصرام عمره فقال له مقرى الوحش الصواب أنك تصبر حتى تفرغ وليمة الملك قيس ويرجع هذا الشيطان إلى الديار فاذا عاد نلحقه أنا وأنت وعروة بن الورد ونقتله شر قتله ولو كان معه الف فارس من قومه فعندها طاب قلب عنتر بهذا الحديث ولما أبصر الناس قد أجتمعوا وأشتغلوا مع بعضهم البعض قام عنتر وأخذ مقرى الوحش وعروة بن الورد وعاد إلى مضاربه وهو ينشد ويقول

لقد أنكرت بعد عرفانها ... عبيلة مواثيق إيمانها من العرب وهى ترعى جار
وعادتها حفظ جيرانها ... وماضرها لو وفت بالعهود لداع لها تريد اختيانها
كان قلائد نظمت ... بدأ دموعى ومرجانها ألا يا راكب العيس مستحيا
يبرق بان لين زمامها ... وسائر لسان تلك الديار لان الديار بسكانها
رياض بهازهت كالرياض ... ليالى صفت بين أخوانها تحكى الخدود لتفاحها
وتحكى الغضون برمانها ... وأخفى حديثنا لحادث تضيق الصدور بكتمانها

(قال الراوى) فلما انتهى عنتر من شعره ونظامه قضوا ليلتهم على التمام وما زالوا على ذلك الحال تمام الثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع طلب الملك مسعود أنه إلى أهلى يعود فقدم له الملك قيس المهرة والنوق العصافيرية وما كان أعده واعتذر اليه فى التقصير فحمده وشكره ثم أنه أخذ من الجميع سيفا بارق ومهرا سابق ورمحا حديدا خارق وأراد بذلك جبر قلبه وكان الملك مسعود قد صرف أكثر رجاله وما ترك عنده أكثر من خمسة رجال مع جندله زوج الساحرة وسار الملك مسعود المفتخر ينظر طلوع القمر قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الخبر وأما ما كان من الأمير عنتر فانه صار حتى أمسى المساء وخرج معه عروة بن الورد مقرى الوحش وبعدوا عن الخيام وكمنوا

قريبا من الطريق التى يعرفون أنه لابد أن يمر منها الملك مسعود بن مصاد وإذا هم قد رأوا بالقرب منهم نارا وهى تضرم فى لجف جبل فقال عنتر لعروة سل سيفك واقصد هذه النار وانظر ما عندها من الأخبار فعندها سار عروة وما غاب غير ساعة وعاد وهو غير الاستواء فقال له عنتر ما الذى رأيت يا أبا الأبيض فقال لى رأيت شيئا ما أبصرته وسمعت شيئاً قط ما سمعته وهو وذمه العرب من أعجب العجب لأنى دنوت من النار فرأيتها وهى تضرم ورأيت عندها عجوز شمطاء زرقاء العيون سمراء عابسة اللون وقد شمرت عن أذيالها ودارت حول النار القت فيها شيئا من حوافر الدواب وأضلاع الغنم وتكلم كلام لا يفهم وإلى جانبها مقاطع من حديد وتماثيل مختلفات الصور كلهم من الرصاص والواح من النحاس وغير ذلك من الانجاس وكلما أشارت إلى النار تحركت وجرت التماثيل بحركات وترعجها العجوز بأصوات منكرات مذعرات تذهل عقل الانسان وأنا والله لقد جرت فى ذلك لما رأيت وانذهل عقلى لما سمعت وأنا أقول إن هذه العجوز ما هى من بنى آدم ولو أنها أبصرتنى ما قدرت أن أهرب ولا انتقل ولا اتحرك لأنها قدها لنفى صورتها وما صدقت بنجاتى من صوبها قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام من عروة تحير وقال لمقرى الوحش هذا والله خلاف ما نحن فيه من العمل فايش تقول أنت يا أخى فى هذا الكلام فقال مقرى الوحش أقول أن هذه العجوز ساحرة وما كرة وقد أتت إلى هذا المكان تعمل تدبير أو حيلة وأكثر ظنى أنها تأخذ عبله ومسيكة وتقدمهم إلى الملك مسعود يعمل بهم ما يشاء والرأى أننا نسير اليها ونتفرج عليها وبعد ذلك نقتلها فقال عروة وأن علمت بنا قبل أن نقرب عليها تصيح فى الجن الذى خولها فيتواثبوا علينا ويختقونا وتكون قد خرخرجنا نقتل مسعود فنموت موت القرود ويشمت بنا العدو والحسود فقال عنتر البطل الهمام ايش يا عروة هذا الكلام والله لو اجتلعت جنود ابليس وقبائله على قتالنا وحربنا ونزالنا لقطعت آجالهم بهذا السيف اليمانى وسار يك ما أفعل فى هذا المكان قال الراوى فعندها حرك عروة رأس جواده وسار تبعه عنتر الأسد الضرغام ومن خلفه مقرى الوحش البطل الهمام وقد سترهم الظلام واحافيف الرمال وابصروا ما قال عروة كشفوا عن حقيقة الحال فرأوا العجوز تسرع فى العزائم والكلام وكلما دارت حول النار سبع مرات ترمى إلى المضارب والخيام الى فيها عبلة بنت الكرام وتنادى باسمها واسم أمها وتشير إلى الأبيات بكمها وتقول أقسمت عليك يا سمعان الذى خلق الانس والجان الأكوان وأظهر البرهان وتكلم بالبيان بين لى بيانك واظهر لى برهانك ودور على جميع الجان فى سائر الدور والقيعان يا مخرج

المخدرات من القصور والعذارى من الحدور أخرج لى عبلة بنت شريحه أسرع من البرق الخاطف ومن هتف الهاتف وهى شاخصة البصر كثيرة الفكر القيت شعر عبلة بنت شريحة فى النار فالتهب القلب وطار وارتعد وسار وأسند البخر وغار وجاءت عبلة بنت شريحة بإذن الواحد القهار وانفتح فى الأرض سراديب وخرجت وهى مشقوقة الثياب فلاقوها شر عفريت كبار وساروا قدامها وخلفها ومن تحتها وفوقها وقالوا لها زادك الله نار على نار قل صبرك وزاد لهيبك فى محنة مسعود بن مصاد سحبتها وجلبتها إلى هذا المكان بقوة الملك الجبار لا يأخذك ولا اصطبار سلطت عليك زوبعة ومن معه من العفاريت الأربعة هيازع وزعازيع ومتمتع الجبال أجيبوها واجلبوها الوحا الوحا العجل العجل والساعة الساعة (قال الراوى) فلما سمع عنتر بذكر عبلة تغيرت أحواله وابيضت شفتاه بعد السواد وما بقى ينظر بين يديه فقالوا له يا أبا الفوارس ماذا رأيت قال يا بنى عمى هذه مصيبة منصوبة لو لم تخرج هذه الليلة ونطلع على تلك الأمور والأسباب ساقت أهلنا هذه إلى الحنا وأقول أن هذه المصيبة مسعود بن مصاد ألا تروا إلى هذه معجوز وهى تنادى باسم بنت عمى كلنا تكلمت فى القيام والقعود وقتل هذه العجوز أحسن من من قتل مسعود فقال عروة ترفق على نفسك يا أبا الفوارس قد ساعة حتى نبصر كيف تعمل ويتبين الدليل ونتفرج عليها فقال عنتر أخاف على بنت عمى بذهل عقلها وتموت بحسرتها ثم انه هز حسامه وهجم عليها وقال لها ويلك يا بنت اللئام ايش بينك وبين عبلة من الخصام حتى تفعلى بها هذه الفعال وتسلطى عليها الجن يطيروا عقلها وهم أن يضربها بالحسام ويسقيها كاس الحمام فعندها صاحت فى وجهه صيحة عظيمة أوقفته عما كان عازما عليه وعرفت انه من العبسيين فقالت له يا وجه العرب ترفق بنفسك والا يحل بك الندم اما تدرى بعد قتلى على ماذا تقدم غيرانك تعطب ولا تسلم لان عمارة تلك الأرض كلها حولى ينتظرون أمرى وأن الغيرة والحمية التى أخذتك على بنت عمك غيرتى انا أشد منها يا ابن الكرام وهى التى أحوجتنى أن أفعل هذه الفعال لان ابنتى زوجة مسعود بن مصاد وهى احسن من الشمس وهلال الاعياد انها لم تزل معه فى نعمة زائدة حتى نزلتم انتم فى أرضنا وابصر مسعود بن مصاد عندكم هذه الجارية العبسية فهجر بنتى فاسقمتها الغيرة وامرضها هجره لها واتصاله بغيرها فلما رأيتها وقد قل صبرها ضاق صدرى عليها ورصدت بعلها حتى أنى إلى عودة ملككم الملك قيس ورأيته يقرب للجارية التى يهواها فعلمت أن ذلك الوقت يصلح البغضة بينه وبينها فاتيت وفعلت هذه الفعال حتى تقع البغضة لعبلة فى قلب مسعود بن مصاد

يعود لابنتي جميع الفرح والسداد (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام انخدع لما وعول أن يتركها ويعود فصاح عليه مقرى الوحش وقال يا أبا الفوارس ما الذى سلب عقلك ومن الذى يمنعك عن هذه الملعونة أيدخل عليك المحال وزخارف المقال وأنت خير الناس بهذه الأحوال ثم أن مقرى الوحش تقدم إلى العجوز وضربها السيف رماها نصفين وجعلها على الأرض قطعتين وبعدها التفت إلى عنتر وقال والله يا حامية عبس ما تحدثت هذه العجوز الذميمة بكلمة صحيحة وأنها كانت تريد أن تجر بنت عمك إلى الفضيحة (قال الراوى) وكان عروة بن الورد لما رأى ذلك الحال كاد أن يغشى عليه من الفزع ولا بقى يعرف ما بين يديه فقال عنتر لا تخف يا أبا الأبيض فوالله لما ابصرت هذه الشيطانة كاد عقلى أن يذهب وأيقنت بالعطب لانى لما رفعت يدى بالسيف خدلت مفاصلى ولا قدرت ضربها ولا أتمكن منها فقال لمقرى الوحش صدقت ولأجل هذا قتلتها لانى علمت أنك لا تقدر تدنو منها لان معك مثل ما معى فقال عنتر إيش الذى معك من الاحتكام يا أخى فقال مقرى الوحش على ساعدى كتاب كتبة القسوس الذى فى الشام من أيام الصبى وهو نافع لهذه الاشياء ولا يقرب لحامله شيطان بداو لولا قوة قلبى به ما كان لى ثياب مع هذه الفعال فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنا حرزى إلا هذا الحسام الذكرى الذى لا يبقى ولا يذر فقم بنا سريع إلى ما كنا فيه من أمر مسعود بن مصاد وان لم أقتله لا يطيب لى فؤاد (قال الراوى) ثم أنهم عادوا على عجل يطلبون الطريق الوضح فبينما هم كذلك وإذا بالأمير شيبوب ينادى عليهم وهو غير الاستواء وقد حلت به الكروب وعقله مسلوب فقال عنتر والله أنى تركتها فى حالة العدم وهى مرعية بين الاطناب والخيم وحولها نساء أعمامك وجماعة من الخدم ولا نعلم هل كانت فى وجود أو فى فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وحس بان قلبه قد انفطر مما حصل عنده من الغيظ والكدر وقال أى شى جرى على عبلة ونحن قتلنا العجوز والنحس وأنزلنا بها التعس والنكس فقال شيبوب والله يا أخى أن هذا أشد القتل لان بنت عمك قد عدمت عقلها وتغير حالها عن ما كنا نعهد منها لا كنت من لهيب النار وإذا بعبلة وهى حاسرة بغير خمار هاجة على وجهها فى القفار فانكرت أنها من ذلك غاية الانكار ولحقت بها أسألها عن حالها فرأيتها مثل السكران الطافح من الخمر وهى تنظر تلك النار ولا ترد جواب ولا تبدى خطاب بل كل ما أسألها عن حالها تقول النار النار وإنى لما زدت عليها فى الحجاج وأردت أن أردها بغير احتجاج صاحت وأرمت نفسها إلى الارض وهى لا تعرف الطول من العرض فتركتها بين الخيام لا تعقل كلام قال محمد بن هشام

فوالله ماانتهى شيبوب من هذا الكلام حتى غاب عقل عنتر وحس بأن قلبه قد إنفطر وعلم أن العجوز كانت تعمل على أخذ عبله وأراد أن يرمى نفسه إلى الأرض مما جرى عليه فما مكنه مقرى الوحش من ذلك بل أنه طيب قلبه وسلاه عن أحزانه وقال له يا أبا الفوارس لاتخف على بنت عمك وأبشر بما يسرك فشربنا اليها هذا الكتاب يزول عنها العارض وتعود على ما كانت عليه من الصواب ولولا هذا الحرز الذى معى وإلا كانت هذه العوز بنت الاوغاد ساقت نساءنا إلى مسعود بن مصاد وأنا أعلم أننا من حيث قتلناها مضت عن عبله العمار ومابقى منها الاخيالات فعدبنا اليها حتى أريك كيف أفعل بها (قال الراوى) ولم يزل به حتى برد نيرانه والفؤاد ورده عن ما كان عازما عليه من قتل مسعود بن مصاد ومازالوا حتى دخلوا إلى فريق بنى قراد فابصروا عبله بين المضارب والخيام وهى لاتعقل كلام وحولها جماعه من الاماء والكواعب الاتراب وقد أكثروا من البكاء والانتحاب فعندها أخذها أخذ مقرى عنتر مقرى الوحش الكتاب ثم علقها على عبله ففتحت عيناها من ساعتها وعلقت بما أصابها لما استحمت وردت كمها على رأسها وعادت إلى خيامها والمضارب ففرج أهلها بخلاصها من تلك النوائب وسكروا الرب القديم الذى رد عليها ورشدها وبعد ذلك حدث أبوها فقال لاأدرى إلا أننى كنت قاعدة فى البيت وشخصان قد دخلا على ولهم رؤس مثل الدواب وأرجل مثل أرجل الكلاب فى أيديهم حرب تلهب بالنار فسلبا عقلى وسحباني بغير امرى وقد غاب صوابى ولبى وماتنفس عنى وماتنفس عنى كربى وهدأ خفقان قلبى إلا من حين فتحت عينى ورأيت عنتر لما رد اليه عقله يابنت العم هل كنتى ترى فى جسدك فتور قالت نعم والآن كما كنت عهد العافية من نفسى فالحمد لله الذى صرف هذا الأمر العظيم فعندها طاب قلبه بذلك وعلم أن كتاب مقرى الوحش نافع وأخبر عبلة أنه قتل العجوز الساحرة التى فعلت بها تلك الفعال (قال الاصمعى) فهذا دعوة الملك قيس وقد عزم على المسير إلى ديار وقد أراد الملك قيس أن يسير فى خدمته حتى يصل إلى أبياته ومضاربه فلم يطاوعه مسعود على ذلك بل أن حلف عليه ورده ولما أن بعد عن المكان وعدل إلى الموضع الذى فيه العجوز الساحرة وطلب صور النار وجندلة زوج الساحرة معه وهو يقول ياملك أريد منك حق تعب زوجتى التى جمعت بينك وبين محبوبتك عبله والساعة تزل عنك الحضرة وترى فيها الفرح والمسرة فقال مسعود ابشر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى كثيب الصفا ودنوا من النار فابصروها خمدت والعجوز

عندها مرمية قطعتين وقد احترق بعضها من النار واللهيب ولاجل ذلك بقيت النار إلى تلك الساعة وكان مسعود كلما أبصر النار يزيد به الفرح والاستبشار إلى أن تحققت الحقائق وعرف جندلة وزوجته الساحرة ورآها على تلك الحالة فنزل اليها واطلع على رأسه حتى انزعج سائر حواسه وتعتمت أضراسه فسكت مسعود وطيب أنفاسه فقال جندلة وحق اللات والعزى ماقتل زوجتي إلا العبسين وإذا لم نأخذ لي بالثأر وتزيل عني العار من مكمودا وزالت عني جميع السعود لأنها في حاجتك قد بذلت المجهود ولولا قضاء حاجتك ماقلت في هذا المكان ولا بعدت عن الأهل والأوطان فقال مسعود وقد آيس من عبلة وحلت به الف دبـــلة أبشر ياجندلة أنا آخذ لك بالثار وأبغك من قبالهم ما تختار وأما عنتر بن شـــداد فانه عول عند الصباح أن يعلم الملك بما تم له فما مكنته عبله من ذلك وقالت له ايش تريد أن تصنع يا ابن زبيبة تريد أن تهلكني بين العباد وتقول ان مسعود بن صامت عشق بنت عمي وسحرها وغيب عقلها وتدعني معيرة بذلك طول الزمان والله ان فعلت ذلك قتلت روحي وسكنت ضريحي وانك اذا علمت الملك قيس بفعال الملك مسعود لاتنال بذلك مقصود ويتجدد الغيظ وتكش الحقود من الوجوه الأول أن قيس قد عمل هذه الوليمة بالامس لمسعود وداده من أجل وأجلك ما يعانيه والثاني انك لو حلفت بعد انتهاء خبري بكل يمين ان عقلي قد ذهب ورد إلى ماصدقك أحد من العباد ولاشك أهلي حسبوني من بعض المجانين والصواب ان تكتم سرنا إلى أن يضجر اهذا القرنان ويقطع أمله مني فعندها سكت عنتر على مضض وبقي كل يوم هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد يخرجون إلى البر ويشرفون على رعاة النوق الجمال والانعام وينفذوا العبيد قدامهم بالطعام والمدام ويخرج عنتر مع عبلة ومقرى الوحش مع مسيكة ويخلوا بانفسهم في تلك الصحراء إلى وقت المساء ويعود إلى الأحياء وكان يشكوا من جور الأعداء وخوفة على عبلة فقال له عروه يا أبا الفوارس أي شي هذا الكلام والهم الذي يجدك منه مدافع وانت بالك واسع وسيفك قاطع ماومنا إلا مزهو لقولك سامع وكلنا تحت أمرك فاشرح صدرك وواظب بنت عمك ولا ترجع تفارقها وتبعد عنها حتى تنظر مايكون من هذا القرنان ولا بد من تحرك الساكن فتنزل به الذل والهوان وتدبر على قلع أثر وأثر قومه فقال لها مقرى الوحش والله لقد قلت الصحيح يا أبا الأبيض ونحن كل يوم في هذه القيعان نخلوا بانفسنا على أرض الربوات ونقضي الأوقات بالخلوعات مع من

يمر علينا من السادات ونستمع من الجوار والاماء هذه الأصوات الحسان إلى أن نبصر ما يحدث الزمان وندبر ماقد تربح من العشيرة الشكر والثناء (قال الأصمعي وأبو عبيدة) وصار عنتر يخرج ببنت عمه عبلة وكذلك مقرى الوحش بزوجته مسيكة ويخلوا بأنفسهم كما أشرنا فى هذا المكان إلى وقت المساء ويعودوا إلى الأوطان قال الراوى كل ذلك وأهل القبيلة يتعجبوا من فعل عنتر ويحسبون فى حساب مايعملون فيما قد جرى من الأسباب بل العقلاء يقولون هذا رجل يحب ابنه عمه وقد قاسى من تحت رأسها مالا يقاسيه أحد وما يريد الا أنه يخلوا بها ويشبع من حديثها وكذلك الملك قيس يقول مثل هذا المقال ثم انه بعث خلف عنتر وأحضره وعاتبه وقال له يا أبا الفوارس اشتغلت عنا وكل أحد بمقرى الوحش وما بقيت تلتفت الينا فقال عنتر يا ملك انى أينما كنت أكون فى افضالك وتحت كنفك وإما مقرى الوحش فهو على كل حال رجل غريب وقد هجر الشام وصلى أهله والاوطان وقاتل بين أيدينا مرار وان لم تجبر كسر قلبه انكسرت نفسه قال الراوى وجعل عنتر يحتج بمثل ذلك على الملك قيس وأعمامه وأخواته وهم يصدقونه فى ذلك لأجل انهم يعلمون ان محبته فى بنت عمه زائدة وفى بحراها غارق وما أحد من أهل الحى يلومه على ذلك الحال أيام وليالى وبعد ذلك بايام خرج هو وعبله ومقرى الوحش ومسيكة وعروة ورجاله والبطال وأبطاله على ماجرت به العادة وجلسوا يشربوا الخمر العقار وهم بمعزل عن النساء الاحرار فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالخيل قد طلعت من الفدافد وهى دائرة بفارس واحد طالبين قتله ودماره وقد أثخنوه بالجراح بعوامل الرماح فتبينه عنتر البطل النحرير وإذا به الحارث بن الملك زهير وكان محى عنتر ويريد له الخير فلما رأى عنتر ذلك الحال ركب جواده وأدرك الخيل وكشفهم عنه بعدما أنزل بهم الذل والويل قال الراوى كان السبب فى ذلك ان الحارث قد عمل وليمة عظيمة لبنى زياد واجتمع فيها خلق كثيرا فاكلوا الطعام ودار بينهم الكلام بعد أن سكروا من المدام ودار بينهم حديث عنتر الاسد القسور فوصف الحارث شجاعته ونخوته وبراعته فسبه عمارة وشتمه وساعده أخوه الربيع وعاونه فاغتاظ الحارث من ذلك لأنه كان من محى عنتر الاسد الفاتك قال لهم يا اولاد زياد بعد هذا الزمان طول الأيام ماذهبت من قلوبكم بغضة عنتر بن شداد أتشتموا فارسا قد حما كم من الاعداء مرارا وصان حريمكم بعد الانتهاك والدمار ولو لاهيبته شمل هذه القبيلة فى سائر الأقطار قال الراوى وما زال يصف مكارم عنتر بن شداد حتى زاد بمرارة النصب وصاح يا الحارث وقطع عليه كلامه وقال يا ابن زهير أما تستحى تذكر العبد الزنيم والوغد اللئيم

وتفضله على كل سيد كريم وحق اللا والعزى أن ذكره عار وفضيحة وشنار وإن كان قد قاتل كما ذكرت وسلم من الوقعات فاسلم إلا باجلة من الناثبات وهو على كل حال عبد معود بالشق ولوهم به أحد منا وطلب قتاله تركه فى البرملقى فقال الحارث والله ياعمارة أنك كاذب وغير صادق وإن كنت نسيت أفعاله فسأذكرك ببعض أعماله أما هو الذى حملك على يديه لما خرجت تطلب عبلة ورماك على الأرض وضحكت عليك النسا لما أحدثت فى ثيابك ثم أنشد يقول

دع الهذيان زياد وأذكر مقامك بين أهل المعانى
وقد أطلقت رأس رعاك خوفا ورحت تجر أذيال الهوان

قال الراوى ثم أن الحارث بن زهير كان ذكرة على سبيل المزاح ومنادمة شرب الراح وأما عمارة بن زياد فانه زادت به البغضة لعنتر بن شداد وقد حمى مزاجه وانتفخت أوداجه وغير السكر أحواله فطلب الحرب ثم سل حسامه فصاح فى أخوته وهان عليه قتله وأبصر الحارث فعاله فوثب إلى جواده وركب وعول على الهرب فادركوه ولما رأى الهلاك دفع عن نفسه حتى أنهم أثخنوه بالجراح ولما أدركه عنتر حتى أشرف على الهلاك إلا أنهم عند وصوله اليه كفوا عنه وأراد عمارة الهرب فادركه عردة وأسره أسر مقرى الوحش أخاه الثانى والرطال أخاه الثالث وبذلوا السيوف فى العبيد فقتلوا منهم ثلاثة وانهزم الباقون هذا وعنتر قد رسأل الحارث عن القصة وسببها الذى أوجب القتال بعد المنادمة فقال ياحاميه عبس ما يلومك أحد على معاداتك لبنى زياد وقد رأيت ما فعلوه لأنهم قوم لئام لا يحفظون ذمام وأقل ما فعلت من الجميل فى هذا اليوم أنى حملت لهم الزاد فاكلوا وأحضرت لهم الشراب فشربوا ولما أن سكروا قاموا إلى ليقتلونى والسبب فى ذلك أنهم ذكروك وسبوك وشتموك وقد ذكرت أنا لهم شجاعتك وردبت عيبتك فقلوا بى هذه الفعال قال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد به الغرام وقال ياحارث أنا أعلم أن بنى زياد يبغضونى ولا بد إلا أقطع منهم الآثار وأشتتهم فى القفار ولكن فى هذا المكان لأننا عندنا مشاغل لبعدنا عن الأوطان والغربة وقلة الابصار والاعوان ومافى الأمر ياحارث إلا أن نسوق غرماك إلى بين يدى أخيك الملك قيس ونخبره بما جرى عليك قال الراوى ثم أنه أمر أخاه شيبوبا أن يكشف عمارة وأخوته ويسلمهم إلى الحارث ففعل ذلك وسيرهم معه وعول على الرجعة فقال عروة بن الورد يحق الله عليك يا أبا الفوارس تمهل على حتى أعود إلى عند الحارث وأحمل العبيد ماقد فضل من طعامهم وشرابهم حتى لا يحظى به من لا يستأهله فقال له عنتر أفعل

مابدا لك فما أخالف مقالك ثم تقدم يطلب المكان الذى ذكرنا والحال الذى وصفنا وخرج من بعض أودية الوادى خيل متسابقه وفرسان متزاعقة بأيديهم الصوارم البارقة والرماح الخارقة فوقف عروة بن الورد ونظرهم فإذا هم ينادون يا آل كنده يا آل كندة يا آل بنى القين اين تنجو يا عبيد الزنا وتربية الخنا ونسل الأما وبعدها أطلقوا نحو عنترة وقوموا الأسنة وتقسموا عليه فرق ومواكب وداروا به من كل جانب ولما علم مقرى الوحش بهذه النوائب قال هذه خيل قد تبعتنا من ماء النعام تطالبنا بثأر عمرو الذى قتلته وسبيت زوجته زهرة واليوم أشفى منهم قلبى فقال عنتر لمقرى الوحش إن كان كما يسير خلفنا غير هذه الطائفة فهذه أمرها قريب وقد ساقها أجلها إلى تلافها ولكن قلبى يحدثنى أن مائة فارس من بنى كندة وبنى القيان ما تجسر أن تدخل خلفنا إلى هذه الديار وقد أبصرت من فعالنا لهيب النار وأنا أقول أن بوادر هذه خيل كثيرة وأنا خائف على عبلة ومسيكه من ذلك الأمر لأنهم فى واسع البر الأقفر وإذا كان الأمر على ماذكرت فالتق أنت وعروة والبطال بهذه الخيل حتى أعود إلى البسام والعيال وماتم عنتر بن شداد هذا الكلام حتى طلع حتى طلع موكب آخر من بين تلك التلال والرمال أكثر من الأول عدداً وأغزر مدداً فانطبقوا مع الفرقة الأولى وبدوا بالصياح وانتشروا فى تلك الربا والبطاح فقال عنتر والله يافارس النياق وأنا ما احسب إلا حسب الرجال أهل الخبرة بالحرب والقتال وما طلبنا هؤلاء الأنذال إلا وقد علموا أننا أكثر منهم فى الحرب والنزال نزال ثم ركض عنتر وشيبوب خلفه والأعداء من كل جانب تصيح عليه وهم يقولون سلم نفسك وأقطع من عبله طمعك قبل أن ينهب جسدك بالسيوف قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب مارد عليهم جواب بل تم على حاله فى حمية قتال فقال لهم مقرى الوحش كذبتم يا أنذال يا نسل غير حلال فدونكم عبلة سيوف حداد تسبق الآجال فدونكم والقتال ثم حمل على الميمنة والبطال وعروة على الميسرة وطعنوا فى صدور الأبطال واختلفت الضرب بشفار الصفاح الصقال وأختلفت المنايا وزادت الأهوال وكشف الأسنة ستائر القلوب فصارت طاحون الحرب دائرة والجماجم من على الأبدان طائرة أما عنتر فانه ركض حتى غاب عنهم فقارب المكان الذى كان فيه النساء فابصر هناك طائفة أخرى ساقوا عبلة ومسيكه تسبوا المولدات فى الهودج باكيات متلفتات إلى أقطار العلوات وهم يسكبون العبرات وينتظرون الفرج من رافع السموات الذى يعلم ما مضى وما

هو آت (قال الراوى) فلما أن أبصر عنترة هذه الحالات تغيرت أحواله وعلم أن مقرى الوحش صادق فى مقاله ثم أنه قال لشيبوب دعينا ورب الكعبة من كل جانب ورمانا الدهر بسهام المصائب ثم أنه طلت الخيل وهدروز بجروز نادى ويلكم من أى الناس أنتم أخبرونا قبل أن تطير جماجمكم من على أغصان الأعناق وتروا الطعن فى المحاجر والأحداق قال الراوى وعند وصوله قتل منهم عشرين فارس وأنزل بهم للضر والوساوس فتشتتوا فى قدامه خوفا من المعاطب فى البر والسباسب قال الراوى وكان المقدم على هذه السرية جندله زوج الساحرة يأمر الملك مسعود بن مصاد لأنه لما آيس من عبلة وزاد به العشق والغرام هجر المنام وصام عن الطعام وذلك بعد ما كان ملك مقدام وهان عليه فسخ الذمام وذلك كله لأجل عشقه لعبله

الملك مسعود عاشق عبلة وصاحب الجيش والجند — جندله قائد جيوش مسعود

بنت الكرام ثم أن مسعود استشار جندلة فيما يفعل فقال له الرأى عندى أيها الملك أن تجتنب هؤلاء القوم ولا تزجع تلم بهم لانى بعد عودتى أردت أعرف من قتل زوجتى فانفذت ابنتى وقلت لها امضى إلى بنى غيس فزى سائله حتى تعرفى من قتل أمك ومن فعل بها هذه الفعال فمضت وأقامت فى أبياتهم ثلاثة أيام عادت إلى وقالت لى ما قتل والدتى إلا عبدهم الزنيم لانه كان خرج فى جماعة من فرسانه حتى وصلوا إلى أمى وهى فى عملها وشغلها

فقلتها ولو لا شغل قلبه على بنت عمه عبله وما جرى لها وعودته ما كان خروج هذا الشيطان شغل
إلا لقتل ملكنا مسعود وما كان عاد من بين يديه سالم قال الراوى وكان جندله أراد بهذا المقال
تحريض الملك مسعود عد فسخ الدم الذى بينه وبين بنى عبس وطلب بالك أخذ ثأر زوجته
وإثارة الفتن فعندها قال الملك مسعود يا جندلة لقد كان الرأى معك لما قلت لى الصواب أنه أن
لم يقتل هذا العبد ولد الزنا ما تبلغ مت زوجته منا والآن لا بد لى من قتله وأريد من اليوم
أجعل عليه العيون والأرصاد وأرسل اليه من يضرب رقبته ويخمد حسه وإذا أرسل إلى
الملك قيس وعتب على أقول له هذا أمر ما علمت به حتى فات والخطأ من عنتر لأنه قتل من
أهلنا امرأة جليلة القدر بغير ذنب فاجتمعوا أهلها وأخذوا بثأرها منه كما جرت عادة العرب
فساروا اليه وقتلوه فقال جندلة إذا كان عزمك يا ملك قد قوى على ذلك فاذن الأمر قد سهل
فى قتله لأنى قد بلغنى فى هذه الأيام أنه ما يفارق عبلة لا ليل ولا نهار ومن خوفه عليها كل يوم
يأخذها ويبعدها فى أواخر المروج والغدران ويأكل ويشرب إلى الليل ويعود فى وقت الظلام
والصواب أنك ترسل قدر خمسمائة فارس ليقطعوا من عنتر عمره ويخفون أثره وتأمرهم أن
يكمنوا له فى ثلاثة مواضع وأوصيهم أن لا يخرجوا اليه حتى يقبل الليل لأنه يكون سكران من
شرب العقار وأنهم يبادرون اليه ويضربون رقبته ويجيبوا اليك زوجته وان عتب عليك
الملك قيس تقول هدة الخيل ما كانت من عندنا ونحن لا نعرفها ولا شك أنها من بنى كندة
وبنى القين لأنهم أتوا يطالبون عبدكم بالثأر لفارسهم عمرو بن ضمرة ولا بد ما أنفذ اليهم من
أبطالنا من ينهب أموالهم ويسبى عيالهم إلى ويقتل أبطالهم إلى أن تنطفىء الفتنة وتكون قد
ظفرت بالفرصة فلا يكون مثلك من الأرض وكيف تبقى فى قلبك غصة وأنت صاحت
هذا الإقليم وصاحب الحسب الكريم قال الراوى فلما سمع الملك مسعود هذا المقال زاد به
البلبال وقال يا جندلة كلما أشرت به صواب إلا قولك خمسمائة فارس لعبد واحد فهذه
الكثرة لأى شىء الحاجة اليها فقال له جندلة يا ملك الزمان لأن رجال بنى عبس مشهورين
وهم فى الفروسية مذكورين خصوصاً ذلك العبد الزنيم لأنه فارس مغوار وبطل جبار وله
فروسية ما عليها غبار ولم يخرج بعبلة وحده بل لا بد أن يخرج معه جماعة من قرسان قومه وكلهم
أبطال وأقيال ما لهم فى الحرب مثال وقيل أن معه فارس مغوار وهو يسمى مقرى الوحش
ويلقب بفارس النياق وهو أثبتهم عند الحرب والكفاح وأضربهم بالصفاح فدبرت هذا
التدبير لأن فى المهاونة فى التدبير عائدة على الإنسان بالتدمير * فلما سمع الملك مسعود هذا
الكلام قال له افعل ما بدا لك لأننا لا نخالف مقالك ثم أن الملك مسعود دعا من خواص قومه

أربع رجال واطلعهم على هذا الحال فوجد عندهم لبنى عبش من الحسد ماقد ملأ القلوب وفاض من الصدور وماصدق القوم أن يسمعوا هذا الكلام حتى أجابوا وقد عادوا وكل منهم انفذ خلفه رجاله وابطاله وأمرهم بأخذ الاهبة واطلعهم على هذه القضية وصار كل رجل مع اصحابه وجندلة معهم ولما وصلوا بنى عبس كمن بهم فى هذه المواضع التى ذكرناها وكانوا الكل فوزى بنى فهد وبنى القين وقصدهم قتل عنتر وكان غرض جندلة بتفريق الاماكن إذا بلغ الفريق الأول واتبعه عنتر واصحابه وبقيت عبلة ماعندها أحد قال الراوى وفى تلك الأمور والفساد جرت قصة الحارث مع بنى زياد وماجرى كما ذكرنا وأبصر جندله عبلة وقد بقيت وحيدة لما بعدوا عنها فقال جندلة هذا وقت انتهاب الفرص وها قد أتانا الأمر كما نريد فدونكم وهذا العبد الشيطان المريد اقتلوه ومدوه على الصعيد اهلكوا من معه من الفرسان الصناديد حتى ناخذ محبوبة الملك مسعود بن مصاد ونعود ثم أنه طلب عبلة فى بعض الفرسان الذين كانوا معها فوجدها وحيدة فسباها وأخذ معها أيضا مسيكة ومن كان معها من مولداتها وعاد جندلة بالفرح والسرور فالتقى بهم عنتر وقتل منهم عشرة فوارس وجرى من القصة ماجرى واستخبرهم عن حالهم وكان المقدم عليهم رجل يقال له سعدان بن علوان الذى أجابه قائلا يا أمن الأمة الحرام نحن بنو القين وقد اتينا لطلب الثأر ونكشف العار وعبلة قد سبيناها كما سبيت أنت زهرة ثم انهم صاحوا عليه وقصدوه من كل مكان قال ولما رأى عنتر ذلك الحال طار برى الاقلام وصار معهم تحت القتام وقتلهم حتى اتسع عليه المجال وعاد إلى الرمح وقد طعن به فى صدور الرجال وأول من قتل منهم المقدم على السرية سعدان لانه حنق عليه وطعنه فى صدره نكسه عن جواده فلما ابصر الفرسان طعنته تفسحوا عنه وتجنبوه وصار تارة يطلبهم وتارة يطلبوه وجندله ساق عبلة سوق العجلة واخذ بها فى عرض البر ومعه عشرة من الفرسان فعلم شيبوب بهذه الفعال فتبعه ورمى رجاله بالنبال التى كانت معه ومازال يعوقهم عن المسير حتى قتل منهم فرسانا لهم قدر وقيمة وحازاهم على البغى والغدر وبعد ذلك ادركهم عنتر وكان قد سمع صياح عبلة فانتحى لها وطلبها خوفا عليها وعلى اخيه شيبوب من أعداء قال ولما رأى جندلة عنتر ونخوته خاف من الهلاك وقال لمن معه من الفرسان ياويلكم أن هذا الشيطان ما بقا به الامن حضر أجله فاطلبوا بنا يا بنى عمى النجاة والا عاد علينا شره ثم أنه ترك عبله وعدل عنهم فى تلك الطريق وطلب أثر المهزمين

ووصل عنتر إلى بنت عمه عبلة فرآها تتبسم من فعاله وهزيمة الأبطال من يديه وقد ظهر على وجهها السرور بعد الخوف وهدأ قلبها بعد الخوف فزاد عجبه من ابتسامها وفرح بشكرها وكلامها فأمر اخاه شيبوب فقاد زمام ناقتها مسيكة وسار بهما حتى وصلوا إلى المكان الذى كانوا فيه فعند ذلك قالت مسيكة ياحامية عبس أيطيب على قلبك أن تعود إلى الحى وتخلى اخالا مقرى الوحش مع اعداه فى هذا البر وحيد وبين يديه خلق كثير فقال عنتر أما مقرى الوحش فما بين يديه من يخشاه لان قدامه مائتين فارس اندال ومعه عروة والهطال وانا لابد لى من العودة اليهم ثم أنه أوصى اخاه بحفظ النساء وقال له إذا رأيت بنى عبس ركبت إلى نصرتنا فردها وقل للملك قيس ماهناك أمر يوجب أن تعاجل ثم عاد يركض على ظهر الابجر إلى أن وصل إلى مكان المعمعة فرأى الحرب قائم على قدم وساق وزاد الأمر عما كان يعهد ومقرى الوحش يهجم على الأعداء هجمات الأسد والزرد وابن اخته الهطال قد اثخن بالجراح وعروة بن الورد قد خفق صوته من كثرة الصياح (قال الراوى) وكان السبب فى كثرة الأعداء أن المهزومين لما عادوا من قدام عنتر لحقهم جندله ولهم من أقطار الفلا وقال لهم قتلنا وحاجة ملكنا ماقضيت لأن هذا الأسود المشؤم خيب طريقنا وزاد تعويقنا وانا كنت أسمع عنه هذه الفعال وكنت اظنه محال حتى انى حققت ماسمعت بالنظر وحق الرب القديم أن الجن تفزع منه وتعجز عن مقاتلته وأنا قد عذرتكم واستصوبت رأيكم فى عدم الهجوم عليه وأقول أنه قد اشتغل بمحبوبته عنا ولا ما كان عادمنا أحد والصواب اننا ننظر لبنى عمنا ونعينهم على أصحابه ثم عادوا إلى المكان الذى قدمنا ذكره فوجدوهم يدافعون عن انفسهم مدافعة الابطال فقال جندلة ياويلكم اترضون لانفسكم بالهرب من ثلاثة رجال وانتم مائتان وخمسون فارسا ابطال ثم حمل فيمن كان معه فعند ذلك اشتد الطعن والضرب وزاد الحرب والكرب فبذل أصحاب عنتر الارواح وجادوا بالضرب والصفاح حتى اثخن الهطال بالجراح وخفق صوت عروة بن الورد من كثرة الصياح ولولا مقرى الوحش وشجاعته وحسن معرفته لكانوا هلكوا وشربوا كأس المهات إلا أن الأمور مازالت متضاعفة والأسباب متلاطفة حتى لحق بهم عنتر بن شداد ورأى اصحاب على تلك الحالات التى ذكرناها فحمل وصاح وعرفهم بنفسه فوقع فى قلوب الأعداد الهيبة وانقض عليهم مثل القضاء وكانت حملته أشد من حملة الأسد إذا خرج من الأجمة وطعن صدورهم طعنا أمر من الجمر فعند ذلك فرق شملهم فى البيداء ونظر عروة بن الورد اليه فقويت نفسه على

الأعداء وعليهم هجم وعاد وجودهم إلى عدم فانهزموا واجتمع مقرى الوحش بعنتر وسأله عن زوجته مسيكة فحدثه بسلامتها وما جرى له لما عاد وخلص عبلة فشكره مقرى الوحش على فعاله وقال له يا أبا الفوارس ما قوى قلبي إلا بك ثم إنهم عادوا يطلبون أهاليهم وما بقي قدامهم أحد من تلك الرجال وبعد ذلك أنشد عنتر وقال

أرى كل يوم من زماني ... عتابا في البعاد وفي التداني
يريد منزلتي ويدور حولي ... بجيش النائبات إذا رآني
كأني قد كبرت وشاب رأسي ... وقل تجلدي ووهى جناني
ألا يادهر يومي مثل أمسي ... واعظم هيبة لان التقاني
وما أسفي عليكم غير داع ... دعاني وهو في كرب الطعان
وناداني وخيل الموت تجري ... فما أدري نادى اسمي أم كناني
ففرقت المواكب عنه كرها ... بسيف كانه البرق اليماني
وكم قوم تركت الطير تأوي ... اليه وهو مخضوب السنان
خضبت خدوده بدماه حتى ... أعدت جواده كالارجوان
ولا أوهى مراس الحرب ركني ... ولا وصلت إلى يد الزمان
ولا دنا شخص الموت إلا ... كم يدني الشجاع من الجبان
أنا عنتر ولي قد شاع ذكر ... في الحروب وضرب الهندوان

قال الراوي ولما قاربوا الديار ركب الملك قيس ومعه جماعة من الأبطال وكانوا لهم في الانتظار وكانهم من أجلهم على مقالي النار إلى أن الملك قيس كان كلامهم بالمسير يمنعه شيبوب من ذلك كما أمره أخوه عنتر لما أنفذه مع عبلة ومسيكة لان الخبر ما وصل إلى الملك قيس إلا في أواخر النهار وما ركب هو ومن معه حتى أمسى المسا وكلامهم أن يخرج من الخيام في طلب عنتر يمنعه شيبوب وتشاغله بالحديث والكلام حتى قدم أخاه فالتقى القوم بعضهم البعض وحدث عنتر الملك بما جرى وقال له وحق من أنبع الماء فجرى واحتجب عن عيون الخلق والورى ما كانت هذه الفعال الا من صديقك مسعود بن مصاد ولسوف ترى ولا بد له من يوم تفارق فيه الأرواح الأجساد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس وأنت ايش بينك وبين الملك مسعود حتى تسكن لك الفرسان والجنود وبيننا وبينه الأيمان والعهود فقال عنتر بيني وبينه شيء ما أسلمك عليه فقال الملك قيس وما هو يا أبا الفوارس أتخفى مني حالك فقال له أنه توليع بعبلة وقد تصور له أن يقتني وأنا أعلم أجله قد

اقترب فقال الملك قيس وقد تبسم العجب يا أبا الفوارس تنغص على نفسك عيشك مع أنك لا تلام لأن المحب مولع بسوء الظن ويتصور له أن كل حبيب يحب حبيبه والصواب أنك تصبر حتى ينكشف لك خبر هذه الخيل ولا تعجل فى الأمور فتحمل أثقالها لأن أخاك شيبوب ذكر لنا أنها من بنى القين وبنى قهد وانهم قد دنوا خلقك يطالبوك بالثأر فقال عنتر يا ملك أنى تحدث بما سمع وأنا أعلم أن هذا محال ثم أن عنتر كتم باقى القصة وعاد إلى مضاربه وهو حائر فى أمره وعاد الملك قيس وقلبه قد اشتغل بما سمع من عنتر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك مسعود بن مصاد فان فرسانه وصلوا اليه وحدثوه بما لاقوا من النائبات فزاد حرقه وكثر قلقه وقال والله يا بنى عمى ما بقى بينى وبين القوم ذمام ولا بد أن أبذل فيهم الحسام وأملك هذه الجارية بدر التمام وإلا قتلنى الغرام وأريد منكم أن تشيروا على بما

مسعود فى دهشة لما علم أن جيوشه السبعين الفا قد أفناه عنتر

مثير الفتن

أفعل فقد قتلنى الهوى وكيف يكون التدبير قبل أن أكاشفهم بالعداوة فقال رجل منهم وهو شيخ كبير وكان من جملة المنهزمين وكان قد قتل له فى هذه الواقعة أخ وابن عم وكان يقال له مثير الفتن أيها الملك السعيد وحق اللات والعزى ما نقعد عن ثأرنا ولا على من قتل منا

وقد رأينا أموال بنى عمنا معهم فى المرعى ونحن نتحمل ذلك من أجلك ونحفظ ذمامك أما سمعت شعر عبدهم لما عاد من جهينة وقتل سيدهم بشروا فتخر بنهب الأموال وقد ذكر ذلك فى شعره وهو يقول :

سلوا عنا جهينه حين باتت تهيم من المابه فى رباها
رأت طعنا فولت واستقلت وسمر الخط تعمل فى كلاها
وما خليت فيهم سفرى سوى الغربان تحل فى رباها

وبعد ذلك عاد إلى خثعم وسبى الحريم والنعم وأنشد يقول .

جلبنا الخيل والأبطال حتى خشيا الحى من ابنا مرادى
وخثعم قد سبحناهم بكورا وشعبا عند ماتادى المنادى
وعدنا بالبنات وبالسبايا أسرناهم يقادوا فى الصفادى

وبعد ذلك أيها الملك فى نوبة وقعة خالد بن محارب لما أن سبى زوجته الحيداء وقتل خالد وكسر معدى يكرب ورجع أموالهم معه قد ملأت البيد اوله وقعات تشيب الأطفال وهى مذكورة عند السادات ووقعة جبال الروم وواقى الرمال حاضر فيها الملك النعمان وفى وادى السيل لما قتل الحاجب وردشان وأسر حجار بن عامر الكندى وغير من الفرسان وله قايع لاتحصى يامالك ومن أعظم المصائب أيضا والمحن أن رجع هذا العبد سالم من بلاد الين على أننا ما بقينا تأمن عليك من شره ولا أن أتب تواقيت عبه فما يقعد عن أذيتك لأنه يامالك عرف أنك تهوى بنت عمه فما بقى عنك ولا ينام عن أخبارك فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام زاد به الغيظ وزين له الشيطان فسخ الذمام وقال والله يابن الأعمام ما أنا متفكر بأى حجة أثير الحرب والقتال وأنا قريب العدم من دعوة ملكهم قيس لكن فعال هذا العبد ولد الزنا صبر وأن لم أحض بزوجته لم أبلغ المنا فقال الجندله يامالك أنا قد اتفتح لى باب قال له يامالك أخبرنى فقال له يامالك أن كنت أنت قزعان هم فسخ الذمام وخائف من معيرة العربان فانا قد رأيت من الصايب أنى أمضى غدا إلى بنى عبس فى زى زائر وإذا حضرت قدام ملكهم قيس أقول له على أن الملك مسعود انفذنى اليك أهنيك بالنصر وبسلامة حاميتكم عنتر من هؤلاء الأعداء والملك مسعود قد حلف لابطا أن يخرب ديارهم فاذ انطلى هذا المحال أنا أعرض له بخطبة عبلة واطلبها على اسمك والجواب ولا ارجع منهم يكون سبب الحرب والقتال ولا يبقى عليك عتب ولا ملام وهذا آخر ما عندى والسلام قال الراوى فعندها طاب قلب الملك مسعود بهذا

الخطاب ورآه عين الصواب ثم أنه مات إلى الصياح وجمع وجوه عشيرته وشاورهم فى ذلك الايضاح فقالوا ما بهذا من بأس ولا حد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه قال لاخوته والربيع بن زياد من كان يعتمد عليهم فى الأمور الشدائد اعلموا يا بنى عمى انى قد أصبحت غريب فى بلاد اليمن وكلام عنتر أنا مشكك فيه وأن كان كما ذكرنا فانحن والله إلا على غاية الخطر فقال الربيع والله أن هذه قصة مشككة وكيف تسمع من بنت عمه عبله فان كان سكت اليوم فلا يسكت غدا ولا يلا فيما يفعل وأنا قد حرت فى هذا الكلام فقال عمارة يا ملك أن جاهر ثم هذا الرجل بالعداوة فما يبقى لنا مقام ولا نخلى العرب منا لا شيخا ولا غلام وهذا الرجل ما لنا طاقة لانه على كل حال ملك وجاهل بأمور الزمان وعاشق وإن كان قد وقع فى قلبه هوى عبلة فهو سبب القلعان والبلوى وأنا يا ملك الرأى عند أنكم تأخذوها من عنتر شاء أو أبى وتزوجوها بهذا الملك الجليل القدر لان عنتر قد قضى منها وطرا ونال من وصلها الحظ الأوفر ولا سيما أن صار هذا الملك صهرنا ارتفع قدرنا وهابت القبائل أمرنا فاحمدوا الرب العظيم على خلاصكم من هذا الأمر الخطير فقال الحارث هكذا يا عمارة إذا أحد عشق أختك وامرأة أخيك أو أحد من أولاد عمك تسلمها للعاشق وتبقى تحت المذلة والاحتراق فقال عمارة إيش هذا الكلام بلا نخوة ولا حمية فقال الحارث وكيف يسلم عنتر زوجته فقال عمارة يا حارث لا تعد العبد الحقير مثل السيد الخطير فقال الحارث وكيف والله أن العبد الحقير هو الذى يهرب من اشتباك الرماح وأما عنتر فقد شهدت له الأبطال الملاح بانه أوحد الزمان وفريد العصر والأوان (قال الراوى) وما كان مراد الحارث بهذا الكلام إلا غيظ عمارة وذلك لأجل ما تقدم من نوبة ما لقاهم وهم فى القتال لما جمع عليه عمارة بن زياد الاندال وخلصه وسلمهم الله حتى ساقهم كلهم إلى الحمى وصاروا قدام الملك قيس فاطلقهم وأصلح بينهم (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بعنتر قد دخل عليهم ثم سلم ومنهم تقرب وقد نظرهم بزكاوة عقله وإذا بوجوه القوم تلعب فعلم عنتر أنهم كانوا فى مشورة وسبب فاراد عنتر أن يسألهم عن ما كانوا فيه وإذا بجندلة زوج الساحرة قد أتى عند الملك مسعود بن مصاد فى زى رسول وهو راكب على ناقة عالية السقام لابس ثيابا واسفة الأكمام وعلى رأسه عمامة كبيرة منقوشة الأعلام ولما صار بين الخيام برك ناقته وأمر عبده ان يعلقها بفاضل الذمام ثم انه تقدم إلى بين الحاضرين وحياهم باحسن التحية والاكرام ولما سلم على جميع السادات الكرام ووجه إلى الملك قيس وسرح له الكلام وقال أيها الملك الكثير الجواد والانعام إن الملك مسعود

أين مصاد قد أنفذنى اليكم أهنيكم بسلامة فارسكم وحاميتكم عنتر البطل الهمام من هذه الخيل الغائرة التى أتت نحوكم متبادره وهو يقول لكم أننا ما علمنا بها إلا وقت المسا وجمود الليل الحالك وقد ركنت من عندنا الفرسان وأخذت فى أثر الأعداء وإلى الآن ما رجع منهم أحد ولكنا قد حمل من ذلك هم عظيم وغم كبير وأمر جسيم وقد مت بنو فهد القين إلى هذه الأرض وتعرضت لكم وأنتم تحت كنفه وذماه وأنه قد عول أن يغزو ديارهم ويخرب أطلالهم إكراما لكم ورغبة فى قربكم قال الراوى ولم يزل جندله يتمم بمثل ذلك الكلام حتى دعا له كل من كان حاضرا ذلك المقال وحمدا الملك قيس صاحبه الملك مسعود بن مصاد وشكره وأثنى عليه وقام الملك قيس إلى جندله وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وقد استخبره عن قومه وعشيرته وسأل عن الملك مسعود صاحبه فقال جندله يا ملك أن صاحبى اليوم حبلى بحل هؤلاء القوم حتى افتخر بذلك ولا يبقى على لوم وأيضا ما بنى أحد يتعرض لهم ما دمت أناصرهم والسبب فى ذلك أن الملك مسعود رأى عندكم جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وسمع أن بعلها عبد يقال له عنتر بن شداد وأنه فى الزمن الأول أخذها من أبيها غصبا وهذا نكاح لا يصح ولا يحكم به أحد من العرب قال الأصمعى فلما سمع عنتر ذلك ما أمهله أن يتم خطبته حتى عمل حيلة ووثب إلى جندله وتقرب منه وقبض على حلقومه وض رخاطه طوله فى العرض فترشش دمه على بسيط الأرض وعول على الانصراف وهو لا يبدى ولا يعيد وصارت عيناه مثل لظى الجمر وما بقى يعرف ما بين يديه فخاف الملك قيس من غضبه فقام بنو عبس كلهم وقالوا أحسنت يا أبا الفوارس فيما فعلت فى هذا القرنان ماله جواب غير القتل والعذاب ثم أنهم تفرقوا إلى منازلهم والخيام ثم نهض عبد المقتول وشده على ناقته وأخذه وسار وهو غادق فى دماه وأخبره بما جرى وبقتل مولاه فانقلب الحى بما فيه وأنفذ الملك مسعود خذوا أهبتكم للحرب والقتال واتهبوا من بنى عبس الأموال والحريم والعيال قال الراوى وعلى الحقيقة باتت مياه عراعر تموج من سائر الروابى والتلا حتى أن امتلأ بالجيوش والأبطال وكان للملك مسعود خال يقال له عقاب وكان ناقص عقل وأدب إلا أنه كان جبار لا يصطلى له بنار فقال الملك مسعود يا خالاه ما لهذا الأمر غيرك وأريد منك فى هذه النوبة تقضى حاجتى وتاتينى بمحبوبتى وإن رأيت

القوم أطاعوك فاعف وأصرفهم بجميل فقال له خاله إيش يا ملك هذا المقال ولا يعرف هذا الأمر إلا أنت تعلم إذا سللت حسامى فلا أبقى على أحد يقف أمامى ولا أغمد سيفى حتى أرى الدم يجرى قدامى وما يهدأ لى سر حتى أفعل ما هو مرادى فارسل فى هذا الأمر أحداً غيرى وإلا أن فعلت شيئاً فلا تلمنى فقال الملك مسعود يا خال أفعل ما تريد لأن القوم قد أرسلت اليهم رسول فقتلوه وأقول أنك لم تلحقهم فى المكان الذى كانوا فيه ولا بد أنهم رحلوا فى الليل فزعامنا لأنهم ندموا على ما فعلوا من الفعال فى حقنا فقال له خاله أين يهربون وأنا خلفهم ثم أنه أعتد وركب وكان الوقت ضحى نهار وسارت من ورائه الكتائب والمواكب وأسنة رماحها قد سدت شعاع الشمس فى المشارق والمغارب وعقاب أوائل الفرسان كانه الأسد الغضبان وما زالوا سايرين حتى أشرفوا على المكان الذى كانت بنو عبس فيه نزول فوجدوهم قد رحلوا بالماء والعيال والأنعام ونزلوا فى ضبل الغمام ونصبوا فيه الأعلام والخيام وأدخلوا من داخله الحريم والعيال وبقوا جرائد على ظهور الخيل قيام وهم ينتظرون القتال والصدام وكان هذا كله من تدبير الملك قيس لأن عنتر لما قتل جندله وفعل به ما فعل وقد رأى القبيلة قد استصوبت فعاله ركبوا لركوبه وعولوا على المسير لقتال الملك مسعود وذلك تبعا لعنتر بن شداد فقال الملك قيس تمهل على يا أبا الفوارس حتى نحسن التدبير فأنى قد رأيت من الرأى السديد أننا أولا نلتجىء إلى ذلك الجبل الأسود ونحصن فيه العيال والمال ونظر أمورنا بعد أن ندبر أحوالنا وبعدها ننهم فى الانتظار ما يتجدد لأن عن حولنا قبائل كثيرة يتوقعوا لنا غدرات الزمان ومن الصواب والتدبير قال ولما اتفقوا على ذلك توكل كل واحد منهم بحريمه وعياله ثم أن عنتر دخل إلى عبله فوجدها تبكى عما نالها من الفزع فقال لها لا تحزنى يا ابنة العم ثم أنه طيب قلبها وأمر عبيده برفعها على جمل بازل وسار بها العبيد فى أول المحامل وهو ينشد ويقول .

يا ابنة العم قد جرت الزمانا ... وكان الدهر صعب على فلانا
حاربتنى صروفه والرزايا ... فرأتى أشد منها جنانا
فاسكتى يا نور عينى ثم قرى ... واضمنى للنسا منى الأمانا
وإذا ما رأيت خيل الأعادى ... جائلات تطلب المدانا
فوحق البيت الحرام ومن ... طاف ولبى ثم قبل الأركانا
لا أترك النفوس تباع إلا ... ببيع من لا يرى الهوان هوانا
يا سباع الفلاز وربنا غداه الحرب ... خماصاً تعوى بطانا

واحضرى وانظرى ولية عبد طيب الاصل بكرم الضيفانا
وإذ ما سألت بعد مسيرى سلائلا سلى عن حديثى العقبانا
فهى تخبرك اننى تحت ظلى من غبار اطاعن "فرسانا

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك الكلام طاب قلبها وانشرح صدرها قال الراوى وبعد ما نزلت الفرسان واتخذت إلى ابن وبرة مقبله وفى المقدمة الفارس الضراب والاسد الوثاب المسمى بالعقاب ومن خلفه العساكر والجنود وقد أيقن من تجبره أنه قد احتوى بنى عبس وأخذ أموالها وقتل أبطالها ولا يعلم بان دون أموالهم رجالا من السباع الضاربات وكل فارس منهم يلقى قبيلة ويكون على قتالها رابح غير خسران فقال عقاب لمقدمى العساكر يا بنى عمى اعلموا أن الاموال كلها لكم مباحة الجارية زوجة عبدهم الأسود فالكم فيها نصيب لانها من قسم الملك مسعود فقالوا له وكل الأموال تساق اليه حتى يفعل بها ما يريد قال وكان فرسان بنى عبس قيام كما ذكرنا على متون الخيول متقلدون بالنصول وحاميتهم عنتر فى أوائلهم وهو راكب على جواده الابجر متكئ على رمحه الأسمر متقلد بسيفه الظامى الابتر الذى لا يبقى ولا يذر وهو امامهم وقد رتب عسكره ميمنه وميسرة فعندها صاح وزجر لما رأى تلك العسكر التى كانها البحر الزاخر الا أنهم ما اختلطوا حتى غسق الظلام وزاد سواده من شدة القتام وصارت بنو كلب بن وبرة ينادون على بنى عبس يا غدارين يا مكارين أظننتم انكم تقتلون الرسول وتنجون من الهول فقال عنتر لاصحابه لا تجيبهم بجواب ولا تبدى لهم خطاب بل تحمل عليهم ونجود الضرب بالسيف القرضاب وأنا الضامن قال الراوى ومن الاتفاق العجيب الذى يلتذ به السامع ويطيب أنها كانت ليلة مظلمة وما يسمع فيها الا وقع حوافر الخيل الضوامر واصطكاك القنا والبواتر وقل خطاب المخاصب وأظلمت المشارق والمغارب وعزت فى ذلك الوقت المطالب وزعق عقاب على الفرسان وحمل وفعلوا وكذلك بنو عبس عملوا مثل ذلك العمل ولاقى بعضهم البعض والتحموا فى جنبات الأرض ووقعت العين عن العين وقد تصارخت الطائفتان والتقى العسكران وحان الحين وزعق على رؤسهم غراب البين وتطاولت منهم الاعناق وشخصت منهم الاحداق ونظرت بنو كلب بن وبرة من كان معها من الشجعان إلى قلة بنى عبس وعدنان فطمعت فيها لاجل قتلها فاستقبلهم برماحها وأسنتها وتحدر بنو عبس من ذروة الجبل ووطنوا أنفسهم على ذلك العمل فانقلبت قطار الأرض واهتزت جنباتها طولا وعرضا وحمل عنتر على العسكر يمينا

وشمال وفرق الأبطال والاقيال وأجرى مجارى الدماء وما بقى يعرف هو فى أرض أو فى سما
وزادت نيران الحرب تضرما وتلهف كل واحد على شربة من بارد الماء وصلصل الحديد
وبرق الزرد النضيد وجال فى تلك الوقعة كل فارس صنديد وليث شديد شجاع جليد وقعد
الجبان البليد وجالت العسكر فى تلك البيد وطحنت أرجل خيولهم الحصاد والجلاميد لان
الاطفال فى تلك الليلة شابت والرؤس طارت والعيون غارت والاكباد ذابت والدماء فارت
والطيور حامت والقيامة قامت وبريق الصوارم للفاصل قطعت وسهام المنايا رشقت وقد
عمل السيف اليمانى المرمح المرانى إلى أن طلع الزبرقان وأدبر الدبران واشترط السرطان
وضربت الجوزاء اشراق الفجر فانصدع بعد ما كان كالسنديان وهب نسيم الحرب فالم
الخلائق حتى اشتد الطعان وهجم الأسد فانفاق الصباح وبان حصدت السنبلة مناجيل
السيوف ومالت كفة الميزان وتعطل السنان وجرى على الجدى من الثور ما يعهد من
كواسر العقبان وانحرط الدلو عند فقد ايائه من اصحابه والحلان تزحزح زحل عن موضعه
وطلب من بهرام الأمان وانباع المشترى بابخس الاثمان واهريق دم المريخ بالسيف اليمان
فانجرح قلبه وتخضبت بآدميته الفرسان وتقدمت الزهرة إلى سائر الكواكب وهى تطالب
لنفسها الذمام والامان وطار عطارد الفجر فضمخ بالنجيع القان وقام القمر بارواح الأبطال
ومهج الفرسان والشجعان وامتد الضوء من مشارق الجو الى كل مكان فهذه قدرة الاله
الواحد الديان الرحمن الرحيم مكون الاكوان وملون الالوان وجاعل السماء انوان والارض
ميدان الذى حكم على هذه الطائفة بالفناء والانتقال إلى دار الآخرة حكم الإله الديان
العظيم السلطان الذى لا يشغله شان عن شان فسبحان رب الأنام الملك العلام قال الاصمعى
هذه والرؤس طائرة والسيوف جائرة والغبرات ثائرة والشجعان هاجمة والاندال حائرة
والقيامة قائمة والرماح حاطمة وكل هذا والأمير عنترة هايج فى المعمعة يصدر جواده
الابجر يلتقى تلك الكتائب وتلتقى صدره عوالى الرماح ويذل نفسه إلى مضارب
والصفاح وكان تارة ينادى بعروة بن الورد البطل الهمام تارة ينادى بمقرى الوحش فارس
الشام على ابن اخته الهطال وهو يحرضهم عند الصدام ويصيح فى العساكر صيحات
الأسد الضرغام فيشتتوا منه فى البرارى اولا كلما يسمعوا زعقاته مثل الرعد فى خلال
الغمام وكان تاره يطعنهم بالرمح اللهذام وتارة يضربهم بالحسام هذا شيبب ويزعق فى
الرجال من خلفه ويرمى بالنبال فيصيب بقه مقاتل الابطال فتفرق بين يديه يمينا وشمال

وكان عنتر ينادم عروة ابن الورد بهذه الأبيات

يا عروة بن الورد ليث عبسى ... كن آمنا من غلبات الإنسى
واشهد بأنى قد بذلت نفسى ... للموت حتى يطمئن عرسى
وقد عاهدت صارمى وترسى ... إن لم أر النصر ما خلعت لبسى

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل إلى أن طلع الصباح فعندها وقع عنتر بعقاب خال الملك مسعود وسمعه وهو يقول دونكم يا بنى الأعمام و بنى عبس اللئام وهو يصيح على الأبطال فطلبه عنتر وقاتله حتى كلت منا كبه وصاح فيه وأتعبه وأكربه وطعنه بالسنان خرق أمعائه وبدد أحشاءه فمال عن الجواد إلى الأرض والفلاة وبعد وقع الفنا فى بنى كلب بن وبره ورأت من بنى عبس فعال من لا تحيط به خبره وانكسرت وعادت والاسنة فى ظهورها خرقت وهى هاربة لا تصدق نجاتها من العطب وكان ذلك الوقت ضحى نهار فرجعت بنو عبس حتى قاربت الديار وهى فرحانه وهم يشكرون عنتر ويثنون عليه ويصفون مافعل من الفعال وماقتل من الأبطال وكان من جملة وصفه عمرو أخو عبلة لأنه قال والله ما كسرى الجيش إلا عنتر فقال الملك قيس لاخوته ولعمرو والله انك صادق فيما تقول مع ما علموا وتحققوا أن عنتر اعطى نار الحرب بنفسه وأفنى أكثر القوم حتى لا يبقى عليه عقب ولا لوم ثم انهم عادوا إلى الخيام والمضارب ومعهم من الخيول والاسلاب والجنائب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ودخل عمرو على أخته عبلة وهو كثير الثناء والشكر على عنتر الأسد القسور وهو يصف لها مارأى من عجائبه وماعانى من طعانه ومضاربه وقال لها يا أختاه لقد فعل الليلة بعلك فعال تعجز عنها صناديد الرجال ولولاه لاصبحت مسبية فى ايادى الأعداء الأنذال وسائر الحريم والأولاد وماكان يخلصوك بنو زهير فعندها تبسمت عبلة لما سمعت هذا المقال من أخيها عمرو عن بعلها وقد زادت فيه محبة ومنزلة حسين سمعت فروسيته وشجاعته وبراعته فعندها مشت بنفسها اليه وسعت بين يديه فابصرت الدما يسيل من على رمحه فقبلته فى عارضه ونحره وقالت الحمد لله على سلامتك يا ابن العم الذى عدت سالم غانم ورجعت من هذه الأهوال العظائم فقال لها عنتر أى وحياة عينيك رجعت سالم بعد ماقتلت من أعدائك كل ظالم وتركت فارسهم عليه الطير حائم ولا قصدن الملك مسعود فى دياره وأخلى منه ومن قومه الربوع والمعالم وأضرب رأسه بحد الحسام الصارم أو أطعنه بالرمح الهادم واترك لحومه فرسانه رزقا للوحوش وطعاما للنسور القساعم وان كان فى قلبك شك من مقالى فسلى أخيك عمرا عن فعالى ثم انه أجابها يقول

سلى يا عبلة عمرا عن فعالى ... بأعدائك الذى طلبوا قتالى
سليه كيف كان لهم جوابى ... ان شك قلبت من مقالى
أتونا فى ظلام على جياد ... مضمرة الخواصر كالمسالى
وفيهم كل جبار عنيد ... شديد البأس مفئول البسال
ولما أوقدوا نار المنايا ... بأطراف المثقفة العوالى
طفاها أسود من آل عبس ... بسيف باتر حسن السقال
إذا ما سل سال دما طريا ... وأحرقت ناره صم الجبال
ورمحى كلما رفعته يدى ... يلوح سنانه مثل الهلال
تراه إذا تلوى فى يمينى ... تسابقه المنية من شمالى
ضمنت لها الامان ضمان صدق ... وأتبعت المقالة بالفعال
وفرقت الكتائب عند ضرب ... تخر له صناديد الرجال
وما لى شجاع القوم إلا ... وبين يديه شخص من خيالى
ملأت الأرض خوفا من حسامى ... فبات الناس فى قيل وقال
ولو أخلفت الوعد معك قالوا ... بنى الأندال دع عنك السؤال
أمشى عمارة فى معالى ... يريد حماك ياذات الجمال
لأصبح لحمه للطير رزقا ... وأنت مع السبايا فى الجبال

ولما سمعت عبلة هذه الأبيات قالت له وحياتك أنا ما سمعت ذلك إلا من أخى فقال لها أنا ما ذكرت عمارة فى هذا الكلام إلا لما أتى جندلة زوج الساحرة رسول الملك مسعود لان عمارة أشار على الملك نيس ان يأخذك منى ويعطيك للملك مسعود من فزعه وجبنه وما سعى إلا لاجل حماك احمل له ولقومه الضيم وهم لو قدروا على لحمى لأكلوه ولو تمكنوا من دمى لشربوه ولكن أصبر فالصبر نعم الناصر ولكل أول آخر ثم أنه اخذ الراحة قدر ساعة وإذا بمقرى الوحش أتى اليه وقال يا أبا الفوارس قم نحن نسبقه ونجتهد فى قلع آثاره مادام قد حصلت بيننا وبينه العداوة وأن تهاونا فى أنفسنا جمع علينا هذا القرنان كل فارس وشيطان وكل من فى بلاد اليمن وأخذ ثارة منا وثار الفتن فقال عنترة والله يا أخى لو كان الأمر لى ما نزلت عن ظهر الابجو كنت جديت فى هلاك الملك مسعود وقلعت منه الاثر وانما لما رأيت أصحابنا قد أصبحوا تعابا فيهم جماعة جرحى فقلت لنفسى أمهل عليهم حتى يأخذوا لأنفسهم راحة من

كرب الكفاح وأسير غداة غد عند الصباح فقال له مقرى الوحش دبر كما ترى ولا تنم على من لا ينام عنك أبدا فلما مضى النهار ركب عنتر وأرسل استأذن الملك قيس فى المسير إلى مياه عراعر وانجاز أمر الملك مسعود قبل أن يجمع علينا القبائل وتأتينا قبائل اليمن وأنا يا ملك لم أدع هذه القرنان يملك فينا فرصة ويا ملك انت واخوتك تريحوا أنفسكم ونحن نبلغكم المقصود ونكفيكم أمر الملك مسعود فقال الملك قيس والله لا رضيت أنا لنفسى بالتأخير ولا بد ما أبذل المجهود فى لقاء الملك مسعود خائن الايمان والعهود وأنا فى الأول كنت ألوم عنتر على ما يقول فى حق هذا القرنان حتى صار لنا هذا الأمر عيان ثم انه ركب من وقته وساعته وصاح فى قومه وعشيرته فركبوا وتركوا فى البيوت الربيع بن زياد واخوته وسارت بنو عبس من أول الليل وقد اكثروا من الجنائب والجيل (قال الأصمعى) وكان الملك مسعود منتظر خاله عقاب ان يعود اليه فسبايا بنى عبس وأموالهم وتحدث عن عبلة بكل حساب ولم يحسب تاللبات الليالى والايام ومازال على هذه الاحكام حتى وصل اليه المنهزمون وهم قوم قدر عشرة أو عشرين وأخبروه عن خاله عقاب وكيف قتله النسر الكاسر أبو الفوارس عنتر فلما سمع الملك مسعود هذا الخبر حسن ان قلبه قد انفطر وغاب عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقال يا بنى عمى ما كان ظنى اننا نلقى من هذه القبيلة هذا الملتقى والا ما كنت ذكرت عشقا ولا غيره أبدا على اننى أنا الذى فرطت فى أمرى بقعودى عنكم وإلا لو كنت سرت معكم كنت احتكم من هذا العبد الأسود الذى طغى وتمرد وفعل بكم هذه الفعال وأهلك الرجال وأفنى الابطال والآن ما بقى غير مسيرى معكم بكل من فى الاحياء والا شمتت بنا الأعداء لان هؤلاء القوم ما يغفلوا عنا لكن لا يغلبونا إلا بالمكاره وقلة النصفة ما داموا على هذه الصفه فقال رجل من قومه وحق ذمة العرب يا ملك لو سرت إلى هؤلاء القوم بكل من فى الأرض لقبضوا أرواحهم وأخذوا أموالهم وسلاحهم ما دام فيهم ذلك العبد الأسود والصلد الانكد فلعن الله وجهه الاغلس وأنفه الافطس والصواب انك تجتمع فى هذه الليله كل من فى هذه الأرض من القبائل والفرسان والجحافل وتجرسوا أنفسكم قبل أن يدهمكم هذا اسود وينزل بكم النكد فقال الملك مسعود بن مصاد لا بد ما أريك ما أفعل بهؤلاء والاوغاد فان سائر سكان اليمن لا موا على مصادقة هؤلاء الشياطين وعابونى كيف أنى أعطيتهم الذمام ولولا خوفهم منى وهيبتى لكانوا قطعوهم من شهور وأعوام ثم انه أقبل على قومه وقال لهم الرأى عقدى اننى انفذ لهؤلاء القبائل وأجمع على هؤلاء القوم كل فارس وراجل ثم انه أنفذ النجابة تعلم ملوك اليمن وسكان الديار والمدن

وأيضاً أنفذ إلى الحلل القريبة منه فما أصبح إلا وحوله سبعة وعشرون ألف فارس من الأبطال راكبين على الخيول العربية ولما رأى الملك مسعود هذا الجيش الكبير عول على المسير ونشرت على رأسه الأعلام والرايات ودارت من حوله الملوك والسادات وارتفعت الأصوات وأظهر الشجعان النخوات وقويت عزائمها على أخذ الثار وفي تلك الساعة أشرفت بنو عبس وهم مثل السباع الضاريات إذا خرجت من الغابات وطلعت غيراتها الناثرات من وقع حوافر خيولها العربيات ولمعت الصوادم المشرفيات قال ولما وقعت العين على العين وحصل تقابل الفريقين فعندها زادت الأحقاد الكامنة حين تقابل الفريقان وزادت الصرخات وعلت الضجات وكان عنتر في مقدمة بني عبس وفي قلبه من الملك مسعود بن مصاد حرارات واحقاد ولما أن رآه وافقا تحت الرايات هانت عليه البليات والآفات وصاح مقرى الوحش وحمل فاهتز لحملته السهل والجبل وكذلك فعل عروة بن الورد الليث البطل وفعلت عبيدة مثل ما فعل وفي مقدمتها أبو الموت البطل ومقرى الوحش بلا كسل ولا مهل وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر وحمل نازح فحمل الرجال وما قصر وحمل شداد بن قراد أبو عنتر وعمه زخمة الجواد الفتى القسور وحمل مالك أبو عبلة وولده عمرو وحمل عياض بن ناشب وصابر عاطب وحمل بنو عبس الشجعان الأطايب وحمل جبير أبو مسيكة صاحب حوران واخوته الشجعان وكامل من بني عبس وندنان وقد تماسكوا بالأذقان وعلا الغبار إلى السهل والجبل وظهر الشجاع البطل وانهل سحاب العذاب ونزل وبطلت الأسباب والحيل ووقعت أسنة الرماح في الأحداق والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وصار الغبار قسطل وذهب الحياء والخجل وضجت نساء الحلل وضربت بالقوم المثل عمل عنتر ما لا تعمله الجبابرة الأول فلله دره لأنه نثر الجماجم من على الابدان نثر الحرمل وأمقرى الوحش بما عمل وكذلك عروة بن الورد البطل وكذلك شداد وأخوه مالك وزخمة الجواد فانهم بطحوا الفرسان على المهاد وكان شداد يحمل أمامهم وهم يحمون ظهره ويصيح أنا فارس عنصري وحامي النسوة أفرق على الفرسان بولدي وعنتر يحمل على الفرسان في المنية يقلبها على الميسرة أو ما الهطال فكان يسمع له في الحرب همهمة وزمجرة وأما عنتر فانه كان يضرفيهم ضرب من له في الحرب معرفة وخبرة وينشرهم بحسامه خمسة خمسة وعشرة عشرة وأما جواده الأبجر فانه كان يلطم الحصار الذي قدامه بحافره عنتر من فوقه يقاتل ويطلب الملك مسعود بن مصاد الذي من أجله هذا الحرب والعناد ويريد قتله لأجل ما تعرض لابنة عمه عبلة وخان العهود والإيمان ونقض ما كان بينه وبين قومه من الذمام

كان فارس الشام فى ذلك الوقت عن يمينه يطعن طعنات متداركات يشك بها الأضلاع والكبود أبو الموت مقدم العبيد عن شماله كانه اسد من أســـود وعروة بن الورد الهطال يحمون ظهوره من الاغتيال إلا أن عنترة ما زال يقاتل تحت القتام هو ومن معه من الرجال الكرام حتى فرق المواكب بالحسام وزعق فى الأبطال فتنافرت من بين يديه كما تنفر الغنم من الأسد الهجام وما وصل إلى الرايات والأعلام حتى أقلبت عليه جيوش الظلام وكان حول الملك مسعود الرجال الذى يعتمد عليهم فى الشدة وهم بنى كلب بن وبرة وجماعة من بنى كندة وما زالوا يقاتلوا عنترة حتى أظلم الظلام واعتكر قعندها نادى المنادى من قبل الملك مسعود بالانفصال فرجعت بنو عبس إلى الجبال ومنهم من نزل حول الاعداء من سائر الجوانب وأحاطوا بهم من كل جانب وأما بنو كلب فانهم اجتمعوا للمشورة واتفقوا كلهم على حفظ الحريم والعيال وتحصينهم فى الجبال قبل أن تسبى الجميع عند الصباح ويكثر فينا البكا والنواح لان فرسان هذه القبيلة ما تلتقى ولا سيما هذا العبد الأسود الذى تعرض ملكنا لزوجته وقد أبلا بشجاعة قبيلته فقال الملك مسعود وقد اشتد عليه مقالهم وعظم عليه بالهم يا بنى عمى هذا المقال ما الوه كم عليه لأن الإنسان لا يحمل ما لا يطيق وأنا لا بد لى من معادات هذه القبيلة وما بقيت أسكت عنها ولا عن أذيتها وأنتم تعلمون أنى أرسلت النجابة إلى سائر القبائل والعشائر ولا بد أن يقصدوا الينا ويطلبوا معونتنا مع أبطال اسلل وترون الذل بهذه قد نزل والرأى عندى أنكم تفعلوا ما أشرتم به من تحصين العيال فى الجبال حتى يصبح الصباح وتكونوا جرائد على ظهور الخيل وتجتهدوا فى قتال هؤلاء القوم وما زال مع أصحابه على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوبهم للقتال والحرب والنزال وأخذوا فى وقع أموالهم والعيال فاصبح الصباح إلا والكل متحصنون فى الجبال وأبصر بنو عبس فعالهم فعلموا بحالهم فقال عنترة لعن الله من يترك الملك مسعود بعد هذا اليوم إلى قومه يعودوا وكان معه كل من فى الارض من الفرسان والجنود مع أنه صاح فيمن كان يعتمد عليهم فى قتاله وحمل بنو عبس خلفه وصاحت صيحات أزعجت السهل والجبل ونكس بحملته الاعلام والبنود واشتغلت فى ذلك نيران الوقود حتى عادت الوجوه بعد البياض سود وقاتل عنترة بن شداد وبذل المجهود الجلود وخيم الغبار على رؤوسهم مثل الغباز الممدود وتقطعت العلائق والكبود وما كان نصح فى ذلك القتال منع الملك مسعود غير أربع عبيد سود فداروا به فى ذلك اليوم من كل جانب وأظهروا

الأهوال والعجائب وكانوا يضربون بالصفاح وتارة يطعنون بالرماح وإذا اشتد القتال رشقوا بالسهام فلما رأوا عنتر قاصداً إلى سيدهم زمجروا وزحفوا اليه أربع حراب من حديد فوصلت واحدة إلى مقرى الوحش جرحته والثانية قد وقعت فى جواد عروة والثالثة راحت خائبة والرابعة وقعت فى عنتر فاسالت دماه بعدما صلصلت فى حديده فلما حس بها زعق زعقة عظيمة تطير عقل من يسمعها وطعن العبد بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره فضرب العبد الثانى بالظامى على هامته شقه إلى نصف قامته وقتل شيبوب العبد الثالث وطعن مقرى الوحش الرابع وأماءوة فانه ركب جواد عبير الذى قتله العبد من الخيول الشاردة وأراد أن يتبع عنتر

ابن شداد وإذا بعنتر قد أدرك الملك مسعود وهاجمه مهاجمة الأسود وضربه بالسيف على صدره طلع يلمع من ظهره فأبصر عروة فعاله فصاح فى رجاله وأجاد قتاله ولاح النصر لبنى عبس ففتكت فى أعدائها فتك وسفكت فى دماها سفك وعلت فرسان مياه عراعر بقتل ملكهم مسعود فاقشعرت منهم الجلود وتبادرت ونهزمت تطلب الشعاب ومددوا أكفهم على التراب وزعق فيهم اليوم والغراب وتصايحت الكواعب الأتراب وعلا البكاء والانتحاب وبطل الطعن والضراب وجمعت بنو عبس الغنائم والأسلاب وقد

صار وقت الضباب فعندها قال الملك قيس لبنى عمه عودوا إلى الحريم والعيال فان هؤلاء القوم التجأوا إلى الجبال وما فيهم من ينزل إلى الحرب والقتال إلى أن أن تأتى اليهم فرسان القبائل رالبلاد الذى أرسل اليهم مسعود ويكون لنا يوم تشبب فيه الأولاد فعندها استصوبت الجماعة رأيه ورجع عنتر فى مقدمة الفرسان وهو فرحان بقتل الملك مسعود وافتقد جراح مقرى الوحس فرأى شيبوب قد شدها وكان الليل قد دخل وعنتر سائر أمامهم ينشد ويقول

بصدر سنان السمهرى المثقف ... أطفأت لظى قلبى ونار تلهفى
وقد كان فى قلبى هموم كثيرة ... إلى أن هوى مسعود من حديد مرهف
تركت طيور الجو تحجل نحوه ... وتقسم فى أعضاه قسمة منصف
بغى فسقاه الله كاسات بغيه ... وسر إله الخلق فى الباغى خفى
حلفت يميناً للذى أنا عاشق ... وقلت مقالا صادقا غير مخلفى
بأنى أرد الخيل ثم رددتها ... تقوم وتكبو وفينا من مثقف
ضيقت أرض الهائلات فاصبحوا ... يرون كان الارض دارات أجنف
فعلت فعالا يوما فى مياه عراعر ... تشفى أنفسا إن كانت النفس تشتفى
وخلفت مسعودا طريحا على الثرى ... يعض على يديه كالمتأسفى

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بنو عبس من تلك المقالات ولم يزالوا سائرين حتى أنجلى الظلام وعند الصباح اشرفوا على جبل الغمام وعلموا بهم العبيد والإماء فعجبوا فرسا بالنصر والظفر على الاعداء والتفت النساء بالرجال وتقاسموا الاسباب والاموال ونزلت الرجال فى الخيام والمضارب وضجت الاقطار من رعى الجمال وصهيل الخيل والجنائب وفرحت الرجال والغلمان بزوال المصائب الملك قيس كلما اجتمع من وجوه القبيلة وسمعهم يتشاورون عن النزول من جبل الغمام ويتحكمون القيعان والآكام فيقول لهم يا بنى عمى أنا ما أطاوعكم على ذلك حتى أنظر ما يكون من أمر القبائل والفرسان الذين أنفذ اليهم الملك مسعود بن مصاد لانى أعلم أن كل من فى بلاد اليمن يقصدنا ويطلب ثاره قنا وما نقدر نتحكم فى هذه البلاد حتى نكسر أهلها فى هذه الكرة ونذل رقابها وقد عرفت قدرنا ودخلت تحت أمرنا وكان عنتر إذا سمع ذلك يصدقه فى الكلام ويوعده بالنصر وطيب المقام (قال الراوى) ما مضى على ذلك إلا أيام قلائل حتى أتت القبائل والجحافل وكان أول من صل إلى الغمام بنو فارق هم بنى العنقا أصحاب الرماح الخوارق وتتابعت بعدهم القبائل يتلوا بعضها بعض وهى تأتى وتنزل وكان بنو عبس قد لوا على النزول إذا قد اشرفت

عليهم القبائل كما ذكرنا حتى ملأت البر والآكام ودار وابهم من كل جانب ومكان حتى صار جبل الغمام كانه مركب فى وسط بحر زخار وضجت بنو عبس واضطربت وخافت مما عاينت وأبصرت فلما نظر الملك قيس إلى ذلك قوى قلوب الرجال وقال لهم يا بنى عمى وأهل عشيرتى أما لكم أسوة بى ولم يزل الملك قيس مثل ذلك حتى قويت قلوب الرجال فقال عنتر أيها الملك أن هذا الكلام قد صح وما بقى خلاص أرض اليمن أن لم تضرب بالسيف وهل رأيت يا ملك أحدا قبلنا خلد وبقى فى الفلوات ما قتل ولا مات والحرب ما يصعب إلا على البنات والنسوان لا على من يطعن برمحه فى الصدور ويضرب بسيفه فى النحور لأنه ليس يفزع من الموت والنشور بعد هذا فقلبى يحدثنى بالغلبة والقهر وأقبال المسرة والنصر ولو كانوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر فنيتهم بحسامى الظامى الأبتر ورمحى الكعوب الأسمر وسوف ترى من عبدك عنتر ما يكتب من بعدى ويسطر قال ففرح الملك قيس بكلامه واستبشر وانشرح صدره بكثرة العسكر ثم أن الملك قيس قبل صدره وشكره وأثنى عليه ثم أن بنى عبس تواثبوا من وقتهم فى إصلاح عددهم والسلاح وآلات الحرب والكفاح فبينما هم على مثل ذلك إذا وصلت اليهم فرسان الحلل والقبائل وبرقت أسنة الرماح الدوابل ودار وا بجبل الغمام وكان له أربع جوانب وكل جانب منها مليح عال مالوخيل عليه من مجال هذا وبنو عبس قد نزلت إلى البر بعدما تأهبت للكر والفر وكانت عند إشراقها معتدة للحرب والكفاح وفى مقدمتها عنتر الفارس الجحجاح وأبوه شداد وأعمامه ومالك وزخمة الجواد وطائفة بنى قراد إلى جانبه مقرى الوحش وعروة ابن الورد وأبو الموت وعبيدة الموصفون بالحرب والقتال والرجال الذى يعتمد عليهم فى الشدائد والنوائب وهم يتحدثون فى كثرة الأعداء وازدحام المواكب ومقرى الوحش يقول والله يا أبا الفوارس أن بارزونا وطلبوا منا الانصاف فرقناهم ولو أنهم على أمثالنا وأضعاف وأن عمدوا علينا بهذه المئات والآلاف خشينا على فرسان القبيلة من التلاف وإلا فنحن نقدر نخلص أنفسنا منهم إذا زاد علينا العدد ونزيد عليهم بقوة الصبر والجلد فقال عنتر وقد تبسم والله يا فارس الشام ما اتركهم يصلون إلى فارس من بنى عبس بل أطلبهم بالانجاز وأسر ساداتهم فى البراز وأنا أقسم بالرب القديم رب موسى وإبراهيم لى أنى أكون وحدى ولا يكون عندى من أحمل همه ولا يشغل قلبى قدرى أقاتلهم يوم عشره ولا أنصرف عنهم حتى أملا الأرض من قتلاهم على أننا لابد أننا نعجل فناهم ونفرق جمعهم ونقل عددهم (قال الراوى) وكانت سائر الطوائف التى أقبلت قد عولت على النزول والراحة فما صبرت بنو كلاب لما فى قلوبهم من الأحقاد على بنى عبس الأجواد لما قتلوا ملكهم مسعود بن مصاد فحملت من كل

جانب وهزت القنا والقواضب فالتقاهم من بنى عبس الصيبان أولاد الفرسان الذى نشؤا فى ذلك الزمان لان بنى عبس لما دخلوا فى تلك الذمن كان عدتهم أربعة آلاف فارس فقتل منهم فى هذه الوقعة خمسمائة فارس همام وكان الذين نشؤا من أولاد الفرسان خمسمائة وستين من الصبيان الذين تعلموا الضرب والطعان لان عنتر كان هذبهم وعلمهم الضرب والطعن فطلع واحد منهم بطلا مجدا وهما ما أوحد فاقتتلوا فى ذلك اليوم حول جبل الغمام وفعلوا فعل أولاد الكرام فعندها تزايد عليهم العدد وكثر المدد فلما رأى عنتر إلى ذلك حمل هو مقر الوحش فارس الشام وحمل أبو الموت البطل الهمام وعروة بن الورد شجاع الزمان وجال كل فارس همام وحمل المطال الأسد القمقام وحمل أبو عنتر الامير شداد فحملوا عليهم وجالوا فيهم وصالوا وأستقبلوهم باسنة الرماح وبذلوا فيهم صفاحهم وصالوا على شجعانهم وأظهروا فيهم قريحتهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأبلوهم بالذل والتعتير وأما عنتر فانه ساق الأبطال قدامه سوق الجمال وجندل الاقيال وأستطال على الرجال ومازالوا فى قتال وصدام حتى أظلام ورجعت كل طائفة إلى مضاربها والخيام وفى اليوم التالى جرى بينهم حرب لا يوصف حتى أيقنت الفرسان بالتلف ودافعت بنو عبس عن أنفسها وما نعت لله در عنتر وما فعل فانه نثر الأعداء نثر الجرمل واغرق سنانه فى نحورهم لانه فى ملك اليوم حمل فى الجانب الذى سلم اليه فجاه كما تحمى السباع الاشبال وترك الاعداء مطروحين على الرمال وكان قدامه ثلاثة طوائف يزيدون عن عشر بن الف فارس وكان هو فى خمسمائة فارس وكانت هذه الفعال كلها من تدبير قيس فقال الملك يا أبا مقوارس كيف يكون التدبير فى هذا الخلق الكثير وداروا بنا وقد عدلوا أن يقتلونا من سائر الجنبات وانهم لم يقدروا يقاتلونا الا من ثلاث جهات والرب القديم قد كفانا مؤنة الرابع لانه على كل حال عال مرتفع الجنبات كثير الصخور والاوعار والصواب اننا نحتز يترز على أنفسنا ونديم أمرنا فقال عنتر الرأى عندى يا ملك أن يكون مقرى الوحش وعروة بن الورد فى الف فارس فى جهة من الثلاث جهات وتازح بن أسيد وزخمة الجواد وعمر واخو عبلة على الميسرة فى الف فارس وتكون أنت يا ملك فى القلب فى خمسمائة فارس والف تحت الرايات والأعلام ونا يا ملك القى القوم فى خمسماية فارس لاغير فقال له يا أبا الفوارس وتخالط أنت القبايل فى الخمسماية فارس فقال له عنتر نعم أيها الملك وأبددهم وجبرهم فى أمورهم وإن رأيتنى

قصرت عن الطعن والضرب فاحمل أنت خلفي بالخمسمائة فارس التي تحت الأعلام حتى تعلم العدا يا ملك أن لنا خيلا مستريحة وابطالا صريحة ونحن محتاجين اليها وهذا كله يكون أكثر من يومين أو ثلاثة ونكسر عددهم ويزول طمعهم وبعد ذلك نخرج إلى برازهم ونكسر بالذل أنوفهم وأعزازهم قال الراوى فلما سمع الملك قيس كلامه فرح وجرى من القتال حرى وكر عنتر بالخمسمائة فارس على الأعداء وصبر أجسادهم أكوام فى عرصة البيداء وهدروز بجر وصار يلتقى الرماح بصدره وأظهره جلده وأظهر خبره وجال عليهم وبذل فيهم قوته وقتل منهم خلقا كثيراً واكثر القبائل تنظر اليه وقد أشبعهم ضربا وطعنا ملأ قلوبهم رعبا لانه قبل ما يصل بالأبطال قال لاخوته شيبوب وجرير ويلكما مدونى انتما بالرماح حتى أفرج الملك قيس على الحرب والكفاح ثم أنه صار يلتقى بالفرق التى تحمل عليه ويطعن المقدمين منها ويتمطى فى كعوب الرمح ويترك الآخر ملقى ويأخذ غيره ويطعن فى صدر الرجال طعنا يقطع الآجال قال الاصمعى لقد أخبرونى من اثق به وأعتمد فى كلام الصدق عليه وهو انى صادق فى حديثى هذا ولا قلت الا حقا ولا تكلمت إلا صدقا وقال لهم يا اصمعى أنى كنت فى هذه الوقعة حاضرا وناظر ولقد شاهدته بعينى فرأيت العجائب وقد رويت على قدر جهدى واقتصرت غاية الاقتصار وهو ان عنترة شد ذلك اليوم اظهر فى قتاله العجب وكسر اثنين وخمسين رمحا مكعب وكانت الطوائف والسادات فى فرسان العرب والقبائل من عرب اليمن إذا رأت تلك الطعنات والرماح المعتدلات تعلم سائر القبائل والفرسان المجتمعات لان الذى يطعن بهذا أو حد الفرسان وفريد العصر والأوان لأن الطعنة ما تقع فى مقتل وتعمل هذا العمل لأن من قلب غير فزعان قال الراوى فانفرج عن قلب الملك قيس اليوم الغم والهم والكرب وتعجب من قتاله والدهل من حربه ونزاله وما فعل من أفعاله وأعماله قال لمن حوله والله يا بنى الأعمام أن الزمان ما بقى ينتج مثل هذا الأسد القسور ولا أعفى منه ولا أعرف بالحرب والقتال فى وقت الزحام فى المجال ولما رأت فرسان اليمن منه ذلك تهنبته وصارت الخيل تجفل من ضربته وصدمته وتولى من زعقته وأهوا فرسان اليمن صارت تصيح ولا تقربه ولا تقف بين يديه فعند ذلك عاد عنتر إلى عند قيس وهو يهمهم ويزبجر ويخبب فى بطون القتلى بجواده لما أن عاد إلى الملك قيس قال له أحفظ أنت هذا المكان بهذه الفوارس الذى معك لانها مستريحة فان الأمر قد هان لانى عولت أن المرف على عروة ومقرى الوحش واعود لان الصياح عندهم عال مرتفع ومرادى أرأمضى إلحوهم واقوى

عزمهم ثم أنه نزل عن ظهر الأبجر وتركه يلوك فى لجامه والدماء تقطر من جنبيه وحزامه وركب من بعض خيله الجياد وأخذ أخاه شيبوب وخب فى عرض الصفوف يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد ورفقاهم هذا والرجال هاربة من بين يديه وما منهم من أحد يلتفت إلى أحد ولا يعن عليه وصارت ترمى أرماحها بين الصحور ثم يستريحوا من هول المعمعة وهو ذلك البر م ومنهم من ينزل إلى بطون الأودية ومنهم من يتعلق برؤس الجبال مما قاسوا من تلك الوقعه من الأهوال هذا وعنتر طالب مقرى الوحش إلا أنه ما لحق أن يقتل عنانه إلا وقد أبصر الأمير عمارة الوهاب قد أقبل عليه ويهز أردافه وأعطافه وهو راكب على حصان أشقر عال وله بين عينيه غرة تزهر وعلى ظهره تحاتف من الحرير وعمارة عليه راكب وقد تخيل فى نفسه أنه دولة الملك كسرى ولكنه لابس من فوق قماشة ثوبا أحمر ومتقلد برمح أسمر ومعه سيف أبتر ثقيل من الفولاذ المجرهر وتحت فخذيه حربة منها تشعل النار وهو يصيح قف يا أبا الفوارس لا تشغل سرك من جهة أصحابك والرفاق عروة بن الورد وفارس النياق فان المكان الذى سلمته اليهم محفوظ ما عليه باس وأما أنا فقد أشرفت عليهم وكشفت عنهم ما لقيت قدامهم من الأعداء وأنى رأيتهم خير كثير وهم وعلى أعدائهم مستظهرين وإن زاد عليهم العدد فرقت عليه النفير ونصرت منهم الكبير والصغير فقف أنت يا أبا الفوارس مكانك ولا تخلى العرب يستصغروا شأنك وأمسك المكان الذى سلم اليك ولا تخل مثل أخى والملك قيس يعتبون عليك وأحفظ حق الملك قيس وقومه وقم بواجب خدمته وأرع جانبه وأمسك حرمته لأن الأعداء من هذا الجانب الذى جئت منه كثيرون وجمعهم غزير وقف حتى أننى أعود أيضاً إلى مقرى الوحش وعروة بن الورد وأن كثرت عليهم الأعداء أعنتهم ورددت عنهم العرت الذين طلبتهم رعاية لما بينى وبينهم من القرابة الوداده فعند ذلك قال عنتر بن شداد يا أمير عمارة يا وهاب يا مهاب لا عدمتك من بين القرابة والأصحاب لأنك عزنا وكبيرنا وأنت المشار اليك فينا فلا عدمناك من أمير ومحامى ونصير ثم أن شيخ العرب عمارة بعد كلامه لسيده عنتر أطلق عنان جواده الأعور وجرد سنانه فى ذلك البر الأقفر فينما هو سائر فى تلك البرارى والاكم إذا وقع بين يديه سرية خيل من عساكر اليمن وكانت قد أقبلت من ديار الملك مسعود بن مصاد

وهى تنادى وتريد تعين أصحابها على الحرب والطراد وملاقاة الأبطال الشداد فنظروا إلى عمارة وهو سائق فرسه ومن شدة الكدو الجد كاد أن ينفطر فأرادوا أن يسألوه عن عساكر بنى عبس وما جرى لهم مع فرسان اليمن وما وقع لهم من الحرب والطعان فعند ذلك وقف عمارة وقد أحاط به الهم وأيقن بالذل والخسارة وقال لهم ما خبركم ومن تكونوا من ذوى الرتب فعند ذلك نظر اليه رجل منهم لما أن أقرب منهم وحاذاهم فعرف أنه من بنى عبس فعند ذلك صرخ الرجل فى أصحابه وقال لهم وقعنا من أعدانا بانسان ورأى عليه ثيابا حمراء ملونة وهو كانه طنجير ولحقته العاهات والأمراض فلما أن سمع الفرسان تلك المقالات أقبلوا عليه فى عاجل الحال فتطلع اليه رجل وقال هذا يقال له عمارة وله أخ يقال له الربيع وقتل لى أخا أبن عم أول ما دخلوا هذه البلاد وهذا أخوه وما أتيت من ديارى إلى هنا إلا من أجله ولا بقيت أسيبه ولا أفارقه من هذا المكان قال الراوى فعند ذلك تقدموا اليه ونزلوه عن فرسه من غير حرب ولا قتال لأنهم كانوا جمعا كثيرا وسلبوه القباء الأحمر وأخذوا من وسطه المنديل الأصفر وقلعوه عمامته وضربوه الضرب الوجيع حتى كادوا أن يقطعوا أنفاسه فعند ذلك قالت العرب صحاب القتلى يا وجوه العرب من حيث أخذتم فرسه وعدته وأخذتم ما عليه من السلب فاطلقوه وخلوه يذهب إلى حال سبيله وأحبسوا أنتم ما وقعتم به قال الراوى فعند ذلك دخلوا على بعض العربان فاطلقوه عريان فسار عماره وهو كيوم ولدته أمه وكان الليل قد أقبل والنهار قد ولى وأرتحل فجعل يمشى تارة ويقعد تارة وصار يسب الزمان كيف أوقعه فى هذا الذل والهوان والمشقة والحرمان وبقى فى تلك القضية حيران فزعان ربما ينتظره أحد من بنى عبس وعدنان على تلك الحالة وهو عريان خصوصا إذا نظره عنتر بن شداد وبنو قراده وهو ذليل حيران جيعان فزعان إذا وقع فى قرن عريان فتنابحت عليه الكلاب من كل جانب ومكان ودارت من خلفه ومن بين يد يخمشونه باظافيرهم حتى سال الدم من سائر جسده وأنسلخ من الخمش فى ذراعيه وركبه فعند ذلك أنتبهت الخلائق على جس الكلاب وأتى اليه العبيد من كل جانب ومكان ومسكوه ودار واحواليه وبهتوا فيه وتاملوه طويلا فنظروا الإنسان اغبر عريان مكشوف الرأس بادى الحواس وسال من منخاريه المخاط وعلى أكتافه وأجنابه أثار الضرب بالسياط وسائر جسده مخدوش من نهش الكلاب فمسكه العبيد والأحرار الأنجاب وعملوا فى رقبته حبلا طويلا طوله عشرين ذراع وقالوا هذا والله السلال الذى

كان يدور حول مضاربنا والخيام ويحرعنا من كل ليل أن ننام ويريد يسرق خيلنا والمتاع ثم انهم كتفوا يديه من خلفه واتوبه إلى عند مضاربهم والخيام وقد قفلوا فى حقه مالا يرام وقدموه إلى بين يدى مقدم القبيلة وقالوا له يامولانا وقعنا بهذا الرجل فى هذه الليلة ونظن أنه من سلالين الخيل الذى أحرم العرب أن تنام إن كان فى النهار أو الليل وها هو يامالك قد أتينا به اليك فافعل به ماتريد فقال له ويلك ياشيطان أين الجـــواد الذى سللته البارحة من هذه الابيات وانك قد أتعبتنا وأتعبت خيلنا خلفك فى البرارى الواسعة القيعان وذمة العرب إن لم تأتنا بالجواد الذى سرقته البارحة وإلا صلبناك على قرون الجبال بعدما نذيقك أنواع العذاب والنكال فقال له عماره والله يامولى ما أنا سلال ولا حرامى محتال بل إننى أمير من أمراء العربان ولكن غدر بى الزمان وخاننى ورمانى بالذل والحرمان أهانى واذاقنى النكال فعال له مقدم السرية تبكذب ياشيطان يامهان بل أنت كل ليلة تدور حول مضاربنا والخيام وتستغفل عبيدنا لما يغرقوا فى المنام وتسل خيلنا فى غسق الظلام وتبيعهم بابخس الاثمان يا ميشوم ثم أنه أمر ان يبطحوه على وجهه ويضربوه فبطحوه فعند ذلك ربطوه بأربع شكك حديد وسحبوه حتى ظن كل أحد منهم أنه اهلك من الضرب الشديد ونزل عليه عبدان شديدان يضرباه وعمارة ويستغيث يقول ارحمونى ياوجه العرب والسادات الله ما أنا سلال ولا محتال وما أنا إلا من أكابر السادات ولاتقال فى حقى هذه المقالات فلم يسرق واحد منهم بحال من الأحوال ولم يزالوا يضربوه حتى أن عماره سكت حسه وهد نفسه ويقبدل عليه الغلمان إلى أن حن عليه النسوان ورحموه فاجتمع جماعة من النسوان ودخلوا على القبيلة وصاحوا بأعلا لسان والله أن هذا المسكين ماهو وجه سلال ولا ورامى محتال وهذا ماهو الا وجه مطنبر مؤنث مذلول من أندال اما تنظر إلى فعله وماهـــو إلا قد غربه الزمان فاطلقه يامولانا لاجل الرحيم الرحمن قال الراوى فقال لهم سيد القبيلة أكرمته لكم ايها النسوان واعتقته من القتل والهوان ولكن ماخالقه حتى آمر هؤلاء العبيد ينادون عليه ويحرسوه بين العربان واشهره واتوابه ثم امر بتجريسه فاخذه والغلمان ووضعوا فى رقبته حبلا طويلا وصاروا يشحطو بذلك الحبل الذى فى رقبته ويدورا به من مكان إلى مكان ينادوا عليه وهو بما جرى عليه ذل وقد قل منه القوى والحيل وهم يقولون هذا جزاء واقل من جزاء فهذا الذى يسرق الخيل فى ظلام الليل ويمشى بين المضاوب والخيام ومازال العبيد به بين المضارب والخيام والابيات وهو يستغيث فلا يغاث

وحل به التعس حتى قربته المقادير إلى خيام بنى عبس فلاحت من عمارة التفاتة فرأى عنتر وهو واقف بين يدى الملك قيس يخرس الفرسان ويحرضهم على القتال والحرب والجرد فصاح عليه عمارة من شدة الفرح لما أبصر قومه وعنتر وقال يا ابن العم أدركنى وما أنا فيه خلصنى لان لم يكن لنا أحد يخلصنا إلا أنت ياسيد العرب فانا عمارة وقد صار لى سبع كار أصعب على من القتل أغشى وإلا حل بى القتل والهوان وكان أخوه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد مع الملك قيس وهو يحدثه يفقد عمارة الوهاب وعنتر يوعد الربيع ويقول له عند الصباح تكشف خبره وفى هذا الوقت والتفتت عنتر ليتنظر من الذى يشيح وإذا به يرى صياح العبيد عالى وعياطهم متلالى ونظر إلى رجل فى رقبته حبل طويل وأدميته من سائر جسمه تسيل وهو قد شرف على الهلاك والوبال فعند ذلك تأمل الربيع بن زيادة فرآه عمارة أخاه القوادوهو على تلك الحالات فعندها تقدم إلى عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم ويا كاشف عنا وعن قومك الهم والغم هذا أخى عمارة فادركه قبل أن تحل به الخسارة فلما رأى عنتر عمارة فى هذه الخسارة سر قلبه والفؤاد وشق من عمارة القواد لكن ظهر خلاف ماعنده وصاح واحرباه عليك ياوهاب ثم أن عنتر سل سيفه الظامى الابتر وهو به على العبيد فتهاربت من بين يديه وقد احترقت مهجته عليه وقد أسيلت دمعته وتقدم اليه وتشفى دماء وساله عن الهم الذى اعتراه فقال له يا أبا الفوارس ماهو إلا إنى رددتك عما كنت تريد تفعل وعن رواحك إلى عروة ابن الورد وفارس النباق وسرت أنا إليهم أتقدمهم وبمحبتك لهم أعلمهم فوقع بى هؤلاء الى ندال الكلاب ووقع لى معهم مايكن لى فى الحساب من الاهانة والعذاب ولولا وقعت بى أنت فى هذا المكان وقع بى الذل والهوان فقال له عنتر أنا قلت لك مرارا لاتسر الهم الهم ولايقدم عليهم لأن جميع الآفات مايخلص الإنسان فيها من الآفات لأن الأعداء فى هذه الأرض كثير ثم أن سار بعمارة إلى مضاربة والخيام وأوصى عليه العبيد والخدام وبعد ذلك سار يطلب مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو يضرب بحسامه فى المناكب والمواكب إلا أنه لما وصل اليهم حتى ملا الأرض من القتلى وتركهم وأشرف على القوم فوجدهم فى أعظم حرب ومقرى الوحش يفرقهم يمينا وشمالا فصاح به عنتر أحسنت ياهمام فلما سمع مقرى الوحش كلامه زاد قتاله ومحل عنتر وعاد إلى الملك قيس فوجده ترك من وضعه عمه السيد وبعض اخوته وكان الملك قيس فارس مذكور فلما جانبه بهمته وزعزع المواكب وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان أنقياس بن زهير صاحب

النصر ومازال كذلك حتى أتى اليه عنتر وسمعت القبائل زعقته فتهاربت من بين يديه وقد قاتل الفارس الهمام الغضنفر إلى أن أقبل الظلام وهجم الليل على سائر الأنام وانكفت الطوائف عن بعضها البعض بعد أن تكاومت القتلى فى جوانب الأرض ورجعت وهى تصف مارأت من عنتر ويتعجبون من صبره ويقولون هؤلاء مايعمل فيهم إلا الكثرة وقلة النصفة ولو لم تكن هذه الفعال فعالهم ماكانوا عادوا مثل الملك النعمان وماكانوا قدروا أن يدخلوا بلاد اليمن ويفعلوا هذه الفعال لأنهم فعلوا ببنى حريقة أفعالا قبيحة وأضيق المسالك والمصانع حازما وعقبة الفروق وفتكوا ببنى القين وبنى فهد وقتلوا فارسهم عمرو بن ضمرة وسبوا زوجته زهرة وقتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب مياه عراعر وشتتوا بنى كلب بن وبرة ونزلوا فى جبل الغمام وها أنتم فى هذه الأيام نظرتم أفعالهم وكيف سبوا تلك القبائل وساقوا نوقها وجمالها فقال عمرو ابن نفيل ياوجوه العرب الكرام ذكركم الذى ذكره سيد قضاة الزمان السيد عبد المطلب ابن هاشم سيد أهل مكة والصفا وهو خير من على الأرض مشى وقد أنشد فيهم هذه الأبيات

قوم ضياء البشر فى أبصارهم ... يحكى شعاع الشمس فى الاشراق
دلت على أسلافهم أخلافهم ... وكذا الفروع ذكية الأخلاق
أن سئلوا فعطاهم سيل وإن ... سئلوا الجواب فالصح النطاق
وإذا العدو أتاهم فرماحهم ... رسل المنون تشك للاعناق
قوم تلاقى المرهفات صدورها ... فى يوم معمعة ويوم سباق
لايخشون من الجراح لأنهم ... ساروا فى الورى بالفضل والاشراق

(قال الراوى) فلما سمع الحاضرون منه ذلك الكلام تكلم منهم شيخ شجاع يقال له ابن دفاع وقال ياعمر متى سمعت السيد عبد المطلب قال فى حق بنى عبس هذا المقال يا ابن العم قاله عند عودته من أرضهم حين أصلح بينهم وبين بنى فزارة فلما سمعت فرسان القبائل وحماة العشائر هذا الكلام داخلها الحسد لبنى عبس حتى كادت أن تنفطر مرائرهم والكبود وفيهم من قال ماجهد بنى عبس وماتفعل اليوم بذلوا كلهم المجهود وفيهم من بات لايقطر يرفع يده ولايعود قال الراوى إلا أن بنى عبس قد عادت معطلة الصوارم من وقع المرهفات على الجماجم لكن قد بات فيهم النقص لأجل قتلهم إلا أن الجراح كانت فيهم قليل وما نظرنا رجل منهم قتيلا ولا ذليل وذلك لعظم شجاعتهم ومع ملك جعلوا يعللون أنفسهم بالنصر ويحدثونها بالغلبة والفوز ولما جن الليل واعتكر الظلام أخذوا الراحة المنام بعد أن

أكلوا من الطعام وبعد ذلك جمعهم الملك للمشورة فقال عنتر يا بني عمي أما هذا الجمع الذي اجتمع فنحن نقله وعليه ونطلبه لأن أكثرهم ما أتوا إلا لنهب الأموال وإن هلاكنا صعب على من يطلبه وليس لهم إليه وصول فقال الملك قيس والله يا بني الأعمام ما قينا إلا من يقاتل حتى يبقى مطروع ويضرب بالسيف حتى يبقى جسداً بلا روح فقال عنتر يا مولاي أن من دون ذلك عبدك عنتر يحمل عنك الأثقال والمهالك وحق من تعالى وهو حتجب وأضاء بقدرته النهار وأظلم الغيب بحق النبي الذي يبعث في آخر الزمان الذي يظهر بين زمزم والمقام سيد العرب والعجم وأفضل من مشى على ساق وقدم أني قادر على أن أخوض ويل المعمعة وآخرها ونحن اليوم أسرنا أبطالهم ومحقنا سادانهم لأن كلما قتل من العشيرة واحداً تألم لفقده وأبذل المجهود حتى آخذ ثاره فقال عروة بن الورد ما تقول أننا بعدها نرجع إلى أرض الشربة والعلم السعدي لأن عرب اليمن تقصد الينا وتجتمع بجمعها علينا الجموع لأنها الينا متتابعة مثل العيون النابعة ونحن ما نسلم أرواحنا إلا لأسنة رماحنا في أيدينا شفار صفاحنا ونحن قادرون على هلاك أعدانا وأنا والله ما بي غم إلا من شماتة الأعداء لأن أخبارنا تصل إلى أرض الحجاز وتشمت بنا بني فزارة لأنهم من جملة الاضداد والحساد ثم بكى على أخته سلمى التي كان يسميها بأم حسان ويمر ويعرض في شعره باسمها فضحك عنتر من كلامه وعظم عليه مرامه وقال له ويلك يا أيا الأبيض إذا كان هذا حالك وأنت الآن مستظهر فكيف يكون حالك إذا أبصرت عين العلبة والقهر فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس إذا كان حال عروة وبكاء على أخته سلمى وما هي هنا حاضرة معه فكيف حالنا نحن إذا رأينا عبلة مسيكة مسبيات مع الأعداء يساقان بحمله العبيد والنسوان والبنات وانا لا بدلي في غداة عند الصباح أنتي أنوى الخروج إلى الميدان وأبارز الأبطال والشجعان وإذا قتلت أنا تحت الغبار أكون قد أخذت لنفسي بالثأر ثم أنه قام يطلب ضاربه والخيام فقال عنتر وأراد أن ينشرح مع مقرى الوحش حيث أنه رآه فرغ من عرب اليمن وقال هذا المقال فقال إلى أين يا فارس الشام أما تتولى الحرس معي في هذا الظلام فقا لا والله يا أبا الفوارس أنا الليلة ما أنا رفيقك في الحرس وأنا أريد اشبع من زوجتي مسيكة وولدي سبيع اليمن وكان مقرى الوحش رزق بهذا الولد في بلاد اليمن وسماه هذا الاسم الحسن وقال لأن عروة بن الورد قد قطع ظهري حزنه وأن عشت إلى الصباح بدلت أتراحه بأفراح قال فلما سمع عروة ذلك علم أنهم قد احتفروه لما سمعوا كلامه وفزعه فأقسم بيمين العرب الصعبة أنه لا يحرس الليلة إلا هو وحده ولا يتبعه إلا رفقته ثم نزلوا إلى ذيل الجبل واعتقلوا بالرماح بعدما قال لعنتر ودع أنت الآخر لعبلة يا أبا الفوارس

فانا أنوب عنك إلى الصباح فتبسم عنتر من كلامه وعلم أن الفزع غير حاله لكنه رجع عن شأن إيمانه وعروة أخذ أصحابه ونزل بهم إلى أسفل العقبة خوفا من الأهل والأقرباء هذا وعروة جعل ينظر إلى ناحية أرض الحجاز والعراق وهو يهيم إلى أخته سلمى ويحن إشتياقا ويتحسر على فراقها ويعلل قلبه برياح الصبا ويبردها على نيران الصبابة والجوى ويشير إلى البرق إذا لاح وأضاء وهو مع ذلك ينشد ويقول

إذا هبت الأرياح من علم السعدى ... طفى بردها حر الصبابة والوجدى
وإذا لاح ضوء البرق من أرض عالج ... ذكرت به ريها على العلم السعدى
فبالله ياريح الحجاز تحملى ... رسالة مشتاق يحن إلى نجدى
وهبي على تلك المعالم وأخبرنى ... لساكنيها إنى مقيم على العهدى
وإن سألت عنى سلمى وتربها ... فقولى غريب يشكو من البعدى
ومن حوله جيش إذا ماج بحره ... أثار غبار بالمثقفة الجوى
وعند ضياء الفجر تنبهة العدى ... بعزم شديد البأس كالحجر الصلدى
وأطعن بالخطى حتى يخونني ... سنانى وتجرى الصافنات على خدى
وتسمع عنى أم حسن أننى ... قتلت مع الأشراف بالصارم الهندى
فتندبنى فى كل غاد ورائح ... وتبكى على حال الصعاليك من بعدى
ألا أيها البرق اليمانى إلا انجلى ... أذقتنى نارا حرها زايد الوقدى
وقد بت أشكو ما ألاقى من الهوى ... اليك وأخفى فى الحشا ضعف ما أبدى
وعند بنى عمر ومن الضعف والأسا ... ومن نائبات الدهر غير لذى عندى
ونحن جميعاً قد أسينا من اللقا ... ولكن أنا المشتاق من دونهم وجدى

قال الراوى وما زال عروة على مثل ذلك حتى بدت غرة الصباح وتحدرت اليه الفرسان من العشيرة من سائر البطاح وكان مقرى الوحش قد نزل ذلك اليوم إلى جانب عنتر وهو يقول أرجع أنت يا فارس الشام إلى أصحابك الذى كانوا يقتلون معك أمس واحفظ الميمنة كما قد حفظها بالأمس ولما سار عنتر عروة بن الورد قال له أرجع يا أبا الأبيض وخذ لك راحة من تعب الليل والسهر فى هذه الأرض والجبال ودعنا نطلب من القوم النزال ونسكن أصحابنا بمناشرهم فيهون علينا أمرهم واجتمعت مقدمة الخيل لأنهم باتوا يتحدثون بفعال بنى عبس وفعال فارس الشام وهم ينادمون بذكر هؤلاء الابطال وأصبح مقدموا اليمن والشجعان يطلبوا براز عنتر وفيهم من يطلب الفرجة على قتاله مع الفرسان لأنه قد صار

حديثه مع القوم بعد أن أنفصلوا من القتال واجتمعوا للمشورة فى ذلك المكان وصاروا يضيفون شجاعته وتوته وبراعته فقال مقدموا العساكر وقادات الجحافل بأجمعهم الأعمام لا كلام حتى يذهب للظلام ونبارز هذا العبد ونجرب أرواحنا معه فى الصدام فكان الأصل فى عدم حملتهم وكان هذا من سعادة بنى عبس وعنتر وأتاهم الأمر كما يريدون ولما رأى عنتر بحالهم والطوائف كلهم مقصرة عن الحملة فرح بذلك الحال وأراد أن يخرج ويطلب البراز والمجال لأنه علم ما فى قلوب الأعداء وإذا بمقرى الوحش قد خرج من حجرته وهو غاضب فى مرجه وعدته منعلد بلامته معتقل صمصامته على رأسه خوذته بين كتفيه درقة قدام القبائل من العرب ونادى بأعلى صوته وقال ياسادات اليمن وأصحاب المعاهد والدمن أنتم سكان الأرض وأهل هذه الديار على كل حال ولكم المنازل العالية فى الفروسية والاقتدار ونحن قوم قليلين الأنصار وعلى قلة عددنا نحن أقوى منكم فى الحرب والبراز ولا تفتخر الفرسان الكرام إلا بالبراز والأنصاف فى مقام الحرب والطراد وها أنا من فرسان بنى عبس وعدنان قاليبرز الينا سادتكم فنحن لصدنا الأنجاز ونحقن دماء قومنا وقومكم وبالأمس أفرس منكم وأقوى جلد وأكثر عدد لأن أضعف فرساتنا تلقى الفا القا وشجاعتنا تلقاكم صفا صفا وأن أردتم الحملة فعلينا إثارة الفتنة فانى كفؤ لجمعكم ولى قلب يلاقيكم ويفنيكم باسركم وأنا لابدلى من قتالكم ونهب أموالكم وسلب أرواحكم أن رحلتم أو قمتم ثم أنه أوسع فى مجاله وتذكر أوطانه ومحبوبته مسيكة فانشد وقال هذه الأبيات :

مسيكة قبل بينك ودعينا ... ومنى بالوداع وزودينا
وأن جد الفراق وكان حتما ... وجاء البين فينا فاندبينا
ربوعا فى الشام لنا قفار ... بنا كانت تسر الناظرينا
كثيرات الظلال عذاب ماء ... أنيسات أنيقات الفنونا
أناس أنزلونا فى محل ... من العليا لا على الطالبينا
وأينا كل ليث قسور ... ولكن مثل عنتر ما وأينا
سكنا فى القفار بكل أرض ... يبيت دليلها فيها حزينا
فقرى يا مسيكة وأطمئنى ... ولا تخشى من الأعداء علينا
فنحن القاصدون إذا قصدنا ... ونحن الغالبون إذا التقينا

ونحن العادلون إذا حكمنا ونحن المنصفون إذا قضينا
ونحن الشاربون الماء صفوا وشرب غيرنا كدرا وطينا
ملانا سائر الأقطار خوفا وبتنا نحن فيها آمنينا
تطيع أكفنا سمر العوالى وعنتر سيد الفرسان فينا
همام كلما كثر الاعادى رأيناه لنا حصنا حصينا

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه فعند ذلك قصد أبطال اليمن فازدحمت عليه الابطال وتقدمت اليه سائر القبائل وكانوا أكثرهم من مائتى فارس ولما رأوا كثرتهم أستحيوا من البغى والكثرة والاسراف فتراجعوا وطلبوا العدل والانصاف ثم خرج اليه فارس من بين الصفوف وكان مرعرب يقال لهم بنو بارق وبيده رمح خارق ومتقلد بسيف ماحق وكان يقال بن طارق ثم أنه صال وجال وأنشد وقال

توقف لا تسرع البغى علينا ودونك والمجال إذا التقينا
وانظر من أتاك وكن حذورا ولا تك من رجال أرذلينا
وكن من السادة الغر العوالى ذوى الإحسان ثم الانسبينا
ستلقى اليوم فى حربنا كل بأس تصير له الجبابرة أضعفينا
وتبقى فى الفلاة رهين رمس عفير الخد مخضوب الجبينا
لأنى وارق بطل مسمى وطارق عسر وابن الاجدينا
علوت على الأنام بعظم مجد شريف فائق للعالمينا

قال الراوى فلما فرغ من شعره وإنشاده صبر عليه مقرى الوحش حتى هدأ شعث الحصان وكان راكبا على جراد أبيض يبلغ صاحبه عليه مايريد وهو أبيض قرطاسى كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

وطرفا مثل رجع البرق جريا يسابق فى مجاريه الظلالا
شددت له حزام الحزم لما حللت إلى الوغا منه الشكالا
تضيق عنه صدور الأرض جريا فيوسع السماء له مجالا
فما أسرجته إلا هلالا وما حللته إلا حلالا

قال الراوى وكان معه رمح خارق كما قال فيه الشاعر

أضم ردينى كان كعوبه أنابيب فولاذ تحاكى الكوا كبا
عليه سنان كالصباح كأنه شجاع تبدى ألسنا وعقاربا

قال الراوى إلا أن وارق بن طارق لما جال مع مقرى الوحش مادام معه أكثر من ساعة

حتى اختبر وعلم ماهو عليه من الفروسية والشجاعة ثم قاربه مقرى الوحش وركزه بعقب الرمح قلبه وهو غير مكترث به فتعجب الأبطال من ذلك الطعن والثبات وقصده فارس ثان يسمى وثاب بن ناهض وكان يكنى بأبى ياغض فصاح فيه وحاربه وقاربه ولما أن رآه مقرى الوحش مستيقظا للحرب محترزا من الطعن والضرب طلب معه الانجاز فى البراز دهمه وأوهمه ورجله وحيره وأذهله وسلمه إلى أخيه فشدة كتاف وقوى منه السواعد والأطراف لأنه كان خلفه حذرا عليه ولما أن رأى الفرسان تتواثب اليه وتتقدم عليه وكان من الفرسان الأجواد إلا أن الفرسان ما انتصفت مقرى الوحش فى ساحة الطراد إلا بقطر ما أخذ منها عشرين فارساً أجاد وبعد ذلك تكاثروا عليه لما رأوا أفعاله وعظيم قتاله وصاروا يحملون عليه من العشرة إلى العشرين وأكثر من ذلك فابصر هو قلة أنصافهم فاعتمد على تلافهم وصار لا يأخذ فارسا أسيرا حتى يقتل عشرا أو عشرين قال الراوى وما تنصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار وأسر سبعين يا أخيار وقفت عنه الرجال لما أبصروا منه هذا القتال والأفعال ورأوا القتلى مطروحين يمينا وشمالا وهم فى غرصات المجال ففرح عنتر بفعاله وقربه منه غاية التقريب وقال والله ما خلق مقرى الوحش إلا للبراز وطعن الرمح العسال ولو كان قتاله فى ازدحام المواكب مثل طعنة وقتاله فى البراز والمجال ما كان مثال قال الراوى وقد ذكرنا فى مقرى الوحش من الفروسية وكم قهر فى أرض الشام من فرسان النصرانية وأخبرنا بما جرى له ولما وصل إلى الملك النعمان وكيف سائر إلى بنى عبس وعدنان قال وزادت فروسيته وزاد عزمه فى الحرب والجلاد وأضعاف ما كان عليه من تلك البلاد من خين صاحب عنتر بن شداد إلا أنه وحمل بين صفوف القبائل والجان وكانت قبائل تلك الحلل عليه حنقة وفرسان أهل اليمن على قتاله وهلاكه متفقة فحملت عليه الكتائب وتطابقت اليه المواكب وطلبته الأبطال من كل جانب فصاح وبربر وحمل وزجر ولحق بالعساكر على الأثر وطلب عنتر الفرقة التى طلبت مقرى الوحش لأن عنتر رأى قلة تصاقبهم فخاف على مقرى وحمل وزعق زعقه دوى السهل وحمل عروه بن الورد البطل الأمجد فى رجاله الكرام كذلك أبو الموت بعد حمل وسودانه تبعوه فى العمل وحملى الفتى الهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وحمل نازح بن أسد عم الملك قيس فخل الرجال وبذلوا القنا والصفاح عياض ابن ناشب وجلاح بن ثابت وشداد بن القراد وأخوه مالك وزحمة الجواد وحملت بنو قراد

من خوفهم بنوز ياد مع أخوة الربيع وتتابعت بنو عبس مثل البحر السائح ولمعت الاسنة وحمل بنوز يادمع أخوة الربيع وتتابعت بنو عبس مثل السائح ولمعت الاسنة اللوامع وصلح فى القوم بالهلاك صايح ولم تسمع الجهال مقال الناصح وتكردست فيه القتلى فصاروا مثل الزبائح وبطل فى هذا اليوم نصح للناصح وبان النصر ولاح وعلم السعادة قدمد لبنى عبس جناح فلله درعنتر الأسد الفارس والغضنفر فانه ساق الأعداء قدامه سوق البقر ونثرهم تنثر أوراق الشجر وهو يصيح صيحات تفلق الحجر وكان القتال قد أشد فى القلب وعظم الكرب وهان كل صعب وزاد البلاء على الأطراف وعظم الفزع والخاف واشتد البلاء والكرب وعظم البلاء والخاف و اد الهلع والارجاف وجرى بين القوم ساعة يالها كانت ساعة من ساعات التلاف وطارت جماجمهم أحقاف وقد كان عنتر خرق الصفوف وشتت الكتائب وطحطح الالباب والمواكب ونثر الرجال عن المواكب ومازال يحصانه جائل إلى أن أدرك مقرى الوحش فرآه قتل باسنة الرماح الدوابل وهو واقف على قدميه يدافع عن نفسه ويمانع روحه وقد أحاطت به أبطال الحلل وصاروا حواليه مواكب وجحافل فصاح عنتر ونادى وأحر باه هلك والله فارس النياق ولم أدركه إذنهبته الاعداء بالسيوف ثم أبه طعن ذلك الجمع فتفرقت الجيوش والجحافل من حوله وتهاربت الفرسان لما رأيت طعناته خارقة فتخلت عن مقرى الوحش كل الفرسان ونادى من وقته بخواد فركبه وعاد معه يمانع عن من يطلبه ومازال السيف يعمل حتى انقضى النهار وأدرك الناس فافترقوا عن ضرب الحسام وكان عنتر قد أوصى فرسان بنى عبس يأخذ الاسارى فعادوا ومعه أوفى من مائتين وكان بنو عبس على قلة عددهم انتصروا على تلك الخلائق الكثيرة ولما ساروا فى حبل الغمام شدوا الاسارى فى بعضهم البعض وقال عنتر لعروة بن الورد طاب قلبك واندفع عنك الهم والمرض ابشر بالنصر والامان واجتماعك باختك سلمى ام حسان فقال عروة بن الورد مادمت تعيش لى ونبقى ماأرى بؤسا ولاشقا فقال له عنتر والله ياعروة ماقصر مقرى الوحش فارس النياق لأنه أسر فى الميدان من فرسان اليمن جماعة زير وعند الصباح أخرج أنا إلى الميدان وقد تيسر الامر وهان فقال مقرى الوحش أنك فعلت مافعلت وكان على يديك خلاصى ولولاك ما كنت رأيت أنا فرجا من قناصى فقال الملك قيس يابنى عمى ومن بهم يزول همى لقد كنا فى غنى عن ذلك وعن هذا التعب ولو كنا علمنا أننا نلقى هذا الملتقى أوكنا

حازمين برأينا ما كنا برحنا من أرضنا لأن الملك النعمان ما كان ينفذ الينا أكثر من هذه القبايل بعد قتل أولاد بدر ولا ينالوا منا بطايل وربما كانت أختى المتجردة سألت بعلها فى اصلاح حالنا إذا طلعت على أحوالنا وأطلعيه على طول المدا وكما استرحنا نحن وقومنا من هذا الأمر المهول فقال له عنتر يا ملك هذا الأمر ما يفوتك إذا عولت عليه لأن الليلة باتت عندنا أسارى نخلص بهم أنفسنا ونرجع إلى البلاد الحجاز وعند الصباح آتيك بمثلهم فقال الملك قيس هذا أمر قدفات لأننا صرنا فى هذه الفلوات وما يصلح أمرنا مع بعلها غيرها ونرسل خلفنا رسولا يخرجنا من هذه الديار والبرارى والطول والاقاليم الشرية والسرية والعلم السعدى وأين أرض اليمن ومياه عراعروكم جهد ما تتلقى من القبائل والعشائر لأننا أول دخلنا هذه البلاد كما جاهلين وكانوا أهلها عنا غافلين والآن قيد أصبح كل من فى بلاد اليمن لنا عدوا ولا بدلنا ما نبدل المجهود فى الأعداء ثم أنهم باتوا على مثل ذلك وباتت القبايل تموج حولهم وهم يقولون وحق اللات والعزى ما كان صواب بزاز أصحابنا لهؤلاء الكلاب وما فى الأمر إلا تكاثرهم عند الصباح بالراجل والفارس وتضيق عليهم غاية الضيق فقال رجل منهم يقال له سهل إلا أن يكون حى فقال آخر وكان شيخا كبيرا وقد عمر سنا كثيرا وحق الرب القديم ابن السلال يا بنى عمى ايش هذا الحاو والمقال من أين آدمى فى الأرض يقتل ولا يموت رب موسى وإبراهيم لقد سمعت عن عنتر أنه فى يوم خمس مرات وقطعت رأسة سبع مرات وعاش بعد الممات وفرق القبايل التى كانت حوله من سايرالمواضع المفرات أما هو الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات

أن كنت تجهل وصفه فاسأل به ... من كان حاضرا للقتال تقولا
هذا الذى لولا اتباع مقـــاله ... ما كان يدرك عاقلا معقولا
من تحتـه مهر كليـل حالك ... وبكفه ماضى الفرند صقيلا
والرمح ضمان الكعوب بحاله ... للموت فى قبض النفوس رسولا
لا يخشى يوم الحروب اضامه ... لو أن ما يلقاه عز رائيلا

(قال الراوى) فلما سمع الحاضرون هذا المقال تعجبوا من تلك الفعال وأخذهم التعجب والانذهال وقالوا أن ملك الجن لا قدره له على هذه الفعال وما زالوا فى قيل وأتراح حتى أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وركبوا على الجرد القداح واعتلوا بالرماح وقد اتفقت ليهم خمس قبايل آخرهم يزيدون على عشرين الف فارس يوم من أطراف وأقطار بلاد اليمن

وهم عرب لا تعرف خالق ولا تسجد لصنم بل أنها تعبد البحر إذا زخر وتسجد له كلما هاج وهدر وكانت قد أتت فى طلب المكسب ونهب الأموال لأنها سمعت ما جرى لبنى عبس مع قبائل اليمن وانها طائفة كثيرة الأموال وقد حازت من قبائل اليمن الأموال وقد وصل معهم فارس عظيم البأس قوى المراس وكانت أهل اليمن تسميه عازيت السواحل وكان يسبى الحلائل وشتت العنب عن أماكنها يحب الفرسان ويكره كل ذليل جبان والسبب فى حضور هذا الفارس المنتخب لأنه بلغه حديث بنى عبس وذكر عنتر وما جرى له مع ملوك اليمن فى ابتداء حديث بنى حذيفة وقتله فارسهم الاخيل بن عمرو ووقعة عقبة الفاروق وقتله معاوية بن النزال وحديث بنى فهد بنى القير الفرسان وقتلهم فارسهم عمرو بن ضمرة وما حصل لهم مع الملك مسعود بن مصاد فلما بلغه الحديث تعجب من ذلك وقال أن دام هذا الفارس ملك الاثار فاهل اليمن يحتفروا بى ولا آمن على نفسى منه فلا بد من أن أسير اليه وأقطع رأسه من حد كتفيه وأهلك عشيرته التى تعتمد عليه واحظى أنا بالذكر بين الأنام ثم أنه جمع هذه الطوائف وسار بهم ولما وصل عرفته القبائل فمالت اليه وسلمت عليه وإنهم علموه بما جرى لهم مع فرسان بنى عبس فقال لهم عفريت السواحل هذا أمر هين ولكن اكتموا اسمى فيزيد معهم عنادى وابلغ منهم مرادى فاجابوه إلى ما قال ثم انه قال لهم وما مرادكم أن تفعلوا فى هذه الساعة وكم يكون هؤلاء اللئام وكم يبلغ عددهم من الأبطال فقالوا له أما سؤالك عن أفعالنا فان مرادنا قبل حضورك وصولك البنا ان تحمل كلنا على أعدانا حملة رجل واحد أما سؤالك عن عددهم فما يكونوا أكثر من أربعة الف فارس لكنهم اسود عابس فتعجب عفريت السواحل من ذلك وقال هذا أمر ما سمعته أبدا بطول العمر والمدى فوالله هذا عجز منكم وشرف لاعدائكم وهم على فعلكم هذا يستحقون المدح عن غيرهم قال الراوى لهذه السيرة كان بنو عبس قد انحدروا من الجبال يطلبون الحرب والقتال فلما رأوا هذه الطوائف أقبلت وملأت البر وتلك البطاح وقد وقفوا ينظرون ما يفعل هؤلاء وإذا وجدوا أفراحهم عالية وهم يموجون فى بعضهم البعض فعلم بنو عبس أن القوم وصلت لهم نجدة من فرسان اليمن لان الفرسان واصلة مثل العيون النابعة فقال الملك قيس والله يا بنى عمى هذه نوبة صعبة ثم انه شاور قومه فى النزول فى الجبال فقال له الربيع ابن زياد ما هذا صواب لأن أكثر الناس هربوا والباقون مشرفون على الهلاك وأن

فتهم هذه الطائفة أفنتهم وما فى هذا الأمر لأننا نترجل عن خيولنا وندور حول حريمنا ونقاتل حتى قال الراوى وكان عنتر قد نزل إلى أسفل العقبة ومعه خمسون فارس من كل ليث مداعس لأنه كان فى تلك الليلة قد تولى الحرس فلما أصبح الصباح رأى الطوائف القادمة فتأهب الكفاح ولما أن رأى عنتر إلى وقوف الملك قيس دون العقبة وقلت نزوله منها مع الفرسان لما سمع مشورة الربيع القرنان عاد وهو طالب الملك قيس وقال له يا ملك ماهناك أمر أوجب انزعاجك ووقوفك وتريد أن تطمع فينا عرب اليمن ويقولون أنهم قد أحاط بهم الذل والمحن من شرذمة قليلة والرأى عندى أن تنزل من على الجبال وتصف الأبطال فان الذين أتوا ماهم إلا أكلة الجائع وعبدك يا ملك فيه الكفاية لكل من فى الأرض ومازال عنتر يهون الأمور على الملك حتى قبل ونزل من ذروة الجبل والخيل متابعة مثل العيون التابعة وكلهم من حواليه وهم ينادون يا آل عبس يا عدنان لأن عنتر قوى قلوبهم واصطفوا من حول جبل الغمام وتقدم عنتر البطل الهمام ونزل مقرى الوحش فارس النياق وعروة بن الورد شجاع الزحام والهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وعبده أبو الموت وسوداته وأبو شداد وأعمامه وتتابعت الابطال وقفوا يريدون من أعدائهم البراز وإذا هم بنابح بن النهاش المسمى بعفريت السواحل قد تقدم إلى الجيش وهاأمهل وصار بين السادات الاول راكباً على جواد عظيم فى مشيته ترتيب وهو جواد أدهم لكنه معود على خوض اللجج له طول مثل العاج وقوائم مافيها أعوجاج وهو كما يقول الشاعر ابن حجاج هذه الابيات .

قطعت الارض مجتازا ونخشى جواد ينهب الارض انتهابا
وكان البرق أمرى مبادى إلى فلم أرد له جوابا

قال الراوى وعليه زرديه ترد أسباب الرزية وعلى رأسه بيضه مكملة حليه وتحت فخذه أربع حراب إلى رسل المنية لانه كان يقاتل بسائر السلاح وكان خبيراً يطعن الرمح وضرب الصفاح ولما أن توسط الميدان بعدما لين عريكة الحصان وسار قدام الخيل يادى برقيع صوته وقال ما بالكم يا بنى عبس اغتسمتم فى الجبال الشامخات وماتوا بالبنات خوفا من شرب كاسات الممات فان كنتم فزعتم من الكثرة فما عليكم لوما وعذركم فيها واضح لانكم أنتم فى قلة وجمعكم يسير وهؤلاء أعدائكم عالم وأنا الذى منعت هؤلاء من الحملة عليكم وذلك من شفقتى عليكم لانى علمت ما فى هؤلاء القوم فارس له خبرة بالحرب والطعان يبرز إلى الميدان أحداً من فوارسكم الشجعان وأنا وحق البحر إذا زخر أنى سأشبعكم

انصفاف وأسقيكم كاس التلاف لأنى أعلم أن ما يفضل منكم أحد ويرجع إلى الأرض الحجاز ويتحدث ويقول قد اجتمعت علينا طوائف اليمن وسكان تلك الأراضى والدمن وكنا أربعة آلاف فارس جسور ولا علينا إلا بالمكاثرة وقلة الانصاف وما قتل منا فارس حتى قتلنا كل فارس مشهور وبطل مذكور والآن فقد بزرت لكم فى الميدان ولا بقى لكم عذر عند أحد من العربان وأنا لم أترك لأحد على ملام ولا زال فى الميدان حتى أنكم تطلبون منى الأمان وأنا وحق دينى إن أرم لكم فيما تريدن وإلا فابرزوا إلى فرسانكم وشجعانكم لأجل ما تتحدثوا عنى بكل خير فلما سمعوا كلامه رأوا الأمن كما طلبوا فعندها قفز منهم فارس شديد وحمل عليه حملة الصنديد إلا أنه ما قرب منه حتى طعنه عفريت السواحل قلبه وخرج اليه الثانى قتله فأبصر فعله عروة بن الورد فطلبه وجال معه برضا بقه هذا وعنتر رجع إلى الجيل المنيع فرأى الملك قيس واقفاً فى فرسان بنى عبس فقال له أطمعت فينا الأعداء بهذا التدبير وقطعت ظهر الكبير منا والصغير وما زالوا حتى نزلوا بنا فى العشيرة وعاد عنتر يطلب المقدمة فوجد عفريت السواحل قد أخذ عروة أسير ورأى عفرى الوحش أنه متأهب للخروج إليه فقال عنتر يا فارس الشام لم سمحت لعروة بالخروج إلى هذا الشيطان فقال له عفرى الوحش أنى ما علمت به حتى صار معه فى الميدان ولكن يا أبا الفوارس لا يضيق صدرك فأنا آخذ له بالثأر ثم طلب الميدان وعنتر يوصيه ويقول له إن قدرت عليه فلا تقتله بل إئتنا به أسيرا لعله أن يفدى نفسه بعروة بن الورد وإلا انهدم منا ركن (قال الراوى) والتقى عفرى الوحش مع عفريت السواحل وقد لاح للموت بينهما علائم وتحدثت فيهم ألسن القبائل لأنهما لعبا بالرماح وأوسعا فى البطاح وبأن عليهما تلاف الأرواح وتعجبت منهم القبايل فوقعت فى قلوبهم هيبة عظيمة وقالوا والله اليوم تبين الحق من المحال هذا وأن عفرى الوحش وصار ينشد ويقول

إلا هكذا تو فى الكرام ذوى المجدى ... وتعلو امنار الغر بيض الظبا الهندى
وبسرى إلى نيل المنى كل أذرعى ... يسبق رجع الظرف بالضمر الجردى
وكم أخرجت نارا من الزند قادحا ... ولو كان يدرى ما أثارها من الزبدى

وقال الراوى وطاف من الاثنين المحال وتحيرت من اختلاف طعنهم الرجال وأكثر على بعضها الوصال وسمع عنتر صيحات نابح بن نهاش فعلم أنه فارس شديد البأس قوى المراس بطل شديد الزلزال والزحام فخاف عنتر على عفرى الوحش وقال لمن الرجال والله لقد

خاطرنا نحن بفارس ربيال ودام القتال بين الفارسين حتى انقضى نصف وتطاولت منهم الأعناق إلى الغبار ورأى نابح خصمه مقرى الوحش فارس عظيم الاخطار فاظهر له الكسرة واطعنه فى جانبه حتى مد السنان إلى صدره وأراد مقرى الوحش أن يطعنه فدنا بيح يده إلى حسامه فجرده وضرب رمح مقرى الوحش فبراه قطيرا علاه فزعق عليه ففا جاه فأخرج من تحت فخذة حربة فاراد أن يضرب بها فؤاده فوقعت فى فخذ مقرى الوحش فارمته إلى الأرض

والمهاد وقد وقع ركاد أن يهلك فتواثب اليه أصحاب عفريت السواحل وشدوه كتافا وقووا منه السواعد والأطراف قال فلما أن ابصر عنتر هذا الامر سكر من غير مدام وسقط من على جواده فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من بنى عبس فانهم لما نظروا عروة قد أسر ومقرى الوحش قد قهر وعنتر أغمى عليه تقطعت ظهورهم فعند ما يجمعوا كلهم عند الملك قيس وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا ملك ما رأت بنو عبس مثل ما رأت من الملك النعمان فان يا ملك حماة القبيلة قد أسروا وعنتر قد غشى عليه ونحن سرنا لا نسمع ولا نرى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام لطم على وجهه والتفت إلى فرسان بنى عبس وقال لهم اعلموا أن أصحابنا البعض منهم مجروح والبعض مسأسور وجاميتنا قد شق عليه ذلك فلما تكلم الملك

﴿ تم الجزء الثامن عشر ويليه التاسع عشر ﴾

(الجزء التاسع عشر)

من سيرة عنتر بن شـــداد

قيس بهذا الكلام تقدم اليه عمارة بن زياد وقال يا ملك إذا كانوا أصحابنا بحروحين أقنا عندهم من يحفظهم وعاينا أمورنا بأنفسنا وقاتلنا أعداءنا حتى لا تقول العرب أن بنى عبس كانوا بعنترتهم أنه التفت الى أخيه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد وقال إن صح موت الاسود الزنيم تزوجت أنا بعبلة وأجيب منها الاولاد ولما تكلم عمارة بهذا الكلام قال له أخوه ما الذى أقول فيك يا مذلول الشارب والله لئن مات عنتر وأنقبر لا تترك العرب منا من يخبر بخبر ولا أحد يعود منا من هذه البلاد ولا يبقى من بنى عبس من ينفخ النار فبينما الناس فى قيل وقال وإذا بعنتر قد أفاق من غشيته وفى الحال مد عينيه إلى ناحية المعمعة فرآهم شدوا مقرى الوحش كتافا ومضوا به إلى الخيام فعند ذلك نزل عفريت السواحل وسط الميدان وجعل يصيح ويجول فى وسط الميدان عرضا وطولا وهو مع ذلك ينشد ويقول

أنا الذى فخره بالذكر قد علما ... بنيت لى فى العلى بيتا شدته كرما
أنا الذى سجد الشمس والضحى له ... على السواحل ونجمى قد علا وطما
ولى حسام إذا جردته بيدى ... بحده ينثر الهامات والقمما
وكلما جردته كف مصقله ... أعدت فيه بضربى للدما قلما
أنا الذى شردت منى بنو مضر ... من خوف باسى وعادت تطلب الأجما
كذاك الجن تحت الارض تحذرنى ... خوفا كما يحذرنى الليث فى الاكما
أن يسمى بنهاش وليس له ... يديكم آل عبس الضرب والالما
والآن قد حضر العربت عندكمو ... وقد علا عزمه فوق العلا وسما

(قال الراوى) وما تم أبياته حتى أنطبق عليه عنتر أنطباق العدو والانتقام فايقن عفريت السواحل بالهلاك والاعدام فقفز من الارض وعاد إلى سرجه فى الحال فرأى عنتر أفعاله فجد فى قتاله فتارة يكون فى الميمنة وتارة يكون فى الميسرة وما زالوا مثل ذلك الحال حتى انقضى باقى النهار وأظلم الليـــل واعتكر غاية الاعتكار وعلم كل واحد منهم أن ماله فى رفيقة مطمع وعاد عنتر إلى جبل الغمام وفى قلبة على عروة ومقرى

الوحوش الحاضر الذي لا يطيق وكان من الملائكة يتبين سأل الله عنه عن صاحبه فقال له ما تعرفه هو الأقرع فارس عظيم ويحق له ذلك أن تسميه عضريت العرب احمل الأرض مثله في أرضنا أن تبين ما لقيت وفارس الشياطين ما كان دونه بعد إلا بخير به وهو غافل غير يقظان وأنا واقف عليه من الجو حتى أصابه في الليل أن أذرع وتحته فقال الله لها الملك قيس أعلم يا أبا الأفراس أن لهم عندنا من كل قبيلة جماعة وعند الصباح أقول لهم أطلقوا النار جملا جملا فقال له والله لئن طلبوا منا يا ملك كل أسير عندنا أطلقناه لهم ولو لا أن الليل قد هجم لا عتدت إليهم هذه المرة لأني قد بلي خاتمي على أن أطلق كل واحد عندي بسلامتي كل من في البلاد ما بقي فقال الزاموي ولما أقول ذلك يا الأمير دعا بأخيه شعيوب وقال له يا أبا يا أبا ريا حي أريد أن في هذه الليلة تتوجه أنت وأخطط معي القوم وأنظر ما يجري لعمروة بن الورد وهو مقترن الوحوش وعبد الينبا بالخبر اليقين وأن رأيتهم عند الملائكة مشهرين فانصرع في الوقوف بالباب فقال شعيوب والله يا أخي ما هم الا في قبض كثير يضيع رأسي الأسباب بينهم ثم أنه بعد ذلك قام على قدميه وقدم بين يديه آلة حيلته وليس شيئا أسود وعصب رأسه بعصابة سوداء وفي وسطه لثغر الزاموي بالخبر منها جسده ووجهه ووقف في الهواء حتى جف الليل وليس شيئا بالحقيقة فنظر إليه أخوه عنتر فلم يعرفه وقال في نفسه أعوذ برب الفلق من هذا الشيطان ومما يفعل من السواحي والخيل ثم أن شعيوب فارق في عبس ووصل في كمين الخيل حتى صار خلف الأعداء ودخل إليهم من طريق بلادهم قال الزاموي فلما صار في الخيام وجد العرب بأسرها في خصامهم وجدال من أجل قاتل ابن الأباهش وعنتر ابن شداد فوقف شعيوب يسمع ما يقولون وإذا بقائل يقول وحق ذمة العرب أن عنتر أفرس من صاحبها وأدرى بالحرب والضرب وقومه يقولون وحق البيت الحرام وحق زمزم والمقام ما على وجه الأرض أفرس منه عضريت السوا احلو وهو جدال الناس يتفرجون على عروة بن الورد وهو مقترن الوحوش ينظرون ما ذا أمروا يطلبون قتلهم وقومه ما ذا أمروا يطلبون ثم راءهم لأجل يقتلوا بينهم أسراهم هذا وعضريت السوا احلو بالملك على ركبتيه مثل الشيطان الكافر وقدميه مثل الأساطين الطويلة إذا كان قاعدا فوقف شعيوب ينظر إلى عضريت السوا احلو فقال الرجال يا وجوه العرب أنا ما أتيت من دير لوى إلا طلب الصلاح والأفتخار والتقدم على الفرسان وأنتي أريد أني أظهر في تلك الساعة بين هؤلاء القبائل شجاعتي في هذه الليلة المعتمة العبسية التي ذاقت عمرت اليمن وقتلت ملوكها وفرسانها ونهبت أموالها وفعلت فيها ما تذكر به مدى الأيام وأني عولت أني أملك بشجاعتي فرسانها لكن لا يصح هذا إلا بعد أسر عبد بني

عبس الاسود الذي خرج أمس إلى الميدان وقال بفرسانكم تلك الفعال ولولا أنا رددت
شره عنكم وبرزت اليه البارحة لأتى رأيته فارسا جبارا وأخشى أن قرطاني هؤلاء الاسارى
والقمح في يده يا خذني أسيرا ويطأ البني بساك أقدر عليه فيحمل في الربال مع هذا العبد الجبار
ثم أنه بعد هذه الاخبار صار يتحدث مع العربان حتى غلب عليهم المنام وطلب كل
واحد منهم مجاربه والخيام ولم يبق عنده غير بت السواحل أحد من المقدمين إلا الخاص
الذين يخدموه وقد أوصاهم يحفظ عروة ومقرى الوحش وأراد أن يدخل إلى المنام
فلاحت منه التفاتة فنظر شيبوب لابدا بين المضارب والخيام وعليه ثياب أسود خلقة
وهو يتأوه من قلب مكمود ويشهق ويبكي وينوح فتفكر عفريت السواحل في أمره
امتنع عن الدخول والتفت إلى عبيده وقال لهم اتركوني بهذا العبد الغريب فما كان من
قليل حتى مثل بين يديه فقبل الأرض وتقدم وقال بلسان فصيح العبارة حيا الله الامير
الكبير أمير الأمراء والحاكم على هذه المياه والمناهل أدام الله سعدك ونشر بالعدل
قواعد ملكك وعزك فانت صاحب الأحكام وأنت سيد وحمام وصاحب أحلام
ومالك جبل الغمام وقائد العساكر والجنود وصاحب الكرم والجود معطي الفقير والمنقطع
الحزين وعمدة المساكين قال الراوي فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام تعجب عفريت
السواحل وبهت اليه وقال له من أين أنت يا وجه العرب فقال له يا مولاي انا من ديار
بني كلب بن ويرة فقال له وعلى من أنت لابس السواد فقال له على سيد مسعود بن
مساعد لأن هؤلاء العبيد دخلوا إلى بلادنا وأعظام سيدي الذمام واعتق البعض اليتيم
لده حسان يقول وضيقك الخرص على من وقع في يدك من فرسان هذه القبيلة
ويعطيك من الأموال ما تريد وأوفي مزيد وان وقع أسودهم في يدك فابشر بما تقر به
عينيك فقال له عفريت السواحل يا وجه العرب إذا انشق الفجر اخرج إلى الميدان
سمعت عن هؤلاء القوم العبسيين مع أنهم أعداء الملك النعمان وهو من فعالهم على مقالي النار
وأنا قد عولت أن أسير اليه بهذين الفارسين الأسيرين وآخذ منه الخلع والأموال والهدايا
فلما من قتال هؤلاء الفوارس المجتمعة فعند ذلك قبل شيبوب الأرض بين يديه وقال له
يا مولاي أن أكثر طلب النعمان أن يقع في يده هذا الذي ذكرته وهو العبد الأسود الزنيم من
عنده الامر أنت ملك كبير لأني سمعت هذا الكلام من ملكهم قيس أنت أحد الفرسان وفريد
العصر والاوان اذا قهرت هذا العبد الشيطان الذي أذل الملوك والعربان وما قال شيبوب

هذا المقال حتى رغب عفريت السواحل منه فى المقام لانه أراد أن ينفذ الاسارى إلى الملك النعمان قال الراوى فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام أعجب عفريت السواحل هذا المرام وقال وحق البحر إذا زخر لقد صدقوا العرب فيما ذكروه فى هذا الاسير الاشقر لانى عند قتاله أورثنى تعبا ورأيت أنه خبير بطعن الرمح وما قدرت عليه الا بالمخاطبة والان أنت قويت قلبى على القتال وبذل المجهود مع هذا البطل الاسود الاغبر الذى يسموه عنتر لاجل أعجل له الممات والوبال فلما تكلم عفريت السواحل بهذا الكلام قال له شيبوب وحق ذمة العرب بهذا أردت أن أشير عليك ولكن خففت من غضبك فلما نظر عفريت السواحل إلى سرعة جوابه اعجبه كلامه وسرعة أقدامه فقال يا غلام ما اسمك وما تكنى به بين العبيد والغلمان فقال له يا مولاى أقول أنا أسمى شعيب وإذا مزح معى سيدى يقول لى يا أبا رياح وفى بعض الاوقات يقول لى يا أباجناح ولكن يا مولاى بحق نعمتك الواصلة إلى وفضلك لاتهون برسالة مولاى الملك حسان بل تقضى له حاجته وتأخذ له بالثار وتمحو عنه العار والشنار لانه ماله فارس سواك وذلك بما يعلم من صداقة ودك من قديم الزمان مع أبيه ولا تجعل لهذا الملك اتكال إلا على الله ثم عليك قال الراوى فلما أن تاب على نابح المنام قال له قم الآن ياشعيب وارقد عند هؤلاء العبيد الموكلين باعداك وعذبهم وهددهم على ما فعلوا فى حق مولاك فقبل شيبوب الارض بين يديه وقال يا مولاى أنا خائف إذا بت الليلة عندكم من سيدى حسان ولكن يا مولاى لى حجة واضحة البيان أقول له يا مولاى بن البارحة عند مولاى نابح بن النهاش ووكلنى باسراء الذى عنده حتى أسلمهم فى الصباح بين يديه وهم واحد منهم فى أرض الشام وأما رفيقه يقال له عروة بن الورد ويقال له غروة الصعاليك وأى شىء ذلك العبد اللذى يسموه عنتر يا مولاى وقدمته إلى الملك النعمان ثم ان عفريت السواحل دخل إلى خيامه وبعد ما أوصى عبيده باكرام شعيب وبعدها اندرج فى فراشه وأما شيبوب فانه وثب على قدميه حتى عبر إلى الخيمة التى فيها الاسارى بعد ما سكر عفريت السواحل بكلامه وشقشقة لسانه (قال الراوى) لما أقبل شيبوب على العبيد توائبوا اليه وأكرموه وبجلوا قدره وتحدثوا معه فرأوه فصيح اللسان وكان أول ما دخل عليهم الخيمة عرفه عروه بن الورد لاهقرى الوحش فلما أن فرغ شيبوب من حديث العبيد قال لهم يا بنوا الخالة أيهما فارس الشام من هؤلاء الكلبين فقالوا هذا هو الطويل الاشقر الازرق العينين العريض الكتفين فقال لهم شيبوب لله دره ما أنجبه فلعن الله بطنا حملت به ولقد نويت

إلى طلبه من مولاى عفريت السواحل حتى احمله إلى مولاى حسان بن مسعود الذى قتله عبدهم ملعون الآباء والجدود واعذبه حتى إلى قومه لا يعود لانى أريد نحره واذبحه من قفاه واترك هذا الكلب موعظة إن يراه وإن وقع ذلك العبيد الزنيم اللئيم والأسود عنتر وقد بلغنا الامل والعرض لأنه هو الذى قتل سيدى مسعود وأشمت بنا المعاند والحسود أن اصل هذا العبيد الردى، الأصل ملعون الآباء والجدود لا وتفه بين يدى مولاى الحسان وأزيل عنه الحظ والسعد ومنزال شيبوب بمثل ذلك حتى ثارت النخوة فى رأس مقرى الوحش وهم أن يتقوى ويطلق يديه من الكتاف فرأى السلسلة حاكمة عليه فعندها قال يا ابن العبيد اللئام وتربية الحرام أن هذا لا تبلغه أبدا ولا بد لعنتر أن يفرق شملكم ويشل هذه القبيلة ويفنيكم برمحه وحسامه الظامى ويخلصنا من الاسر والاعتقال والآن قم من قدام وجهى فما رأيت أوحش من صوتك ولا اشنع من خلقتك فلعن الله صورة رؤيتك فقال له شيبوب ويحك يا مسكين هذا الحديث الذى تقوله ابصرته فى المنام وإن هذا منا لا يصح لاحد لانك ياهذا أشقر أزرق العينين ومن تمام شقاوتك وقلة قيمتك وتعاستك سمعت انك تعبد الصلبان وتقبل الصور المصورة فى الحيطان وانتم لو كان لكم عقول كنتم تتكلموا بهذا الكلام ياعباد الصلبان هذا إلا أنه اضغاث أحلام ولكن فاصبر قال الراوى واخذ شيبوب مع مقرى الوحش فى المخاصمة والكلام والمهاجمة كان التباق واصبر على غصتك وتأنى فى أمرك فهذا شيبوب أخو عنتر بن شداد عسى إذا نامت هؤلاء العبيد يخلصنا من الاسر والاعتقال فقال له مقرى الوحش يا أبا الأبيض أنت مابقى معك من العقل محصول كيف يقدر شيبوب يخاطر بنفسه بين هذه القبائل انما هذا شيطان عبيد حسان بن مسعود أما ترى انه لابس على مولاه السواد فلعن الله اباه وامه ولا كتب الله عليه سلامة ما أسود وجهه كيف هذا الشيطان يجسر أن يتكلم بهذا الكلام فقال شيبوب سوف يفنى مافيكم بالرمح والحسام ولا يترك منكم شيخا ولا غلام ومن اسره منكم يبيعه بيع الهوان قال الراوى ثم أن شيبوب لج على مقرى الوحش فى الكلام والحديث والمخاصمة وكان عروة بن الورد إذا سمع من الكلام يقول يافارس الشيام طول روحك ولا تطل معه حتى يخلصنا الأرب فقال مقرى الوحش اما انت ياأبا الأبيض قد خرفت وذهب عقلك وذهل لبك وهذا عفريت اعرفه وحققه تراه من

جهة مولاه مسعود بن مصاد الكلبي صاحب مياه عراعر وما أتى هذا الشيطان الى
المكان الا بطلبنا الى مولاه حسان ليأخذ منا الثار ولنا والله يا أنا لا ينقض ما صبر على خطابه
ومالي هم في الدنيا الا من مفارقتي لزوجتي مسيكة وولدي سليع اليمن وصاحبي عنتر
فوا أسفاه على الخلاص والروح قبل طلوع الصباح قال شيبوب ابكي على روحك يا قرنان
وعدد كما تعدد النسوان والله يا أشقر يا أزرق العينين لا تزال بعد ذلك في الاغلال يا أقبح
الوجه كما جمعتنا في أصحابنا وكانوا رجال اقبال وفرسان عوال (قال الراوي) فعند ذلك قالت
له العبيد قم يا شعيب وخذ ثارك وثار سيدك من هؤلاء الاثنين بوالله ان أدخولهم الى بعض
اليمن قد أرعب قلوبنا وصدع أفئدتنا فاقتل هذا الاشقر فلا كتب الله عليه سلامة فعند
ذلك وثب شعيب مثل الذئب الاعطط والثعبان الانقط وانذق على مقرى الوحش وصار
يعنفه في مرافقه واكتافه ويقرصه في أوراكه ويهبش وجهه ودردمته وبعض اكتافه
وظهره ومقرى الوحش يستغيث فلا تغاث وفي الحال نط وقعد يحاربه نطول الليل فهذا
ما فعل شيبوب من ضيافته عند عمريت السواحل من الخيل واما ما كان من طوائف اليمن
وبني عبس فانهم ماتوا تلك الليلة احد لا هو غارق في الحديد الى الصباح فعند ذلك
توا ثبت الابطال والرجال والفرسان الى ظهور الخيل لما ذهب عنهم الليل وانعطفت القبائل
واعتدلت الجحافل وجردت النواصل وهزت الذوابل تقدمت بنو عبس تطلب الحرب
يا أخيار وعليهم لفقد عروة ومقرى الوحش ذل وانكسار الا ان الصفوف ما تعدلت
والابطال ما تصيبت وتربت حي خرج عنتر بن شداد وطلب القتال والحرب والجلاد
وكان قد أصبح كثير الهم والافكار من وجوه عديدة احدها لاجل مقرى الوحش
الفارس والغضنفر وعروة بن الورد الوجه الثاني لاجل انقطاع خبر اخته شيبوب عنه
وكيف أصبح الصباح وما عادوا اليه والوجه الثالث نكاد زوجة مقرى الوحش مسيكة
وانكسار قلبها وغربتها والوجه الرابع تذكر بعد قومه وغربتهم عن ديارهم وانكاهم عليه
وكثرة الجمع الذي بين يديه خرج ذلك اليوم في صورة وغزه الى الحرب والقتال فجال
بالاعجل يطلب المبادرة وسال الانجاد وجعل يقول هذه الابيات

ما يطفي اليوم نيراني غير حربي ... الا اختلاف القنا والطعن في الحدق
ولا يزيل همومي غير معركة ... تسيل فيها الدما كالعارض الغدق
ولا ازال اخيل طيور الجو حائمة ... على العثار فلا بل النذار مني
وارمي الهام بالعضب الحسام كما ... ترمي العواصف منها يابس الورق

وأترك الخيل فى الأقطار شاردة ... تدوس من جيف القتلى على الحدق
وأترك الخيل فى الأقطار شاردة ... تدوس من جيفه القتلى على الحدق
تغذ وخفافا خلاه من فوارسها ... عبس مغبرة الألوان بالعرق
تغذ وخفافا خلاه من فوارسها ... عبس مغبرة الألوان بالعرق
ياساقى الوت أدر كاس الحمام فقد ... أصبحت أشناه من همى ومن حرق
ياساقى الوت أدر كاس الحمام فقد ... أصبحت أشناه من همى ومن حرق
وقد عاهدت حسامى أن أصبغ له ... عمدا من الراس ومن خالص العنق
وقد عاهدت حسامى أن أصبغ له ... عمدا من الراس ومن خالص العنق
فبارزوا وانظروا طعنا تشيب له ... رؤس المفارق من خوف ومن قلق
فبارزوا وانظروا طعنا تشيب له ... رؤس المفارق من خوف ومن قلق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات برز اليه فارس طويل معتدل القوام إلا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات برز اليه فارس طويل معتدل القوام إلا

أن عليه ثوب خام قصير الاكام ضيق اللثام خالى من الزرد عليه للفروسية دلائل وعلائم
وهو حافى الاقدام غير متاهب إلى الحرب والصدام ولما برز قدام عنتر وصاح فيه وراى
هذا الحال وقاربه أنكر أمره فقال فى نفسه وقد زاد به الغيظ والغضب ماهو إلا أن
الفراعنة الكلاب احتقرونى عند الحرب والقتال وإلا ما كانوا أحرجوا إلى هذا الفارس
الصعلوك وان لم املامهم فى الميدان بحفظ قدرى عنهم وهان على أنه صاح بالفارس صيحة
الغضب وهم أن يطعنه وإذا به قد اعترضه فارس آخر ثانى ولكن أعظم خلقة من الاول
واشد نشاط فطلبه عنتر مثل القضاء المنزل وصار معه مثل السهم المرسل فلما قاربه صاح فيه
وازداد بطعنه فكشف عن وجهه اللثام وقال جئت يا أبا الفوارس وهناك الله بخلاص
أصدقاك من شر أعداك فتامل عنتر من المتكلم وإذا به صديقه ورفيقه مقرى الوحش
والفارس الاول عروة بن الورد فلما تحقق عنترا معرفتهم خفق فؤاده من الفرح واتسع
صدره وانشرح وقال يا بنى عمى لقد خففتم بذلك كربى وأراحتم سرى وقلبى وكشف
كان خلاصكم من الهلاك والوبال فقال عروة وكان سبب خلاصنا أخوك شيبوب الحمال
ولولا هو ما كان أصبح الصباح إلا ونحن فى أرض بعيدة قال عنتر أنا مسالم أخى فقال له
شعيب فقال عروة هو شيبوب لا أنه أبى الذى تابع وعليه ثياب سود ولهذا سمى بهذا الاسم
أنا عند الملك مسعود وما زال يخدعه حتى وكله بنا وقد تحدث معنا حتى نام العبيد
فقام الينا وأطلقنا وسار بنا على غير طريق خوفا علينا من الحرس وقال لنا اركبوا من هذه
الخيل فشاردة وتفرقوا بين هذه الطوائف إلى أن يصبح الصباح وأقبلوا إلى الميدان من
جملة الطوائف كانكما تطلبان الفرار والطعان فعلنا بمثل ما أمرنا ونحن متعجبون فيما جرى
وأتينا اليك كما ترى فلما سمع عنتر ذلك زادت أفراحه من أفعال أخيه فقال عنتر وشيبوب
أين تركتموه فقال عروة تركناه حول مضرب الذى أسرنا لأنه قال لنا امضوا أنتم

ويطلبوا من الله الفرج فانا ما أبرح من حول مضرب هذا القرنان حتى أذبحه وأكفي الناس شره فتركناه وما ندري بعد ذلك ما جرى له وما ظننا إلا أنه قد سبقنا إلى هنا فقال عنتر لا والله ما رأيناه وإني خائف عليه أن يعرفه هذا القرنان فيهلكه ثم أنه قال لمقرى الوحش إذهب أنت إلى زوجتك وأرها وجهك حتى يذهب عنها الهم والغم لأنها البارحة ما نامت وأفهم عندها حتى تبرأ جراحك ثم أنه سأل عن الحربة لئلا تكون أفسدت صلاحه فقال ما هو شيء أبالي به لولاك ما كان ظفر بني هذا الشيطان وأنه والله من الفروسية في أعلا مكان ثم أنه طلع وبل شوقه من زوجته وولده برؤيا وجهه ورجع إلى الميدان يطلب البراز وقد حارت مما جرى جميع الشجعان وما فيهم من علم كيف سلمت الفرسان نفوسها إلى عنتر من غير قتال وقد كثر فيهم القيل وفي الحرب من ظن أنهم جواسيس لبني عبس وقد عاد اليهم ومنهم من قال الآن بعض الأسارى هرب هذا وبنو عبس قد ضجت على الجبل بالأفراح بخلاص عروة بن الورد ومقرى الوحش وعنتر لما أبصر فرسان العرب وقوفها عن القتال حمل على بعض القبائل وأضرم نار الحرب فحميت وأزداد الاشتعال وأرتفع عليه الصياح ومالت عليه الأبطال وكان في قلبه النار من كثرة والجموع فبذل حسامه في رجال وطعن في الصدور طعنا يسابق الآجال ويمحق الأعمار الطوال وما خرج من تحت الغبار أرتفعت الشمس وتعالى النهار وأهلك سبعين فارسا جبارا وخلاهم عبرة بالصارم اليماني وعادلي الميدان وقد روى الأرض من الدماء وعاينت القبائل ما حير الأذهان وهو يجول يطلب البراز وأنتخب الفرسان لنفوسها وقد صارت تخرج اليه وتقصده بسيوفها ورماحها وهو عبر عليه نصف النهار وأعتدل فوقفت الفرسان وسادات الحلل وكان قد أسر في ذلك الوقت مائة فارس ما منهم إلا كل ليث بطل الذي قتلهم مائة وعشرين وكان آخر من برز اليه بن النهاش الذي كان أسر عروه بن الورد ومقرى الوحش وما كان آخره افتقدهم فما وجدهم بل أنه رأى العبيد نيام فنبههم وسألهم عن الأسارى فقالوا م وذمه العرب ما عندنا منهم خبر حتى سار وقت السحر وهب علينا نسيم الهوى فنعنا كما ترى ولا تعلم أيش جرى فقال نابح إذا كان الأمر على هذا فقد أخذهم شعيب القرنان ومضى بهم إلى مولاه وما أظن أن كلامه كان معي إلا خديعة وهذيان وأنا أقسم بالبحر إذا زخر والموج إذا هدر وتلاطم وبدران كان هذا الأمر صحيح لاضربن رقبته وأسلب نعمته لأجل أدخاله على المحال وأضرب رقابكم معه يا بني الأنذال فانتم أتكلم على

شعيب العبد ولد الزنا وغركم بمحاله فأمنتم اليه على أن قلبي كان تافر آمنه لما سمعت لغته حجازية ولكن قلت ربما يكون مولاه اشتراه من أرض الحجاز ورآه عاقلا فيربه وإلا ما كان علينا المحال (قال الراوى) فبينما هو مع عبيده فى الكلام وإذا بثلاث فوارس قد وصلوا اليه من عند الملك حسان بن مسعود وسلموا عليه بعد ما قبلوا الارض بين يديه وخدموه قالوا له أيها الملك الجليل ملكنا حسان بن مسعود يسلم عليك ويقول لك لا تقطع ما كان بينك وبين أبيه مسعود من الصحبه والمودة والعهود وقد علمت ما جرى عليه من هذه الطائفة العبسية التى أذلت ملوك اليمن ويريد منك أن تحفظ الاسارى الذين فى يدك وتخرج اليوم إلى البراز وتجتهد فى أسر عنتر حتى تأخذ منه بثأر أبيه ويعطيك من المال والجمال ما تطلبه وتشتهيه ولا تحوجه إلى غيرك فى أخذ الثار وكشف العار ومن البارحة كان عول أن يرسل اليك من قبل هذا المعنى وإنما رأى فرسان القبايل قد مالت اليك فخفف عن قلبك وعلم أنك لم تنس صداقة أبيه ولا يرى منك إلا ما تشتهيه فلما سمع نايح هذا المقال زاد به الويل والخيال وقال للفرسان الذين أتوا اليه وهل الاسارى ما وصلت اليكم مع عبدكم شعيب فقالوا له لا والله أيها الامير قال لخدشهم بما تم عليه فقالوا هذا حديث ما سمعناه إلا منك أيها الامير فقال لهم أما تعرفون أن أميركم له عبد يسمى شعيب فقالوا له والله ما نعرف لا شعيب ولا قضيب وأن كان قد أتاك أحد وتسمى بهذا الاسم فما هو إلا من تلك القبيلة الغريبة العبسية وما قصدك إلا لاجل خلاص أصحابك من يدك فلما سمع ذلك تحقق صدق حديثهم وزاد به الغيظ على عبيده فضرب رقابهم فرأى عنتر وقد فعل تلك الفعال وقتل من قتل وأسر من أسر فخرج اليه وطلب النزال والحرب والقتال فلما رآه عنتر وأبصره سالما آيس من أخيه شيبوب هذا ونايح يقول ياغدارين يامحتالين يامكارين نحن نقتنصكم فى الميدان ومقام الحرب والطعان ونذيقكم الهوان فى المجال وأنتم تخلصون بالاحتيال وحق معبودى أن وقع فى يدى أحد منكم لا أبقى عليه فلما سمع عنتر هذا المقال عرف معناه وأن اخاه شيبوب بالحياة لانه لو كان قتله كان ذكر فى الكلام هذا ونايح قد جال فى المجال وجعل ينشد ويقول

وحق العيون الجاريات من البحر ... وما فيه من موج وما فيه من درى
لئن وقعت عينى من أتى لنا ... بحيلة محتال وما خاف من شرى
فان كان خلصه بحيلة مكره ... فسوف آخذ الجمع فى ظلمة القفر

وأسير للشيطان عنترة الذى ترى اسمه قد شاع فى السهل والوعر
وأحمله للنعمان قهراً مكبلا ليجعل لى شأناً من العز والفخر
أقودهما للاسر فى حومة الوغا وتخلصنا منى بالخداع والمكر
ولا بد ما أسرى لشرق ومغرب وأملك ما أختار فى البر والبحر
أنا تابع المشهور فى كل معرك أبيد الأعادى بالمهند البترى
أكنى بعبقريت السواحل كنية لأنى ملكت الأرض جمعا مع البحر

قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الشعر والنظام أجابه على عروض شعره بقوى

قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الشعر والنظام أجابه على عروض شعره بقوى

أيا من سعى فى حتفه وهو لا يدرى ثان واسمع وزن ما قلت من شعرى
إذا نظرت عيناى فى طعن فارس مزجت له كاساً أمر من الصبر
ملكت بفضل الله كل طعن مليحة وتوجنى ربى بتاج من النصر
أطهر هذى الأرض من كل طاغ إلى أن أتانى المبعوث بالخير والأمر
لقد صبر هذى الكيان ضمان من كل طاغ يكون له نور المبعوث يوم السفر
فان كان جبلى الحمر إلى أن يوم بعثه فجرت له والله نور من وجهه السفر
وان كان من أعدائه الكل يوجد فجرت لأهل الظلم منه السيف والسمر
أما قلت انى بأعدائك أفعل وقد شاع فى الأطلال بين الورى خبرى
أنا ما عنترت أوصاف بفعل سيد قومه أموت ولا أسى إلى موقف الحشر
أنا عنتر الموصوف سيد قومه

قال الراوى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذا فى الجولان حتى طلع الغبار

قال الراوى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذا فى الجولان حتى طلع الغبار

وتحيرت بأجرى لها الابصار واختلف بينهما طعن وضرب تحير الابصار والافكار وتشيب
من هول الاطعال وقل منهم الصبر والقال وجال كل فارس وصال وما زال الاعلى مثل ذلك حتى
انقضى النهار وحل بنا تاج التعب وندم على مقامه فى الديار وعلى خروجه إلى هذا
الرجل الجبار وقال فى نفسه ما منعنى عن المسير إلى ذلك العبد الغبار وكنت أشهى أنى
أقع به لأخذه أسيرا وأعضى بقتله ما بقلبى من النار ثم أنه وقف عن المجال يستريح
من كرب القتال وقال له أمهلنى على أشاورك فيما يكون لك فيه من الصلاح والاخلاص
فقال له عنتر وقد أمهله قل ما تريد فقال له أول ما أريد منك خبر العبد شعيب أخى
العبد الذين خلص أصحابكم ما كان منه وبعد ذلك أسالك أن تبعد على حتى أعود إلى
أهلى وأرحلهم عنك وأكفيك أمرهم وأمر تعشيرى ولا تخرق ناموسى فى بلاد اليمن وإسرى
وإن كنت ما تفعل ذلك فانا فى غداة الجمل عليكم بهذه العوالم ولا أبقى منكم قاعد

ولا قائم لان الليل قد أتى والنهار قد مضى ولم يبق لنا غير الانفصال والعودة الى قومنا
ولا قائم لان الليل قد أتى والنهار قد مضى ولم يبق لنا غير الانفصال والعودة الى قومنا
فقال له عنتر يا قرنان ويا مهان انت تدعى بما ليس فيك وانك فارس الين تطلب
فقال له عنتر يا قرنان ويا مهان انت تدعى بما ليس فيك وانك فارس الين تطلب
الاقالة من عبد قد اذل ملوك هذه الاطلال والد من وأى انفصال ههنا اذا كانت هذه
الاقالة من عبد قد اذل ملوك هذه الاطلال والد من وأى انفصال ههنا اذا كانت هذه
فيتك ثم زعق زعقة الاسد اذ اجاع وطعنه بالرمح دعق منه اربعة اضلاع فانصرع ومن
فيتك ثم زعق زعقة الاسد اذ اجاع وطعنه بالرمح دعق منه اربعة اضلاع فانصرع ومن
على جواده الى الارض وقع فوقف على راسه حتى يدركه اخوه جريرو اذ باخيه شيبوب
على جواده الى الارض وقع فوقف على راسه حتى يدركه اخوه جريرو اذ باخيه شيبوب
قد اقبل مثل القضا المنزل وصار على صدر ناتح مثل البرق اذ برق وقال له ادرك اخاك
قد اقبل مثل القضا المنزل وصار على صدر ناتح مثل البرق اذ برق وقال له ادرك اخاك
يا كلب العرب ثم شد وثاقه قدامه وعثر من فعال اخيه متحير فقال له ويلك وان كانت
يا كلب العرب ثم شد وثاقه قدامه وعثر من فعال اخيه متحير فقال له ويلك وان كانت
غبيتك باشيبوب فقال له فى طلب هذا الكلب لانى لما طلقت مهرى الوحش وعروة
غبيتك باشيبوب فقال له فى طلب هذا الكلب لانى لما طلقت مهرى الوحش وعروة
بن الورد صرت من بعدهم ارصد هذا القرنان وارتحك منه واقتله فاقدرت عليه لقطته
بن الورد صرت من بعدهم ارصد هذا القرنان وارتحك منه واقتله فاقدرت عليه لقطته
وفى الصباح اختلطت فى هذه القبائل المجتمعة وقلت ما انرج حتى انظر ما يفعل هذا
وفى الصباح اختلطت فى هذه القبائل المجتمعة وقلت ما انرج حتى انظر ما يفعل هذا
الشيطان اذا خرج الى براز الفرسان وان وقع احد فى يده من اصحابنا خلصته منه مادام
الشيطان اذا خرج الى براز الفرسان وان وقع احد فى يده من اصحابنا خلصته منه مادام
امرى معه مكتوم وحالى غير معلوم ولازلت على ذلك حتى راته قد وقع وانخذل بين
امرى معه مكتوم وحالى غير معلوم ولازلت على ذلك حتى راته قد وقع وانخذل بين
يديك وحصل له ذلك العذاب ووقع فعلمت ان الشرعنا قد اندفع فانيت اشتغر بكتافة
يديك وحصل له ذلك العذاب ووقع فعلمت ان الشرعنا قد اندفع فانيت اشتغر بكتافة
وعذابه فلما سمع نابح كلام شيبوب عرفه له ويلك ما انت شعيب عبد حسان الذى
وعذابه فلما سمع نابح كلام شيبوب عرفه له ويلك ما انت شعيب عبد حسان الذى
اردت النار حة ان تمضى معى الى الملك النعمان فقال له شيبوب نعم يا الف قرار كما انجدت
اردت النار حة ان تمضى معى الى الملك النعمان فقال له شيبوب نعم يا الف قرار كما انجدت
معك فهو زور ومحال حتى خلصت من يديك فرسان عدنان وابطال الزمان فلما سمع نابح
معك فهو زور ومحال حتى خلصت من يديك فرسان عدنان وابطال الزمان فلما سمع نابح
ذلك تعجب وقال وحق دينى والبحر اذا زخر عمرى دور القبائل والحلل قط ما سمعت
ذلك تعجب وقال وحق دينى والبحر اذا زخر عمرى دور القبائل والحلل قط ما سمعت
من اسمه شعيب وما رايت من يفعل مثلك يا كلب (قال الراوى) فارتجعت بنو عبس
من اسمه شعيب وما رايت من يفعل مثلك يا كلب (قال الراوى) فارتجعت بنو عبس
بالنصر والظفر الى جبل الغمام وباتت فى سرور واطمئنان بخلاف الليالى الاول وباتت
بالنصر والظفر الى جبل الغمام وباتت فى سرور واطمئنان بخلاف الليالى الاول وباتت
القبائل تموج كالبحر الزخار واجتمعت سادات الطوائف وقد عجزوا لقاء هذا
القبائل تموج كالبحر الزخار واجتمعت سادات الطوائف وقد عجزوا لقاء هذا
العبد الاسود وعند الصباح زحفت عليهم القبائل وتقدمت الى جبال الغمام ونزلت
العبد الاسود وعند الصباح زحفت عليهم القبائل وتقدمت الى جبال الغمام ونزلت
بنو عبس الى ذيل الجبل وعنتر يوصى اصحابه بالجد والى القتال ولم يعطوا اهمال وقال لهم
بنو عبس الى ذيل الجبل وعنتر يوصى اصحابه بالجد والى القتال ولم يعطوا اهمال وقال لهم
يا بنى عمى هذا اليوم يوم الانفصال فلا تخشوا من كثرة الاعداء والاندال وفعلت بنو
يا بنى عمى هذا اليوم يوم الانفصال فلا تخشوا من كثرة الاعداء والاندال وفعلت بنو
عبس مثل فعالها الاول وكانوا قد اصبحوا كثير بن الفرج والانبساط بخلاص اصحابهم
عبس مثل فعالها الاول وكانوا قد اصبحوا كثير بن الفرج والانبساط بخلاص اصحابهم
واسر نابح بن النهاس فجردوا الصفاح وصاحوا صيحة عظيمة ارتجت لها سائر البطاح
واسر نابح بن النهاس فجردوا الصفاح وصاحوا صيحة عظيمة ارتجت لها سائر البطاح
وزعقوا زعقة واحدة زعزعت الجبال وجاوبتهم قبائل اليمن وجردوا فى ايديهم النصال
وزعقوا زعقة واحدة زعزعت الجبال وجاوبتهم قبائل اليمن وجردوا فى ايديهم النصال

أرادوا الحمله على بعضهم ماثاروا للحرب حتى أبصروا غبارا قد من ناحيه أرض المصانع وتحته هدير بوقات ودق كاسات وصهيل خيل صافنات فبينهم ذلك الحال إذ بغبار ثان قد طلع من نواحى سواحل وله زعقات وتحته رجال مثل الامطاو وقد نظروا اليه وتفكروا فيه وإذا هم بغبار ثالث وقد طلع من نواحى أرض اليمن تحته الصياح وزعقات وهو يدل على فرسان مثل الأسود مقبلين على عجل فاخذا الجميع مازالوا على تلك الحال حتى انكشف تلك الغبرات فحققوا الغبار الاول وإذا تحته رايات وأعلام مرتفعات وقضبان من ذهب وفضة عليها تماثيل طيور وشىء تعجز عنه ألسن الواصفين وفرسان الجيش كلها مسربلة بالحديد المطلى بالذهب الأحمر فلما قاربوا جبل الغمام رأوا قبائل بنى عبس على نية القتال فتجارت منهم الفرسان وساروا بين الصفين وجردوا السيوف وصاحوا على قبائل العرب ارجعوا عن إثارة الفتن واستعملوا الآدب قدام الملك عمرو بن هند أخو الملك ملك العرب من بعد منها ومن اقترب فانه من أجل بنى عبس قد دخل إلى هذا المكان لأنهم صهاره وسيوفه القاطعة وقد رضى عنهم بعدما كان غضبان عليهم وأنفذ خلفهم يردهم إلى ديارهم والاوطان ويحسن لمن أحسن وأولاهم الاحسان ويقاتل من تعدى عليهم بالظلم والعدوان أما الغبار الثانى فكان عشرة آلاف فارس من كل بطل ممارس وملكهم نعمه بن الاشتر وهم ينادون عن لسان واحدا يشر يا أبا الفوارس بالنصر على العدى فنحن بنو الاشتر قد جئنا لنعادى من عاداك ونكون من الأسى فداك ومن أجلك قد دخلنا بلاد اليمن فلا كان من يشناك فنحن بنو الارقط سكان أرض السواد وجبل الدخان وأما الغبار الثالث فانه ظهر من تحته الملك غلباد ومن حوله فرسان بنى الغيان الضاربين الحسام والسنان وتقدم منهم الفرسان وهم ينادون عن لسان واحد ابشروا يابنى عبس بالنصر والامان وأدعوا بحياة أبى الفوارس والشجعان وسيد الفرسان وقاهر ملوك هذا الزمان عنتر بن شداد فارس اليمن كثرة قدوم هؤلاء الملوا كب والكتائب وهم مقبلين من كل جانب بهتت نواظرها وتحيرت فى أميرها وقل نشاطها وعمها وعلموا أن تلك الخلائق القادمة إعانة لبنى عبس وخدمة لابى الفوارس عنتر وعولوا على الفرار والهوب وخافوا من العطب لو لا مجىء أخى النعمان ما كان بقى منهم إنسان لكن لما ابصروا الملك عمرو بن هند قويت عزائمهم وأقاموا ينتظرون الاخبار وعاشت أرواحهم بعد الممات وما السبب فى وصولهم وهم الملكان نعمة بن الاشتر

وعياد سيد بنى القيان النجابة الذى ارسلهم الملك مسعود بن مصاد الكلبى فى أول الديوان كما ذكرنا وأرسل الكتب فسارت بهم النجابة إلى قبائل أهل اليمن حتى بلغ خبر تلك الوقائع الى صنعاء وعدن وبلغ أيضا إلى ملك أرض السواد وجبل الدخان فجمع من قومه عشرة آلاف فارس من الشجعان وسار بهم طالبا نصرة عنتر إلى أن وصلوا إلى جبل الغمام وكذلك فعل عباد مقدم بنى القيان لما بلغه ذلك فى السير اجتهد لخوفه على ابنته أن تسبى فى بلاد اليمن لأنها كانت زوجة الأمير نازح بن أسيد بن جذيمة فجد فى مسيره ومعه أربعة آلاف عنان إلى أن وصل إلى هذا الغبار الأول غبار عمرو بن هند أخو الملك النعمان من أبيه وكان هو الاصغر الا أنه كان عاقلا كامل المروءة والادب يحب الإنصاف ويكره الجور والإسراف وكان السبب فى دخولهم أرض اليمن إلى بنى عبس سبب عجيب وهو أن المتجردة زوجة الملك النعمان أخت الملك قيس لبست بعد أهلها السواد وجعلت تبكى عليهم آناء الليل وأطراف النهار وصارت ترثيهم بهذه الأشعار من جملة ماقالت هذه الأبيات

هل أنت مبلغ أيا نسيم سلاما من قلب السقيم إلى ديار رحلت عنها
والقلب أهليها مقيم أرواحها راحت وقلما عاشت بلا أرواحها الجسوم
انفاسها فى جنتى وعندى من حر انفاسى الجحيم راق لشعرى النسيم لكن
باب غرامى هو الغريم لاتسألوا عن حديث شوقى فانه حديث عظيم
قضيت دين الاما ولكن ان هيامى هو الهموم صاحب ذا قربكم وصالا
لو انه كالهوى يدوم لكن همومى لقد تلاشت مهجتى من جوى الحميم

(قال الراوى فصارت المتجردة تبرطل العبيد بالأموال ليأتوا لها بجميع الاحوال والاخبار وهم يذكرون لها ماوقع لبنى عبس من الاخطار وأخبروها من ابتداء دخولهم بلاد اليمن والوقائع التى صارت حتى وصلها حديث خبل الغمام ومن اجتمع فيه على بنى عبس الكرام ويقال أنها من ساعة ماغضب الملك النعمان على قومها ماذخلت حمام ولا استلذت بطعام ولا بمنام ومازالت كذلك حتى تغير عليها ناموس الملك إلى أن أتى أيام نعمته وسروره وانصرفت ايام نقمته وهمومه وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام انه قد كان له هذين اليومين النعيم والبؤس فكان فى يوم البؤس يسفك الدماء ويصادر الأغنياء ويهجر اللذات ويغلق الاسواق وفى أيام النعيم يقضى الحاجات ويعمل الدعوات ويأمر بزينة البلد أما سبب دخول اخيه إلى بلاد اليمن لانه فى يوم سرورة دخل على زوجته المتجردة ليله النعيم

وهو سكران من خمرها مخمورة الخمرات كثيرة الخمرات بما بها من جرى لأخيها وفي غفلة
الغيور وقت وما أعطى المصالح وغيرهم من الورق فتح كما ذكرنا فزادت بها الوقعات وتزايد بها
الهيجان وفي ذلك الوقت دخل عليها الملك النعمان وهي تنشد وتقول هذه الأبيات

لو كان لي من سلامة حزني ... ما ذاب جسمي ولا هو الضنا بدني
وبي بلاء من الفؤاد أردده ... مشوقة إلى عرصات الدار والدمن
يا طائر بات طول الليل مشتجبا ... يردد النوح في سر وفي علن
إن كنت تندب أيامها فقد فجعت به ... فقد فجعت أنا في الأهل والوطن
عرج بي بحملك يا طير الأراك عسى ... أرى الأحبة في صنعا وفي عدن
وذكر النعمان عهد مشهور ... فخفوه وسابع جار على الزمن
وخوفه ترك الافطار آمنة ... ولو خلت منه ما تحركت من وطن
وطار وراى قطاتي في الليل ساجعة ... من شجوه بالشيتاق كان يرحمني
وكيف ينصف أهل الدهر كلهم ... بعدله وبرى صفوي فيه من شني

الملك النعمان في زوجته المجنونة

الملك النعمان — المجنونة في شكل الأمير

قال الراوي وعند ما سمع الملك النعمان من زوجته المجنونة هذه الشعر وهذه الأبيات

إلى بني عبس والملك قيس صهرة فاجابوا بالسمع والطاعة فاخذ مايحتاج اليه من كل مايحتاج الملوك وسار والنوق تحمله حتى دخل بلاد اليمن فعلمت به فرسان تلك الحلل والدمن فخدموه وصاروا يضيفونه ويكرمونه وقدسار معه من كل قبيلة عشرة وعشرون وأكثر من ذلك وسار حتى أشرف على جبال الغمام وكان قد سمع باخبار بني عبس فجد فى مسيره حتى وصل اليهم إلى خدمته الملـــكان نعمة بن الاشتر وعباد سيـــد بنى القيان لما علم انه أخو الملك النعمان ونظر ماعلى الجيش من الهيبة والوقار وشاع الخبر أن قدوم بنى الأرقط وبنى القين لبنى عبس وعنتر فتقدم فرسان القبايل وحماة الجحافل إلى عمرو بن هندوخدموه ودعوا إلى أخيه الملك النعمان بطول العز والبقاء على الدوام فقال لهم عمرو ياوجوه العرب الكرام ماهذه القبايل وعلى من تجمعتم أما كان فيكم عاقل يرد الجاهل عن جهله وعن أقارب الملك النعمان أماخشيتم المعيرة والذمة بين القبائل والعرب بان يقال أن ملوك اليمن وفرسانها وأنطالها اجتمعوا على جبل الغمام فى خلق كثير لاتحصى على شرذمة قليلة من العربان وقد أوقعوا بكم الذل والضير وما كان وصل اليهم هذا المكان بهذه العساكر التى قدملأت الفضا وسدت عين الشمس والمستوى ولولا حضورى فى هذه الساعة ما كانت تبقى منكم بنو عبس فى هذه النجده شيخا ولا غلام وتسبى حريمكم وتشتتكم عن أوطانكم ولكن اشكروا الرب القديم رب زمزم والحطيم وإله الخليل ابراهيم الذى أرسلنى اليكم والا كان فنى أكثركم ودارت عليكم لان كل أحد يعلم أن هذا الملك نعمه ماأقامة فى الملك الذى هو فيه إلا عنتر بن شداد وانه ما أتى فى هذا الجيش إلا وفى نفسه لايبقى منكم أحدا وكذلك عباد سيد بنى القيان صهر بنى عبس وعدنان لان ابنته متزوجة بنازح بن أسيد ولو وصلوا اليكم قبل وصولى ماأبقوا منكم انسانا فقالوا له وحق من أوسع البيداما تعرضنا لهم حتى أنهم قتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب تلك الاراضى وما يخفى عليك أيها العظيم ماصنعوا فى عفية فروق المصانع وقللهم معاوية بن النزال وفى فهد وماعملوا بالرجال فانهم قتلوا عمرو بن ضمرة القينى وعملوا شيئا يذكر وافيه مادامت الشمس والقمر بالمداح وتحن باقامة الغجر ولولا حضورك أيها الملك الجليل كنا طلبنا منهم الاقالة وخصوصا من حاميتهم بن شداد الذى سادبفعله على جميع العباد وأنه أمس قبلى حضورك أيها الملك الكريم اسر من شجعاننا وفرساننا أوفى من ماتتى أسير وآخر من أسره فارس اليمن وصنعاوعدن عفريت السواحل نابحه بين النهاش وصاز عنده فى الذل والوبال أيها المفضال ولولا نعلم أن أخاك

كان غضبانا عليهم ما تعرضنا لأننا ماقتلنا أحدا منهم حتى قتلوا منا عالما عظيما ولاسيما حاميتهم الأسمر المسمى بعنتر فانه مثل النار ذات الشرر التى لاتبقى ولاتذر والان بلغ الأمر منتهاه ومضى مامضى مادام أخوك قد جاد عليهم بالرضا وان نامع القوم أسارى رأموا الاعلا الصحراء فيظلقون لنا الجميع وينحلون ويسيرون من جبل الغمام ويبعدون عنا بسلام قال الراوى ثم أنهم شرحوا له ماجرى عليهم ونالهم مما ذكرنا وليس فى الاعادة أفادة فتعجب الملك عمرو بن هند من ذلك وعظمت بنو عبس فى عينيه وصدق كلام الوزير فى حقهم لأنه شك فى وصف الوزير فيهم ثم أنه ضمن لهم أطلاق أسراهم وأبعاد بنى عبس عن جبل الغمام وأنفذ اليهم وأعلمهم بذلك الكلام فنزلوا عن الجبال إلى الصحراء بالأضعان والأموال وفرحوا بعودتهم إلى الديار وتقدم الملك قيس وأخوته إلى الملك عمرو بن هند ودعوا له ولاخيه وعلموا أنه قد أنصلح الأمر والشأن فاخبرهم أن ذلك كله سؤال أخته المتجردة لزوجها الملك النعمان وعلموا أنه أرضى بنى فزاره وأنه قد أقطع لكم عوضا عنها ديار واسعة فى أرض بنى عامر أهل الثناء والمفاخر وأمركم بالنزول لتسرحوه لكم فى جزائرها وفى نواحيها ولما سمعت بنو عبس ذلك رضوا بمقال الملك عمرو ودعوا له بالعز طلب الراحه من معادات قبائل اليمن وكان أفرح الخلق بذلك الأمر عماره قال الراوى ثم تقدم الملك نعمة بن الأشتر بين أيادى أبو الفوارس وقبل صدره وبديه وقال له ياأبا الفوارس لماذا عبرت أرض اليمن ولم تقصد بقومك أرض السواحل وجبل الدخان أما تعلم أنها بلادى وفتحت بسيفك وأنا وأولاد عمى أمنا من سطوتك ثم أنه بعد ذلك أشار يقول .

أعنتر مابرحت قرير عين من البين فى ظل الحبال. فليس لمجد إلا ما بنته
ظباء الهند والأصل العوالى وليس العز إلا ما جنته باطراف القنا أيدى الرجال
فى أول من تشاء تجده سهلا يسير خطبة وافى المقال ومن أولاك والله امامانى

بلغنا فيك ما نرجو ونلنا منالك من قبل السؤال
قدم بسيادة منع ظل عز كنهر سيل ينزح من توالى

قال الراوى فلما سمع عنتر من الملك نعمة ذلك الكلام شكره وأكرمه غاية الاكرام وعرفه أن بنى عبس لما دخلت اليمن كان بأرض الشام ولو أنى كنت فى أرض الحجاز ماكنت تركت أحدا من بنى وعبس يطرق هذه الديار وكنت كاتبت الحلفاء والأصحاب والاخوان والتقى

بهم عساكر الملك النعمان ولو أن معهم الانس والجان أو جنود سليمان (قال فقال الراوي)
وتقدم بعده عباد سيد بني القيان وقال له يا أبا الفوارس لا تحسب أني نسيت جميلك
والاحسان فاني حفظ من أرعى شوارخ الجبال ويعلم مقادير الارزاق والآجال وأعلم
الشمس وأنار الهلال من يوم وصفني الاخبار ما أحدثني مدود ولا قرار بل أحدث
معجبي عمي ومن كان حاضرا في الديار وسمعت بهم حتى وصلت هذه الاماكن مع أنه
أشار بمدحه هذه الابيات

قد نلت فضلا ممكنا بيان ... حتى كل عنه نطق كل انسان
وعلت فعالك عن مقالة مادح ... ماذا ينال معانينا بمعان
في كل يوم يعتليك من العلا ... ما لم يحل في خاطر الامكان
ماذا يقول الواصفون وصفهم ... في وصف مجدك لو أتوا ببيان
أو وليت أحسانا فما لك مادح ... إلا وقد أربى على حسان
ولقد عتقت عتيقك من الثنا ... منح السماح وضوعها اللمعان
وكمالك ما خضبت به بيض الظبا ... في الروع فوق فروق فرسان
فاسلم ودم في عيشة مع غبطة ... مشبوبة مقرونة بأمان

قال الراوي فلما سمع ذلك الكلام شكره وأثنى عليه وقربه في صدوره وبين عينيه وتقدم
اليه زوج ابنته مالوج بن مالوج أسيد وهناه بالسلامة من الاعداء وكيف يكون الحال
فقال لهم عنتر والله يا بني الاعمام أن عودتنا على هذا الحال مدة ومقاماتي أرض غيرنا
محمى المصيبة العظمى وتترك أرضنا لعدونا وتشمت الاعداء بنا فان هذا الرأي ليس بصواب
ولا يرضى به أحد من الاحباب وأن أهل الديار كلها تطيعكم وتدخل تحت الديار
والاطلال حتى ترجع عن هذا الحال ولا سيما وقد قدمت اليها هذه الجنود في أربعة عشر
آلاف فارس من كل كمي يسبق الريح في الجري وقدم مدلاعص فنهض الامير عمارة بن زياد
بالله عليك خلنا من رأيك فانا قد عدنا هذا الطارق بما هو آخر فما منا من يخير لا سيما وقد دارت
بنا هذه القبائل والابطال قد عنا يا ابن شداد ترجع الى أرضنا والديار ويكون علينا قال
الربيع بن زياد صدقت يا عمارة يا هارب فان هذا القول ما به ضرر وبما تكون هذه
البلاد قد طابت لحاميها عنتر بن شداد وهو بشاشا أخبر قال فلما سمع عنتر كلام الربيع
عرف أنه يريد قومهم وهم يريدون بعده فاستحيا عنه ولم يقولوا له إذا احتاجوا اليه
وأراد القرب فاختفى ذلك في قلبه قال لهم الملك قيس يا ابن العم دعونا فان كل من

في هذه الأرض أعداء الناس والملك يا بني العم أنا لا أصوب الرجوع إلى أرض الحجاز فلما أصبح
الصباح توكلوا على الله وساروا في طريق الملك عمرو بن حمد أخي الملك النعمان وسلموا إليه فرحب بهم وقال
لهم أقيموا عندي وأنا وجوه العرب الكرام إنه ما بقي لكم في هذه الأرض مقام بعد قتل ملوكها والسادات
فاقضوا ما أنتم فيه من الأشغال وأطلقوا ما في أيديكم من الأسارى ففرحت العربان وتباشرت
الأمراء القبائل والرحال فعندها ذوقت الطبول وتباشرت العسكر بالخلاص وأمر الملك عمرو
بفتح صناديق الخلع فخلع على الملك قيس وأخوته على عنتر وأبيه وعمومته وعلى الربيع بن
زياد وأخيه عمارة الموصوف على أصحاب عنتر مثل مقرى الوحش وعروة بن الورد الطل
الهمام وخلع على الطوال سيد بني عطفان وعلى عباض بن ناشب على فرواش ابن عم الملك قيس
وعلى نعمة بن الأشتر وعلى مقدمي عساكره وعباد القباني وعلى السادات والملوك وفرسان
اليمن وبعدها رحل كل واحد منهم طالبا دياره وقضى بنو عبس أشغالهم وبلغوا تلك الليلة
وقد أما كنهم يديرون أحوالهم وما كان الغد أمر الملك عمرو بدق طبل الرحيل فرحلوا
وتركوا في قلوب أهل اليمن الحنين لأن أكثرهم مما رضيها جرى عليهم من قتل فرسانهم
ولا سيما ما فعل عنتر بعفريت السودا حل وكيف كان خلاصهم على يد عمرو بن هند وما غلبت
على أهل اليمن المقدمون وبحديث بني عبس وأموالها بين أيديها وقد دخلت في
البراري والقفار وقد ذكرنا ما قطعته بنو عبس عند دخولهم أرض اليمن من المنازل وقطعوا
عند عودهم أطول الرواحل هذا كان في مسير بني عبس وأما عنتر بن شداد فإنه كان
سائرا بجانب الملك عمرو وإلى جانبه الملك قيس بن زهير وهم يتحادثون والجيوش يمشي خلفهم
كذلك في البراري وقد استأنسوا وقربوا إلى أرض الشرية والعلم السعدي أمامهم رحلوا عن ديارهم الأعداء
لأن الملك عمرو بن هند قد أشار على الملك قيس بن زهير سيد بني عبس أن لا يدع أحدا
من قومه أن يركب إلى الراحة وكونوا على أهبة من أمركم حتى لا يتعرض لكم عدو بسوء
فبقيت بنو عبس معهم بالأخلاق الحسنة وكشف الحجاب في أرض اليمن ورجعوا معهم إلى ديارهم
الأول والعلم عند الله تعالى وأما خبر عنتر فإنه لما حاذى الملك قيس ذكر له أن الملك جد في
المسير وقطع المسافة والتدبير حتى أنه نزل في ممر ليس لها عربان جاز بها وعداها الركاب فنزل في
تلك الليلة لأنه لم يطلب الراحة وقد أضر بمن معه التعب من كثرة السير والسري في تلك البراري
وما قاسوه من التعب في تلك الأيام وبعدوا ثلاثة أيام وقال الراوي ولما أن ضربوا
مضاربهم وأخيامهم التفت عمرو بن هند إلى فرسان بني عبس وجمعهم إليه ولما جلسوا بين يديه

فقال لهم اعلموا يا وجوه العرب ، ويا فرسان الزمان ، من ذوى الرتب انى أعرف انكم فرسان المنايا وأبطال الزمان وشجعان القبائل من آل عبس وعدنان كم تتركوا فى هذه القبيله من أحد إلا أذنتموه العذاب وآذيتموه وأخذتم ما كان له من الدهب والأموال والبوق والجمال والصواب أنكم تحفظوا أرواحكم وأموالكم وترموا الحديد عن أبدانكم لأنى أشتهى ان أكون فى فريق ويغلب منكم أن تقبلوا رأيى ولا تخافوفى حتى تخرجوا من هذه الديار فلما سمعت بنى عبس هذا المقال علموا أن قوله صواب فصاروا كل يوم يخرجون فى الصحراء ويقولون لبعضهم كل من له مال أو جمال يركب ويسير إلى المراعى ويكون للقوم حافظا وحارسا حتى ان الملك قيس صار يخرج فى جميع أخوته وكذلك صار يفعل الربيع ابن زياد والاقران وأما أموال الأمير عنتر بن شداد ومقرى الوحش فارس النياق والافران وأموال عبله فان عروة بن الورد حلف بالايمان التى كانت تحلف بها العرب لا يركب أحد جواده ولا يخرج إلى المرعى أحد غيرى ولا يحرسها إلى أنا وهن متمرضات فامنكم عندهم أصوب ثم ان عروة بن الورد قسم رجاله قسمين وصار يخرج ويأخذ منهم كل يوم خمسين فارس يخرج مع الأدوال والجمال وصار عروة على ذلك المنهاج أول يوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع خرج مع رجاله على حسب العادة وآخر النهار عاد رجاله بلا مقدمهم وكان عنتر انتظره عند المساء يعود من المرعى كما جرت عادته فابطأ عليه فاشتغل عليه قلبه فالتفت إلى مقرى الوحش وقال له يا فارس النياق ان قلبى قد اشتغل من غياب أبى الأبيض عروة بن الورد هو ورجاله فانه قد تغير معادهم وأنا أقول لابد أن يكون جرى عليهم أمر ومامن المروءة ان نقعد عنه وعن أخباره بل نركب ونسير إلى ملتقاهم فان كانوا فى خير هنيناهم وان وجدناهم فى ضيق أغناهم فقم وانجدناهم فقم بنا يا فارس النياق نكشف أخبارهم قال الراوى فبينما مقرى الوحش وعنتر فى الكلام وقد ركبوا الخيول وإذا باصحاب عروة بن الورد قد قدموا وقالوا يا أبا الفوارس نحن خرجنا على العادة ومقدمنا أبو الابيض الامير عروة معنا فازلنا سائرين إلى الصحراء وتفرقنا فى نواحى المرعى وأخذ مقدمنا عروة فى طرد الوحش وقد أوسع فى البر ونحن نقول انه عند المساء يعود فاعادوقد تغيرت الوقت والميعاد واشتغلت قلوبنا عند غيبته يتفرقنا فى أقطار البر ودرنا فى جنبات الصحراء حتى أقبل علينا الظلام وقد عندنا إلى هاهنا ولم نقع له على أثر ولا أعطانا أحد عنه خبر وهذا كان السبب لى فى اعاقتنا إلى هذا الوقت قال الراوى فلما أن سمع عنتر كلام أصحاب عروة خبرق قلبه عليه وأصابه غم عظيم وجعل له خطب جسيم وقال انه قد حيسه حابس أو أسره آسر أو قتله قاتل لان قبائل

اليمن من حولهم مثل النبات وما فيهم إلا من يتمنى لبنى عبس الممات فقال مقرى الوحش أن صاحبنا قد خرج فى خدمتنا ونتوانى عن كشف خبره ولا نتبين له أثر هذا شىء لا يصح أبدا ثم أن عنتر ومقرى الوحش ساروا ومعهم شيبوب وكل الأمير عنتر قد قال لأبيه شداد إذا نحن أبطينا عليكم وطلب الملك قيس الرحيل فدعوه يرحل ونحن نتبعكم إلى ديار بنى عامر وقد صار عنتر ومقرى الوحش عاصوا فى البرارى والقفار قال الراوى فهذا ما كان من الملك النعمان فانهم باتوا تلك الليلة فى الحى وأصبحوا معولين على السفر والرواح وعند الصباح أوصل إليهم الخبر باخذ أموال بنى زياد وبعض أموال الملك قيس فعند ذلك اضطربت القبيلة غاية الاضطراب وركبت الرجال وتجهزت إلى الحرب والقتال وركب الملك قيس بن زهير فى سائر أعمامه وأخوته وكذلك الربيع بن زياد وركب الأمير عمارة الوهاب وركبت بنو قراد وركبت بنو عبس ولم يا خلف عن الركوب إلا من لا يقدر على الركوب وقد خرجوا من الحى والمضارب إلى ظاهر البيوت فلما أنهم وسعراً فى البرارى والقفار والسهول والاوعار افتقدوا الأمير عنتر بن شداد أن يخرج من ازيق بنى قراد فما خرج وأيضا عروة ابن الورد ومقرى الوحش فما ظهر لأحد منهم خبر ولا أثر فعند ذلك سأل الملك قيس عن عنتر من أبيه شداد بن قراد فقال له شداد أعلم أيها الملك العظيم الشأن صاحب الجود والاحسان وسيد ملوك هذا الزمان ولدى عنتر قد سار مع مقرى الوحش فارس النياق فى طلب أمر من الامور قال الراوى فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك عمرو بن هند فلما سمع ذلك الكلام جرى عليه ما لم يجر على قلب بشر وقد التفت إلى الملك قيس بن زهير وقال له هذا الحساب الذى حسبته ومن هذا كنت أخاف عليكم وما كان الصواب إلا قطع الارض من قبل أخى الملك النعمان قد أوصانى بذلك وقال لى لا تفارقهم حتى توصلهم إلى ديار بنى عامر أصحاب الثناء والمفاخر وقد أعطانى كتابا إلى ملاعب الاسنة ورداد الاعنه غشيم بن مالك وإلى سيدهم الاخوص بن جعفر وأما الوزير الكبير والهمام المشير وزير الملك النعمان فانه من أكبر المحبين للامير عنتر بن شداد وإن المتجردة أخت الملك قيس زوجة الملك النعمان هى التى كانت السبب وسبب خروج بنى عبس هذه الديار والاوطان ورجوعهم إلى الحى على رغم الاعداء والحساد واعلموا أنها أوصتنى بذلك أغلى الوصية وأكدت على بكل التأكيد فى هذه القضية وألا ما اشتهى

أن أكون أنا المقدم عليكم ولا يضع لأحد عقال بعير فإذا حصل ذلك يكون فينا نقصان
أن أكون أنا المقدم عليكم ولا يضع لأحد عقال بعير فإذا حصل ذلك يكون فينا نقصان
المروءة قال الراوي فقال الملك قيس ما كان هذا صواب وأما الملك عمرو فإنه التفت إلى
المروءة قال الراوي فقال الملك قيس ما كان هذا صواب وأما الملك عمرو فإنه التفت إلى
الملك قيس وقال له هذا هو الحساب الذي حسبته من هذا الأمر وما كان الصواب إلا
الملك قيس وقال له هذا هو الحساب الذي حسبته من هذا الأمر وما كان الصواب إلا
قطع هذه الأرض وإضراب ثم إنه ركب في الجيش الذي صار معه في أثر العدو الذي
قطع هذه الأرض وإضراب ثم إنه ركب في الجيش الذي صار معه في أثر العدو الذي
طرقهم وتبعه الأبطال قال الراوي وإن الذي كان ساق أموال بني عبس شيخ العرب دريد
طرقهم وتبعه الأبطال قال الراوي وإن الذي كان ساق أموال بني عبس شيخ العرب دريد
ابن الصمة صاحب العزيمة والهمة ومعه إخوه عبد الله وزوج ابنته سبيع بن الحارث وكان
ابن الصمة صاحب العزيمة والهمة ومعه إخوه عبد الله وزوج ابنته سبيع بن الحارث وكان
قد خرج في خمسين فارساً من شجعان العرب إلى بلاد اليمن في طلب المكسب ونهب الحلال
قد خرج في خمسين فارساً من شجعان العرب إلى بلاد اليمن في طلب المكسب ونهب الحلال
ومازالوا يقطعون الأرض وتلك البلاد حتى وصلوا إلى غدران جازفروا وأموال بني
ومازالوا يقطعون الأرض وتلك البلاد حتى وصلوا إلى غدران جازفروا وأموال بني
عبس ضاقت بهم البلاد وملأت الدنيا وجنبات البيد فقال دريد بن الصمة هذا المنزل
عبس ضاقت بهم البلاد وملأت الدنيا وجنبات البيد فقال دريد بن الصمة هذا المنزل
كنت أعهد فيه أحداً نازل وأنا أشتهي أن أعلم من نزل فيه من أهل اليمن قبل ما نأخذ ماهم
كنت أعهد فيه أحداً نازل وأنا أشتهي أن أعلم من نزل فيه من أهل اليمن قبل ما نأخذ ماهم
فقال سبيع بن الحارث إيش هذا المقال يا صاحب الرأي والنظر من خرج في طلب المعاش
فقال سبيع بن الحارث إيش هذا المقال يا صاحب الرأي والنظر من خرج في طلب المعاش
يسأل عن البدو والحضر لا نسير في ديار العدا وما معنا أحد من خلفنا ومع هذا لو أني
يسأل عن البدو والحضر لا نسير في ديار العدا وما معنا أحد من خلفنا ومع هذا لو أني
وقعت بمال ابن عمه وإلى من قومي خلفت عندهم قوت يوم واحد مما كان عندي
وقعت بمال ابن عمه وإلى من قومي خلفت عندهم قوت يوم واحد مما كان عندي
ضيعة وهبته لأن أموال العرب لي مباحة ومحفوظون من أجلي قال وكان سبيع هذا
ضيعة وهبته لأن أموال العرب لي مباحة ومحفوظون من أجلي قال وكان سبيع هذا
ابن الحارث المسمى بذي الخمار وذلك أنه كان إذا خرج إلى الحرب وموقف الضرب يشد
ابن الحارث المسمى بذي الخمار وذلك أنه كان إذا خرج إلى الحرب وموقف الضرب يشد
خمار زوجته على رأسه فسموه ذي الخمار وكان فارساً جباراً وأسداً هداراً وشجاعاً مغواراً
خمار زوجته على رأسه فسموه ذي الخمار وكان فارساً جباراً وأسداً هداراً وشجاعاً مغواراً
وبطلاً قهاراً يصطلي له بنار وهو الذي عاش حتى تلاقى مع ابن أبي طالب مظهر العجب
وبطلاً قهاراً يصطلي له بنار وهو الذي عاش حتى تلاقى مع ابن أبي طالب مظهر العجب
كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأراد هذا اللعين بجهله أن يقاومه ويقاتله فدمره على رضى
كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأراد هذا اللعين بجهله أن يقاومه ويقاتله فدمره على رضى
الله عنه تدميراً وتركه بذي الفقار مجندلاً عقيراً وكانت العرب قد اختلفت في سبيع
الله عنه تدميراً وتركه بذي الفقار مجندلاً عقيراً وكانت العرب قد اختلفت في سبيع
ابن الحارث وقالوا أنه كان يعد بسبعة آلاف فارس وكان تزوج ببنت دريد بن الصمة وكان
ابن الحارث وقالوا أنه كان يعد بسبعة آلاف فارس وكان تزوج ببنت دريد بن الصمة وكان
دريد من شجعان العرب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وقد ذكرنا ما عاش من العمر
دريد من شجعان العرب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وقد ذكرنا ما عاش من العمر
الطويل وما كان له من الاسم الكبير الجليل إلا أنهم لما أشرفوا على أموال بني عبس أشاروا
الطويل وما كان له من الاسم الكبير الجليل إلا أنهم لما أشرفوا على أموال بني عبس أشاروا
فيها واتفقوا على أخذها برأي ذي الخمار فقال للخمسين فارس الذين معه سوقوا النعم هذه
فيها واتفقوا على أخذها برأي ذي الخمار فقال للخمسين فارس الذين معه سوقوا النعم هذه
الخيل والنوق والمال ما قدر تم عليه من الأنعام طلبوا الديار والأطلال ودعوا بارد عنكم
الخيل والنوق والمال ما قدر تم عليه من الأنعام طلبوا الديار والأطلال ودعوا بارد عنكم
من ينصر التكم فمالت الفرسان وساقوا المال وفعلوا ذلك الفعال وساقت الأموال وهي من
من ينصر التكم فمالت الفرسان وساقوا المال وفعلوا ذلك الفعال وساقت الأموال وهي من
أموال بني زياد وأخذوا معها من قيس قطعة جيدة من النياق وعادوا وفرحوا بكثيرة
أموال بني زياد وأخذوا معها من قيس قطعة جيدة من النياق وعادوا وفرحوا بكثيرة

الأموال وقرب الطرق والتلاق إلا أنهم ما بعدوا عن الديار حتى ثار من خلفهم غبار
الأموال وقرب الطرق والتلاق إلا أنهم ما بعدوا عن الديار حتى ثار من خلفهم غبار
وعلا أثار وكان أول من رآه سنيع فقال له دريد يا سنيع بالنظر هاقد جاءت الخيل وتبعك
وعلا أثار وكان أول من رآه سنيع فقال له دريد يا سنيع بالنظر هاقد جاءت الخيل وتبعك
أصحاب المال وما نحتاج لكشف أخبارهم ولا نتعب في معرفتهم فعندها وقف دريد
أصحاب المال وما نحتاج لكشف أخبارهم ولا نتعب في معرفتهم فعندها وقف دريد
وأخوه عبد الله بن الصمة وعشر فوارس آخر مع ذي الخمار وتقدم باقي الرجال بالمال
وأخوه عبد الله بن الصمة وعشر فوارس آخر مع ذي الخمار وتقدم باقي الرجال بالمال
فلما انكشف الغبار وبانت الخيل النظار قال دريد لسنيع انظر وصف لي هؤلاء الفرسان
فلما انكشف الغبار وبانت الخيل النظار قال دريد لسنيع انظر وصف لي هؤلاء الفرسان
الذين تبعوا من خلفنا الآثار فأنت أقوى مني نظر وأنا قد ضعف بصري من طول السنين
الذين تبعوا من خلفنا الآثار فأنت أقوى مني نظر وأنا قد ضعف بصري من طول السنين
والكبر ولكن أعرف كل قبيلة وعشيرة إذا ركبت الخيل الأفقر سنيع ما أرى إلا
والكبر ولكن أعرف كل قبيلة وعشيرة إذا ركبت الخيل الأفقر سنيع ما أرى إلا
جيشا متتابع سريا وفرق وفي أوائلهم رجال على خيل حمر وبايديهم رماح سمر كأنهم
جيشا متتابع سريا وفرق وفي أوائلهم رجال على خيل حمر وبايديهم رماح سمر كأنهم
قد تركوا الأسنة بين أذن خيولهم وهذا يدل على خوفهم وبأسهم فقال له دريد هذه
قد تركوا الأسنة بين أذن خيولهم وهذا يدل على خوفهم وبأسهم فقال له دريد هذه
صفة لا أعرفها إلا في بني زياد وهي فرقة من بني عبس وعدنان إلا أن تكون فرسان
صفة لا أعرفها إلا في بني زياد وهي فرقة من بني عبس وعدنان إلا أن تكون فرسان
اليمن قد صارت تفعل مثل ذلك فانظر يا سنيع ما رأيهم فقال وراءهم طائفة أخرى
اليمن قد صارت تفعل مثل ذلك فانظر يا سنيع ما رأيهم فقال وراءهم طائفة أخرى
على خيول دهم مثل الظلام ورماحهم بحجر من ورائهم بغير أكفاء وهم أهدى من
على خيول دهم مثل الظلام ورماحهم بحجر من ورائهم بغير أكفاء وهم أهدى من
الفرقة الأولى وأكثر ثبات فقال دريد هذه صفة بني فراد الذي لشأفتها عنتر فانظر إن
الفرقة الأولى وأكثر ثبات فقال دريد هذه صفة بني فراد الذي لشأفتها عنتر فانظر إن
كان قد بقي غيرهم أحد قال نعم نعم ثلثهم ثم فرقة أخرى رماحها مسلولة على أكتافها
كان قد بقي غيرهم أحد قال نعم نعم ثلثهم ثم فرقة أخرى رماحها مسلولة على أكتافها
وهيبة الملك تبدو عليها وهم يدفعون الخيل دفعا ويقلعونها من الأرض قلعا فقال دريد
وهيبة الملك تبدو عليها وهم يدفعون الخيل دفعا ويقلعونها من الأرض قلعا فقال دريد
واخر اه هذه والله صفة الملك قيس بن الملك زهير وأخوته ومن يتبعه من فرسان الأجواد
واخر اه هذه والله صفة الملك قيس بن الملك زهير وأخوته ومن يتبعه من فرسان الأجواد
فانه إن صدق في حذري ولم يخطئ فيما ظننته بالنعمان قد رضي الله عنهم وأنفذ خلفهم إلى أرض
فانه إن صدق في حذري ولم يخطئ فيما ظننته بالنعمان قد رضي الله عنهم وأنفذ خلفهم إلى أرض
اليمن ورد هم إلى الديار والوطن فان كان هذا الحساب صحيح فالرأي عندي يا سنيع رد
اليمن ورد هم إلى الديار والوطن فان كان هذا الحساب صحيح فالرأي عندي يا سنيع رد
الأموال والنوق والجمال وتعذر هؤلاء القوم ولا يقع علينا عتب ولا لوم من الملك
الأموال والنوق والجمال وتعذر هؤلاء القوم ولا يقع علينا عتب ولا لوم من الملك
النعمان في ذلك الأمر المذموم الذي لا يحصل فيه إلا التعب فقال سنيع والله يا دريد لقد
النعمان في ذلك الأمر المذموم الذي لا يحصل فيه إلا التعب فقال سنيع والله يا دريد لقد
غيرك الكبر وأذاك الزمان الذي عليك غبر وكنت تسمى راحات الحرب رحق الرب
غيرك الكبر وأذاك الزمان الذي عليك غبر وكنت تسمى راحات الحرب رحق الرب
القديم لو حضر الملك النعمان بنفسه إلى هنا لما زدت منه عقال وما مكنته منه إلا بعد
القديم لو حضر الملك النعمان بنفسه إلى هنا لما زدت منه عقال وما مكنته منه إلا بعد
حرب تهد شوامخ الجبال فان كنت تفزع من بني عبس وعنتر والنعمان فانبع الأموال
حرب تهد شوامخ الجبال فان كنت تفزع من بني عبس وعنتر والنعمان فانبع الأموال
واترکني قال الراوي فوافق على هذا المقال حمد الله أخو دريد وتأهبوا للحرب فاحتاج
واترکني قال الراوي فوافق على هذا المقال عبد الله أخو دريد وتأهبوا للحرب فاحتاج
دريد أن يوافقهم وأخذ آلة الحرب فقال سنيع اشر بالنصر عليهم لاسيما إذا كان فيهم
دريد أن يوافقهم وأخذ آلة الحرب فقال سنيع اشر بالنصر عليهم لاسيما إذا كان فيهم
عنتر فقال ما فيهم أحد يذكر له نسبا ولا حسبا ويبدي كلاما ولا نظاما وخلوا مونا
عنتر فقال ما فيهم أحد يذكر له نسبا ولا حسبا ويبدي كلاما ولا نظاما وخلوا مونا
مخفي إلى أن ينسدل الظلام وتسير تحت غياهبه ويبعد كل أحد منا صاحبه فقالوا
مخفي إلى أن ينسدل الظلام وتسير تحت غياهبه ويبعد كل أحد منا صاحبه فقالوا

هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم تقدموا يطلبون الحرب والكفاح هذا وخيل بنى عبس قد جاءتهم مثل هبوب الرياح والدنيا قد تزلزلت ثم ارتجت من ركض الصافنات وانقلبت باختلاف اللغات والأصوات وكانت بنى زياد فى أوائل الخيل لأن المال الذى كان لهم وهم أصحاب القريحة والاحقاد فتلقاهم سبيع بن الحارث بقلب لا يهاب الرجال ولا يفزع من لقاء الابطال واشتد بينهم والقتال وخف حمل الاثقال وهانت الشدائد وعظم الويل الخيال ولم يخطر الموت لاحد منهم على بال وصارت بنو عبس تطلب رد الاموال فنجد بين يديها سبيع بن الحارث خيلا لا يقاس بالجبال وأسد لا يشبه بأسد الدحال وفى دون ساعه جرى الدم وسال وتمددت القتلى على الرمال وجالت الابطال يمينا وشمال وطرحت الافيال فى المجال وسأل النجيع مثل الرمح العسال أو الرمل السيال ووصل الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان فابصر جيش بنى عبس قد انكسر وعليهم الفترة لفقد عنتر فتعجب ذلك غاية العجب وقال لمن حوله يا وجوه العرب كل أحد يتحدث عن بنى عبس ويصف شجاعتهم وفعالهم مع عنتر فقال أصحابه أيها الملك الارض ولادة كل من قال أنا أوحد العصر خانه الدهر على أن هذا الفارس الذى فى وجوههم ما رأينا مثله ولا عاينا شكله ولا رأينا أحداً من العرب بفعل كفعله لا عنتر ولا غيره وما نظن أن عنتر يقف قدامه ويثبت لحرابه وصدامه يا سادة ودام الامر على ذلك الحال حتى اقترب وقت الزوال فرأت بنو عبس الليل قد أقبل ولا بلغت أعداها أمل فانتحت لنفوسها وبغضت حياتها وإن بنى عبس أطلقت خيلها على عبد الله أخى دريد بن الصمة وكان أسبقهم إليه رجلا من بنى زياد يقال له ذوات بن اسمى فهجم عليه وطعن عبد الله بن الصمة بالرمح فأخرجه من أحشاه وقلبه عن فرسه وهو يصيح إلى أخيه دريد بن الصمة فلما سمع أخوه وعلم بقتله حمل وأظهر عجائبه وأراد أن يخلصه من تحت أرجل الخيل فسبقه أنس الحافظ أخو الربيع وضربه بالسيف ضربة جبار فقضى عليه فاصر دريد أخاه على تلك الحال فحمل على الهطال حتى أهلك من بنى زياد فرسان وفى حملته التقى بعمارة أخى الربيع وسبق إليه وطعن دريد بن الصمة ولولا تحصيل الآجال ما كان جرى على دريد بن الصمة وأخيه عبد الله هذه المحرة من عمارة بن زياد وابن اسمى وإنما الله عز وجل أنفذ عليهم أحكامه وأما سبيع فان الفرسان الذين كانوا قدامه من طائفة بنى عبس وأنهم ذاقوا مرارة طعنه واضراب ما حيروا ظارهم إلى أن هجم الليل وأقبل الظلام وهو كلما رأى فارسا من الفرسان وقد قارب عليه عاد إليه وناشبه فاشبعهم

حزباً وبددهم شرقا وغربا وقد ردها بسيفه وخاف أن يأخذ غنيمته من يده بعد ما احتوى عليها وما أحد من الفرسان بقدر يقف أمامه ورد عزمه على بنى عبس وصار يتنهد ويتحسر على ذلك وبنو عبس قد أشتهت أن تفعل به وبفرسانه أقبح الفعال وما رأت على نفسها أن تخلى بنو عبس أن تكل حالها إلى رجل واحد ولا ينظرهم الملك عمرو بعين النقصان وأن بنى عبس لما رأت العودة فقاتلت إلى أن هلكوا الرجال الذين كانوا مع سليع ابن الحارث المسمى بذى الخمار وذو الخمار رأى بعينيه الهلاك من قتال بنى عبس وقد صار يقاتل بنى عبس يوما كاملا وتعجب بنفسه وهو سالم ولو كان أحد غير بنى عبس كان كسرهم ذو الخمار وأخذ غنيمتهم ورجع منهم سالما ولكن قد أبصر من فرسانهم حول صادقا لم يره من غيرهم فعرفهم لاجل مالاقى من البوائق وأيضا أبذلوا المجهود فى قتالهم ذو الخمار وخلصوا أموالهم منه بعد قتل أصحابه قوة وأقتدارا وأيضا خافوا من معبرة العرب لهم وأول ما كان يعايرهم الملك عمرو بن هند فصدقوا فى القتال وكان ذى الخمار قد صار وحيدا فريدا فهانت نفسه عنده ووقف منهم بالبعد فرأى الأموال راجعة وأصحابه مطروحين فى البيداء وقد هجم عليهم الظلام فستر هم من عيون بنى عبس ومازال واقفا حتى عادت بنو عبس عليه بأموالها وكابروا قد علموا أن أخو النعمان يراهم بعين العجز والنقصان وأنها قد اشتهت أن تعرف من فعل بها تلك الفعال فدخلوا على مكان المعمعة وتقدموا إلى القتل فرأوا الأرض ملآنة بالرمم وتبينوا بنى عبس وغيرهم فرأوهم من بنى هوازن وحشم الملك قيس وذمة العرب وشهر رجب نحن مادهينا إلا من دريد بن الصمة وأن صدقنى حذرى فان الفارس الذى نجا من بين أيدينا ما كان إلا ذو الخمار وأن كان هذا صحيح فانحن والله خاسرين لأن العرب كلها قد أجمعت على أن يلتقى من الفرسان سبعة آلاف فارس ويكون عليهم رابح ليس خاسر لاسيما أن كان معه دريد فقال الملك عمرو بن هند ياقيس يكون سليع بن الحارث فى طبقة أسودكم عنتر عند الحرب فقال نعم يامولاى وفى بعض الأوقات يفعل عنتر فعالا يعجز عنها ذو الخمار فقال الربيع ابن زياد ايش هذا المقال ومن هو عنتر عند هذا الفارس الريال وحق ذمة العرب ما يقف بين يديه عنتر ساعة وماغاب عنتر إلا من سعادته فما أتم كلامه وإذا بلطمه من الهوى على أصول رقبته كدم الأرض بخلقته وأرمت من على رأسه عمته ففتح عيونه لينظر الذى لكمه وإذا به شداد أبو عنتر وهو يقول له يا دبوث كم ندم ولدى فى غيبته وتنافق عليه فى حضرته وتفضل عليه من هو دونه ولا يعد من فرسانه ومن الأبطال ولو كان عنتر حاضر لشاهد

ذلك بالعيان ما كان أحوج أحد منكم إلى حرب وطعان أما نظرت عيناك فعاله وما فعل
ذلك بالعيان ما كان أحوج أحد منكم إلى حرب وطعان أما نظرت عيناك فعاله وما فعل
في بلاد اليمن وكم دفع عنك من كل شده ونحن نفرق بينهم الملك عمرو وقال لابد أن
في بلاد اليمن وكم دفع عنك من كل شده ونحن نفرق بينهم الملك عمرو وقال لابد أن
أقطع أخي النعمان عند عودتي وأتركه يبارز بين الاثنين ثم انهم جدوا في المسير وطلبوا
أقطع أخي النعمان عند عودتي وأتركه يبارز بين الاثنين ثم انهم جدوا في المسير وطلبوا
المنزل الذي كانوا فيه نزول واستراحوا من التعب قال الراوي وكان سنيع بن الحارث
المنزل الذي كانوا فيه نزول واستراحوا من التعب قال الراوي وكان سنيع بن الحارث
قد نزل عن جواده وقد قصد بين يديه في الليل البرحي انقطع عنه حس بني غبس وخلاله
قد نزل عن جواده وقد قصد بين يديه في الليل البرحي انقطع عنه حس بني غبس وخلاله
البر بقي مفكرا فيما جرى كيف توخد غنيمته منه غصبا ومازال إلى الصباح وعول على
البر بقي مفكرا فيما جرى كيف توخد غنيمته منه غصبا ومازال إلى الصباح وعول على
الانصراف وفي قلبه النار التي لا تطفا لاجل قتله دريد وعبد الله فلما عول على ذلك قام
الانصراف وفي قلبه النار التي لا تطفا لاجل قتله دريد وعبد الله فلما عول على ذلك قام
طاوعته نفسه ولا طاب له أن يروح ويخلي دريد عمدا بين القتلى فحدثته نفسه أن يحمله
طاوعته نفسه ولا طاب له أن يروح ويخلي دريد عمدا بين القتلى فحدثته نفسه أن يحمله
إلى الاحياء وعاد على الاثر وجد في سيره حتى وصل إلى مكان المعمعة فدور بين القتلى على
إلى الاحياء وعاد على الاثر وجد في سيره حتى وصل إلى مكان المعمعة فدور بين القتلى على
دريد فرأى مقلتي ودمه يسيل وهو يصيح ويطلب النهوض فلا يقدر على ذلك قال الراوي
دريد فرأى مقلتي ودمه يسيل وهو يصيح ويطلب النهوض فلا يقدر على ذلك قال الراوي
وكان السبب في ذلك أمر عجيب وحال غريب في ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك
وكان السبب في ذلك أمر عجيب وحال غريب في ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك
أن الملك قيس وسادات بني غبس لما نظروا إلى دريد وهو ملقى وقهوا عنده لاجل أن
أن الملك قيس وسادات بني غبس لما نظروا إلى دريد وهو ملقى وقهوا عنده لاجل أن
يعرفوه وقد حققوه وانصرفوا وتركوه وكان آخر من وقف عليه عمارة بن زيادة وأخوه
يعرفوه وقد حققوه وانصرفوا وتركوه وكان آخر من وقف عليه عمارة بن زيادة وأخوه
أنس وقد نظروا إلى عظم خلقته وكبر جسمه فتعجبوا منه وقال عمارة ما كانت هذه الطعنة
أنس وقد نظروا إلى عظم خلقته وكبر جسمه فتعجبوا منه وقال عمارة ما كانت هذه الطعنة
الا طعني وفي الحال ترك سنان رمحه في ما كان الطعنة وهو يرتعش ويتمخض ثم انه قوي
الا طعني وفي الحال ترك سنان رمحه في ما كان الطعنة وهو يرتعش ويتمخض ثم انه قوي
قلبه وكبسها فجاءت سواء فقال عمارة هذه طعني وذمة العرب ورافع السما ثم انه
قلبه وكبسها فجاءت سواء فقال عمارة هذه طعني وذمة العرب ورافع السما ثم انه
كبسها ثالث مرة في هذا المكان وصار الدم يجري مثل فم القربة لان الدم كان قد حبس
كبسها ثالث مرة في هذا المكان وصار الدم يجري مثل فم القربة لان الدم كان قد حبس
في جوفه وسار عمارة إلى الياقة فلما ظهر الدم من جسد دريد أغمي على نفسها وفتح عينه
في جوفه وسار عمارة إلى الياقة فلما ظهر الدم من جسد دريد أغمي على نفسها وفتح عينه
وصار من حلاوة الروح يطلب الجلوس وهو لا يقدر على ذلك فوصل اليه سنيع بن الحارث
وصار من حلاوة الروح يطلب الجلوس وهو لا يقدر على ذلك فوصل اليه سنيع بن الحارث
بعد انصراف عمارة من عنده فوجد دريد على هذه الحال فشد حراحه وسنده حتى قعد
بعد انصراف عمارة من عنده فوجد دريد على هذه الحال فشد حراحه وسنده حتى قعد
وتكلم وقال له يا سنيع ما اظن الذي طعني الا مريض او مطنجر من طناجرة العرب
وتكلم وقال له يا سنيع ما اظن الذي طعني الا مريض او مطنجر من طناجرة العرب
فلو كانت طعنة شجاع كانت احرقت احشايا فقال له سنيع يا ابا النظر الان كان
فلو كانت طعنة شجاع كانت احرقت احشايا فقال له سنيع يا ابا النظر الان كان
الذي كان وسوف ارتيك ما افعل بني عمر وعدنان بعد ما قتلوا اخاك عبد الله وحق
الذي كان وسوف ارتيك ما افعل بني عمر وعدنان بعد ما قتلوا اخاك عبد الله وحق
الكعبة الغرا الا ابقيت منهم احد ثم ركب دريد على بعض الخيول الشاردة وقد فرح
الكعبة الغرا الا ابقيت منهم احد ثم ركب دريد على بعض الخيول الشاردة وقد فرح
بسلامته (قال الراوي) هذا ما جرى لدريد واخته وسنيع بن الحارث واما بنو عبس
بسلامته (قال الراوي) هذا ما جرى لدريد واخته وسنيع بن الحارث واما بنو عبس
فانهم توا في منازلهم تلك الليلة وفي الصباح استشاروا الملك قيس في امر الرحيل فقال لهم
فانهم توا في منازلهم تلك الليلة وفي الصباح استشاروا الملك قيس في امر الرحيل فقال لهم
ارتكوني فقد حرت فاني اخاف على عنيزات يرجع فلا يرانا وان قمت هنا فا ادري ما يطرقني من
ارتكوني فقد حرت فاني اخاف على عنيزات يرجع فلا يرانا وان قمت هنا فا ادري ما يطرقني من

النوائب قال الراوى فلما تكلم الملك قيس بهذا الكلام فقدم شداد بن قراد وقال له أيها
الملك إن كنت عولت الرحيل فارحل ولدى عنتر واصانى بذلك وهو يا ملك
ناحقنا الى ديار بنى عامر وانه ما يعود حتى يكشف خبر عروة بن الورد فلما تكلم
شداد بذلك وقال الملك والله هذه عادته ما تعالج لا موره الا بنفسه من غير ان تعلمنا
وانا ارحل من هاهنا حتى يسمع خبره فقدم عمارة بن زياد الى الملك قيس وقال له ما انا
اصوب من الرحيل واما عنتر فانه ما يرحل مادام معه مقرى الوحش واخيه شيبوب
قال وكان عمارة بن زياد قد نظر الى نفسه بعين عظيمة لما رأى دريدا مطروحا من
طعنته وكان اذا خرج من المضرب يهر اكتافه ويخلع اطرافه ويلعب بهم ولما قال
هذا الكلام قال اخوه الربيع بن زياد هذا هو الصواب الذى ذكره عمارة على مثل ذلك
حتى استحى الملك قيس بن الملك زهير واقام بالناس فى ذلك المنزل بقية الثلاثة ايام ولما
ان مضت تلك الايام رحل وقلنه عند الامير عنتر بن شداد يحدث فيه امر من
الامور لانه لم يسمع له خبر ولم تبلغه عنه جلية اثر قال الراوى عند الرحيل اوى تولى الرحال
ابن اخت الامير عنتر خدمة الامير عنتر عبلة بنت مالك بن قراد ومسيكة زوجة الامير
مقرى الوحش فارس النساف واخوها عمرو وشداد بن قراد فارس جروه وحامى النسوة
ورجال عروة بن الورد قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى من الامر من
الامور فاخذ صحبته مقرى الوحش واخاه شيبوب وساروا واوكان لهم اجنحة
طاروا فاما طلع عليهم النهار الا وهم فى الارض التى كان يقصد بها عروة وصاح منها
فعند ذلك افتقد شيبوب اثره وسار يركض الارض يمينا ويسارا وايضا سار يسال عنه من
السفار فى الليل والنهار فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ويرجع الى اخيه عنتر
الفارس الكرار قال الراوى ولم يزل كذلك فلما ان كان اليوم الرابع ترك اخاه عنتر
ومقرى الوحش فى بعض الاودية واطلق قدمه لريح وطلب البر الفسيح وسار كانه الريح
الهبوب الى ان خفى عن الابصار ثم انه طلب البر فراى مضارب وخيام فظنهم لما خدوا
اخبار الامير عروة بن الورد ومازال يركض حتى انه قارب خيام واختلط بعبيدهم
وصار ينادى برفيع صوته يا بنى الخال حييتم وحى عرب انتم منا فانتم السادات العظام
والفرسان الكرام وانا ياوجوه العرب رجل فقير الحال وذو عيال وجيدو ليس لى سند
وقد ضاع لى خمسة الابل النياق السمان وفخل من الابل عظيم الشان وقد شردوا منى من

بين المضارب والخيام وأصبحت من أجلهم هائما فى البرارى والآكام فقالوا له وذمة العرب الكرام يا ابن الخالة ما رأينا من ذلك هذا وقد رأوا من حواليه وسألوه عن حاله وعربه ومن يقال لمولاه فقال لهم إعلموا أنى من بنى دوران وصاحبى يقال له هابيل بن عبد اللات وهو يقال من تلك الأرض ثم أنه بكى وأن اشتكى وقال لهم يا بنى الخالة أعلموا أنه كان قد سلم إلى أمواله ونوقه وجماله وقد ألزمنى بحفظها ورعايتها ومدارتها والدوران بها وألزمنى ما ليس لى به طاقة ومازلت على مثل ذلك حتى غفلت عن النوق فخرج منها عشرة وشردوا وقد خرجت أدور عليهم فى تلك الأماكن إلى أن رمتنى عليكم المقادير وأعلموا أنى ما أطلقنى الراوى ثم أنه بعد ذلك الكلام أظهر لهم الذل والانكسار أجرى دموعه وصار يبكى ودموعه غزارة فلما رآه العبيد على ذلك الحال رقوا له وقد رحموه وأخرجوا له من زادهم وأطعموه وبعد ذلك جلس يحادثهم ويناديهم ويطاولهم الأشعار ويحكى لهم على ماجرى للرجال الذين تقدموا من الحكايات وأسماء قال الراوى هذا وقد نظر شيبوب إلى خان وحبور وصياح قال وهم يزعقون فقال شيبوب الواحد من العبيد اليوم عروس أو وليمة من بنى عبس رجل وقال أنه مالة شىء من المال يشترى به نفسه ومن غيظ صاحبنا صميد لما بلغه عنه وعن قومه وما فعلوا فى أرض اليمن قد عول على هلاكه وقال ما أقتله حتى أعذبه بالنار وأشفى منه قلبى وقلب أهل هذه الديار والدخان الذى نراه من شأن عذابه لأن الأمير صميد قد أمر عبيده أن يوقد النار وأشفى منه قلبى وقلب أهل هذه الديار والدخان الذى نراه من أجل عذابه لأن الأمير العبسى ينسر لحمه من عظمه فلما سمع شيبو ذلك الخبر احترق قلبه على عروة بن الورد وقد فرح بظهور خبره ثم قال للعبيد والله يا بنى الخالة قد أخطأ صاحبكم فى حرب هذا الرجل بالنار وان حرقه جلب لكم البلاء والدمار لأنى أنا اليوم التقيت بطائفة من بنى عبس يدورون عليه ويسألون عنه فقال لى فارس منهم طويل أسود بعد ما شرحت له حالى وضيعان جمالى وقال ان وقعت بصاحبنا على خبر ووقعت له أثر خلفنا عليك ما ضاع منك وأعطيناك ما نشترى به لنفسك ونعيش به باقى عمرك وها نحن فى هذا المكان مكثين حتى نسمع له خبر لأننا قد أنفذنا جواسيس إلى سائر المحلات ولا بد ما تقع بالحلة التى نراه فيها وندمرها تدمير وأنتم تعلمون ان المال محبوب وأنا رجل صعلوك منكوب ولكنى ما اختار به بنى عبس على أهل اليمن ولا تتكامدا الافراح حتى انه لم يخرج أحد منهم من أرض اليمن ويرجع

سالما لأجل مافعلوا بأهلنا والصواب عندى أن يركب صاحبكم برجاله ويسير إلى هؤلاء العبسيين بالطائفة الذين معه ويكبسهم فى الكمين ويضع فيهم السيف ومن وقع فى يده منهم يحرقه بالنار مع هذا الشيطان أو يبيعهم بالمال لأن أموال اليمن قد عادت كلها مع بنى غبس وهم فى أرضنا غابرين وفى سيرهم مجدين ومافيهم من يلتفت إلى صاحبه من شدة التعب ولو لم يكن هذا الرجل عندهم عزيز ماكانوا انفذوا خلفه هذه السرية قال فلما سمعوا العبيد هذا الخطاب والكلام من شيبوب فرحوا فرحا عظيما واستحسنوا ماذكر قالوا له والله ياغلام لقد خرجت من بيتك فى وقت سعيد نحن نعلم سيدنا صميد يعطيك كل ماتريد إن أنت أوقفته على سرية عبس لأنه عليهم بتجوع مثل المرأة الثكلى أوكالحية على المقلى لاسيما أن فيهم حاميهم عنتر فقال شيبوب يابنى الخالة أنا ما أعرف منهم أحد لكننى نظرت مع هؤلاء القوم عبداً أسود طويلا عريضا غائصا فى الزرد النضيد والذى معه سيف من حديد فان كان لصاحبكم غرض فامضوا إليه واعلموه بهذا الخبر ولو قولوا له يركب فيمن يريد حتى ندركهم وندرك هذا العبد الأسود الذى قلتم أنه عنتر قال فعندها تجارت العبيد تطلب الحلة واحد من العبيد يريد ان يسبق الآخر لأجل أن يأخذ البشارة وصياحهم قد علا وعجيج البيدا قد ضاقت منه أرض الفلا فلما ابعدوا على شيبوب عاد هو على أثره وأطلق رجليه مثل الريح الهبوب وطلب أخاه وكان غرضه بذلك المقال اشتغال القوم عن حرق عروة بن الورد تقع المهلة عليه إن أن يعود هو إلى الأمير عنتر ويخبره بذلك الخبر (قال الراوى) وكان السبب فى وقوع بن الورد فى يد هذا الفارس أنه كان قد أخذ أصحابه وخرج على حرس الأموال وحفظها كما ذكرنا وأراد التخفيف عن قلوبهم وترك رجاله فى المرعى وتولع بالصيد وأخذ فى طرد الوحش حتى قارب زوال الشمس وأراد أن يركض ويعود إلى أصحابه وكان قد بعد فى البر عنهم واتسع فى الفلوات الخاليات فاتفق له هذا الشيطان وهو عائد من بنى هوازن ومعه الفرسان وأموال كثيرة وهو فرحان فلما رأى عروة وهو فى البريهيم فقال الفرسان الذين كانت معه وكانت أوفى من ألف فارس ياويلكم هذا البر ما اعرف أحد فيه سا كما نرى هذا الفارس فيه وحيد فريد فدونكم وإياه ولا تعودوا إلا به حتى نبصر حاله ومن أى العرب هو فعندها تجارت الفرسان إلى عروة بين الورد ودارت حوله الرجال والشجعان وكان عروة من الصيد تعبان وصار يدفع عن نفسه ويمانع حتى جرح وأخذ بعد قتل جواده وساروا به قدام سيدهم صميد فقال له من الناس أنت فاخفى عروة نفسه فزعا من عطبة وقال يا مولاى أنا رجل من أرض العراق من

أصحاب النعمان وأنا ما دخلت هذه الأرض الا فزعا منه لانى قلت له قتيلا يعز علينا
وان هذا الملك مطاع وعليكم أن قبائل العرب تطيعه ولا أحد يجيرنى من يده فلما سمع
مقدم السرية صميد كلامه رق له وأراد أن يطلقه فعرفه بعض أصحابه وقالوا له يا أمير لا تسمع كلامه
فانه محال وهو أشد الرجال هذا يقال له عروة بن الورد العبسى وأنا قد رأيته فى بلاد الحجاز مرارا
وأبصرت قتاله تحت القتام والغبار ولو لم يكن ثعبان وجواده منصور وقاتلناه ما قدرنا
عليه بوجه من الوجوه وكان يهالنا أكثر من نصفنا وهو فى الشجاعة فى مكان عظيم وفى
البراعة بمقلب جسيم قال فلما سمع صميد بن مانع هذا المقال انزل سرجه وقال يا هذا من
طريق ما كان أسعدها وأقلها خطر وذمة العرب هذا صديق بنى عبس عنتر بن شداد ثم أنه
أوقف عروة بن الورد على ذلك فأنكر ولا عاد عن قوله الأول ولا بدل ولا غير فقال صميد
ابن مانع لاصحابه شدوه على ظهر جواده وايا كم أن تقصروا أو أن تفكوا رباطه وشداده ولا
تثقوا عنه ذلك حتى أنه يقر بالذنب الذى هو فيه ويتكلم بالصحيح ويخبركم بما كان فيه
من غير تلويح ثم أنه أخذه معه وسار هو وقومه ولم يزل سائرا حتى أنه وصل إلى دياره وقد
قر قراره فعند ذلك أولم وليمة لما قدر وفيمة إلى قومه ثم أنه بعد ذلك ارتقى عليهم المال الذى
أتى معهم وما زال كذلك إلى أن فرغ قلبه مما كان فيه ثم أنه عاد إلى عروة بن الورد ونزل
عليه بالضرب الشديد والعذاب الأكيد حتى أنه فر من كثرة الضرب أنه من عبس
وعدنان أسود الغاب ورجال الطعن والضراب التى تصفهم العرب بفرسان المنايا والموت
الزؤام وقال له أنا كنت قاصد إلى الملك النعمان ملك العرب رسولا من عند صاحبنا الملك
قيس بن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وكان معى كتاب إلى أخته المتجردة زوجة
النعمان يسألها من قومها وتسأل بعلها الملك النعمان يردهم إلى أرض الحجاز لاننا ما دخلنا
إلى أرض اليمن الا خوفا من سطوته وها أنت قد اعتسفتنى وعن طلبى عوقتنى وأنت أن
قتلتنى خلفنى من يأخذ بالثار ويشكف النار الذى يقطع الاصول ويطفى لهيب الاكباد
وهو الأمير عنتر بن شداد خامسة بنى عبس الأجواد وسيد آل قراد (قال الراوى) فعند
ذلك قال صميد بن مانع يا كلب بنى عبس لو أنك أنت تكون الملك النعمان بن الملك
المنذر ما عدت تروت من الاسر الا أنواع العذاب والنكال وعاداتنا نلقى الابطال فى البر
بأسنان العوالى وأنت بعد ما سمعت بصميد وأصحابه ولا تقرب وطنه ولا ضربه ولا بد ان

تذروه منه فوحق البيت الحرام وزمزم والمشاعر العظام لأضعفن منك ومن أصحابك قلب كل من في البلاد لي ولا شيرين من دمائكم كما يشرب الإنسان اللبن لأن حديثك وحديث صاحبك عنتر الأسود والبغل الأسكر عبد بني عبس وصل إلى بالتمام والكمال وأيضا سمعت عنكم كم من حلة قتلتم وكم من جمع فرقتم وقول أسودكم عنتر هذه الأبيات.

إذا كشف الزمان للك القناعا ... ومد اليك صرف الدهر باعا
فلا تخشى المنايا والتقيها ... ودافع ما استطعت لها اندفاعا
وفي أرض المصانع قد تركنا لنا ... لنا بفعالنا خبرا وشاعا
أقمنا بالندى والبيل سوقي حرب ... وأشهر باسيوفي لها متاعا
وربحي كان دلال المنايا ... فخاض جموعها وشريء وباعا
ولو أرسلت سيفي مع دليل ... لكان بهيبتي قرما شجاعا

قال الراوي ثم إنهم قالوا يا عروة هوا أسقاه الذي ما كنت في هذه الواقعة حاضرا حتى كنتم تنظرون حقيقة الحرب وقد بلغني بعد ذلك ما جرى لكم وما وقع بينكم وبين الملك مسعود بن مصاد وسمعت أنك أنت عروة وصديقك عنتر بن شداد كنتما ركضان على الناس وعنتر خوضهم الحرب وهو يقول هذه الأبيات.

عروة بن الورد ليث عبسي ... كم أمنا من غلبات الأنس
ألا ترانى قد بذلت نفسي ... للموت حتى يطمئن عرسي

وهذه الأبيات ما تقول يا عروة عن قولي إلا أن التقي بهذا العبد وأكافئه على ما كان منه فقال عروة يا سيد إن شاء الله رب هذه السماء الزرقاء أن تجمع بينك وبينه ونشاهد منه عيان حربا تتعوذ منه الإنس والجان ورب الله يا سيد إن هذه البغضة التي قد ثبتت في قلبك هي التي تكون سببا لضرب رقبتك لأني أعلم أن مرادك تقتلني وإن سمع عنتر خبري فلا بد يأتي عربيا خذ بثاري وسوف ترى رجلا لا تشابهه الأسود من الرجال ولا تشابهه الأرز وأسخ الجبال ويكون ذلك يا سيد قدامي حتى أني أدكرك بذلك لأن هذا الرجل إذا كان قدامه الأفاعي أو الأساعين أو العشيرة بالسواء لأنه أسد أرعم يبدد شملهم كما يبدد الذيب شمل الغنم وفي ذلك الوقت ترى والله وتندم حيث لا ينفعك الندم إذا قالت هذا الفارس الأدهم الذي قد أذل ملوك اليمن وقهر أمامهم وما كنت أشتهي إلا أن أكون بعد هذا الكلام بالحياة وانظر بعيني تشتيت شملك في الصحراء غربا وشرقا وتبقى أنت لوحش

الملك النعمان وزوجته المتجردة

البر رزقا وبعد هذا افعل ما تشاء وما تختار قال الراوى فلما سمع صميد ذلك الكلام زاد غضبه وكثر غيظه وأقسم بربه أنه لابد أن يحرقهم أنه أمر غلمانه أن يجمعوا له الحطب ويحموا له الصخر الجم وقال إن أنا أمهلت عليه يقولوا العرب أنى قد فزعت من عبدهم الاسود وقد تركته بالحياه حتى أفدى به نفسى ولا بد لى ما أبرد كبدى بحريق كل من وقع فى يدى ولما قال لعبيده ذلك المقال أوقدوا النار على الصخرة حتى صار مثل لظى الجمر وما وصل العبيد إلى سيدهم صميد إلا والصخرة قد صارت ممزوجة بالغضب وبقيت شبه النار التى توقد وما بقى إلا أن يحملوه ويتركوه فوقها حتى أنه يذوب فقال له العبيد ابق امولانا على هذا الرجل العيسى لقد أتاك من يرشدك على رفقاه وأتاك الامر كما تريد وقد وصل رفيقة الاسود الشيطان المريد وقد أتاك من يرشدك عليه ويوصلك اليه وتأخذ زوجة من بين جنبيه ثم أنهم أخبروه بحديث شيبوب فكاد قلبه من الفرح يذوب فركب وصاح فى الخيل فتادرت اليه الأبطال وقد اعتدت للحرب والقتال وسألوه فاخبرهم بما صنع من عبيده من المقال ابقى عن عروة العذاب والنكال ثم سار إلى المرعى والمناهل التابعة والخيل خلفه متابعة فلما وصل قال للرعيان وأين العبد الذى أخبركم بهذا الحال ائتونى به وبشروة منى بالغنى إذا هو وصلنى إلى بلوغ المنى فعند ذلك سارت العبيد فى أثر شيبوب وتفرقوا فى طلبه فما رأوه فزاغت اعينهم فى البر والفم وقالوا لسيدهم ها هنا تركناه فقال وحق الملك الكبير ما كان هذا العبد إلا مكار

تحتال فان صدقنى حذرى فانه من عبيد بنى عبس وما أتى إلا جاسوس من الكمين الذين قد ذكرته لكم والساعة ترون الجيش وقد ظهر وفى أوائلهم زعقات الأسود المسمى بعنتر (قال الراوى ثم أنه فرق الأبطال الذى حوله فى أقطار الأرض وقال لهم دوروا على هذا العبسى الذى طرق هذه الديار ثم خرجت الرجال تطلب الاودية ورؤس الجبال وكان عدتهم يومئذ الفا ومائة فارس فانقسموا إلى ثلاث جهات وخبوا فى أقطار الفلوات وكان شيبوب قد عاد إلى أخيه عنتر وأخبره بالاخبار وقال له يا أخى الحق عروه بن الورد إلا ما تلحقه إلا وهو محروق لان هذا الشيطان قد ظفر به وأراد أن يحرقه وأنا تحدثت إلى عبيده حديث وقد ساروا يعلموه به وأنا أقول أنه عنتر يشتغل عن هلاكه وربما ركب هو وأبطاله فى طلبنا فدبر الآن ما ترى فقال عنتر وايش بقى هنا تدبير غير طعن الصدور وضرب الاعناق والنحور ولكن يا شيبوب كم يخرج من الحى فرسان لانى اعرف انك خبير الابطال بالعدد ولكن ما لك على لقاهم صبر ولا جلد فقال شيبوب وقد أغتاظ من كلامه والله أنا اشجع منك يا أسود والله لا عرفنك قدرك واجازيك على قولك فعلم عنتر انه اغتاظ فطيب قلبه ومسح أعطافه إلى أن هدأت أخلاقه فقال شيبوب أما الحملة يا أخى فيخرج منها الف فارس ومائتان من الصناديد غير العبيد وأما أنا فانى أقوى منك وأظهر فى الامور الشداد لانى إذا لقيت الاعداء قاتلت جهدى ما اقدر عليه وإذا كثر على نجيت واخلى الديار إلى أهلها وأما انت إذا قتلوا الاعداء جوادك بقيت مثل الحرمة إذا اعتلموا سيقانها انت وغيرك واريد من اليوم أن اعرفك واخليك تتلقى المصايب بنفسك حتى انظر هذه الشجاعة الذى أنت فيها وبعد ذلك أقول أن الخيل الساعة تطلبكم وتفرقت حولكم فرق وانا أى فريق رايته اقدر اشتته فى البر الاقفر لان الفرقة التى تكون قسمى وقفت بالبعد منها واومى اليها وأسير إلى بعض الجهات واعدو بين يديها والوح بكمى اليها كانى ادلها على الكمين واحليهم فى البر مشتتين لانهم إذا أتوا على فما يلحقونى ولا يقفون لى على خبر (قال الراوى) وبعد هذا المقال ركب عنتر ومقرى الوحش وخرجا إلا انهما ما انبسطا فى الصحراء حتى راوا حسيس البغال فى اقطار البيدا فقال شيبوب دونكم الآن والاعداء فصاح عنتر وقصد إلى بعض الطرق ومقرى الوحش فى أثره اما شيبوب فانه سار إلى بعض الفرسان وكان قد بقى من القوم خمسمائة فارس مع مقدمهم صميد فلما رأى عنتر ومقرى الوحش قال ويلكم هذا أول الكمين واليوم اريكم قتال الهجين فدونكم واياهم وهما الاثنان وإن طلع غيرهم نأخذهم على اطراف

القنا حتى تنظر حديثهم فاطلقوا نحوهم الاعنة وقوموا الاسنة فالتقاهم وحده مقرى الوحش ووقف عنتر الفارس الغضنفر فلما طلع عليهم الغبار مادام غير ساعة واحدة حتى قتل منهم مقدار خمسين فارس وتأخر عنه الباقون وقد طلبو الفرار وإذا قد ظهر غبار الخمسمائة فارس الذى كانوا خلف شيبوب وقد حمل عنتر فى أوساطهم وقد ضرب فيهم وفرق شملهم فلما نظر مقدمهم صميد إلى هذا الحال حمل على مقرى الوحش بجنانه وبرز لقتاله وحملت معه أصحابه فتلقاهم مقرى الوحش بجنانه وجرد فيهم حسامه وأبرى بسيفه أعناق الرجال الذين قصدته عن يمينه وشماله فرأى ذلك اليوم منه عنتر فاشد ظهره وأزال همه وعلم أنه يقدر على الخيل التى احتاطت به ولكن أراد الانجاز فزعق فى ذلك الجمع فتبددوا وقل عن مقرى الوحش العدد وما وصل إلى مقرى الوحش حتى أنه قتل سبعين بطل وطلب صميد مثل الاسد وصاح فيه صيحة ارتج منها السهل والجبل وقال له ويلك ياقرنان أنت الذى عزمت على حرق صاحبى بالنار ابشر بخراب الديار وقلع الآثار وحلول الدمار فأنا عنتر الفارس الكرار مبيد الفجار والاشرار ثم أنه طعنه بعد ذلك النكلام شك سان الرمح فى أضلاعه فخرق أحشاه وبدد أمعاه وصار عبرة لمن يراه وبعد ماقتله فرق مقرى الوحش أصحابه وخلانه وقد نفروا من ضرباته وصاروا يطلبون الخيام والطعن فى ظهورهم يسابق رسل الحمام إلا أنهم ماقاربو الديار حتى ظهر من بين أيديهم فارس كريم وقد اتحط على الرجال أخف من ذكر النعام وهو يصيح إلى أين ياأولاد الزنا تطلبون الهرب وقد نزل عليكم البلاء والغضب (قال الراوى) وكان هذا الفارس هو عروة بن الورد وكان السبب فى خلاصه شيبوب وهو أنه لما خرج أخوه من الكمين وقد أبصر الناس عن الخيل متفرقين فى أقطار البيدا فقصد هو إلى بعض الطرقات وصار يصيح بأعلى صوته ويشير اليهم بأكمامه فظنوا أنه يدلهم على الكمين فتبعوه ولم يزل بهم حتى ضيعهم فى البر الاقفر ورجع هو إلى الاحياء لما علم أن القوم قد اشتغلوا بالقتال وقد وجد عروة بن الورد مشدود بالقيد مقيد وبالكتاف موثوق وهو فى أشد الضيق فدنا منه وقطع كتافه وأتاه بجواد من خيل صميد وعدة كاملة من عدد القتلى المطروحين ولما خلص عروة وصار على ظهر الجواد عاشت روحه بعد الاياس ورجعت روحه اليه وقد التفت إلى الامير شيبوب وقال له لله درك ودر أخيك عنتر الفارس القسور والفتى المشهور (قال الراوى) ثم همز الجواد وقد خرج من الحى وطلب البرو الآكام والحى قد انقلب بالصياح والبكاء والعديد والنواح حتى أنه ملأ الارض والبطاح فلما رأوا عروة بن الورد وقد خلص طلبه العبيد من اليمين الشمال ودارو به

من جميع الأماكن والجهات وقصده من سائر الفلوات فلما رآهم عروة قال لهم والله خابت آمالكم وصار يطعن فيهم برمحه ويضرب بسيفه وشيبوب من بين يديه يضرب بخنجره وقد صاح فيهم فطلبوا الهرب وما زال يركض خلفهم بالجواد حتى أنه رأى فرسانهم رجعوا على الأعقاب وهم يندبون على الأهل والأصحاب وقد عرفوا أن لا طاقة لهم بحرب أبي الفوارس عنتر بن شداد وقد عاينوا الموت من صورته وتعجبوا من صولته وفروسيته وهجومه على الفرسان في المجال وقد ارتجفت منهم القلوب وكادت أن تذوب وتقطعت الأكباد وكثرت منهم الزعقات قال الراوي فعندما سمع الأمير عنتر بن شداد صوت أخيه شيبوب وقد علم أنه خلص عروة بن الورد هلاكه ورأى المهزمين قد داروا من كل جانب ومكان فحل عليهم حتى انه أدخلهم إلى الابيات والمضارب بعدما قاسوا منه الهموم والمصايب واجتمع الأمير عنتر بعروة بن الورد وهناه بالسلامة وقال له يا ابن العم وحق ذمة العرب وبحق شهر رجب والرب القديم لو كان تم عليك أمر من الأمور ما خليت في هذه الأرض فارس بدور قال الراوي وقد علمت فرسان الحلة بقتل مقدمهم صميد فنادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور وخافو النساء والبنات من السبي والانتهاك فخرجوا إلى بين يديه مرخيات البراقع منشورات النشور يطلبون من عنتر الأمان على مد الدهور والازمان وكان عنتر قريب المرحوم وعلى النساء غيور فقال لمقرى الوحش يا أخي أن صاحبنا خلصنا ومن حرقه أنجيناه وعدوه قتلناه ونحن طالبين الديار والأوطان والمسافة بين أيدينا بعيدة وأقول أن أهلنا قد رحلوا من المكان الذي خليناهم فيه وإن اشتغلنا عنهم بسوق الجمال والنياق فما تدري إيش يتم على قومنا في هذه الديار والأوطال وأنا الرأي عندي فيه الصواب ولا يذمه أحدا من الناس عودتنا وقطع الطريق الذي ما لنا فيه خل ولا صديق ولا رفيق فقال له مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو أنهم أعطوني نوق ما في الأرض ما سقتها ولا أخي عروة ابن الورد لما كنت طئتها ولا كنت خليت مسيكة ولا فارقتها ثم عادوا وقد عفوا عن الحريم وما تعرضوا لها بشيء سوى قطعة من الخيل الغوال حتى انهم يركبوها ويرعوا خيولهم بجانبها ثم انهم جدوا المسير في الطريق وهم راجعين على أعقابهم وركبوا الطريق الواضح وهم لا يصدقون أن يروا قومهم وعيالهم وعروه بن الورد لا يكل لسانه بالمدح في عنتر وقد أشار يقول

أبا الفوارس أنت الضيغم البطل مردى الأشاوس بالعسالة الذبل

وهازم الخيل والأبطال قد نشرت ... منها الجماجم يوم الخوف والوجل
وطاعن الفارس الحامى كتيبته ... وناصر الجار من بؤس ومن ذلل
لولاك مافتخرت بنو عبس وماشرفت ... على القبائل فى سهل وفى جبل
ولاغدت قمة الجوزاء تحسدها ... على علاك ولا المريخ من زحل
ولاسيما ذكرها فى العرب أجمعها ... ولا علا ذكرها لولاك من رجل
فكل من رام حربا أنت قاهره ... بالسيف والرمح فى قلب وفى القلل
كم وقعة لك الأبطال أجمعهـــا ... تبغى الفرار ونار الحرب تشتعل
يا طاعنا بالقنا فى كل معركة ... يامشعل السيف تحت النقع فى القلل
كم جحفل عرموم فرقت شملهمو ... فانجلا نظمها من سيفك الصقل
وكم من فريق بغى فرقت شملهمو ... وصاروا حيارى من شدة الوجل
وأنت أشجع من يرجا إذا حميت ... نار الوطيس ونا الحرب فى الحلل
وأنت أشجع من فى الناس كلهمو ... يوم الحروب بطعن مذهب الأجل
لولا سنان سيفك الظامى لما رفعت ... أبناء عبس عمادا قط فى الدول
خلصتنى من جياض الموت مقتدرا ... وكنت لى أملا يا غاية الأمل
فلا عدمتك ما ناحت مطوقة ... ورقاء وما هطلت سحابة الغيث بالبلل

قال الراوى فلما فرغ عروة بن الورد من شعره ومدحه لعنتر شكره وأثنى عليه ولا زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مياه جرمل فنزلوا هناك للراحة واستشوروا فى أمر بنى عبس أن كانوا يلحوهم أم لا فقال شيبوب وحق من علم آدم الأسماء وأتقن الاشياء إن كانوا قد رحلوا من بعدنا بثلاثة أيام وسمعوا عن أخى عنتر خبر أنا ألحقكم بهم فى البر الاقفر بعد يومين فقال عنتر ويلك كيف تفعل اعلمنا فقال منا أبين لك ذلك حتى تقع على آثارهم ونعلم باخبارهم والرأى عندى أن تقيموا أنتم ها هنا حتى أسيرانا على نواحى جبال صاروخ ورمال عالج ومن هناك أكشف الآثار ثم بعد هذا اخترق الظلام وهام كما ذكر النعام وصار عنتر يلوم نفسه ويقول لو كنا بعد خلاص عروة بن الورد عدنا إن الغدان والمياة التى تركنا قومنا عليها كان أريح إلى قلوبنا ولكن التفريط كان منا لاننا ماجعلنا بيننا وبينهم موعدا نلتقى فيه فقال مقرى الوحش لاشىء فى هذا فايشق علينا إلا إذا قطعنا منهم الاياس فان قصدنا ديانا بنى عامر والاطلال فانه لا بد منها على كل حال فقال عنتر هذا شىء لاأعرفه ولا أفعله ولا أرضى لنفسى أن أنزل على قوم دماؤهم طرى

على سيفى وأنا لولا مراعاتى للملك قيس وحياتى من عمرو بن هند اخى الملك النعمان ما كنت خرجت من بلادا ليمن وتلك المناهل والدمن بعد ما أذل فرسانها وشجعانها وكنت ملكت بسيفى سائر البلاد وكانت الغفارة تحمل إلى من بنى قحطان وما زالوا على مثل ذلك حتى أصبح فاخذهم القلق لاجل شيبوب لانهـــم انتظروه إلى الوقت الذى قال لهم عليه أن يعود فيه فما عاد واشتغلت قلوبهم فقال عروة بن الورد ما أظن إلا شيبوب قد أصيب فى هذا البر الأقفر وانفق ما أنفق له من القضاء والقدر ونبقى نحن فى هذه الارض الذى ما نعرف فيها طريق ولا لنا هاهنا صديق فقال مقرى الوحش والله ياعروة لقد قطعت ظهرى وزدتنى فكرا على فكرى على إننى ما أتأسف على نفسى وإنما أتأسف على مسيكة زوجتى وسبيع اليمن ولدى وكان قد رزق من زوجته فى أرض اليمن هذا الولد وسماه هذا الإسم الحسن ثم أقاموا فى تلك وفى قلب عنتر النار والمسعرات على أخيه لهيبا وحسرات فبينما هم كذلك وإذا بشيبوب قد طلع عليهم مثل ريح الهبوب كأنه النسر الاردع من نحو جبال صاروخ ورمال عالج والوحوش تركض من بين يديه والعيون لا تستطيع النظر اليه فلما رأوه فرحوا وأرادوا أن يسألوه غيبته وإذا به قد أتاهم وهو اشعث اغبر مما قاسى فى تلك البر الافقر فقال له عنتر ويلك ياشيبوب انضجت لغيبتك القلوب ايص معك من الاخبار أما سمعت لبنى عبس آثار فقال شيبوب ياأخى بنى عبس قد عبروا الشعاب ولكن المنايا خلفهم تعلو فى المنازل والرحاب ولولا مسيرى من عندك واطلاعك على هذه الحال كان قدتم عليهم شىء ما كان فى حساب فقال مقرى الوحش لم ذلك يا ابن الاموات أما عبلة ومسيكة سالمات وهن مع شياطين العرب مسبيات فقال شيبوب لا تسأل إلا عن شىء يعنيك فقال مقرى الوحش ياعروة هذا شىء قد تم على قومنا فى غيابنا ولا لنا فيهم صديق ولا خل ولا رفيق فدعنا من هذيانك حتى نسمع ايش جرى لحريمنا فقال شيبوب انصتوا أنتم واسمعوا الخبر اعلموا أنى لما سرت من عندكم وقت السحر وأنا كثير الفكر وصلت إلى الشعاب والليل قد بقى منه البسير فافت إلى الصباح لعلى أقع لقومنا على خبر وإذا أنا قد سمعت حوافر الخيل وضجة عظيمة وكثرة فرسان فقلت فى نفسى لاشك هذه الخيل خيل بنى عبس وظعنهم قد وصل وكان بينى وبينهم ميعاد فى هذا الجبل ولما ايقنت بذلك أمنت حتى إنى أسمع كلام أحد أعرفه وإذا أنا رأيت فى أوائلهم فارس كانه العتيق وهو على جواده عتيق وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد فحولت أن أدنو منه وأتقدم بين

يديه واسأله واقص القصة عليه وإذا له همهمة مثل همهمة الأسد ويتكلم بغيظ وحرد ويقول يارب البيت والحجر وبحرمة الركن المطهن مكن سنان هذا الرمح الأسمر من صدر عبد بني عبس المسمى بعنتر ليزول عني عاري ثم تنهد بحرقة وقال آه وأسفاه عليك ياعمرو بن ضمرة كيف تمكن هذا العبد بن اللئام منك وأنت الأسد الهمام والفارس الضرغام ثم أنه يا أخي تنهد وتحسر وصاح وأنشد يقول

ياجفوني بفيض دمعك جودي	واندبي فارس كريم الجدود
فارسا كان يلقى حوارث الدهر	بقلب أقوى من الجلمود
كان فارسا لكنه وحماها	يكد الحديد فوق الجلود
قرماه صرف الزمان بسهم	قاطع من أخس العبيد
عنتر لا شفيت قطر الفؤادي	غير سم مفتت الكبود
أنت أفجعتني بعمرو وبقيت	كما أفجعت عين الحسودي
قسما بالذي أمات وأحيا	وتعالى عن قول أهل الجحود
لاقيمن في ديار بني عبس	ضجيجا بالنواح والتعديد
تصير النساء به حيارى	من جوى الحزن لاطمات الخدود
بحسام إذا رأته المنايا	في يميني أومت له بالسجود
كم دحال هجمتها في ظلام الليل	وحيدا على كبار الأسود
وقنصت السباع فيها بكفي	مثل قبض الفارس الصنديد

قال الراوي ثم أن شيبوب قال يا ابن الأم فلما سمعت بذكرك في أعقاب هذه الأبيات علمت أنه من بعض أعدائنا فاشتهيت أن أعلم من هو من فرسان العرب فصبرت للجيش حتى أنه عبر وقد حررته بعيني فرأيته في الف فارس فتبعت فرسانهم وسألت بعضهم عن حالهم فقال واحد منهم ياوجه العرب نحن من قبائل وطوائف شتى قد اجتمعنا وسرنا خلف بني عبس نطالبهم بالثار وتقلع منهم الاثار ونجازيهم على فعالهم ياهل هذه وفينا فارس اليمن زاجرة بن ضمرة القيني الفارس الهمام الذي قتل عنتر أخاه على ماء النعام سبي زوجته زهرة وأنشد يقول

ما أشهر السيف في كفي وأغمده	إلا وفي حده الضرب آثار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمدا	بصارم في حواشي خده نار
فعاد يهوي ذليلا بعد عزته	كما أن للدهر إقبال وإدبار

ثم أن شيبوب قال يا ابن الأم فلما سمعت ما قال شكرت الرب القديم الذى عرفنا هذا الحال وإلا كان هذا الشيطان احل بقومنا الخيال والنكال وبعدها عدت يا أخى على الأثر فلما سمع عنتر ذلك تعجب غاية العجب وقال شيبوب إيش هذا القرنان أبن كان ولاى شىء ما كان طالنا بالثأر ونحن فى بلاد اليمن حتى كنت أسقيه كاس الحمام ثم قال له ويلك يا شيبوب تقدر تلقانا عليه قبل أن يدرك بنى عبس ويغتنم الغفلة ويرجف قلب مسيكة وعبلة فقال شيبوب وحق ذمة العرب أنى القيكم عليه فى أقل مايكون سيرو أخفى حتى أريكم العجب فى ضوء النها وإلا فى ظلمة (قال الراوى) وكل زاجرة أخو عمروا وابن ضمرة بطل مغوار وفارس جبار وكانت أمه يقال لها سارحة من قوم يقال لهم بنو نمر فلما قتل أخوه عمرو ووصل له الخبر أمر فرسانه بالتاهب للمسير فما مكنته والدته من ذلك وقالت له يا ولدى نفسى مشغوله بالنظر إليك فى هذه الأيام فاذا أنامت أو حدث لى أمر فافعل بعدى ماتريد ومن كثرة خوفها عليه صارت تنظر له المنامات الرديه وتقصها عليه فما خرج من عندها هذا العام حتى ماتت وكانت ولدها يحكم على الفين فارس وأنه ماصدق يموت والدته حتى أنه عول على المسير للقاء بنى عبس وكانت بنو عبس قد خرجت من بلاد اليمن طالبين أرض الحجاز فلما بلغه ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاتبعهم لآخر الدنيا ثم أنه سافر فى ذلك الجيش الذى رآه شيبوب وكان خلف بنى عبس رجالا شياطين من عشرة وعشرين يطلبون المعاش والمكسب لاجل قلة بنى عبس والتقوا بقوم زاجره الطماعة وساروا معهم يقطعون البرارى والقفار ومازالوا سائرين وزاجرة يجد السير حتى بقى بينه وبين بنى عبس واحد فاشرف عليهم شيبوب وقد قطع بأصحابه السباسب فلما نظر إلى خيلهم ترعى قال يا أبا الفوارس هاأنت قد أدركت الأعداء فتشاور أنت ومقرى وعروة بن الورد فى أمر القتال فقال عنتر الصواب أننا نطلب خيلهم ونجعل بيننا وبينهم يوما تذكره الأبدال فقال مقرى الوحش هذا مايتم لنا بثلاث رجال فقال عنتر ولكن شيبوب بقاومه بنصف رجل فقال عروة وخلوا شيبوب ولاتغضبوه فقال شيبوب ويلك ياعبد السوء ماهذا وقت مزاح وأنا اقسم بمن يعلم عدد الجراد إذا انتشر وخالق الصور وانزل القطر والمطر لئن لم تقصر عنى لأتركنك تسأل عنى من غلب ومن حضر فقال عنتر لاتقسم يا أبا رياح فما قولى لك إلا مزاح والان يا أبا رياح ما الذى ترى من الفعال فقال الرأى عندى اننا نحمل عليهم فقال هذا هو الصواب والصحيح لأن معهم فارسا جبار ولابد مايتكلف به واحد

منكم فى الحرب ويبقى الاثنان ما يلقوا الفتن فقال شيبوب وما أنا عندى تدبير الذى هو أحسن من الاول ولكن يا أبا الأبيض عندى رأى لو تعلموه فاتكم تتركونى أنا وأخى هاهنا مختفين وسر أنت ومقرى الوحش إلى عسكر الأعداء حتى تقاربوهم وإذا سرتم معهم وسألوكم عن حالكم فقولوا لهم نحن قوم من زوايا اليمن وقد سمعنا بخروج بنى عبس من هذا الديار وما من أحد إلا له على بنى عبس دم وثار وكنا خائفين من فرسانهم فلما سمعنا بمسيرة الأمير زاجرة إليهم فسرنا وقوينا وأتينا إلى هاهنا فعندها يتقدم منكم واحد إلى زاجرة ويسلم عليه ويضربه بالرمح فى صدره ويدعه يطلع من ظهره فعندها يقع السيف فيهم وتنادون يا آل عبس يا آل عدنان فعند هذه المناداة يقع السيف فيهم ولا التفت أحد إلى أحد فاذا رأينا نحن ذلك نخرج بالخيل التى معنا ويزعق ويصيح فيها بزعقاتها أخى عنتر ويقول يا أوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد مع زعقيه وغبار الخيل تظن الأعداء أنها خيل بنى عبس ويكون مقدمهم قتل يتطلب السهل والجبل فقال عنتر أحسنت يا شيبوب يا مفرج الكروب فلا عدمت من أخ ورفيق لأنك معينى فى كل شدة وضيق قال الراوى ثم أن مقرى الوحش أخذ عروة بن الورد وسار حتى أنه أقل على ذلك الجيش فصاح زاجرة فى الفرسان فتقدم اليه مقرى الوحش وعروة بن الورد فقال زاجرة من أين انتم فصاح مقرى الوحش كأنه يخاطبه وطعنه جندله فعندها صاح عروة يا آل عبس يا آل عدنان وقد حملوا على الجيش وجردوا فى أيديهم الصفاح وإذا عنتر خلفهم وقد حمل حملة تهد الجبال وزعق زعقة أذهل منها عقول الرجال فلما نظروا إلى مقدم الجيش وقد قتل وغبار الخيل قد أقبل ومن تحته صاح عنتر قد دوى له الجبل وشيبوب يطردها وهو يصيح فى أعقابها وغبارها قد ملأ القفار فقالوا هذا جيش كبير ثم أنهم قاتلوا ساعة واحدة حتى تبطنوا فى البرارى والقفار وطلبوا الأهل والديار واجتمع عنتر ومقرى الوحش وعروة بن الورد وهنوا بعضهم البعض بالسلامة ثم أنهم جمعوا الخيل والأسلاب وساروا خلف بنى عبس إلى أن قاربوا الجيش عند انبساط الشمس ففرحوا بالقرب من الأحباب فلما قاربوا أصحابهم اعتد بنو عبس للحرب فالتفت عنتر فرأى عمارة وهو يجر رمحه أمامه قال الراوى فلما نظر عروة فقال لعنتر يا أبا الفوارس انظر هذا صديقك ورفيك الأمير عمارة قد أتى فى أوائل الخيل لان قوم منو ظنوا أننا أعداهم فدعنى حتى اقتل جواده وإذا نظم الامر أقول لهم نحن كنا فى مزاح وأعرفهم بنفسى فقال له عنتر لا يا أبا الابيض لا تفعل

ذلك لأن عمارة لايعرف مزاح وأيضا أن قومنا على خوف وخيل وتخاف أن تعظم الأشياء معكم مع حماقته وكراهته لنا وإذا أنت قتلت جواده تحمل عليك أخوته أنهم لايرجعوا بسمعوا كلامك فقال له يا أبا الفوارس إذا عرفته نفسه كشفت عن وجهى اللثام وإذا رأيت الأمر قد تعسر فيما بعد دنى أنت ياعنتر فقال له عنتر أفعال يا أبا الأبيض مابدالك فزعق عروة بن الورد وقال يا ابن الأندال أبشر بقرب الأجل واستعدوا للحرب فقد تبعتكم فرسان اليمن بعد قتل عبدكم عنتر وأصحابه الذين كنتم تعتمدون عليه ثم أنه أستقبل عمارة صاح فيه وأذهله وطعن حصانه قتله ومن على ظهره نكسه فلما أن رآه أخوته قد وقع حملوا من كل جانب وأسهروا القنا والقواضب بعدماخرقوا الثياب وأرخوا العمائم فى الرقاب ونادوا يا أسفاه عليك ياوهاب لوأنهم طلبوا عروة ومدوا عليه عوامل الرماح واضطربت بنوعبس ورجعوا على حس الصياح ورجع الملك قيس فى جميع الفرسان وكذلك الملك عمرو وقد أهتز البربا لشجعان وتزاعقت الفرسان فقال عنتر لمقرى الوحش هذا الحساب حسبته لأن قومنا على خيفه وقدأزعجناهم ثم أنه سل حسامه وزعق فى الجيش وكذلك فعل مقرى الوحش ومازال الاثنان كذلك يردوا الخيل حتى أنهم كشفوا عن عروة الفرسان وصار عنتر بصيح يابنى الأعمام كفوا أيديكم وأعلموا أن هذا الأمير عروة مافعل ذلك إلا أنه يمازح الأمير عمارة قال الراوى وكان عمارة قد جرد سيفه لما رأى أخوته من حواليه وجعل يحمل على عروة بن الورد فمنعه بنو عبس عن ذلك وقالوا هذا صديقك ورفيقك عروة وما أراد معك إلا المزاح فقال لهم والله يابنى الأعمام ماأراد عروة إلا هلاكى ولولا فى أجلى تأخير لكنت فى الحفرة سائر ولابدلى من أخذ الثار منه فصعب ذلك على قيس بن زهير وخاف من إثارة الفتن فقال له الملك عمرو بن هند والله ياقيس مكانك بين العرب مشهور ولاعليك هيبه ملك ولا وقار فقال له والله يامالك لقد عجزت من هذه الطائفتين ولم ينتهوا عن بعضهم البعض حتى يصيروا حديثا لأهل الأرض وأنا أعلم أن هذه الفتنة من عنتر بن شداد وأيضا أنه حرض عروة قال الراوى فما نظر وسمع الملك قيس هذا الكلام اعتدغضبه على عروة بن الورد وعنتر وأيضا أنه كاو استحى من الملك عمرو بن هند أخو النعمان أن يصير عنده فى النقصان فعند ذلك التفت إلى عنتر بن شداد وقال له أن هذه الدماء التى ثارت بيننا وبين وبين العربان من قديم وجديد أنت الذى كنت فيها السبب ولولم يدركنا أخو الملك النعمان فما كانت أهل اليمن تركت منا أنسان وأنت ترى نفسك بالمحل العظيم

وانت ترى نفسك بالمحل العظيم لأنك تقول انك فارس شجاع وقرم مناع وانا اعلم انك اتيت معنا إلى ديارينى عامر وكلاب جددت بيننا الدماء بحماقتك والصواب يا ابن شداد انك تدبر نفسك كيف تشاء وتبعد عنا انا وانت ومن ارادك من الرفاق وتأخذ اموالك وسائر اصحابك فلولا مالك علينا من الخدمة القديمة ورعيك جمالك لكنت جعلتك فى القيود والاصفاد وتركتك ترعى النوق والجمال حتى تموت مكدودا مقهورا وذلك لاجل آخر افك بالامير عمارة بن زياد وخرق حرمته بين الاصحاب لأن الامير عمارة اراحنا من شيخ العرب دريد الصمة (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر بن شداد الكلام المعنى حيث سمع بذكر دريد بن الصمة فقال له هذى اخلاقك يا ملك لو كنت انت ارسلت لى مع بعض العبيد ولا كنت سمعتينى هذا الكلام الشنيع الذى لا يفيد ولو انت وابوك الملك زهير مارتفع عند الناس قدرى ولاشاع فى جميع الآفاق ذكرى ولكن يا ملك انا ارحل وانت ايها الملك وعمارة واخوته فى فريق لأجل ان ينشرح بذلك صدرك تستريح من معادات العربان ببعدى عنك ايها المنضان وبهذا اخاطرك ثم بعد ذلك الو عنان جواده الابجر إلى الطعن وامر اخاه شيبوب ان يقطع عبلة من المحامل ويلوى وارؤسها على المسير ففعلت العبيد ما امر وفى دون ساعه اختلفت بنو عبس وعنتر فعل مقرى الوحش زوجته مسيكة مثل فعل عنتر وابو شداد وايضا اعمامه واصحابه وباقى بنى قراد وقوم عروة بن الورد وجماعته وابر مسيكة من تبعه وصار عنتر نحو عشرين اربعمائة وخمسين فارسا كرار فقال مقرى الوحش العنتر يا ابا الفوارس ما فى نيتك ان تفعل بهؤلاء القوم المناحيس كم تحسن اليهم وهم يؤسون عليك وانى وذمة العرب لو لا اخاف التشويش على قلبك لاقتلن عمارة بن زيادة واخاه الربيع الكيادو بنى زياد وان تكلم الملك قيس خرقت به غاية الاكراه وضربت بهذا الحسام والفصال وجعلته اول مقتول وهو صريع ولكن سوف يندمون يا ابا الفوارس تحتا جود ثم جود ثم قال يا ابا الفوارس هان عليك الأمر وانت ما مرادك الدنيا إلا عبلة وانا قد اخترتك على جميع اهلى واصحابى وانما سرت فنحن تتبعك بين ايدينا واسيوفنا قاطع ورمحك خارق فقال عنتر بعد ما شكره واثنى عليه والله يا فارس النياق لو فعل الملك قيس اضعاف ذلك الا خالفه لأنى عبده وعبد ابيه من قلبه وما اسفى يا مقرى الوحش الا على جبل مثلهم صار فى زمانى قضيته بركوب الاخطار والمعامع وبعد ذلك سمع كلام عمارة والربيع (قال الراوى) فتعجب مقرى الوحش من حلم عنتر على قومه وكرم أصله وعلم انه لو اراد اشتت شملهم

وابلى بنى زياد بالشتات فزاد فيه محبة فى العشرة وقال لوكان فى الزمان انصاف ما كان هذا الفارس إلا ملكا من الملوك المشهورة أصحاب الرتب هذا وقد شاع فرق عنتر من بنى عبس فى سائر البقاع فمال اليه كل بطل شجاع ومابقى فى العشيرة غير كل جبان يكره القراع والذى تبع عنتر فرسان جليلة كل فارس منهم يقال أنه يلقى قبيله فيه سوى عروة ورجاله ومامعه من بنى غطفان وسار الملك قيس وفرحت ببعد عنتر بنو زياد فعند ذلك قال عمرو بن هند للملك قيس بن زهير من خلقه مثل أخى الملك النعمان بين نفسه لعبد لاقدر له ولاشأن من عبيد العربان فقال قيس بامالك ما كان لى به حاجة وإنما كنا نرعاه لاجل وصية أبى الملك زهير فى حالة حياته فسار يتجار أعلى الفرسان والسادات ولايهاب أصحاب النسب والعزمات وأنه مر يوما ودخل على بنت عمه عبله ووقعت فى خاطره وذكرته الناس بالفروسية والرشاقة والآن فقد طردناه لقرب أجله لأن العربان كلها أصبحت أعداءه وإذا سمعوا أننا قد طرناه طلبوه من سائر الأقطار فيعود الينا وهو أقل من كلب زوبار (قال الراوى) ومازالوا سائرين أيام وليالى تمام حتى أنهم قاربوا ديار بنى عامر وعنى وكلاب فقال عمرو بن هند انزلوا هاهنا حتى أننى أتقدم وأنظر مايتجدد من أمر اخى الملك النعمان وهل أرسل جوابا إلى بنى عامر كما قال أم لا فقال الملك قيس أفعل مابدا لك فما أحد فينا يخالفك مقالك وافعل مافيه الصواب فسار فى خمسمائة فارس إلى أن وصل إلى ديار بنى عامر وعنى وكلاب فركبت اليه سائر فرسان القبائل والعشائر وساروا حتى أنهم قد عرفوه فترجلوا إليه وتقدم إليه عامر بن الطفيل فارس الخيل وتقدم اليه عثم بن مالك ملاعب الاسنة وردادالاعنة وسيد القوم الاخوش بن جعفر وهنوه بالسلامة فقال لهم الملك عمرا أننى أتيت قبنى عبس من بلاد اليمن وقد يركتهم خائفى لانظر يأوون اليه ويجعلونه لهم منزلا فما أتاكم رسول بعلمكم بهذا الشأن فقال الاخوص بن جعفر أتى رسول من عند الملك النعمان وهو يقول لنا أتى نفذت خلف بنى عبس انزلهم فى دياركم وأريد منكم أن تزيلوا الحقود القديمة ثم قالوا نحن أيها الملك متفكرون فى هذه القضية من حين ماأتانا كتاب الملك النعمان وانت تعلم ايها الملك هؤلاء القوم قد تحملوا دم اهل اليمن ولا لهم فى هذه الأرض صاحب وقد اتفق راينا ان نخلى لهم ديارنا لاجل سؤال النعمان ولم يبق لهم علينا ملام وانت تعلم ايها السيد الهمام ان عنتر قد نشا اسمه فى جميع الأقطار ولاجل سؤال النعمان تحفظهم من العدا والحساد وإذا جاء لهم احد من اهل اليمن يريدون

قتالهم نساعدهم ونقاتل معهم وأما أهل الحجاز فما تقدر نقاومهم لأن إلسابنا يامالك متصلة بهم هذا أن كفينا شر عبدهم عنتر فقال لهم عمرو اعملوا أن عنتر قد طرده قومه وابغضوه وابعدوه والملك قيس طرده أيضا وأن عاده إليهم عنتر قتلوه وأما قولكم أن العرب تطلبهم فهذه حجة لانسمعها لأن أخى النعمان منهم وهم اصهاره على كل حال ولا يقدر أحد يذكرهم لابشفة ولابلسان فيكون أخى خصمه والسلام وأنه يخرب أوطانه ثم أنه حدثهم بحديث طرد عنتر ففرح به بنو عامر وعلموا أن بنى عبس بعد عنتر تذل وانها تدخل تحت طاعتهم فعاهدهم أخو الملك على أنهم يكونون لبنى عبس أعوان وجيران ويكفون عنهم أذية من يقصدهم من شياطين العربان فأجابوه إلى ذلك الشأن واضافوه ثلاثة أيام وعاد إلى بنى عبس واخبرهم بما جرى له فقالوا نحن مانريد منهم معاونة ثم رحلوا إلى جذع الطوف واجتمع سادات القبيلتين وجددوا لبعضهم الولائم ومضت لهم أيام كلها أعياد ومواسم وقد جدد الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان بينهم العهد والميثاق وبعدها طلب المسير إلى أرض العراق فركب لوداعه من كل قبيلة جماعة ولما أن عادوا إلى مواطنهم وجدوا بنى عامر قومهم فى حديث بنى عبس واكثروا فى وصف ما معهم من الأموال فقال الأخوص بن جعفر يافوم دعونا من ذكر النوق فانه بلغنى خبر ان بنى عبس عند عودتهم من بلاد اليمن قتلوا شيخ العرب دريد واخاه وسبيع بن الحارث قاتلهم يوما كاملا ونجا بنفسه فانا لو كنت سمعت هذا الحديث ما كنت انزلتهم هنا فقال ملاعب الأسنه والله إن كان هذا جرى لايترك سبيع من بنى عبس ديار ولا من ينفخ النار وهذا امر لابد منه ونحن ماضمنا لهم المعاونة إلا على اهل اليمن فقال عامر بن الطفيل ياوجوه العرب لايدلى ان ابعث عبيدى يكشفون لنا اخبار عنتر وينظرونه ابن نازل حتى اسعى إليه واقطع اثره لأنه اسرنى وانا صغير فلما بلغت هذه المنزلة بقيت متأسفا الذى ماأخذت ثارى منه فقال ملاعب الاسنة ان القوم ياعامر مالهم فى جوارنا مدة فاصبر فان سبيع مايسكت عنهم ولا بد مايجمع عليهم العرب فقال عامر فقال عامر ماقلت إلا الصواب لأننا نعلم ان بنى عبس هالكة على التحقيق قال الراوى فهذا ماكان من هؤلاء واما ماكان من ابى الفوارس فانه لما فارق قومه وجرى خلا بنفسه وتفكر ماجرى عليه فاشار يقول .

رمتنى صروف بالجور والغدرى ومن ذا الذى فى الناس خال من الكدر
وكم قد اتبنى نكبة بعد نكبة ففرجتها عنى ولم يمسنى ضرر

أيادهر لا تبغى على فان لى ... دموعا تجرى كالنهر
ولو بان لى شخص الحمام تركته ... كامس تولى إلا يبين له أثرى
إذا صاغنى الرحمن ضد المن طغى ... ودانت لى الدنيا وشاع لكم ذكرى
ولا سنانى والحسام وهمتى ... لما ذكرت عبس ولا نالها فخر
بنيت لهم فى المجد بيتا من العلى ... يعلو على الجوزاء والفرع والنسر
وكم لى عتيق من حسامى عتقته ... بأن ليس يحصيه بعد ولا حصر
وبعد منالى واستشهار ورفعه ... وسير وتجد يعاندنى دهرى
ولما رحلنا اليوم أسلمت قصتى ... إلى من له الحكم بالنهى والأمر
ستذكرنى قومى إذا جد جدهم ... وفى الليلة الظلماء مفتقد البدر
يعيون لونى بالسواد سفاهة ... ولولا سواد الليل ما طلع البحر
وأن كان لونى أسود ففعالى ... بيض وكفى أسخى من القطر
محوت بذكرى من كان قد مضى ... فسدت فلا زيد يقال ولا عمر

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره التفت إلى أخيه شيبوب وقال له أما تعرف لنا مكانا فقال له نعم اعرف منزلا فى هذا البر إلا فقر بعيدا عن الجوار ولكن يخشى علينا من طوارق الليل والنهار فقال له عنتر نحن لا نخشى من كل جنى وشيطان وجبار ولا من سائر البرارى والقيار سر بنا وخل البر ينفخ علينا من كل جنى وشيطان النار فلو أنى أخاف من من جن سليمان ما ركبت على ظهر حصان فقال شيبوب أعلم يا أخى أن يمينا ثنية بنى غبلم وتحتها أرض تسع مثلنا أمم وفيها شعاب ومياه ساحة ومروج وأزهار وعيون وأنهار وأطيار وغزلان ترعى فلما سمع عنتر من أخاه أمر العبيد أن يسوقوا النوق والجمال وتبعتها الرجال الافيال وشداد يتحدث بما جرى لهم فى عودتهم من بلاد اليمن مع سبيع بن الحارث وكيف كسر العساكر وحده قتل عمارة دريد بن الصمة فقال عنتر صدقت فلا جل هذا أنتفش سبالة وفعل معنا من أجله قيس ذلك الشأن والآن قد كان لك ما كان ونحن قد انفردنا عن القوم وأنا من له البقاء والدوام أن يغنيهم عنا بعماره بن زياد وكيف عمارة يقتل دريد أو هذا من العجب العجاب ولكن الاجل يأتى على أهون الاسباب وأما قتال سبيع لكم يوما كلا ملا فما هو كثير لأنه فارس شهير وبأمور الحرب خبير فقال لهم عمرو أخو عبلة والله يا ابن العم أنى ساهدت له حملات هائلات وطعنات ثائرات ما شاهدت مثلها إلا لك أفعاله تشبه أفعالك فقال له عنتر صدقت يا عمرو من كون الأرض ولادة الأوقات لها

سعادة والأيام تأتى بالعجائب ولكن ما بيان الافتخار إلا عند المعاينة والاختيار وإذا اجتمعت أنا وذو الخمار يعلم الفارس الكرار من الجبان الفرار وما زالوا سائرين وعنتر يتحدث بمثل ذلك حتى أنهم وصلوا إلى ثنية بنى غيلم وبانت لهم الأرض والنعم فرأوا أرضا منقطعة عن العمار والعمران بعيد العهد من سكان فقال عروة والله ما هذه قريبا ولا بعيد ثم أنهم نزلوا هناك وضربوا الخيام وعولوا على الانقطاع قال الراوى وكان مقرى الوحش قد صعب علية فعل بنى عبس بعنتر وسار يشكو لعروة بن الورد ويقول له أنا عولت أن أنفذ بعض العبيد إلى بنى عبس لاعلم فى أى المنازل نزلوا وأسير اليهم وآخذ نوقهم وجمالهم وأذل فرسانهم ولا التفت إلى أحد من البشر ولا اسمع كلام عنتر فقال له عروة افعل ما تريد وأنا أنفذ جماعة من الرجال وهم رجال من غير علم عنتر وأنا أساعدك على ما تريد وافعل ما يدالك وأن وقع عماره فى يدى سقيته كاس المنية واترك مع بنى زياد عداوة أصليه فلما سمع مقرى الوحش كلام عروة اشتد عزمه ونفذ عدا الى ديار بنى عامر وأمره أن لا يعود إلا بالأخبار فاجابة العبد بالطاعة وساعة العبد كما أمره مولاه فما غاب أكثر من يومين حتى عاد فقال له مقرى الوحش ما الذى أدركته فقال له يا مولاى بنو عبس نزلوا فى جزع الطوائف وأما انتم فاحذروا لأنفسكم وخذوا حذركم من قوم كثير بن الجواد قليلين الأنصاف لانى لما سرت فمت ذلك اليوم سائرا إلى أن لقيت عبدا من عبيد بنى عبيد بنى عامر فلما رآنى تقدمت اليه وسلمت عليه فرد السلام وسالنى عن حالى ومن أى الاماكن أنت فقلت له أنا من بنى هوزان وقد أنقذنى مولاى ذو الخمار سبيع بن الحارث أكشف له عن بنى عبس الأخبار حتى يسير اليهم ويأخذ لدريد وأخوه عبد الله منهم بالنار ولى غائب مدة أيام أدور الراوبى حتى وقعت بفرقة منهم مع عنتر بن شداد وهى أربعمائة فارس وخمسون صنادبد فقلت فى نفسى ما أعود حتى اعلم أخبار الباقين وكنت سألت بعض العبيد عن سائر القبيد فذكروا أنها فى ديار بنى عامر وقلت له لو لم تكن عبدا مثلى ما ذكرت لك ذلك ولا أطلعتك على هذه الحالة فلما أن سمع العبد منى هذا الكلام قال لى ابشر يا مولد العرب بقرب الطريق وراحتك من التعب والتعويق. أن بنى عبس نزول فى جزع الطوائف وفى أى المنازل عنتر المزل فقلت له حول ثنية بنى غيلم فما تريد منه فقال لى اعلم أبى عبيد بنى عامر ومولاى عامر بن الطفيل فارس الخيل وهو الذى انفذنى آخذ له أخبار هذا العبد ولد الزنا حتى يرسل له الخيل ويسير اليه ويبلغ منه

المنى والرأى عندى أن تعود إلى مولاك وتعلمه بهذه الأخبار وتقول له بنو عبس نزلوا بجزوع الطوائف وإن عدد فرسانهم ثلاثة آلاف فارس وأن بنى عامر ما انزلوهم فى أرضهم إلا لسؤال الملك النعمان فيهم بعد ما شرطوا عليهم أنهم لا يعينوهم على عرب الحجاز وسكان تلك المنازل تمكنوا من شرب دمائهم لقطة وهم وأهلكوهم فاقصدوهم وخذوا ثأركم من رجالهم وأسيوا نساءهم وأطفالهم وهذا الذى سمعته من عبد بنى عامر وها أنا عدت اليك لتدبر ما ترى (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال والله لو لم يخطر لى هذا الخاطر لكان دهمنا بنو عامر وهذا الخبر لا أبقى كتمانه عنتر ثم أنه قام وأتى لى عنتر وقص القصة عليه فصارت عيناه مثل الظلام وقال ما بنو عبس فعلى فرسانهم ونساؤهم أخبروا ما نحن فيجب علينا أن نحترز لأنفسنا وإذا وصل الينا عامر الطفيل قابلناه على فعاله فقال عروة بن الورد إذا كان الأمر مثل ذلك فرتبوا الحرس كل ليلة خمس فوارس فقال شيبوب نامو أنتم ولا تغيروا ما كنتم عليه فانى أبعد عنكم يومين أو ثلاثة أيام فتقفى لكم الآثار وأرصدوا الأعادى على بعد من الديار فاذا رأيتم قربوا منكم عدت اليكم ودبرتكم لشىء يعود نفعه عليكم لأنهم إن كانوا عزموا على كبسكم وقصدهم يحوطون بالخيل خرجنا على أعلى هذه الثنية بالعيال وتترك المنازل خالية ولا تعارضهم حتى ينزلوا فى بطن هذه الثنية ونطبق عليهم من كل فقال مقرى الوحش وذمة العرب لقد نطقت ياشيبوب بالرأى السديد والقول المفيد ثم أنهم أقاموا على مثل ذلك يدبرون ما ذكرنا من المقال وقالوا إن كانوا يريدون القتال بالنهار باتونا لهؤلاء وأما ما كان من عبد عامر الطفيل فانه وصل إلى مولاه وأخبره ان عنتر نازل فى ثنية بنى غيلم ففرح بذلك وانشرح ثم جمع من أصحاب العشيرة سبعمائة فارس من كل ليث عارس بالخيول العربية والسيوف الهندية وأخبرهم بما عول عليه ففرحوا كلهم برأيه واعلم بذلك أن خالته ملاعب الأسنة فقال هذا هو صواب ولكن اصبروذعنا ننظر من يتعرض لهم من الشجعان وترى ما يفعل فى حقهم الملك النعمان فقال عامر أن هذه القبيلة قد دنا منها الهلاك وأول من يبادر إلى المعنى حتى يصير الذكر لى فقال له ملاعب الاسنة ياعامر لا تفعل فانى أخاف عليك أن يظفر بك عنتر ويعظم الأمر وربما احتجنا إلى بذلك أخفاء أمره ويعلم أن استعداد له صار يعلل نفسه بالظفر حتى فارق قومه وقرب من الثنية التى التجأ اليها عنتر وعاينه شيبوب وصاح الخبر فسار بقية يومه الذى كان رآهم فيه وقصد عنتر وأعلمه بما شاهده من الخبر فجمع

عنتر رجاله وقال لهم يا بنى عمى الرأى عندى أن ترفعوا العيال إلى رأس هذا العلم حتى تكون قلوبنا عليهم مطمئنة ففعلوا ذلك وما أتى آخر النهار حتى فرغوا من أمر العيال وانجزت الاشغال فقسم القوم ثلاثة أقسام وقدم على كل فرقة فارسا همام وكان مقرى الوحش فى فرقة وشداد فى فرقة ثانية وممه عروة وتقدم هو فى الفرقة الثالثة كانة المصيبة الحادثة ثم قال لى بنى عمى هذا الليل قد أقبل وبعد ساعة تكبسكم الأعداء فاطلبوا عرض البيداء وخلوا الخيام خالية ولا تخرجوا حتى تروهم فى وسط الأطناب فخذوهم وأدهموهم بالصياح لكن يبنى الأعمام أقبلوا منى ما به أشير وهو أنى أريد كل واحد يقلع سنان رمحه ويركبه على قربوس سرجه فاذا خرجتم أوهموهم بالطعن وخذوهم أسارى فقال عروة يا أبا الفوارس هذه وصية ما نقبلها فكيف يطلبون سفك دمائنا وأخذ أموالنا وتعفوا عنهم ولا بد لنا أن نقاتلهم فقال مقرى الوحش دعنا نشتفى من هؤلاء الكلاب الذين أتونا لهذه الرحاب فقال عنتر بالله يا بنى الأعمام هذا يورث الخصام ولا تؤاخذوهم بما فعلوا وما زالوا على ذلك حتى انفصل الأمر على أنهم يخرجون اليهم بلا أسنه الرماح وإذا رأوا منهم غلبة يرونها إلى رماحهم ثم تفرقوا على الأماكن وما لبثوا أكثر من ساعة حتى قدمت الخيل كانها الظلل فهجموا على الخيام ونادوا يا دوا يا اولاد اللئام فأجابهم أحد فقال عامر أن القوم حسبوا حسابنا ونصبوا لنا فخاير يدون هلاكنا فبينما هم فى الكلام والصياح أخذهم من كل جانب وأقبلت بنو عبس تنادى يا بنى عامر ما بقى لكم ملجا يا كلاب العرب وتساحبت عليهم الكتناء فاحتاروا ولا بقى أحد يعقل على أحد واحتاطت بهم بنو عبس من جميع الجهات ورماهم العبيد بحجارة مثل قطع الحديد وما زال الأمر فى تكذيب وتصديق حتى ظهر عنتر وزعق يا أولاد اللئام غير انجاد كرام أما تعلمون أنى عنتر البطل الهمام فسمع بنو عامر صوته مع الهيبة التى وقعت لهم منه فانقطع منهم الرجاء وضاقت فى وجوههم البيداء وما بقى يسمع للمنادى نداء ولا خطاب بل انهملت سيول الدماء على التراب وعامر بن الطفيل يحمل تارة يمينا وتارة شمالا وقد أخفاتهم الزعقات من سائر الجهات فطلب من قومه قضاء الاشغال وقد رأى بنو عبس يقاتلونهم بلا أسنة فعلم عامر ابن الطفيل أنهم ما خطر والبنى عبس على بال وإلا كانوا قاتالهم بالاسنه والنزال وما زالوا على ذلك حتى بدت غرة الصباح وهم فى حرب وطعن وبعد وقرب حتى كلت بنو عامر وبانت عليهم الخسائر والنادر فى صدام والزام وتجريع الموت بالحسام حتى تعبت

الخيل والبهائم وقربوا الموت سائم فبينما عامر بن الطفيل فى أشد الجلاد وإذا التقى به الأمير شداد بن قراد وتقاتل معه إلى أن أتبعه فاراد عامر أن ياسره وإذا بزعقة أرعبت الاثنين وفرقتهما من بعض فالتفت عامر لينظر من زعق هذه الزعقة وإذا به فارس شديد البطش فقال له عامر من تكون ياجبان فقال له أنا القرى الوحش قال دونك القتال والطعن والنزال فماهذا الحال فتجالد معه أشد جلاد فبينماهم كذلك إذا بصرخة قلقلت الجبال والأودية والتلال فغشى على الأبطال من هذه الصرخة وقد نظر الفرسان لمن زعق هذه الزعقة وإذ به ميتم الأولاد ومخرب البلاد عنتر بن شداد فلما رأى مقرى الوحش قال أعوذ برب الكعبة من هذة الزعقة فبينما مقرى الوحش ينظر إلى عنتر وإذا به أنطبق على عامر بن الطفيل وضربه بعقب الرمح قلبه من غير اكتراث ولاخوف ولافزع فتقدم جرير أخيه وقال لا باس عليك ياحامى بنى عامر وشدة كتاف ومن بعده قم على قومه العذاب والنلاف وقد طرح عنتر فى ساعة منهم سبعين فارسا وتركهم ممدين فبينماهم كذلك إذا بمنادى ينادى يا بنى عامر عن من تقاتلون وفارسكم ابن الطفيل قد أندرس تحت أرجل الخيل فلما سمعت بنو عامر هذا النداء نادوا عن آخرهم بلسان واحد ارفعوا عنا السيف كى نعود إلى ديارنا والذى قد بغى علينا لقى بغيه فلما سمعت بنو عبس ذلك أخرجوهم إلى وراء الجبال وصار الرفيق لايلتفت إلى الرفيق والطعن فى ظهودهم أمر من نار الحريق وماطلع النهار حتى ولت بنو عامر الأدبار ولا بقى منهم ديار وعادت بنو عبس للم الأسلاب وعامر ينظر ذلك وعيناه تدمعان من شدة الخوف وجمعوا الأسارفراوهم مائتين عرضوهم على عنتر بن شداد فاشتفى قلبه منهم وكان من جملتهم عامر بن الطفيل فعاتبه عنتر بن شداد وقال ويلك ما الذى بلغك من ذلياحتى أتيت حربنا مابلغك ماجرى لنا فى بلاد اليمن حتى اتبعت نفسك وجئت إلى هاهنا فقال عامر يا أبا الفواس هانحن بين يديك افعل بنا ماتريد فقال عنتر ياغلام لو اردنا ان نقابلكم على فعالكم القباح ماكنا عندنا لكم لنا قلعنا اسنة الرماح ولاكنا نسامحكم إذا اعتذرتم واقررتم الخطأ وان كنتم قد اتيتم تحاربونا بشفار السيوف فنحن نعو عنكم لاجل اهلنا عندكم ضيوف قال الراوى وبعد ذلك قال عنتر لاخيه شيبوب حلهم من الاعتقال وقل للعبيد يروحو لهم الطعام ففعل شيبوب ذلك وحل الجميع ورد عليهم خيولهم وسلاحهم فعند ذلك تقدم عامر بن الطفيل إلى عنتر قال له يا أبا الفواس والله ماأكلت زاد ولاطعام إن لم تبلغنى المرام فقال عنتر قل

ما تريد ياغلام فقال له ياأبا الفوارس تمهل حتى أركب جوادى وأتناول عدة جلادى وأحمل على وأنا أحمل عليك وتجارب أنا ومقدار ساعة من النهار ولا نفترق عن بعضنا البعض حتى تشهد الفرسان للغالب الكرار لان نفسى تأبى الذل وأنا لم أطاوعها على ما تشتهى فى الكل فلما سمع ذلك قال له دونك وما طلبت فركب الاثنان على الجوادين ونجالد أشد الجلاد وأظهر الزبد على أشداق عنتر بن شداد وهجم على عامر بن الطفيل فلما رأى ذلك عامر رمى الرمح من يده وترجل وأقبل فى عاجلى الحال إلى الأمير عنتر وأعنقه وقبل عارضيه وباس فى الركاب قدميه وقال له ياأبا الفوارس غرق جهل فى بحر حلمك قد عفوت عنى بكرمك وأصلك وأريد من أحسانك وفضلك أنك تسير معى من هذا المكان إلى مكانى وربعى لان لى أرضا واسعة ومراعى شاسعة وقد حميتها بهمتى ولا أحد يقربها من هيبتى ولا ينزل فيها أحد بغير ارادتى وأشتهى من أحسانك وفضلك وأمتنانك أن ترحل وتنزل فيها من بعد ما أشهد على أهل عشيرتى انها لك وإنى نزلت عنها لك وانك اخذتها بسيفك وملكها لما اسرتنى فديت نفسى بها وهذا كله ياحامية عبس رفعة لجاهك وعلو القدر لأنى لو سالتك المسير معى قبل قتالك كنت تأبى ذلك ولا ترضى لنفسك ان تكون تزيل احدا لا بيض ولا اسود والان ما اخذتها إلا بستفك والسنان ياسيد جميع الفرسان وان لم ترحل معى من هذه الارض والمقاطع الخراب والا لآكل لك طعاما وحق رب الأرباب قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب استحى من فرسان الأعراب وقال ياعم لقد اقسمت على بقسم عظيم حتى تريدان تكلفنى أمرا جسيم من وجوه شتى الأول انى ما كان فى نيتى قرب بنى عبس والثانى اخاف من قومك إذا هم راونى يتذكرون الدم القديم ويسير بيننا الحرب ويصير الأمر صعب فقال عامر ما هذا المقال ومن فى قومى يخالفنى فى حال من الأحوال او يجرد فى وجهى سيفا او نصال وانا ما بقى لى عن مفارقتك اصطبار فدع عنك الاحتجاج وارحل من هذه البرارى والفجاج وما زال معه حتى انعم واجاب بعد ما شاور من معه من الاصحاب فقال له ابوه شداد والله ياولدى هذا الامير ما يفرط فيه سيد قبيلته وفارس عشيرته وان كنت تخشى معيرة بنى عبس انك عدت طالب قربهم لحجتك فى هذه واضحة لانك سرت إلى ارض ملكتها بسيفك واخذتها قدية اسيرك وصاحبها رضى ان يكون نزيلك وباقى بنى عبس فقد سل فيهم قال ثم انهم عادوا إلى الخيام وقد راح الطعام وراق المدام فاكلوا مع بنى عامر وشربوا واكرم عنتر عامر واجلسه بجانبه وتركه نديمه وصاحبه واعرض عليه امواله وساله

قبولها وأن تكون من بعض هداياه ومواهبه فقال لا وحق المتعال ما قبلت من هداياك عقال ولا نوقا ولا جمال لاننا جميعا سائرون وفى أرض واحدة نازلون وأموالنا ببعضها تختلط ولم يبق بيننا غلط وأنا أخترتك عن أهلى وعشيرتى وحكمتك فى أموالى ومهجتى قال ولم يزلوا على مثل ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصبح وركبوا جميعا وساروا طالبين أهلهم هذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشأن وأما ما كان من بنى عامر فان الخبر وصل اليهم أن عنتر أسر حاميتهم فقامت عليهم القيامة ووصل الخبر إن كنشة أم عامر فنالها من ذلك عظيم وفزعت على ولدها من القتل والهوان وعلمت أن عنتر ما يبقى عليه مثل ما فعل سابقا فى غيره من الفرسان فاقلبت لابن اختها غشيم بن مالك وشكت أمرها اليه فقال لها طيبى نفسا ولا يأخذك من هذا الأمر خوف ولا فزع ومن هو هذا الأسود الزنيم حتى يتجرأ على أمراء العرب وها أنا الساعة أرسل اليه فان لم يطلقه فانا أعلم أن الفتنة تقع بينى وبين بنى عبس ولا أخلى منهم لا فطيم ولا رضيع واعرفه أن حاميه قبيلتنا عامر بن الطفيل كان قد غزا أرض اليمن فى جماعة من الفرسان فوقع به عبد شداد فى الليل كاثره بالرجال والخيل وأخذه أسيرا ونبدى عذرنا عنده على كل حال وارسل إلى قيس قبل كل شىء بهذا المقال فاذا انفذ إلى عبده وخلص حامتنا من يده فقد استرحنا من القتال والحرب ثم طيب قلبها وصرفها وأقام يوما وليلة وكل ما هم أن يسير إلى قيس فتعز عليه نفسه ويابى المذلة والهوان ورضى بالتعلل والمحال حتى وصل عامر وعنتر وعلم بنو عامر بصحة الخبر فركبوا إلى لقائه وبشروا أمه بسلامته هذا وعامر قد أنفذ الخيل التى كانت بصحبته وأمرهم يحكموا عنتر فى الأرض طولا وعرضا وذهب إلى بنى عمه وعشيرته ليشرح لهم قصته فقال له ابن خالته يا عامر نحن كنا سائرين اليك لان المنهزمين أخبرونا أن عبد بنى عبس قد أسرك ونراك عدت سالما وقد حضر معك فقال عامر يا غشيم إن كان عنتر عندك عبدا فهو لى مولى لانه ملكنى مرتين اعتقنى وقد وهبته أموالى وأرضى وجعلته من الدنيا حظى ثم حدثه بما جرى له من الأمور والأحوال ووصف له مكارم عنتر البطل الريال وقال من كان يجبنى من عبد ومن حر فلا يرجع له قلب ولا يضيق له صدر قال ولما انتهى إلى آخر حديثه ومقاله تعجب جميع رجاله وأبطاله وعشيرته من حسن وفائه ومودته وأما ملاعب الأسنة فانه قال وقد آلم قلبه هذا المقال ويلك يا عامر ما هذه الفعال أترضى لنفسك أن تقول فرسان العرب الأجواد

حامية بنى عامر أسره عنتر بن شداد وماقدر قومه على خلاصه حتى بذلوا فيه أرضهم ومراعيهم وماقدروا على ملاقاته فقال عامر نعم وإن كان عنتر قد اسرنى فقد أسر من هو أعلى منى قدرا وشانا وارفع مكان وأذل فى هذه المرة ملوك اليمن وأبطالها وان أدعيت أنى ألاقيه فى الحرب كاذبا والكذب أكبر عيب فى الإنسان وقد رأيت من كرم نفسه وطيب أصله وشجاعته مارأيت مثله من بشر مع مارأيت أنت من شجاعتى التى لاتحتاج معها إلى خبر وان كنت تقول له نسب فان نسبه حسن فعله وأدبه وأنا قد راضيته لى معينا وصاحبنا فى الشدائد والنوائب ياقوم ماهو الذى قال فى حقه مالك بن عوائب حيث يقول

يروعك فى الميدان منه المضرب ... همام شجاع فى الحروب مجرب
وماشرف عبسا ولاعطفان غيره ... وكان له بين القبايل منصب
وماغلبت عبسا لقرسان عصرها ... إلا لان تدعى إليه وتنسب
شجاع فلولا جـــده وجلاده ... وصولته فى المجد ما كان يرهب
بنى لنـا دار الشجاعة منزلا ... عليه راوق العز وهو المطنب
وإن مقالى لهو صدق ولم أزال ... على هذه الاحوال لا أتكذب

قال ومازال عامر يصف لقومه ماابصر فى عنتر من المناقب حتى اجابوه وسارا جميعا إلى عنتر وخدموه وعرضوا أموالهم بين يديه وأثنوا عليه وفضلوه وفى قبولها سالوه فقا والله ياوجوه العرب أن عامر أغنانى عن كل قاص ودان لانـــه زآنى شريدا طريدا فاكرمنى وسمح بمالايسمح به لسانى قال ولم يزل عنتر يصف عامرا ويشكر مكارمه حتى تحيرت قومه من حسن ادبه وفصاحة لسانه وتعجبوا من عذوبة كلامه وفوه جنانه قال ولما كان من الغد صنع عامر وليمة واحضر فيها سادات بنى عامر ووجوه القبائل والشاعرة كلت الرجال الكرام ودارت عليهم أقداح الطعام قال فلما شربوا وسكروا وطربوا وأخذت بعقولهم الخمر ودار فى كلامهم بينهم قام عامر على الاقدام ووقف بين السادات الكرام واعترف لعنتر بالجميل وكيف أطلقه من الوثاق بعد الغلبه والقهر وأنشد يقول

أبا الفوارس قد أوليتنى نعما ... جزيلة ذكرها فى البدو والحضر
لله در بنى عبس لقد شرفت ... إذا أنت منها محل السمع والبصر
ياقارس الخيل ياحامى الحريم ويا ... مغنى الفقير وياغوثى على الضرر

أمان لما فى الدهر ماجد أسد ... يوم الكريهة يعفو عند مقتدر
فكم حللت حمى قوم على غضب ... أجريت فيه نجيع الدم كالمطر
وكم هزمت شجاعا ومقتدرا ... يوم النزال بحد الصارم الذكر
وكم سمعنا بفعل ذكره حسن ... فى اليوم نظرى قد أغنى عن الخبر
لو يعلمون بنو عمى بفعلك بى ... جازوك بالروح بعد المال والدور
فيا بنى العم أنى قد لقيت فتى ... جلت مناقبه عن سائر البشر
قد شرفت منزل الجوزا مناقبه ... برفعه الشمس فى العلياء والقمر
يا راكبا للعلا فوق السماك ويا ... فخر القائل من عبس إلى مضر
أطلقتنى وعفوت الآن مقتدرا ... لاندرك الشمس فى الافلاك بالبصر

فعند ذلك طربت الفرسان وشكره عنتر واثنى عليه وخلع على ساير أصحابه وعليه وما خرج أحد من الوليمة إلا عليه خلعة عظيمة ودامت الأفراح وقضوا أياما كالاعياد وكانت كبشة أم عامر وافرة الدهن ضاحكة السن فسلبت عقل عبلة وسيكة ونسوان بنى قراد وخلعت عليهم الخلع الملاح وصارت أم عامر معهم ليلا ونهارا تخدم عنتر وتمازحه لأجل عفته عن ولدها وعنتر يكرمها وأما ما كان من بنى عبس فانهم سمعوا بعنتر فى بنى عامر فقال الملك قيس إن بنى عامر ما أنزلوا عنتر فى أرضهم إلى نكاية لنا لعلمهم اننا طردناه وهذا كله بغض لنا فقال الربيع هو وقع على حريمهم وبكى بين أيديهم بأنهم يسترضوك لأنه يا ملك فى هذه المرة نظر الموت بعينيه وأى العرب تحويه وهو الذى نزل عليهم وإذا أتاك كل من فى الدنيا وطلبوا منك أن يرجع فقل لهم أن لا أدخله ديارنا حتى يلبس العباءة على لحمه كما كان ويرعى جمالنا والاغنام حولا كاملا أو نصف عام وبعد ذلك أقبل سؤالكم فيه لان ركوب الخيل هو الذى على نفسه عليه فقال قيس وعلى مثل هذا كنت معولا يا سادات وفى تلك الايام وصل كتاب دريد إلى غشم بن مالك والأخوص بن جعفر وكان فيه يا بنى عامر أنتم أمراء العربان وأنتم أولاد عمنا من قديم الزمان والمراد منكم أن تخبرونا عن بنى عبس وعدنان نزلت على أى القبائل من العربان حتى أركب عليهم وآخذ بثار أخى عبد الله والسلام فقال الأخوص الحمد لله على سلامة ذلك السيد العظيم نحن قد سمعنا يا عبد الخير بقتله هو وأخوه عبد الله ونسأل أن لا يفجعنا فيه وبعد ذلك أن بنى عبس قد انزلهم النعمان فى أرضنا غصبا وإذا ركب دريد عليهم فنكون يا عبد الخير لا لهم ولا عليهم فهذه غرماؤه فى أوضنا وتلك الوهاد فليطلبهم فى أى وقعة

أرادونحن دمانا عندهم طرية وزيما نظرنا دريد وقد أتاهم بالفرسان واحتاج الينا وربما تكون له عونا على القوم اللئام قال وأرسل ذلك العبد بهذه الرسالة وذلك المقال والقيل وسمع بهذا الخبر عامر بن الطفيل فما هان عليه بهذه الاحوال فأعلم عنتر بهذا الاخبار وقال يا أبا الفوارس دريد قصده يركب على قومك ويقلع منهم الآثار فارسل من عندك يخبرهم بهذه الاخبار فقال له عنتر يا أخي عامر إن أردت محبتي معك تدوم على طول المدى لاتذكر لي بني عبس أبدا وسكت الجميع ولم يردوا خطاب ولا أحد أجابه بجواب ولما عادوا إلى الخيام التفت مقرى الوحش إلى الامير عنتر وقال له يا أبا لفوارس هذه الليلة احتاج أخوك عامر الخمر فانفذا إلى تاجر الحلة يشتر منه فلم يجد عنده ولولا ابن خالته ملاعب الاسنة أنفذ له فضلة خمر كانت عنده وقد سار عامر في طلب المدام من وقت تفرقنا للمنام فقال عنتر هذا شيء ما علمته يا أخي إلا في هذه الساعة وإلا لو علمنا كنا سرنا معه وكان أخف لقلبه ولكن أنا الحقه وقت السحر في طلب شراء الخمر ولا أكلفه إلا مايقدر عليه من ذلك الامر فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ثم صبروا إلى وقت السحر وأنفذ عنتر أخاه شيبوب إلى عروة يأمرهم بالركوب في خمسين فارسا همام وأعلم أباه شداد بمامهم معولين عليه من المرام وأوصاه بعبلة ومسيكة وساروا في طريق أرض الشام وعند الصباح لحقهم عروة بن الورد ومعه ابن أخت عنتر الهطال وفي اليوم الرابع نظروا جمالا وخيام ورايات منصوبة في البر والآكام فعلموا أنهم من تجار الخمر وقد أتوا من بلاد الشام فاشترى عنتر كل ما كان معهم بالربح الكثير فشكره على فعله الكبير منهم والصغير وقالوا يا أبا الفوارس لاتعد بعد هذا اليوم تتعب نفسك مع أحد من القوم فنحن نأتي ببضائعنا اليك ولا نبيعها إلا وعليك وكان تجار الخمر إذا أتوا به في زمن الجاهلية بعد أن ينصبوا خيامهم ينصبوا الرايات على بابه مضاربهم فتعلم الفرسان أن التجار أتوا بالخمر فيأتون من البر الاقفر ويشترون ما معهم من الخمر وإذا نزلت الراية عن مضاربهم يعلم العرب أن الخمر فرغ وما كان عنتر في زمانه يجوز لتجار الخمر ويبقى لهم ريبة لانه كان يشترى منهم جميع ما معهم إلا أن عنتر لما اشترى الخمر وقلنا ماله من الامر عاد راجعا حتى قارب أرض بني عامر وهم فرحون بما معهم من الخمر فقال مقرى الوحش يا أخي قد حصل معنا كثير من الخمر ونريد شيئا من النوق لاجل النحر وقد عولت أن أنفذ هذه الاحمال والمهمات إلى أبي شداد في الأبيات

وأسير فى طلب غنيمة تنفقها فى الولائم والدعوات فقال مقرى الوحش افعل ماتشاء وسر بنا إلى ما أردت من الفلا حتى لانكلف صديقنا عامرا أكبر ماكلفناه فعند ذلك أفرد عنتر للخمر عشر فوارس وسيرهم به إلى الحى وسار فى بقية أصحابه طالبا جبال بنى طى وأرض شهلان وصار شيبوب بقصدبهم المنازل العامرة يجدها خاليه من الاهل والسكان فانكر ذلك وحار فى سبب خلو تلك الديار فعلم عنتر منه تلك الاحوال لما رآه يقصد رؤس الروابى والتلال الخراب المتباعدة من الاهل والاصحاب أو تقضى الايام بغير فائدة فقال له شيبوب والله يا ابن الام ماكنت أعهد هذه الارض إلا عامرة بأهلها قبل دخولنا إلى اليمن وأراها اليوم قد تندلت وخابتها صروف الزمن ولا بقى قدامى يا ابن الام إلا قوم يقال لهم بنو هلال وكنت أعهدهم مجملين الحال كثير المال والرجال والصواب انكم تنزلون هاهنا وتقيمون فى انتظارى حتى أشرف عليهم وأعود فان كانت أرضهم مثل هذه الارض مقفرة عولنا على العودة والرواح ولا نفلح فى طلب مالا يصلح إلا بما أريد ولو أن الارض ملئت رجالا وفرسانا صناديد لان رماحنا خارقة وسيوفنا ثم أقاموا فى تلك الارض وكانت كثيرة الغدران واسعة المروج والقيعان مياهها نابعة ووحوشها رائعة وروائحها عاطرة سابغة فاشتغلوا فيها بالصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص ومضى شيبوب فى ذلك البر والطلل يدور لهم على حلة من الحلل وكان قد فارقهم ضجرة النهار فغاد اليهم والشمس قد لبست ثوب الاصفرار قال فلما رأوه تباشر بسرعة عودته وسألوه عن أخباره وقصته فتبسم ضاحكا وقال لاخيه والله يا ابن الام لقد سبقك أخوك إلى ما كنت له طالب وعادبما يريد وعدت أنت خائب فقال له عنتر ومن هو أخى وما هو المقال فقال شيبوب إننى لما سرت إلى أرض بنى هلال فرأيتهم وقد تعلقوا برؤس الجبال ودرت أرضهم فوجدل آثار المعمعة رؤوسا عن الابدان مقطعة ووحوشا فى الجثث رائعة وطيورا على الاجساد مجتمعة وهم فى أسوأ حال ونساؤهم بندبن على الرجال فسألت بعض العبيد عن ذلك الحال فقال لى يا أخى من مدة ثلاثة أيام غارت علينا فوارس مع عامر بن الطفيل لانه كان داثر يثرب الغارات إلا ارضنا فقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبى حريمنا وتركنا كما ترى فقاتله الله سريعا ولا أمهله لانه ترك ديارنا اقفارا واخلاها من السكان والجوار وانى لما سمعت كلامه تعجبت من هذا الاتفاق فقلت له يا ابن الخالة وأنتم كيف وقعتهم فى هذه الديار من بعد سكانها الذين افناهم عامر بن الطفيل بكثرة الغارات وهيج أهلها فى البرارى والفلوات فقال لاننا كنا اذا سمعنا بخبرة

نصعد إلى رؤس الجبال ونحصن فيها الأموال والعيال إلا فى هذه المرة انقطعت عنا اخباره مدة من الزمان وسمعنا أنه قد اشتغل بمصاحبه عنتر بن شداد وعمل الولائم ومواضبه شرب المدام فآمنا ونزلنا إلى الصحرى فجرى علينا ماترى ثم قال شيبوب لأخيه عنتر فى آخر كلامه والله يا أبا الفوارس أن عودتنا أصلح لنا وقد أعلمتكم بالحال وأمرتكم بالارتحال قال فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لشيبوب تعود إلى أضنا بعد النصب والتعب بلا مال وحطام ولا ذمة العرب عرج بنا ولا يأخذك الضجر الرزق كثير تارة يسهل وتارة يتعسر ثم إنهم باتوا بتلك الأرض وهم يتحدثون فى شجاعة عامر بن الطفيل ويتعجبون من فروسيته وكيف أخلى تلك الأرض بهيبته ففرح عنتر بمصادقته ومصاحبته قال وباتوا تلك الليلة مالهم حديث إلا فى الشجعان والأبطال والفرسان وأخذ القوم يثنون على عامر بن الطفيل ويصفوا عظم هجومه على الخيل وخوضاته الحرب فى النهار والليل فقال واحد وحق ذمة الكعبة الغرا وأبى عن هذه الديار وهج فى البرارى والقفار وإلا ما كان لعامر اسم يذكر فى الأقطار فقال عنتر يا ابن العم والله لقد سمعت به ويطوف من شجاعته وقوته وبراعته كيف أنه رحل عن هذه الديار وطلب سكنى البرارى والقفار فقال الملك يا مولاى من عظم تخبره وتكبر لأنه يرى الناس دنه الأرض كلها فى قبضته أن يسكن القفار والسبايب والأوعار وانتزح عن الاهل والديار وقال أنا مالى فى البلاد قرين ولا أحتاج إلى مساعد ولا معين وأنا حسامى أغنانى عن الاصحاب ولا أنتاج إلى قرين من الاندال ولا أسكن إلا البرازى والرمال مثل مايسكن الاسد الربال ولا أخاف من الابطال ولو كان البريسيل على كله رجال وأفيال ثم أن الرجل أنشد وقال :

سكنت قفار البر ثم السباسب ... وقد عفت نفسى عن قرين وصاحب
فلا صاحب لى فى البلاد أريده ... ولا مؤنس إلا حسامى بجانبى
إذا ماعسفت البر انظر وحشه ... واسده ما بين جاء وذاهب
لان جميع الاسد فى القفر تختشى ... مقامى تتعمدوا عنه وقع مضاربى
فكيف بجال الانس فى حمة الوغا ... إذا مرت وجهى عند النجائب
وقد حكم الكهان أنى هماما ... وليث الورى فى شروقها والمغارب
ولا اختشى إلا إذا جاء فارس ... شرين عفيف من بنى آل طالب

قال ولما انتهى الرجل من كلامه وإنشاده شعر عمرو بن ود العامرى قال له عنتر وما

رجعت سمعت له قط من خبر فقال لا وحق البيت والحجر إلا أنى سمعت كلامه من بعض زوار البيت الحرام وبعضهم قال أننا رأيناه فى بعض الأعوام عند الركن والمقام لان الكهان ذكروا أنه فارس دهر وفريد أوانه وعصره أن سلم من فارس يظهر من آل طالب ويكون فارس المشارق والمغارب وقد تشاعده على سعادته الكواكب فقال مقرى الوحش وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتاد ما يقدر أن يقف قدام عنتر بن شداد الطويل النجاد الرفيع العماد الذى على سائر الشجعان وساد على الكرام الأجواد وقهر بالسيف جميع فرسان البلاد فشكره عنتر على ذلك وأثنى عليه وباتوا على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الصباح وركبوا ظهور الجود القداح وساروا فى البر والبطاح يطلبون أموالا ينهبونها ورجالا يقتلونها وقد أخذ بهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم أجمع واليوم الثانى أشرفوا على مرج بزهور فائحة ومياه سائحة وطيور تسبح رب البرية وذلك المرج الموصوف بما ذكر كأنه من مروج الجنة الهيئة وفى وسط روضة بهية بهجة كافورية وتلك الأرض أزهارها لم يسمع ودائر حدودها جبال أربع متعلقة بالسحاب المهمع فسبحان الذى خلق وأبدع فلما نظرها عنتر ها تعجب من حسنها وتحير مما رأى وأبصر معانيها وهى كما قيل فيها

منزل قد صبت به الأنهار ... وتغنت فى دوحة الأطيار
فرخ الوحش به والطيور جميعا ... وكساه من المهيمن الانوار
خير أرض يحل فيها أعنى ... منزلا نعم المزار

(قال الراوى) فامرهم عنتر بالنزل فيه فنزلوا فى ذلك المرج الفاتن وباتوا فيه إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنور ولاح وعلوا على الرحيل والرواح وإذا بغبار قد ثاره وأقبل يحدقون إلى ذلك الغبار وينظرون ما تحته من الاخبار فقال مقرى الوحش أنظر يا أبا الفوارس ما هذا الغبار وما يكون تحته من الاخبار فقال عنتر يا فارس الشام وأى شىء علينا نحن من الغبار والقتام ولو أن من الأرض يكون علينا ثار ما لهم عندى هيبة ولا مقدار فان كانوا أصحابا فيا بشراهم وأن كانوا أعداء فنبناهم ومن كؤس الردى سقيناهم ولو أتهم ملء هذه البيد ثم التفت إلى شيبوب وقال له ما وقوفك أمضى اليهم وخذ لنا خبرهم وبشرهم أن كانوا أعدا بهلاكهم ودمارهم فعندها القى ساقية فى البر الاقفر ساعة وغاب البصر فرأى جيش جرار فيه كل ليث مغوار ويقدمهم فارس هام

مضيق اللثام كانه أسد ضرغام لاتهو له المصائب وخلفه فوارس كانهم الكواكب على خيول مثل السلاهب وغبارهم يحكى الغياهب متقلدين بالصوام ولهم من تحت الغبار عمائم دمادم قال فلما رأى شيبوب إلى ذلك القوم فنادى بعدما تقرب منهم حيتكم اللات والعزى وحصتكم النصر من الهبل الأعلى أخبرونا من تكونوا من الفرسان بين العرب وبمن تعرفون من أصحاب الحسب والنسب فما استتم كلامه حتى ناداه فارس منهم وكشف عن وجهه لثامه وارخى لجواده وقال له يا ابن اللثام مالك بالسؤال عن فرسان الزمان وملوك العصر والأوان أرجع ثكلتك أمك إلى من أرسلك من قومك اللثام وأمرهم أن يتقدموا إلى خدمة فارس البيت الحرام وحامى حوزة الأرباب والأصنام قبل أن يسقيكم كؤس الحمام لأن هذا الفارس الليث الكرام والبطل المغوار ومن تفرع منه وأقاربه البرارى والقفار المعروف بعمرو بن والعامرى والذين معه كلهم أولاد عمه وأقاربه قال الراوى وكان هذا الفارس قد نشأ من صغره وصباه ويقهر من الفوارس جميع من لاقاه وكان سبب عجيب وأمر مطرب غريب تقدم ذكره على الترتيب بعدما نسمع من يصلى على النبى الحبيب ويعلم السامع كيف كان حديث العرب ومنشا الفرسان لأن مثل هذا الفارس لايهمل أمره ولايجب على المؤلف تركه وكيف لايكون فارسا مذكورا بطلا مشهورا وقد بارز الأمام الأدرع والبطل الصميدع الكمى الأنزع أمام بنى طالب والد السبطين على بن أبى طالب وذلك يوم غزوة الخندق وقد شهد له الرسول المحقق لأنه يعلم أن مافى زمانه مثله ولا من عشرين منه وعمر ذلك الملعون مائة وعشرين منه وجرى له مع الأمام ماجرى لما ضربه ضربة بذى الأمام على فخاذ عن ضربته بحسن شجاعته فخرجت مثل الريح الهبوب أو الماء إذا تدفق من ضيق الأنبوب فوقعت فى خيمة من خيم الأنصار وكان فيها رجلان من الصحابة الأخيار فاصابهما الفخذ فقتلهما وكان بينهما أكثر من ثلاثمائة خطوة ولما بارزه الأمام على رضى الله عنه نصر الله عليه الملك العلام ولو عاش عنتر إلى أيامه لصار من جنده وأعوانه وإلا كان أسقاه كاس الحمام وقال ذلك أن هذا الفارس الذى نحن فى ذكره كان يسمى ودين سنان وقد جرى بينه وبين أخوته خصومة وكلام فرحل من قبيلته الأصنام وطاب له هناك المقام وأقام مدة من السنين والاعوام المبغضين وكانت الكهان تبشر الولد كل حين وتوعده بالبنات والبنين تزوج بامرأة من قريش يقال لها حليمه بنت الحارث الخزرجى ولم يكن فى زمانها أحسن منها

فعمل لها عروسا ومهرجان وحضر فيه الخاص والعام وتقدم ودالعامرى إلى الأوثان والأصنام وقدم لهم النذور والحسان وسألهم أن يرزقة الملك العلام بولد يكون بطلا همام ودخل بزوجته وأوقعها فحملت من ليلتها ففرح بذلك فرحا شـــديدا وأخذها فى بعض الليالى إلى البيت الحرام وطاف بها سبعا وقد أستقبل الأصنام وقال يارباه أنى أشهدت هذه الأوثان وإن وضعت زوجى ذكرا كان هبة منى اليك ثم أنه شذ على ذلك وقوى يقينه إلى أن أتاها المخاض فولدت ولدكانه الأسد مفتول الذراعين الشجاعة لائحه بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فلما رآه بهذه الصفة فرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وسماه عمرا وعمل له وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وتكرم وبذل الأموال والنعم وخلع على الأصنام وكسى الأرامل والأيتام وعم الناس بالاحسان وعكف على تربيته إلى أن كبر ومشى ومرت عليه الليالى والأيام واجتهد أبوه فى تأديبه وفرسيته فاكتسب الشجاعة والبراعة حتى قهر جميع الشجعان والفرسان واستطال على جميع العربان المخالفين لطاعته وسماه فارس الجبل وكان مثل قطعة من الجبل ومات أبوه وأخذ مرتبته وسار بسيرته وكان أكثر غاراته إلى بلاد اليمن وكان موصوفا بحسن الأخلاق وبلغ من الشجاعة كثيرا ولا فى غزواته الأقران وقهر عددا من الشجعان وكلما بلغته أخبار عنتر بن شداد يقول لفرسانه يابنى الأعمام هذا رجل مسعود لا يقاتله أحد إلا يموت مكمود ومن يقدر يمع الأمن العميم إن أسعد الرب القديم عبد الزنيم والوجة الثانى أن يقاتل عن البيت الحرام ويحامى عن الأصنام وأول اجتماعه بعنتر فى هذا المكان وكان أنفذه الشيخ عبد المطلب إلى الملك النعمان فى طلب حقوق البيت الحرام واستخلاص اموال الأرامل والأيتام وكان عليه رسم فى كل عام على وجهة الهدية والاحترام وسار عبد المطلب بن هاشم فى مائتين من الفرسان البواسل من بنى عمه الكرام وفرسان البيت الحرام فلما أن انقضى أمره وأخذ من الملك النعمان رسمه أقبل على الفرسان الذين معه من بنى عبد المطلب وقال امضوا أنتم بهذه الأموال فى البر والسبسب إلى البيت الحرام وأسبقونى بها إلى زمزم والمقام وأنا أسير بهؤلاء المائة فارس الذين هم من قومى وبنى عمى عسى أن تلقى غنيمة نكسبها أو قبيلة عاصيه ننهبها فودع بعضهم بعضا وأخذوا الأموال وافترقوا من تلك الأرض وسار كل منهم فى طريقه وعرج عن الطريق والآكام وقصد جهة أرض الشام فى طلب الكسب والحطام وقطع فى البرارى أيام فامر على طائفة إلا ونهبها ولا حلة إلا وكسبها حتى اكتسب

أمورا عظيمه لها قدر وقيمة وكان له عبد يقال له أبو الخير وكان يقاله فى الشجاعة والبراعة وكان أحيل من شيبوب وأمكر وأخبث وأشطر فامره عمرو أن يحفظ الاموال والنوق والجمال وأفرد معه جماعة من الأقيال وأمرهم أن يسيروا بها إلى الاطلال وسار هو فى البر والمهاد إلى أن التقى بعنتر بن شداد ونظر غباره هو ومن معه الأجواد وأنفذ عنتر شيبوبا يكشف له الخبر كما ذكرنا وخرج له ذلك الفارس كما قدمنا وخاطبه بذلك الخطاب ورد عليه الجواب قال سمع شيبوب من الفارس ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام فرماه بسهم فى فاه خرج يلمع من قفاه فوقع من ظهر فرشه وقد انقطع من نفسه فلما رأت أصحابه إلى لاحد به من شيبوب تصيحوا عليه ومالوا جميعهم اليه وطردوا خلفه مثل الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب فعاد شيبوب أسرع من الريح الهبوب فاندهلوا منه وقالوا إن هذا الشيطان من البادية فلم تكن إلا ساعة حتى عاد وخلفه فارس كانه طود وهو ينادى أنا عنتر أتركوا الاظعان وإلا حل بكم الذل والخبال وان كان فيكم أبطال فدونكم الحرب والقتال والنزال قال فلما سمع عمرو بن ودصياح عنتر وكلامه ورأى هجمه وأقدامه نادى بعلو صوته يا للعرب هذا الفارس المنتخب الذى سمعت به وبخبره وكنت منتظر النظر وثم أمر قومه بالانعزال عن الحرب والقتال وقال لهم قفوا يا رجال ودعونى أجرب روحى هذا البطل الذى قد امتلأت الدنيا بذاره ثم أنه صاح وقال مهلا يا أبا الفوارس لاتغتر بالزمان فان للبغى مرارة وأنه مصرع للرجال الغدارة فلما سمع عنتر كلامه ورأى قلة اقتخاره وسرعة جوابه علم أنه فارس همام وليث قمقام فتبسم عنتر عند ذلك الكلام وقال أيها الفارس المعتر بنفسه أى بغى رأيت منى وأى عجب صدر حدثت به عنى وأنا المنصف على نفسى ولا أعجل على أبناء جنسى فدونك والميدان والضرب والطعن ومقام الفرسان وأظهر ما عندك من الشجاعه والحمية وبادر فى طلب الفداء إن كان لك نخوة واعلم أن الفرسان تتفاصل فى الحرب لاتتقابل ثم أن عنتر التفت إلى مقرى الوحش وأصحابه وقال لهم على رسلكم دعونى أنا وهذا الفارس فانه ليث عابس وبطل مداعس وشد على ظهر جواده الأبجر من بعد ما حل له حزامه وتفقد له لجامه وغاص فى عدته واستوى على ظهره وفعل عمرو كفاله وأدخى لجواده عنانه وصرح عنتر فى جواده وقال له انتبه نومك يا أبجر فما أقول أنك لاقيت مثل هذا الفارس التى شجاعته لاتنكر ثم صال وجال وأنشد وقال .

شربت القنا من قبل أن يشترى القنا ... ونلت المنى من كل أشرش عابس
فلا كل من يشرى القنا يطعن العدا ... ولا تحتوى كل الفوارس فارس
وقلت لمهـــرى والقنا يفرع القنا ... تنبه ياذا المهر إلى إن كنت ناعس
فجاوبنى مهرى الكريم وقال لى ... أنا من جياد الخيل كن أنت فارس
فقلت لمهرى أيها المهر أنت أبى ... خبير كما أنك جوادى مؤانس
ورمحى إذا ما اهتز فى يوم معرك ... تخر أســـد الدحال الفناعس
وما هابنى ياعبـــلة فيك مهابة ... ومارعانى يرم الطعان الفوارس
أنا الفارس المرهوب فى حومة الوغا ... بسيفى ورمحى آخذ بالمنافس
ولالك عنـدى فى الحرب مهابة ... وسوف أخلى رأسك اليوم ناكس
وإن لم تكن ياعمرو رب حمية ... فانت من القوم اللئام الأراجس
وسوف أدعوك اليوم ملق معفر ... بوجه الثرى كبوا برغم المعاطس
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... فريد وحيد فى غير ناكس
وسعدى علا فوق السماكين ورفعة ... وشق جميع الأفق للجو قابس
فعالى كضوء الصبح نورا ورفعة ... ولونى يحاكى ليـــل الحنادس

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام وسمع الشعر والنظام صار الضياء فى عينيه ظلام لأنه ما كان يظن أن أحدا يخاطبه بمثل هذا الكلام وأنه أشجع من جميع الأنام إلا أنه نظر عنتر نظر مر له معقول ثم أجابه على شعرة ويقول .

إذا قلت فى دعراك أنك قاتلى ... وأنك ياعبـــد اللئام مجالس
قد حرت القنا قبـــل كل من ... شراها وأتت المبتدى بالمنافس
فانى صحبت السيف من قبل آدم ... وكان ضجيعى قبل خالق الأبالس
ورمحى إذا ماأهتز فى وسط راحتى ... تخر له أسد الشرا والدواعس
وسوف ترانى همام غضنفر ... يهزم فى الوغا كل الفوارس
فان كانت الأصنام حقا تعيننى ... عليك فانت اليوم واهى المطالس
وأن قلت فى ذا اليوم أنك هالكى ... كذبت وهذا قول زور هاجس
لان جميـــع الخلق من كل كاهن ... حكيم عليم بالامور النفائس
يقولون أنى سوف أبلغ منتهى ... سنين عديدات أبيد الفوارس
وأبقى إلى أن يظهر المطهر أحمد ... واصحابه الأخيار زين المجالس

هناك يكون المنتهى بى لمدتى صحيحا حقيقا لا أقول هاجس
فدونك منى أدرع متغشرم أبيد بسيفى كل ليث شارس
شمس نـــور للأراضى جميعها تضىء وتجلى فى الظلام الحنادس
وأنا ابن ود ليس ينكر موقفى إذا أزدحمت سمر القنا عند التلابس

قال الراوى فلما فرغ عمرو بن ود من شعره نادى لعنتر ويلك أنت تقول أنك أحق منى بالشجاعة وعظم الشأن أو يغرك حديثك أنك قهرت الفرسان وما لقيت لك مقام فى هذا الزمان وأن الأصنام لم تعجز أن تسبب لك من يقهرك فى هذا المقام فوحق الملك العلام أنى ما تركت المسير اليك فى هذه الأيام إلا اختقارا بك وبامثالك لانك هجين ودنىء فى النسب ومو كوس العرض بين العرب وقد اخبرنى الكهان أنى أقاتل السادات والاصفياء فكبرت نفسى أن أقاتل أبناء الاماء ولا خطر قتالك لى على بال ولا قلت أن حالى يرجع معك إلى هذه الاحوال لانك ما أنت من أشكالى ولا تعد من أبطالى قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهة ظلام وقال له يا عمرو وحق من خلق من كل نطفة أنسان وجعل هذه الصور تنطق بكل لسان ما أحد من هذا الزمان يخطر لى على بال فدع عنك الهذيان والمقال ثم أن عنتر صال وجال وأنشد وقال

يا ابن ود العامرى الخائب دونك حربى والتقى مضاربى
السيف أدنى نصرة من صاحبى ومن بنى وكل أقاربى
دونك حربى أننى الصميدع لا أختشى فى الحرب ذات محارب
أعطانى الرب المهيمن قـــوه القى بها الاعجام والاعارب
سعدى قرينى أينما سرت سار لى وان اقم فهو لى مصاحب
وإن هممت بالمسير لم اكن إلا كنجم فى السماء ثاقب
والارض ملكى والملوك فى يدى وكل مافى الارض جمع كتائبى
نجمى على السبع الطباق صاعد حتى علا نجمى على الكواكب
فان كنت حقا ابن ود فارسا فابرز لتلقى منى العجائب

قال الراوى فاجابه عمرو على شعره يقول

يادهركم تهدى لنا من عجائب وأحوالنا بين مخط وصائب
وجيدت لى عبدا لئيما فاجرا لا يبصرون لعاذل وعاتب
قد قالت الكهان انى لم امت حتى ارى ليث الحروب الغالب

وقاهر الأبطال فى يوم الوغا ... وفى الحروب مظهر العجائب
الطيب الأصل الرفع قـــدره ... مؤيد من خير قوم طالب
وما أرى الا لئيما أسودا ... مشوه الخلقة نـــدل كاذب
أن صح هذا منه حقا أننى ... أبقيه لنا طول الزمان مصاحب
وأهجر أهل العلم جمعا دائما ... وأتبـــع الكهان بالنـــوائب

قال الراوى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبة والتقى منه الضرب بالقواضب وأبدى كل منهما العجائب وهدر كل منهما كالاسد الهدار والبحر الزخار وعلم عمرو أن عنتر بطل مغوار وفارس جبار فصرخ فى وجهة صرخة الغضب حتى اهتزت لها الاقطار ونفرت منها الجن والعفار هذا وقد زعقا زعقات متواليات كادت أن تزول منها الجبال الراسيات ونتابعت اليهما الصرخات والعيطات إلى أن بقيت القلوب مرتاعة وكانا بطلين عند الشجاعة ظن الحاضرون أن السماء انشقت والمواعيد حقت وأن الأرض تزلزلت والجبال تدكدكت إلا أنهما بعد الانطباق أخذا فى الانفساح كانهما كباش للنطاح أو كانهما بحران فاض كل منهما على الآخر وساح وكان لهما ساعـــة تقشعر منها الجلود ويلين

من حرها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود لانهما تصادما تصادم الماء في أيام الزيادة وكل من نظر لقتالهم ظن أنه طار فؤاده وما لاعن ظهور الخيل من فوق السروج حتى تعلمت منهما الأبطال حقيقة الدخول والخروج ولم يزالا في طعن وضرب هما تارة في الميمنة وتارة في الميسرة وهما كانهما النيران المسعرة وهما في كر وفر وصدور وهزل وجد وبعد وقرب وكان كلما فتح باب اسده الآخر بحسن صنعته التي يختبرها لان كل واحد منهما كان وجهة ترسه وصارمة قلبه وكانا الاثنان أسدان ضاريان لا يفعل الواحد عن صاحبه طرفة عين حتى آيست منهما الطائفتان وأنكسر منهما الرمحان وأشرفا على ذهاب الروحين وأقاما على تلك الأخطار من الصبح إلى آخر النهار وذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وسقطا على وجه الأرض بعد العراك والفرسان ينظرون بالأحداق وخشيت عليهما الطوائف من اهلاك وأضرمت في قلوب أصحاب عمرو النار وقد تقدموا لينظروا ما يجري مع هذا البطل الجبار وقد نوى كل واحد منهما إن أصابه شيء عول على الفرار والتشتيت في الأقطار وكذلك فعل أصحاب عنتر مثل فعلهم ومقرى الوحش في أوائلهم وهو يقول أن حل أصحاب هذا الفارس على عنتر حملنا نحن عليهم ونفرقهم في هذا الليل الدامس ٭ وكان عمرو بن ودقد كل ومل وعنتر حين أبصر منه التقصير تر جلا عن ظهور الخيل وعرفا أنه قل منهما القوى والحيل فاستطال عليه عنتر فلما تحقق خصمه منه ذلك الأمر قال له ما قولك في الانفصال والرواح إلى أن يصبح الصباح ونعود إلى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق مسير الرياح وفالق الاصباح ما بقى لنا بن راح إلا أن ذهبت الارواح ولا لنا غنى عن ضرب الصفاح لاني أدهم والليل أدهم رجوادي أدهم ثم وثب عليه مثل الاسد الضيغم فلما سمع عمرو كلامه بهت وتحير وحصل له الغيظ والضرر وأشتد حرقة وزاد غيظه وحنقة وخطف سيفه وركب على ظهر جوادة الغمام وقام وخق ذمة العرب الكرام لاسقينك كؤس الحمام في حنادس الظلام أتظن أني أفر من الحرب أو أمل من الطعن والضرب لاسيما وقد حكى لي الكهان ما على هوت في هذه الازمان ولا أخاف من هذا الاوان لاني أعيش إلى ان يظهر المبعوث من عدنان ومعه فارس الزمان وسيد الشجعان وألتقيه في حومة الميدان ٭ وكان عمرو بن ود العامري اخبر الخلق بضرب الحسام وقد استطال به سائر على الأنام ولا خلق قبل سيدنا محمد أحد في طعنته ولا قاومه في الجلاد إلا عنتر بن شداد الذي أخمد ذكره وعليه

(تم الجزء التاسع عشر ويليه العشرون)

الجزء العشرون

من سيرة عنتر بن شداد

ساد ولا ترك ذكرا ولا حديثا يشتهر لأن عنتر كان أكثر حربا وأقدر وقاتل كل جبار غشمشم من العرب والعجم ومارس الطوائف والأمم وكان كثير الاسفار فى الأقطار وكان يحب السبق إلى كل مكان وأحوجه حب عبلة للملاقاة الفرسان وكان يسمع بذكر عمرو على مر الأيام ويراقبه لأجل محاماته على البيت الحرام ولولا ذلك ما رماه القضاء والقدر إلى ذلك المرج الأخضر وما عمرو ويطلب للقتال مع عنتر وإنما كانت الكهان تبشره بقتال فارس عدنان فكان يوفر روحه على مر الأزمان وتكبر عليه نفسه عن ان يقاتل أحد من الفرسان وكان يطلب الغلى وتصغر عنده الفرسان إلا انه لما خطف الدرقة كان أقبل الظلام وقد خطف عنتر من عمرو والآخر سيفه الهنداوى وحمل عليه كانه الأسد الغضبان فالتقاء الأخرة فى حومة الميدان وتدانيا من بعضهما الاثنان فتضاربا بالسيوف واخذ الناس عليهما القلق ولم يزالوا فى كر وفر إلى ان صبح الصباح وطلع الضوء ولاح وبنوره قد اشرق وانهزمت عساكر الدجا والغسق وما بقى وما بقى فى أيديهما غير مقابض الدرق فاخذا فى المقابضة بقوة السواعد وقاسيا الأهوال والشدائد واعتركا واشتبكا والتزما واصطدما حتى طلعت عليهما الشمس وهما فى صدام والزام حتى جثيا على الركب واضربهما التعب وايقن الاثنان بالعطب ولم يبق فى الطائفتين احد إلا وبهت منهما وتعجب هذا وعمر قد تحير من فروسية عنتر واخذه التعب والضجر وتعجب من صبره على الاهوال وجلده على الحرب والقتال والطعان والنزال ورآه فحلا ذكر لا يمل ولا يسجر وابصر نفسه معه فى مقام الخطر فخاف انه بعد الربح يخسر فصاح بابا الفوارس تمهل واصبر فى هذا المقام المنكر فانت فى زمانك اوحد البدو ثم الحضر ولا تطمع نفسك انك ترمينى قتيلا وعلى الثرى جديلا فما لى ولا لك فى هذا الزمان عديل إلا انى الفارس القليل وانت الفارس منيل وقد بشرنى الكهان انى اعيش إلى زمن النبى العدنان المبعوث بأشرف الاديان واحارب فارسه المشهر للايمان وقد كفينا بما لقينا من الحرب وتحيرت من افعالنا الشجعان ولا بيننا اخذ ثأر ولا كشف عار ولا زاحمتك على عبلة

فى قلبك منى دبلة وانا مقر لك بالفروسية والشجاعه والحمية وغرضى أن أتخذك صاحباورفيقا وركنا وثيقاعند نوائب الزمان وطوارق الحدثان لانك أوحد الزمان وقديكفيك قولى بين هذه الفرسان ماعدت أركب حصان ولا أضرب بحسام مادمت أنت فى العصر والأوان الى أن يظهر النبي العدنان الذى دينه ينسخ الاديان ويكسر الاصنام وانظر ماقالته الحكماء والكهان ورأيت منك مالا أراه من الخلق قال فما صدق عنتر أن يسمع هذا المقال لانه أراد أن يطلب منه الإقامة فقال له عنتر وحق ذمة العرب أنا الذى أسرفت منك على العطب ثم أنهما تعانقا وتحالفا وأقسما أنهما لا يخون بعضهما بعض والتأم شملها وباتا فى تلك الأرض ومازالا فى حديث ومزاح إلى أن أصبح الصباح بنوره ولاح فعزم على الرحيل والرواح وودع كل واحد صاحبه وزالت من قلوبهما الأحقاد شداد عمرو بن العامرى وهو يمدح عنتر بن شداد وهو ينشد ويقول هذه الابيات .

لقيت الهمام الأسود اللون فى الوغا ... رأيت هماما بين أسد ضراغم
فلاقيت منه كل صعب وأنه ... شديد القوى فى الضرب والحرب قائم
جرى قوى أسود اللون حالك ... كمثل ثناء المسك عند النظائم
كان نقا أسنانه فى سواده ... بيض الضياء فى حالك النقع قاتم
ولولا سواد المسك ماكان غالبا ... كمثل سواد الرمح بين اللهاذم
ولكنه عبد سعيد وقد غدا ... بأفعاله كسادات قوم أكارم
ومن كان ذا ولا فضل عنده ... ولا خير عده كبعض البهائم
هنيئا لمن كان الزمان مساعد ... له فى الموالى بين أولاد آدم
ولما اصطحبنا فرق الدهر بيننا ... ومازال حكم الدهر ضربة لازم

قال ولم يزالوا سائرين فى الآكام إلى أن أصلوا إلى البيت الحرام أما عنتر بن شداد فانه فرح بما جرى له من الإيراد مع عارو بن ود العامرى من الوداد فسار وهو يصف لقومه شجاعته ويقول يا بنى عمى مارأيت قط أشجع من عمرو بن ود العامرى وقد فرحت بمصادقته وكفينا شره وشر قوته ثم أنهم ساروا وعنتر ينشد ويقول

اقسمت بالفلك العظيم الدائر ... وبما حوى من كل نجم زاهر
واللات والعزى واصنامنا ... وحق خالقنا الاله القادر
لا التقى فى الحرب من أسد الوغا ... ليثا حكى مثل بن ود العامرى

يا عبلة قد كذبوا بما قد بلغوا عنى العداة بقول زور فاجر
ها قد أتيتك سالما فاستبشرى وأملى قلوب الأصدقاء ببشائر
وقلوب أعداك اللئام ضغائنا حتى تفيض بدمعها المتحادر
من بعدما لاقيت عمرا فى الوغى وسلمت منه وهو ليث كاسر
عمرو بن ود المرتجى يوم الوغى للقاء الإمام الأبطحى الفاخر
لا تخشى يا عبلة منى واعلمى أنى لأقهر كل ليث قاهر
وأنا ابن شداد الذى قد شاع لى طيب الثنا بتورد وتفاخر
ما زلت للحرب العوان أخوضها وأزور منها كل بحر زاخر
ولقد نصرت على الليالى والعدا بعزائمى وبحـــد سيفى الباتر
وبرمحى العسال فى يوم الوغا وبأبجرى يوم الغبار الثائر
من رمح العسال أفضح ناظم وحسامى الهندى أبلغ باتر
لا يفتخر غيرى بفضل فى الورى وأنا الحقيقى بكل فاخر
وعفوت عن بعض العدا فى القدرة ليرون كيف يكون عفو القادر
ما زلت فى كل الأمور مسددا انهى وآمر كل ليث آمر

(قال الراوى) فصاروا يطلبون أموالا لينهبوها ورجالا يقتلوها وأخذهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم والليلة إلى ثانى يوم إلى أن تضحى النهار وإذا قد أشرف عليهم أعرابى يهم من بين تلك التلال والروابى وهو يعسف فى تلك الصحراء على ناقة حمراء وقد انطوت من كثرة السير فبادر إليه شيبوب حتى قاربه وتأمله وإذا هو من بنى عامر يقال له الخطيئة الشاعر قال وكان هذا الرجل من شعراء العرب وفصحائهم المذكورة ومن أصحاب الدواوين المشهورة فلما عرفه شيبوب سأله عن حاله وقال له من أنت يا وجه بنى عامر وإلى أين أنت سائر فقال له دعنى يا فتى من السؤال وهنئنى بالسلامة والعودة إلى الأهل والعيال فانى قد خلصت من قبضة الأسد وعانيت الموت الأسود ثم أنه تأمل شيبوبا وأطال إليه النظر وقال له يا مولد العرب أنت شيبوب أخو عنتر فقال نعم يا وجوه العرب فقال له هل هو حاضر معك فى هذا المكان فقال له ما الذى تريد منه يا ابن الكرام قال كى أخبره بالذى جرى على أخيه عامر بن الطفيل من الأسر والويل وكيف وقع فى قبضة زيد الخيل ثم أسرع فى السير حتى قارب عنتر وترجل عن الناقة أسرع من لمح البصر وبكى حتى فاض دمعه وانحدر وقال له يا أبا الفوارس أدرك أخاك عسى أن تخلصه من قبضة الهلاك وقع فى يد الأسد الفتاك

والبطل الهتاك الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثانى ولا يرى له مقام ولا مدانى وهو زيد الخيل بن المهلهل النبهانى ثم زاد فى بكاه وتتابعت دموعه على وجنته من شدة جواه واشار إلى عنتر يقول

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر ... وضارب الهام بالهندية البتر
لولاك ما أمنت عبس ولا برحت ... من خوف أعدائها إلا على حذر
يامن إذا قلت هذا القول تشهد لى ... كل البرية أنى من أصدق البشر
بادر أخاك فقد أضحى على خطر ... مع فارس قلبه قد من حجر
ليث إذا سل فى الهيجاء صارمه ... سال القضا على حديه بالقدر
سطا علينا بعزم من شجاعته ... همام له عزم كالصارم الذكر
وساقنا بعد ما أفنى فوارسنا ... بالطعن تحت غبار القطل الكدر
والشعر خلصنى من اسره ويه ... نجوت من شرك الآفات والقدر
شرحت حالى له لما تملكنى ... فرق لى وعفا لى عفو مقتدر
وقلت لى حرم فى مضرب خلق ... يسحبن للفقر أذيالا من الحقر
والشعر قد كسدت أسواقه وغدا ... مضيعا فى البدو والحضر
ولا بقى أحد ترجى مكارمه ... ولا يرق لمن يشكو من الضرر

(قال) فقال عنتر يا وجه العرب ما أمرك لنا أكشفه زما حديث عامر ابن الطفيل فبينه لى على الحقيقة حتى أعرفه فقال الخطيئة الشاعر اسمع ما جرى لأخيك عامر بن الطايل مع الأمير زيد الخيل ثم انه قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وكشف له باطنها وظاهرها حتى كان كأنه حاضرها قال وكان السبب فى ذلك أن عامرا طلب عنتر بعد رواحه إلى طلب الخمر فما وجده الشام ليشترى منهم ما يكون من المدام فلما علم عامرا أنه سار فى هذا الوجه علم أنه أراد يحمل عنه الكلف ولما سمع هذا الكلام عاد إلى أبياته وجمع رجاله وندماه ومن بعزلية من أنصارة وأعلمهم بما فعله عنتر واستشارهم فى الغزاة فقالوا له أفعل ما تريد فنحن بين يديك مثل العبيد فان كان عنتر سار فى طلب الخمر فنحن نسير فى طلب النياق فقال عامر هذا الذى كنت أريده منكم يا بنى الاخيار ثم تأهب فى عشرين فارساً كرار وقصد بهم الأرض التى طمع فى أصحابه وفعل بهم تلك الفعال وانجز الأشغال حتى وقع فى بنى هلال وفعل بهم ما ذكرنا من المقال لما عاد اعجب بنفسه وطلب الزيادة وما أراد ان يقيم فى الديار وعنتر غائب عنها فارسل النوق مع عشرة من الفرسان وسار مع العشرة الآخر يقضى الزمان حتى وصل إلى

بنى أسد وكان وصوله اليهم وقت السحر فعدل إلى الغدير وقال لأصحابه الأصوب أننا نقيم فى هذا المكان حتى يتعالى النهار وتسرح النوق والحال وتوسع فى هذا المرج الفياح ونأخذ منها حاجتنا ونعود إلى حلتنا ولما أشرف الغدير وجد عليه جوار من بنى أسد قد خرجن يطلبن الفرحة والبشاط وكان معهن جارية يقال لها هند بنت ذراع وكانت زوجة زيدان الخيل وفى تلك الليلة كان دخوله عليها وخرج حين رأى طلعتها إلا أنها كانت موصوفة بالجمال ولها وجه مثل الهلال (تال) وكان السبب فى دخول على هذه الجارية أنه غار على ديار أغار على ديار أبيها وسارق القبيلة عن آخرها وعاد إلى ديارها فلما أعرض السبى عليه وقعت عينه عليها وتسمى هند من جملة المسبيات فوجدها مثل القمر وأحسن من الشمس وأنور فاخذت منه قلبه وسبت عقله فدنا منها وقال لها يا جارية من أبوك وهل هو سالم من القتل أم لا فكلمته هند بكلام يشفى السقيم وصحكت عند سماع كلام الوخيم وقالت له يا مولاى أن أبى سالم وهو معك من جملة الأسرى يقال له زراع بن عياض ثم أنها اشارت بيدها اليه فاحضره زيد الخيل بين يديه وحل وثاقه وهد روعه رطيب قلبه وأركبه جنيبا من جنائبه وقال له اعلم ياشيخ أننى وقعت عينى على إبنتك بلاقصد ولا اتفاق فوقع حبها فى قلبى وزادنى احتراق وأريد أن تزوجنى بها واطلب من المهر ماشئت والصداق ولا تطلب شيئا تستقله الأبطال فقال له يا مولاى كيف أزوجك بنتى وأنا على هذا الحال من الذل وشغل البال فاذا أردت الجارية أطلقنى أنا وسائر من معى من الأسر ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحساد واخطبها بعد ذلك ولك الخير والسداد * فعند ذلك حل زيد الخيل الرجاء من الجبال وخلع عليهم فى عاجل الحال وذبح الأغنام وروج الطعام وصفت آنية المدام فلما تمكنت الخمرة فى رؤسهم وعابوا فى سكرهم قام ذراع على قدميه وقال اعلموا يا سادات العرب إن هذا الأمير زيد الخيل قد طلب منى بنتى وقد أجبته إلى ماطلب ولكن اشتهى منه أن يعود إلى قومه ويأتى منهم بثلاث أو أربع مشايخ ذوى قدر وشأن يخطبوا منى بنتى بحضرة الفرسان حتى يطيب قلب الجارية ويسر منها الفؤاد حتى لا تقول الفرسان عن ذراع أنه زوج بنته وهى مسبية وأفدى نفسه بها من شرب كاس المنية فقال زيد الخيل السمع والطاعة أنا أفعل هذا فى هذة الساعة وآتيك بمهر يذكر طول الدهر فعاهده على ذلك فزعا من الغدر وعاد إلى الاطلال وأخفى عن قومه الأحوال وعزل الف ناقة من توقه الغوال وأظهر ما كان مدخرا من الجواهر والأموال وقال لكبراء عشيرته يا بنى عمى أنه قد بلغنى حديث هند بنت ذراع وقد وصفها لى بعض الفرسان فحرت فى أمرها حيران وقد عدلت على خطبتها

وأريد منكم المعونة على قضيتها فأجابوه على هذا الحال وساروا معه جماعة من بنى عمه الأفيال وعشرون عبدا تسوق والجمال والخيل الغوال وساروا يجدون السير فى الفلا إلى أن قرب إلى بنى أسد ووصلهم الخبر فخرجوا إلى لقاه وفرحوا عند ملتقاه وقاموا بواجب خدمته وأكرموا مثواه وكذلك من معه من رفقاه عملوا له وليمة عظيمة لها قدر واقمة وأكثر فيها من الطعام وشرب المدام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك خطب زيد الخيل الجارية من أبيها وأثنى على أبيها بالشكر فلما سمع ذراع من زيد الخيل ثناءه عليه لما خطب قد أجابه لما طلب وقبض المهر وضربت خيمة الزفاف وما بقى بينهما حلاف وزفت هند بكمال جمالها والأوصاف ودخل بها وقرت عينه بقربها قال فلما كان وقت السحر خرجت الجارية مع أترابها للتغتسل فوقع بها عامر بن الطفيل بالاتفاق فسباها ومن معها من الرفاق وقال لاصحابه هؤلاء أجود لينا من الجمال والنياق فليأخذ كل واحد منكم واحدة وراءه وأطلبوا بنا السلامة والنجاة فأجابه الفرسان إلى ذلك وأردفوا الجوارى خلفهم وجدوا فى مسيرهم حتى تعالى النهار وانبسطت الشمس فى الاقطار ونظر عامر إلى هند بنت ذراع فرآها أحسن من البدر ليلة أربعة عشر فقال لها وقد بلت برقعها بدمعها يا جارية على من هذا البكاء والنواح فأخبرينى إن كنت ذات بعل أم ذات خدر فقالت أنا ذات بعل وهذه الليلة التى مضت دخلت فيها على بعلى فقال لها ما يقال لبعلك من العرب فقالت له بعلى أشد العربان بأساً وأخرها نسباً الذى ما له فى زمانه من يقاومه ولا يثبت بين يديه إذا سل صارمه وهو المعروف بزيد الخيل وخاتض الليل حامية بنى نبهان وسيد شيوخها والشبان وحاوى قصب الرهان قال فلما سمع عامر كلامها علم أنها ذكرت بطلا موصوف وفارساً معروف وقرما لا يهاب كثرة الالوف إذا هجمت الصفوف لان اسمه قد شاع فى قبائل الحجاز ووصف بالشجاعة والافتراز فلما ثبت عنده معرفة بعلها طيب قلبها ورفق لها وقال يا جارية لا تحملى هم أسرك فما أخذك من يمينك وما تكونين عندى إلا مكرمة حاكمة على كل حرة واجعلك رهناً عندى إلى أن يبعث زيد الخيل فداك وإلا اصطفيتك لنفسى ثم أنهم ساروا حتى تعالى النهار وإذا قد ثار من خلفهم غبار وبان من تحته خيل جرار وهى لبعضها بعض متلاحقة والفرسان على ظهورها صايحه وكان السبب أن زيد الخيل انتظر زوجته عند الصباح ما رآها عادت ولا الذى معها فمضى إلى الغدير فما رآها ومن معها ووجد أثر حوافر الخيل على جانب الغدير فعلم أن الاعداء قد سبوها وفى دون ساعة شاع خبرها ولم يخف أثرها فركبت الفرسان

من كل جانب ومكان وصح عند زيد الخيل زرجته غالبتها صروف الزمان فركب بعض الجنائب ولبس العده التي يحترز بها من المصائب وركض في أقطار البر والسباسب وكان زيد الخيل قد ركب في مائتي فارس فتفرقت أربع فرق إلا أن زيد الخيل ما كان فيها فرجع اليهم عامر وحده بعدما أمر أصحابه أن يسقبوه وينحوا بمن معهم رعاديطلب الخيل أشد الطلب فطلبهم مثل السلهب فهتك صدور الفرسان ومدد الرجال على الصحصحان وظن انه عفريت في صورة إنسان وتركهم يختبطون بدمائهم يمينا وشمال فلما رأى باقيهم هذه الاحوال عادوا متفرقين وإلى باقي الفرق طالبين فلما رأى هزيمتهم من بين يديه فظن أنهم لا يرجعون ولا له يطبو فلحق باصحابه وحدثهم بما فعل وإذا قد ثار من خلفهم الغبار وتقسطل ولمع القتام من يوارق أسنة الرماح الدبل وهرب الوحش من جنبات البر وتجفل وبانت سائر الفرق لما انجلى الغبار وتفرق ولمع حسام للمنايا وبرق ظهر زيد الخيل في أوائل الجيش على حواديسمى الورد صهيله مثل الرعد وعلى جسده درع مانع لم تقطع به شفار السيف القواطع وعلى رأسه خوذة كانها مرجل لمعانها قد اشعل وفي كيفه سيف عريض بتار ورمح ردين خطار * ولما أن رآه عامر قد أقبل وحقق ركبته عرف صورته فقال هذا والله زيد الخيل واليوم يبان الجبان في حومه الميدان وتنظرون ذلك بالعيان ولا بد ما يجرى بيننا حرب يبقى ذكره طول الأبد ما قام قائم وقعد ثم تقدم يطلب الحرب هو وأصحابه بعدما وكلوا بالسبي فارسين وعادوا إلى القتال فسمع زيد الخيل وهو ينشد ويقول

يا من سبي هند جهلا من بني أسد	أما سمعت بزيد الخيل في العدد
تسبي حريمي وكل الأرض تفزعني	والانس تحذر من شرى ومن نكد
بركبني يفتخر الجواد إذا علا	على الخيل يوم الحرب بالمدد
والسيف يشهد أني ما ضربت به	يوم الكريهه إلا لابس الزرد
كلما بات رمحي يشتكي عطشا	سقيته من دم الاضلاع والكبد
حميت قومي بني تيهان مجتهدا	وما تركت لهم كلا على أحد
والطفيل منا إذا عدت فوارسنا	في الحرب تبدوبه في أول العدد
وفي تميم تركت الخيل شاردة	ويوم طي وهذا اليوم في أسد

قال فلما سمع عامر شعر زيد الخيل صح له الخبر ونادى والله يا زيد الخيل قد خاب أملك وأخطأ سهمك وإن كنت كسرت بني طي وتميم فاليوم أسقيك من حسامي كأس الحمام فقال

زيد الخيل يافتى من يقال لك من الأبطال حتى تلفظت بهذا المقال فقال له حامية بنى عامر وغيثها المطر فتبسم زيد الخيل وقال يا عامر والله لقد كنت فى غنى عن مدح نفسك والصواب أنك تتخلى عن هند قبل أن تدور عليك الدوائر قال فبينما يتكلمان بهذا الشأن وإذا بهند تشير إلى بعلها بالبنان والكف والدمع على خدها جار من الطرف وناديته برخيم الكلام مع غاية اللطف فلما سمع زيد الخيل من زوجته ذلك النداء أسودت فى عينيه البيداء وضاقت عليه الدنا وظن أن الأرض قد سقطت عليها السماء فقال لفرسان بنى أسد لا يبرح أحد منكم من مكانه حتى أهد من الشيطان أركانه ثم أنه حمل على عامر بقلب قد تعود على القتال وجنان قد لقى به الشجعان الأبطال وتلقاه عامر كأنه أسد ريبال وكان قد أمر أصحابه بالثياب وطلب من خصمه الانصاف كما تطلب السادات هذا ولما التقى عامر بزيد الخيل وخاض الاثنان فى بحار الويل وعاد النهار كالليل وتعجب من قتالهما الفرسان وكل عن وصف ما جرى بينهما اللسان وخرجا عن حد صو والإنسان وهما كأنهما عفريتان من عفاريت سيدنا سليمان ولم يزالا كذلك نصف النهار وسطا زيد الخيل على على عامر بن الطفيل ومال عليه كل الميل وصاح فيه فتخيل ولاصقة فتململ وحك ركابه ودنا منه ومسك بيد جلباب درعه وجذبه فاقتلعه من سرجه وفى دون ساعة أسر ستة من رفقته وساقهم إلى أصحابه بشدته وعاد بعد ما خلص البنات ورادت هيبته فى قلوب السادات الذين هم من قنى أسد وهنوا أبا هند الذى اتصل بهذا البطل الأمجد لم عادوا يطلبوا الديار وزيد الخيل يدام بنى أسد الاخيار وهو يقول

يا هند قرى ولا تخشى ولا تخفى ... فدونك اليوم ليث غير منحرف
ياهند لو نظر عيناك ما فعلت ... مضاربى فى أعالى البيض والجحف
وقد اسرت هماما طال ما أسرت ... يداه أسد الشرا فى موقف التلف
أسرته وغبار النقع مرتفع ... والطعن أسرع من أنفاس متلهف
ياهند هذى فعالى لا أغيرها ... ولا أحل ضيفى ثقلة الكلف
ياهند كم من غبار خضت ظلمته ... والخيل تمشى على الفتل والجيف
قحمته وهو مثل الليل منعكف ... وعدت وهو صباح غير منعكف
عشقت طعن القنا والخيل جائلة ... فصرت أبلغ محاسن العليا والشريف

قال فلما فرغ زيد الخيل من أبياته تعجبت بنو أسد من فصاحته وقوة شجاعته وعلموا أنه بطل الأوان وفارس الزمان . وكان الخطيئة الشاعر الذى تقدم ذكره من جملة المأسورين

فقال لزيد الخيل ألا يافتى أنت قد أسرتنا وصرنا أسراك أخبرنا إلى أين سائر بنا وما الذى تريدمنا فقال أنا سائر بكم إلى ديار قومى بنى نبهان أشددكم وأعذبكم العذاب المهين فقال الخطيئة الشاعر والله يافتى نحن نستادل مثل هذا وأوفى لأننا سبينا حريمكم وتعدينا عليكم وسبقت منا الأذية إليكم لكن ياوجه العرب لاتظلمنا ولاتطلب منا إلا على قدر أحوالنا فأما فرجل شاعر فقير قليل المال ولى عيال كثير ومن منذ خلقت ماقليت عقلى ولا رأيت غارة ومات علينا ولا رجالا وتقدمت اليها إلا فى هذه المرة لما عدمت الأجواد وخابت المقاصد وأصبح سوق الشعر كاسدفخرجت مع ابن عمى عامر بن الطفيل من شدة الفقر والويل وقلت لعلى أكتسب شيئا أعود به إلى زوجتى مع البنات فوقعت فى هذه البليات وأنا أقسم بمن بسط الأرضين ورفع السموات العالم بما مضى وما هو آت ماخرجت من بيتى وعندى شىء به اقتات فار كنت تقنع منى بشىء من الشعر ولا تقتلنى هاهنا ولا تتعب فى حملى إلى بنى نبهان وتقضى الأيام فى الهذيان لان فرسى أخذتها أنت أهلكتها وسيفى ورمحى وعدتى عارية وأنت قد أخذتها وما أملك الساعة إلا ما على جسدى وهذه الحبال قد أتعبت رجلى ويدى فقال له زيد الخيل المنتسب وحق ذمة العرب ماترى فرجا منى فى يومك إلا كنت تمدحنى وتهجو قومك فقال له يامولاى هذا أمر هين ثم أنشد وقال

وقر الشيب فالمشايب وقار ... واغتنم المدح فالمديح فخار
كن رحيما إذا ملكت فقيرا ... وحليما إذا أعداك جاروا
إحذر صروف الزمان يا زيد ربما لاتجد لديها انتصار
إن صفى يوما وزاق لقوم ... غيرته قبل المسا الأكدار
أعاذك الله من بلاه يازيد ... مدى الدهر ليل أونهار
يافريد الزمان يا فارس العصر ... يا من له العلا والافتخار
لك سيف يقد حادثات الدهر ... فهو فى حده لهيب ونار
وسنان تدب حوله المنايا ... كلما اهتز منه الخطار
وجنان وعزة مثل موج ... كالبحر ماللحود فيه قرار
قد علمنا يا زيد قد جئينا ... ما لجانى القبيح إلا الإعتذار
وما بنو عامر وأنتم سواء ... فهم ليل داج وأنتم نهار
وأنت ليث الثرى ونحن ذئاب ... وقتال الذئب ليث عار

أنت بحر ونحن خليجات منك تروينا إذ جفتنا البحار
فاغنم المدح والثنا من فقير لادرهم معـــه ولا دينار
فارس كلمـــا رأى نار حرب تلظى يقول طاب الفرار
وسيفه الغمد من ظلة لم يزل عليه من الصدم اثلم واصفرار
وإذا نظرن لى حريمات فقر زاد منهم لنحوى الانتظار

قال فلما سمع زيد الخيل شعره ضحك كيف ذم قومه ومدحه وخاف من مذمة الشعراء والمشايخ الكبراء فاطلقه واعطاه الناقة التى تحفه وقال له اذهب إلى قومك وقل لهم يعجلوا فى فدية أصحابهم وإلا ضربت رقابهم أعلم أنى جعلت جائزة قصيدتك إطلاق مهجتك ولولا أنك قيدتنى بحارب لاغنيتك واغنيت من خلفك من الأبطال والأقارب على أننى فى هذا المكان غريب بنفسى ولا أملك غير عدتى وجوادى قال فشكره الخطيئة الشاعر على مقاله واثنى عليه ثم تقدم إلى عامر بن الطفيل ورجاله فقال لهم ما الذى أقوله وما الذى توصونى به إلى أهلكم وما أقول لهم إذا سألونى عن حالكم فقال عامر لا تقول لك يا ابن العم إلا قد كسوتنا عارا لا يمحى أبدا نهجوك لنا ومدحك للاعداء ولكن أنت عذرك واضح الذى فى رأسه عقل يكون لك مسامح لأنك رجل فقير ووقعت مع الأعداء أسير ومالك خلاص إلا بهذا الوجه الحقير فاذهب إلى عنتر واعلمه بما جرى من قصتنا وحدثه بما رأيت من نائبتنا إن سألك قومنا عن حالنا فلا تحدثهم بما جرى لنا حتى لا تشمت بنا أعداؤنا فانى أعلم اليوم أن من عظم أعدائى ويطلب لى المهالك ابن خالتى غشم ابن مالك فقال الخطيئة الشاعر والله مارمانا فى هذا البلاء إلا أنت يا عامر لاننا كنا أول الحال قد ظفرنا بأموال بنى هلال فاقتنعت أنت بذلك بل سرت بنا إلى المصائب والمهالك وعدة بسرعة العودة فسار يقطع البرارى والقفار حتى التقى بعنتر فى ذلك المكان وحدثه بما جرى وكان فلما فرغ من شرح هذه القصة دخل على قلب عنتر غصة وأى غصة فقال لقد كان عامر غنيا عن هذه الفعال لأننا ما فارقناه إلا بغير علمه إلا لنخفف عنه الأثقال ولكن نحمد رب السماء الذى التقيناك هاهنا واسترحنا من التعب والعنا حتى لا يطول على عامر المطال ولا يقيم لى والاسر والاعتقال فعد بنا من هاهنا إلا بنى نبهان حتى أريك ما فعل بزيد الخيل ومن معه من الفرسان واخلص عامرا من قيد قيد الاسر والهوان واطلقه من ذلك الاسد الهدر الذى امتلات بذكره القعير لانى أتمنى لقاه ورؤياه ولكن كثرة من الحرب منعتنى عن نيل المطلوب والآن قد سهل ما تعسر والذى قد طلبته نيسر فلما سمع الخطيئة الشاعر هذا المقال وقع به الانذهال فقال يا مولاى أنت فى أربعين من الفرسان تريد تسير إلى بنى

تيهان وتخلص عامرا من يدذلك الجبار الشيطان الذى قد اسعده الزمان ياوجه العرب ماأنا ممن أشر عليك بهذا السبب ولا أتبعك فى طريق ولاأكن لك برفيق لاننى أرفعت هذه المرة فى أسر زيد الخيل أنزل فى الذل والويل ولايعود يطلقنى من الهوان ولو مدحيه بكل شفه ولسان وإن كان ولابد لك من المسير إليه والقدوم بهذه الفرسان عليه اكمنوا فى أرضه لعلكم أن تصلوا إليه ولا ابقوا كما كنتم هذا المكان واكمنوا فى بعض المكامن حتى أسير إلى بنى عامر وارسل لكم بعض أصحابكم على الخيول الضوامر وإن شئتم الفيت فى فى القبيلة النفير وسيرت اليكم الكبير والصغير على ان عامرا قد اوصانى أن لاأعلم أحد بقصته فنال عنتر ياوجة العرب ماهذا الكلام فوحق الذى ارسى الاعلام ورفع قدر البيب الحرام لامكنك من هذا المعنى ولا بدلك أن تسير معنا باختيارك ليكون طبق المرام ولاكيفنك وآخذنك بغير احترام حتى تنظر قتيلنا وتتفرج على وقع مضارب أسيافنا والك أسوة بنا وأى شىء جرى علينا يجرى عليك مثلنا فقال الشيخ وقد أغتاظ أنا علمت والله أنه نهارى عجيب ولقد كانت سفرتنا مع عامر من ايشم السفرات لاننا عندما نجونا من التلف تصادمنا من يشدمنا الساعد بالكتف وياخذنا على رغم الانف فقال عنتر ياوجه العرب عدمعنا ولاتخف فاننا نسلم نفوسنا حتى تلعب الخيل برؤسنا فما نحزن مثل غيرنا ومن حين انتسبنا مارفقنا جبان ضعيف الجنان فقال الشيخ يامولاى أن كانت هذ النية نيتكم فلا تاخدونى صحبتكم لانى جبان ضعيف الجنان ومذركبت الخيل ماسعرت قتالا ولاناشرت حربا ولانزالا ولاعمرى لاقاتلت ولادعانى أحد إلى براز ولاسئلت ثم قال

وفارس مـــاشله فارس ... يهزمة ضعيف من القمل
إذا جرى فى الجيش اغناهم ... بطرطة فيهم عن الطبل
يضبط أقدامه حـــذرا ... من هوج فيـــه ومن خبل

قال الراوى عندى انكم تمضون إلى حال سبيلكم وتدعونى امضى إلى حال سبيلى واحسبوا انى ماقيتكم ولاقيتمونى فتبسم عنتر اوقال وحق ذمة العرب ماتبرح من هذا المكان إلا أن تسير معنا فى ذلك الامر والشأن ولابد ماأعطيك شيئا من أموال بنى تيهان تكفيك أنت وعيالك طول الزمان ثم أمر شيبوبا فاحضر له فرسا من جنائبة وطيب قلبه ووده بنيل مطالبة فقال يامولاى كونى أريد أن أعود سالما وأعيش فقيرا لى عن الاموال والندمير ثم أنه سار معهم وهو يعلل نفسه بعدى ويقول أنا أعلم أقتل فى هذه السنة واجتر الصباح والمساهذا ماجرى لهؤلاء من الامن والشأن واما ماكان من زيد الخيل فانه بعد اطلاقة

للشيخ سار فى البر والفدفد حتى وصل إلى بنى أسيد وأقام وعندهم يومين وفى اليوم الثالث ودعهم وسار بزوجته حتى وصل إلى ديارهم وأشرف على قومه وعشيرته فوجدهم فى حرب شديد وقتال يشيب منه الأطفال والوليد وأى بنى سليم قد أغارت عليهم خلق كثير وادخلوهم إلى الخيام والمضارب ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم قال فلما تحقق زيد ذلك الحال وعرف الصحيح من الحال صار يهمهم كما يهمهم الأسد الربال ووكل بزوجته والاسرى من كان صحبته من العبيد والرجال فعند ذلك لبس درعه وركب جواده واعتد فى آلة حربه وحمل على بنى سليم حملة الأسد هذا وقد عوفت بنو نهبان صوته فتصايحت وقويت عزيمتهم بعد ما كانت أشرفت على الذهاب وأخذتهم الحمية وأخادوا الطعن والضرب قال وكان زيد قد أشرف عليهم نصف النهار فما شرك المساء بمسى حتى ردبنى سليم وأخرجهم وفرقهم وهم فى عرض البر والفلاة وخاض الأموال والأحرار واجتمع بسادات عشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بذلك وزادت عندهم الأفراح وباتوا على ذلك الايضاح إلى أن أصبح الصباح فنزل زيد الخيل وطلب من بنى سليم الحرب والكفاح وكان مقدم بنى سليم مرادس بن جابر وهو الذى مسكهم إلى اليوم الثانى ووعدهم يقتل زيد الخيل ويرد الغنيمة التى أخذ منهم وما يعود إلى أرضهم حتى يفنيهم ولا يترك منهم انسان وكان حسابه فيه نقصان وعاقبته خسران لان زيد الخيل لما حمل للحرب أستقبل سمع وقع فى مضاربه فى صدور أقوامه فاستدل عليه بحملاته وصياحه وما زال يطلبه حتى وقع به فى الميدان وجرى بينهما ساعة تتعوذ منها الإنس والجان وتزهق منها قلوب الأبطال والفرسان من صعوبتها وشدة أمرها ولهيب جمرها وزاد الأمر حتى اختفلت بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة زيد الخيل فوقع السنان فى صدره خرج يلمع من ظهره وبعده وقع الذل على بنى سليم فقاتلوا إلى قرب المساء وولوا الادبار تحت الظلام وعادت فرسان بنى نهبان بالغنايم والأموال وما فيهم إلا من يدعو الزيد الخيل ويثنى عليه ويصف قتاله وفعاله وكان مهلهل أبو زيد الخيل سيد القبيلة وقدم العشيرة فجدد من الغد عرس ولده وشرع وليمة عظيمة جمع فيها السادات والامراء الكبار والصغار وما بقى منهم الحى أحد إلا وأكل من الوليمة وبات فرحان شيمان ريان وشكروا المهلهل وزيد الخيل على ذلك الشأن فلما كان عند الصباح تبدلت أفراحهم بأتراح وسمع فى مضاربهم بكاء وصياح وعديد نواح فسأل زيد الخيل عن ذلك وقد انزعج وقال ما الذى دهاكم فقيل له أسرك هربوا منه عامر بن الطفيل وما أصبح لهم فى الديار خبر ولا أثر وما ندرى فى البر هربوا أم فى النهار لان العبيد الذى كانوا بهم موكلين

قدأصبحوا على الأرض مطروحين قال فلما سمع زيد الخيل هذه الأخبار طار من رأسه السكر وطار مزعينيه الشرار وصاح صياح الفهر وصارت عيناه مثل الجمر وقال لبعض عبيده آتى بالجواد المطال حتى الحق عليه هؤلاء الأنذال وانهب فى النوبة اجسادهم على أسنة الرماح الطوال ولو بلغوا منازلهم والاطلال فعندها مضى العبد وعاد وهو أصفر اللون مسلوب الفؤاد فقال له زيد الخيل ويلك أين الجواد إيش جرى عليك حتى عدت على هذا الحال يا بن الأوغاد فقال جوادك قد سرق والذى كان يحفظه ممدد فما أدرى من قتله فزاد به الغيظ ولطم على رأسه من شدة الاحتراق والآلام وخرج بنفسه إلى بين المضارب والخيام وتقلد بسيف عريض مهند وركب جواداً جرد وانقلب الحى عند ركوبه ووقع فيه الصياح والانزعاج وشا الخبر بما جرى وركبت الفرسان وخرجت إلى الصحراء وركب المهلهل أيضاً على أثر ولد وكانت بنو نبهان أوفى من خمسة آلاف عنان فتسابقت وتتابعت وطلبت رؤوس الروابى والقيعان وتفرقت فى جميع الروابى والوديان وكان وزيد الخيل فى أوائل الرجال يركض يمينا وشمالا ويتفقد الحوافر والنعال فبينما هم كذلك وإذا ببعض الفرق قد لحقته وقالوا له أيها السيد أعلم أننا عبرنا ونحن نطرد على وادى الجماجم فرأينا فى جنباتها قوعا من أصحابنا قد قتلت والحجرات التى كانت فيه من الإهارة فذأخذت وأصبح الوادى عنها خالى الآثار من الحجرات والأمهار قال وكانت هذه الخيل والحجورة التى ذكرناها أزيد من ألفى فرس ويتبعها مهارتها وكان فيها زيد الخيل وأبيه ألف حجرة والباقى لسادات القبيلة ومقدمى العشيرة وهى التى كانت بها بنو نبهان تفتخر على سائر العربان وكانت من أعلى الخيل الجياد ولما بلغه من أخذها زاد به الجنون ولطم على وجهه حتى كان أن يطير منه العيون ثم هام فى جنبات البر الأقفر ليقتفى من الأرض الأثر فلما أبصر أبوه حاله شق عليه ما جرى له يا ولدى ترفق بنفسك إلا من بنى عامر وما فعل هذه الفعال إلا جماعة كثيرة وقد طرقت ديارنا وطلبت قلع آثارنا والصواب إنك تصبر حتى يصح عندنا الخبر وننفذ عبيدنا إلى سائر القبائل تكشف لنا أنهم أتوا فى خص بنى عمهم فرأونا مشتغلين بالأفراح واللولائم فبدلوا افراحنا ترح وهذا جزاء من تهاون بامور العظايم أنهم عادوا إلى وادى الجماجم وافتقدوا آثار الخيل التى أخذت وصارت الفرسان تركض حتى أمسى المسا وعادوا وقد تبينوا حوافر الخيل فرأوها طالبة نحو ديار بنى عامر فقال زيد الخيل لأبيه ماقلت العامرون هم الذين دهونا

وأخذوا أهوالنا وسهونا فقال المهلهل يا بنى ما قلت إلا الصواب بنظرك المستطاب والرأى عندى أنك تعود بنا إلى أرضنا حتى ندبر غير هذا التدبير وإلا حل بنا الأمر النكير وحلت بنا الخسارة من وجوه كثيرة أحدها أن غرماء ناقد فاتونا ونعلم أنه ليس معهم توق ولا جمال حتى نقول أننا نلحقهم إذا جد بنا فى آثارهم ولا أخذوا إلا خيولا تسابق الأطيار ما يلحق لها غبار والوجه الثانى أن الليل قد أقبل ونخاف أن تسير على غير أثر فيضيع من المرء أيامه كمن القى نفسه فى التعب والويل وأن تعبنا بنو عامر ونحن هكذا على ظهور الخيل يبلغوا منا المراد بلا أمهال وتكون قد فعلنا فعال الجهال من الرجال وبنو عامر خلق كثير وفيهم فرسان الموت وأبطال المنايا خصوصا ملاعب الاسنة غشم بن مالك وهم لملاقاته قبايل على ماء واحد وفى هذا العام جاورهم بنو عبس وعدنان وأنا أعلم أننا إن سرنا اليهم مسير الطمع خسرنا وفى المهالك نقع وإنما الصواب عودتنا إلى الديار ولابد لى أن أنفذ إلى بنى طى واعلمهم بما جرى علينا واطلب منهم فرسانا تسير بين أيدينا وأجمع حلفاء نا فلا أسير إلا ومعى عسكر جرار حتى لا ينكسر عزنا ولا نهان فلما سمع زيد أبيه هذا الخطاب واستحى وأجاب وعلم أنه بعد أتى بالصواب والامر الذى لا يعاب فرجع وهو يأكل كفيه ندما ولا يعلم كيف كان هروب الأسارى مع عامر ابن الطفيل وكان السبب فى ذلك أن عنترة لما جرى له مع الخطيئة الشاعر ما جرى وأخذه معه وطلب ديار بنى نبهان فجد فى السير حتى شارف ديار القوم وانفذ اخاه شيبوبا يكشف له الاخبار وتفكر من أين تدخل عليهم المصايب ويبصر ماتم لفرسان بنى عامر وما جرى للأسرى فسار شيبوب وقد ترك عدته عند أخيه فى المكان الذى أوصاهم أن يكتنوا فيه وما زال سايرا على هذا الشأن حتى قارب ديار بنى نبهان ورأى المضارب والخيام قد ملأت الصحصحان وعبيدا وغلمانا أبطالا وشجعان ورجالا وفرسان والكل مشغولون بشرب المدام عاكفون على الخمر واللذات وسماع القينات هذا وقد حضرت الغلمان وهم آمنون من نوايب الزمان غافلون طوارق الحدثان قال الراوى فلما رأى شيبوب هذا الامر علم أن القوم صرفوا همهم فى تناول الخمر وسماع صياحهم قد قلب الفكر فقال هذا وقت اغتنام الفرصة وما أريد من القصد بالاتفاق والليلة أخلص عامر من الوثاق ومن معه من الرفاق وافرج عنهم ما هم فيه من ضيق الخناق فلا احوج أخى إلى تعب ولا أكلفه هم القتال والنصب ثم عاد إلى غدير الماء وجلس بجانبه وجعل يحك رأسه ويفلى

ثيابه وهو كانه قائم من منامه وهو ينظر المساور قدوم اللام وإذا بجماعة من مولدات الحي قد أقبلن فى طلب الماء فقال لاحدا هن يا مولدات العرب عندكن جارية تزف على بعلها أم هذه عادة بنى لبهان على طول الزمان لانى أرى الحى منقلبا بشرب الراح والصياح والافراح فقالت الجارية كيف لاتكون الافرح عاداتنا و الامان فى ديارنا بوجود فارسنا الاوحد وسيفنا المهند وحاميتنا الذى مامثله فى الحرب بوجد زيد الخيل بن المهلهل النبهانى الذى كمل بالوصف والمعانى الذى قال فى حقه حسان بن هانى .

همام كمى فى الحروب مروع ... تهون عليه فى المعانى والكبائر
بصير إذا الأبصار زاغت مهابة ... ولم يبق إلا ماخلا الرمح ناضر
عليه من الصبر الجميل تجمل ... يرى دراعا من توبها وهو خامر
يخاطر بالأمر الجليل بنفسه ... ولم يدرك الاخطار إلا المخاطر

قال ثم أن الجارية حدثته بزواج هند بنت ذارع وعودته بفرسان بنى عامر وكسرهم لبنى سليم وأعلمته ان هذه الافراح والولائم من أجله وقال لت له فى آخر حديثها وأنت ياقتى مالك قد قنعت من ضيافتنا بالماء والنظر فدونك والخيام فان الخيام فان الخير فيها كثير وقد شبع واحمل ما تطيق مما يعينك على قطع فقا شيبوب ياجارية وعل هذا معول وما نزلت هاهنا إلا لطلب الراحة لانى اليوم قطعت أرضا بعيدة إلى المكان المعهود للفرح وعادت إلى جملة الامام وملات القرب وبقى شيبوب مكانه حتى اسود الظلام ودخل الناس فى المضارب والخيام وهو يتوكا على عضا ويجر رجله من الامام إلى القفا ولما توسط الحى رأى أكثر أهله نياما والباقون لايقدرون على القيام ولا على الكلام ومافيهم من يقدر يتحرك من لذيذ المنام كما قال الشاعر حيث يقول .

جلبنا تحت أستار الظلام ... عروس الكرم ما بين الكرام
ونام الدهر عنا فانتهبنا ... مع الطاسات أقداح المدام
يصير أميرنا فى الحى عبدا ... ويرقد بين أطناب الخيام

قال فلما رأى شيبوب القوم على تلك الحالة امن على نفسه وقصد أبيات زيد الخيل فرآها خالية لانه كان فى أبيات أبيه وأعمامه وجواره وخدمه نائمون قد شيبوب نظره إلى خيمة فعرفها بذكائه ومعرفته فقصدها وتحققها وإذا فيها عامر بن الطفيل ورفقته وعندهم ثلاث عبيد نيام وكل منهم غلب عليه السكر والمدام فرمى نفسه على باب المضرب

والعبيد غطيتهم قد علاوزاد فعند ذلك فرح شيبوب وعلم أنه قد بلغ قلنا وسمع عامر ان الطفيل وهو يقول لأصحابه يا بنى عمى لو أن لنا فى هذه الليلة من يخلصنا ويقطع أكتافنا لكنا خلصنا وقطعنا البيداء من غير أن يشعر بنا أحد من وإذا بشيبوب قد دخل عليهم وقال ها قد أتاكم من قطع عنكم حبالكم ويقضى شهواتكم وتبلغبون أمالكم ثم عرفهم بنفسه وأعلمهم أن أخاه عنترة أتى فى طلبهم ثم قطع أكتافهم وقال لهم اطلبوا المرخ الذى فى طريقكم من تخافون من انكار واسرعوا فانى لاحق بكم إذا أخذت لعامر ما ركب من هذه الخيول التى ما رأيت مثلها فى حلل العرب فقال عامر شيبوب أن لزيد الخيل فى هذا المضرب الذى بجانبنا جواد يقال له الهطال ثم سار مع رفقته وما فيهم من يصدق بالنجاة وبعد ما ذهب عامر ولحقوا برفقائه مال شيبوب على العبيد الثلاثة وذبحهم ليأمن أمرهم وقصد بعد ذلك المضرب الذى فيه الجواد والهطال ودخله وهو هائم فرأى فيه عبداً نائماً فنام بجانبه وذبحه أيضاً لأنه كان معه خنجر أمضى من السفر وأسرع من لمح البصر ثم أخذ مفتاح قيد الهطال من رأس العبد ودنا منه ليفتح قيده وإذا بزيد الخيل قد أقبل ومعه جماعة من العبيد والاماء وهو مثل ثنية الجبل طافح من السكر يمايل من كثرة ما نهل إلا أنه لما أراد أن يدخل الخباء وإذا هو بالجواد قد صهل فلما سمعه زيد الخيل انكر أمره وقال يا عبد الخير لاى شىء يصهل فى هذا الليل فقال شيبوب يا مولاى ما أدرى وأقول أنه الساعة فقال شيبوب يا مولاى أنا الليلة أريد أن أسيره فى الفضاء لان لك اياما ما ركبته ولاجل هذا زاد وغضبه وانا لا اقدر أقاربه إذا لم اتعبه فقال زيد الخيل إذا كنت تعرف هذا منه فأخرجه إلى ساحة الفضا واركض به جهد قدرتك علقه فقال شيبوب وحياة راسك يا مولاى لاسيرنه طول هذه الليلة لانك تعلم محبتى له دون خيل الحلة ثم صبر حتى دخل زيد الخيل المضرب الذى لزوجته هند وحل الحصان وخرج من الحلة بأمان ولما أن ضاربه فى الفلاة ركبه وطلب به اخاه وقد اخذ به فى عرض البر الأنفر والمهمة الأغبر خوفا من افاقة الأسد الغاشم وركض به فاتى طريقه على وادى الجماجم وكان هذا الوادى جصنا من أرض بنى نبهان وفيه كانت تبيت الحجورة ومهارتها الحسان سوى الخيل التى كانت لسادات العشيرة إلا أن شيبوبا دخل فيه فرآه يموج بتلك الخيل المسومة فقال شيبوب هذه غنيمة لها قدر وقيمة ولا بد وأن أحتى بسوقها بين يديه ويعوض المال الذى أخذه من بنى عامر وتم على هذا الحال

فى الليل حتى وصل إلى أخيه عنتر قبل مايصل عامر بن الطفيل وأصحابه الذين كانوا معه كان أكثر من ساعة بقدر ماحدث أخاه بما فعل وإذا بعامر قد وصل فرآه أنه سبقه فقال له ياشيبوب أنت من بعض العفاديت الطيارة ويلك كيف سبقتنا ونحن تركناك وراءنا فى الخيام وعافينا الأمن ركض حتى ورمت منه الأقدام فقال شيبوب أنا سبقتكم على ظهر الهطال بعد ماذبحت جماعة من العبيد الأندال ثم أعاد عليهم ماجرى له مع زبد الخيل فضحك عامر بن الطفيل وقال جزاك الله ياشيبوب عنا كل خير ولقد قضيت شهوتى وفرجت عنى كربتى وأنقذتنى من هلاك مهجتى ولكن ياشيبوب إذا ركبت أنا هذا الجواد ما الذى يركبه رفقتى فعندها حدثهم بحديث الحجورة والمهارة التى رآها فى وادى الجماجم ووصفها لهم وقال رأيت من الرأى أنكم تتبعونى حتى أدلكم عليها من جهة بنى نبهان وأعلمكم تسومونها وتدبحون العبيد الذين عندها وتطلبون الديار مادام الليل راحى الأستار فقال عنتر ويلك ياشيبوب كيف تترك الخيل الذى فعل هذه الفعال بأخى بن الطفيل سالما ولم نذقه ألم التعب والوبال فقال شيبوب الرأى عندى انكم تمضون وأنتم سالمون وأما أن أثرتم حربا لقيتم تعبا وكربا والصواب عودتكم وأنتم رابحون من كل جانب حتى لايغركم الطمع بحبال النوائب وتجتمع عليكم المواكب والكتائب وتقصدكم العرب من كل جانب وترجعون بخاطرون بأنفسكم حتى تخلصوا أرواحكم وتفوتوا الغنائم ويعود كل واحد منكم وهو نادم فقال الخطيئة الشاعر ياشيبوب لقد صدقت ولا يقع موضع الخسران إلا من أنقطع أمله ودنا أجله وأما زبد الخيل أنا أعلم إذا أصبح لصباح وأبصر ماقد جرى عليه تبع آثارنا مع جميع قبائل العرب من بنى طى وسار خلفنا إلى ديارنا لأنه يعد نفسه بالبطل العظيم وأبوه المهلهل رجل مطاع كريم فى هذه الديار وم عز ومقدار ونحن إذا صح هذا الحساب وسار معنا الأديار بنى عامر بلغنا المقصود ولو جاءنا أهل عاد وثمود قال فلما سمع عنتر هذا الكلام قال لاخيه شيبوب دعنا الساعة من هذة الملام وسر بنا حتى نسوق الخيل الذى ذكرتها وترجع وما مضى من الليل ساعة حتى حطهم على وادى الجماجم من ناحية بنى نبهان وفرقهم ثلاث فرق حتى لايلفت من الوادى أنسان وساروا يطلبون الأهل والديار وقالوا علموا أن الإنسان ينال بالتدبير مالا يناله بالصارم الذكر وصار يدلهم على الطريق الواضح وتجدبهم السير فى البرارى والقفار طالبين الأهل والديار قال وركب زبد الخيل كما ذكرنا جرى كما وصفنا وعاد راجعا كما قدمنا ودن مشورة أبيه المهلهل نزل

والنار فى قلبه تلتهب وتشتعل وأرسل سايرا لعرب من بنى طى وطلب منهم النجدة على بنى عامر وأقام يتأهب لهما وأما عامر بن الطفيل وعنتر بن شداد من معهم من الرجال الأجواد فانهم ساقوا الخيل وإوصلوا سير النهار بسير الليل وكان عنتر قد اشتاق إلى عبلة وأقلقه الهوى وتباريح الجوى وكلما لاح له نور الصباح يهيم تحيا إذا أذهب عليهم نسيم محبتوبته عبلة عند الدجا فتنفس وأبدى لوعه قلبه وأنشد يقول :

كيف أصطبار طيب العيش مسبول ... بعد الأنيس ودمع العين مسكوب
شوقا ووجدا وأشواقا مؤبدة ... وبعد الف عدا بالبين محجوب
ولوعه كل وقت لانقضاء لها ... بين الضلوع لها وهج وتلهيب
وعبله قد أدناها البعد عن ناظرى ... وقد غدوت حزين اقلب متعوب
بكيتى لى رحمة ياعبلة حين غدا ... ثانى المزار بنار الوجد ملهوب
أن كنت جاهله ماقتله قسلى ... يوم النزال الحرب مسحوب
فى يوم كنا على وادى الجاجم فى ... حرب تصير لها شباتها شيب
والخيل قد رجعت من خيفتى هربا ... والسيف بالدم مصبوغ ومخضوب
على الفوارس عنا يوم قام لنا ... سوق النزال وأضحى الليث مرهوب
وقد أخذنا خيل القوم حين بغوا ... حتى غدوا بين مقتول ومنهوب
وعامر كيف خلصناه حين عدا ... عنا أسيرا عن الأبصار محجوب
إذا تعلمى أن لى عزم أقد به ... كل الجموع إذا ما القرن منهوب
كم من كمى لقد صيرت مهجته ... يوم الكريهة رزق الوحش والديب
لو أن عين القضاقرن ينازلنى ... صيرته فى رخاه الحرب معطوب

قال الراوى ثم أنهم ساروا وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على ديارهم والمنازل فما صدق عنتر أن تظهر له الخيام ويرى عبلة حتى يبل شوقه منها ويقبلها تحت اللثام وبين عينيها فلما قابلها سألها وكيف كان مقامها فى ديار بنى عامر فقالت والله يا ابن العم مازالت طيبة العيش فى حظ وافر ما برحت من عندى كبشة أم عامر تؤانسنى وتهون علينا أسباب الردى والخطر وأما بنى عبس فانهم الأمر وما ترك لهم دريد بن الصمة ذكر يذكر ولهم ثلاثة أيام وهم يرسلون فى طلبك وأنى من عند الملك قيس جماعه من الرسل يسألون عنك وأنا أردهم خائبين وأقول لهم والله ما أدرى ابن مضى من حيث أنفذ جمال الخبر وقد سمعت يا أبا الفوارس أنهم فى شدة شديدة وعمارة بن زياد أسره دريد وأنزل به كل مكيدة وقد عول على

صلبه إذا فرغ من عبس وينزل به التعس والنكس وقد حلف انه لا يبقى عليه ولا على بنى كلهم فقال عنترا نا اعلم شؤمهم على الملك قيس واخوته وأما إنا ذهم خلفى وارسالهم إلى فانا منهم وما هم منى وما بقى بينى وبينهم قرابه وما طردونى إلا أنفا على أنفسهم من عبوديتى فبأى وجه ينفذوا خلفى ثم أقام عندا بنة عمه يطفى نار أفرانه كلما نظر اليها ويبل شوله منها هذا ما جرى من حديث هؤلاء وأما ما كان من حديث بنى عبس وعدنان فانه كان حديث عجيب وأمر غريب نسوقه على الترتيب بعدما نسمع من يصل على النبى الحبيب لانهم سمعوا أن دريد سالم من طعنه عمارة إنه جمع قبائل العرب وعول على غزوهم ويطالبهم بدم أخيه عبدالله فتفكروا فى ذلك ولم يصدقوا بل رجعوا واتفق رأيهم على إرسال الجواسيس إلى بنى جشم وهوازن وكشف الأخبار عن حديثها فارسل الملك قيس ثلاث عبيد من عبيده وأوصى الربيع بسرعة العودة فساروا وعابوا أياما وعادوا يخبرون بصحة الحديث الذى بلغهم عن دريد أنه صحيح وأنه قد جمع فرسان القبايل وأتى فى خمسه عشر ألف مقاتل وأنه سار إلى نحو ناطالب قتالنا وقد كاتب اللقيط ابن زرارة وقال له النقيني على بنى عبس الذين نزلوا على بنى عامر حتى أخرب ديارهم ونأخذ منهم بالثار قبائل العرب ما تعايرنا بلباس العار قال فلما سمع قيس ذلك المقال أنذهل وتحير وجمع وجوه العرب وأخبرهم بذلك وقال يا بنى عمى هذه خمسة عشر ألف فارس سائرين الينا وفيها مثل دريد بن الصمه وسبيع بن الحارث وإن نحسن التدبير والى وقع بنا الهلاك والتدمير فقال بعض الجواسس يا ملك سبيع الحارث لا تخافون منه فانه مريض جريح وقد تخلف على المسير من دريد لانه غزا إلى بلاد اليمن مع خمسمائه فارس وأغار على الملك الريان بن معمر صاحب أرض معمر وأخذ أمواله ولما عاد تبعه فى خمسة آلاف فارس وأراد اخلاص الغنيمة فاقدروا على ذلك وكسرهم وقتل أكثرهم فرسانهم المذكور وعاد وفيه ثلاث جراحات وقد وغد دريد أنه يلحق به إذا برىء جرراحه فقال قيس الله لا يشفيه ولا يورينا وجهه لانه والله لا يلقى ولا يخاف جيشا عند اللقاء وهذه محبة أعاننا الله منها ولا بقى الا التدبير لان الموت قدم على الحريم واجتهادفى دفع الغريم فقال الربيع مرادنا نعلم فى نفوس بنى عامر ما أن كانوا يعينونا أو يتخلوا عنا فقال الملك قيس بنى عامر لا نراسلهم ولا نبعث خلفهم فانا أعلم انهم علينا أحقد من الاعداء ولا قدروا على أذايتنا لما تركونا ومصواب اننا نأخذ حذرنا منهم ونترك لنا عليهم عيون الارصاد قبل أن يدهمنا دويد ويقع القتل والجلاد لانى أعلم أنه إذا نارب أرضنا أرسل لهم مرسال ودروا على قلعنا ثم أخذ قيس فى التدبير والتأهب للحرب وصار يبات ويصبح متفكر يقاسى

الهم والكرب فهذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من دريد فانه لما برىء من جراحه له من قومه خمسة عشرة ألف فارس من كل قرم مداعس وسار بهم يجد المسير فى ذلك العسكر الجرار والبحر الزخار بهمة لا تقاس بالهموم وعزم لو صدم به جبل لاهتدم ولما بعد عن أرضه وابصر طول عسكره وعرضه فرح بذلك وجد فى مسيره وهو يقول

أتتنى جياد الخيل عن أم معبدى ... بعافية أم أخلفت يوم موعدى
وبانت ولم أحمد لديك جوارها ... ولم تدع فينا أردة اليوم أم غدى
كان حصول الحى إذا طلع الضحى ... تناصفه السخنا وعصبة مزودى
فقلت لهم ظنوا تألف مزجح ... سرا تهموا فى السابر المتشردى
أمرتهموا امرأ بمتوج اللوى ... فلم يستجيبوا النصح منى إلى غدى
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم أو اننى غير ندى
وهل أنا إلا عاذر قوما وإن غوت ... غويت وإن ترشد به غير أرشدى
تناخا وقالوا أردد الخيل فارسا ... فقلت أعبد الله أحى وارشدى
فان كان عبد الله أحلى مكانه ... فما كان وقافا ولا طايش اليدى
تراه خميص البطن من غير حاجة ... عنيدا ويغدو فى الحروب ويرشدى
نظرت اليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياح فى الفسيح المنضدى
دعانى أخى والخيل بينى وبينه ... فلما دعانى لم يجدنى بمنجدى
فطاعنت عنه الخيل تبددت ... إلى أن علا من حالك الليل أسودى
فانزلت حتى جرحتنى رماحهم ... وعدت رهينا فى البقاع ممددى
فعاش أمرىء أفدى أخاه بنفسه ... ويعلم أن المرء غير مخلدى
وهون وجدى وننى لم أقل له ... كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى
أعاذل كف بعد لومك مقصراً ... وان كان عالم الغيب رأى فارشدى
أعاذل أن الدهر مهلك خالد ... ولا غدر فيمن أهلك الدهر عن يدى
فقالت الا تبكى فقلت وما البكا ... عروف يا حداة للزمان المبدى
أعالج كل امرىء منه مانع ... كزاد منع من ركب غير مرددى

قال وما زال يقطع الفجاج يسير بهذا الجيش الذى يحاكى البحر العجاج حتى بقى بينه وبين ارض بنى عامر ثلاثة أيام وقال لاخيه خالد كن انت مقدمه فى المسير وارفق به حتى اتقدم بين أيديكم وازور الاخلاص بن جعفر سيد بنى عامر واسأله عن بنى عبس ومن انحدهم من العرب وهل علموا بمسيرنا اليهم ام لا واسمع ما يقول فى حقهم وإن كان يشق عليه هلاكهم وأيسره

لأن الملك النعمان قد رضاه بهم وأكشف سائر الأحوال قبل القتال حتى لا يبقى من بنى عمنا كلام ولا ملام وقام من وقته وساعته دعا بعشرة من الرجال وكان هؤلاء الرجال من أولاد عمه الذى يعتمد عليهم لأجل كشف همه وغمه فركبوا وساروا وكان بينهم وبين جذع الطواف يوم أو بعض فجدوا فى مسيرهم وركضوا بالخيل وكان مرادهم الدخول فى الليل حتى لا يعلم أحد بهم ويعود إلى عساكرهم فال وساردين مع العشرة فرسان إلى أن قرب من الديار فسمع خمس رجال وركض خيل فقال لقومه أكشفوا الخبر وما هؤلاء القوم الذين سائرون فى ظلام الليل المعتكر فناتم كلامه حتى أتى منهم فارس وسار قدامه وقال لهم من أنتم من الفرسان وكيف أنكم سائرون تحت ستور الظلام قال وكان هذا الفارس الذى يخاطبهم الربيع بن زياد وكان السبب فى ذلك الإيراد أن الملك قيس من حين ما سمع بركوب دريد أمر الربيع ابن زياد أن يأخذ فى ليلة مائة فارس ويبعد بهم فى الصحرا ولم يزل كذلك إلى الصباح وكان تلك الليلة دائرة ومعه المائة فارس ولم يزلوا سايرين إلى أن مضى من الليل الربع الأول أن يرجع فسمع حس رجال تركض الخيل وإلى تلك الديار قادمة فى الليل فقال الربيع لمن معه انظرتم الذى أنا أنبهره فقال بلى يا أمير هذه خيل عندنا قادمة وقاصدة فقال الربيع ما يكشف خبرها إلا أنا ثم أنه حرك جواده حتى قارب الخيل وأنتم يا سادة تعلمون ما كان فى الربيع من المكر والخبث والخداع إلا أنه لما قارب الخيل وسألها فتقدم اليه دريد وقال له يا أخا العرب اننا قوم من بلاد اليمن ولكنه ما حققه بل أنه استند على الأقوى وقال يا وجه العرب نحن من بنى عامر والمقدم علينا غشم بن مالك وأننا كل يوم وليلة نخرج ونطوف أطراف الجبال ننتظر فارس الأقطار ومشيع الأطيار دريد بن الصمة لأن مقدمنا الزمة النعمان ينزل أعداه فى جواره وهم بنو عبس الذين قتلوا خالد بن جعفر وتركونا عليه نتحسر ومن حرارة مقدمنا فى كل وقت من الأوقات يفرق الفرسان فى سائر الطرقات لأجل كشف أخبار زاحات الحرب وشيخ العرب دريد بن الصمة وما نحن سائرون مع أخيه طراد فى مائة فارس حتى لا يعلم بكم أحد من بنى عبس ونحن كما ترى مجدين فى هذه الأمور فانتم من تكونوا من العرب وأى أرض أنتم طالبون تحت ظلام الغيب فقال دريد وقد فرح فرحا شديدا أبشر يا وجه بنى عامر فقد قرب عليكم الطريق ووصلتم إلى من أرسلتم اليه بلا تعويق فانا دريد بن الصمة وتركت خلفى العساكر تملا القعبان ألقى بها بنى عبس والملك النعمان ولو كان معه سائر العربان وما جئت أرضكم إلا بهذا المعنى زايراً ومستخبراً وإلا ما كنتم لقيتمونى

قريب الديار وكنت عدت إلى قومي وما أضيع تعبي ولا بد من زيارة بن عمي الأخوص بن جعفر لان زيارته واجبه علي وهو مثل الفرض فعد إلى صاحبك طرادوأعلمه بما سمعت حتى نعود جميعا ونتدبر هلاك أعدائنا فيه وضيعا فعندها عاد الربيع وينادي بمكرة ودهاه ابشروا يا بني عمي فهذا سيد العرب أتاكم زائرا ولكم معينا وناصرا ومعه قائل وعساكر لم تبصر من بني عبس سامعا ولا ناظرا وما زال كذلك حتى صار مع بني عبس وقال لهم يا بني عمي هذا دريد بن الصمة ومعه عشر فوارس وطالب أرض بني عامر ليدير على قلع آثارنا وقد جرى معه كذا وكذا والصواب أنكم تظهرون الفرح بملتقاه ويترجل اليه منكم عشرون فارسا ونكون قد ملكناه ونحمل بعد ذلك الخبر الذي معه وإلا أن صحنا وطلبناه وعلم أننا من أعداه ما نقدر عليه ولا نصل اليه لانه كما تسمى راحات الحرب وما فينا من يقدر يقاتله إذا كان متأهبا للطعن والضرب هذا إن طلب قتالنا وان توهم أننا خلق كثير نجا في الليل. ويجمع علينا العرب من سائر القبائل لانه ما تم في العرب قبيلة إلا وفيها مكرمة وفضيلة من سائر الفرسان وأباب والطعان فلما سمعوا كلامه قالوا له رأيك صادق وما في الأمر غير ذلك. ثم ان الربيع أخذ منهم جماعة وأتوا إلى دريد وداروا حوله ولما علم ان الدريد ما بقي له سبيل إلى النجاة صاح دونكم يا بني عمي ثم صاح بالعبس يا لعدنان فلما سمعه كلامه أراد أن يجرد حسامه فما مكنه الربيع وأمسكه وتكاثر واعليه وقتلوا جواده ثم أخذه أسيرا وداروا بقية بني عبس بالخيل التي كانت معه وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا سبعة وعرضوا الجميل على الخيل وعادوا طالبين بني عبس في ظلام الليل فلما بقي بينهم وبين جذع الطواف ساعة تقدم الربيع وأرخى عنان جواده قاصدا إلى الملك قيس يعلمه باسر دريد بن الصمة فلما وصل الخبر إلى الملك قيس فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وركب في سائر اخوته إلى لقاء الربيع وركبت بنو زياد إلى لقاء أخيهم وفرح الحي وفرحا بذلك الأخبار وخرجوا إلى أذيال خيام الكبار منهم والصغار والتقى قيس بالربيع وشكره على هذه الفعال له يا ابن العم بهذا الفعال ننال والمقصود وتتفرق عنا العساكر والجنود وإن لم يأمر دريد عساكره بالرحيل عنا هدمنا بقتل دريد ركن العسكر وكان دريد سامعا هذا الكلام فقال له يا قيس ان أردت أن تقتلني دونك وما تريد واترك هذا الكلام فانا أهون ما عندي شرب كاس الحمام لاني قطعت من العمر اربعمائة وخمسين عام ونفسي كرهت عمر السنين والأيام وأنا أعلم بعدي ما يبقى لكم ذكر بذكر ولا بد ما ينقطع منكم الأثر لان خلفي خمسة عشر الف فارس مع أخي خالد وفي غد يكون عليكم قادم ولا أحد إلا وله عندكم دم وخلفي أيضا صهري سبيع بن الحارث الذي

رأيتم أفعاله وسمعتم بأعماله وكذلك اللقيط بن زرارة يطلبكم بني مشاجع وأنا أعلم أن مايطلع لكل خمسمائة رجل من أعداكم واحد منكم إذا ثارت نار الحرب واشتد الطعن والضرب والصواب أن تقتلوني وتقتلوا كل من معي وكل من وقع في أيديكم وخذو بثأر أنفسكم قبل فناكم فلما سمع الملك الكلام احتار وعلم أنه جبار من الجبابره الاقيال لايبالي بقرب الاجال ومايخطر له الموت على بال فقال له أنا ما أقتلك في هذا الوقت وإنما إذا قدمت هذه القبائل اللاتي هددتنا بها تم أنه شده في بعض الخيام وأقام عليه الحرس وقال الملك قيس يا بني عمي الصواب أننا نتأهب من اليوم غد ونسير كلنا وإذا لاح لنا غبارهم انقسمنا فرقتين ونترك فرقة تنادي بالعبس بالعدنا والفرقة الثانية تناذي بالعامر الشجعان حتى يظن العدا أن بني عامر سارت معنا لأجل الجوار وأنهم قبضوا على دريدلما أتاهم زائر وركب طريق الاخطار لتنفذ به الأقدار فلما سمع الربيع هذا الخطاب قال والله يا ملك أشرت بالصواب فاعلم رجالك بما خطر ببالك وأبشر ببلوغ آمالك وقو عزمك لتنال النصر والظفر وتعلم سادات القبائل أن عنترة كان بنا ما كنا نحن بعنترة فارسل الملك قيس عبيده إلى رجاله ليعلم فرسانه بحاله وباتت القبيلة يتهيؤا للقتال وينعقدوا العدوا الزرد للمجال وما أصبح الصباح حتى خرج كلامنهم إلى ظاهر المضارب وتربعوا كتائب وانقلب البر من صهيل الخيل وبريق السيوف وركب الملك قيس في موكب كبير من بني عمه والاقارب ودارت حوله فرسانه وعشيرته وركب الربيع في سائر أخوته وما في القوم إلا من خرج على نية الحرب والجلاد بعدما ودعوا الحريم وساروا وهم ثلاثة آلاف كانهم الأسود العوابس وكان سيرهم بلا عجل لأنهم سمعوا من دريد أن العساكر تشرف عليهم ذلك اليوم أو غدا فوقفوا بالخيل حتى تعينهم عند اللقاء ويجادلون بها الأعداء في الملتقى وما زالوا يقطعون الآكام حتى اعتكر وظلام فنزلوا وباتوا إلى الصباح فما سمعوا للعدا خبر ولا وقعوا لهم على أثر فقال الملك قيس أرحل بالناس يا ربيع فسيبعدنا عن الأوطان والأطلال تقع هيبتنا في قلوب الشجعان والأقيال إذا علموا بأحوالنا يقولون لولا أنهم في غاية الاستظهار ما لجحوا في طلبنا وساروا في القفار فرحل الربيع في المقدمة وتبعه الجيش وكان سيرهم في المرحلتين الذي رحلوها دون المرحلة للفارس المجد ثم باتوا على مثل ذلك وزادبينهم الحديث والافتكار حتى مضى الليل وأقبل النهار وساروا إلى أن انبسطت الشمس في الاقطار فساروا وقت الضحى ومدوا أعينهم فرأوا غبار وقتام قد علا ونما وصعد إلى عنان السماء وله جلبة ولمعان أسنة ورماح وبريق صفاح وأمور تدل على حرب وكفاح وجيوش سدت الآفاق وملأت

الطرقات وسدت البرارى والقلوات كما فيه القائل هذه الابيات :

جيش إذا صاب الارض عارضه ... افتى المصارع آخرة واولاه
بعيد ما بين اولاه وسابقه ... كالبحر لاتدرك النظار اقصاه
والسابقات تبارى تحت ناروغا ... تجرى عليها من الهامات اقواه
والبقاشقات إذا نشرت كواكبها ... رايت اسفل ما فى الفرق اعلاه
كذا النبال تبارى عند رشقها ... مثل الجراد إذا ما ساو مرعاه

فلما راى الملك قيس ذلك قال والله إن هذه مواكب الأعداء وان صدقنى حذرى فقد وقع بينهم امور وهذا سبب انطلاقهم عنا ثم قال لبعض الفرسان يا ابن العم حرك جوادك وائتنا بالاخبار وابصر لنا ذلك الغبار حتى ندبر على قدر ما نرى فيه الصلاح فاطلق الفارس عنان جواده وطلب القتام وماغاب إلا قليلا وعاد يركض بالجواد فقال له الملك قيس ماهذا الخبر وماحال هؤلاء فقال يا ملك حالهم غير مبارك عليهم وإذا برجل خرج مجروح وهو يطلب اقطار الصحراء لاجل يشم الهوى فقلت له وجه العرب كيف حالكم وماهذه الطوائف المتقابلة على اى شىء وقع بينهم الحرب والقتال فقال لى يافتى اما انا فلا تسأل عن حالى فانى قد جرحت واحذر محى وقتل فرسى واما هذه الطوائف يتقاتلوا على حطام الدنيا التى يطمع فيها كل احد والسبب فى ذلك اننا خرجنا من بنى كريم ابن صارم مع صاحبنا الكليم ونزلنا على بنى غراب وتركنا ديارهم قفرا خراب وعدنا نطلب الديار فالتقانا هذا العسكر الجرار الذى ماتقع له على غبار فابصروا الغنائم معنا فتبادر الينا مثل الذئاب واردوا اخذ الاموال منا فقاتلناهم وماراينا على انفسنا ان تفوت غنائمنا ولنا بوماز فى هذا القتال والقبائل التى سدت الأراضى والجبال وهى تضربنا بأمواجها من كل جانب ولو لا فارسنا وشجاعنا الكليم بن صارم ما بقى منا لاقاعد ولاقائم وهذه قصتنا يافتى شرحها لك فلما سمعت قصته ضمنت له النصر ورجعت وهذه اخبارهم قال الراوى الما سمع الملك قيس هذه الأخبار قال لأصحابه هذه الأسباب قوة لنا وضعف لأعدائنا ولكن الصواب اننا نقيم على ماتحن عليه من التدبير وتنقسم فرقتين فرقة تنادى بالعبس بالعدنان وفرقة تنادى بالعامر اشجعان ونحمل على هذه الفرسان لعلنا نكسرها ويكن الأمر قد هان فقال الربيع هذا هو الصواب والراى الذى لايعاب ورب البيت قد بعث لنا من يعيننا بغير حساب وانا اعلم اننا إذا حملنا وراى هذا الفارس فعالنا وصارت له معونة منا فانه على الأعداء يعاونا ثم انهم انفسموا

فرقتين واطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة (قال الراوى) وكان هذا الفارس الذى قدمنا ذكره فارس مذكور وبطل مشهور من أبطال العرب الاقليل إذا عدت الأبطال يذكر فى أول الرجال ويحسب من الاقيال وكانت الفرسان تسميه الهلاك ومرج المنايا وكانت قصته كما ذكرنا فى هذا الكتاب أنه عند عودته من غزوة بنى غراب جرت له هذه الأسباب وقاتل عساكر دريد كما ذكرنا أول يوم إلى آخر النهار ولما رأى كثرتهم طلب منهم البراز فقاتل معهم إلى المساء وقتل منهم خمسة وسبعين وحملت عليه تلك الفرسان فردهم بالسيف والسنان وحمل أصحابه وثبتهم للظعان فانهم كانوا أرادوا أن يطلبوا الهزيمة ويتعكوا لاعدائهم التنيمة فطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر على أعدائهم وقال لهم بالله عليهم يا بنى عمى اصبروا على قليل حتى اشبع من الحرب مع هذه العسكر واتركلى ولهم حديث يذكر ما بقيت الشمس والقمر مادام أنهم مقيمون على براز وأن تكاثروا على أحموا أنتم ظهرى وأنا أظهر فيهم هجائبى وأفرجكم على طعانى ومضاربى ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوب أصحابه وياتوا يصلحون رماحهم وأما خالد أخو دريد فانه لما عاد من القتال جميع فرسان القبائل والمتقدمين على الحجافل وقال لهم ضيعتم اليوم والنهار واخطأتم بمبارزة هذا الفارس الجبار لان الفرسان الجبابرة ما تغلب إلا بالمكاثرة لاسيما هذا الفارس الذى أذل الشجعان ورمته الأرض الينا من أبعد مكان ولو لم يكن ذو قوة ظاهرة ما سمى بين الفرسان بحر الهلاك والرأى أنكم عند الصباح أقصدوه كلكم باسنه الرماح ثم انهبوا جسده ومن معه بشفار الصفاح وإلا القى الهيبة فى قلوبكم ويكسبكم عار مادام الظلام وطلع الصلاح لاسيما أخى دريد وراءكم وطلبكم فكيف تنفروا من فارس واحد فى البراز فهو عليكم عار وأنتم أبطال الحجاز وأخى أراد أن يلقى بكم فرسان بنى عبس وهى قبيلة الصباح تحمل كلنا فى سائر القبائل ونقصدة بالرماح الدوابل وننجز أمرنا مع هذا الجمع اليسير وتساق غنائمهم بين أيدينا ونسير ما صدقوا بان الليل ينقضى والصباح يضى حتى ثار الفرسان مثل إلا بالس وقصدوا الكليم وأصحابه الألف فارس وأخذوا معاهم فى القتال وطلبوهم بكل صارم فصال فعندها حمل الكليم عليهم وجال فيهم وهو يمانع ممانعة العقاب القاتل ويبرى بسيفه الرماح الدوابل وصارت أمواج المواكب تلطمه كيف مال وهو يخطف الأرواح من الأجساد وينثر الرؤس تحت الأقدام حتى قتل أوفى من مائتين فارس تمام

وكثرت عليه الاقوام وساعدوه أصحابه من بنى الكرام فما كنت ترى إلا دما فائر أو جواد غائر اوراسا طائرا وعظمت المصائب والكبائر ودارت بهم الأبطال العشائر ثم طليهم أمواج العساكر وخسرت الأوائل والأواخر وطلع العبار الثائر وايقنت بهلاك الكليم وأصحابه الضمائر ولا يقى يدرى لمن يحارب يبادر وخالد يحس عليه العساكر وما بقى إلا أخذه بالكف فاقبل الملك قيس فى أبطال بنى عبس واستة رماحهم حجبت ضوء الشمس ونظروا إلى القتال فجملوا من سار الجهات بعد أن تفرقت قبائلهم ثلاث فرق وزعقت فرقة يالعدنان وفرقة يالعامر وفرقة بالغطفان له شروا بالهلاك والخسران ياويلكم دريد قتلناه وعلى جاز بناه وقد امتثلنا أمر الملك النعمان وقبلناه قال الراوى وكان هذا من تدبير الربيع بن زياد حتى يلقى الهيبة فى قلوب الأعداء والاجناد فلما سمعت القوم هذا النداء تفرقت فى جنبات البيداء هذا وبنو عبس باعت النفوس بيع السماح وعلا منهم الضجيج والصياح وسد فى وجوه الجميع أبواب النجاح حتى تتلمت الصفاح وتفرقت الرماح فانكشفت عن الكليم الغمة ويرق برق المنايا من حسامه ولاح وتفرقت عنه العرب واخذوا فى الهرب فقال خالد ياويلكم يابنى عمى تهدموا مجدكم بالفرار وستندمون إذا بانت لكم حقيقة الأخبار على أن أخى دريد سالم عن قريب ترونه اليكم قادم فاجتهدوا ولا يلتفت الحبيب إلى حبيبه وعاد الصبر منقلباً وصار النهار وأظهر الكليم عنه وعلم أن هذا الاتفاق من سعادته قد اتفق فصاح وزعق ولمع صارمه وبرق وسأل الدم وامتلأ غيطا ومازال الأمر كذلك حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعاد كل جمع عن الآخر وافترق وانزلت بنو عبس فى وسط الأعواء وملات جنبات الأرض بالقتلى قتل منها إلا نفر يسير وأخذ من بنى عبس خمسين فارسا أسير لان خالد صاح فى الرجال وقال لهم كل من قدر على عبس لا يقتله بل يشده كياف ويحفظه حتى نفدى به أخى دريد من الاتلاف ووقع كما ذكرنا فامتثلوا أمره ومقاله وكان هذا رحمه لهم ولما وقعت الاسر فى يد خالد احضرهم بعد الانفصال من الرب والقتال وسألهم عن أخيه دريد بن الصمة فقال له العقلاء منهم والله ياوجه العرب ظفرنا به وهو سائر إلى بنى عامر وعند فراغنا طمعنا فيكم وقلنا نبدد شملكم وكان الذى كان ولولا فعالك ولم شمل الناس كنا طمعنا فيكم فقال خالد ومن الذى خلفتموه فى الديار لما رحلتم لحفظ المال والعيال بعد مسيركم فقالوا له أيها السيد أهلنا فى أمان من تغير الزمان وأكثر القبيلة تحالفت

حين خرجتم من بلاد اليمن أكثر من هذا الجيش ونحن ما سرنا فى طلبكم حتى صح عندنا أخباركم وسمعنا أن عبدكم الذى كنتم تتكلمون عليه غضبان عليكم وإن القبائل كلها فقالوا له صدقت ياوجه العرب أما الذى حدثكم بغضب عنتر فهو صادق ولكن عند مسيرنا اليكم صالحناه وتركناه عند خيامنا ومعه الفرسان الحماة مثل مقرى الوحش وعروة ابن الورد وابن اخت عنتر المطال وعبده أبو الموت سيد السودان وجماعة من بنى غطفان وهذه فعال ملكنا قيس خوفا من بنى عامر لانه فزع منهم أن يضيعوا حرمته عند غيبتنا لما بيننا وبينهم من الدما (قال الراوى) وكان السبب فى كون العبسى قال هذا المقال خوفا على الأهل والعيال لأجل ماسمع من هذا المقال إلا أن خالد سمع من بنى جشم يقال له سابق بن ثابت وقال يا ابن العم سر بهذا الجيش من وقتك هذا ولا تفتر ولا تهذ لعلك أن تصبح مضارب بنى عبس صباحا وتخلص أخى دريد ويكن انفصل الحال وبلغنا الآمال فقال له ومن بقى عبس حتى تبعتنى اليهم فى هذا الجيش فقال له اخبرنى بعض الاسارى أن عنتر هناك ومعه طائفة قوية فان كان الأمر صحيحا فهذه خمسة آلاف تدهمهم وتكسرهم بها وإن لم يكن الأمر صحيحا فانزلوا فى خيام القوم وخلصوا دريد والذى يامركم به الشيخ دريد افعلوه لأنه على قدر مايرى يفعل فقال سابق السمع والطاعة ثم تقدم أمام الجيش وسار يقطع الأرض تحت أذيال الاعتكار وبقى خالد فى دون معشرة آلاف فارس ينتظر الصباح وبعد الابطال بالنصر والمال المباح فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم لما نزلوا عن ظهور الخيل عند إقبال الليل اتاهم الكليم فارس بنى كريم وشكرهم على فعالهم وسلم على الملك قيس وحياه وكان حوله سادات بنى عبس مثل الربيع بن زياد واخواخوته فقال لهم لاتظنوا ولابد ما أقاتل حتى تنهب جسدى السيف القواطع لانكم احسنتم إلى وفرجتم عنى الكروب، على أننا لو كنت اطلب النجاة كنت نجوت ولكن نفسى لم تحدثنى بالهرب وما سرت فى بنى عمى إلا لاجل المعاش والمكسب وها أنا التزمت وكان الذى ولابد من تفرق هؤلا القبائل والفرسان كى لا أبر عندهم حديثا على طول الزمان (وقال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلامه عجب وقام اليه وأجلسه بجانبه وقال له يافتى لو كان هنا انصاف كنا كلنا سعينا بالاسعاف لانك نصرتنا على الاعداء والجميل لمن بدا ونحن والله تسببنا فى معونتك قصدا وإنما اتفق لنا هذا الاتفاق والهدى من سعادتنا وعلو مجدنا وإلا ما كنت تخلصت فى أمسك وكانوا أعدموا رفقاك لاجلك ولا كانت أهلك تواك

فكفاك مالقيت من الحرب فى أمسك ويومك فخذ لنفسك الراحة من هذا الصدام. واطلب النجاة برجالك تحت استار الظلام ونحن دعنا نقاتل بقاتله من هؤلاء اللئام من بليتنا بقاتل فقال الكلم لا وحق مسير الغمام لا أفارقكم حتى اشتت هذه القبائل فى البرارى والاكام أو اشرب معكم الكاس الذى تشربون منه والسلام فقد صار لى على هؤلاء ثار أطلبه ودين أخلصه ولا أتوانى عن سببه فشكره الملك قيس والجماعة وقال بعضهم لبعض يا أخوانا خلف الله علينا عوض عنتر بن شداد هذا الفارس هو أثبت من عنتر فى الحرب والجلاد ومعه ألف فارس شداد ثم قدموا لهم الطعام وصار بين القوم حرمة وذمام والزموا حولهم النيران وما أظلم الظلام حتى أخذوا فى المشوره والتدبير والحيلة فى تفريق هذه الاعداء والجيش الكبير فقال الملك قيس الرأى عندى أننا نأخذ الراحة ساعة من الليل ونعود إلى ظهور الخيل ونحفظ حريمنا بالاحياء ونجعل قنالنا قدام الحريم بلا امتراء ولا نأمن من خالد أن يرسل أحدا من فرسان هذه القبائل حين يأتى الظلام الهائل فيسوقون الكواعب وتعظم علينا المصائب لانهم أن فعلوا هذا وعادوا علينا وصاروا من خلفنا وبين أيدينا تعظم الامور علينا وهذا الحساب خطر ببالو وقلبى منه خائف وأن دريد ذكر نالو أنه ارسل إلى لقيطين زارره واعلمه أنه يلاقيه على أرضنا ويشغل قلوبنا ونحن ههنا ويطول المطال فتملك الحريم والعيال وتملك ديارنا والاطلال والاهل والعيال الذخائر والاموال وتفتضح بين القبائل فى الارض والجبال فلما اتى الملك قيس من هذا الحديث علم جميع رجاله واصحاب أنه أصاب وأن خاطره قد حدثه بالصواب فقال الربيع بن زياد يا ملك لقد حسبت حسابا مناسب فخيلهم ولابد سارب من البلا نجت ظلام الغياهب فسربنا أيها الملك على الاثر حتى نرى أحوالهم وأعمالهم فلما سمع الكليم بهذا الامر العظيم قال لهم ارحلوا أنتم الساعه واطلبوا أهلكم حتى أسيرانا خلفكم على أثركم كفيتكم امره وقطعت عمره فعندها رحل بنو عبس الكرام طالبين المضارب والخيام تحت أستار الظلام وتركوا النيران على حالها زائده ومن معه بسيوف حدادور ماح مداده ولما أصبح الصباح صبحت قبائل العرب أرضهم فلم يجدوا لبنى عبس فائدهل خالد وتخبر وعلموا أنهم طلبوا الديار فعندها أقبل خالد على رفعاه وبنى عمه وأقرباه وقال لهم لابد ان بنى عبس علموا مادبرناه وسمعوا بخبر الجيش الذى سيرناه ورحلوا على أثره خوفا على مالهم وحريمهم وعيالهم ونريد نحن نلحقهم والى ضيقوا على دريد لانهم علموا أن المصائب من أجله فساروا عليه باسم الهزيمة وها نحن

الجزار الذى كانه البحر الزخار وفى قلبه على أخيه دريد لهيب النار وجدوا على هذا الحساب فى الروابى والهضاب وكان أول من أشرف على خيام بنى عبس ثابت بن واثب الذى سار فى الأول يطلب خلاص دريد من الأسر والعذاب فلما قرب من الأحياء فرق الجيش فى سائر الجنبات وانتظر أن يخرج اليه احد من بنى عبس القناعس فلم ير إلا دورن المابتين فارس ظهرت فى أذيال الخيام وهم مع نوفل أخى الملك قيس إلا أنه لما رأى تلك المواكب والكتايب تفرقت من كل جانب وأحاطت بالحريم وصارت بين المضارب ورفعت الصياح من المشارق والمغارب ورجفت قلوب النسوان على فقد الحبايب وانقلبت وانيا بضجيج البنات الكواعب واخطلت الأحرار بالعبيد وقاتلوا القتال الشديد وما نعوا عن الحريم والعيال وقد ظهر ب من سابق وأصحابه الأهوال فصاح وأعتن بالصياح وقال عليكم بأبيات الملك قيس باستعجال فما يكون سيدكم دريد إلا هناك فيمن معه من الرجال ومتى حلص انصلح الحال وبلغنا الآمال فعند ذلك مالت الأنطال وعظمت بين الأطناب الخيل الرجال الأهوال وركضت بين واشتد على الملك قيس القتال وبوكب النصال فاكل أكثر من ساعة على هذه الأحوال حتى أقبلت بنو عبس مواكب وسراب طلع غبارهم مثل الزواج ورأوا القتال دايرا بين أطنابهم وشائع فصار الغيظ فى قلوبهم متتابع وصاحوا صياحا منكرا وأقبلوا مثل موج البحر إذا زخر وفى الحال صار وامع أعدائهم فى الخيام وحارت الأفهام وأظلمت الأقطار مثل القتام وما تضاحى النهار حتى عادت بنو حشم إلى القفار وأخرجتهم بنو عبس من خيام قوة واقتدار ونهبت منهم نفوسهم وطيرت رخسهم وأدركهم فارس بنى كريم فى الالف فارس المقدم ذكرها ورأى القتال يعمل فاقبل هو ورفقته وجودوا العراك واشرف بنو حشم وبنو هوازم على الهلاك وعلمت أنه ما بقى لها من الموت فكاك وقاتل سابق قتالا شديدا واكثرت الآلام بينهم والبوائق وما نجا إلا من كان جواده سابق وهلك من نفذ فيه الحمام الماحق وانقسمت المواكب فى سائر الجنبات ونفخ على بنى هوازم وجشم برق الشيات وبقوا فى هزيمتهم جيارى وبعد الربح عادوا فى خسارة وفى ذلك ان قت أشراف عليهم اللقط بن زرارة فى خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس ورأوا غبار الحرب دايرا وقتال المعمعة فايرا فمالوا عليه ومجلوا على بنى عبس وطلبوهم من كل المواضع لأنهم حارسون أنفسهم باشد المواقع ودارهم لا يقصد إلا من له على بنى عبس ثار وقصده هلاكهم والدمار وكان عندهم علم أن الأنطا فلما نظرهم بنو حشم مالوا النهم وأخبروا اللقط بحال سيدهم دريد وان اخوة خالد أرسلهم لاجل أن يخلصوه من أسر بنى عبس فلما سمع اللقيط ذلك الكلام صاح فى أبطاله وحثهم على حرب بنى عبس وركب فى أوائلهم جواد النوبة وقلبه ملان بالحنق والحرق

لأننا ذكرنا سابقا ما بينه وبين بنى عبس من الثأر وما جرى لهم من الحرب القديم خوف العار فطلب بنى عبس بفرسانه وحمل عليهم بشجعانه وكان قد وصل معه عشرة من اخواته لأنهم كانوا تسعة عشر اخا من أم واحدة وأب واحد وكلهم فرسان وأبطال خبيرون بالطعن والنزال ورماحهم طوال فتفرقوا خلف الهاربين فى رؤس الجبال وعاد بنو عبس خوفا على الحريم والعيال واجتمعوا لما رأوا ذلك الجيش الذى هو كالرمل السيال والتقوا أعداءهم على هذا الحال وصاح الملك قيس يا بنى عمى هذا اللقيط بن زرارة أتانا بهذا الجيش الكبير فافنوهم قبل أن يصل الينا الذين تركناهم خلفنا فتكثر علينا العدد وتشتد مصائبنا وعلى الحقيقة اهتزت أرض جزع الطواف وتزلزلت النواحى ومثلت البطاح وبيعت النفوس بيع السماح وتحطمت الرميس والاكتاف وقطعت الأيادى والأعضاء من خلاف ورفزع الجبان من الموت وخاف وحمل الكلم فى بنى عبس وعدنان وصار يقاتل بالسيف والسنان وكان بحر الهلاك وموج المنايا كما سمعته الفرسان ففتك فى بنى دارم وأذاقهم الهوازوما زال القيال يعمل حتى تضاحى النهار وبنو عبس على قلة عددها قاتلت ونصحت فى قتالها لانها أيقنت بهلاكها وبالهاوى تلك الساعة وصلت عساكر دريد مع أخيه خالد وقد ذكرنا أنها عشرة آلاف الا أنها رأت الغبال ثابر والحرب وطلبت القتال وما أهملت وكانت بنو عبس من القتال وتشبثت عند ذلك عادت إلى الخيام وقد أظلم على الناس الظلام وبات بنو عبس سكارى من الصدام أقوى مما يسكر من شرب المدام ولما أخذ الراحة واستقروا فى الخيام أخذوا فى المشورة والتدبير وكانت قلوبهم قدية بالكليم وأن ياخذوا ما اراده وقومه ويعول على الارتحال فى الليل فابى وقال وحق من جعل الليل سكنا والنهار معاشا وفى عالم غيبة قد احتجب لارحلت وروح أصحابى لكم الفداء ثم قال الكليم أعلم يا ملك انى من قوم يحفظون الوداد ويعرفون حق الزاد وعند الصباح أنا أخرج إلى البراز واطلب منهم الانصاف فان بارزونى بلغت منهم المقصود وباتوا فى انتظار الصباح وافتقدوا آلة العدد والسلاح وهم يدبرون أمرهم للكفاح وتقرب الكليم من قلب الملك قيس وعول أن يزوجه بنته الجمالة من أن نوع قلبه من هذه المصايب ودارت حولهم القبائل واحتاطوا بهم من كل جانب والقى خالد مع اللقيط بن زرارة وأخذوا يتشاورون فى خلاص دريد فقال اللقيط عند الصباح تنهب أموالهم والحلايل ولما كان عند الصباح تبادرت الفرسان من كل جانب وضيقوا على بنى عبس المذهب وقاتلوا بنى عبس فى أذيال المضارب واشتدت الأهوال والمصايب وبطل خطاب المخاطب

وفاضت بحار الأعداء على بنى عبس سواكب لانهم اجتمعوا عليه فى عشرين الفا مابين ماش وراكب واوهموهم بالصياح وأغلقوا فى وجوههم باب النجاح وكان لهم يوم عظيم الشأن صار من الضرب بالصفاح والطعن بالرماح كما قال فيه الشاعر حسان فى الأبيات نملاح .

ويوم طال فيه الافتكار ... به نار يلوح لها شرار
وخيل تحرث الميدان حرثا ... وأقحاف الرؤس لها بذار
ودم السيف مثل سيل ... ومن حد القنا تروى القفار
فشق به الفارق عن شقيق ... يظل مبرقما منه النهار
ربيع به لم يشم فؤادى ... ولم تشمم برابحته عذار
وقد عادت سماء النقع أرضا ... بهم تهوى إلى جهة القرار
وأجساد هناك مطرحات ... وللقمرات طي وانتشار
هتكت بحابه ببريق سيف ... وهامات تطير يستطار
وخيل للغبار مشردات ... وقد أبدت أنينا اختوار

قال الراوى ولولا الكليم فارس بنى كريم ما كانت طايفة بنى عبس أتى عليها الظلام ولا بقى منها مشايخ ولا علام وإذا كان فارس جيد فى طائفة ضعيفة حماها وجراها على الثبات إلا أن الليل مادخل حتى قتل من بنى عبس أوفى مائتى بطل وباتوا وهم حيارى فى غاية الخذلان يودعون الأولاد والنسوان وأما الكليم فانه قال يابنى عمى لو علمت أمرنا ينتهى إلى هذا الحال كنت أنفذت إلى قومنا رسولا يعلمهم بمصائبنا ويأتى بهم إلى نصرتنا وأولادهم والله لاتخليت عنهم حتى تلعب الخيل برأسى وابقى تحتهم لا أعرف ما أقاسى قال الراوى وقد قاتلوهم فى ثانى يوم يوما كلاما وهم بين الخيام والأطناب ودافعوا عن الكواعب والأتراب وتمددت وتفتت الأكباد وصارت النساء أرامل والأولاد أيتام وماصدق بنى عبس بدخول جيش الظلام حتى تفرقوا ووقع الانفصال فقال الملك قيس للربيع بن زياد مابقى يابن العم إلا أننا ندخل دريد بن الصمة ونسأل فى الصلح ونطلقه من الاسر وأن طلب منا الفداء أعطيناه ولو طلب منا ما نملكه لبذلناه لنطلق سبيله وتنصرف عنا وجعله عبدا فى الفلاة بالفعلة ماتزول مرقليه ولا ينساها إلا أن يطمعه فى المال وترق له بالسؤال وإلا جمع علينا كل الفرسان والأبطال فانه رجل على القدر فى القبايل والحال وأمره مسموع وممتثل والمال الذى يأخذه منا أن عشنا رجع الينا واستخلف وأما

الأرواح فلا ترجع بعد الهلاك والتفت فقال الربيع ماهذا الانعم الرأى فافعلة أيها الملك حتى يكون على قدر جوابه التدبير وأما أنا فلا أقع فى عينيه حتى لايلزم اللجاج لأجل مافعلت من الانزعاج فأخذ قيس جماعة من عشيرته ودخل على دريد وسلم عليه وقال له إعلم ياسيد بنى جشم أترك بيننا العناد وترميل النساء وتيتيم الأولاد فاطلب ماأردت قدا أخيك حتى أننا نحمله اليك ونبلغه الإن ولاتكن من أدنى الرجال فلقد أعطيت هذا العمر الطويل وتفعل فعل الجهال وقد سألناك ألا تبغى علينا ولاترد السؤال لأن الدهر مادام لأحد على حال طبعه التغير والانتقال وأمرك ياشيخ العرب أولى وأنت إلى طريق الصواب أخرى فلما سمع دريد بن السمة ذلك خاف من عاقبة البغى والعدوان وقال للملك قيس أسمع ياقيس أما الأحوال التى فعلها بنو زياد فقد ملات قلبى احقاد وأما كلامك أسمعه وحق سؤالك لاأضيعه وأما قولك تعطينى مالا أقبله فالمال مردود عليك ولكن أريد منك أن تسلم لى الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد وطائفة بنى زياد حتى آخذ منهم دم أخى عبدالله فانك تعلم أن الربيع فعل معى هذه الفعال ورمانى فى الاعتقال بالمكر والاحتيال ولاترك لى بين العرب رأسا تشال ولاعادت العرب تسمع لى مقال وإذا أطلقنى أطلقنى أطاق كل من كان معى أيضا فى الاعتقال بغير فداء ولامال وبعدها تكافح أنا وبنو زياد حتى أستوفى دم أخى منهم بالحسام الفصام أوهم يقتلونى ويبالغون لقتلى الإمال وأن كان يصعب عليك بنى عمك وهم بنو زياد وتخاف من مصيرة العباد فلا تلام على هذا الايراد إنما أنفسهم بعيدا عنك فى البر والمهاد أنا أطلبهم فى كل شعب وراد وإذا كانوا يحتجود بالمكاثرة رقلة الانصاف فأنا أبارزهم فارسا لفارس بلا إسراف فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال لابد مت المشورة فى هذا المرام وقام الملك قيس من عنده وأتى إلى الربيع وأعلمه بذلك فقال عمارة أطلقه ودعه يطلق أسرانا فان رجالنا أنفع لنا فقال الملك قيس أن أطلقه فما عندنا من يقاومه فى الميدان ولا يثبت له فى جولان فقال عمارة ياملك أطلقه هو من المضرة وأنا على به أيضا فى هذه المرة ولاتخش ياملك من بأسه وسوف إهدم اركانه بن إساسه واقطع يديه مع راسه فان ما اسرته فى مقام الطراد ما كنت انا الأمير عمارة لقوادو إلا فأعدمن الأوغاد ولا أحد ينادينى ياامير بل اكون بين العربان كالطنجير واتفق الراى على اطلاق دريد والمبارزة بينه وبين بنى زياد ثم ارسل الملك قيس إلى دويد من يأخذ عليه العهد والميثاق ويطلقه من الوثاق فاطلقة وخلع عليه واعطاه عدته وسيرة وجواده وسيره إلى اخيه وكان وقت السحر وما اصبح الصباح

إلا وهو عند قومه وعشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بخلاصه وما طلعت الشمس حتى اطلقوا كل أسير لبنى عبس وردوا عليهم خيلهم وعددهم فقال أخوه خالد لو كنت صبرت اليوم كنا خلصناك بلا فداء وأهلكنا جميع العداء فقال دريد خفت يا أخى من عاقبة البغى والردى لأن الملك قيسا دخل على وتذلل بين يدى فاجبته فى اطلاق اسراه وأن هذا لاينفعه ولاارضاه ولابد لدن أخذ الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع أن مانعونى عن عمارة وأخيه الربيع ثم أنه أمر ذلك اليوم بترك القتال لأجل السلام على الفرسان والابطال ولما كان من الغد اصطف سادات العرب فى المجال وعرفوا ماهم متفقون عليه من البراز والنزال وركبت طائفا بنى عبس وبنى زياد فى أوائلها قارسها شيخ العرب عمارة المنتخب وسار وعزم على براز دويد بن الصمة حتى يصدقوه الناس فى مقاله ويعدا جناسه وكان راكبا على مهرة حمراء يقال لها خضراء ومفتقلا بقناه سمراء فسار يمشى قدام القوم ويجرر عه من وائله جرا وينتظر خروج دريد حتى يخرج إلى لقائه ليسقيه شرابه مرا فبينما هو كذلك وإذا بدريد برز إلى الميدان وجال وصال كما تجول الفرسان وتذكر انقلاب الدهور والأزمان فعندها أنشد وقال :

قطعت من الدهر عمرا طويلا ... وأفنيت أجيالا وأبقيت جيلا
هذبنى الشيب حتى عرفت به ... أمان الصديق وصرت به خليلا
شبت وما شاب عزمى ولا ... أوهن الدهر من حيل وبيلا
مابت إلا وظهر الحصان مقبلى ... إذا قل عنى المقيلا
فيوم تراني قتيل المدام ... وبين الرياحين أمسى جيلا
ويوم تراني رويحات الحروب ... أجود الطعان وأشفى الغليلا
أنا من نائباب الزمان الذى ... أذل العزيز وأوقعة ذليلا
وجارى بجارى من النايبات ... وخصمى صريع فى معامعه قتيلا
وفى السلم لى فى المعاطى نخار ... وأهب المال والملك الجزيلا
ولى همة فى نهار الطعان ... ترى الخصم منها عفيرا جديلا
واحتقر الجمع عند القتال ... وعند كثير الاعادى قليلا
وإن أردت بالليل ردع العدا ... لذى الصبح لم ترى لهم مقيلا
فقل لمن ساقنى بالخداع تالما ... وصار بأسرى يجرى الذبولا

إذا كنت يوم اللقاء فارسا ... يهز القنا فوق ظهران الخيولا
فبـــارزنى لتلق فتى شرسا ... لتنظر نهارا عليـــك وبيلا

وقد عنى بالبيت الأخير الربيع بن زياد لما خدعه وأسره هذا وعمارة لما نظر إلى دريد وسمع مقاله هز رمحه وحرك جواده وصار بين أعطافه فسبقة ذواب بن أسماء من فرسان بنى زياد المذكورة وهو الذى قتل عبده الله أخى دريد وصار مع دريد فى المجال وصرح فيه وزجر وقال له ويلك يا دريد أنت تدعى أنك فارس شجاع لا تكل من القراع ولا تفزع ولا ترتاع وتفتخر بما أعطيت من العمر الطويل مع أنه لا يطول الاعمر من كان جبانا ذليل ولو كنت فارسا شجاعا وقرمامنا عافانا أفرس منك فى الحرب والقراع فأنى أنا الذى قتلت أخاك فى منعرج اللوا ومنتظرلا وافتخرت بفروسيتك فى السهل والجبل وهذا يدل على أنك ذليل مهان لأن الشجاع لا يكون عمره طويلا وعمرك قد دنا واليوم أذيقك كاس المنية وأجابه على عروض شعره يقول :

لقد خضت فى الجهل عرضا وطولا ... وجاوزت فى الدهر عمرا طويلا
وغرك طول الأمل والزمان ... وجردت للبغى سيفا صقـــيلا
ولا يخشى عاقبات الزمان ... فوسط المعامع يمسى قتيلا
أما تستحى بعد فقد الشبـاب ... تمد إلى الجهل باعا طويلا
وجسمك قد انحلته السنين ... وغادر الدهر وسما وفيـــلا
فما قتـل الدهر شجاعا ... ولا وهب العمر إلى ذليـــلا
فبادر حملتى تكون صبورا ... فانك خصمى ولا لك مقيلا
قتلت أخاك بهـــذا السنان ... وأنت به اليوم تضحى قتيلا

فلما سمع دريد بن الصمة من ذوات اسماء ما قاله وما أنشده من الشعر والمقال علم ان هذا الذى قتل اخاه على كل حال وبأن له الصدق من المحال وهذا هو خصمه وما بقى يمكن امهاله وعلم ان هذا ذوات بن اسماء وقد غابت عنه الأرض والسما فرمى الرمح من يده وجذب الحسام من غمده وهزة فى يده حتى دب الموت فى فريده ومنعه الغيظ عن الكلام فطلب خصمه كما يطلب الصقر ايراح الحمام وضرب رمحه بالحسام براه برى الأقلام ثم قاربه وانحط عليه انحطاط جبار قاصى المخالب والأخطار وفتح باعه ومد بالحسام ذراعه وضربه ضربة اشبعه بهمته فنزل حد الحسام إلى وسط قمته فقطعت البيضة والرفادة ونزل السيف إلى

تصف قامته وزيادة فمال وانقلب وصاحت فرسان العرب وتعجبوا من ذلك الضرب كل العجب ولما نظر عمارة غارفع بذوات بن اسما فابتلى بداهية عظما ورفع رأسه إلى السما وأدرك الويل والعمى وطارت من رأسه الشجاعة وبقى فى غايه الخوف والضراعة وذهب عنه قشنره وعجبه وأراد أن يولى دبره فاستحى من العربان فثبت جنانه فى الميدان وهو قائله القعل حيران فقرى جنانه وأطلق سنانه وقوم سنانه وتلقى دريد وقال فى نفسه أن الفزع مايفيد فاخذ معه فى المجال واستقبله دريد ولما أبصر عمارة أن دريد قد قاربه وحمل عليه قاتله فصار عماره فزعه يأخذ فى الميدان عرضا وطول ويحاول خصمه وخصمه عنه لايحول ولايزول ولما زاد عليه العيار أراد أن يطاول دريدا بنشيد الأشعار فانشد يقول

اليوم طاب الضرب بالقرضاب ... والطعن بالسنان والحراب
دونك حربى يادريد فانى ... أنا عقاب الطعن والضراب
أنا عمارة الفارس الندب الذى ... أدعى لدى الحرب بالوهاب
صبور لطعن القنا يوم اللقا ... ولم أكن من العدا هراب
أبى زياد وأنا عمارة ابنه ... ذو الفضل والاحساب والانتاب
كم من فوارس فى اللقا قهرتهم ... وقدتهم فى الحبل مثل كلاب
فاخى خامى بنى عبس الذى ... يدعى الربيع الفارس المنهاب
وسوف القيك فى الثرا مجندلا ... معفرا الخدين بالتراب

قال الراوى فقال له دريد يانذل بنى زيادة تعسا لك ولاخيك وأمك وأبيك المثل تقول هذا الكلام الذى تذكر به نفسك فى شعرك قطع الله أهلك وفرعك خسارة فيك الكلام لأنك ندل من دون عرب الأنام فعندها انحظ الأمير دريد انحطاط الباشق الجسور على أضعف الطيور وعقد على رؤسهما الغبار الربيع بتطاول وينظر إلى أخيه وهو محتار وقد علم عمارة أنه فى مقام الاخطار والربيع خايف على أخيه من القتل والدمار ويتمنى له الأسر ويدعو اله بالنصر إلى أن تعالى وانجلى الغبار عن الفارسين وإذا بعمارة قدام دريد أسير وهو يسوق الجمير لأن دريد أتعبه واكربه وطعنه بعقب الرمح قلبه وكانت طعنة من رجل جبار فقصفت ضلعين من جنبه اليسار وتبادرت فرسان بنى جشم ونادوا بالثار هذا والربيع لما رأى ذلك سطى فى شعر ذقنه نجله ونزل على وجهة وقدم عقله وشق ثيابه وعمامته ولم يدر مافعله وصار يلطم وهو حاسر رأسه حتى كاد أن

يقلع أضراسه وصار يقول واذل بنى زياد بعدك ياعمارة لقد شمتت أعداؤك بما أصابك من الخسارة وصاح جميع بنى زياد وأسفاه عليك ياوهاب لاطابت لنا بعدك الحياة ولا فينا من يريد المقام فى دنياه ثم حملوا عليه من كل جانب ومدوا إلى دريد الأسنة والقواضب ولما أبصر دريد ذلك حمل عليهم حملة الليث الواثب وصار يضرب فيهم ضربا مثل صواعق العذاب وصاح وقال طاب الموت يا كلاب وخاض فيهم بطعن مستبق وساعد فى الضرب منطلق وصار إذا طعن فارسا رماه وإن قبض على أحد اعدمه الحياة ومازال كذلك حتى قتل سبعة عشر وأسر خمسة وكان نصف النهار قد عبر فلما رأى الربيع بن زياد ذلك الحال زادت ناره اشتعال فقز إلى دريد فى الميدان وقاتله بهمة وهجم عليه الربيع كما ذكرنا فارسا شديد الباس لا يقع به مال إذا اشتد المراس فبقى مع دريد حتى أقبل الليل ورجع وهو يشكو عدم القوى والحيل فتلقاه الملك قيس وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك فقال يا ملك ماهو إلا كاسمه راحات الحرب لأنه لا يخاف من الطعن ولا من الضرب ولكن زيادة فى حباله وأنا خائف عليهم من الهلاك لأنه إن هلكهم بدم أخيه لبتنا العار إلى الممات وتركنا بعدهم نتقلى على الجمرات فقال أسيد بن جذيمه عم الملك قيس الخطأ فى الأول كان منكم فى أبعادكم عنتر بن شداد لأنه سعاده هذه القبيلة العبسية ومذغاب عنها فارسها البلية وكان حاميتها وجامع شملها وأنتم ماعرفتم قطره وكرهتم ذاته ومهره فاش بنى عبس ماثبتت فى هذه الأيام وقاتلت إلا غصبب وكانت معولة على الهرب فلو كان حاميتها هنا لم يقدر أحد إليها يتقرب واعلم ياربيع إن كل من كان فى القبيلة من كبير ووضيع يدعو عليك وعلى قيس بن أخى حيث كان لك مطيع وقد فرخ فيك وفى أسر اخوتك العداو أحبوا أن يقتلوهم ولا أطلقوهم لما لهم عليكم من النار من إبعادكم عنتر الفارسى الكرار ولا بقى لكم ذكر يذكر فقال الملك قيس صدقت ياعماه والرأى عندى أن تنفذ إليه ونأخذ بخاطره ونطلب منه النصر على الأعداء وتذلل بين يديه حتى يرتضى فقال أسيد هذا هو الصواب بان تنفذوا اليه وتعتذروا له من أفعالكم الرديئة فان أجاب كان ذلك خيرا منه وكرما وإن لم يجب هو معذور لأن الطراد أعظم مايكون فى الامور فقال الربيع وإن كان الأمر كذلك فانا أسير اليه وأقبل يديه ورجليه واتذلل له وأبذل له ماتملكه يدى ونسأله أن يعاونى على كشف بلوتى فقال الملك قصدى أن أرسل اليه رسولا أسمع منه مايقول ثم أنهم أنفذوا اليه بعض الفرسان ومشاهدا الاخوان فسار الرسول اليه وهم باتوا تحت الظلام يحرسون أنفسهم ويتشاورن فيما نزل عليهم من الاحكام هذا ماجرى لهؤلاء وأما كان من دريد بن الصمة

فانه إلى عاد إلى قومه وكان أشفى فؤاده فرح بأسر أعدائه وأخذ ثاره وأشار إلى خالد بأن يقتل من وقع فى يده من بنى عبس وبنى زياد وان رأينا الملك قيس حامى عنهم بذلنا فى بنى عبس سيوفنا ثم أنه بات ينتظر الصباح فلما ذهبت أذيال الدجا وأقبل الصبح متلجاز عقت الخيل وترتبت القتال فقال اللقيط بن زرارة أصبروا اليوم حتى أن الشيخ دريد يأخذ غرماه وينال ما تمناه ويبلغ من بنى زياد مناه ونحمل نحن على الخيام والمضارب ونسبى النساء والبنات الكواعب حتى لا نكون قد أتينا من بلادنا المتباعدة ونعود بلا فائدة وترجع بنى عبس عن هذه الحالة المقدم ذكرها وكان أول من خرج وطلب البراز دريد بن الصمة ونادى يا بنى عبس اخرجوا إلى غرمائى كما وقع الاتفاق بينى وبينكم ثم أنه صال وجال وانشد وقال

يا نديمى اسقنى كاس الحميا ... فى ثنايات الحمى من كف ريا
بين روض ونبات مزهر ... حسنه أهدى لنا مسكا زكيا
من كل عذرا جنوب قدها ... يخجل الأقمار والشمس المضيا
قد شذت كاساتها من قرقف ... فتعيد الميت للذات حيا
يا ندمى اسقنى واجتهد ... ودعانى أبصر الشتمين شيئا
ففؤادى قد صحا من سكره ... واشتفى الداء الخفيا
ليت عبد الله خلاه الردى ... فى نعيم أو يعود اليوم حيا
ليته يرجع كما أعهده ... حسن القامة وصاح المحيا
ليرى أعداءه مع وحش الفلا ... تنهب من جسمهم لحما طريا
زرتهم والخيل تركض فى الحما ... وعليها كل جبار عتيا
فتركت الأرض فى عرصاتها ... تدعى بعد الظما شبعا وريا
يا بنى عبس لقد أوزثكم ... قتل عبد الله ذلا سرمديا
فوحق البيت والركن ومن ... طاف بالاركان والحجر النقيا
لا تركت اليوم فى أرضكم ... إلا من كانوا شمطا أو شيوخا منحنيا

وكان دريد يقول هذه الأبيات والربيع يتأهب للقائه والملك قيس عن ذلك ينهاه ويقول لا تخرج إلى هذا الشيطان فانه إن ظفر بك أهلكك واهلك ولا دعاك وأنا أعلم أنه ما بقى عليهم إلا حتى يظفر بك فالصواب حتى يعود رسولنا من عند عنتر وإذا أتى معه فرج عنا ما نحن فيه من الغم ودفع عنا شر دريد بن الصمة فبينما هم فى المجادلة وإذا بالكليم فارس بنى

كريم تقدم إلى الملك قيس وقال أيها الملك ما هذا التوقف عن هذا الشيخ المتكبر على أبناء جنسه وأنا ما تأخرت عن براز إلا لأجل الشرط الذى بينكم وبينه إلا كنت برزت اليه فقال قيس يا فتى جزاك الله خيرا أما أنت فقد أوليتنا من الجميل ما لا نقدر على حمله ومع ذلك فاننا خائفون على ابن عمنا الربيع أن يظفر به فيهلكه هو شيخ القبيلة كلها وقد عولنا أن نتعاون اليوم حكم ما كنا أول مرة ويساعد بعضنا ببعض حتى لا نصير معيرة فى سائر الأرض فقال الكليم إن كنتم عولتم على ذلك فاصبروا حتى أجرب روحى مع هذا الشيخ الذى فى قلبى منه النار ثم إنه قفز إلى الميدان مثل السلهب وانتخى نخوة العرب وامتزج بالغضب ثم أنشد هذه الأبيات

يا حسامى آن لك أن تراعى الذماما	وتوافى العهود والصداما
ونقد القدود ظهرا وبطنا	وتريق الدما وتبرى العظاما
فحرام على أن عدت فى النقع	أشهر السيف أو أسل الحساما
قد نزلنا بحى قـــوم كرام	أكرمونا وودونا أحتراما
والتقينا معهم صدور الأعادى	وكان أكثرهم قوم لئام
سا لهم ناصر على مادهاهم	ونهلكهم وإن كانوا كراما
قسما بالبيت الحرام ومن حج	وزار من بعد الطواف مقاما
لا تخليت عن حماهم بجهدى	حتى أمسى بالفلا رماما

قال الراوى فلما نظره دريد قال له أنت لست من بنى زياد بل أنت الكليم فارس كريم فما سبب نزولك هل أنت انتقض الشرط الذى بينى وبين قيس فقال الكليم دونك والميدان لا تحتج بما يكون وكان انطبقا انطباق الجبال واقتتلا قتال من لا يهاب الرجال وداما كذلك حتى عبر نصف النهار واحمر اتحت الغبار غاية الأنحصار وكان لكل واحد من هذين الفارسين محبوب وأنصار فتعلقوا القلة معرفتهم فى الأخبار وفى تلك الساعة وصل الرسول الذى كان أرسله الملك قيس فى طلب عنتر وأعلم أنه غائب فاشتدت على بنى عبس المصائب وقالوا ما بقى لنا من يفرج كربتنا غير الكليم قال وكان دريد قد تعجب من فروسية الكليم فوقف عنه وكان عبر نصف النهار فقال يا كليم فاى شى رأيت من بنى عبس من الخير حتى تعرضت للهلاك وكان أبوك أصدق الناس إلى وأحظاهم لدى فوقف الكليم عن قتاله واعتمد مكره واحتيا له وقال يا راحة الحرب الذى أحوجنى إلى القتال

مع بنى عبس سبب ما يمكننى أطلعك عليه فقال له دريد وذمة العرب أن قلت لى قصتك إلا وصلتك إلى غرضك وأرد اليك وغنيمتك ما أعطك من أموال بنى عبس ما تحتاج ولا تعاد لمثلى وتلزم الحجاج بين هذه القبائل التى كانها البحر العجاج لأن الشرط الذى بينى وبين بنى عبس أنفك بخروجك وفى غداة غد آمر القبائل بالجلة عليهم وأنهبهم بأطراف الرماح الذوابل وأنت تندم حيث لا ينفعك الندم فعد برجالك الينا وأجعل معولك علينا وأبشر بما يسر فؤادك أن صدقتنا وان كنت هويت بعض بنات العرب فانا أجعلها خادمة ولو كانت الجانة بنت ملكهم قيس وغيرها من سادات قبيلتهم حتى نقلع النهم الآثار ونأخذ حيث حدثة فى حديثة بما كان عول عليه من بنى عبس وأضمر فى فؤاد فتبسم وقال درك يا أبا النظر لقد فقت بالفصاحة فى حال مكبر والصغر لانى فى هذه الأيام نظرت إلى الجانة بنت الملك قيس فهام قلبى بحبها وما خرجت إلى قتالك إلا من أجلها ودخل عقلى أنى أقدر عليك وأتقرب إلى قلب أبيها قيس وجدها الربيع واخطبها منهم إذا انكشفت هذه الشدة عنهم والآن فقد خاب ظنى فى أمرك وعجزت عن اسرك واستحييت من علو قدرك لكنى ما آمن غدرك إلا ان تعطينى يدك وتحلف لى بالرب المعبود انك لا تزول عن الايمان والعهود حتى انى اجول معك فى هذه الساعة التى بقيت من النهار واعود وإذا كان غد اجتهد فى معدنتك بكل آمالى إذا اشتغلت قلوبهم بأخذ ملكهم حملتم انتم بعدى عليهم وانفضت تلك الأشغال وبلغنا الآمال وإذا لم تفعلوا ذلك طال عليكم المطال وتنقضى الأيام والليالى لأنهم فى الليل انفذوا المال إلى الفرسان المذكورة فى القبائل تأتيم الفارس والراجل وتملأ عليكم الأرض كمتايب وجحافل وارسلوا أيضا يسترضون فارسهم الأحد وحسامهم المهند الذى ما مثله فى الزمان يوجد وهو عنتر بن شداد الفارس الأسود فلما سمع دريد مقاله انطلى عليه محالة وانه وقد انخدع وبذلك حدثته نفسه وقال هذا رجل غريب وما ركن لبنى عبس إلا من أمر عجيب فظن ذلك الحسن وظن انه يكون من حربه ان يبقى معينه على تصاريف الزمن وأما الكليم فانه حسب حساب آخر وقال هذا رجل اسعده الزمان والوصول اليه بالطعن والضرب على غير الامكان وكان الشيخ دريد فعل دريد كفعاله ولكنه ما خفى عليه من رجفان الكف والزنود انزعاج الأحشاء والكبود وعادا الاصلاح بينهم مفسود وصاحا صيحات الرعود وتجاذبا مجاذبة الأسود وكان لهم وقت مشهود يشيب منه كل طفل مولود ويذهب منه الصخر الجلمود

ومازال على مثل ذلك حتى تعبت منهم الخيل ووقعت إلى الأرض من شدة التعب والويل وتراكضا فى الميدان حتى ضجت من أفعالها الأبطال والفرسان وحار من أفعالها الأقران وظن الكليم أن دريدا يتعب عند المعركة لأنه دخل عليه الأسا من ملاقاة الفرسان شيئاً ضايقه فرآه عرقا لا يلين ومضاربه كالأسد العرين وداما على المواثبة والمجاذمة حتى آيس كل واحد من صاحبه من الحياة عند المقاربة فقال له الملك قيس لمن صحبه يا بنى عمى ما هو من المروءة أننا نتخلى عن هذا الرجل الذى أحسن الينا وبذل نفسه دوننا ونتركه مع هذا الجبار فى مقام الأخطار والصواب أننا نحمل عليه حملة واحدة ونخلصه إلا وأهلكه وأهلنا وشرعت أسنتها وأشهرت سيوفها ونادت واغربتاه واقلة ناصراه فأبصرهم خالد فحمل القبائل من ساير المواضع فعندها حمل الملك قيس وركضت أبطال بنى عبس وعدنان من كل جانب ومكان لم يتخلف منهم ماش ولا راكب وارتجت الأرض بما عليها من المواكب وظنوا أن إسرافيل قد نفخ فى الصور وبعث الله أهل القبور وثبت الصنديد الغيور وولى الجبان الخايف المذعور وعن الحسام على الرقاب والريح فى الصدور وفاض الدما على اللحى والشوارب وطارت الرؤوس بشفار القواضب وقد غاصت الأسنة فى البطون إلى الكواعب واشتد الأمر المهول وكان بنو كريم قد أدركوا صاحبهم وأركبوه على بعض الخيول ونازلوه عدة الجلاد وكذلك فعل بنو جشم أركبوا دريد بن الصمة وأعطوه آلة الحرب ولما ركب الفارسان قاتل كل واحد منهما مع عسكره وفرسانه حتى مضى النهار وأقبل بالاعتكار وكانت بنو عبس قد خسرت لقلة عددها وقل صبرها وجلدها وفرحوا بخلاص الكليم وهنوه بالسلامة من يد دريد بن الصمة وهو يقول يا وجوه العرب ما كنت عن خصمى بعاجز وما كان رابحاً لما كان لى مبارز وخدعته لانجاز أمره وقطع أثره واكف عنكم شره لأنه رجل كبير وبضرب السيف خبير وقصدت هدركنه بالمعاركة لأبلغ منه الأمل بالمشابكة وظننت أنى آخذه على عجل فرأيته لا يبالى بقتال ابن شداد وقال له اكشف خبر ابن عمنا لعله يكون قد عاد فهذا ما جرى لهؤلاء قال الراوى أما دريد بن الصمة فانه لام خالداً أخاه على حملته وقال له يا خالد أى أى شى جرى على حتى حملت أنت فى العسكر وحق ذمة العرب ما كنت مع خصمى إلا فى غاية الاستظهار وكنت قادراً على مصارعته ومقارعته باقى النهار وما كنت أرجع من الميدان إلا أن آخذه أسيراً فقال له اللقيط بن زرارة يا أبا النظر دعنا من لوم أخيك والعتاب فما كان

فعله إلا صواب وما بقى لنا نية فى براز ولا مجال ولا نحمل إلا كلنا سواء كى ينجز الأمر والحال وإلا طال علينا المطال وانقضت الايام والليالى وربما أتى إلى بنى عبس ناصر من بعض القبائل والعشائر ويصالحون أسودهم ويعظم علينا شرهم وكيدهم ولو كان الاسود حاضر فى بنى عبس ما تخلى عن مساعدتهم ولا طال علينا حربهم وسالت من الاسارى فأخبرونى أنه غائب والرأى عندى أن تغتنم للفرصة بهذه الكتائب الذى جمعناها من أقطار البلدان قبل حضور عنتر الشيطان قال الراوى وباتوا على أنهم يزحفون عليهم بسايرالعساكر والدساكر والفرسان وما زالوا يتقلبون تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح وتبادرت الرجال مثل العقبان زحفت جميعها الى بنى عبس وعدنان واقتتلوا بالصارم اليمان وتظاعنوا بالاسنة حتى جرى الدم من الابدان وسال كانه طوفان وفنيت العدد الغالية الاثمان ودافعت بنو عبس عن الحريم والولدان وعمل السيف اليمان والرمح المران إلى أن طلع النيران وغابت الثريا والميزان وتسرطن السرطان وتفرقد الفرقدان وحمل الحمل ضغيم الليل فلين سواده وطابت الابراج الامان وضربت الجوزاء بشروق الفجر فانصدعت كالسندبان وتحرك اسيم الحرب فاعى الحلاق واشتد المجال وكثرت العوابق وجاوبت الرعود زعقات البواثق وهجم ضغيم الاسود فانفلق الصباح بأنوار الشرق وبان وحصدت السنبله بمناجل السيوف وانكسرت الخود وانقطعت البنان وجرى على الجدى من الثور ولم يزالوا على ذلك الحال حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار رجعت بنو عبس بالصبر والعيش المر وداموا كذلك ثلاثة أيام والرسل تسير إلى عنتر وتعود بلا خبر وفى اليوم الرابع صار معهم القتال فى الخيل المضارب وكثر على بنى عبس العدد وشبكت فيهم أنياب النوايب ودافعوا عن أنفسهم إلى أن ظلم الظلام وعادوا وهم سكارى من غير شرب مدام وكان آخر من مضى إلى عنتر قرواش بن هانئ بن عم الملك قيس فرآه عاد من السفر من عند زيد الخيل مع عامر بن الطفيل فهجم عليهم فى السرادق وبكى وانتحب وصاح وقال يا أبا الفوارس أطلت الغيبة وتركتنا من بعد الصيحة بالخيبة وإن لم تدركنا وإلا فما بقى لنا ولد ولا حرمة ولا قدر ولا قيمة والحرايرتسبى سبى الاماء ثم حدثه بما جرى لهم من دريد بن الصمة وما فيه من الكربة والغمة وقال فى آخر الكلام يا حامية عبس ما تريد تصنع والعرب طمعت فى قومك أى مطمع فبادرهم لعلى أن ألحقهم وفيهم رمق

وإلا تشتت شملهم وتفرق وقل عددهم وانبحق وهم وقد ندموا على معاداتك وعادوا إلى محبتك وودادك وحلفوا أنهم يكونون لك عبيدا ولا يفعلون إلا ما تريد لا سيما بنى زياد فانهم ندموا كثير الندم وعزم كل منهم أن يكونون لك من الخدم وهم ينادونك تجيرهم من العدم لأنهم من يوم أبعدوك ويأكلون كفوفهم أسفا يا مكرم ومرادهم يسترضوك ولو تطلبت أموالهم يعطوك وبارواحهم يفدوك وعمارة وأخوته فى العذاب الشديد والذى اسرهم دريد أذلهم ذل العبيد وما بقى إلا الربيع وذريد بن الصمه معول على صلب الجميع وأما الملك قيس فلا تسأل عن حاله فانه خابت آماله وقتلت رجاله وندم على فعا فالعجل العجل قبل قدوم الأجل وانقطاع الأمل قال الراوى وكان قرواش يحدث عنتر بهذا الكلام منكس رأسه يسمع ولان قلبه وخشع وركع طرفه ودمع وأراد أن يشاور عامر بن الطفيل ويسيرهو واياه فتفكر طرد الملك قيس وكلام الربيع وما سمع من الكلام الوجيع فقسا قلبه عليهم وقال يا مولاى أنا سمعت هذا الحديث من بنت عمى عبله وأخبرتنى بما جرى لهم من دريد بن الصمه فلو كان لى فيهم نية كنت سرت اليهم بالكلية ولكن ياقرواش كم أهان واسمع وكم يطردنى وازجع والتقى روحى فى كل نائبه وتعود أعمالى معهم خائبة وأنت أكبر شاهد بما فعلت فى أرض اليمن بينى حذيفه وبنى كنده وبنى سعد ومعاوية بن الزال وبنى تميم وبنى كلب بن وبرة فى مياه عراعر ولولا سيفى والسنان ما كان عمرو بن هندا بقى منه إنسان وما كان نفعهم الملك النعمان ولما وصلوا إلى ههنا وسلموا من نوائب الزمان فعلوا معه تلك الفعال وأصير بين القبائل والاحياء متهتكا وبعد ذلك يابن العم ما أنا من فرسان دريد بن الصمه ولا اقدر أقف قدامة إذا سل حسامه وهو المسمى براحات الحرب ولا سيما ومعه جشم وهوزان فارجع إلى قيس وحدثه بما أنت به سامع ولا تتعب على فيما أمانع قال الراوى فرد قرواش على عقبه ودموعه على خده تسيل وكان قد خرج من بنى عبس فى أول الليل فرجع إليهم وقت السحر واعلم بنى عبس بما سمع من عنتر فارتجف الملك قيس وتحير وقال يابن العم ما يمسى المساء فينا رمق وما بقى لنا غير الهرب ولا ملكنا هؤلاء العرب ثم أن الملك قيس أحضر الربفع بن زياد وجمع أعمامه اعلمهم بالحال وما قال قرواش من المقال فاخذتهم الحيرة والانذهال فقال الربتع ما بقى فى الامر إلا أننا عند الصباح نجتمع فى موكب واحد وندبه الخيل الجياد إلى أبيات عنتر بن شداد فاذا نحو صلنا اليه طرحنا أنفسنا عليه واحوجناه أن يقاتل معنا ويعيننا على الأعدن فان القبايل لابد أن أن يتبعونا فقال قيس يا ربيع ما أظن أن يفلت منا من المائة واحد لأن

المكان بعد ونهب الأموال ولانستفيد وأنا أعلم غير هذا وهو أن نرسل لعنتر جماعة من النساء الأحرار والبنات الأبكار ونوصيهم إذا وصلوا اليه ان يكشفن رؤسهن بين يديه ويقبلن رجليه ويطبن من صباغة الحريم والمساعدة على هذا الأمر العظيم لأنى أعلم أنه شديد الغيرة على النساء والبنان فقال الربيع هذا هو الصواب فافعل يا ملك ما أشرت به من الكلام وأرسلهن إلى عنتر الهمام لعله يدركنا قبل تلف أرواحنا والأجسام وها أنا أيضا أرسل له بنتى وزوجتى ونساء اخواتى مع نساء أكابر العربان فنعله يلين قلبه بهذا الشأن وما مضى من الليل غير ساعة حتى اجتمعت ثمانون امرأة من حريم بنو عبس وأعلمهم قيس ما يظن لعنتر وما هم فيه من الأمر المنكر وشدوا الهن على الخيل فركبن وسرن فى الظلام الليل وكانت القبائل دائرة بنى عبس من كل جانب وما تركوا مكانا إلا ومسكره إلا طريق بنى عامر فانهم تركوه وان كانت بنى عامر لحق من جملة الأعداء وما زالت النساء تقطع البر والآكام تحت أستار الظلام وأخفين حسهن عن الكلام هذا ما جرى لهؤلاء وأما عنتر فانه لما أصبح الصباح أتاه عامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد والهطال ولما دخلوا عليه وجلسوا يشربون المدام ويتذاكرون عبس وما هم فيه من الشدة والقتال وما منهم إلا من هو متعجب من قساوة قلب عنتر علتهم وصبره عن ما فعلوه فى حقه فبينما هم كذلك وإذا بالنسوان أقبلت فى الأبيات ونزلت ومن متهتكات بمدامع منهملات وغرقن البراقع ولم يلتفتن إلى بشر غائب أو سامع وعقدن النواح وكشفن الوجوه وأرخين الشعور ونادين بالويل والثبور وأشرنا جميعا إلى عنتر وقلن له يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب وما بيننا من حرمة القرابه والنسب لا يمنعك عن نصرتنا الغضب ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فاننا أشرفنا على السبى وما لنا أحد غيرك يحرسنا لأن رجالنا هلكوا وساداتنا ملكوا والذين طردوك وأبعدوك قد ندموا ولاموا أنفسهم على فقدك وأصابتهم نوائب الدهر لما عاندوك لأجل ما لقوا من آفات الزمان وطوارق الحدثان فارحم من بقى فى الحى من يتم ويتيمه وأجرنا على عاداتك القديمة ثم تقدمت الجانة بنت الملك قيس وقد ذكرنا أما أعطيت من الملاحة والفصاحة فوقعت فى صدر عنتر وفاض دفعها وانحدر وقبلت يده وأشارت له تشتكى تنشدو تقول

حامية عبس يا ابن السادة النجبا ... يا من له الفخر والاحسان والأدبا
حامية عبس لا تبس مودتنا ... واحفظ لنا حرمة الود الذى ذهبا
أجرنا فقد أصبحت خيل العداسرنا ... من حولنا ينهبو المال والسلبا

حامية عبس لو أبصرتنا سحرا ... بين المآرب تشكو الويل والحربا
منهتكات تنادى أين فارسنا ... اغضبتموه وما راعيتم النسبا
أبعدتموا رجلا لولاه ما ذكرت ... عبس ولا ضربت بيتا ولا طنبا
لوكان الحى ما حاط العدو بنا ... ولا استقام لدينا فى ساعة هربا
ليث إذا سل يوم الحرب صارمه ... أعاده بدم الأبطال مختضبا
وان تفاخرت الفرسان قال إنا ... قد اتخذت حسامى صاحبا وأبا
حامية عبس قد خاب الذى قدموا ... يبعدك لما عاينوا العطبا
قد غدا بعضهم فى البر منظرحا ... تهوى الطيور عليه كلما انقلبا
والبعض فى الأسر لا يرثى له احد ... إذا بكى من عذاب الشد وانتحبا
فلا تؤاخذنا بالقول من رجل ... غرقان فى جهله لا يعرف الأدبا
فما عمارة من يرجى المكرمة ... ولا له هيبة تخشا إذا عضبا
فارحم بكانا ولا تنس مودتنا ... فقد بكت لبكانا أعين الغربا
عودتنا العز من بعد الهوان فلا ... تنس الوداد ولا تشمت بنا العربا

قال الراوى فلما فرغت الجماعة من شعرها تناثرت الدموع من أجفان الحاضرين ورموا من أمديها اقداح المدام وعلامنهم الضجيج والكلام ورمى عامر بن الطفيل من يده القدح وبكى وانتحب وقال للأمير عنتر وحق ذمة العرب الكرام ما بقيت آكل معك زاد حتى تصير إلى نصرة قومك الأمجاد فخذ الأهبة من يومك لا تنى آنا فى بكاء النسوان ونساء فى ما جرى لى طول الزمان وكذلك قال مقرى الوحش وعروة بن الورد وازالوا مع عنتر حتى جرى دمعه وانحدر وقال يا وجوه العرب وحق من فى علم غيبه احتجب ما بقى بعد هتك الحريم الرواح للاقامة دريد الفارس الجحجاح قال الراوى ثم أنه صاح فى اخيه شيبوب وأمره فى ساعة الحال أن يشد الأبجر ويحضره عدته وكذلك سائر الفرسان تاهبوا للسير فى صحبته فعندها ارتفع الصياح فى الحى من النساء والبنات الكواعب وركب الرجال على الجنائب وتقلدوا بالسيوف القواضب واعتقلوا بالرماح السمهرية وانفرد عامر بن الطفيل إلى أصدقائه فاجتمع معه خمسمائة فارس ابطال قناعر تعودوا خوض الحروب فى المهاد وركب بنو قراد على الصافنات الجياد فلما هم بالسير والرحيل أمر عنتر النساء أن يقمن عند بنت عمه عبلة وقال لعامر بن الطفيل الرأى عندى ان تشاور فى رحيلك معى ابن خالك غشم بن مالك والأخضر بن جعفر وتعلمهم بالمسير إلى

دريد بن الصمة لأن ذلك أظن ما يعجبهم ويوجب عليك لومهم وعتبهم فقال عامر يا أبا الفوارس أين غشم وغيره من العرب الكرام وحق الملك العـــلام خالق الضياء والظلام لو كان من بني عامر الذي يعادونك لوضعت فيهم الحسام وأحرمتهم لذيذ المنام فانك عندي أعز من أهلي وأقاربي فشكره عنتر على مقالته ثم ركب وسار فسار معه عامر في أبطال عشيرته وكان من جملتهم الخمسمائة فارس الأسود العوابس وكلهم في الحديد غواطس وهم الخيول الصواهل والسيوف الفواصل والرماح الدوابل وجدوا السير باقي النهار وتمام الليل وفي مقدمتهم عنتر وعامر بن الطفيل ولما قربوا من جزع الطواف نزلوا للراحة لما عول الليل على الانصراف ورحلوا طالبين بني عبس الكرام فرآهم كانهم أشباح بلا أرواح مما نالهم من الحرب والكفاح وكان وصولهم قبل الصباح ومدوا أعينهم فرأوا ثلثمائة خشبة منصوبة على رؤس الروابي والتلال وتحت كل خشبة واحد من المأسورين من الرجال وعماره وأخوته بجملتهم مربوطين تحت الأخشاب بالحبال فرسان بني حشم حولهم بالسيوف الصقال منتظرين إذن دريد بن الصمة في قتلهم قبل وقوع الحرب والكفاح وهذه العبارة كان السبب فيها اللقيط بن زرارة لأنه قال لدريد بن الصمة يا أبا النظر أنت شيخ كبير وما تحتاج إلى مدبر ومشير وما الذي تنظر في هؤلاء الاسارى أضرب رقابهم وأرمي رؤسهم لاصحابهم بهذا نقطع ظهورهم فعول على هذا إذا ملكت أصلب الجميع في هذه الديار وأفرق عليهم نساءهم ليكونوا لكم جواز وأقلع منهم الآثار ولكن ما أخالف لك مقال ولا أردك سؤال فاني أعلم ما في قلبك من هؤلاء الاندال وعند الصباح خذ منهم القادات وأضرب رقابهم بالسيوف المشرفيات ثم أن دريد أمن عبيده أن ينصبوا لهم الاخشاب من الليل فايقن جميع الاسارى بالكرب والويل وكان في أوائلهم الأمير عمارة بن زيادة وكان ذلك التدبير في الليل وفي الصبح أشرف عنتر بن شداد وكان دريد قد أخرج الاسارى للصلب من حنقه عليهم وغيرته وقارب بهم أبيات بني عبس وأوقف كل واحد تحت خشبته وجعلته ثلاثة أقسام وعز أن يسقيه كاس الحمام وقال الرجال وعشيرته إذا رأيتموني صلبت عمارة بن زياد وأسقيته كاس منيته فكل من معه أسير يضرب رقبته قال الراوي ولما نظرت بنو عبس إلى هذه الفعال خافت وهاجت كما تهيج الجمال وماجوا يمينا وشمالا وقد صاحوا خوفا لكشف همي وغمي ثم أراد أن يحمل أقارب المأسورين حتى يخلصوهم مما هم فيه العذاب المبين وإذا قد أشرف عليهم في ذلك الوقت عنتر بن شداد ومن معه من الرفاق

الأجواد ونظر بنى عبس محصورين بين الخيام ليسوا قادرين على الكلام فحمل بمن معه بقلوب ملاتة حنق وصاح فى أوائلهم عنتر وزعق وأطلقوا رؤس الخيل فقال عنتر لأبيه شداد وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش جودوا أنتم الضرب والطعن ولا تشغلوا أرواحكم بأسر ولا بنهب وجدوا بنا حتى تخلص هؤلاء المأسورين الذين أشرفوا على الهلاك وتجرد عليهم بالفكاك وتبعد الأعداء عنهم فى فسيح البر وبعد ذلك لنا تدبيرا آخر قال الراوى وأن قبائل العرب ارتخت عزائمهم وضعف منهم الحيل لما رأوا ذلك الجيش وعلموا أن هذا عنتر ووراه عامر بن الطفيل وعلموا أنه صالحهم وما بقوا له قعود عنهم فعند ذلك ترتبوا للقتال وقال اللقيط يا دريد هذا الحساب الذى حسبناه وأنا كنت أقول لك فى غيبته أطلب الانجاز ووأنت تطاولهم فى البراز فقال دريد وما الذى تغير علينا وبعد ساعة تفنى هذه الطوائف التى قدمت علينا وأقول ماهم أكثر من خمسمائة فارس وفيهم طايفه من بنى عامر وأتوا إعانة لهم على ماتزل بهم وأنا أريك فعلى بهم وبنى عامر من بعدهم وما أنزل بهم من التعس والنكس بل ما أفنى بنى عبس ثم أنه صاح فى فرسانه ووكل بالاسارى جماعة من العبيد وأوصل الطعن بسن الأصل واختلف الضرب تحت الغبار والقسطل وفرحت بنو عبس بالأمير عنتر فصاحت وكادت قلوبها من الصياح أن تنفطر وخرجت من بين المضارب والخيام وحل الأعداء الأشرار وساعدوا من ثاركم يعيكم ويحفظ أموالكم فناد وكلهم بلسان واحد يا ملك قيس ما بقى لنا حجة تمنعنا عن القتال ومن لم يجود الطعن والضرب فما هو بولد حلال ثم أنهم تبادروا يركضون بالخيل وانتخبوا نخوة العرب وماج البر وانقلب وانزعجت جوانبه وأسود من الجو مشارقة ومغاربه وماج الجيش واضطربت مواكبه وصاحت الخيل بالصهيل وضاق على الهارب فسيح البر وسياسيه وسدت طرقه ومذاهبه وشاب الطفل الصغير وابيضت ذوائبه وانعجم اللسان عن رد الجواب بان يخاطبه هذا وأبو الفوارس حامية عبس عنتر اظهر عجائبه وشاهدت الشجعان طعناته ومضاربه وما زال هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ورجاله أقاربه حتى ردوا القبايل إلى الفجاج وضعضعوهم وساقوهم أفراد وازواج وبانت الأخشاب الذى نصبها دريد للاسرى وصارت من وراءهم فى البر والفلا ونحو جميعا بشجاعة عنتر حاميتهم من الصلب والبلا وجعل كل من له قريب يحمله من كتافه بعد ما كان ايقن بتلافه وطاب كل واحد أهله واقاربه هم لا يصدقون بالنجاة وكان من جملة الذين خلصوه الأمير عمارة وهو الذى كان أصل هذه العبارة فارتخت مقاصلة وزادت به مخسارة وما بقى يساوى بين الفرسان شعرة جماره فاقبلوا عليه وقنو عبس وحلوه من لحيته سحبوه فوجده ما حصل به حيران فاشتبك

ثوبه فى الخشبه فشقه وصار كانه عريان ولكنه بخلاصه من القتل فروان بقى يجرى ويلفت من خلفه كانه لدغه ثعبان ونظر دريد وهو يجرى فى القيعان وعورته مكشوفة وحاله لم يسر إنسان فعند ذلك التفت دريد إلى بعض الفرسان وقال له الحق هذا الرجل الهارب واسقه كاس المعاطب وإن لم تدركه فاضربه بنبلة يهلكه وحسر عليه ناسه فان هذه الفتنة من تحت رأسه فانطلق الفارس الجواد والعنان وطلب عمارة مثل الشيطان ونظر عمارة ذلك الفارس قاصد اليه فشد عزمه وهو خزلان وبقى من شدة خوفه يجرى مثل الحصان فاكان من الفارس إلا أنه أخرج نبلة من كنانته وضربه بها من حرقته وجره وبالمصادفة أتت عمارة فى دبرة فنحملها عمارة هاربا حتى دخل الخيام وداربه العبيد والخدام وهنوة بسلامته وصبره وأخن جوه النبلة من دبره فزادت فرحته ومسرته بعد أن أيقن بنزول قبره قال الراوى هذا ما كان من الاسارى وشيخ العرب عمارة وكيف حل به من الخسارة وأما ما كان من بنى عبس وبنى عامر وما فعلوا فى ذلك اليوم من الهول للغامر فان عامر بن الطفيل عمل فى بنى مشاجع وبذل هو وبنو عمه فيهم السيوف القواطع ودام الضرب مختلف والغبار منعكف والدماء تترفرف حتى أقبل الليل ونزلوا عن الخيل وتباشروا باللقا وشاروا يبكون ويدعون له بالعلو والارتفاع ويقولون له يا ابن العم سامحنا عن ما سلف ولا تؤاخذنا بما جرى من العيوب اليهم وقبل صدورهم قال يا ساداتى ما أرحل إلا إذا طردتمونى لأجل التخفيف عن قلوبكم ولو أعلم أنكم تردوا عنى بعد يوم أو يومين مثل ما تفعل الحبائب ما كنت أغيب عنكم ولا أكون غاضب لو قطعت جسدى بالسيوف القواصب ثم أنه دخل إلى المضارب وكل من بنى عبس تترب اليه حتى لساء الحى أعظمته أعظم حى وهم يدعون ويثنون عليه ويقبلون يديه وصدره ويقولون لا أوحش الله منك يا سفنا القاطع ودرعنا المانع وبات بنى عبس تلك الليلة فرحين غير حيارى بخلاف الليالى الماضية لأجل الاسارى واطمئنوا على البنات العذارى ولما غسق الظلام قدموا ألوان الطعام وافتقد عنتر لعروة بن الورد فار أى له خبر وسأل عنه فما أعطى عنه أخذ خبر فتنغض عيشه وتكدر والتفت إلى من عنده وقال الليلة ما أخوفنى علنه من يقتله فقال شداد رأيته مع دريد بن الصمة يقاتله ويجادله وما أدرى أمرة اقتلة أم أنزل به شيئا من النقم فقال عنتر أن فعل ذلك لاقتله أشر قتلة واهلك بنى هوزان وجشم وأذبح الجميع الغنم وبات عنتر ضيق الصدر على عروة وما يدرى ما حل به من البلوى وأما دريد بن الصمة فانه رجع وقد خسر فى ذلك اليوم أعظم خسارة وبات هو وبعض يديه

اسفا على مافاته من قتل من الاسارى وكيف كان خلاصهم وكذلك جرى على اللقيط بن زرارة من أجل قتل أخوته وماجرى عليهم وصار ويقول لمن معه من الرجال يابنى عمى لابد ما أبذل المجهود وأجمع العساكر وفرسان اخيار حتى أقلع من عبس الآثار وكذلك بنى عامر الاشرار ولو تعلقلوا بالفلك الدوار وكذلك جرى على دريد من معرفة عامر ابن الطفيل لعنتر وماصدق أن الفجر قد انفجر حتى خرج إلى الميدان وطلب البراز وأراد بذلك الثبات لمن معه من الفرسان لأن أكرهم عولوا على الهرب والارتحال وعند مجىء عنتر قد حابت الآمال فخرج دريد يصطلى نار الحرب بنفسه وبروحه وينظر صهره ذى الخمار وسبيع بن الحارث لاننا ذكرنا أنه قادما على أثره إلى هذه الديار فبرز إلى الميدان وصال وجال وطلب البراز والقتال وإذا بمقرى الوحش أن يبرز اليه فمنعه من ذلك عنتر وقال له يارس الشام أنا أعلم أن ثبات هذه القبائل كلهـــا الشيخ ولولاه ماثبتوا وان ظفر بواحد منكم عادت عزائمهم قوية كما أتوا فعد أنت للملك قيس وعاونه على ترتيب الصفوف ولا تزالوا واقوف حتى ترونى أخذت هذه الجبار الموصوف فاحملوا ذاك الوقت بحملة صادقة بنية موافقة ونكون قد بلغنا المنى لأن الرجل مايخفى عليه من أبوابه ما أودنا لاحل ما قاسى من الفرسان فى هذا العمر الطويل من العنا وإن لم يبرز له عنتر بن شداد ما أحد يبلغ منه مراده لأنه جبار فتبسم مقرى الوحش من كلام عنتر وعلم أنه بمثل هذه الامور ادرى وأخبر لاختبار الفرسان بين يديه حين تذكر فتأخر مقرى الوحش وتقدم عنتر إلى الميدان ولما قارب الاعداء صال وجال حتى حير عقول الابطال ثم تذكر ما جرى من الاحوال فانشد يقول هذه الابيات

سكتت فخر أعدائى السكوت ... وظنوا أننى أهلى نسيت
وكيف أنام عن سادات قوم ... وفى افضال نعمتهم ربيت
أنا عبد لهم إن أبعدونى ... بعدت وإن هموا رضوا رضيت
وإن دارت بهم خيل الاعادى ... ونادونى أجب كرها أبيت
بسيف حده نقم المنايا ... ورمح سنه الموت المميت
أنا العبد الذى ألقى الاعادى ... بفرح فى لقـــا الهيجا ثبوت
ففى الحرب الهوان ولدت طفلا ... وفى حجر المعامع قد ربيت
أرى الدنيا تحت اقدامى تزلزل ... وتهتز الجبال إذا مشيت
فما للرمح فى جسمى نصيب ... ولا للسيف فى الاعضاء قوت
خلقت من الحديد أشد قلبا ... وقد بلى الحديد وما بليت

وأهوى الطعن بالسمر العوالى ومحياى بها وبها أموت
ولو أنى شربت دم الأعادى بأقحاف الجماجم ما رويت
ولى بيت على فلك الثريا تخر لعظم هيبته البيوت
وأنى قد برزت اليك حتى أذيقك من يدى الموت المميت
أنا عنتر بنى عبس المسمى إذا دعيت فوارسها دعيت

(قال الراوى) فلما سمع دريد بن الصمة كلام عنتر وشعره صاح فيه وقال له ويلك يا أسود البدان عدت وذلت لبنى عبس بعد ما طردوك وأنكروا نسبك وما حدوك والآن أحضروك وفى قتالى أطمعوك فقال عنتر يا دريد ما بقى لك من الخلاص سبيل إلا أن كنت تعتذر لى قبل أن يقطع عمر الطويل وأتركك فى هذا البر قتيل وإما قولك انى رجعت إلى قومى فما هذا وقت جدال بل هذا مقام القتال وفى هذا اليوم يبان الرابح من الخاسر فدافع عن نفسك

بالسيوف البواتر والاتبقى طعما للوحش والهسور الكواسر قال ثم أنه نطبق علبه وصاح وقد اشتد بينهم طعن الرماح وتكافح الاثنان أشد كفاح واندهشت منهما المقل الصحاح والحمام أوسل بينهما سهام وملك الموت سل على رؤوسهما حسام واختلف بينهما الضرب والصدام وقل منهما الكلام وكان دريد بن الصمه عرقالا يلين فلان وأبصر فارسا ما نظر مثله فى سالف الأزمان فاعمل الجهد حتى تقطعت الرماح فرويداها وتقاتلا بالصفاح التى هى أقرب إلى نهب الأرواح وذام الأمر بينهما على ذلك الحال حتى اعتدلت الشمس فى قبة الفلك وتعب كل واحد منهما وهلك وما كان أكثر تعبا وملل إلا دريد بن الصمة لكثرة ما فعل لأنه أحسن أن مفاصله قد انفصلت فخاف أن تحط منزلته عند قبائل العرب ريقال عنه أنه أسره عبد لاقدر له ولا نسب فقال دريد وقد وقف للراحة وقال أعلم يا حامية عبس أن مثلى لا يدخل عليه المحال والصدق عند العاقل أحب الأشياء والانصاف من أعلى مراتب المروءة وأنا وحق ذمة العرب أصدق من نفسى ولا أتخلق بالكذب ولا أرضى به وأنا قد قل منى الحيل والقوى واسودت فى عيناى أقطا الدنيا ورأيت منك ما لا رأيته من أحد إلا أن يكون من صهرى سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وهو الذى شاع ذكره فى الاقطار وأريد منك أن تستر حالى وتخفيه ولا تظهر لاحدما نحن فيه حتى لا تحط منزلتى بين القبائل وتخالف الفرسان أمرى وجميع الجحافل فتفعل ما أقول لك وتخلينى لا تحط عدة عند كل نائبة وشدة وتتركنى أعود سالم وعلى جاهى قائم فان الشجاع ما يكمل الشجاعة حتى يكمل بالمروءة والكرم والقناعة وأريد منك أن تقاتلنى شداعة وتعودنى وتظهر اسادات قومك أنك طلبت الاقاله منى ثم تشير على الملك قيس أن يأتى ويسألنى حتى أعود عنكم بهذه القبائل وأفرقها إلى غدرانها والمناهل وتكون عودتى عودة المذلول ترى بعد ذلك ما يصل اليك من الانعام وفى حقك أقول بين محافل الكرام إن كنت تظن أن هذا الكلام خداعا أو غفول ولا دخل فى أذنك والمعقول فانا أسلم روحى اليك وأبقى أسيرا بين يديك حتى يأتى صهرى سبيع ويخلصنى بالمال أو بالحرب والقتال وانما يفوتك صداقة مثلى وتندم حيا ما سمعت قولى فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الانبهار ورغب فى صداقة هذ الجبار والاسد الكرار الذى تطيعه سائر السادات وأراد ان يبنى له بذلك مجد ويكسب شكرا وحمدا فقال له افعل ما بدا لك وان كنت طلب الاقاله فان عنتر قد أقالك لأن مثلى لا يخيب سؤالك ولا يرد مقالك ولا يخالف أمثالك على أننى وحق ذمة العرب لو أردت قتلك من أول النهار لقتلتك وتركتك رزقا لوحش القفار وإنما

أردت أسرك ليلا أونهارا لما سمعت ذكرك فعظم على أمرك وأنك فارس كرار فغلب على الحياء وعاملتك بالاعتبار وبعد ذلك أراد عنتر أن ينزل إلى دريد ويضمه ويقبل صدره وإذا بالمواكب تتابعت وأقبلت الخيل وخالد قدامها يزعق وهي مثل البرق إذا لمع وهم طالبون عنتر من كل موضع ولما أبصر عنتر إلى هذه المصائب علم أن دريدا كاذب وأنه خدعه وطلب أخاه يقاتله معه فقال له يادريد على مثل ينطلى هذا المحال قطعت شيبتك وقطع منك المحال وأما أنا فلا بد لى أن أفرق هذه الجيوش فى البرارى والتلال ثم صاح به صيحة أرجف بها فؤاده وضربه بالسيف رمى به عنق جواده فوقع دريد واشتغلا بنفسه واستقبل عنتر الخيل القاصدة إليه ويرمى أكثر رماحها بحسامه ونزل عليه باهتمامه وحمل مقرى الوحش وعامر بن الطفيل وصاح الملك قيس فى باقى الرجال والخيل الجياد وقد عملت الصوارم الجداد وعاد الصلاح فسادو تمددت من القتلى الأجساد على الأرض والمهاد قال الراوى وما كان قول دريد الاحق لأنه لما رأى شجاعة عنتر اشتهى أن يكون له صديقا وجيرا ولكن جرت الأحكام بخلاف الضمير لأجل آجال تقاربت وأعمار تناهت والأصل فى ذلك أن خالد أخا دريد كان يعرف مله إذا بارز بعض الفرسان وطال معه فى المتدان وأبصره يحدثه لأجل أن يخدعه فبشغله إلى أن تحمل الفرسان وفى حماتهم أما أن يقتله وأما أن ياسره وكانت هذه إشارة بينهم حتى لا يقال عنه أنه ناكث العهود فلما دارت الحرب ضربه فالقاه جيران ولما وقع على الأرض تضعضع وأنهان وكان وقوعه بشدة وما أفاق على نفسه حتى أدركه شيبوب وشده كتاف ولم يزل السيف يعمل بهم حتى مضى النهار وطلبت القبائل الغريبة الفرار إلى الأهل والديار وأراد اللقيط الهركل فادركه مقرى الوحش وطعنه بعقب الرمح قلبه وأخذه أسيرا وما أقبل المساء حتى ماق من القوم نسمة وأخذه قدام بنى عبس إلا بنى هوازن المصائب ونطلب الحرب والنحاة من النوايب ونبقى حديثا بين الأعراب اصبروا باقى اليوم على الأثقال لما ننظر على أى شىء ينفصل الحاو لجاميتا سيبيع لابد ما يصل الينا فى الحال وأخى دريد لا بد له يصالح بنى عبس ونرجع بسلام وأن لم تتم هذه الأمور ورأينا الغلبة هزبنا لأن الهرب ما يفوتنا ولا معنا شىء يعيقنا وداموا على مثل ذلك حتى من القبايل التى يلزمها من دريد ملزم مثل بنى عبس وجشم وأما بنو سليم وبنو مشاجع أقاموا مع أخى اللقيط ينتظرون ما يكون من أخيهم وكان عروة معهم أسيرا فعولوا على أن يفادوا به وقتل منهم من قتل وأسر من أسر وهرب هذا ما جرى (قال الراوى) وأما ما كان

من بنى عبس فانهم عادوا مسرورين بالنصر والظفر وما منهم إلا من يشكر عنتر وهو مشغول قلبه لأجل عروة فاحضر دريد وسأله عنه فقال وذمة العرب ماهو عندى بل عند اللقيط ابن زرارة أن خلاصه هين مادمت أنا فى يدك ولكن من الرأى أن تتخذنى صاحبك لأجل الصلح حتى آخذ هؤلاء القبائل وأرحل بها عنكم قبل أن يصل من لا يقبل مصالحة ولا يعجز من المكافحة وهو ذو الخمار لأنه وصل وأنا فى الاشر سفك الدمار هذا الرأى لكم فيه الحظ الأوفر من وجوه عديدة ولو لم تقع حميتك فى قلبى ماقلت لك هذا المقال وما كنت صالحتك بعد هذه الفعال وأريد أن اتخذك لى صديقا على مر الأيام والليل فقال عنتر يادريد مابقى يتطلى على خداعك والمجال بعد مافعلت الذى فعلته فى القتال واشغلتنى بالمحال حيى حمل على أخوك خالد فى فرسانه والأبطال وماقولك عن سبيع وتخويفك لى منه فهذا شىء لايدخل فى قلبى منه خوف ولا يدلى ان افضحه بين الصفوف وآتى به كثيرا أو اتركه على الأرض طريحا عفيرا وأن عاقته الاقدار عن دخوله إلى هذه الديار سرت إلى بنى حمير واقلع منهم الأرض منهم الاثر ولا أخلى أحد غيرى بالفروسية ولا يذكر ولا يوصف فى قتال واسود بذلك على جميع الافيال فخلف له دريد بن الصمة أن خالدا ما كانت حملته باختياره ولا أراد حملته ولا أمره بذلك ولا استشاره وإنما يا أبا العوارس هذه أقدار وآجال كانت تقاربت عندها الأعمال قال الراوى فبينما هم كذلك وإذا بجرير أخي عنتر أقبل من بنى عامر ودخل على عنتر وعلى وجهه آثار تدل على أنه فزعان له فقال له عنتر ويلك ياجرير مالى أراك فى هذه الحالة وهذه الخيلة فاخبرنى عن تركته عند عبله فقال له جرير يا ابن الأم أن نوائب زيد الخيل أحاطوا بنو وببنى عامر وانزلوا بناوبهم البلاء العامر ودار واحول القبيلة بالخيول فضوامر وتدفقوا مثل موج البحر الزاخر لأنهم قبائل جتمعة وعشائر وأول مافعلوه نهب الأموال وسوق الخيل والجمال واوقعوا بين القوم الحرب والقتال وزيد الخيل اجرح ملاعب الاسنة جرحا قد اشرف منه الوبا ولسف بعده الأبطال وساق بنى عامر بالحسام حتى درهم إلى ازيال الخيام مخضبين بدمائهم الروابى والإكام وترك بنى عامر مشرق على الهلاك ولا بقى لهم من الموت فكاك ولا لو كبشة أم عامر بن الطفيل لكان سقانا زيد الخيل كؤس الوبل لأننا لما كنا فى أطراق الخيام واختلطنا بأهل الحى بغير أمر الاخوص بن جعفر ونحن فى الليل والنار ياأخى فى شدة الخوف والحذر فقال له عنتر أن بنى عامر نظرن فقال عنتر أن لم يكونوا راضين بجوارنا فانا أخليهم يرضوا عنا ثم أن عنتر دخل على

الملك قيس وقال يا مولاى أنت تعلم أن حريمكم فى بنى عامر ونحن جميعاً بين أيديكم وفى هذه الأيام قد طرق أرضهم زيد الخيل مع بنى نبهان وإذا سبيت حريمهم سبو حريمنا معهم وأنا لابد أن أدركهم وها أنتم مستظهرون غلى خصامكم ولا بقى عندكم من تحملوا همه وإذا حضر الفارس ذو الخمار ولا لكم به طاقة فصالحوا دريدو هو يردهذا العدو عنكم وأنا لا أغيب إلا مسافة الطريق فقال عامر بن الطفيل يا أبا الفوارس أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أقم عند أهلك وأنا أمضى إلى بنى عامر وأتحمل هذه الكبائر فقال عنترة هذا الآن لا يكون ثم أنه أوصى مقرى الوحش بالحرب والقتال وأوصى الملك قيس بالتدبير والاحوال وبعد ذلك اعتد وسار اول من الليل هو عامر بن الطفيل وابوه شداد وبمام العشرة فوارس من بنى عقراد وكان قد ترك ابن عمه مالك عند عبلة يحفظها فى نفر قليل من الأبطال ولما ابعد عن منازل بنى عبس وعسعس الليل صار يذكر الحروب التى تواتر عليه والنوائب التى تتابعت فأنشد يقول .

حار بينى يا ثابات الليالى ... عن يمينى تارة والشمال
واجهدي فى عذواتى وعنادى ... قرز اياك لا تلم ببالى
لى قلب أشد من عزم الحديد ... وعزم أقوى من راسيات الجبال
وحسام إذا ضربت به الدهر ... تنجلى به القرون الخوال
وسنان إذا انغمست فيه ليلا ... هدانى وردنى عن ضلال
وجواد إذا ماسار بارق البرق ... أراه يعدوا أثر النضال
أدهم يحجل الدجا بسواده ... بين عينيه غرة كالهلال
يفدينني بنفسه وأفتديه ... بحروبى ومهجتى ثم مالى
سباغ العلا للحرب لما اشعلت ... نارا أذابت لشاهقات الجبال
ويقول حذوا من اللحم قوتا ... لبنيك الصغار والأشبال
واشكروا واذكرو ما رأيتم ... واحمدوا واشهدوا لى الفعال

فلما فرغ الأمير عنترة من هذه الأبيات أطرب من كان حوله من السادات وما منهم إلا من تحرك حواسه ومالت به نخوة رأسا وصار الموت عنده الذ من الشهد وصار حتى حصل لكل منهم الجهد إلى أن تنصف الليل ونزلوا حتى استراحت الخيل وركبوها إلى أن صبحوا أرض بنى عامر صباح إلا أنهم ماقاربوا الخيام حتى سمعوا الضجة والصياح وبأن لهم بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وعلموا أن القوم فى حرب وكفاح وتبينوا أحوال الطائفتين

فرأو فرسان بنى عامر خامدة الأصوات قريبة الحركات وهى تقاتل بين المضارب والأبيات وتدافع عن النساء والبنات وملاعب الأسنة تارة يحمل يمينا وتارة يحمل شمالا وهو موثوق بالجراح والمواكب تصدمه من كل تصدم الغريق الموجات وزيد الخيل ينادى فى أوائل القبائل ويقول هيهات يا بنى عمى الأطايب ابذلوا أيديكم النوم فى ضرب القواضب ولا تبقوا على معاش وراكب فاليوم تملكون المضارب والنساء الكواعب قال الراوى فلما سمعت الرجال كلام زيد الخيل تدفقت من كل جانب لانهم كانوا عالما كثيرا بعدد الكواكب وقد ذكرنا سابقا ما جرى لزيد الخيل مع عامر بن الطفيل لما أسره وأخذ خيل القوم من وادى الجماجم وعاد عامر بن الطفيل من أرضهم بالأموال والغنائم وأحوج زيد الخيل أن يجمع هذه القبايل ويسير بها إلى ديار بنى عامر وكان قد أشرف على قلع آثارهم وخراب ديارهم لولا وصول عنتر بن شداد فى أبطال بنى قراد ولما نظر القتال عمال والدم يبذل قال لمن معه البدار يا بنى عمى البدار فبادروا قبل أن تسى الأحرار ويعتريكم العار فأنا اليوم أترك بنى عامر نسترضى عنى وتحمد لعلى آخذ الثار ولم أجيد لذلك سبيلا وألا أشغلته عنك إلى أن تلقى الهيبه فى قلوب الأعداء وتبيدهم فى البيداء فقال عنتر إذا كان لابد من أشفى قلبى وقلبك من زيد الخيل وأفرق هذه الطوايف قبل قدوم الليل ثم أن عنتر صاح صيحة الغضب ودشل تحت غبار والغياهب وغاص فى قبائل العرب فرق جموعها وحمى شيبوب جواده بناله وقد أبصر من ذلك اليوم ما هاله هذا وعامر بن الطفيل قد حمل وكل فارس قومه كما ذكرنا وحامية عشيرته كما وصفنا ففعل ذلك اليوم الرجال وكذلك شداد ومن معه من فرسان بنى قراد هذا وبنو عامر لما أبصرت فارسها ارتفع صياحها وعاشت بعد ما وت أرواحها بعد أن لم يبق من الأبطال إلا أشباحها واستوى عندها فسادها وصلاحها وهربت الأندال ورضيت باقتضاحها ورأت سلامتها أجل أرباحها ومزال عامر بن الطفيل حتى وصل إلى زيد الخيل وتزاعقا وتلاصقا وأوسع فى المجال حتى بعدت عنهم الرجال الرجال وأخذ فى الصدام والالتزام وتجريع الموت الزؤام إلى أن زيد سطا على عامر سطوة الجبابرة وأيقن عامر بالممات وما أشغل زيد الخيل إلا صيحة علت من تحت الاعلام فالتفت فرأى الاعلام مالت وعنتر فعل فيهم كما يفعل الذئب والغنم فخاف على ابيه المهلهل فعاد اليه وترك عامر بن الطفيل قال الراوى وكان الذى ميل أعلام بنى نبهان رفرق جموع القبايل والفرسان عنتر بن شداد لما حمل هو وأخوه فى طلب الاعلام ووصل اليها بعد نصف النهار

وقد ترك الأرض مملوءة من القتلى مخضبة الوجود بالدماء ولما وصل إلى الاعلام جرح أخوه شيبوب وقع على الأرض مطبوب فرجع اليه عنتر كالريح الهبوب وأجلسه وهجم على الفرسان يطعن فى غاية الاعمان فوقع شيبوب ثانى مره واطبقت عليه الفرسان فرجع اليه عنتر كالأسد الغضبان ففرق الخيل من بين يديه ومن حواليه وزعق فيه فقام على قدميه ويرمهم بالنبال حتى وقع فى الموكب الكبير فلما علم عنتر ذلك صرخ فى صاحب العلم الكبير وطعنة فانصرع وتفرقت المواكب وأبصر المهلهل هذه الأمور فجعل يقاتل عن نفسه وكان حوله أبطال المعامع وارتفع الصياح من سائر المواضع ومازال عنتر يدافع الأبطال ويطعن فى صـــدور الرجال حتى التقى به زيد الخيل وتواصلت معه الكتائب والعشاير وبان الحق من الباطل وتناثر الجماجم مثل الحصى والجنادل فوقعت الرجال من على ظهور الصواهل وكان زيد الخيل قد وقع بعنتر عند المساء وقاتله حتى انفصلت المعامع وافترقوا فى قلب كل واحد منهم لهيب النار كيف ما بلغ من خصمه ما يختار على أن عنتر لولا أنه تعبان من الضرب والطعان ما كان فارقه إلا بالانفصال ولما رجع دارت به فرسان بنى عامر وقد زال الحقد وعرفوا قدره وقد صفت لبنى عبس نياتهم وعاد عنتر هو وعامر بن الطفيل إلى أبياته واجتمع مع ابنة عمه مالك وسالها وأعلمها أن مقرى الوحش قد تركه عند بنى عبس يحفظهم وبات النسا يشكرون عنتر وأما زيد الخيل فانه عاد إلى بنى نبهان وهو مثل الأسد الغضبان وهو يقول لهم لولا هذا العبد ولد الزنا وهجومه اليوم عليكم اليوم كنا قد عرفنا من هؤلاء القوم فقال المهلهل يا زيد الخيل لا تقول هذا عبد ولا تحتقر باحـــد الواحد الأحد لم تلد مثله فى النساء ولقد رأيت منه عجايب فقال زيد الخيل وحق من أتى بهذا الليل لانثرن عمره عند الصباح ولو أن هذه تمسك الفلاح وتدرك النجاح ولافرجتك عليه حتى ذهب الليل الحالك واطلع الصباح الضاحك وركبت الفرسان واعتدلت الصفوف وكانت بنو عامر قد باتت طول الليل حول ابياتها وكان عنتر قد دخل عـــلى أخيه شيبوب عند الصباح وقـــد سأله عن ما هو فيه من ألم الجراح فقال له والله يا أخى ما بت إلا وأنا مسكين لان جراحى مشطبة وقد توهم منها قلبى من أجل منام رأيته فزاد كروبى منه فقال له عنتر وما الذى رأيت شيبوب فربما يكون اضغاث أحلام لأنى بت مكروبا فقال يا ابن الام ما كنت عن نفسى مغلوبا إنما صبرت على ألم الجراح إلى وقت السحر خطب على النوم فنمت من أجلها وأنا كثير الهم والفكر فرأيت إننى عند الكعبة الحرام

وأشكوا الأصنام واطلب منهم العافية من الآلام وكان الصنم المسمى بالهبل يقول لى ابشر فان جراحك تبرأ عن قريب ويكون لك ولأخيك حديث عجيب وعند الصباح تنتصرون على بنى نبهان وتظفرون عليهم بالطعام وتتفرق عنكم العربان ولكن لأخيك يحسن إلى زيد الخيل ولا بيه وأن ظهر به لا يؤذية لأنهما يخلصا كما من الغلبة إذا ظهر عندهم الرجل المكنى بالأسد الرهيص ويكون على قتلكما حريص ويبدل حياتكما بالتنغيص ويبطل عليه أخوك بعض أعضاء وفى ساعة واحدة يموت هو واياه وهذا الأمر بارادة الله وقد اقترب الأجل وفى أثرة تطلع الشمس ويظهر الرجل كريم النسب ويدل الناس على الطريقة الواضحه وينال الطالب المطلوب ويرى هذه الأصنام من على البيت الحرام ويرتفع عند الناس قدر شهر رجب ثم بكى شيبوب وانتحب وقال يا ابن الأم أنى أخاف أن أجل أحدنا قد اقترب استحى هذا الصنم أن يخاطبنا بالصحيح وتتعلم منه طريق الهدى ونكون من جملة أعوانه أو غلام ومالى إلا أن أعتمد على أخذ الأسارى واسلم أمرى إلى صاحب هذه القبه الخضراء فاكتم أنت يا شيبوب هذا المنا حتى إننا من هذه النوبة ونقصه على بعض الكهان تسمع تأويله ثم أنه افتقد جراحه وشدها وغادر على ظهر الجواد وأخذ أخاه جرير أو خرج من المضارب وجد الصفوف قد اصطفت فقفز من بين الصفوف الأمير عنتر وحال وصال وهو على ظهر الجواد الأبجر وهو متفكر فى المنام الذى رآه أخوة شيبوب وكان قد سار وهو كثير الفكر فسلم نفسه للقضاء والقدر فخطر فى نفسه أبيات تناسب أحواله فجعل ينشد ويقول .

إذا كان أمر الله أمرا مقـــدرا ... فكيف يفر المرء منه ويحذرا
ومن ذا الذى يرد الموت أو القضاء ... وحربته مسمومة لا تعترا
وقد هان عند الدهر ما عرفته ... على إننى فى ذى الملمات أخبرا
فلبس سباع البر مثل ضباعها ... ولا كل من خاض العجاجة عنترا
سلوا من صفوف كانت ملمة ... فرجتها والموت فيها مشهرا
بصارم حد لو ضربت بحـــده ... ظلام الليل ولى وهو بالصبح يفترا
دعنى أجد السيف فى طلب العلا ... وأعلوا ولا أموت واقبرا
وكم من مناع قد أتاك محـــذرا ... وكان رسولا بالسرور مبشرا

قفى وانظرى ياعبلة فعلى وعاينى ... طعاتى إذا طار الغبـــار مكدرا
ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا ... ويرجع عنه وهو أشعث أغبرا
ولا ينثنى حتى يخلى جماجهم ... تمر بها ريح الجنون فتعسرا
وأجساد القوم سكن الطير حولها ... إلى أن يرى وحش الفلافينفرا
هذا فعالى ياأبنة العم دائما ... وإننى بما دون البرية أخبرا

قال الراوى ولما أن فرغ الأمير عنتر من هذه الأبيات تبادرت اليه الفرسان من سائر الجهات ومدت نحوه أسنه المرهفات لان جملة القبائل باتت تشتغل بفعالة وتنظر الصباح حتى تخرج إلى قتاله ولما أن أبصر هؤلاء الأبطال نحوه تبادرت خاف من بنى عامر أن تحمل إلى معاونته وتبطل عليه مبارزته فامر أخاه جريران يرجع بنى عامر ويوصيهم بالامتهال علية وللتقى هو والشجعان المبادرة اليه وطلبها مثل ماطلبته ثم أنه كفها بحسن خبرته ومعرفته وماعاد اليه جرير حتى طرح على الأرض عشرة وجماعة فلما القى الهيبة فى قلوبهم وابعدهم عنه واتسع عليه فى المجال وأخذ معه فى الطراد إلى عبر نصف النهار فامر مايتين فارسا وكان زيد الخيل كلما هم أن يبرز اليه يمنعه أبوه المهلهل من شهقته غليه ومازال يمنعة إلى أن بان من عنتر مابان واسر من أسر من الفرسان هذو زيد الخيل قد زاد به الغيظ وصار النهار فى عينه مثل الليل ومن شدة ماجرى عليه اطلق عنان جواده وخرج من غير أمر أبيه وكان تحته جواد مسميه الورد فانطلق به مثل الرعد حتى صار مع أبطال قومه فاقسم عيهم وردهم إلا انهم قد ملو وقصروا ولما رجعوا أظهر حسامة وهز بقوة اهتمامه ماطلب عنتر وهو يقول هذه الابيات

إذا جرح كفى حساما مهندا ... تمخض موج البحر منه وازبدا
واطرق وجه الأرض جمر لهيبة ... وفرق مابين النفوس وابعدا
ونحن طرقنا أرض عبس بخيل ... عتاق لانحاف من الردى
وصلنا عليهم صولة بعزيمة ... بنينا بها فى العز حصنا مشيدا
ولما رأونا قد تركنا ديارهم ... لوحش الفلا فى عرضه الدزامواردا
أتانا بنو عبس بعبد يعزهم ... ويصلح والعبد مازال مفسدا
لقد علمت نبهان أنى حميتها ... وأنى جمعت الشمل أن يتبـــددا
وكان جوادى كلما مال ميسلة ... أقوبه حتى يرى الموت أسودا

قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه ورآه قد أركز رمحه أيضا فاستقبله بفؤاد ملان وأجابه على عروض شعره يقول هذه الأبيات .

حليلى طاب الموت والنقع أسودا ... بطعن الرديني والحسام مهندا
لحا الله شخصا قد يبيت وقلبه ... من الموت وجل إذا راع واعتدا
فخلنى أوفى الرمح حقه إذا ... ماطما بحر المنيـــه مزبدا
أنا الليل فى كونى ومزبدى ... أنا الصبح فى رفدى إذا الصبح بدا
أنا البحر إلا أننى غير مطعم ... أنا الليل إلا إننى سمح البدا
أنا القطر إلا إننى غير جالس ... أنا الجمل القاسى لقرون إذا بدا
أنا كاشف الغمات عند حلوها ... أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
سلى المشرفى فى المهند عنى فى الورى ... يخبرك أننى فاوس الدهر أو حدا
تعودت خوض النقع مذ كنت يالغا ... وكل أمرىء جار على ما تعودا
فان عنث جلدى بالسواد ماترى ... بريق حدود السيف حين تجردا
وإن كان يوم الكريهة ماضيا ... فلاعيب فيه كلما مر هـــددا
كذلك لونى أســـود وقعائلى ... تزداد على نور الهلالى إذا بدا

قال الراوى ثم أن عنترا استقبل زيدا الخيل بقلب قد اعتد اللقا الفرسان وانصب عليه أيضا زيد الخيل انصباب الغيث إذا هطل فطلبا بالسيوف الهامات والقلل وتضاربا حتى جارت من فعالها المقل وصار عليهما العبار وتقسطل واشتد الموت واقترب الأجل وحكمت اصاحبها كل طائفة بالموت المعجل وارتفع الصياح حتى أسفر السهل والجبل وتقدم المهلهل باعلامه ورايا ته من خوفه على ولده وكذلك فعل عامر بن الطفيل فلله در الامير عنتر فى ملاقاته لهذ البطل الجواد بعد ما أسره من أسر وقتل من قتل من الفرسان وما زال مع خصمه يطاوله ويضرب بالصارم البتار حتى تقارب آخر النهار لأنه كان يريد أسره لاجل المنام الذى رآه أخوه شيبوب والا ما كان داره هذة المداراة وكثير من يطلب أسر عريمه وغريمه يريد قتله إلا عنتر لما سمع ضجيج الرجال ورأى النهار قد تغير لونه واستحال خاف أن يعود بغير انفصال فصاح فى زيد الخيل صيحة اذهلته من عظمها حتى سمعها القاضى والدان وضربه عمدا بسيفه فطير الراق الفرفانى فسمع للضربة جلبة عظيمة فاوهنت أعضاء وقد ظن أنها طيرت اعلى وفى هذة الدهشة صدمة عنتر وفاجأة وقبض على رقابه وجذبه من على ظهر

الجواد وسلمه إلى أخيه جرير هذا والليل قد عبر ونشر أجنحة السواد ومنع الطالب من المراد ورجعت سائر الطوائف والمهلهل أبو زيد الخيل بعض كفيه لهفا من فزعه على ولده وكذلك قبائل العرب فزعانه على فرسها زيد الخيل ومن فيهم إلا من ذم الليل كيف أنه أقبل والنهار كيف ولى وأرتحل وقد انكسرت أعراضها وأنهدت منها أركانها وأبصروا من عنترها لهم وأما عنتر فانه قد عاد وتلقاه عامر بن الطفيل وهناه بالسلامة وشكره على فعاله وأيضا سائر فرسان بنى عامر وما فيهم إلا من قال والله يا حامية عبس لقد كسرت اليوم نفوس الأعداء ولا تقول أنهم بقيموا عندنا أكثر من غد فقال عنتر والله يا وجوه العرب ما هم إلا خلق كثير وفيهم كل بطل شهير وأن لم أداومهم هكذا يومين أو ثلاثة ما ينكسرون وأنا والله قلبى إلى قومى وبنى عمى مشتاق لأنى جئت وخليتهم تحت الوعد والفزع من ذو الخمار وأخاف بعدى أن يكون وصل اليهم وقتك فيهم والرأى عندى إذا دجا الظلام تشرقون على زيد الخيل وعلى سادات قومه الذين أسروا معه وتقولوا لهم قد أقبلنا لكم ناصحين وفى اصطناع المعروف لكم راغبين فاذا قالوا لكم كيف ذلك فقولوا لهم أن هذا العبد الأسود الذى أسركم اليوم فى الكفاح قد عول أن يضرب رقابكم جميعا عند الصباح ويحذف رؤسكم إلى بنى عمكم حتى ينكسرون وهذا نحن ما نشتهيه لأنكم فى أرضنا ودماؤكم تبقى علينا ونطالب بها صباحا ومساء وهذا الرجل ضيف أن أقام عندنا اليوم ما يقيم عندنا غدا ونريد منكم أن تحلفوا لنا أنكم ترحلوا عنا حتى أننا نطلق سبيلكم بغير علة فى هذا الليل فان أبيتم فانتم تعرفون ما تلقون عند الصباح فوحق رافع السماء أنه عول أن لا يبقى منكم أحد وهذا كلامه سمعناه الساعة عند أكل الطعام وما قدرنا نرد عليه لأنكم أنتم أسراه فاحفظوا دماكم وإلا هذا العبد يبتم أولادكم ويرمل نساءكم وعلى كل حال هذا عيد زنيم لا حسب له ولا نسب وإذا قتل أمتنا لكم ما يكون مغبون فى هذا السبب وابتهدوا فى هذه الأقوال حتى أنكم تملأون قلوبهم خوفا ورعبا لعلهم يرحلون هنكم ويتفرغ قلبنا لغيرهم وإلا دخلت المضرة علينا (قال الراوى) فلما أن سمع الحاضرون كلام عنتر تعجب كل من كان حضر فاجابوه إلى ذلك ونزلوا الأجل أكل الطعام وصبروا حتى أمتد رواق الظلام فعندها عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة والأخوص بن جعفر وجماعة من فرسان القبيلة وساروا إلى المكان الذى فيه الأسارى وكان فى وسط الحلة والعبيد دايرة بهم وكان جرير قد ساق زيد الخيل اليهم وتركه عندهم وفى جماتهم إلا أنهم لما صاروا عندهم أعاد عليهم ملاعب الأسنة كل ما سمعه من عنتر فى حقهم وأكد فى الكلام وصعب النوبة عليهم حتى ارتعدت أبدانهم فقال زيد الخيل والله يا وجوه العرب أن

القتل علينا أصعب الأشياء وأنتم تعرفون هذه الأشياء وتعلمون أن أحدنا إذا ركب جواده لا ينزل عنه حتى يقول أنه يلعب برأسة جواده وهذا الكلام أصعب الأشياء وهذه النوبة ماسببها إلا فارسكم عامر بن الطفيل لأنه أتى إلى ديارنا وسبى زوجتى هند وألقى العداوة بيننا ولما لحقته وأسرته وطالبته بالفداء فتسبب له الخلاص من حيث لا أعلم وما كفاه أنه ساق خيلنا وخيل أهل الحلة عن آخرها بعد خلاص نفسه وأحوجنا أن نجمع هذه العساكر لأجل خلاص أموالنا منكم وقد أتينا اليكم ولولاه ما كان أتفق لنا هذه الأمور والآن وقد ملكتم فاحكموا وأمروا بما شئتم حتى أننا نفعله وخلفونا على جميع العساكر حتى أننا نرحل به الأموال التى كانت لنا فدية لنفوسنا قال الراوى فهم فى الكلام إلا وجرير أخو الأمير عنتر داخل عليهم ومعه حيل طويل وهو يعيط والدموع تجرى من عينيه فقال له عامر ابن الطفيل مالك ياجرير وما حالك فقال له أن أخى شيبوب قد أشرف على الهلاك والعدم من الجراح التى فيه والساعة دخل عنده أخى عنتر ليفتقده فرآه هالك لا محالة ولم يبقى له عمر يوديه إلى الصباح فبكى أخى عنتر عند رأسه وناح قال يا أبن الأم أطلب منى حاجة قبل رحيلك من الدنيا فقال له أريد منك ياأخى إلا عشرة فوارس من بنى نبهان من أعز الفرسان وتذبحهم بين يدى قبل أن تخرج روحى من جسدى لانى تحت أعلامهم جرحت فلما سمع منه ذلك أخى عنتر قال له هذا أهون الأشياء إلى ثم أنه نادانى وأعطانى هذا الجبل وقال لى أمض فى هذه الساعه شد زيد الخيل وعسرة من الفرسان المشاهير من ساداتهم وأيتنى بهم مسبوحين مذلولين حتى أنى أنحرهم قدام أخى شيبوب وإذا بقى إلى الصباح ضربت رقاب الباقين بين يديه وكانت هذه الرسالة من صاحب الهمة شيبوب لان عنتر لما تفرغ مما كان فيه سار إلى افتقاد أخيه شيبوب وكان مطروحا عند أمه زبيبة فاعاد عليه ما فعل ومن قتل ومن اسر وذلك الكلام بعد أن رآه قد انصلحت أحواله وهو قاعد يحدث امه بما جرى ففرح بسلامته واعلمه ايضا بما دبر حتى تنفك عن بنى عامر هذه الجيوش فقال شيبوب هذا تدبير جيد وانا اؤكد القصة بكذا وكذا حتى يزل زيد الخيل ويفزع وان امروه بشىء لا يمتنع لان نفسه عليه عظيمة وانه لا يختار القتل على الهزيمة فلما سمع عنتر ذلك رآه صواب وانفذ جريرا بذلك الخطاب فاتى إلى قومه وهم فى الحالة التى ذكرناها فبلغهم الرسالة وادى المقالة فافهم إلى من ظن ان هذا الأمر صحيح إلا عامر بن الطفيل فانه من كثرة مخالطته بعنتر علم ان هذا تأكيد فى القصة فشد قلبه وقال يا مولد العرب

أن هذا الأمر لم نطاوع أخاك عليه ولم تفرط فيمن وقع فى أيدينا ما دام فى خيلهم قوة وهذا الأمر الذى عزم عليه فيهم يكون فى أرضه وبلاده وهذا شىء لم تمكنه منه مادام أن هذا صار فى بلادنا وأرضنا وهذه الكثرة كانت عندنا وهم حوالينا على أننى أعلم أنك لا ترجع إلى أخيك إلا بما طلب وإلا اشتد على اسراه الغضب وما فى الأمر إلا أننى أسيرانا إليه وأسأله فى ذلك ولا اتسبب لهؤلاء القوم فى أسباب المهالك ثم أنه قام إلى جرير يسأله عن هذه القصة إن كان لها حقيقة أم لا فقال له زيد الخيل وقد انقطع معالقه وقال يا عامر أننى حلفت بالله العظيم رب زمزم والحطيم أنى لا عدت اجرد فى وجهه سيفاً ولا أمد له قنا ما دمت فى دار الدنيا أن يحمل له عشرة فرسان من الذين هم مأسورين معنا فى هذا المكان من مجاهيل قومنا ودعه يذبحهم قدام أخيه ويتركنا ونحن نحمل إليه دية رؤسنا ولو كانت وزنهم ذهبا أن هو أطلقنا من أسرنا والاعتقال وكان فى الأسرى رجل صعلوك وكان بعيداً عن الديار وقد أتى فى طلب المكسب والمعاش وكان اسمه المدفوق ولقبه المذلول وقال يا زيد الخيل لم يقبل فى هذه النوبة سؤال ولا يقبل عوض أخيه إلا رجلى منسوب وقتل الذليل لا يشفى غليل فلا ترد عن نفسك بسواك ولا تفر من الموت إذا أتاك قال فضحك عامر بن الطفيل من هذا الخطاب إلا بما تشتهون ثم أخذ جرير وقد غاب قدر ساعة وعاد بعد ما علم بالمقصود والمراد وقال للاخوص بن جعفر خذ القوم يا أمير وحلفهم قبل الصباح وإلا نهبت أجسادهم بشفار الصفاح لأن هذا الرجل ما يفكر فى عاقبة ولا يخاف من النائبة وإن مات أخوه شيبوب قبل ذهاب الظلام فلا يصبح من هؤلاء القوم لا شيخ ولا غلام فعندها قال الاخوص لزيد أى شىء تقول يا وجه العرب تحلف أن تأمر قرملك وأباك بالرحيل حتى نطلق لك السبيل وتلزم اللجاج وتقوم فى أسر هذا الشيطان الرجيم فقال زيد الخيل أيها السيد ما بقى فينا من يريد المقام أن تفضلت علينا بالاطلاق بل نحلف لك بزافع السبع الطباق أننا نرتحل بقومنا من قبل ذهاب الظلام وما ندع الصباح يصبح وحولكم منا ديار ولا من ينفخ النار ثم أنه حلف له عن نفسه وعن بنى نبهان وكذلك حلفت باقى الأسرى من فرسان القبائل فخلوهم بنى عامر من الوثاق وأفرغوا عليهم عددهم وحلوهم من وثاقهم وقد انسلوا تحت ظلام الليل والدجا وهم لا يصدقون بالنجا ولما وصلوا إلى مكانهم طلب كل منهم يراه سالما وقد أعله بقصته وقد كره المال والجمال وما طلع النهار إلا والدنيا منهم بلاقع

وعلمت بنو عامر بذلك فطابت قلوبهم وانجلت كروبهم وخلى أيضا بال عنتر ثم أنه ركب صهوة جواده الابجر وقال لابيه يا ابت هذا باب عنا قد انسد وهذا النساء اللاتى قد آمنا عليهم ولكن أنا فزعان من ذوالخمار على قومنا أن يكون وصل اليهم من بعدى وسطا عليهم بفروسيته فان كان هذا الامر كما خطر ببالى وقد جرى فانا أعلم أنه يخلص دريد بن الصمه من الاسر وربما أنه أسر مقرى الوحش أن كان كما سمعت عنه من أهل الشجاعة والبطش فقال له لوداد والله ياولدى ماحسبت الرحساب الرجال وماقى الامر إلا العودة اليهم والكشف عن أخوالهم ثم أنه ركب هو ومن معه الابطال وكذلك فعل عامر بن الطفيل وقد استكثر من فرسانه والشجعان وعلم الاخوص بن جعفر بذلك فركب وسار فى فرسان بنى عامر فرده عنتر وقال له يامالك ماقد أمنا أمر يوجب إلى اتخاذك والمسافة بيننا قريبة واما ملاحب الاسنه فانه حلف أن يكون بصحبته ولم يقدر عنتر أن يمنعه من ذلك فشكره عنتر وسار طالبين ديار بنى عبس وسارت الواسايين حتى قاربوا الديار وإذا بالغبار قد ثار والقتال عمال وأهوال تدل على حرب شديد مهول فقال عنتر بالعرب ماهذه والله علائم خير ثم حرك الجواد وساق وتبعته الرجال والرفاق إلى أن وصلوا تحت مغبار فابصروا فرسان بنى عبس وهم نافرون ومن خلفهم فارس طويل القامة هائل الصورة عريض الاكتاف وعليه حلة حمراء فوقه ثوب وكلما طعن فارسا أرماه ومعه فارس آخر كانه النسر المعر وهو ينادى يا آل حميرانا المسمى بذوالخمار وكذلك دريد بن الصمه ينادى أنا دريد بن الصمه عالى العزيمه والهمة عن شماله اللقيط بن زراره وقد اشتهر بالقوة والسيف تلمع من تحت الغبار والصيحات مرتفعة والجماجم مدحرجه فلما نظر عنتر ذلك ابيض سوادة ورجف قلبه ونادى يابنى عمى اعا تنظرون إلى تلك المصائب والله لقد حسبت ذلك الحساب وإذا وصلنا إلى الصفوف مافيكم أن يرد جواب بل احملوا وجدوا الطعن والضراب ثم أنه مد عينه فرأى مواكب بنى عبس والملك قيس فى الانقلاب وقد مالت عليه كالعقاب فصرخ صرخة الغضب وكان جواده مع أخيه جرير بجنبه فقد موه وركبه وصار يطلب آخر الهاربين وأوائل المطالبين وركبت فرسان بنى عامر النجائب وتصارخت فرسان بنى عبس من كل جانب وعرفت عنتر وسمعت صوته فرته فردوا الأعنه وقوموا الاسنة وصاحوا من شدة الفرح واقلب البر بالصياح والتقى عنتر بذى الخمار واصتدما مثل موجال البحر وكذلك

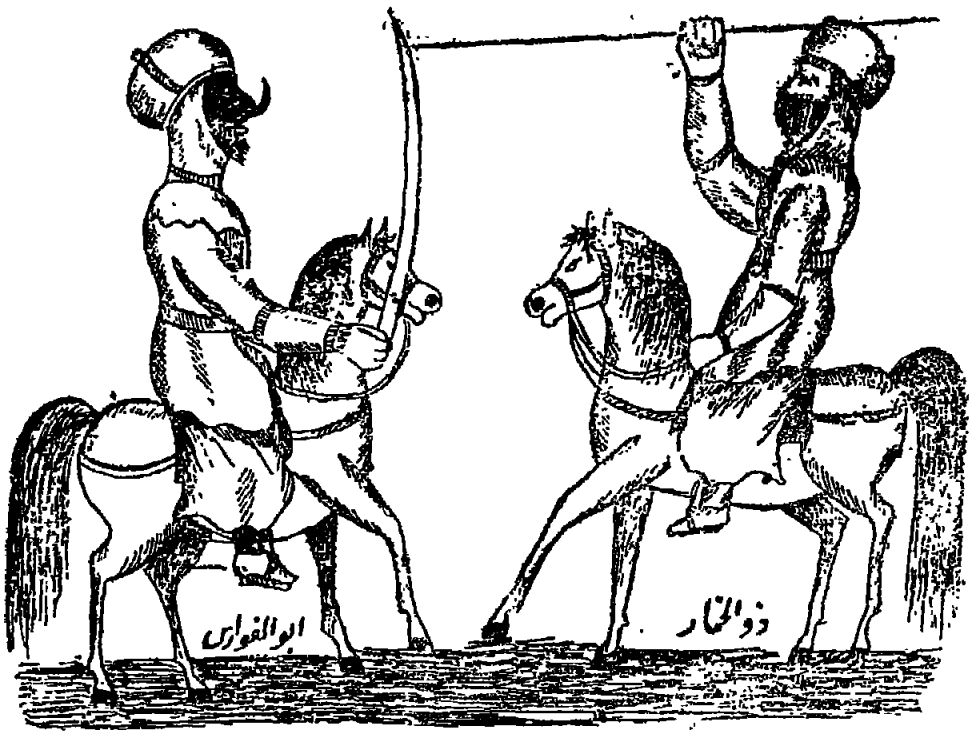

ملاعب الاسنة مع دريد بن الصمة واللقيط بن زرارة مع عامر بن الطفيل قال الراوى لكن صدمة ذى الخمار مع عنتر كانت مصيبة عظيمة لانها ارتجفت منها الابدان وشيبت الولدان وحيرت الشجعان وطال نيلها الامر وصار كل واحد منهم يهمهم كما يهمهم الاسد الجيعان وزين لهم وجه الهلاك فيالها من ساعة لان بنى عبس عند عودتها رأت ذو الخمار ودريد مشتغلين عنهم فطحنت المواكب التى حلفها وما كانت إلا ظاهرة على أعدائها وإنما ذو الخمار كسرها لانه صبحهم فى الليلة التى صار عنتر فيها إلى بنى عامر وقد ذكرنا انه خلى عندهم دريد أسير وكذلك اللقيط بن زرارة وانه اصعب الاعداء الذين كانوا مع خالد بن الصمة ولما ان اتى ذو الخمار تلقاه خالد ابن الصمة وبكى فى رجهه واعلمه ان اخاه اسير واعلمه انه لولا استظهاره كان قد هرب فى الليل فقال ذو الخمار وقد آلمه ذلك الكلام من اسر دريد وفعل معكم هذه الفعال فقال يا ابن العم فعلها معنا عنتر بن شداد ثم انه حدثه كيف ان عنتر كان عضبان فى بنى عامر وكيف اتى عنتر اسر دريد بن الصمة فى المجال وفعل بهم تلك الفعال فلما سمع سيبع منه ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقد غشى عليه وقال إلى متى يا خالد تحدثنى بهذا الحديث فانه فرح القلب والاحشا وحق من حال بين الظلام والمسالا خليت من بنى عبس من يمشى على عصى ثم أنه غير جواده وغرق فى عدة جلادة وكان بنو عبس قد ركبت وتعدلت

على أعدائها قد استظهرت ولولا وصول ذى الخمار ما كانت حملت وإنما أشغلها وصوله إليهم لأنها كانت سمعت بأخباره وعرف منهم مقرى الوحش ذلك فتقدم إليه لأجل أن يلتقاه ويكشف عنهم شره وينوب عن عنتر عند غيبته وكذلك فعل الكليم فارس بنى كريم لأنا قد ذكرنا قتاله مع بنى عبس وأخبرنا أنه كان فارسا جبارا وكيف لحقه بنو عبس وهو يقاتل عساكر دريد قبل هذا الكلام وكان معه ألف فارس همام وهم مقيمون معه فقتل منهم أو فى من مائة فارس والباقى يقاتلون معه بنيات صافيات وكان هذا أيضاً مقامه وحفظه العهود وقد وقع فى حبال الهوى والقيود لأنه نظر إلى الجمانة بنت قيس لما خرجت من جملة النساء وكان نظره لها سبب هلاكه فلأجل ذلك طاب قلبه على القتال وقد تصور فى قلبه أنه إذا قاتل ونصح فى القتال وانكشفت الشدة عن بنى عبس يطلبها من أبيها ويتزوج بها ويقيم عندهم بالكلية وهذا من جملة الاطماع التى تضرب بها الرقاب ولقد أحسن مجنون ليلى لما ذكر فى شعره هذا البيت:

أتطمع من ليلى بوصل وإنما ... تضرب أرقاب الرجال المطامع

قال وهكذا أصحاب هذا الرجل لأنه تقدم فى الأول ينتظرون سبيع بن الحارث حتى يحمل عليه ويرد شره عن بنى عبس ويتقرب بالخدمة إلى الملك قيس فطعنه سبيع فى صدره الرمح يلمع من ظهره وأبصر مقرى الوحش هذه الطعنة فقال والله ما رأيت مثلها إلا لعنتر ولقد صدق الواصف إليه وما نحن مع هذا الرجل إلا على خطر ثم قاربه وتلقاه وقد خاف من غيبة عنتر أن تطول فطاعنه ساعة من النهار فرآه جبارا لا يقع له على عيار وأبصر سبيع مقرى الوحش فرآه فارسا جبارا وإنه يجود فى الطعان فخاب أن يقضى معه الأوقات ولم يستدرك ما فات فأظهر التقصير والكسل وتبين الطعن موضع ومقتل وأمهله على ظهر الجواد فلما نظر بنو عبس ذلك حملوا على آخرهم وسائر جموعهم وحملت معهم فرسان بنو كريم وقد أصابهم على صاحبهم مصاب عظيم وكذلك جرى على قيس وأخوته وما فيهم إلا من قال قتل الكليم وما جازيناه على جميله وحملت مع سبيع اللعين الألف فارس التى وصلت معه من بنى حمير وحمل أيضاً خالد بن الصمة فى العسكر التى بقيت معه من هوازن وجشم وتغيرت الأحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الذليل والمحتشم وعاد الوجود عدم وأظلم النهار واغتم وولى الجبان وانهزم وتساوت العبيد والخدم وما أمسى المساء إلا وبنو عبس يقاتلون البيوت والمضارب وقد فنى منهم جمع كثير من الفرسان والاقارب

﴿ تم الجزء العشرون ويليه الحادى والعشرون ﴾

Bibliotheca Alexandrina
0703987